

ذخائر العرب

٣٠

تاريخ الطب

تاريخ الرسل والملوك

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

٢٢٤ - ٣١٠ هـ

الجزء الأول

تحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الطبعة الثانية



دارالمغرب بمطرب

تاريخ السيل والملوك
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الأوّل قبل كلّ أوّل ، والآخِر بعد كلّ آخر ، [والدائم بلا زوال] ^(١) ، والقائم ^(٢) على كلّ شيء بغير انتقال ، والخالق خلقه من غير أصل ^(٣) ولا مثال ؛ فهو ^(٤) الفرد الواحد من غير عدد ؛ وهو الباقي بعد كلّ أحد ، إلى غير نهاية ولا أمد . له الكبرياء والعظمة ، والبهاء والعزة ، والسلطان والقدرة ، تعالى عن أن يكون له شريك في سلطانه أو في ^(٥) وحدانيته نديد ، أو في تدبيره معين أو ظهير ، أو أن يكون له ولد ، أو صاحبة أو كفء أحد ، لا تحيط به الأوهام ، ولا تحويه الأقطار ، ولا تدركه الأبصار ، [وهو يدرك الأبصار] ^(١) ، وهو اللطيف الخبير .

أحمدّه على آلائه ، وأشكره على نعمائه ، حمد من أفردّه بالحمد ، وشكر من رجا بالشكر منه المزيد ، وأستهديه من القول والعمل لما يقربني منه ويرضيه ، وأومن به إيمان مخلص له التوحيد ، ومفرد له التمجيد .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده النجيب ، ورسوله الأمين ، اصطفاه لرسالته ، وابتعثه بوحيه ، داعياً خلقه إلى عبادته ؛ فصدع بأمره ، وجاهد في سبيله ، ونصح لأُمَّته ، وعبده حتى أتاه اليقين من عنده ، غير مقصّر في بلاغ ، ولا وان في جهاد ؛ صلى الله عليه أفضل صلاة وأزكاها ، وسلم .

(١) ما بين العلامتين تكلمة من أ .

(٢) ط : « القادر » ، وما أثبتته عن أ .

(٣) ط : « شكل » ، وما أثبتته عن أ .

(٤) ط : « وهو » ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « وفي » ، وما أثبتته عن أ .

أما بعد ، فإنَّ اللهَ جلَّ جلاله ، وتقدَّست أسماؤه ، خلقَ خلقه من غير ضرورة كانت به إلى خلقهم ، وأنشأهم من غير حاجة كانت به إلى إنشائهم ، بل خلق من خصه منهم بأمره ونهيه ، وامتحنه بعبادته ، ليعبده [فيجود عليهم بنعمه] (١) ، وليحمده على نعمه فيزيدهم من فضله ومينته ، و^(٢) يسبغ عليهم فضله وطوله^(٣) ، كما قال عز وجل : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ (٤) . فلم يزد خلقه إياهم - إذ خلقهم - في سلطانه على ما لم يزل قبل خلقه إياهم مثقال ذرة ، ولا هو إن أفناهم وأعدمهم يتقصه إفناؤه إياهم ميزان شعرة (٥) ، لأنه لا تغيره الأحوال ، ولا يدخله الملل ، ولا ينقص سلطانه الأيام والليال (٦) ؛ لأنه خالق الدهور والأزمان ، فعم جميعهم في العاجل فضله وجوده ، وشمسهم كرمه وطوله ، فجعل لهم أسماعاً وأبصاراً وأفئدة ، وخصهم بعقول يصلون بها إلى التمييز (٧) بين الحق والباطل ، ويعرفون بها المنافع والمضار ، وجعل لهم الأرض بساطاً ليسلكوا منها سبلاً فجاجاً ، والسماء سقفاً محفوظاً ، [وبناء مسموكاً] (٨) ؛ وأنزل (٩) لهم منها الغيث بالإدراة ، والأرزاق بالمقدار ، وأجرى لهم [فيها] (١٠) قمر الليل وشمس النهار يتعاقبان بمصالحهم دائبين ، فجعل لهم الليل لباساً (١١) ، والنهار معاشاً ، وخالف - مناً منه عليهم وتطولاً - بين قمر الليل وشمس النهار ، فحآية الليل وجعل آية النهار مبصرةً ، كما قال جلَّ جلاله وتقدَّست أسماؤه : ﴿ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لَتَبْتَغُوا فَضلاً

٣/١

(١) تكملة من ا .

(٢-٣) ا : « يسبغ عليهم من كرامته وطوله » .

(٣) سورة الذاريات ٥٦ - ٥٨ .

(٤) ط : « مثقال ذرة » ، وما أثبتته عن ا .

(٥) في جميع الأصول : « الليالي » .

(٦) ط : « يفتلون بها التمييز » ، من تصرف مصححه ؛ وما أثبتته من ا .

(٧) ط : « كما قال » ، من تصرف مصححه ؛ والصواب ما أثبتته من ا .

(٨) ا : « سكوناً » .

مِنْ رَبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ وَكُلُّ شَيْءٍ فَصَلَنَاهُ تَفْصِيلاً^(١).

وليصلوا بذلك إلى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم في ساعات الليل والنهار والشهور والسنين؛ من الصلوات والزكوات والحج والصيام وغير ذلك من فروضهم،
وحيث حلّ ديونهم وحقوقهم؛ كما قال عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ
قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(٢)، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً
وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ
ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾^(٣).
إنعاماً منه بكلّ ذلك على خلقه، وتفضلاً منه به عليهم وتطوياً، فشكره على نعمه
التي أنعمها عليهم من خلقه خلقاً عظيماً، فزاد كثيراً منهم من آلائه وأياديه، على
ما ابتدأهم به من فضله وطوله، كما وعدهم جلّ جلاله بقوله: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ
رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾^(٤)،
وجمع لهم إلى^(٥) الزيادة التي زادهم في عاجل دنياهم، الفوز^(٦) بالنعيم المقيم،
والخلود في جنات النعيم، في أجل آخرتهم. وأخّر لكثير منهم الزيادة التي وعدهم
فقدّمهم إلى حين مصيرهم [إليه]^(٧). ووقت قدومهم عليه، توفيراً منه كرامته
عليهم يوم تُبلى السرائر^(٨). وكفر نعمته خلق منهم عظيم، فجحدوا آلاءه
وعبدوا سواه، فسلب^(٩) كثيراً منهم ما ابتدأهم^(٩) به من الفضل والإحسان، وأحلّ

(١) سورة الإسراء ١٢

(٢) سورة البقرة ١٨٩

(٣) سورة يونس ٥ ، ٦

(٤) سورة إبراهيم ٧

(٥) ط : « بين » .

(٦) ط : « والفوز » .

(٧) تكلّمه من أ .

(٨) أ : « يوم يرجعون إليه » .

(٩) ط : « فسلبهم ما ابتدأهم » ، وما أثبتته عن أ

بهم النعمة (١) المهلكة في العاجل ، وذآخر لهم العقوبة الخزية في الآجل ، ومتع كثيراً منهم بنعمه أيام حياتهم استدراجاً منه لهم ، وتوقيراً منه عليهم أوزارهم ؛ ليستحقوا من عقوبته في الآجل ما قد أعدّ لهم .

نعوذ بالله من عمل يقرب من سخطه (٢) ، ونسأله التوفيقَ لما يُدنى من رضاه ومحبته .

* * *

قال أبو جعفر : وأنا ذاكر في كتابي هذا من ملوك كل زمان ، من [لدن] (٣) ابتداء ربنا جلّ جلاله خلقَ خلقه إلى حال فنأهم (٤) ، من انتهى إلينا خبره من ابتداء الله تعالى بآلائه ونعمه فشكر نعمته ؛ من رسول له مرسل ، أو ملك مسلط ، أو خليفة مستخلف ، فزاده إلى ما ابتدأه به من نعمه في العاجل نعماً ، وإلى ما تفضل به عليه فضلاً ، ومن آخر ذلك له منهم ، وجعله له عنده ذخراً . ومن كفر منهم نعمه فسلبه ما ابتدأه به من نعمه ، وعجل له نقمه . ومن كفر منهم نعمه فنتعه بما أنعم به عليه إلى حين وفاته وهلاكه ؛ مقررناً ذكر كل من أنا ذاكره منهم في كتابي هذا بذكر زمانه (٥) ، وجُمِل ما كان من حوادث الأمور في عصره وأيامه ؛ إذ كان الاستقصاء في ذلك يقصر عنه العمر ، وتطولُ به الكتب ، مع ذكرى مع ذلك مبلغ مدة أكله (٦) ، وحين أجله ، بعد تقديمي أمام ذلك ما تقدمه بنا أولى ، والابتداء به قبله أحجى ؛ من البيان عن الزمان : ما هو ؟ وكم قدر جميعه ، وابتداء أوله ، وانتهاء آخره ؟ وهل كان قبل خلق الله تعالى إياه شيء غيره ؟ وهل هو فان ؟ وهل بعد فئاته شيء غير وجه المسبّح الخلاق ، تعالى ذكره ؟ وما الذي كان قبل خلق الله إياه ؟ وما هو كائن بعد فئاته وانقضائه ؟ وكيف

(١) : « النقم » .

(٢) : « إلى سخطه » .

(٣) تكلية من ا .

(٤) كذا في ا ، وفي ط : « قيامهم » ، وفي ن : « انتباههم » .

(٥) ط : « نعماته » ، والأجود ما أثبتته عن ا .

(٦) يراد بالأكل هنا مدة العمر التي يعيشها المرء في الحياة يأكل فيها ، وانظر التفسير

كان ابتداء خلق الله تعالى إياه؟ وكيف يكون فذاؤه؟ والدلالة على أن لا قديم إلا الله الواحد القهار، الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى . ١/٧
 وبجيز من الدلالة غير طويل؛ إذ لم تقصد بكتابتنا هذا قصد الاحتجاج لذلك، بل لما ذكرنا من تأريخ الملوك الماضين وجمل من أخبارهم، وأزمان الرسل والأنبياء ومقادير أعمارهم، وأيام الخلفاء السالفين وبعض سيرهم، ومبالغ ولاياتهم، والكائن الذى كان من الأحداث فى أعصارهم. ثم أنا متبع^(١) آخر ذلك كله - إن شاء الله وأيد منه بعون وقوة - ذكر صحابة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأسمائهم وكُنُاهم ومبالغ أنسابهم ومبالغ أعمارهم، ووقت وفاة كل إنسان منهم، والموضع الذى كانت به وفاته. ثم متبعهم ذكر من كان بعدهم من التابعين لهم بإحسان، على نحو ما شرطنا من ذكرهم. ثم ملحق بهم ذكر من كان بعدهم من الخلفاء لهم كذلك، وزائد فى أمورهم للإبانة^(٢) عمّن حميت منهم روايته، وتقبّلت^(٣) أخباره، ومن رفضت منهم روايته ونبتت أخباره، ومن وهن منهم نقله، وضعف خبره. و [ما]^(٤) السبب الذى من أجله نُبت من نُبت منهم خبره، والعلة التى من أجلها وهن من وهن منهم نقله.

وإلى الله عز وجل أنا راغب^(٥) فى العون على ما أقصده وأنويه، والتوفيق لما ألتسسه وأبغيه؛ فإنه ولىّ الحول والقوة، وصلى الله على محمد نبيه وآله وسلم تسليماً.

* * *

وليعلم الناظر فى كتابنا^(٦) هذا أن اعتمادى فى كل ما أحضرت ذكره فيه مما شرطت أنى راسمه فيه؛ إنما هو على ما رويت من الأخبار التى أنا ذاكرها فيه، والآثار التى أنا مسندها إلى رواتها فيه، دون ما أدرك بحجج العقول، واستنبط

- (١) : « نبت » .
- (٢) : « الإبانة » .
- (٣) ط : « ونقلت » .
- (٤) تكلمة من أ .
- (٥) : « أرغب » .
- (٦) : « كتابى » .

٧/١
 بفكر النفوس ، إلا اليسير القليل منه ، إذ كان العلم بما كان من أخبار الماضين ،
 وما هو كائن من أنباء الحادئين ، غير واصل إلى من لم يشاهدهم ولم يدرك
 زمانهم ؛ إلا بإخبار المخبرين ، ونقل الناقلين ، دون الاستخراج بالعقول ، والاستنباط
 بفكر النفوس . فما يكن في كتابي^(١) هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما
 يستنكره قارئه ، أو يستشعنه^(٢) سامعه ، من أجل أنه لم يعرف له وجهاً في الصحة ،
 ولا معنى في الحقيقة ، فليعلم أنه لم يثبت في ذلك من قبيلنا ، وإنما أتى من قبيل
 بعض ناقله إلينا ؛ وأنا إنما أدبنا ذلك على نحو ما أدبني إلينا .

(١) : « كتابنا » .

(٢) : « يستشعنه » .

القول في الزمان ما هو

قال أبو جعفر : فالزمانُ هو ساعات الليل والنهار ، وقد يقال ذلك للطويل من المدة والقصير منها ، والعرب تقول : أتيتك زمانَ الحجاج أمير ، وزمنَ الحجاج أمير - تعنى به : إذ الحجاج أمير . وتقول : أتيتك زمان الصَّرام [وزمن الصَّرام] ^(١) - تعنى به وقت الصرام . ويقولون أيضاً : أتيتك أزمان الحجاج أمير ، فيجمعون الزمان ، يريدون بذلك أن يجعلوا كلَّ وقت من أوقات إمارته زماناً ^(٢) من الأزمنة ، كما قال الراجز :

جاءَ الشَّتاءُ وقَميصي أخلاقُ شراذِمُ بضَحَكٍ مِنْهُ التَّوَأقُ ^(٣)

فجعل القميص أخلاقاً ، يريد بذلك وصف كل قطعة منه بالإخلاق ؛ كما يقولون : أرض سباسب ، ونحو ذلك .

ومن قولهم للزمان : « زمن » قولُ أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

وَكُنْتُ أَمْرًا زَمَنًا بِالْعِرَاقِ عَفِيفَ الْمُنَاخِ طَوِيلَ التَّنْفَنِ ^(٤)

يريد بقوله : « زماناً » « زماناً » ، فالزمان اسم لما ذكرت من ساعات الليل والنهار

٨/١

على ما قد بينت ووصفت .

(١) تكلمة من ا ، وابن الأثير ١ : ١١ . وصرام النخلة : أوان اجتناء ثمرها .

(٢) ا : « زماناً » .

(٣) البيتان في اللسان (توق - شرذم) من غير عزو . وخلق القميص : بلى ، ويقال :

قميص أخلاق ، يصفون به الواحد إذا كان بين الخلوقة . وشراذم : قطع . والتوَأق : ابنة .

(٤) ديوانه ٢٢ ؛ وهو في أمالي المرتضى ١ : ٣١ ، واللسان (غنى) . والتنفن هنا :

الاستغناء ؛ وفي ط : « التنفن » ، تحريف ، صوابه في ا .

القول في كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله إلى آخره

اختلف السلف قبلنا من أهل العلم في ذلك ، فقال بعضهم : قدر جميع ذلك سبعة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يحيى بن يعقوب ، عن حماد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة ، سبعة آلاف سنة ، فقد مضى ستة آلاف سنة ومائتا سنة^(١) ، وليأتين عايتها مئون [من^(٢)] سنين ، ليس عليها^(٣) موحد .

* * *

وقال آخرون : قدر جميع ذلك ستة آلاف سنة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو هشام ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، قال : قال كعب : الدنيا ستة آلاف سنة .
حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة ، وإني^(٤) لأعرف كل زمان منها ، ما كان فيه من الملوك والأنبياء . قلت^(٥) لوهب بن منبّه : كم الدنيا ؟ قال : ستة آلاف سنة .

* * *

(١) ط : « ومئو سنة » ، ن : « ومائتين » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) تكلمة من أ .

(٣) ط : « لها » ، وما أثبتته عن أ ، ر .

(٤) ط : « إني » ، بحذف الواو ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « قلنا » ، وما أثبتته عن أ .

قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما دل على صحته الخبرُ الوارد
 ٩/١ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك ما حدثنا به محمد بن بشار وعلى بن سهل،
 قالوا: حدثنا مؤمّل، قال: حدثنا سفيان، عن عبد الله بن دينار، عن ابن
 عمر، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «أجلُّكم في أجلِّ مَنْ
 كان قبلكم، من صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، قال: حدثني محمد بن إسحاق،
 عن نافع، عن ابن عمر، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «الآن إنما
 أجلُّكم في أجلِّ مَنْ خلا من الأمم، كما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس».

حدثنا الحسن بن عرفة، قال: حدثني عمار بن محمد، ابن أخت
 سفيان الثوري، أبو اليقظان، عن ليث بن أبي سليم، عن مغيرة بن حكيم،
 عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بقي لأمتي
 من الدنيا إلا كمقدار الشمس إذا صُلِّيت العصر».

حدثني محمد بن عوف، قال: حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شريك،
 قال: سمعت سلمة بن كهيل، عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: كنا جلوساً
 عند النبي صلى الله عليه وسلم والشمس مرتفعة على قُعيقمان^(١) بعد العصر، فقال:
 «ما أعمارُكم في أعمار من مضى إلا كما بقي من هذا النهار فيما مضى منه».

حدثنا ابن بشار ومحمد بن المثني - قال ابن بشار: حدثني خلف
 ابن موسى، وقال ابن المثني: حدثنا خلف بن موسى - قال: حدثني أبي، عن
 قتادة، عن أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خطب أصحابه يوماً -
 وقد كادت الشمس أن تغيب، ولم يبق منها إلا شِقٌّ يسير - فقال^(٢): «والذي

(١) قعيقمان، بالضم ثم الفتح، على التصغير: أحد جبال مكة. (ياقوت).

(٢) ط: «قال»، وما أثبتته من أ.

نفس محمد بيده ما بقي من دنياكم فيما مضى منها إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه ، وما ترون من الشمس إلا اليسير .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن علي بن زيد ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم عند غروب الشمس : « إنما مثل ما بقي من الدنيا فيما مضى منها كبقية يومكم هذا فيما مضى منه » .

حدثنا هناد بن السرى وأبو هشام الرفاعي ، قالوا : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت [أنا] ^(١) والساعة كهاتين » - وأشار بالسبابة والوسطى .
حدثنا أبو كريب ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن أبي بكر ، عن أبي حصين ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي بنحوه .

حدثنا هناد ، قال : حدثنا أبو الأحوص وأبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا أبو كريب ^(٢) ، قال : حدثنا عثمان بن علي ، عن الأعمش ، عن أبي خالد الوالبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : كأنى أنظر إلى إصبعي رسول الله صلى الله عليه وسلم - وأشار بالمسبحة والتي تليها - وهو يقول : « بعثت أنا والساعة كهذه من هذه » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني يحيى بن واضح ، قال : حدثنا فطر ^(٣) ، عن أبي خالد الوالبي ، عن جابر بن سمرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت من الساعة كهاتين » - وجمع بين إصبعيه السبابة والوسطى .

(١) تكله من ا .

(٢) ط : « أبو كبير » تصحيف ، صوابه في ا .

(٣) ط : « قطن » ، تصحيف ، صوابه في ا ، وهو فطر بن خليفة القرظي ، ذكره

ابن حجر فيمن روى عن أبي خالد الوالبي ، وانظر تهذيب التهذيب ١٢ : ٨٣ .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا
شعبة ، قال : سمعت قتادة يحدث ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » . قال شعبة :
سمعت قتادة يقول في قصصه : كفضل إحداهما على الأخرى ، قال : لا أدري
أذكره عن أنس أو قاله قتادة .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : حدثنا النضر بن شميل ، قال :
حدثنا شعبة ، عن قتادة ، قال : حدثنا أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا شعبة ، عن
قتادة ، عن أنس بن مالك ، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله ، وزاد في حديثه :
وأشار بالوسطى والسبابة .

حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا أيوب بن
سويد ، عن الأوزاعي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن
مالك على الوليد بن عبد الملك ، فقال له الوليد : ماذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يذكر به الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :
« أنتم [و] ^(١) الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي ، قال : حدثنا الأوزاعي ،
قال : حدثني إسماعيل بن عبيد الله ، قال : قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك ،
فقال له الوليد : ماذا سمعت [من] ^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر به
الساعة ؟ قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « أنتم والساعة كتستين » .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا عمرو بن أبي سلمة ،

عن الأوزاعي، قال: حدثني إسماعيل بن عبيد الله، قال: قدم أنس بن مالك على الوليد بن عبد الملك، فذكر مثله.

حدثني محمد بن عبد الأعلى، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، عن أبيه، قال: حدثني معبد، حدث أنس، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقال بإصبعيه: هكذا.

١٢/١

حدثنا ابن المنثي قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»: السبابة والوسطى. قال أبو موسى^(١): وأشار وهب بالسبابة والوسطى.

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا شعبة، عن أبي التياح وقتادة، عن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وقرآن بين إصبعيه.

حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع، قال: حدثنا الفضيل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، قال: حدثنا سهل بن سعد، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بإصبعيه هكذا، الوسطى والتي تلي الإبهام: «بعثت أنا والساعة كهاتين».

حدثنا محمد بن يزيد الأدمي، قال: حدثنا أبو ضمرة، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «بعثتُ والساعة كهاتين»—وضم بين إصبعيه الوسطى، والتي تلي الإبهام—وقال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان»، ثم قال: «ما مثلي ومثل الساعة إلا كمثل رجل بعثه قوم طليعة، فلما خشي أن يسبق ألاح بثوبه: أتيتم، أتيتم، أنا ذاك أنا ذاك».

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا خالد، عن محمد بن جعفر، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بعثت أنا والساعة كهاتين»، وجمع بين إصبعيه.

١٣/١

(١) أبو موسى: كنية ابن المنثي.

حدثنا أبو كُريب ، قال : حدثنا خالد ، قال : حدثنا سليمان بن بلال ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة هكذا » ، وقرن بين إصبعيه : الوسطى والتي تلى الإبهام .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثني أبو حازم ، عن سهل بن سعد ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت أنا والساعة كهاتين » ، وجمع بين إصبعيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو نعیم ، عن بشير بن المهاجر ، قال : حدثني عبد الله بن بُرَيْدة ^(١) ، عن أبيه ، قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بعثت أنا والساعة جميعاً ، إن كادت لتسبقني » .

حدثني محمد بن عمر بن هياج ، قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن ، قال : حدثني عبيدة بن الأسود ، عن مجالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن المستورد بن شداد الفهري ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « بعثت في نفس الساعة ^(٢) ، سبقتها كما سبقت هذه هذه » ، لإصبعيه السبابة والوسطى ، ووصف لنا أبو عبد الله ، وجمعهما .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا أبو نصر ، قال : حدثنا المسعودي ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي ، عن أبي جبيرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بعثت مع الساعة كهاتين » ، وأشار بإصبعيه الوسطى والسبابة - « كفضل هذه على هذه » .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا يزيد ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن شبيب بن عوف ، عن أبي جبيرة ، عن أشياخ من الأنصار ، قالوا :

(١) كذا ضبطه ابن الأثير ١ : ١٢ : « بضم الموحدة وسكون الياء تحتهما نقطتان

وأخرها هاء » .

(٢) بعثت في نفس الساعة ، أي بعثت وقد حان قيامها وقرب . النهاية لابن الأثير

سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « جئت أنا والساعة هكذا » - قال الطبري : وأرانا تميم ، وضم السبابة والوسطى وقال لنا : أشار يزيد بإصبعيه السبابة والوسطى وضمهما - وقال : « سبقتها كما سبقت هذه هذه في نفس من الساعة » ، أو « [في] ^(١) نفس الساعة » .

فعلوم إذ كان اليوم أوله طلوع الفجر وآخره غروب الشمس ، وكان صحيحاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم ، ما روينا عنه قبل ، أنه قال بعد ما صلى العصر : « ما بقى من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقى من يومكم هذا فيما مضى منه » . وأنه قال لأصحابه : « بُعثت أنا والساعة كهاتين » - وجمع بين السبابة والوسطى - « سبقتها بقدر هذه من هذه » ، يعنى الوسطى من السبابة . وكان قدر ما بين أوسط أوقات صلاة العصر - وذلك إذا صار ظل كل شيء مثليه - على التحرى إنما يكون قدر نصف سبع اليوم ، يزيد قليلاً أو ينقص قليلاً ، وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة ، إنما يكون نحواً من ذلك وقریباً منه .

وكان صحيحاً مع ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمى عبد الله بن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح ، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير ، عن أبيه جبير بن نفير ، أنه سمع أبا ثعلبة الحشني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » ، وكان معنى قول النبي ذلك أن « لن يعجز الله هذه الأمة من نصف يوم » الذي مقداره ألف سنة = كان بيناً أن أولى القولين - اللذين ذكرت في مبلغ قدر مدة جميع الزمان ، اللذين أحدهما عن ابن عباس ، والآخر منهما عن كعب - بالصواب ، وأشبههما بما دلت عليه الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قول ابن عباس ، الذي روينا عنه أنه قال : الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة .

وإذ كان ذلك كذلك، وكان الخبرُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحيحاً أنه أخبر عن الباقي من ذلك في حياته أنه نصف يوم، وذلك خمسمائة عام؛ إذ كان ذلك نصف يوم من الأيام التي^(١) قدر اليوم الواحد منها ألف عام = كان معلوماً أن الماضي من الدنيا إلى وقت قول النبي صلى الله عليه وسلم ما روينا عن أبي ثعلبة الخشني عنه، كان قدر ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة، أو نحواً من ذلك وقريباً منه . والله أعلم .

* * *

فهذا الذي قلنا - في قدر مدة أزمان الدنيا، من مبدأ أولها إلى منتهى آخرها - من أثبت ما قيل في ذلك عندنا من القول، للشواهد الدالة التي بينها على صحة ذلك . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خبرٌ يدلُّ على صحة قول من قال : إن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، لو كان صحيحاً سندُه لم نعدُ القولَ به إلى غيره؛ وذلك ما حدثني به محمد بن سنان القزاز، قال : حدثنا عبد الصمد ابن عبد الوارث، حدثنا زبَّان، عن عاصم، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «الحقُّب ثمانون عاماً، اليوم منها سدس الدنيا» . فبيِّن في هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة، وذلك أن اليوم الذي هو من أيام الآخرة إذا كان مقداره ألف سنة من سنين الدنيا، وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا، كان معلوماً بذلك أن جميعها ستة أيام من أيام الآخرة، وذلك ستة آلاف سنة .

* * *

وقد زعم^(٢) اليهود أن جميع ما ثبت عندهم - على ما في التوراة مما هو^(٣) فيها من لدن خلق الله آدم إلى وقت الهجرة، وذلك في التوراة التي هي في أيديهم اليوم - أربعة آلاف سنة وستمائة سنة واثنان وأربعون سنة، وقد ذكروا تفصيل ذلك بولادة رجل رجل، ونبي نبي، وموته من عهد آدم إلى هجرة نبينا محمد صلى الله عليه

(١) ط « الذي » ، وصرابه من ا .

(٢) ط : « تزعم » ، وما أثبتته من ا .

(٣) كذا في ا ، ب ، ك ، وفي ط : « ما بين » .

وسلم . وسأذكر تفصيلهم ذلك إن شاء الله ، وتفصيل غيرهم ممن فصله من علماء أهل الكتب وغيرهم من أهل العلم بالسيرة وأخبار الناس إذا انتهيت إليه إن شاء الله .
وأما اليونانية من النصارى فإنها تزعم أن الذى ادّعتة اليهود من ذلك باطل ، وأن الصحيح من القول فى قدر مدة أيام الدنيا — من لدُنْ خلق الله آدم إلى وقت هجرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم على سياق ما عندهم فى التوراة التى هى فى أيديهم — خمسة آلاف سنة وتسعمائة سنة واثنان وتسعون سنة وأشهر . وذكروا تفصيل ما ادّعوه من ذلك بولادة نبيّ نبيّ ، وملك ملك ، ووفاته من عهد آدم إلى وقت هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزعموا أن اليهود إنما نقصوا ما نقصوا من عدد سنّ ما بين تاريخهم وتاريخ النصارى دفعاً منهم لنبوّة عيسى بن مريم عليه السلام إذ كانت صفته ووقت مبعثه مثبتة فى التوراة . وقالوا : لم يأت الوقت الذى وُقت لنا فى التوراة أن الذى صفته صفة عيسى يكون فيه ، وهم ينتظرون — بزعمهم — خروجه ووقته .

١٧/١

وأحسب (١) أن الذى ينتظرونه ويدّعون أن صفته فى التوراة مثبتة ، هو الدجال الذى وصفه رسول الله صلى الله عليه وآله ، وذكر لهم أن عامة أتباعه اليهود ؛ فإن كان ذلك هو عبد الله بن صياد ، فهو من نسل اليهود .
وأما الجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيوسمرت إلى وقت هجرة نبينا صلى الله عليه وسلم ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة ، وهم لا يذكرون مع ذلك نسباً يعرف فوق جيوسمرت ، يزعمون أنه آدم أبو البشر ، صلى الله عليه وسلم وعلى جميع أنبياء الله ورسله .

ثم أهلُ الأخبار بعدُ فى أمره مختلفون ؛ فمن قائل منهم فيه مثل قول الجوس ، ومن قائل منهم إنه تسمى بآدم بعد أن ملك الأقاليم السبعة ، وأنه إنما هو جامر بن يافث (٢) ابن نوح ، كان بنوح عليه السلام برّاً وخدمته ملازماً ، وعليه حدّ باً شقيقاً ، فدعا الله له ولذريته [نوح] (٣) — لذلك من بره به وخدمته له — بطول العمر ، والتمكين فى

(١) ط : « فأحسب » .

(٢) كذا ضبط فى القاموس ، كصاحب ، ووقع فى سفر التكوين مضبوطاً بالفتح .

(٣) من أ .

البلاد ؛ والنصر على من ناوأه وإياهم ، واتصال الملك له ولذريته ، ودوامه (١) له
 ولهم ؛ فاستجيب له فيه ، فأعطى جيُومَرت ذلك وولده ، فهو أبو الفرس ،
 ولم يزل الملك فيه وفي ولده إلى أن زال عنهم بدخول المسلمين مدائن كسرى ،
 وغلبت أهل الإسلام إياهم على ملكهم .

ومن قائل غير ذلك ؛ وسندكر إن شاء الله ما انتهى إلينا من القول فيه إذا
 انتهينا إلى ذكرنا تاريخ الملوك ومبالغ أعمارهم ، وأنسابهم وأسباب ملكهم .

القول في الدلالة

على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار

١٨/١

قد قلنا قبلُ إن الزمان إنما هو اسم لساعات الليل والنهار ، وساعات الليل والنهار إنما هي مقادير من جرمي الشمس والقمر في الفلك ، كما قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (١) .

فإذا كان الزمان ما ذكرنا من ساعات الليل والنهار ، وكانت ساعات الليل والنهار إنما هي قطع الشمس والقمر درجات الفلك ، كان بيقين معلوماً أن الزمان محدث والليل والنهار محدثان ، وأن محدث ذلك الله الذي تفرَّد بإحداث جميع خلقه ، كما قال : ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٢) .

ومن جهيل حدوث ذلك من خلق الله فإنه لن يجهل اختلاف أحوال الليل والنهار ؛ بأن أحدهما يترد على الخلق - وهو الليل - بسواد وظلمة ، وأن الآخر منهما يرد عليهم بنور وضياء ، ونسخ لسواد الليل وظلمته ، وهو النهار . فإذا كان ذلك كذلك ، وكان من الحال اجتماعهما مع اختلاف أحوالهما في وقت واحد في جزء واحد - كان معلوماً يقيناً أنه لا بد [من] (٣) أن يكون أحدهما كان قبل الآخر منهما ؛ وأيتهما كان منهما قبل صاحبه فإن الآخر منهما كان

(١) سورة يس ٣٧ - ٤٠

(٢) سورة الأنبياء ٣٣

(٣) من أ .

لا شك بعده ، وذلك إبانةٌ ودليل على حدوثهما ، وأنهما خلقان لخالفهما^(١) . ١٩/١

ومن الدلالة أيضاً على حدوث الأيام والليالي أنه لا يوم إلا وهو بعد يوم كان قبله ، وقبل يوم كائن بعده ، فمعلوم أن ما لم يكن ثم كان ، أنه محدث مخلوق ، وأن له خالقاً ومحدثاً .

وأخرى ، (٢) أن الأيام والليالي معدودة ، وما عد من الأشياء فغير خارج من أحد العددين : شفع أو وتر ؛ فإن يكن شفعاً فإن أولها اثنان ، وذلك تصحيح القول بأن لها ابتداءً وأولاً ، وإن كان وتراً فإن أولها واحد ، وذلك دليل على أن لها ابتداءً وأولاً ، وما كان له ابتداء فإنه لا بد له من مبتدئ ، هو خالقه .

(١) ١ : « يتخالفهما » .

(٢) ط : « والأخرى » ، وما أثبتته عن ١ .

القول في هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل والنهار شيئاً غير ذلك من الخلق

قد قلنا قبل: إن الزمان إنما هو ساعات الليل والنهار، وإن الساعات إنما هي قَطْعُ (١) الشمس والقمر درجات الفلك .

فإذا (٢) كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) ما حدثنا هناد بن السرى، قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن أبي سعد البقّال، عن عكرمة، عن ابن عباس - قال هناد: وقرأت سائر الحديث (٤) [على أبي بكر] - (٥) أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال: خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ الأَحَدِ والأثْنَيْنِ ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء وما فيهن من منافع، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والمدائن والعمران والحراب؛ فهذه أربعة، [ثم] (٥) قال: ﴿قُلْ أَنتُمْ لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَاداً ذَلِكَ رَبُّ العَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَواسي مِّنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللِّسَانِ﴾ (٦)، لمن سأل . قال: وخلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة، إلى ثلاث ساعات بقيت منه، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث الساعات الآجال مَنْ يَحْيَا وَمَنْ يَمُوتُ ، وفي الثانية ألقى الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة، وأمر إبليس بالسجود له

٢٠/١

(١) : «مطلع» تحريف .

(٢) جواب «إذا» : «فإن كان كذلك» ص ٢٦

(٣) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦١ (بولاق) .

(٤) ط : «في سائر الحديث» ، وما أثبتته عن ا .

(٥) زيادة من التفسير .

(٦) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

وأخرجه منها في آخر ساعة . ثم قالت اليهود : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على العرش ، قالوا : قد أصبت لو أتممت : قالوا : ثم استراح ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً ، فنزل : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ۖ فَأُصِرُّ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾^(١) .

حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصدائي ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال : قال ابن جُرَيْج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق فيها الجبال يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، وخلق النور يوم الأربعاء ، وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة ، آخر خلق خلق ، في آخر ساعة من ساعات الجمعة ، فيما بين العصر إلى الليل » .

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع^(٢) ، قال : حدثنا الفضيل^(٣) بن سليمان ، حدثني محمد بن زيد ، قال : حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف ، قال : ٢١/١ أخبرني ابن سلام وأبو هريرة ، فذكرنا عن النبي صلى الله عليه وسلم الساعة التي في يوم الجمعة ، وذكرنا أنه قالها ؛ قال^(٤) عبد الله بن سلام : أنا أعلم أي ساعة هي ؛ بدأ الله في خلق السموات والأرض يوم الأحد ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ، فهي في آخر ساعة من يوم الجمعة .

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا حماد ، عن عطاء بن السائب ، عن عكرمة : أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : ما يوم الأحد ؟ فقال رسول

(١) سورة ق ٣٨ ، ٢٩

(٢) كذا ضبطه صاحب التقریب ؛ بفتح الموحدة وكسر الزاي .

(٣) ط : « الفضل » تحريف ؛ وانظر تهذيب التهذيب ٨ : ٢٩١ ، ٩٠ : ٢٤٨

(٤) ط : « فقال » .

الله صلى الله عليه وسلم : خلق الله فيه الأرض وبسطها^(١) ، قالوا : فالأثنين ؟ قال : خلق الله فيه آدم ، قالوا : فالثلاثة ؟ قال : خلق فيه الجبال والماء وكذا وكذا وما شاء الله ، قالوا : فيوم الأربعاء ؟ قال : الأقوات ، قالوا : فيوم الخميس ؟ قال : خلق السموات ، قالوا : فيوم الجمعة ؟ قال : خلق الله في ساعتين الليل والنهار ، ثم قالوا : السبت — وذكروا الراحة — قال : سبحان الله ! فأنزل الله : ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴾ .

فقد بين هذان الخبران اللذان رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الشمس والقمر خلقتا بعد خلق الله أشياء كثيرة من خلقه ؛ وذلك أن حديث ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورد بأن الله خلق الشمس والقمر يوم الجمعة = فإن^(٢) كان ذلك كذلك ، فقد كانت الأرض والسماء وما فيهما — سوى الملائكة وآدم — مخلوقة قبل خلق الله الشمس والقمر ، وكان ذلك كله ولا ليل ولا نهار ؛ إذ كان الليل والنهار إنما هو اسم لساعات معلومة من قطع الشمس والقمر درج الفلك .

وإذا كان صحيحاً أن الأرض والسماء وما فيهما ، سوى ما ذكرنا ، قد كانت ولا شمس ولا قمر — كان معلوماً أن ذلك كله كان ولا ليل ولا نهار . وكذلك حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه أخبر عنه أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، يعنى بالنور الشمس إن شاء الله .

* * *

فإن قال لنا قائل : قد زعمت أن اليوم إنما هو اسم لميقات ما بين طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم زعمت الآن أن الله خلق الشمس والقمر بعد أيام من أول ابتدائه خلق الأشياء التي خلقها ، فأثبت مواقيت ، وسميتها بالأيام ، ولا شمس ولا قمر ، وهذا إن لم تأت ببرهان على صحته ، فهو كلام ينقض بعضه بعضاً !

(١) ط : « كسبها » ، س « وكسبها » ؛ وما أثبتته من أ .

(٢) « فإن كان » ، جواب : « إذا » فيما سبق ص ٢٤ .

قيل: إن الله سَمِيَ ما ذكرته ^(١) أياماً، فسميته بالاسم الذى سماه به ، وكان وجهُ تسمية ذلك أياماً ، ولا شمس ولا قمر ؛ نظير قوله عز وجل : ﴿ وَ لَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعَشِيًّا ﴾ ^(٢) ولا بكرة ولا عشي هنالك ؛ إذ كان لا ليل في الآخرة ولا شمس ولا قمر ؛ كما قال جل وعز : ﴿ وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴾ ^(٣) . فسمى تعالى ذكره يوم القيامة يوماً عقيماً ، إذ كان يوماً لا ليل بعد مجيئه ؛ وإنما أريد بتسمية ما سَمِيَ أياماً قبل خلق الشمس والقمر قدرُ مدة ألف عام من أعوام الدنيا ، التي العام منها اثنا عشر شهراً من شهور أهل الدنيا ، التي تُعدّ ساعاتها وأيامها بقطع الشمس والقمر درج الفلك ، كما سَمِيَ بكرةً وعشيًّا لما يرزقه أهل الجنة في قدر المدة التي كانوا يعرفون ذلك من الزمان في الدنيا بالشمس ومجراها في الفلك ، ولا شمس عندهم ولا ليل .

٢٣/١

وينحو الذى قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم .

* ذكر بعض من حضرنا ذكره من قال ذلك :

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني الحجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد أنه قال : ^(٤) يقضى الله عز وجل أمر كل شيء ألف سنة إلى الملائكة ؛ ثم كذلك حتى يمضي ألف سنة ، ثم يقضى أمر كل شيء ألفاً ، ثم كذلك أبدأ ، قال : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ ﴾ ^(٥) قال : اليوم أن يقول لما يقضى إلى الملائكة ألف سنة : « كن فيكون » ، ولكن سماه يوماً ، سماه كما شاء . كل ذلك

(١) : « ذكرت »

(٢) سورة مريم ٦٢

(٣) سورة الحج ٥٥

(٤) الخليل في التفسير ٢١ : ٥٩ (بولاق) .

(٥) سورة السجدة ٥

عن مجاهد، قال: وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (١) قال: هو هو سواء.

* * *

وبنحو الذي ورد (٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر، بأن الله جل جلاله خلق الشمس والقمر بعد خلقه السموات والأرض وأشياء غير ذلك، ورد الخبر عن جماعة من السلف أنهم قالوه.
* ذكر الخبر عن قال ذلك منهم:

حدثنا أبو هشام الرفاعي، حدثنا ابن يمان، حدثنا سفيان، عن ابن جريج، عن سليمان بن موسى، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿قَالَ لَهَا وَاللَّأَرْضِ أَتَيْنَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ (٣). قال: قال الله عز وجل للسموات: أطلعي شمسي وقمرى، وأطلعي نجوى (٤). وقال للأرض: شققي أنهارك، وأخرجي ثمارك، فقالتا: أتينا طائعين.

حدثنا بشر بن معاذ، قال حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد، عن قتادة: ٢٤/١ ﴿وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ (٥)، خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها (٦).

* * *

فقد بينت هذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ذكرناها عنه أن الله عز وجل خلق السموات والأرض قبل خلقه الزمان والأيام والليالي، وقبل الشمس والقمر. والله أعلم.

(١) سورة الحج ٤٧.

(٢) ١: «روى».

(٣) سورة فصلت ١١.

(٤) كذا في ١، والتفسير، وفي ط: «وقمرى ونجوى».

(٥) سورة فصلت ١٢. (٦) الخبر في التفسير ٢٤: ٦٤ (بولاق).

القول في الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار

وأن لا شيء يبقى غير الله تعالى ذكره

والدلالة على صحة ذلك قول الله تعالى ذكره: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (١)، وقوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ (٢).

فإن (٣) كان كل شيء هالك غير وجهه - كما قال جل وعز - وكان الليل والنهار ظلمة أو نوراً خلقتهما لمصالح خلقه ، فلا شك أنهما فانيان هالكان ، كما أخبر ؛ وكما قال : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ (٤) يعني بذلك أنها عُمِّيت فذهب ضوءها ، وذلك عند قيام الساعة ، وهذا ما لا يحتاج إلى الإكثار فيه ؛ إذ كان مما يدين بالإقرار (٥) به جميع أهل التوحيد من أهل الإسلام وأهل التوراة والإنجيل والمجوس ، وإنما ينكره قوم من غير أهل التوحيا ، لم نقصد بهذا الكتاب قصد الإبانة عن خطيئتهم . فكل الذين (٦) ذكرنا عنهم أنهم مقرون بفناء جميع العالم حتى لا يبقى غير القديم الواحد ، مقرون بأن الله عز وجل محيبيهم بعد فنائهم ، وباعثهم بعد هلاكهم ، خلا قوم من عبادة الأوثان ، فإنهم يقرون بالفناء ، وينكرون البعث .

٢٥/١

(١) سورة الرحمن : ٢٦-٢٧ .

(٢) سورة القصص : ٨٨ .

(٣) ١ : « فإذ » .

(٤) سورة التكوير : ١ .

(٥) ر : « إذ كان مما يقر به » .

(٦) ط : « وكل الذي » ، وما أثبتته عن ا .

القول في الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل شيء
 وأنه هو المحدث كل شيء بقدرته تعالى ذكره

فمن الدلالة على ذلك أنه لا شيء في العالم مشاهد إلا جسم أوقائم بجسم، وأنه لا جسم إلا مفترق أو مجتمع، وأنه لا مفترق منه إلا وهو موهوم فيه الائتلاف إلى غيره من أشكاله، ولا مجتمع منه إلا وهو موهوم فيه الاقتراق، وأنه متى عدم أحدهما عدم الآخر معه، وأنه إذا اجتمع الجزءان منه بعد الاقتراق، فعلوم أن اجتماعهما حادث فيهما بعد أن لم يكن، وأن الاقتراق إذا حدث فيهما بعد الاجتماع، فعلوم أن الاقتراق فيهما حادث بعد أن لم يكن.

وإذا كان الأمر في العالم من شيء كذلك، وكان حكم ما لم يشاهد وما هو من جنس^(١) ما شاهدنا في معنى جسم أوقائم بجسم، وكان ما لم يخل من الحدث لا شك أنه محدث بتأليف مؤلف له إن كان مجتمعاً، وتفريق مفترق له إن كان مفترقاً. وكان معلوماً بذلك أن جامع ذلك إن كان مجتمعاً، ومفترقه إن كان مفترقاً من لا يشبهه، ومن لا يجوز عليه الاجتماع والاقتراق، وهو الواحد القادر الجامع بين المختلفات، الذي لا يشبهه شيء، وهو على كل شيء قدير - فبين بما وصفنا أن باري الأشياء ومحدثها كان قبل كل شيء، وأن الليل والنهار والزمان والساعات ومحدثات، وأن محدثها الذي يدبرها ويصرفها قبلها، إذ كان من المحال أن يكون شيء يحدث شيئاً إلا ومحدثه قبله، وأن في قوله تعالى ذكره:

﴿ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴾^(٢)، لأبلغ الحجج،

٢٦/١

(١) أ، ك: «ما هو جنس ما شاهدنا».

(٢) سورة الفاشية ١٧ - ٢٠.

وأدلُّ الدلائل — لمن فكَّر بعقل ، واعتبر^(١) بفهم — على قِدَمِ بارئها ، وحدوث كل ما جانسها ، وأنَّ لها خالقاً لا يشبهها .

وذلك أن كلَّ ما ذكر ربنا تبارك وتعالى في هذه الآية من الجبال والأرض والإبل فإنَّ ابنَ آدمَ يعالجه ويدبِّره بتحويل وتصريف وحفر ونحت وهدم ، غيرَ ممتنع عليه شيء من ذلك . ثم إنَّ ابنَ آدمَ مع ذلك غير قادر على إيجاد^(٢) شيء من ذلك من غير أصل ؛ فمعلوم أن العاجز عن إيجاد^(٢) ذلك لم يحدث نفسه ، وأن الذي هو غير ممتنع ممن أراد تصريفه وتقليبه لم يوجد له مَنْ هو مثله ، ولا هو أوجدَ نفسه ، وأن الذي أنشأه وأوجد عينه هو الذي لا يُعجزه شيء أرادَه ، ولا يمتنع عليه إحداث شيء شاء إحداثه ، وهو الله الواحد القهار .

* * *

فإن قال قائل : فما تنكر أن تكون الأشياء التي ذكرت من فعل قديمين ؟
 قيل : أنكرنا ذلك لوجودنا اتصال التدبير وتمام الخلق ، فقلنا : لو كان المدبِّر اثنين ، لم يخلوا من اتفاق أو اختلاف ؛ فإن كانا متفقين فعناهما واحد ، وإلما جعل الواحد اثنين من قال بالاثنتين . وإن كانا مختلفين كان محالا وجودُ الخلق على التمام والتدبير على الاتصال ؛ لأن المختلفين ، فعل كل واحد منهما خلاف فعل صاحبه ؛ بأنَّ أحدهما إذا أحيا أمات الآخر ، وإذا أوجد أحدهما أفنى الآخر ، فكان محالا وجودُ شيء من الخلق على ما وُجد عليه من التمام والاتصال .
 وفي قول الله عز وجل ذكره : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾^(٣) ، وقوله عز وجل : ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلقَ وَلَعَلَّا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ * عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾^(٤)

(١) : « أعين » .

(٢) : « اتخاذا » .

(٣) سورة الأنبياء ٢٢

(٤) سورة « المؤمنين » ٩١ ، ٩٢

أبلغ حجة، وأوجز بيان، وأدلّ دليل على بطول^(١) ما قاله المبطلون من أهل الشرك بالله، وذلك أن السموات والأرض لو كان فيهما إله غير الله، لم يخلُ أمرهما مما وصفت من اتفاق واختلاف. وفي القول باتفاقهما فساد القول بالثنوية، وإقرار بالتوحيد، وإحالة في الكلام بأن قائله سمى الواحد اثنين. وفي القول باختلافهما، القول بفساد السموات والأرض، كما قال ربنا جلّ وعزّ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ لأنّ أحدهما كان إذا أحدث شيئاً وخلقه كان من شأن الآخر إعدامه وإبطاله، وذلك أنّ كلّ مختلفين فأفعالهما مختلفة، كالنار التي تسخن، والثلج الذي يبرّد ما أسخنه النار.

وأخرى، أن ذلك لو كان كما قاله المشركون بالله لم يخلُ كلّ واحد من الاثنين اللذين أثبتوهما قديمين من أن يكونا قويين أو عاجزين؛ فإن كانا عاجزين فالعاجز مقهور وغير كائن إلهاً. وإن كانا قويين فإنّ كلّ واحد منهما بعجزه عن صاحبه عاجز، والعاجز لا يكون إلهاً. وإن كان كلّ واحد منهما قوياً على صاحبه؛ فهو بقوة صاحبه عليه عاجز، تعالى ذكره عما يشرك المشركون!

فتبين إذاً أن القديم باري الأشياء وصانعها هو الواحد الذي كان قبل كلّ شيء، وهو الكائن بعد كلّ شيء، والأول قبل كلّ شيء، والآخر بعد كلّ شيء، وأنه كان ولا وقت ولا زمان، ولا ليل ولا نهار، ولا ظلمة ولا نور^(٢) إلا نور وجهه الكريم. ولا سماء ولا أرض، ولا شمس ولا قمر ولا نجوم، وأن كلّ شيء سواه محدث مدبّر مصنوع، انفرد بخلق جميعه بغير شريك ولا معين ولا ظهير، سبحانه من قادر قاهر!

وقد حدثني علي بن سهل الرملي، قال: حدثنا زيد بن أبي الزرقاء، عن جعفر، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) ١: «بطلان»؛ وهما مصدران صحيحان.

(٢) ١: «ولا ضياء».

« إنكم تُسألون بعدى عن كلِّ شىء ، حتى يقول القائل : هذا الله خلق كلَّ شىء فمن ذا خلقه ! » .

حدثني عليّ ، حدثنا زيد ، عن جعفر ، قال : قال يزيد بن الأصمّ : حدثني نَجْبَة بن صَبِيح ، قال : كنت عند أبي هريرة فسألوه عن هذا فكبير وقال : ما حدثني خليلي بشىء إلا قد رأيته - أو^(١) أنا أنتظره . قال جعفر : فبلغني أنه قال : إذا سألكم الناس عن هذا فقولوا : الله خالق كلِّ شىء ، والله كان قبل كلِّ شىء ، والله كائن بعد كلِّ شىء .

* * *

٢٩/١ فإذا كان معلوماً أن خالق الأشياء وبارئها كان ولا شىء غيره، وأنه أحدث الأشياء فدبرها، وأنه قد خلق صنوفاً من خلقه قبل خلق الأزمنة والأوقات، وقبل خلق الشمس والقمر اللذين يُجريهما في أفلاكهما، وبهما عُرفت الأوقات والساعات، وأرخت التواريخ، وفصل بين الليل والنهار، فلنقل : فبم ذلك الخلق الذى خلق قبل ذلك؟ وما كان أوله؟

(١) ط : « وأنا » ، وما أثبتته عن ا .

القول في ابتداء الخلق ما كان أوله

صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما حدثني به يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني معاوية بن صالح - وحدثني عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح - عن أيوب بن زياد ، قال : حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، قال : أخبرني أبي ، قال : قال أبي عبادة بن الصامت : يا بني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن » .

حدثني أحمد بن محمد بن حبيب ، قال : حدثنا علي بن الحسن بن شقيق ، قال : أخبرنا عبد الله بن المبارك ، قال : أخبرنا رباح بن زيد ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن أول شيء خلق الله القلم ، وأمره أن يكتب كل شيء » .

حدثني موسى بن سهل الرملي ، حدثنا نعيم بن حماد ، حدثنا ابن المبارك ، أخبرنا رباح بن زيد^(١) ، عن عمر بن حبيب ، عن القاسم بن أبي بزرة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

٣٠/١

حدثني محمد بن معاوية الأنماطي ، حدثنا عباد بن العوام ، حدثنا عبد الواحد بن سليم ، قال : سمعت عطاء ، قال : سألت الوليد بن عبادة بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ قال : دعاني فقال :

(١) ط : « رباح بن يزيد » ؛ وما أثبتته عن أ ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن عمر ابن حبيب . وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٣ ، و ٧ : ٤٣١ .

أى بنى ، اتق الله واعلم أنك لن تتقى^(١) الله ، ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ،
والقد ر خيره وشره ، إلى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إن أول ما خلق
الله عز وجل خلق القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا رب وما أكتب ؟ قال :
اكتب القدر ، قال : فجرى القلم في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد » .

* * *

وقد اختلف [أهل]^(٢) السلف قبلنا في ذلك ، فنذكر أقوالهم ، ثم نتبع
البيان عن ذلك إن شاء الله تعالى .

فقال بعضهم في ذلك بنحو الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني واصل بن عبد الأعلى الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن
فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله
من شيء القلم فقال له : اكتب ، فقال^(٣) : وما أكتب يا رب ؟ قال : اكتب
القدر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رُفِعَ
بخار الماء ففتق منه السموات .

حدثنا واصل بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ،
عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا محمد بن المنتنى ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ،
عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، قال : أول ما خلق الله من شيء
القلم ، فجرى بما هو كائن .

حدثنا تميم بن المنتصر ، أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ،
عن أبي ظبيان — أو مجاهد — ، عن ابن عباس بنحوه .

(١) ط : « لن تلقى الله » ، وصوابه من ا ، ر ، ن ، س .

(٢) تكلمة من ا .

(٣) ا : « قال » .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا ابن ثور ، قال : حدثنا معمر ،
حدثنا الأعمش أن ابن عباس قال : إن أولَ شيءٍ خلقَ القلم .

حدثنا ابن حميد ، حدثنا جرير ، عن عطاء^(١) ، عن أبي الضحاح مسلم بن
صبيح ، عن ابن عباس ، قال : إن أولَ شيءٍ خلقَ ربِّي عزَّ وجلَّ القلم ،
فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة .

* * *

وقال آخرون : بل أولُ شيءٍ خلقَ الله عزَّ وجلَّ من خلقه النورُ والظلمة .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ؛ قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : قال ابن اسحاق :
كان أولُ ما خلقَ الله عزَّ وجلَّ النورَ والظلمة ، ثم ميَّزَ بينهما ، فجعلَ الظلمة
ليلاً أسوداً مظلماً ، وجعلَ النورَ نهاراً مضيئاً مبصراً .

* * *

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قولُ ابن عباس ،
للخير الذي ذكرت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [قبل]^(٢) ، أنه قال :
أولُ شيءٍ خلقَ الله القلم .

فإن قال لنا قائل : فإنك قلت : أولى القولين — اللذين أحدهما أن أولَ
شيءٍ خلقَ الله من خلقه القلم ، والآخر أنه النور والظلمة — قولُ من قال : إن أولَ
شيءٍ خلقَ الله من خلقه القلم ، فما وجهُ الرواية عن ابن عباس التي حدَّثكموها ابن بشار
قال : حدثنا عبد الرحمن ، حدثنا سفيان ، عن أبي هاشم^(٣) ، عن مجاهد ، قال : قلت
لابن عباس : إن ناساً يكذبون بالقدر ، فقال : «إنهم يكذبون بكتاب الله ،
لأخذنَّ بشعر أحدهم فلا نفضنَّ به ؛ إن الله تعالى ذكَّره كان على عرشه قبل أن
يخلق شيئاً ، فكان أولُ ما خلقَ الله القلم ، فجري بما هو كائن إلى يوم القيامة ،

٣٢/١

(١) هو جرير بن عبد الحميد الضبي ، أخذ عن عطاء ، وعطاء هو ابن السائب الكوفي ، وانظر
تهذيب التهذيب ٢ : ٧٥ . (٢) تكلمة من ا .

(٣) في ر ، ك : «أبي هشام» ؛ وهو خطأ . وأبو هاشم هو إسماعيل بن كثير الحجازي
المكي ؛ روى عن مجاهد وروى عنه سفيان الثوري . تهذيب التهذيب ١ : ٣٢٦ .

ولإنما يجرى الناس على أمر قد فُريغ منه ؟ .

وعن ابن إسحاق ، التي حدثكموها ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (١) ، فكان كما وصف نفسه عز وجل ، إذ ليس إلا الماء عليه العرش ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام ، فكان أول ما خلق الله النور والظلمة ؟

قيل : أما قول ابن عباس : إن الله تبارك وتعالى كان عرشه على الماء قبل أن يخلق شيئاً ، فكان أول ما خلق الله القلم — إن كان صحيحاً عنه أنه قاله — فهو خبرٌ منه أن الله خلق القلم بعد خلقه عرشه ، وقد روى عن أبي هاشم هذا الخبر شعبة ، ولم يقل فيه ما قال سفيان ؛ من أن الله عز وجل كان على عرشه ، فكان أول ما خلق القلم ، بل روى ذلك كالذي رواه سائر من ذكرنا من الرواة عن ابن عباس أنه قال : أول ما خلق الله عز وجل القلم .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن المنني ، قال : حدثني عبد الصمد ، قال : حدثنا شعبة ،

قال : حدثنا أبو هاشم ، سمع مجاهداً قال : سمعت عبد الله — لا يدري ابن عمر ٢٣/١ أو ابن عباس — قال : إن أول ما خلق الله القلم فقال له : اجر ، فجرى القلم بما هو كائن ؛ وإنما يعمل الناس اليوم فيما قد فُريغ منه .

وكذلك قول ابن إسحاق الذي ذكرناه عنه معناه أن الله خلق النور والظلمة بعد خلقه عرشه ، والماء الذي عليه عرشه . وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي روينا عنه أولى قول في ذلك بالصواب ، لأنه كان أعلم قائل في ذلك قولاً بحقيقته وصحته ، وقد روينا عنه عليه السلام أنه قال : « أول شيء خلقه الله عز وجل القلم » من غير استثناء منه شيئاً من الأشياء أنه تقدم خلق الله إياه خلق القلم ، بل عم بقوله صلى الله عليه وسلم : « إن أول شيء خلقه الله القلم » ، كل

شيء (١) ، وأن (٢) القلم مخلوق قبله من غير استثنائه من ذلك عرشاً ولا ماء ولا شيئاً غير ذلك .

فالرواية التي رويناها عن أبي ظَبْيَان وأبي الضُّحَا ، عن ابن عباس ، أولى بالصحة عن ابن عباس من خبر مجاهد عنه الذي رواه عنه أبو هاشم ؛ إذ كان أبو هاشم قد اختلف في رواية ذلك عنه شعبة وسفيان ، على ما قد ذكرت من اختلافهما فيها .

وأما ابن إسحاق فإنه لم يسند قوله الذي قاله في ذلك إلى أحد ، وذلك من الأمور التي لا يدرك علمها إلا بخبر من الله عز وجل ، أو خبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد ذكرت الرواية فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(١) ط : « قبل كل شيء » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : « أن » ، بغير واو .

القول في الذي ثنى خلق القلم

ثم إن الله جل جلاله خلق بعد القلم - وبعد أن أمره فكتب ما هو كائن إلى قيام الساعة - سبحانه رقيقاً ، وهو الغمام الذي ذكره جل وعز ذكره في محكم كتابه فقال : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ ﴾ (١) ، وذلك قبل أن يخلق عرشه ، وبذلك ورد الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا ابن وكيع ومحمد بن هارون القطان ، قالوا : حدثنا يزيد بن هارون ، عن حماد بن سلمة ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزين ، قال : قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في سماء (٢) ، ماتحته هواء ، وما فوقه (٣) هواء ، ثم خلق عرشه على الماء (٤) »

حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد ، عن يعلى بن عطاء ، عن وكيع بن حُدُس ، عن عمه أبي رزين العُقَيْلي ، قال :

(١) سورة البقرة : ٢١٠ .

(٢) ك ، وابن الأثير ١ : ١٢ : « في غمام » . والماء ، بالفتح والمد : السحاب . قال أبو عبيد : لا يدري كيف كان ذلك الماء . وفي رواية : « كان في سما » بالقصر ، ومعناه : ليس معه شيء ؛ وقيل : هو كل أمر لا تدركه عقول بني آدم ، ولا يبلغ كنهه الوصف والظن ؛ ولا بد من تقدير مضاف محذوف في قوله : « أين كان ربنا » كما حذف في قوله تعالى : (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله) ، فيكون التقدير : أين كان عرش ربنا ؟ ويدل عليه قوله تعالى : (وكان عرشه على الماء) . وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ١٣٠ .

(٣) ر ، « ولا فوقه » . وفي ك : « تحته هواء ، وماء فوقه هواء » .

(٤) عقب عليه ابن الأثير بقوله : « فيه نظر ؛ لأنه قد تقدم أن أول ما خلق الله تعالى القلم وقال له : اكتب ، فجري في تلك الساعة ، ثم ذكر في أول هذا الفصل أن الله خلق بعد القلم وبعد أن جرى بما هو كائن سبحانه رقيقاً . ومن المعلوم أن الكتابة لا بد فيها من آلة يكتب بها - وهو القلم - ومن شيء يكتب فيه - وهو الذي يعبر عنه هنا باللوح المحفوظ - وكان ينبغي أن يذكر اللوح المحفوظ ثانياً للقلم ، والله أعلم . ويحتمل أن يكون ترك ذكره لأنه معلوم من مفهوم اللفظ بطريق الملازمة » .

قلت : يا رسول الله ، أين كان ربنا عز وجل قبل أن يخلق (١) السموات والأرض ؟
قال : « في (٢) أعماق ، فوقه هواء ، وتحتة هواء (٣) ، ثم خلق عرشه على الماء » .

حدثنا خلاد بن أسلم ، حدثنا النضر بن شميل ، قال : حدثنا المسعودي ،
أخبرنا جامع بن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن ابن حصين — وكان من أصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : أتى قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوا
عليه ، فجعل يبشّرههم ويقولون : أعطينا ، حتى ساء ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم ، ثم خرجوا من عنده . وجاء قوم آخرون ، فدخلوا عليه فقالوا : جئنا نسلّم
على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونتفقّه في الدين ، ونسأله عن بدء هذا الأمر ،
قال : فاقبلوا البشرى إذ لم يقبلها أولئك الذين خرجوا ، قالوا : قبّلنا ، فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله لا شيء غيره (٣) ، وكان عرشه على الماء ، وكتب
في الذكر قبل كل شيء ، ثم خلق سبع سموات » . ثم أتاني آت فقال : تلك
ناقتك قد ذهبت ، فخرجت ينقطع دونها السراب ، ولوددت أنى تركتها (٤) .

٣٥/١

حدثني أبو كريب ، حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن جامع
ابن شداد ، عن صفوان بن محرز ، عن عمران بن الحصين ، قال : قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم : « اقبلوا البشرى يا بني تميم » ، فقالوا : قد بشّرتنا فأعطنا ، فقال :
« اقبلوا البشرى يا أهل اليمن » ، فقالوا : قد قبّلنا ، فأخبرنا عن هذا الأمر كيف
كان ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان الله عز وجل على العرش ، وكان
قبل كل شيء ، وكتب في اللوح كل شيء يكون » . قال : فأتاني آت فقال :
يا عمران ، هذه ناقتك قد حلّت عقابها ، فقم ، فإذا السراب ينقطع بيني
وبينها ، فلا أدري ما كان بعد ذلك

* * *

(١) أ : « خلق » .

(٢-٢) ك : « في غمام فوقه هواء وماء » .

(٣) التفسير : « ولا شيء غيره »

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٤ (بولاق)

ثم اختلف في الذي خلق تعالى ذكره بعد العماء، فقال بعضهم : خلق بعد ذلك عرشه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سنان ، حدثنا أبو سلمة ، قال : حدثنا حيان ^(١) ابن عبيد الله ، عن الضحاك بن مزاحم ، قال ، قال ابن عباس : إن الله عز وجل خلق العرش أول ما خلق ، فاستوى عليه .

* * *

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الماء قبل العرش ، ثم خلق عرشه فوضعه على الماء .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم — قالوا : إن الله عز وجل كان عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن العرش كان قبل أن يخلق السموات والأرض على الماء ، فلما أراد أن يخلق السموات والأرض قبض من صفاء الماء قبضة ، ثم فتح القبضة فارتفعت دخاناً ، ثم قضاهن سبع سموات في يومين ، ودحا الأرض في يومين ، وفرغ من الخلق اليوم السابع . وقد قيل : إن الذي خلق ربنا عز وجل بعد القلم الكرسي ، ثم خلق بعد الكرسي العرش ، ثم بعد ذلك خلق الهواء والظلمات ، ثم خلق الماء ، فوضع عرشه عليه .

* * *

(١) في ط : « حدثنا حيان عن عبيد الله » ، وما أثبتته عن ا ، وانظر لسان الميزان ٢ : ٣٧٠ .

قال أبو جعفر : وأولى القولين في ذلك عندى بالصواب قول من قال : إن الله تبارك وتعالى خلق الماء قبل العرش ؛ لصحة الخبر الذى ذكرت قبل عن أبي رزّين العُقَيْبِيّ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال حين سئل : أين كان ربنا عزّ وجلّ قبل أن يخلق خلقه ؟ قال : « كان في عماء ، ما تحته هواء ، وما فوقه هواء ، ثم خلق عرشه على الماء » ، فأخبر صلى الله عليه وسلم أن الله خلق عرشه على الماء . ومحال إذ كان خلقه على الماء أن يكون خلقه عليه ؛ والذى خلقه عليه غير موجود ، إما قبله أو معه ؛ فإذا كان ذلك كذلك ، فالعرش لا يخلو من أحد أمرين ؛ إما أن يكون خُلِقَ بعد خلق الله الماء ، وإما أن يكون خُلِقَ هو والماء معا . فأما (١) أن يكون خلقه قبل خلق الماء ؛ فذلك غير جائز صحته على ما روى عن أبي رزّين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد قيل : إن الماء كان على متن الريح حين خلق عرشه عليه ، فإن (٢) كان ذلك كذلك ، فقد كان الماء والريح خُلِقَا قبل العرش .
* ذكر من قال : كان الماء على متن الريح :

حدثني ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (٣) : على أىّ شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : سئل ابن عباس عن قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ : على أىّ شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح (٤) .

(١) ط : « وأما » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ا : « فاذا » .

(٣) سورة هود ٧ .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٤ (بولاق) .

حدثنا القاسم بن الحسن ، حدثنا الحسين بن داود ، حدثني حجاج ،
عن ابن جُرَيْج ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس مثله .

* * *

قال : والسماوات والأرض وكل ما فيهن من شيء يحيط بها البحار ، ويحيط
بذلك كله الهيكل ، ويحيط بالهيكل - فيما قيل - الكرسي .

• ذكر من قال ذلك :

٣٨/١

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهباً يقول - وذكر من عظمته - فقال : إن السماوات
والأرض والبحار لفي الهيكل ، وإن الهيكل لفي الكرسي ، وإن قدميه عز وجل
لعلي الكرسي ، وهو يحمل الكرسي ، و [قد] ^(١) عاد الكرسي كالنعل في قدميه .
وسئل وهب : ما الهيكل ؟ قال : شيء من أطراف السماوات محدد بالأرضين
والبحار كأطناب الفسطاط .

وسئل وهب عن الأرضين : كيف هي ؟ قال : هي سبع أرضين ممهّدة
جزائر ، بين كل أرضين بحر ، والبحر يحيط بذلك كله ، والهيكل من وراء البحر .

* * *

وقد قيل : إنه كان بين خلقه القلم وخلق سائر خلقه ألف عام .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثنا
مبشر الحلبي ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعتُ ضَمْرَةَ يقول : إن الله خلق القلم ،
فكتب به ما هو خالق وما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبّح الله
ومجّده ألف عام قبل أن يخلق شيئاً من الخلق ، فلما أراد جلّ جلاله خلق
السماوات والأرض خلق - فيما ذكر - أياماً ستة ، فسمى كل يوم منهن باسم
غير الذي سمي به الآخر .

* * *

وقيل : إن اسم أحد تلك الأيام الستة أبجد ، واسم الآخر منهن هوز ، واسم الثالث منهن حطى ، واسم الرابع [منهن]^(١) كلمن ، واسم الخامس [منهن]^(١) سعفص ، واسم السادس منهن قرشت .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحضرمي ، قال : حدثنا مصرف بن عمرو واليامي^(٢) ، حدثنا حفص ابن غياث ، عن العلاء بن المسيب ، عن رجل من كندة ، قال : سمعت الضحاك ابن مزاحم يقول : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، ليس منها^(٣) يوم إلا له اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

وقد حدثت به عن حفص غير مصرف وقال^(٤) : عنه ، عن العلاء بن المسيب ، قال : حدثني شيخ من كندة قال : لقيت الضحاك بن مزاحم ، فحدثني قال : سمعت زيد بن أرقم قال : إن الله تعالى خلق السموات والأرض في ستة أيام ؛ لكل يوم منها اسم : أبجد ، هوز ، حطى ، كلمن ، سعفص ، قرشت .

* * *

وقال آخرون : بل خلق الله واحداً فسماه الأحد ، وخلق ثانياً فسماه الاثنين ، وخلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ورابعاً فسماه الأربعاء ، وخامساً فسماه الخميس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق يوماً واحداً فسماه الأحد ، ثم خلق ثانياً فسماه الاثنين ، ثم خلق ثالثاً فسماه الثلاثاء ، ثم خلق رابعاً فسماه الأربعاء ، ثم خلق خامساً فسماه الخميس .

* * *

(١) تكملة من ا

(٢) ط : « الإيامي » ، صوابه من ا .

(٣) ا : « فيها » .

(٤) ا : « فقال » .

وهذان القولان غير مختلفين ، إذ كان جائزاً (١) أن تكون أسماء ذلك بلسان العرب على ما قاله عطاء ، وبلسان آخرين ، على ما قاله الضحاك بن مزاحم .

* * *

وقد قيل إن الأيام سبعة لا ستة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
حدثني عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول : الأيام سبعة . ٤٠/١

* * *

وكلا القولين - اللذين روينا أحدهما عن الضحاك وعطاء ، من أن الله خلق الأيام الستة ، والآخر منهما عن وهب بن منبّه من أن الأيام سبعة - صحيح مؤتلف غير مختلف ، وذلك أن معنى قول عطاء والضحاك في ذلك كان أن الأيام التي خلق الله فيهنّ الخلق من حين ابتدائه (٢) في خلق السماء والأرض وما فيهنّ إلى أن فرغ من جميعه ستة أيام ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (٣) ، وأن معنى قول وهب بن منبّه في ذلك كان أن عدد الأيام التي هي أيام الجمعة سبعة أيام لا ستة .

* * *

واختلف السلف في اليوم الذي ابتدأ الله عزّ وجلّ فيه في خلق السموات والأرض ، فقال بعضهم : ابتدأ في ذلك يوم الأحد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا خالد بن عبد الله ، عن الشيباني ، عن عون بن عبد الله بن عتبة ، عن أخيه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : قال عبد الله بن سلام : إن الله تبارك وتعالى ابتدأ الخلق ، فخلق الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين .

(١) ط : « إذ كان ذلك جائزاً » .

(٢) ١ : « ابتدأ » .

(٣) سورة هود ٧ .

حدثني المثنى بن إبراهيم ، حدثني عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام أنه قال : إن الله عز وجل بدأ الخلق يوم الأحد ، فخلق الأرضين في الأحد والاثنين .

٤١/١

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن كعب ، قال : بدأ الله خلق (١) السموات والأرض يوم الأحد والاثنين .

حدثني محمد بن أبي منصور الأملى ، حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيب بن شريك ، عن أبي روق ، عن الضحاك في قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ قال : من أيام الآخرة ، كل يوم مقداره ألف سنة ، ابتداء الخلق يوم الأحد .

حدثني المثنى ، حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : بدأ الخلق يوم الأحد .

* * *

وقال آخرون : اليوم الذي ابتداء الله فيه في ذلك يوم السبت .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، قال : حدثني محمد ابن أنى بن إسحاق ، قال : يقول أهل التوراة : ابتداء الله الخلق يوم الأحد : وقال أهل الإنجيل : ابتداء الله الخلق يوم الإثنين . ونقول نحن المسلمون (٢) فيما انتهى إلينا من رسول الله صلى الله عليه وسلم : ابتداء الله الخلق يوم السبت . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قال كل فريق من هذين الفريقين اللذين قال أحدهما : ابتداء الله الخلق في يوم الأحد ، وقال الآخر منهما : ابتداء في يوم السبت ، وقد مضى ذكرنا الخبرين ، غير أنا نعيد من ذلك في هذا

(١) ط : « بخلق » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) كذا في الأصول ، والوجه النصب على الاختصاص .

الموضع بعض ما فيه من الدلالة على صحة قول كل فريق منهما .

* * *

فأما الخبر عنه بتحقيق ما قال القائلون : كان ابتداء الخلق يوم ٤٢/١ الأحد ، فما حدثنا به هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس - قال هناد : قرأت سائر الحديث - أن اليهود أتت النبي صلى الله عليه وسلم فسألته عن خلق السموات والأرض فقال : « خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين » .

وأما الخبرُ عنه بتحقيق ما قاله القائلون من أن ابتداء الخلق كان يوم السبت ، فما حدثني القاسم بن بشر بن معروف والحسين بن علي الصدائي ، قالوا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله تعالى عليه بيدي ، فقال : « خلق الله التربة يوم السبت ، وخلق الجبال يوم الأحد » .

* * *

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال : اليوم الذي ابتداء الله تعالى ذكره فيه خلق السموات والأرض يوم الأحد ؛ لإجماع السلف من أهل العلم على ذلك .

فأما ما قال ابن إسحاق في ذلك ، فإنه إنما استدلل - بزعمه - على أن ذلك كذلك ؛ لأن الله عزّ ذكره فرغ من خلق جميع خلقه يوم الجمعة ، وذلك اليوم السابع ، وفيه استوى على العرش ، وجعل ذلك اليوم عيداً للمسلمين ؛ ودليله على ما زعم أنه استدلل به على صحة قوله فيما حكينا عنه من ذلك هو الدليل على خطئه فيه ، وذلك أن الله تعالى أخبر عباده في غير موضع من [محكم]^(١) تنزيهه ، أنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، فقال : ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ . وقال تعالى ذكره : ﴿ قُلْ أُتِنَّا لَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ۖ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءِ اللَّيَالِي ۖ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ۖ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ .

ولا خلاف بين (٣) جميع أهل العلم أن اليومين اللذين ذكرهما الله تبارك وتعالى في قوله : ﴿ فَفَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ ﴾ داخلان في الأيام الستة اللاتي ذكرهن قبل ذلك ، فعلوم إذ كان الله عز وجل إنما خلق السموات والأرضين وما فيهن في ستة أيام ، وكانت الأخبار مع ذلك متظاهرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن آخر ما خلق الله من خلقه آدم ، وأن خلقه إياه كان في يوم الجمعة — أن يوم الجمعة الذي فرغ فيه من خلق خلقه داخل في الأيام الستة التي أخبر الله تعالى ذكره أنه خلق خلقه فيهن ؛ لأن ذلك لو لم يكن داخلًا في الأيام الستة ، كان إنما خلق خلقه في سبعة أيام ، لا في ستة ، وذلك خلاف ما جاء به التنزيل ؛ فتبين (٤) — إذ كان الأمر كالذي وصفنا في ذلك — أن أول الأيام التي ابتداء الله فيها خلق السموات والأرض وما فيهن من خلقه يوم الأحد ؛ إذ كان الآخر يوم الجمعة ، وذلك ستة أيام ، كما قال ربنا جل جلاله . فأما الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه بأن الفراغ من الخلق كان يوم الجمعة ، فسنذكرها في مواضعها إن شاء الله تعالى .

(١) سورة السجدة ٤

(٢) سورة فصلت ٩ - ١٢ .

(٣) ط : « عند » .

(٤) (٤) ، ا ، س ، ن : « فبين » .

القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة التي ذكر الله
في كتابه أنه خلق فيهن السموات والأرض وما بينهما

اختلف السلف من أهل العلم في ذلك :

فقال بعضهم ما حدثني به المثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا
عبد الله بن صالح ، حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن
عبد الله بن سلام ، أنه قال : إن الله بدأ الخلق ^(١) يوم الأحد ، فخلق الأرضين
في الأحد والاثنين ، وخلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء ،
وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،
فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعة التي تقوم فيها الساعة .

حدثني موسى بن هارون ، حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن
السدي ، في خبرٍ ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة
الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
قالوا : جعل - يعنون ربنا تبارك وتعالى - سبع أرضين في يومين : الأحد والاثنين ،
وجعل فيها رواسي أن تميدَ بكم ؛ وخلق الجبال فيها وأقوات أهلها ، وشجرها وما
ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان فجعلها
سماً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين : الخميس والجمعة .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب
[ابن غالب] ^(٢) ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : خلق الله
الأرض في يومين . الأحد والاثنين .

ففي قول هؤلاء خُلِقَت الأرض قبل السماء ؛ لأنها خلقت عندهم في الأحد ^(٣)

والاثنين .

(١) ط : « بالخلق » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) تكلمة من أ .

(٣) أ : « يوم الأحد » .

وقال آخرون : خلق الله عز وجل الأرض قبل السماء بأقواتها من غير أن يدحوها ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك .
 . ذكر من قال ذلك :

حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : قوله عز وجل حيث ذكر خلق الأرض قبل السماء ، ثم ذكر السماء قبل الأرض ، وذلك أن الله خلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء ، ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ^(١) ، يعني أنه خلق السموات والأرض ، فلما فرغ من السماء قبل أن يخلق أقوات الأرض بث أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء ، وأرسي الجبال - يعني بذلك دحوها - ^(٢) ولم تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ ؛ ألم تسمع أنه قال : ﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ ؟

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ما قاله الذين قالوا : إن الله خلق الأرض يوم الأحد ، وخلق السماء يوم الخميس ، وخلق النجوم والشمس والقمر يوم الجمعة لصحة الخبر الذي ذكرنا قبل عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك . وغير مستحيل ما روينا في ذلك عن ابن عباس من القول ، وهو أن يكون الله تعالى ذكره خلق الأرض ولم يدحها ، ثم خلق السموات فسواهن ، ثم دحا الأرض بعد ذلك ، فأخرج منها ماءها

(١) سورة النازعات ٣٠ - ٣٢

(٢) ط : « دحاهها » ، وما أثبتته عن التفسير ٣٠ : ٢٩ (بولاق) .

ومرعاها ، والجبالَ أرساها ، بل ذلك عندي هو الصواب من القول في ذلك ؛ وذلك أن معنى الدَحْوِ غيرُ معنى الخلق ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا * رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا * وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا * وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا * أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ (١) .

فإن قال قائل : فإنَّكَ قد علمتَ أن جماعةً من أهل التأويل قد وجهت قول الله : ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ إلى معنى «مع ذلك دحاها» ، فما برهانك على صحة ما قلت ، من أن «ذلك» بمعنى «بعده» التي هي خلاف «قبل» ؟
 قيل : المعروف من معنى «بعده» في كلام العرب هو الذي قلنا من أنها بخلاف معنى «قبل» لا بمعنى «مع» ؛ وإنما توجَّه معاني الكلام إلى الأغلب عليه من معانيه المعروفة في أهله ، لا إلى غير ذلك .

* * *

وقد قيل : إن الله خلق البيت العتيق على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألني عام ، ثم دُحيت الأرض من تحته .

* ذكر من قال ذلك :

٤٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا يعقوب القُصَمِيُّ ، عن جعفر ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس قال : وُضِعَ البيت على الماء على أربعة أركان ، قبل أن يخلق الدنيا بألني عام (٢) ، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدَّثنا مِهْرَانُ ، عن سُفْيَانَ ، عن الأعمش ، عن بُكَيْرِ بْنِ الأَخْنَسِ ، عن مجاهد ، عن عبد الله بن عمر (٣) ، قال : خلق الله البيت قبل الأرض بألني سنة ، ومنه دحيت الأرض .

وإذا كان الأمر كذلك كان خلق الأرض قبل خلق السموات ، ودَحْوُ

(١) سورة النازعات ٢٧ - ٣٢ .

(٢) س : « بألف عام » .

(٣) ١ : « عمرو » .

الأرض وهو بسطها بأقواتها ومراعيتها ونباتها ، بعد خلق السموات ، كما ذكرنا عن ابن عباس .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثني مهران ، عن أبي سينان ، عن أبي بكر ، قال : (١) جاء اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد ، أخبرنا : ما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة ؟ فقال : خلق الأرض يوم الأحد والاثنين ، وخلق الجبال يوم الثلاثاء ، وخلق المدائن والأقوات والأنهار وعمراتها وخرابها يوم الأربعاء ، وخلق السموات والملائكة يوم الخميس ، إلى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة (٢) ، وخلق في أول الثلاث ساعات الآجال ، وفي الثانية الآفة ، وفي الثالثة آدم . قالوا : صدقت إن أتحت ، فعرف النبي صلى الله عليه وسلم ما يريدون ، فغضب ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُؤُوبٍ ۖ فَاصْبِرْ ۗ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ ﴾ (٣) .

٤٨/١

فإن قال قائل : فإن (٤) كان الأمر كما وصفت من أن الله تعالى خلق الأرض قبل السماء ، فما معنى قول ابن عباس الذي حدثكُموه واصل ابن عبد الأعلى الأسدي ، قال : حدثنا محمد بن فضيل ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس قال : أول (٥) ما خلق الله تعالى من شيء القلم ، فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب يارب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى القلم بما هو كائن من ذلك إلى قيام الساعة ، ثم رفع بخار الماء ففتق منه السموات ، ثم خلق النون (٦) ، فدُحيت الأرض على ظهره ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأنبتت بالجبال ، فإنها لتفتخر (٧) على الأرض .

(١) الخبر في التفسير ٢٦ : ١١١ (بولاق) .

(٢) كذا في ط ، وفي ا ، ن ، والتفسير : « يعني من يوم الجمعة » . وفي س :

« يعني يوم الجمعة » .

(٣) سورة ق ٣٨ ، ٣٩ .

(٤) ا : « فإذ » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ١٠ (بولاق) .

(٦) النون هنا : الحوت .

(٧) س : « لتفتخر » .

حدثني واصل ، قال : حدثنا وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيّان ، عن ابن عباس نحوه .

حدثنا ابن المثنى ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيّان ، عن ابن عباس ، قال : أولُ (١) ما خلق الله تعالى القلم فجرى بما هو كائن ، ثم رفع بخار الماء ، فخلقت منه السموات ، ثم خلق النون ، فبسطت الأرض على ظهر النون ، فتحرك النون ، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال ، فإن الجبال لتفخر على الأرض . قال : وقرأ : ﴿ ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ (٢) .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيّان - أو مجاهد (٣) - عن ابن عباس بنحوه ، إلا أنه قال : ففتقت منه السموات .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثني سليمان ، عن أبي ظبيّان ، عن ابن عباس قال : أول ما خلق الله تعالى القلم فقال : اكتب ، فقال (٤) : ما أكتب ؟ قال : اكتب القدر ، قال : فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة . ثم خلق النون ، ورفع بخار الماء ففتقت منه السماء ، وبسطت الأرض على ظهر النون ، فاضطرب النون ، فمادت الأرض فأثبتت بالجبال ، قال : فإنها لتفخر على الأرض (٥) .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، عن أبي الضحى مسلم بن صبيّح ، عن ابن عباس قال : أول شيء خلق

(١) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

(٢) سورة القلم ١ .

(٣) كذا في ١ ، والتفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) ، وفي ط : « أبي ظبيّان عن مجاهد »

والأعمش يرى عن أبي ظبيّان وعن مجاهد ؛ وهما أيضاً يرويان عن ابن عباس . وانظر تهذيب التهذيب ٤ : ٢٢٢ .

(٤) ١ والتفسير : « قال » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩ (بولاق) .

الله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فكتب ما هو كائن إلى أن تقوم الساعة ، ثم خلق النون فوق الماء ، ثم كبس الأرض عليه .
 قيل : ذلك صحيح على ما روى عنه وعن غيره من معنى ذلك مشروحاً مفسراً
 غير مخالف شيئاً مما روينا عنه في ذلك .

* * *

فإن قال : وما الذى روى عنه وعن غيره من شرح ذلك الدال على صحة
 كل ما رويت لنا في هذا المعنى عنه ؟

قيل له : حدثني موسى بن هارون الهمداني وغيره ، قالوا : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط بن نصر ، عن السدي ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ﴾ (١) قال : إن الله تعالى كان عرشه على الماء ولم يخلق شيئاً غير ما خلق قبل الماء ، فلما أراد أن يخلق الخلق أخرج من الماء دخاناً فارتفع فوق الماء ، فسماه عليه ، فسماه سماء ، ثم أيبس (٢) الماء ، فجعله أرضاً واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع أرضين في يومين ، في الأحد والاثنين ، فخلق الأرض على حوت - والحوت هو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن : ﴿ ن وَالْقَلَمِ ﴾ - والحوت في الماء ، والماء على ظهر صفاة ، والصفاة على ظهر ملك ، والملك على صخرة ، والصخرة على الريح (٣) - وهى الصخرة التى ذكر لقمان - ليست فى السماء ولا فى الأرض ، فتحرك الحوت فاضطرب ، فترزلت الأرض ، فأرسي عليها الجبال فقوت ، فالجبال

٥٠/١

(١) سورة البقرة ٢٩

(٢) كذا فى ١ ، والتفسير ١ : ٤٣٥ (المعارف) وفى ط : « ييس » .

(٣) كذا فى ١ ، وفى ط والتفسير : « فى الريح » .

تفخر على الأرض؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ ﴾ (١).

قال أبو جعفر : فقد أنبا قول هؤلاء الذين ذكرت : إن الله تعالى أخرج من الماء دخاناً حين أراد أن يخلق السموات والأرض ، فسميا عليه — يعنون بقولهم : « فسميا عليه » علا على الماء ، وكل شيء كان فوق شيء عالياً عليه فهو له سماء — ثم أييس بعد ذلك الماء ، فجعله أرضاً واحدة = أن الله خلق السماء غير مسواة قبل الأرض ، ثم خلقت الأرض .

وإن كان الأمر كما قال هؤلاء ، فغير محال أن يكون الله تعالى أثار من الماء دخاناً فعلاًه على الماء ، فكان له سماء ، ثم أييس الماء فصار الدخان الذي سما عليه أرضاً ، ولم يدحها ، ولم يقدّر فيها أقواتها ، ولم يخرج منها ماءها ومرعاها ، حتى استوى إلى السماء ؛ التي هي الدخان النائر من الماء العالى عليه ، فسواهن سبع سموات ، ثم دحا الأرض التي كانت ماءً فييسه ففتقه ، فجعلها سبع أرضين ، وقدّر فيها أقواتها ، و﴿ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا * وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ﴾ ، كما قال عز وجل . فيكون كل الذي روى عن ابن عباس في ذلك — على ما روينا — صحيحاً معناه .

وأما يوم الاثنين فقد ذكرنا اختلاف العلماء فيما خلقت فيه ، وما روى في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل .

وأما ما خلقت في يوم الثلاثاء والأربعاء ، فقد ذكرنا أيضاً بعض ما روى فيه ، ونذكر في هذا الموضع بعض ما لم نذكر منه قبل .

فالذي صح عندنا أنه خلقت فيهما ما حدثني به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره

عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخلق الجبال فيها - يعني في الأرض - وأقوات أهلها وشجرها وما ينبغي لها في يومين : في الثلاثاء والأربعاء ؛ وذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ قُلْ أَتُنْكُمُ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ * وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سِوَاءَ لِلسَّائِلِينَ ﴾ (١) ؛ يقول : مَنْ سأل . فهكذا الأمر ، ثم استوى إلى السماء وهي دخان ، وكان ذلك الدخان من تنفس الماء حين تنفس ، فجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها فجعلها سبع سموات في يومين في الخميس والجمعة (٢) .

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ، عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق الأقوات والرواسي في الثلاثاء والأربعاء .

حدثني تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق الجبال يوم الثلاثاء . فذلك قول الناس : هو يوم ثقيل .

٥٢/١

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما روينا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : «إن الله تعالى خلق يوم الثلاثاء الجبال وما فيهن من المنافع ، وخلق يوم الأربعاء الشجر ، والماء ، والمدائن ، والعمران ، والحراب . حدثنا بذلك هناد ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، عن أبي سعد البقَّال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) .

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الله خلق الجبال يوم الأحد ، والشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء ، والنور يوم الأربعاء ،

(١) سورة فصلت ٩ ، ١٠ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٤ : ٦٣ (بولاق) .

(٣) ط : بعدها كلمة « مثله » ، صواب حذفها من أ .

حدثني به القاسم بن بشر بن معروف ، والحسين بن علي الصُّدائي ، قالا :
حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن
خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله
عليه وسلم .

والخبيرُ الأولُ أُصْحَحُ مخرجاً ، وأولى بالحق ، لأنه قول أكثر السلف .

وأما يوم الخميس فإنه خلق فيه السموات ، ففتقت بعد أن كانت
رتقاً ، كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السُّدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح
عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ ﴾ (١) ،
وكان ذلك الدخان من تنفُّس الماء حين تنفس وجعلها سماء واحدة ، ثم فتقها
فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة .

٥٣/١

وإنما سُمِّيَ يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ﴿ وَأَوْحَى فِي
كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا ﴾ (١) قال : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة ، والخلق الذي
فيها من البحار وجبال البرد وما لم يُعْلَم ، ثم زين السماء الدنيا بالكواكب ، فجعلها
زينة وحفظاً ، تحفظ من الشياطين ، فلما فرغ من خلق ما أحب استوى على
العرش . فذلك حين يقول : ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ (٢) ، ويقول :
﴿ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ﴾ (٣) .

حدثني المشي ، حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني أبو معشر ،
عن سعيد بن أبي سعيد ، عن عبد الله بن سلام ، قال : إن الله تعالى خلق
السموات في الخميس والجمعة ، وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة ،

(١) سورة فصلت ١١ ، ١٢

(٢) سورة هود ٧

(٣) سورة الأنبياء ٣٠

فخلق فيها آدم على عَجَل ، فتلك الساعةُ التي تقوم فيها الساعة .

حدثني تميم [بن المنتصر] (١) ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن غالب بن غلاب ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : إن الله تعالى خلق مواضع الأنهار والشجر يوم الأربعاء ، وخلق الطير والوحوش (٢) والهوام والسباع يوم الخميس ، وخلق الإنسان يوم الجمعة ، ففرغ من خلق كل شيء يوم الجمعة .

وهذا الذي قاله مَنْ ذكرنا قوله ؛ من أن الله عزَّ وجلَّ خلق السموات والملائكة وادم في يوم الخميس والجمعة ، هو (٣) الصحيح عندنا ، للخبر الذي حدثنا به هناد [بن السري] (١) قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال : هناد ، وقرأت سائر الحديث - قال : وخلق يوم الخميس السماء ، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، فخلق في أول ساعة من هذه الثلاث ساعات الآجال ؛ مَنْ يَحْيَا وَمَنْ يَمُوت ، وفي الثانية أُلْقِيَ الآفة على كل شيء مما ينتفع به الناس ، وفي الثالثة آدم وأسكنه الجنة ، وأمر إبليس بالسجود ، وأخرجه منها في آخر ساعة .

٥٤/١

حدثني القاسم بن بشر [بن معروف] (١) ، والحسين بن علي الصِّدْقَانِي ، قالا : حدثنا حجاج ، قال ابن جريج : أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن أيوب ابن خالد ، عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة ، عن أبي هريرة ، قال : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : « وبثَّ فيها - يعني في الأرض - الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة آخر خلق في آخر ساعة ، من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل » .

فإذا كان الله تعالى ذكره خلق الخلق من لدن ابتداء خلق السموات والأرض إلى حين فراغه من خلق جميعهم في ستة أيام ، وكان كل يوم من

(١) ط : « الوحش » وما أثبتته من أ .

(٢) تكلمة من أ .

(٣) ط : « وهو » ، وما أثبتته من أ .

الأيام الستة التي خلقهم فيها مقدارُه ألف سنة من أيام الدنيا ، وكان بين ابتدائه في خلق ذلك وخلق القلم الذي أمره بكتابة [كلّ] ^(١) ما هو كائن إلى قيام الساعة ألف عام ، وذلك يوم من أيام الآخرة التي قدرَ اليوم الواحد منها ألف عام من أيام الدنيا— كان معلوماً أن قدرَ مدة ما بين أول ابتداء ربنا عز وجل في خلق ما خلق من خلقه إلى الفراغ من آخرهم سبعة آلاف عام ^(٢) . يزيد إن شاء الله شيئاً أو ينقص شيئاً ، على ما قدر ربينا من الآثار والأخبار التي ذكرناها ، وتركنا ذكرَ كثير منها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

وإذا كان ذلك كذلك ، وكان صحيحاً أن مدّة ما بين فراغ ربنا تعالى ذكره — من خلق جميع خلقه إلى وقت فناء جميعهم بما قد دللنا قبلُ ، واستشهدنا من الشواهد ، وبما سنشرح فيما بعد — سبعة آلاف سنة ، تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً ^(٣) — كان معلوماً بذلك أن مدّة ما بين أول خلق خلقه الله تعالى إلى قيام الساعة وفناء جميع العالم ، أربعة عشر ألف عام من أعوام الدنيا ؛ وذلك أربعة عشر يوماً من أيام الآخرة ، سبعة أيام من ذلك — وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا — مدة ما بين أول ابتداء الله جلّ وتقدس في خلق أول خلقه إلى فراغه من خلق آخرهم — وهو آدم أبو البشر صلوات الله عليه ، وسبعة أيام آخر ، وهي سبعة آلاف عام من أعوام الدنيا ، من ذلك مدّة ما بين فراغه جلّ ثناؤه من خلق آخر خلقه — وهو آدم — إلى فناء آخرهم وقيام الساعة ، وعود الأمر إلى ما كان عليه قبل أن يكون شيء غير القديم الباري الذي له الخلق والأمر الذي كان قبل كل شيء ، فلا شيء كان قبله ، والكائن بعد كل شيء فلا شيء يبقى غير وجهه الكريم .

* * *

فإن قال قائل : وما دليلك على أن الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ خلقه كان قدر كلّ يوم منهنّ قدر ألف عام من أعوام الدنيا دون أن يكون ذلك

(١) تكلمة من أ .

(٢) : ١ « سنة » .

(٣) : ١ « يسيراً » .

كأيام أهل الدنيا التي يتعارفونها بينهم ، وإنما قال الله عز وجل في كتابه : ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١) ، فلم يعلمنا أن ذلك كما ذكرت ، بل أخبرنا أنه خلق ذلك في ستة أيام ، والأيام المعروفة عند المخاطبين بهذه المخاطبة هي أيامهم التي أول^(٢) اليوم منها طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ومن قولك : إن خطاب الله عباده بما خاطبهم به في تنزيهه إنما هو موجه إلى الأشهر والأغلب عليه من معانيه ، وقد وجهت خبر الله في كتابه عن خلقه السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام إلى غير المعروف من معاني الأيام ، وأمر الله عز وجل إذا أراد شيئاً أن يكونه أنفذ وأمضى من أن يوصف بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام؛ مقدارهن ستة آلاف عام من أعوام الدنيا ، وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ؛ وذلك كما قال ربنا تبارك وتعالى : ﴿وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلِمَةٍ بِالْبَصَرِ﴾^(٣) ؟

٥٦/١

قيل له : قد قلنا فيما تقدم من كتابنا هذا إننا إنما نعتمد في معظم ما نرسمه في كتابنا هذا على الآثار والأخبار عن نبينا صلى الله عليه وسلم وعن السلف الصالحين قبلنا دون الاستخراج بالعقول والفكر ، إذ أكثره خبر عما مضى من الأمور ، وعما هو كائن من الأحداث ، وذلك غير مدرك علمه بالاستنباط الاستخراج بالعقول .

فإن قال : فهل من حجة على صحة ذلك من جهة الخبر ؟

قيل : ذلك ما لا نعلم قائلًا من أئمة الدين قال خلافه .

فإن قال : فهل من رواية عن أحد منهم بذلك ؟

٥٧/١

قيل : علم ذلك عند أهل العلم من السلف كان أشهر من أن يحتاج فيه إلى رواية منسوبة إلى شخص منهم بعينه ، وقد روى ذلك عن جماعة منهم مسمين بأعيانهم .

(١) سورة الفرقان ٥٩

(٢) س : « أول يوم » .

(٣) سورة القمر ٥٠

فإن قال : فاذا كرههم لنا .

قيل : حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا حَكَّام : عن عنبسة ^(١) ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ، فكلّ يوم من هذه الأيام كألف سنة مما تعدون أنتم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ ^(٢) . قال : الستة الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا عبدة ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عُبَيْد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله : ﴿ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴾ : يعني هذا اليوم من الأيام الستة التي خلق الله فيهنّ السموات والأرض وما بينهما .

حدثني المثني ، حدثنا عليّ ، عن المسيّب بن شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضحّاك : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ ^(٣) . قال : من أيام الآخرة ، كلّ يوم كان مقداره ألف سنة ، ابتداءً في الخلق يوم الأحد ، واجتمع الخلق يوم الجمعة .

حدثنا ابن حُمَيْد قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن أبي صالح : عن كعب ، قال : بدأ الله خلق السموات والأرض يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وفرغ منها يوم الجمعة ، قال : فجعل مكان كلّ يوم ألف سنة .

(١) في ط : « عبيسة » تصحيف ؛ وهو عنبسة بن سعيد ؛ ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب ٣ : ٤٢٢ فيمن روى عنهم حكام بن سلم ؛ وذكره الطبري أيضاً في ١ : ٤٥٩ ، ٥٣٨ : وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام بن سلم ، عن عنبسة . . . » .

(٢) سورة السجدة ٥

(٣) سورة هود ٧

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحجاج ، حدثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : يوم من الستة الأيام ، كألف سنة مما تعدون .

فهذا هذا . وبعد ؛ فلا وجه لقول قائل : وكيف يوصف الله تعالى ذكره بأنه خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام قدر مدتها من أيام الدنيا ستة آلاف سنة ؛ وإنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له : كن فيكون ، لأنه لا شيء يتوهمه متوهم في قول قائل ذلك إلا وهو موجود في قول قائل : خلق ذلك كله في ستة أيام مدتها مدة ستة أيام من أيام الدنيا ، لأن أمره جلّ جلاله إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون^(١) .

(١) علق ابن الأثير (١ : ٤١) على القول فيما خلق الله في كل يوم من الأيام الستة بقوله : «أما ما ورد في هذه الأخبار من أن الله تعالى خلق الأرض في يوم كذا والسماء في يوم كذا إنما هو مجاز ؛ وإلا فلم يكن ذلك الوقت أيام وليال ؛ لأن الأيام عبارة عما بين طلوع الشمس وغروبها والليال عبارة عما بين غروبها وطلوعها ؛ ولم يكن ذلك الوقت سماء ولا شمس ؛ وإنما المراد به أنه خلق كل شيء بمقدار يوم ؛ كقوله تعالى : (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) : وليس في الجنة بكرة وعشى» .

القول في الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه

وفي بدء خلق الشمس والقمر وصفتهما إذ كانت الأزمنة بهما تعرف

قد قلنا في خلق^(١) الله عزّ ذكره ما خلق من الأشياء قبل خلقه الأوقات والأزمنة، وبيّنا أن الأوقات والأزمنة إنما هي ساعات الليل والنهار، وأن ذلك إنما هو قطع الشمس والقمر درجات الفلك ؛ فلنقل الآن : بأيّ ذلك كان الابتداء؛ بالليل أم بالنهار^(٢)؟ إذ كان الاختلاف في ذلك موجوداً بين ذوى النظر فيه؛ بأن بعضهم يقول فيه: خلق الله الليل قبل النهار، ويستشهد على حقيقة قوله ذلك بأن الشمس إذا غابت وذهب ضوءها الذى هو نهار هجم الليل بظلامه، فكان معلوماً بذلك أن الضياء هو المتورّد على الليل، وأن الليل إن لم يبطله النهار المتورّد عليه هو الثابت، فكان بذلك من أمرهما دلالة على أن الليل هو الأول خلقاً، وأن الشمس هو الآخر منهما خلقاً، وهذا قول يروى عن ابن عباس.

٥٩/١

حدثنا ابن بشار، حدثنا عبد الرحمن، عن سفّيان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: سئل: هل^(٣) الليل كان قبل النهار؟ قال: أرأيتم حين كانت السموات والأرض رتقاً، هل كان بينهما إلاظمة! ذلك لتعلموا أن الليل كان قبل النهار.

حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا الثورى، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: إن الليل قبل النهار، ثم قال: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾.

حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا وهب بن جرير، حدثنا أبى، قال: سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبى حبيب، عن مرثد

(١) : « قول » .

(٢) : « أم النهار » .

(٣) : « عن الليل » .

ابن عبد الله اليززني، قال: لم يكن عقيقة بن عامر إذا رأى الهلال - هلال رمضان - يقوم تلك الليلة حتى يصومَ يومها، ثم يقوم بعد ذلك. فذكرت ذلك لابن حُجيرة فقال: الليل قبل النهار أم النهار قبل الليل؟

* * *

وقال آخرون: كان النهارُ قبل الليل، واستشهدوا لصحة قولهم هذا بأن الله عزَّ ذكره كان ولا ليلَ ولا نهارَ ولا شيءَ غيره، وأن نورَه كان يضيء به كل شيء خلقه بعد ما خلقه حتى خلق الليل.

* ذكر من قال ذلك:

حدثني علي بن سهل، حدثنا الحسن بن بلال، قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن الزبير أبي^(١) عبد السلام، عن أيوب بن عبد الله الفهري أن ابن مسعود قال: إن ربكم ليس عنده ليلٌ ولا نهار، نور السموات من نور وجهه، وإن مقدار كل يوم من أيامكم هذه اثنتا عشرة ساعة.

* * *

قال أبو جعفر: وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب قول من قال: كان الليل قبل النهار، لأن النهار هو ما ذكرتُ من ضوء الشمس؛ وإنما خلق الله الشمس وأجراها في الفلك بعد ما دحا الأرض فبسطها، كما قال عز وجل: ﴿الْأَسْمُ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا﴾^(٢)، فإذا كانت الشمس خلقت بعد ما سُمكت السماء، وأغطش ليلها، فعلوم أنها كانت - قبل أن تخلق الشمس، وقبل أن يُخرج الله من السماء ضحاهها - مظلمة لا مضيئة.

٦٠/١

وبعد، فإن في مشاهدتنا من أمر الليل والنهار ما نشاهده^(٣) دليلاً بيِّناً

(١) ط: «الزبير بن عبد السلام»؛ وصوابه من أ؛ ذكره ابن حجر فيمن روى عن أيوب بن عبد الله. وانظر تهذيب التهذيب ١: ٤٠٧.

(٢) سورة النازعات ٢٧ - ٢٩.

(٣) أ: «نشاهد».

على أن النهار هو الهاجم على الليل لأن الشمس متى غابت فذهب ضوءها ليلاً [أو نهاراً] ^(١) أظلم الجو ، فكان معلوماً بذلك أن النهار هو الهاجم على الليل بضوئه ونوره . والله أعلم .

فأما القول في بدء خلقهما فإن الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بوقت خلق الله الشمس والقمر مختلف .

فأما ابن عباس فروى عنه أنه قال : خلق الله يوم الجمعة الشمس والقمر والنجوم والملائكة إلى ثلاث ساعات بقيت منه ، حدثنا بذلك هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو بكر بن عياش ، عن أبي سعد البقال ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق الله النور يوم الأربعاء » ، حدثني بذلك القاسم بن بشر والحسين بن علي ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، عن إسماعيل بن أمية ، عن أيوب بن خالد ، عن عبد الله بن رافع ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم .

٦١/١ وأى ذلك كان ؛ فقد خلق الله قبل خلقه إياهما خلقاً كثيراً غيرهما ، ثم خلقهما عز وجل لما هو أعلم به من مصلحة خلقه ، فجعلهما دائبى الجرى ، ثم فصل بينهما ، فجعل لإحداهما آية الليل ، والأخرى آية النهار ، فعلا آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبب اختلاف حالتى آية ^(٢) الليل وآية النهار أخباراً أنا ذاكر منها بعض ما حضرني ذكره . وعن جماعة من السلف أيضاً نحو ذلك .

فمما ^(٣) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، ما حدثني محمد بن أبي منصور الأملى ، حدثنا خلف بن واصل ، قال : حدثنا عمر بن

(١) تكلت من ا .

(٢) ر : « حالتى الشمس والقمر وآية الليل » .

(٣) ا : « فا » .

صُبْحُ^(١) أبو نعيم البليخي، عن مقاتل بن حيان، عن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبي ذرّ الغفاري، قال: كنت أخذُ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نماشى جميعاً نحو المغرب، وقد طَفَلَت^(٢) الشمس، فما زلنا ننظر إليها حتى غابت؛ قال: قلت: يا رسول الله، أين تغرب؟ قال: تغرب في السماء، ثم تُرْفَعُ من سماء إلى سماء حتى ترفع إلى السماء السابعة العليا؛ حتى تكون تحت العرش، فتخر ساجدة، فتسجد معها الملائكة الموكلون بها، ثم تقول: يا رب، مِمنْ أين تأمرني أن أطلع، أمن مغربي أم منْ مطلعي؟ قال: فذلك قوله عز وجل: ﴿ وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ﴾ حيث تحبس تحت العرش، ﴿ ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴾^(٣) قال: يعني بـ «ذلك»^(٤) صُنِعَ الربّ العزيز في ملكه العلم بخلقهِ . قال: فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش، على مقادير ساعات النهار، في طوله في الصيف، أو قصره في الشتاء، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع. قال: فتلبس تلك الحلة كما يلبس أحدكم ثيابه، ثم تنطلق^(٥) بها في جو السماء حتى تطلع من مطلعها^(٦)، قال النبي صلى الله عليه وسلم: فكأنها قد حُبِسَتْ مقدار ثلاث ليالٍ ثم لا تُكسى ضوءاً، وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل: ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾^(٧). قال: والقمر كذلك في مطلعهِ ومجره في أفق السماء ومغربهِ وارتفاعهِ إلى السماء السابعة العليا، ومحبسه تحت العرش وسجوده واستئذانه، ولكن جبرائيل عليه السلام يأتيه بالحلّة من نور الكرسي. قال: فذلك قوله عز وجل: ﴿ جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا ﴾^(٨). قال أبو ذرّ: ثم عدلتُ مع رسول الله صلى

٦٢/١

(١) كذا في «عمر بن صحيح»، ترجم له ابن حجر في تهذيب التهذيب ٧ : ٤٦٣ ؛ وذكر أنه أخذ عن مقاتل . وفي ط : «صبيح» . وانظر خلاصة تذهيب الكمال ٢٤٠ .

(٢) طفقت الشمس : مالت للغروب .

(٣) سورة يس ٣٨

(٤) كذا في ا ، ر ، ك ، وفي ط : « ذلك » .

(٥) ط : « ينطلق » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، ن .

(٦) ط : « مطالعها » ، وما أثبتته من ا .

(٧) سورة التكوير ١

(٨) سورة يونس ٥

الله عليه وسلم فصلينا المغرب. فهذا الخبر عن رسول الله [يُنسَبُ] ^(١) أن سبب اختلاف حالة الشمس والقمر إنما هو أن ضوء الشمس من كسوة كسيتهما من ضوء العرش، وأن نور القمر من كسوة كسيتهما من نور الكرسي.

فأما الخبر الآخر الذي يدل على غير هذا المعنى؛ فما حدثني محمد ابن أبي منصور، قال: حدثنا خلف بن واصل، قال: حدثنا أبو نعيم، عن مقاتل بن حيان، عن عكرمة قال: بينا ابن عباس ذات يوم جالس إذ جاءه رجل، فقال: يا ابن عباس، سمعت العجب من كعب الحبّر ^(٢) يذكر في الشمس والقمر. قال: وكان متكئاً فاحتفز ^(٣) ثم قال: وما ذاك؟ قال: زعم أنه يجيء بالشمس والقمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران، فيقذفان في جهنم. قال عكرمة: فطارت من ابن عباس شقة وقعت أخرى غضبا، ثم قال: كذب كعب! كذب كعب! كذب كعب! ثلاث مرات، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام، الله أجل وأكرم من أن يعذب على طاعته، ألم تسمع لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ﴾ ^(٤)، إنما يعنى دعوهم في الطاعة، فكيف يعذب عبيد يثنى عليهما؛ أنهما دائبان في طاعته! قاتل الله هذا الحبّر وقبح حبّريته! ما أجرأه على الله وأعظم فيريته على هذين العبيد المطيعين لله! قال: ثم استرجع مراراً، وأخذ عويداً من الأرض، فجعل ينكته في الأرض، فظل كذلك ما شاء الله، ثم إنه رفع رأسه، ورمى بالعويد فقال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما؟ فقلنا: بلى رحمك الله! فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك، فقال: إن الله تبارك وتعالى لما أبرم خلقه إحكاماً فلم يبق من خلقه غير آدم خلق شمس من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه ^(٥) أنه يدعها شمساً، فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها،

(١) : « عن أن » .

(٢) ر، ن : « الأحبار » .

(٣) احتفز : استوى جالساً على وركيه .

(٤) سورة إبراهيم ٣٣ .

(٥) ر، س : « من سابق علمه » .

وأما ما كان في سابق علمه (١) أنه يطمسها ويحوّلها قمراً ، فإنه دون الشمس في العِظَم ؛ ولكن إنما يُرَى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها من الأرض .

قال : فلو ترك الله الشمسين كما كان خلقهما في بدء الأمر لم يكن يُعرَف الليل من النهار ، ولا النهار من الليل ، وكان لا يدري الأجير إلى متى يعمل ، ومتى يأخذ أجره . ولا يدري الصائم إلى متى يصوم ، ولا تدرى المرأة كيف تعتدّ ، ولا يدري المسلمون متى وقت الحج ، ولا يدري الديّان متى تحلّ ديونهم ، ولا يدري الناس متى ينصرفون لمعايشهم ، ومتى يسكنون لراحة أجسادهم . وكان الربّ عزّ وجلّ أنظر لعباده وأرحم بهم ، فأرسل جبرئيل عليه السلام فأمرّ جناحه على وجه القمر - وهو يومئذ شمس - ثلاث مرات ، فطمس عنه الضوء ، وبقي فيه النور ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَمَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ (٢) . قال : فالسّواد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه فهو أثرُ الحو . ثم خلق الله للشمس عجلة من ضوء نور العرش لها ثلثمائة وستون عروة ، ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء الدنيا ، قد تعلق كلّ ملك منهم بعروة من تلك العرّاء ، ووكل بالقمر وعجلته ثلثمائة وستين ملكاً من الملائكة من أهل السماء ، قد تعلق بكلّ عروة من تلك العرّاء ملك منهم .

ثم قال : وخلق الله لهما مشارق ومغارب في قُطْرَيِ الأرض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المغرب ، طينة سوداء ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ ﴾ (٣) إنما يعني (٤) حمأة سوداء من طين ، وثمانين ومائة عين في

(١) ر : « من سابق علمه » .

(٢) سورة الإسراء ١٢

(٣) سورة الكهف ٨٦

(٤) كذا في ا ، س وفي ط : « هي حمه » .

المشرق مثل ذلك طينة سوداء تفور غلياً كغلي القيد إذا ما اشتد غليها. قال :
٦٥/١ فكل يوم [وكل] ^(١) ليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ، ما بين أولها مطالعاً ، وآخرها
مغرباً أطول ما يكون النهار في الصيف إلى آخرها مطالعاً ، وأولها مغرباً أقصر ما يكون
النهار في الشتاء ، فذلك قوله تعالى : ﴿ رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴾ ^(٢)
يعني آخرها هاهنا وآخرها ثم ، وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ، ثم
جمعهما فقال : ﴿ بَرَبُّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ﴾ ^(٣) ، فذكر عِدَّة تلك العيون كلها .

قال : وخلق الله بحراً ، فجرى دون السماء ^(٤) مقدار ثلاث فراسخ ، وهو موج
مكفوف قائم في الهواء بأمر الله عز وجل لا يقطر منه قطرة ، والبحار كلها
ساكنة ، وذلك البحر جارٍ في سرعة السهم ثم انطلاقه في الهواء مستويًا ، كأنه
حبّيل ممدود ما بين المشرق والمغرب ، فتجرى الشمس والقمر والخُنس في لُجّة
غَمْر ذلك البحر ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ ^(٥) ، والفلك
دوران العجلة في لُجّة غمر ذلك البحر . والذي نفس محمد بيده ، لو بدت
الشمس من ذلك البحر لأحرقت كل شيء في الأرض ، حتى الصخور
والحجارة ، ولو بدا القمر من ذلك لافتتن أهل الأرض حتى يعبدوه من دون
الله ، إلا من شاء الله أن يعصم من أوليائه .

قال ابن عباس : فقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : بأبي أنت
وأُمي يا رسول الله ! ذكرت مجرى الخُنس مع الشمس والقمر ، وقد أقسم الله
بالخُنس في القرآن إلى ما كان من ذكرك ، فما الخُنس ؟ قال : يا علي ، هن
خمسة كواكب : البرجيس ^(٦) ، وزُحل ، وعطارد ، وبهرام ، والزهرة ،

(١) تكلمة من ا .

(٢) سورة الرحمن ١٧

(٣) سورة المارج ٤٠

(٤) كذا في ط ، وفي اللآله المصنوعة ١ : ٧ : «بينه وبين السماء» ، وفي ا : «فجرى

بين السماء» .

(٥) سورة الأنبياء ٣٣

(٦) كذا ضبطه صاحب القاموس بكسر الباء ؛ وقال : هو نجم أو هو المشتري .

٦٦/١ فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الحاربات ، مثل الشمس والقمر ، العاديات^(١) معهما ، فأما سائر الكواكب فمعلقات من السماء كتعليق^(٢) القناديل من المساجد ، وهي تحومُ مع السماء دوراناً بالتسييح والتقديس والصلاة لله ، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم : **فإن أحببتُم أن تستبينوا^(٣) ذلك ، فانظروا إلى دوران الفلك مرة ها هنا ومرة ها هنا ، فذلك دوران السماء ، ودوران الكواكب معها كلها سوى هذه الخمسة ، ودورانها اليوم كما تزون ، وتلك صلاتها ، ودورانها إلى يوم القيامة في سرعة دوران الرّحا من أهوال يوم القيامة وزلازله ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا * وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا * فَوَيْلٌ لِلْمُكذِّبِينَ ﴾^(٤) .**

قال : فإذا طلعت الشمس فإنها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكاً ناشري أجنتهم ، يَجْرُونَهَا فِي الْفَلَكِ بِالتَّسْيِيحِ وَالتَّقْدِيسِ وَالصَّلَاةِ لِلَّهِ عَلَى قَدْرِ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَسَاعَاتِ النَّهَارِ لَيْلًا كَانَ أَوْ نَهَارًا ، فإذا أحبَّ الله أن يبتلى الشمس والقمر فيسرى العباد آية من الآيات فيستعتبهم رجوعاً عن معصيته وإقبالاً على طاعته ، خرت الشمس من العجلة فتقع في غمر ذلك البحر وهو الفلك ، فإذا أحبَّ الله أن يُعْظِمَ الْآيَةَ وَيَشْدُدَّ تَخْوِيفَ الْعِبَادِ وَقَعَتِ الشَّمْسُ كُلَّهَا فَلَا يَبْقَى مِنْهَا عَلَى الْعَجَلَةِ شَيْءٌ ، فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم ، وهو المنتهى من كسوفها . فإذا أراد أن يجعل آيةً دون آية وقع منها النصف أو الثلث أو الثلثان في الماء ، ويبقى سائر ذلك على العجلة ، فهو كسوف دون كسوف ، وبلاء للشمس أو للقمر ، وتخويفٌ للعباد ، واستعتاب من الربِّ عزَّ وجلَّ ، فأى ذلك كان صارت الملائكة الموكلون بعجلتها فرقتين : فرقة منها يُقبَلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة ، والفرقة الأخرى

(١) ا ، ر ، ن : « العاديات » وفي اللآله المصنوعة : « الغاربات » .

(٢) ر ، س : « كتعلق » .

(٣) ن : « أن تستبينوا » .

(٤) سورة الطور ٩ - ١١

يُقبلون على العجلة فيجرونها نحو الشمس ، وهم في ذلك ^(١) يقرّونها ^(٢) في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله على قدر ساعات النهار أو ساعات الليل ، ليلاً كان أو نهاراً ، في الصيف كان ذلك أو في الشتاء ، أو ما بين ذلك في الخريف والربيع ، لكيلا يزيد في طولهما شيء ، ولكن قد ألهمهم الله علم ذلك ، وجعل لهم تلك القوة ، والذي ترون من خروج الشمس أو القمر بعد الكسوف قليلاً قليلاً ، من غمر ذلك البحر الذي يعلوها ، فإذا أخرجوها كلّها اجتمعت الملائكة كلهم ، فاحتلموها حتى يضعوها على العجلة ، فيحمدون الله على ما قوّاهم لذلك ، ويتعلقون بعُرّاء العجلة ، ويَجْرُونَهَا في الفلك بالتسييح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغوا بها المغرب ، فإذا بلغوا بها المغرب أدخلوها تلك العين ، فتسقط من أفق السماء في العين .

ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم ، وعجب من خلق الله : ولتأعجب من القدرة فيما لم نَرَ ^(٣) أعجب من ذلك ؛ وذلك قول جبرئيل عليه السلام لسارة : ﴿ أَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) وذلك أن الله عزّ وجلّ خلق مدينتين : إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ، أهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنهم ، وأهل التي بالمغرب من بقايا ثمود من نسل الذين آمنوا بصالح ، اسم التي بالمشرق بالسريانية «مرقيسيا» وبالعربية «جابلق» ^(٥) واسم التي بالمغرب بالسريانية «برجيسيا» ^(٦) وبالعربية «جابرّس» ولكل مدينة منهما عشرة آلاف باب ، ما بين

(١) ن : « مع ذلك » .

(٢) كذا في ا ، س ، ك ، وفي ط : « يجرونها » .

(٣) ط : « لم يخلق » ، وما أثبتته من اللؤلؤ المصنوعة .

(٤) سورة هود ٧٣

(٥) ضبطها ياقوت بالياء المفتوحة المفتحة وسكون اللام ، ونقل عن ابن عباس أنها مدينة بأقصى المغرب وأهلها من ولد عاد .

(٦) كذا ضبطت بالقلم في معجم البلدان . ونقل أيضاً عن ابن عباس أن أهلها من

ولد ثمود .

كل بابين فرسخ، ينوب كل يوم على كل باب من أبواب هاتين المدينتين عشرة آلاف (١) رجل من الحراسة، عليهم السلاح، لا تنسبهم (٢) الحراسة بعد ذلك إلى يوم ينفخ في الصور، فالذي نفس محمد بيده، لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع الناس من جميع أهل الدنيا هدة وقعة الشمس حين تطلع وحين تغرب، ومن ورائهم ثلاث أمم: منسك (٣)، وتافيل، وتاريس (٤)، ومن دونهم يأجوج ومأجوج.

وإن جبترئيل عليه السلام انطلق بي إليهم ليلة أسرى بي من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، فدعوتُ يأجوجَ ومأجوجَ إلى عبادة الله عز وجل فأبوا أن يجيبوني، ثم انطلق بي إلى أهل المدينتين، فدعوتهم إلى دين الله عز وجل وإلى عبادته فأجابوا وأنابوا، فهم في الدين [إخواننا] (٥)، من أحسن منهم فهو مع محسنكم، ومن أساء منهم فأولئك مع المسيئين منكم. ثم انطلق بي إلى الأمم الثلاث، فدعوتهم إلى دين الله وإلى عبادته فأنكروا بما دعوتهم إليه، فكفروا بالله عز وجل وكذبوا رسله، فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله في النار؛ فإذا ما غربت الشمس رُفِعَ بها من سماء إلى سماء في سرعة طيران الملائكة؛ حتى يُبلِّغَ بها إلى السماء السابعة العليا، حتى تكون تحت العرش فتخرّ ساجدة، وتسجد معها الملائكة الموكلون بها، فيُحدَرُ بها من سماء إلى سماء؛ فإذا وصلت إلى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر (٦)، فإذا انحدرت من بعض تلك العيون، فذاك حين يضيء الصبح، فإذا وصلت إلى هذا الوجه من السماء فذاك حين يضيء النهار.

قال: وجعل الله عند المشرق حجاباً من الظلمة على البحر السابع، مقدار

- (١) كذا في ١ وابن الأثير واللائل المصنوعة. وفي ط: «عشرة آلاف ألف» .
 (٢) كذا في ١. وفي ط: «ولما تلحقهم نوبة الحراسة». وفي ابن الأثير: «لا تعود الحراسة إليهم» .
 (٣) ر، س: «تافيل» .
 (٤) س: «باريس»، «أفارس»، وابن الأثير «تاريس» .
 (٥) تكلمة من ١ واللائل المصنوعة .
 (٦) ط: «الصبح»، وما أثبتته من ١ .

عدة الليالى منذ يوم خلق الله الدنيا إلى يوم تُصْرَم ، فإذا كان عند الغروب أقبل ملك قد وُكِّل بالليل فيقبض قبضةً من ظلمة ذلك الحجاب ، ثم يستقبلُ المغرب ؛ فلا يزال يُرسل من الظلمة من خلل أصابعه قليلاً قليلاً وهو يراعى الشفق ، فإذا غاب الشفق أرسل الظلمة كلها ثم ينشر جناحيه ، فيبلغان قُطْرِي الأرض وكنفَي السماء ، ويجاوزان ما شاء الله عز وجل خارجاً في الهواء ، فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسييح والتقديس والصلاة لله حتى يبلغ المغرب ، فإذا بلغ المغرب انفجر الصبح من المشرق ، فضم جناحيه ، ثم يضم الظلمة بعضها إلى بعض بكفيه ، ثم يقبض عليها بكف واحدة نحو قبضته إذا تناوها من الحجاب بالمشرق ، فيضعها عند المغرب على البحر السابع من هناك ظلمة الليل . فإذا ما نقل ذلك الحجابُ من المشرق إلى المغرب نفخ في الصور ، وانقضت الدنيا ، فضوء النهار من قبيل المشرق ، وظلمة الليل من قبيل ذلك الحجاب ، فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطالعهما إلى مغاربهما إلى ارتفاعهما ، إلى السماء السابعة العليا ، إلى مجلسهما^(١) تحت العرش ، حتى يأتي الوقت الذي ضرب الله لتوبة العباد ، فتكثر المعاصي في الأرض ويذهب المعروف ، فلا يأمر به أحد ، ويفشو المنكرُ فلا ينهى عنه أحد .

٧٠/١

فإذا كان ذلك حيث است الشمس مقدار ليلة تحت العرش ، فكلما سجدت وأستأذنت : من أين تطلع ؟ لم يُحَرَّ^(٢) إليها جواب ؛ حتى يوافيها القمر ويسجد معها ، ويستأذن : من أين يطلع ؟ فلا يحار إليه جواب ، حتى يجلسهما مقدار ثلاث ليالٍ للشمس ، وليلتين للقمر ، فلا يعرف طول تلك الليلة إلا المهجدون في الأرض ؛ وهم حينئذ عصابة قليلة في كل بلدة من بلاد المسلمين ؛ في هوان من الناس وذلة من أنفسهم ، فينام أحدهم تلك الليلة قَدَرًا ما كان ينام قبلها من الليالى ، ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاًه فيصلى ورده ، كما كان يصلى

(١) ط : « إلى مجلسهما » ، وما أثبتته من ا .

(٢) لم يحر إليها جواب ؛ أى لم يرجع إليها جواب ؛ ويقال : ما أحر جواباً ؛

قبل ذلك ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فينكر ذلك ويظن فيه الظنون من الشر ثم يقول : فلعلني خفتُ قراءتي ، أو قصرتُ صلاتي ، أو قمت قبل حينى ! قال : ثم يعود أيضاً فيصلّى ورده كمثل ورده ، الليلة الثانية ، ثم يخرج فلا يرى الصبح ، فيزيده ذلك إنكاراً ، ويخالطه الخوف ، ويظن في ذلك الظنون من الشر ، ثم يقول : فلعلني خفتُ قراءتي ، أو قصرتُ صلاتي ، أو قمت من أول الليل ! ثم يعود أيضاً الثالثة وهو وجلٌ مُشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة ، فيصلّى أيضاً مثل ورده ، الليلة الثالثة ، ثم يخرج فإذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت وصارت إلى مكانها من أول الليل . فيشفق عند ذلك (١) شفقة الخائف العارف بما كان يتوقع من هول تلك الليلة فيستلحمه (٢) الخوف ، ويستخفه البكاء ، ثم ينادى بعضهم بعضاً ، وقبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون ، فيجتمع المهجدون من أهل كل بلدة إلى مسجد من مساجدها ، ويجأرون إلى الله عز وجل بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة ، والغافلون في غفلتهم ، حتى إذا ما تمّ لهما مقدارُ ثلاث ليالٍ للشمس والقمر ليلتين ، أتاهما جبرئيل فيقول : إن الرب عز وجل يأمركما أن ترجعا إلى مغاريكما فتطلعا منها ، وأنه لا ضوء لكما عندنا ولا نور . قال : فيبكيان عند ذلك بكاء يسمعه أهل سبع سموات من دونهما وأهل سرادقات العرش وحملة العرش من فوقهما ، فيبكون لبكائهما مع ما يخالطهم من خوف الموت ، وخوف يوم القيامة .

٧١/١

قال : فبينما الناس ينتظرون طلوعهما من المشرق إذا هما قد طلعا خلتف أفقيتهم من المغرب أسودين مكورين كالغريارتين (٣) ، ولا ضوء للشمس ولا نور للقمر ، مثلهما في كسوفهما قبل ذلك ، فيتصايح أهل الدنيا وتتدّهل الأمهات عن أولادها ، والأحبة عن ثمرة قلوبها ، فتشتغل كل نفس بما أتاه . قال : فأما الصالحون والأبرار فإنه ينفعهم بكائهم يومئذ ، ويكتب ذلك لهم عبادة . وأما الفاسقون والفجار فإنه لا ينفعهم بكائهم يومئذ ، ويكتب ذلك عليهم حسارة . قال : فيرتفعان مثل البعيرين القرينين ، ينازع كل واحد منهما

(١) : « عندها » .

(٢) استلحم الخوف : نشب فيه .

(٣) ط : « كالغرابين » ، وما أثبتته من ا .

صاحبه استيقاقاً ، حتى إذا بلغا سُرة السماء - وهو منصفها - أتاهما جبرئيل فأخذ بقر ونهما ثم ردهما إلى المغرب ، فلا يُغربهما في مغاربهما من تلك العيون ، ولكن يغربهما في باب التوبة .

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : أنا وأهلى فداؤك يا رسول الله ! فما باب التوبة ؟ قال : يا عمر ، خلق الله عزّ وجلّ باباً للتوبة خلف المغرب ، مصرعين من ذهب ، مكلا بالدرّ والجوهر ، ما بين المصرع إلى المصرع (١) الآخر مسيرة أربعين عاماً للراكب المسرع ، فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله خلقه إلى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغاربهما ، ولم يتب عبد من عباد الله توبة نصوحاً من لدن آدم إلى صبيحة تلك الليلة إلا ولحت تلك التوبة في ذلك الباب ، ثم ترفع إلى الله عزّ وجلّ .

قال معاذ بن جبل : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! وما التوبة النصوح ؟ قال : أن يندم المذنب على الذنب الذى أصابه فيعتذر إلى الله ثم لا يعود إليه ، كما لا يعود اللبن إلى الضرع . قال : فيردّ جبرئيل بالمصرعين فيلأم (٢) بينهما ويصيرهما كأنه لم يكن فيما بينهما صدعٌ قط ، فإذا أغلق (٣) باب التوبة لم يقبل بعد ذلك توبة ، ولم ينفع بعد ذلك حسنة يعملها في الإسلام إلا من كان قبل ذلك محسناً ، فإنه يجرى لهم وعليهم بعد ذلك ما كان يجرى قبل ذلك ، قال فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا ﴾ (٤) .

فقال أبتى بن كعب : بأبي أنت وأمي يا رسول الله ! فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك ! وكيف بالناس والدنيا ! فقال : يا أبتى ، إن الشمس والقمر

(١) : « والمصرع »

(٢) : « فيلأم » .

(٣) : « غلق » وهى لغة رديئة فى « غلق » .

(٤) : سورة الأنعام ١٥٨

بعد ذلك يكسيان النور والضوء، ويطلعان على الناس ويغربان كما كانا^(١) قبل ذلك، وأما الناس فإنهم نظروا إلى ما نظروا إليه من فضاة الآية، فيسبحون على الدنيا حتى يُجروا فيها الأنهار، ويغرسوا فيها الشجر، وبينوا فيها البنيان. وأما الدنيا فإنه لو أنتج رجل مهراً لم يركبه من لدن طلوع الشمس من مغربها إلى يوم ينفخ في الصور.

٧٣/١

فقال حذيفة بن يمان : أنا وأهلي فداؤك يا رسول الله ! فكيف هم عند النفخ في الصور ! فقال : يا حذيفة ، والذي نفس محمد بيده ، لتقومن الساعة ولينفخن في الصور والرجل قد لَطَّ^(٢) حوضه فلا يسقي منه ، ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا يطويانه ، ولا يتبايعانه . ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته إلى فيه فلا يطمعمها ، ولتقومن الساعة والرجل قد انصرف بلبن لقمته^(٣) من تحمها فلا يشربه ، ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية : ﴿ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(٤).

فإذا نُفِخَ في الصور، وقامت الساعة ، وميز الله بين أهل الجنة وأهل النار ولما يدخلوهما بعد، إذ يدعو الله عز وجل بالشمس والقمر، فيجاء بهما أسودين مكورين قد وقعا في زلزال ولبال، تُرعد فرائصهما من هول ذلك اليوم وخافة الرحمن، حتى إذا كانا حيال العرش خرا لله ساجدين؛ فيقولان: إلهنا قد علمت طاعتنا ودعونا في عبادتك، وسرعتنا للمضى^(٥) في أمرك أيام الدنيا ، فلا تُعذبنا بعبادة المشركين إيانا، فإننا لم ندعُ إلى عبادتنا ، ولم نذهك عن عبادتك! قال: فيقول الرب تبارك وتعالى: صدقتما، وإني قضيت على نفسي أن أبدئ وأعيد ، وإني معيدكما فيما بدأتكما منه ، فارجعا إلى ما خلقتما منه ،

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

(٢) ١ : « لاط » ، ولاط الحوض بالطين ولطه : طينه .

(٣) اللقحة ، بالكسر : الناقة الحلوب .

(٤) سورة العنكبوت ٥٣ .

(٥) ١ : « المضى » ، ن : « بالمضى » .

قالا : إلهنا ، ومِمَّ خلقتنا؟ قال : خلقتكما من نور عرشى ، فارجعا إليه . قال : ٧٤/١
 فيلتمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نوراً ، فتختلط بنور
 العرش . فذلك قوله عز وجل : ﴿ يَبْدِي وَيُعِيدُ ﴾^(١) .

قال عكرمة : فقامت مع النفر الذين حدّثوا به ، حتى أتينا كعباً فأخبرناه
 بما كان من وجد ابن عباس من حديثه ، وبما^(٢) حدث عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ؛ فقام كعب معنا حتى أتينا ابن عباس ، فقال : قد بلغني ما كان من
 وجدك من حديثي ، وأستغفر الله وأتوب إليه ، وإني إنما حدثت عن كتاب
 دارسٍ قد تداولته الأيدي ، ولا أدري ما كان فيه من تبديل اليهود ، وإنك
 حدثت عن كتاب جديد حديث العهد بالرحمن عز وجل وعن سيد الأنبياء
 وخير النبيين ، فأنا أحب أن تحدثني الحديث فأحفظه عنك ، فإذا حدثت
 به كان مكان حديثي الأول .

قال عكرمة : فأعاد عليه ابن عباس الحديث ، وأنا أستقره في قلبي
 باباً باباً ، فما زاد شيئاً ولا نقص ، ولا قدّم شيئاً ولا أخر ، فزادني ذلك في ابن
 عباس رغبة ، وللحديث حفظاً^(٣) .

* * *

وبما روى عن السلف في ذلك ما حدثناه ابن حميد ، قال :
 حدثنا جرير ، عن عبد العزيز بن رُفَيْع ، عن أبي الطفيل ، قال : قال
 ابن الكوّاء لعلّ عليه السلام : يا أمير المؤمنين ، ما هذه اللطخة التي في القمّر؟
 فقال : ويحك ! أما تقرأ القرآن : ﴿ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴾^(١) ! فهذه محوه .

(١) سورة البروج ١٣ .

(٢) ط : « وما » .

(٣) أورد ابن الأثير في الكامل : (١ : ١٤ - ١٥) هذا الخبر مختصراً ؛ ولم يذكر تفصيل
 ما فيه من أشياء ؛ ثم قال : « أعرضت عنها لمنافاتها العقول ، ولو صح إسنادها لذكرناها وقلنا
 به ؛ ولكن الحديث غير صحيح ؛ ومثل هذا الأمر العظيم لا يجوز أن يسطر في الكتب بمثل هذا
 الإسناد الضعيف » ، ونقله أيضاً السيوطي في اللآلئ المصنوعة ١ : ٤٥ - ٦٠ من طريقين آخرين ؛
 وقال عنه : « موضوع ، في إسناده مجاهيل وضعفاء » .

(٤) سورة الإسراء ١٢ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا طلق ، عن زائدة ، عن عاصم ، عن علي بن ربيعة ، قال : سألت ابن الكواء علياً عليه السلام فقال : ما هذا السواد في القمر؟ فقال علي : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (١) ، هو المحو (٢) .

٧٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عبيد بن عمير ، قال : كنت عند علي عليه السلام ، فسأله ابن الكواء عن السواد الذي في القمر فقال : ذلك آية الليل محيت (٣) .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا عمران بن حدير ، عن ربيع (٤) ، أبي كثيرة ، قال : قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : سلوا عما شئتم ، فقام ابن الكواء فقال : ما السواد الذي في القمر؟ فقال : قاتلك الله ! هلا سألت عن أمر دينك وأخرتك ! ثم قال : ذلك محو الليل .

حدثنا زكرياء بن يحيى بن أبان المصري ، قال : حدثنا ابن عفير ، قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن حبي بن عبد الله ، عن أبي عبد الرحمن ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن رجلاً قال لعلي رضي الله عنه : ما السواد الذي في القمر؟ قال : إن الله يقول : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (١) .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿وَجَعَلْنَا

(١) سورة الإسراء ١٢ .

(٢) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٣) الخبر في التفسير ١٥ : ٣٨ (بولاق) .

(٤) ط : « ابن أبي كثيرة » ، وفي التفسير : « ربيع بن أبي كثير » ؛ والصواب

ما أثبتته ؛ ذكره أبو حاتم الرازي في المحرر والتعديل ١٠٠/٢/١ ، والدولابي في الكنى ٩٠ .

اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ ﴿١﴾ ، قال : هو السواد بالليل .
 حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ،
 عن ابن جريج قال : قال ابن عباس : كان القمر يضيء كما تضيء الشمس ،
 والقمر آية الليل ، والشمس آية النهار ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، السواد الذي في
 القمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن أبي زائدة ، قال : ذكر
 ابن جريج عن مجاهد في قوله تعالى : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 ٧٦/١ قال : الشمس آية النهار ، والقمر آية الليل ، ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ﴾ ، قال : السواد
 الذي في القمر ، كذلك خلقه الله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
 عن ابن جريج ، عن مجاهد : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ، ليلاً ونهاراً
 كذلك خلقهما الله عز وجل .

قال ابن جريج : وأخبرنا عبد الله بن كثير ، قال : ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ
 وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، قال : ظلمة الليل وسدف النهار .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا
 سعيد عن قتادة ، قوله عز وجل : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ
 اللَّيْلِ﴾ ، كنا نحدث أن محو آية الليل سواد القمر الذي فيه ، ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ، منيرة ، وخلق الشمس أنور من القمر وأعظم .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا
 عيسى^(١) . وحدثني الحارث^(٢) ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ،
 جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ﴾ ،
 قال : ليلاً ونهاراً ، كذلك جعلهما الله عز وجل .

(١) هو عيسى بن ميمون الحرثي ، روى عنه أبو عاصم النبيل . تهذيب التهذيب ٨ : ٢٣٥ .

(٢) هو الحارث بن محمد بن أسامة . تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال : إن الله تعالى ذكره خلق شمس النهار وقمر الليل آيتين ، فجعل آية النهار التي هي الشمس مبصرةً يبصر بها ، ومحا آية الليل التي هي القمر^(١) بالسواد الذي فيه . وجائز أن يكون الله تعالى ذكره خلّقهما شمسين من نور عرشه ، ثم محا نور القمر بالليل على نحو ما قاله من ذكرنا قوله ، فكان ذلك سبب اختلاف حالتيهما .

وجائز أن يكون إضاءة الشمس للكسوة التي تكساها من ضوء العرش ، ونور القمر من الكسوة التي يكساها من نور الكرسي .

٧٧/١

ولو صحَّ سندُ أحد الخبرين اللذين ذكرتهما^(٢) لقلنا به ؛ ولكن في أسانيدهما^(٣) نظراً ؛ فلم نستجز قطع القول بتصحيح ما فيهما من الخبر عن سبب اختلاف حال الشمس والقمر ؛ غير أننا ييقين نعلم^(٤) أن الله عزّ وجلّ خالف بين صفتيهما في الإضاءة لما كان أعلم به من صلاح خلقه باختلاف أمريهما ، فخالف بينهما ، فجعل أحدهما مضيئاً مبصراً به ، والآخر ممحوّ الضوء .

وإنما ذكرنا قدر ما ذكرنا من أمر الشمس والقمر في كتابنا هذا ، وإن كنا قد عرضنا عن ذكر كثير من أمرهما وأخبارهما ، مع إعراضنا عن ذكر بدء خلق الله السموات والأرض وصفة ذلك ، وسائر ما تركنا ذكره من جميع خلق الله في هذا الكتاب ؛ لأنّ قصدنا في كتابنا هذا ذكر ما قدمنا الخبر عنه أنّا ذاكروه فيه من ذكر الأزمنة وتاريخ الملوك والأنبياء والرسل ، على ما قد شرطنا في أول هذا الكتاب ، وكانت التواريخ والأزمنة إنما توقّفت بالليالي والأيام التي إنما هي مقادير ساعات جري الشمس والقمر في أفلاكهما على ما قد ذكرنا في الأخبار التي رويناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ما كان قبل

(١) : ١ « قمر » .

(٢) انظر صفحتي ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) : ١ « ولكن في أسانيدهما نظر » .

(٤) كذا في ط ، وفي س : « نعلم ييقين » ، وفي ن : « نتيقن ونعلم » ، وفي ا ، ك

« نتيقن بعلم » .

خلق الله عزّ ذكره إياهما من خلقه في غير أوقات ولا ساعات ولا ليل ولا نهار .

* * *

٧٨/١

وإذ كنّا قد بينا مقدار مدة ما بين أول ابتداء الله عزّ وجلّ في إنشاء ما أراد إنشاءه من خلقه إلى حين فراغه من إنشاء جميعهم من سبب الدنيا ومدة أزمانها بالشواهد التي استشهدنا بها^(١) من الآثار والأخبار ، وأتينا على القول في مدة ما بعد أن فرغ من خلق جميعه إلى فناء الجميع بالأدلة التي دللنا بها على صحة ذلك من الأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة وغيرهم من علماء الأمة ، وكان الغرض في كتابنا هذا ذكر ما قد بينا أنا ذا كروه من تأريخ الملوك الجبابرة العاصية ربّها عزّ وجلّ والمطبعة ربها منهم ، وأزمان الرسل والأنبياء ، وكنا قد أتينا على ذكر ما به تصحّ التواريخ ، وتعرف به الأوقات والساعات ، وذلك الشمس والقمر اللذان بأحدهما تُدرّك معرفة ساعات الليل وأوقاته ، وبالأخر تُدرّك علم ساعات النهار وأوقاته . فلنقل الآن في أول من أعطاه الله ملكاً ، وأنعم عليه فكفر نعمته ، وجحد ربوبيته ، وعتا على ربه واستكبر ، فسلبه الله نعمته ، وأخزاه وأذله . ثم نُتسبعه ذكر من استنّ في ذلك سنته ، واقتنى فيه أثره ، فأحلّ الله به نعمته ، وجعله من شيعته ، وألحقه به في الخزي والذل . ونذكر من كان بليزائه أو بعده من الملوك المطيعة ربها الحمودة آثارها ، أو من الرسل والأنبياء إن شاء الله عزّ وجلّ .

* * *

فأولهم وإمامهم في ذلك ورئيسهم وقائدهم فيه إبليس لعنه الله .

وكان الله عز وجل قد أحسن^(٢) خلقه وشرفه وكرّمه وملّكه على سماء^(٣) الدنيا والأرض فيما ذُكر ، وجعله مع ذلك من نُخزّان الجنة ، فاستكبر على ربه

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « استشهدناها » .

(٢) ط : « حسن » .

(٣) كذا في ١ ، وفي ط : « السماء الدنيا » .

وإدعى الربوبية، ودعا مَنْ كان تحت يده فيما ذكر إلى عبادته، فسخره الله تعالى شيطاناً رجماً، وشوّه خلقه، وسلبه ما كان حوله، ولعنه وطرده عن سمواته في العاجل، ثم جعل مسكنه ومسكن أتباعه وشيعته في الآخرة نار جهنم، نعوذ بالله من غضبه، ومن عمل يقرب من غضبه، ومن الحور بعد الكور^(١).

٧٩/١

ونبدأ بذكر جميل من الأخبار الواردة عن السلف بما كان الله عز وجل أعطاه من الكرامة قبل استكباره عليه، وادّعائه ما لم يكن له ادّعاؤه، ثم نُسب ذلك ما كان من الأحداث في أيام سلطانه وملكته إلى حين زوال ذلك عنه، والسبب الذي به زال عنه ما كان فيه من نعمة الله عليه، وجميل آلائه^(٢)، وغير ذلك من أموره^(٣)، إن شاء الله مختصراً.

(١) أصله في الحديث: «نعوذ بالله من الحور بعد الكور»، قال ابن الأثير أي من النقصان بعد الزيادة، وقيل: من فساد أمورنا بعد صلاحها، وقيل من الرجوع عن الجماعة بعد أن كنا منهم، وأصله من نقض العمامة بعد لفها». النهاية ١: ٢٦٩.

(٢) ١: «بلائه».

(٣) ط: «أمره»، وما أثبتته عن أ.

ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا والأرض وما بين ذلك

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ،
قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : كان إبليس
من أشرف الملائكة وأكرمهم قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان
سما الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
عن ابن جريج ، عن صالح مولى التوءمة وشريك بن أبي نَمير - أحدهما أو كلاهما -
عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة من الجن وكان إبليس منها ،
وكان يسوس ما بين السماء والأرض .

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن
أبي صالح عن ابن عباس ، وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ، وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : جعل إبليس على سماء الدنيا ، وكان
من قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سمو الجن لأنهم خُزّنوا الجنة ، وكان
إبليس مع ملكه خازناً .

حدثني عبدان المروزي ، حدثني الحسين بن الفرج ، قال : سمعت
أبا معاذ الفضل بن خالد قال : أخبرنا عبيد الله بن سليمان ، قال : سمعت الضحاك
ابن مزاحم يقول في قوله عز وجل : ﴿ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾ (١) ،
قال : كان ابن عباس يقول : إن إبليس كان من أشرف (٢) الملائكة وأكرمهم

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢) كذا في ن وفي ط : « أشرف » .

قبيلة ، وكان خازناً على الجنان ، وكان له سلطان سماء الدنيا ، وكان له سلطان الأرض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا المبارك بن مجاهد أبو الأزهر ، عن شريك بن عبد الله بن أبي نمر ، عن صالح مولى التوءمة ، عن ابن عباس ، قال : إن من الملائكة قبيلة يقال لهم الجن ، فكان إبليس منهم ، وكان يسوس ما بين السماء والأرض فعصى ، فسخه الله شيطاناً رجماً .

ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمة ربه واستكباره عليه
وادعائه الربوبية

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن
ابن جريج : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ﴾^(١) قال : قال ابن جريج :
من يقل من الملائكة إلى إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس ، دعا إلى عبادة نفسه ،
فتزلت هذه الآية في إبليس .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ،
عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ
نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ ، وإنما كانت^(٢) هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال
ما قال ، لعنه الله وجعله رجما ، فقال : ﴿ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي
الظَّالِمِينَ ﴾^(١) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن
معمر ، عن قتادة : ﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ﴾^(١) ،
قال : هي خاصة لإبليس .

(١) سورة الأنبياء ٢٩ .

(٢) ١ : « وكان » .

القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية

فمن الأحداث التي كانت في ملك عدو الله - إذ كان لله مطيعاً - ما ذكر لنا عن ابن عباس في الخبر الذي حدثناه أبو كُرَيْب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : كان إبليس من حيّ من أحياء الملائكة يقال لهم : الجن^(١) خلقوا من نار السموم من بين الملائكة ، قال : وكان اسمه الحارث ، قال : وكان خازناً من خزّان الجنة ، قال : وخلقت الملائكة كلهم من نور غير هذا الحى ، قال : وخلقت الجنّ الذين ذكروا في القرآن من مسارج من نار ، وهو لسان النار الذي يكون في طرفها إذا ألهيت ، قال : وخلق الإنسان من طين ، فأول من سكن الأرض الجنّ فأفسدوا فيها وسفكوا الدماء وقتل بعضهم بعضاً ، قال : فبعث الله إليهم إبليس في جند من الملائكة وهم^(٢) هذا الحى الذين يقال لهم الجن ، فقتلهم إبليس ومن معه حتى ألحقهم بجزائر البحور وأطراف الجبال ، فلما فعل إبليس ذلك اغترّ في نفسه ، وقال : قد صنعت شيئاً لم يصنعه أحد ، قال : فاطلع الله على ذلك من قلبه ، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه .

٨٢/١

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع بن أنس ، قال : إن الله خلق الملائكة يوم الأربعاء ، وخلق الجنّ يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة ، قال : فكفر قوم من الجن ، فكانت الملائكة تهبط إليهم في الأرض فتقتلهم ، فكانت الدماء وكان الفساد في الأرض .

(١) كذا في ١ ، ط وابن الأثير ، بالجيم المعجمة ؛ والخبر في التفسير ١ : ٤٥٥ (المعارف) وانظر حواشيه .

(٢) ط : « فهم » .

ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسولت له نفسه
من أجله الاستكبار على ربه عز وجل

اختلف السلف من الصحابة والتابعين في ذلك ، وقد ذكرنا أحد الأقوال
التي رُويت في ذلك عن ابن عباس ، وذلك ما ذكر الضحاك عنه ، أنه لما قتل
الجن الذين عصوا الله ، وأفسدوا في الأرض وشرّدهم ، أعجبت نفسه ورأى
في نفسه أن له بذلك من الفضيلة ما ليس لغيره .

* * *

والقول الثاني من الأقوال المروية في ذلك عن ابن عباس ، أنه كان ملك
سما الدنيا وسائسها ، وسائس ما بينها وبين الأرض ، ونخازن الجنة ، مع احتجاده في
العبادة ، فأعجب بنفسه ، ورأى أن له بذلك الفضل ، فاستكبر على ربه
عز وجل .

* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن
أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : لما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب
استوى على العرش ، فجعل إبليس على ملك سما الدنيا وكان من قبيلة^(١)
من الملائكة يقال لهم الجن ، وإنما سُمّوا الجن لأنهم خزّان الجنة ، وكان
إبليس مع ملكه خزّاناً ، فوقع في صدره كبر ، وقال : ما أعطاني الله هذا
إلا لمزية ؛ هكذا حدثني موسى بن هارون .

(١) كذا في ط وتاريخ ابن كثير ١ : ٥٥ ، وفي أ : « وكان قبيلة » .

وحدثني به أحمد بن أبي خَيْشَمَةَ ، عن عمرو بن حماد ، قال (١) :
لمزيّة لى على الملائكة . فلما وقع ذلك الكبّر في نفسه اطلع الله عزّ وجلّ
على ذلك منه ، فقال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن ابن
إسحاق ، عن خلّاد بن عطاء ، عن طاوس ، عن ابن عباس ، قال : كان
إبليس قبل أن يركب المعصية من الملائكة اسمه عزّازيل ، وكان من سكان
الأرض ، وكان من أشد الملائكة اجتهاداً ، وأكثرهم علماً ، فذلك الذى
دعاه إلى الكبّر ، وكان من حى يسمّون جنّاً .

وحدثنا به ابن حميد مرة أخرى ، قال : حدثنا سلمة ، عن
ابن إسحاق ، عن خلّاد بن عطاء ، عن طاوس - أو مجاهد أبي الحجاج -
عن ابن عباس وغيره بنحوه ، إلا أنه قال : كان ملكاً من الملائكة اسمه عزّازيل ،
وكان من سكان الأرض وعمّارها ، وكان سكان الأرض فيهم يسمّون الجنّ
من بين الملائكة .

حدثنا ابن المنثى ، قال : حدثنا شيبان ، قال : حدثنا سلام
ابن مسكين ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيّب ، قال : كان إبليس رئيس
ملائكة سماء الدنيا .

* * *

والقول الثالث من الأقوال المروية عنه أنه كان يقول : السبب فى ذلك
أنه كان من بقايا خلق خلقهم الله عزّ وجلّ ، فأمرهم بأمر فأبوا طاعته (٣) .

٨٤/١

* ذكر الرواية عنه بذلك :

(١) : « فقال » .

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) ن : « فأبثوا عنه » .

حدثني محمد بن سنان القرّاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن شبيب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : إن الله خلق خلقاً فقال : اسجدوا لآدم ، فقالوا : لا نفعل ، قال : فبعث الله عليهم ناراً تُحرقهم ، ثم خلق خلقاً آخر فقال : إني خالق بشرأ من طين فاسجدوا لآدم ، فأبوا ، فبعث الله عليهم ناراً فأحرقهم ، قال : ثم خلق هؤلاء فقال : ألا تسجدوا لآدم^(١) ! قالوا : نعم ، قال : وكان إبليس من أولئك الذين أبوا أن يسجدوا لآدم .

وقال آخرون : بل السبب في ذلك أنه كان من بقايا الجنّ الذين كانوا في الأرض ، فسفكوا فيها الدماء ، وأفسدوا فيها ، وعصوا ربهم ؛ فقاتلتهم الملائكة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو سعيد اليمحمديّ إسماعيل بن إبراهيم ، قال : حدثني سوار بن الجعد اليمحمديّ ، عن شهر بن حوشب ، قوله : ﴿ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٢) ، قال : كان إبليس من الجنّ الذين طردتهم الملائكة ، فأسره بعض الملائكة فذهب به إلى السماء .

حدثني علي بن الحسن ، قال : حدثني أبو نصر أحمد بن محمد الخلال ، قال : حدثني سُنيّد بن داود ، قال : حدثنا هُشَيْم ، قال : أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى ، عن موسى بن نُمَيْر وعُمان بن سعيد بن كامل ، عن سعد ابن مسعود ، قال : كانت الملائكة تقاتل الجنّ فسبى إبليس ، وكان صغيراً ، وكان مع الملائكة يتعبد معهم ، فلما أمروا أن يسجدوا لآدم سجدوا وأبى إبليس ، فلذلك قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ﴾^(٣) .

* * *

(١) ١ : « اسجدوا لآدم » .

(٢) سورة الكهف ٥٠

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال كما قال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾^(١) ؛ وجائز أن يكون فسوقه عن أمر ربه كان من أجل أنه كان من الجن ، وجائز^(٢) أن يكون من أجل إعجابه بنفسه لشدة اجتهاده كان في عبادة ربه ، وكثرة علمه ، وما كان أوتي من ملك السماء الدنيا والأرض وخزّن الجنان^(٣) . وجائز أن يكون كان لغير ذلك من الأمور ، ولا يدرك^(٤) علم ذلك إلا بخبر تقوم به الحجة ، ولا خبر في ذلك عندنا كذلك ، والاختلاف في أمره على ما حكينا ورويناه .

وقد قيل : إن سبب هلاكه كان من أجل أن الأرض كان فيها قبل آدم الجن ؛ فبعث الله إبليس قاضياً يقضي بينهم ، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة حتى سمى حكماً ، وسماه الله به ، وأوحى إليه اسمه ، فعند ذلك دخله الكبير ، فتعظم وتكبر ، وألقى بين الذين كان الله بعثه إليهم حكماً البأس والعداوة والبغضاء ، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض أنفسي سنة فيما زعموا ؛ حتى إن حيولهم تخوض في دماهم ، قالوا : وذلك قول الله تبارك وتعالى : ﴿ أَفَعِينَا بِالْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَدْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾^(٥) ؛ وقول الملائكة : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾^(٥) ! فبعث الله تعالى عند ذلك ناراً فأحرقهم . قالوا : فلما رأى إبليس ما نزل بقومه من العذاب عرج إلى السماء ، فأقام عند الملائكة بعد الله في السماء مجتهداً لم يعبد شيئاً من خلقه مثل عبادته ، فلم يزل مجتهداً في العبادة حتى خلق الله آدم ، فكان من أمره ومعصيته ربه ما كان .

٨٦/١

(١) سورة الكهف ٥٠

(٢ - ٢) ساقط من ١ .

(٣) ر : « لا يدري » .

(٤) سورة ق ١٥

(٥) سورة البقرة ٣٠

القول في خلق آدم عليه السلام

وكان مما حدث في أيام سلطانه وملكه خلق الله تعالى ذكره أبانا آدم أباً البشر؛ وذلك لما أراد جلّ جلاله أن يطلع ملائكته على ما قد علم من انطواء إبليس على الكيبر ولم يعلمه الملائكة، وأراد إظهار أمره لهم حين دنا أمره للبور، وملكه وسلطانه للزوال، فقال عزّ ذكره لما أراد ذلك للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، فأجابوه بأن قالوا [له] (١): ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ (٢) فروي عن ابن عباس أن الملائكة قالت ذلك كذلك للذين (٣) قد كانوا عهدوا من أمر الجنّ الذين كانوا سكان الأرض قبل ذلك، فقالوا لربهم جلّ ثناؤه لما قال لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٢) أتجعل فيها من يكون فيها مثل الجنّ الذين كانوا فيها، فكانوا يسفكون فيها الدماء ويفسدون فيها ويعصونك، ونحن نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ، فقال الربّ تعالى ذكره لهم: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢)، يقول: أعلم ما لا تعلمون من انطواء إبليس على التكبر، وعزّمه على خلافه أمرى، وتسويل نفسه له الباطل (٤) واغتراره، وأنا مبدي ذلك لكم منه لترؤوا ذلك منه عياناً.

٨٧/١

وقيل أقوال كثيرة في ذلك، قد حكينا منها جُملاً في كتابنا المسمى: «جامع البيان عن تأويل آي القرآن» (٥)، فكرهنا إطالة الكتاب بذكر ذلك في هذا الموضع.

فلما أراد الله عز وجلّ أن يخلق آدم عليه السلام أمر بربّته أن تؤخذ من الأرض، كما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا

(١) تكلمة من ا

(٢) سورة البقرة ٣٠

(٣) كذا في ا، وفي ط: «الذي».

(٤) ك: «الباطل».

(٥) كذا في ط، وفي ا، ر، ك: «الفرقان».

بشر بن عمارة، عن أبي رَوْق، عن الضحَّاك، عن ابن عباس؛ قال: ثم أمر
- يعنى الربَّ تبارك وتعالى - بتربة آدم فرفعت، فخلق الله آدم من طين
لازب - واللأزب اللَّزج الطيب - من حمماً مسنونٍ؛ مُنتن، قال:
ولإنما كان حمماً مسنوناً بعد التراب، قال: فخلق منه آدم بيده.

حدثني موسى بن هارون، قال: حدثنا عمرو بن حماد، قال:
حدثنا أسباط، عن السُّدى - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن
أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرة الهَمْدَانِي، عن ابن مسعود - وعن ناس
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال: قالت الملائكة: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا
مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ
إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يعنى من شأن إبليس، فبعث الله جبرئيل عليه
السلام إلى الأرض ليأتيه بطين منها، فقالت الأرض: إني أعوذ بالله منك أن تنقص
منى شيئاً وتشتيني، فرجع ولم يأخذ، وقال: يا رب إنها عاذت بك فأعدتها،
فبعث ميكائيل فعاذت منه فأعادها. فرجع، فقال كما قال جبرئيل،
فبعث ملك الموت فعاذت منه، فقال: وأنا أعوذ بالله أن أرجع، ولم أنفذ
أمره، فأخذ من وجه الأرض، وخلط فلم يأخذ من مكان واحد، وأخذ من
تربة حمراء وبيضاء وسوداء، فلذلك خرج بنو آدم مختلفين، فصعد به فبسلَّ
التراب حتى عاد طيناً لازباً - واللأزب هو الذى يلتزق بعضه ببعض - ثم ترك
حتى تغير وأنتن، وذلك حين يقول: ﴿مِنْ حَمَماً مَسْنُونٍ﴾^(١)، قال: مُنتن.

٨٨/١

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا يعقوب القُسمي، عن جعفر بن أبي
المغيرة، عن سعيد بن جبَّير، عن ابن عباس، قال: بعث ربَّ العزة عزَّ
وجلَّ إبليس، فأخذ من أديم الأرض، من عذبتها وميلها^(٢)، فخلق منه آدم،

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) : ١ «ومالها» .

ومن ثمَّ سُمِّيَ آدم ، لأنه خلق من أديم الأرض ، ومن ثمَّ قال إبليس :
﴿أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾^(١) ، أى هذه الطينة أنا جئتُ بها .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا شعبة ، عن
أبي حصين ، عن سعيد بن جببئر ، قال : إنما سُمِّيَ آدم لأنه خلق من أديم
الأرض .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال :
حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جببئر ، قال : خُلِقَ
آدم من أديم الأرض فُسِمِّيَ آدم .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا
عمرو بن ثابت ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ رضي الله عنه ، قال :
إن آدم خُلِقَ من أديم الأرض ، فيه الطيب والصالح والردىء ، فكلّ ذلك
أنت راءٍ في ولده الصالح والردىء .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّة ، عن عوفٍ - وحدثنا
محمد بن بشار وعمر بن شبة ، قالوا : حدثنا يحيى بن سعيد ، قال :
حدثنا عوف . وحدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ ومحمد بن جعفر
وعبد الوهاب الثقفي ، قالوا : حدثنا عوف . وحدثني محمد بن عُمارة الأسديّ ،
قال : حدثنا إسماعيل بن أبان ، قال : حدثنا عَنبَسَة ، عن عوف الأعرابيّ -
عن قَسَامَة بن زُهَيْر ، عن أبي موسى الأشعريّ ، قال : قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم : « إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، فجاء
بنو آدم على قدر الأرض ؛ جاء منهم الأحمر ، والأسود ، والأبيض ، وبين
ذلك . والسهل ، والحزن ، والخبيث ، والطيب ، ثم بُلِّتْ طيبته حتى صارت
طينا لازبا ، ثم تُرِكَت حتى صارت حمأ مسنوناً ، ثم تركت حتى صارت صلصالا

(١) سورة الإسراء ٦١ ، والخبر في التفسير ١٥ : ٨٠ (بولاق) .

كما قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ﴾ (١).

وحدثنا ابن بَشَّار ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد وعبد الرحمن بن مهدي ، قالا : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البَطِين ، عن سعيد بن جُبَيْر ، عن ابن عباس ، قال : خُلِقَ آدَمُ مِنْ ثَلَاثَةِ : مِنْ صَلْصَالٍ ، وَمِنْ حَمَلٍ ، وَمِنْ طِينٍ لَازِبٍ . فَأَمَّا اللَّازِبُ فَالْحَيِّدُ ، وَأَمَّا الْحَمَاءُ فَالْحَمَّةُ ، وَأَمَّا الصَّلْصَالُ فَالتَّرَابُ الْمَدْقَقُ ، وَيَعْنِي تَعَالَى ذَكَرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ﴾ ؛ مِنْ طِينٍ يَابَسَ لَهُ صَلْصَلَةٌ ، وَالصَّلْصَلَةُ : الصَّوْتُ .

وذكر أن الله تعالى ذكره لما خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ تَرَكَهَا أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ، وَقِيلَ أَرْبَعِينَ عَامًا جَسَدًا مَلَقَى .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال : أمر الله تبارك وتعالى بتربة آدم فرفعت ، فخلق آدم من طين لازب من حمإ مسنون . قال : وإنما كان حمأ مسنوناً بعد التراب ؛ قال : فخلق منه آدم بيده ، قال : فكث أربعين ليلة جسداً ملقى ، فكان إبليس يأتيه فيضربه برجله ، فيصلل فيصوت ، قال : فهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ﴾ (٢) ؛ يقول : كالثيء المنفرج الذي ليس بمصمت ، قال : ثم يدخل في فيه ويخرج من دُبُرِهِ ، ويدخل في دُبُرِهِ ويخرج من فيه ، ثم يقول : لست شيئاً للصلصلة ، ولشيء ما خلقت ، ولئن سأطت عليك لأهلكنك ، ولئن سأطت على لأعصينك (٣) .

(١) سورة الحجر ٢٦

(٢) سورة الرحمن ١٤

(٣) الخبر في التفسير ٢٧ : ٧٣ (بولاق) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حمّاد ؛ قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهَمْدَانِيّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال الله للملائكة : ﴿ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ . فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴾ ^(١) ؛ فخلق الله عز وجلّ يديه لكيلا يتكبر إبليس عنه ^(٢) ليقول حين يتكبر : ^(٣) تتكبر عما عملت يدي ولم أتكبر أنا عنه ! فخلقه بشراً ، فكان جسداً من طين أربعين سنة من مقدار يوم الجمعة ، فرت به الملائكة ففرزوا منه لما رأوه ، وكان أشدّهم فرعاً لإبليس ، فكان يمرّ به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخّار تكون له صلصلة ، فذلك حين يقول : ﴿ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ، ويقول : لأمر ما خلقت . ودخل ^{٩١/١} من فيه وخرج من دُبُرِهِ ، فقال للملائكة : لا ترهبوا من هذا ؛ فإن ربكم صَمَدٌ ^(٤) وهذا أجوف ، لئن سلطت عليه لأُهلكنّه ^(٥) .

وحدثنا عن الحسن بن بلال ، قال : حدثنا حمّاد بن سلمة ، عن سليمان التيميّ ، عن أبي عثمان النهديّ ، عن سلمان الفارسيّ ، قال : خمّر الله تعالى طينة آدم عليه السلام أربعين يوماً ، ثم جمعه بيديه ، فخرج طيبه يمينه ، وخبيثه بشماله ، ثم مسح يديه إحداهما على الأخرى ، فخلط بعضه ببعض ، فنّم ثمّ يخرج الطيب من الخبيث ، والخبيث من الطيب .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : يقال - والله أعلم : خلق الله آدم ، ثم وضعه ينظر إليه أربعين يوماً ^(٦) قبل أن ينفخ فيه الروح ، حتى عاد صلصالاً كالفخّار ، ولم تمسه نار ^(٧) ، قال : فلما

(١) سورة ص ٧١ ، ٧٢

(٢) ر ، ن : « عليه » .

(٣) ط : « تكبر » .

(٤) الصمد ، بفتحين : المصمت الذي لا جوف له .

(٥) ر : « لأهلكنّه » .

(٦) ا : « عاماً » .

(٧) ن : « النار » .

مضى له من المدّة ما مضى وهو طين صلصال كالفخّار؛ وأراد عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح؛ تقدّم إلى الملائكة فقال لهم: إذا نفختُ فيه من روحي فقَعُوا له ساجدين .

* * *

فلما نفخ فيه الروح أتته الروح من قبل رأسه ، فيما ذكر عن السلف قبلنا أنهم قالوه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانيّ ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : فلما بلغ الحين الذي أراد^(١) الله عزّ وجلّ أن ينفخ فيه الروح قال للملائكة : إذا نفختُ فيه من روحي فاسجدوا له ، فلما نفخ فيه الروح فدخل الروح ، في رأسه عطس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله عزّ وجلّ له : رحمك ربّك . فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجله عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾^(٢) ، ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴾^(٣) ، ﴿ أَبِي وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾^(٤) ، فقال الله له : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ﴾^(٥) لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي ، قال : أنا خير منه ، لم أكن لأسجدَ لبشر خلقته من طين ، قال الله له : ﴿ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ ﴾ - يعني ما ينبغي لك - ﴿ أَنْ تَتَّكِبَ

٩٢/١

(١) ١ : « يريد » .

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة الحجر ٣١

(٤) سورة البقرة ٣٤

(٥) سورة الأعراف ١٢

فِيهَا فَأَخْرُجُ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١﴾ ، وَالصَّغَارُ الذَّلَّ .

حدثنا أبو كَرَيْب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر بن عُمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحَّاك ، عن ابن عباس ، قال : فلما نفخ الله عزَّ وجلَّ فيه - يعني في آدم - مِنْ رُوحه أتت النفخة من قِبَل رأسه ، فجعل لا يجرى شيء منها في جسده إلا صار لحمًا ودمًا ، فلما انتهت النفخة إلى سرتِه نظر إلى جسده فأعجبه ما رأى من حسنه ، فذهب لينهض فلم يقدر ، فهو قول الله عزَّ وجلَّ ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ^(٢) ، قال : ضجرًا لا صبر له على سراء ولا ضراء ، قال : فلما تمت النفخة في جسده عطس فقال : الحمد لله ربَّ العالمين ، بإلهام الله ، فقال : يرحمك الله يا آدم ، ثم قال للملائكة الذين كانوا مع إبليس خاصة دون الملائكة الذين في السموات : اسجدوا لآدم ؛ فسجدوا كلَّهم أجمعون إلا إبليس أبى واستكبر ، لما كان حدث به نفسه من كبره واغتراره ، فقال : لا أسجد ، وأنا خير منه وأكبر سنًا ، وأقوى خلقًا ، ﴿ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(٣) ، يقول : إن النار أقوى من الطين ، قال : فلما أبى إبليس أن يسجد أبلسه الله تعالى ، أيَّسه ^(٤) من الخير كله ، وجعله شيطانًا رجيمًا عقوبة لمعصيته .

حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فيقال - والله أعلم - : إنه لما انتهى الروحُ إلى رأسه عطس فقال : الحمد لله ، قال : فقال له ربه : يرحمك ربك ، ووقعت الملائكة حين استوى سجوداً له ، حفظاً لعهد الله الذي عهد إليهم ، وطاعة لأمره الذي أمرهم به ، وقام عدوُّ الله إبليس من بينهم ، فلم يسجد متكبراً ^(٥) متعظماً بغياً وحسداً ، فقال : ﴿ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيدِي ﴾ لى قوله : ﴿ لَأَمْلَأَنَّ

(١) سورة الأعراف ١٣

(٢) سورة الأنبياء ٣٧

(٣) سورة ص ٧٦

(٤) ن : « وآيسه » ، ا : « آيسه » .

(٥) ا : « مكابرا » .

جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمِمَّنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١﴾ ، قال : فلما فرغ الله تعالى من إبليس ومعاتبته وأبى إلا المعصية أوقع الله تعالى عليه اللعنة ، وأخرجه من الجنة .

حدثني محمد بن خلف ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي ، عليه السلام . قال أبو خالد : [وحدثني الأعمش عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه] . قال أبو خالد : وحدثني داود بن أبي هند عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدوسي ، قال : حدثني سعيد المقبري ، ويزيد بن هرم عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه أنه قال : «خلق الله عز وجل آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فجلس فغطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك الملائكة فقل لهم : السلام عليكم . فأتاهم فقال : السلام عليكم ، فقالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه عز وجل فقال له : هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم . فلما أظهر إبليس من نفسه ما كان له مخفياً فيها من الكبر والمعصية لربه ، وكانت الملائكة قد قالت لربها عز وجل حين قال لهم : إني جاعل في الأرض خليفة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك . فقال لهم ربهم : إني أعلم ما لا تعلمون ، تبين لهم ما كان عنهم مستتراً ، وعلموا أن فيهم من منه المعصية لله عز وجل والخلاف لأمره .

* *

ثم علم الله عز وجل آدم الأسماء كلها . واختلف السلف من أهل العلم قبلنا في الأسماء التي علمها آدم : أخصاً من الأسماء علم ، أم عاماً ؟ فقال بعضهم : علم اسم كل شيء .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا بشر ابن نمارة ، عن أبي رَوْق ، عن الضحاک ، عن ابن عباس ، قال : علم الله تعالى آدم الأسماء كلها ، وهي هذه الأسماء التي يتعارف بها الناس : إنسان ، ودابة ، وأرض ، وسهل ، وبحر ، وجبل ، وحمار ؛ وأشبه ذلك من الأمم وغيرها .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، حدثنا شريك ، عن عاصم بن كليب ، عن الحسن بن سعد ، عن ابن عباس ، في قوله : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ^(١) ، قال : علمه اسم كل شيء ، حتى الفسوسة والفسسية .

حدثني علي بن الحسن ، حدثنا مسلم الجرمي ^(٢) ، قال : حدثنا محمد بن مصعب ، عن قيس بن الربيع ، عن عاصم بن كليب ، عن سعيد بن معبد ، عن ابن عباس في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء حتى الهنة والهنيئة ، والفسوسة والضرطة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ابن ميمون ، عن ابن أبي نجيع ، عن مجاهد ؛ في قول الله عز وجل : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : ما خلق الله تعالى كله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفیان ، عن خصيف ، عن مجاهد : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ قال : علمه اسم كل شيء .

(١) سورة البقرة ٣١

(٢) ط : « وحدثنا مسلم » ؛ والصواب ما أثبتته عن ا ، والتفسير ١ : ٤٨٤

حدثنا سفيان ، قال : حدثنا أبي ، عن شريك ، عن سالم الأفتس ،
عن سعيد بن جبّير ، قال : علّمه اسم كل شيء ؛ حتى البعير ،
والبقرة ، والشاة .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمر ، عن قتادة في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، ٩٦/١
قال : علّمه اسم كل شيء : هذا جبل ، وهذا بحر ، وهذا كذا ، وهذا كذا ،
لكل شيء ، ثم عرضهم ^(١) على الملائكة ، فقال : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٢) .

حدثنا بشر بن معاذ ، حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ،
قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ حتى بلغ ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ ﴾ ^(٣) ، قال : يا آدم أنبئهم بأسمائهم ، فأبأ كل صنف من الخلق
باسمه ، وألجأه إلى جنسه .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين [بن داود] ^(٤) ؛
قال : حدثنا حجاج ، عن جرير بن حازم ومبارك ، عن الحسن وأبي بكر ،
عن الحسن وقتادة ، قالا : علّمه اسم كل شيء ؛ هذه الخيل ، وهذه البغال ،
والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمي كل شيء برسمه .

* * *

وقال آخرون : بل إنما علّمه اسما خاصا من الأسماء ^(٥) ، قالوا : والذي علّمه
أسماء الملائكة .

• ذكر من قال ذلك :

(١) كذا في ط ، وفي ا ، ر ، س : « ثم عرض تلك الأسماء » .

(٢) سورة البقرة ٣١ .

(٣) سورة البقرة ٣٢ .

(٤) تكلمة من ا

(٥) ن : « الأشياء » .

حدثني عبدة المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا
عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع^(١) ، قوله تعالى : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ
الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء الملائكة .

وقال آخرون مثل قول هؤلاء في أن الذي علّم آدم [من]^(٢) الأسماء
[اسما]^(٣) خاصاً من الأشياء ؛ غير أنهم قالوا : الذي علّم من ذلك أسماء ذريته .
ذكر من قال ذلك :

٩٧/١

حدثني يونس ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في
قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ﴾ ، قال : أسماء ذريته ، فلما
علّم الله آدم الأسماء كتّما عرض الله عزّ وجلّ أهل الأسماء على الملائكة ، فقال
لهم : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤) ، وإنما قال ذلك عزّ
وجلّ للملائكة - فيما ذكر - لقولهم إذ قال لهم : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً ﴾ : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ
بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾^(٥) فعرض - بعد أن خلق آدم عليه السلام
ونفخ فيه الروح ، وعلمه أسماء كل شيء - مما^(٥) خلق من الخلق - عليهم ، فقال لهم :
أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين أنتي إن جعلت منكم خليفتي في الأرض
أطعتموني وسبّحتموني وقرستموني ولم تعصوني ، وإن جعلته من غيركم أفسد
فيها وسفك ، فإنكم إن لم تعلموا ما أسماؤهم وأنتم مشاهدوهم ومعاينوهم ، فأنتم
بالأسماء تعلموا ما يكون من أمرهم - إن جعلت خليفتي في الأرض منكم ، أو من
غيركم إن جعلته من غيركم ، فوهم عن أبصاركم غيب لا ترونهم ولا تعابنونهم ،
ولم تخبروا بما هو كائن منكم ومنهم - أحررى .

* * *

(١) هو أبو جعفر الرازي ، والربيع هو ابن أنس ، وانظر تهذيب التهذيب ٣ : ٢٣٨ ،

١٢ : ٥٦ .

(٤) سورة البقرة ٣٠ .

(٢) تكلمة من ا .

(٣) سورة البقرة ٣١ . (٥) ط « ما خلق » وما أثبتته من ا ، ر .

وهذا قول روى عن جماعة من السلف .
* ذكر بعض من روى ذلك عنه :

٩٨/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي
صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله بن مسعود - وعن ناسٍ
من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ أن بنى آدم
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَيَسْفِكُونَ الدَّمَاءَ .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، قال : حدثنا
بشر بن عمار ، عن أبي رَوْق ، عن الضحَّاك ، عن ابن عباس :
﴿ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ، إن كنتم تعلمون لِمَ أَجْعَلُ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً .

* * *

وقد قيل : إن الله جلَّ جلاله قال ذلك للملائكة لأنه جلَّ جلاله لما ابتدأ
في خلق آدم قالوا فيما بينهم : لِيَخْلُقَ رَبُّنَا مَا شَاءَ أَنْ يَخْلُقَ ، فلنْ يَخْلُقَ خَلْقًا
إِلَّا كُنَّا أَعْلَمُ مِنْهُ ، وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ ، فلما خلق آدم عليه السلام وعلمه أسماء
كلِّ شَيْءٍ عَرَضَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي عَلَّمَ آدَمَ أَسْمَاءَهَا عَلَيْهِمْ ، فقال لهم : أُنْبِئُونِي
بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي قِيْلِكُمْ : إنَّ اللَّهَ لَمْ يَخْلُقْ خَلْقًا إِلَّا كُنْتُمْ أَعْلَمَ
مِنْهُ ، وَأَكْرَمُ عَلَيْهِ مِنْهُ .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال :
حدثنا سعيد ، عن قتادة : قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ
فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ ، فاستشار الملائكة في خلق آدم عليه السلام فقالوا :
﴿ أَنْتَجْمَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدَّمَاءَ ﴾ ، وقد علمت الملائكة من علم الله
أنه لا شيء أكره إلى الله عزَّ وجلَّ من سفك الدماء والفساد في الأرض ،

﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، ٩٩/١
 فكان^(١) في علم الله عز وجل أنه سيكون من تلك الخليفة^(٢) أنبياء ورسول وقوم
 صالحون وساكنو الجنة .

قال : وذُكِرَ لنا أن ابن عباس كان يقول : إن الله تعالى لما أخذ في خلق
 آدم قالت الملائكة : ما الله تعالى بخالق بخالق خلقاً أكرم عليه منا ، ولا أعلم
 منا ، فابتلوا بخلق آدم عليه السلام - وكلّ خلقك مبتلي ، كما ابتليت
 السموات والأرض بالطاعة - فقال الله تعالى : ﴿ إِنِّي آتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا
 أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴾^(٣) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، قال : حدثني حجاج ،
 عن جرير بن حازم ، ومبارك عن الحسن وأبي بكر عن الحسن وقتادة
 قالا : قال الله عز وجل للملائكة : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾
 قال لهم : إني فاعل ، فعرضوا برأيهم ، فعلمهم علماً وطوى منهم علماً عليه
 لا يعلمونه ، فقالوا بالعلم الذي علمهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ
 الدِّمَاءَ ﴾ - وقد كانت الملائكة علمت من علم الله تعالى أنه لا ذنب
 عند الله تعالى أعظم من سفك الدماء - ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ
 قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ، فلما أخذ تعالى في خلق آدم عليه السلام
 همست الملائكة فيما بينهم ، فقالوا : ليخلق ربنا عز وجل ما شاء أن يخلق ، فلن يخلق
 خلقاً إلا كنا أعلم منه ، وأكرم عليه منه ، فلما خلقه ونفخ فيه من روحه أمرهم
 أن يسجدوا له لما قالوا ، ففضله عليهم ، فعلموا أنهم ليسوا بخير منه ، فقالوا :
 إن لم نكن خيراً منه ، فنحن أعلم منه ، لأننا كنا قبله ، وخلقنا الأُمم قبله ،

١٠٠/١

(١) ط : « وكان » وما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ : وفي ط « من ذلك الخليفة » .

(٣) سورة فصلت ١١

فلما أعجبوا بعلمهم ابتلوا ، فعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال : أنبئوني بأسماء هؤلاء ؛ إن كنتم صادقين أنسى لم (١) أخلق خلقاً إلا كنتم أعلم منه ، فأخبروني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين . قالا (٢) : ففزع القوم إلى التوبة ، وإليها يفزع كل مؤمن ، فقالوا : ﴿ سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ . قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿ (٣) . لقولهم : ليخلق ربنا ما شاء ، فمن يخلق خلقاً أكرم عليه منّا ، ولا أعلم منّا ، قال : علمه اسم كل شيء : هذه الخيل ، وهذه البغال ، والإبل ، والجن ، والوحش ، وجعل يسمي كل شيء باسمه ، وعرضت عليه أمة أمة ، قال : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، قال : أما ما أبدوا فقولهم : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ؛ وأما ما كتّموا فقولهم (٤) بعضهم لبعض : نحن خير منه وأعلم .

حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه (٥) ، عن الربيع بن أنس : ﴿ ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ ؛ قال : وذلك حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ إلى قوله ﴿ وَنُقَدِّسُ لَكَ ﴾ . قال : فلما عرفوا أنه جاعل في الأرض خليفة قالوا بينهم : لن يخلق الله تعالى خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم عليه ، فأراد الله تعالى أن يخبرهم أنه قد فضل عليهم آدم ، وعلمه الأسماء كلها ؛ وقال

١٠١/١

(١) : « لا أخلق » .

(٢) ط : « قال » وما أثبتته عن ا .

(٣) سورة البقرة ٣٢ ، ٣٣ .

(٤) ا ، ن : « فقول بعضهم » . (٥) هو أبو جعفر الرازي (عيسى بن أبي عيسى) .

للملائكة : ﴿ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ ، فكان الذي أبدوا حين قالوا : ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ﴾ ، وكان الذي كتموا بينهم [قولهم] ^(١) : لن يخلق ربنا خلقاً إلا كنا نحن أعلم منه وأكرم ، فعرفوا أن الله عز وجل فضل عليهم آدم في العلم والكرم .

فلما ظهر للملائكة من استكبار إبليس ما ظهره ، ومن خلافه أمر ربه ما كان مستتراً عنهم من ذلك ، عاتبه ^(٢) ربه على ما أظهر من معصيته إياه بركة السجود لآدم ، فأصر على معصيته ، وأقام على غيه ^(٣) وطغيانه - لعنه الله - فأخرجه من الجنة ، وطرده منها ، وسلبه ما كان أتاه من ملك السماء الدنيا والأرض ، وعزله عن خزن الجنة فقال له جل جلاله : ﴿ فَأَخْرِجْ مِنْهَا ﴾ ، يعني من الجنة ﴿ فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾ ^(٤) ، وهو بعد في السماء لم يهبط إلى الأرض .

وأسكن ^(٥) الله عز وجل حينئذ آدم جنته ؛ كما حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأخرج إبليس من الجنة حين لعن وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها وحشياً ^(٦) ليس له زوج يسكن إليها ، فنام نومة فاستيقظ ؛ فإذا عند رأسه امرأة قاعده خلقها الله من ضلعه ، فسألها : ما أنت ^(٧) ؟ قالت : امرأة ، قال : ولم تخلقت ؟ قالت :

(١) تكلمة من أ

(٢) ط : « وعاتبه » ؛ وما أثبتته عن أ

(٣) س : « عيبه » .

(٤) سورة الحجر ٣٤ ، ٣٥

(٥) ط : « فأسكن » ، وما أثبتته عن أ

(٦) كذا في أ ، س ، وفي ط والتفسير : « وحشاً » .

(٧) ر والتفسير : « من أنت ؟ » .

لتسكن^(١) إلى ، قالت له الملائكة ينظرون ما بلغ علمه : ما اسمها يا آدم ؟ قال : حواء ، قالوا : لم سميت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حتى ، فقال الله تعالى : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا ﴾ . (٢)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة^(٣) ، عن ابن إسحاق ، قال : لما فرغ الله تعالى من معاتبة إبليس أقبل على آدم عليه السلام وقد علمه الأسماء كلها ، فقال : ﴿ يَا آدَمُ أَنْبِئُهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ ﴾ إلى ﴿ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾^(٤) ، قال : ثم ألقى السنّة على آدم - فيما بلغنا عن أهل الكتاب من أهل التوراة وغيرهم من أهل العلم - عن عبد الله بن العباس وغيره ، ثم أخذ ضِلَعًا من أضلاعه من شقه الأيسر ، ولأم مكانها لحمًا ، وآدم عليه السلام نائم لم يهب من نومته ، حتى خلق الله تعالى من ضِلَعِهِ تلك زوجة حواء ، فسوّاها امرأة ليسكن إليها ، فلما كشف عنه السنّة وهب من نومته رآها إلى جنبه ، فقال - فيما يزعمون والله أعلم : لحمي ودمي وزوجتي ، فسكن إليها ، فلما زوجه الله عز وجل وجعل له سكنًا من نفسه ، قال له قُبَلًا^(٥) : ﴿ يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكَلَّا مِنْهَا رَعْدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى^(٦) ، عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد^(٧) في قوله عز وجل : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا ﴾

١٠٣/١

(١) ر : « تسكن » .

(٢) سورة البقرة ٣٥ ، والخبر في التفسير ١ : ٥١٣ .

(٣) هو سلمة بن الفضل .

(٤) سورة البقرة ٣٣ ؛ وفي الأصول : إلى (إنك أنت العليم الحكيم) ؛ وهو من الآية

التي قبلها .

(٥) قبلا ، أي عيانا ، وانظر تفسير ابن كثير ١ : ٧٨ .

(٦) هو عيسى بن ميمون .

(٧) هو مجاهد بن جبر .

زَوْجَهَا»^(١). قال : حواء من قُصِيرَى^(٢) آدم ، وهونائم فاستيقظ فقال :
«أنا» بالنَّبْطِيَّة ، امرأة .

حدثنا المثنى^(٣) ، قال : حدثنا أبو حذيفة^(٤) ، قال : حدثنا شبيل^(٥) ،
عن ابن أبي نَجِيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْع ، قال : حدثنا
سعيد^(٦) ، عن قتادة : ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ، يعني حواء ، خلقت من
آدم من ضِلَعٍ من أضلاعه .

(١) سورة النساء ١ .

(٢) القصيرى : أسفل الأضلاع .

(٣) المثنى بن إبراهيم الأمل .

(٤) أبو حذيفة (موسى بن مسعود الهنلى) .

(٥) شبيل بن عباد الحل .

(٦) سعيد بن أبي عزوبة .

القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام

وابتلائه إياه بما امتحنه به من طاعته، وذكر ركوب آدم معصية ربه بعد الذي كان أعطاه من كرامته وشريف المتزلة عنده، ومكّنه في جنته من رغد العيش وهنيئه، وما أزال ذلك عنه، فصار من نعيم الجنة ولذيذ رغد العيش إلى نكد عيش أهل الأرض وعلاج الحرّاة والعمل بالمسّاحي والزراعة فيها .

فلما أسكن الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام وزوجه أطلق لهما أن يأكلا كلّ ما شاء أكله من كل ما فيها من ثمارها، غير ثمر شجرة واحدة ابتلاءً منه لهما بذلك، وليرضى قضاء الله فيهما وفي ذريتهما، كما قال عزّ وجلّ :

﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١)، فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما أكل ما نهاهما ربّهما عن أكله من ثمر تلك الشجرة، وحسّن لهما معصية الله في ذلك، حتى أكلا منها؛ فبدت لهما من سوء آتئها ما كان مؤارياً^(٢) عنهما منها .

١٠٤/١

فكان^(٣) وصول عدوّ الله إبليس إلى تزوين ذلك لهما ما ذكر في الخبر الذي حدثني موسى بن هارون الهمداني، قال : حدثنا عمرو بن حماد، قال : حدثنا أسباط، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس - وعن مرّة الهمداني، عن ابن مسعود - وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قال : لما قال الله عزّ وجلّ لآدم : ﴿ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾، أراد إبليس أن يدخل عليهما الجنة

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) س : « متوارياً » .

(٣) ١ : « وكان » .

فمنعه الخنزرة، فأتى الحية؛ وهي دابة لها أربع قوائم، كأنها البعير؛ وهي كأحسن الدواب فكلمها أن تدخله في فمها حتى تدخل به إلى آدم، فأدخلته في فمها، فمرت الحية على الخنزرة [فدخلت] ^(١) وهم لا يعلمون، لِمَا أراد الله عز وجل من الأمر، فكلمته من فمها ولم يبالي كلامه، فخرج إليه فقال: ﴿يَا آدَمُ هَلْ أَذْكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى﴾ ^(٢)، يقول: هل أذلك على شجرة إن أكلت منها كنت مسلِكاً مثل الله تبارك وتعالى أو تكونا ^(٣) من الخالدين فلا تموتان أبداً. وحلف لهما بالله

إني لكما لمن الناصحين، وإنما أراد بذلك أن يبدي ^(٤) لهما ما توارى عنهما من سوءاتهما بهتسك ^(٥) لباسهما، وكان قد علم أن لهما سوءة لما كان يقرأ من كتب الملائكة، ولم يكن آدم يعلم ذلك، وكان لباسهما الظنفر، فأبى آدم أن يأكل منها، فتقدمت حواء فأكلت، ثم قالت: يا آدم كُلْ؛ فإني قد أكلت، فلم يضرني، فلما أكل بدت لهما سوءاتهما، وطفقا يخصمان عليهما من ورق الجنة ^(٦).

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن ليث ابن أبي سليم، عن طاوس اليماني، عن ابن عباس، قال: إن عدو الله إبليس عرض نفسه على دواب الأرض: أيها ^(٧) تحمله حتى تدخل به الجنة حتى يكلتم آدم وزوجه، فكل الدواب أبى ذلك عليه، حتى كلم الحية، فقال لها: أمنعك من بني آدم، فأنت في ذمتي إن أنت أدخلتني الجنة، فجعلته بين نابيين من أنيابها ثم دخلت به، فكلمهما من فمها ^(٨) وكانت كاسية تمشي على أربع قوائم، فأعراها الله تعالى وجعلها تمشي على بطنها، قال: يقول ابن عباس: اقتلوا حيث وجدتموها، وأخفروا ذمة عدو الله فيها ^(٩).

(١) تكله من أ

(٢) سورة طه ١٢٠

(٣) أ، س، ن: «أو تكون».

(٤) أ، ن والتفسير: «بذلك ليدي» س: «ذلك ليدي».

(٥) س: «لهتك».

(٦) الخبر في التفسير ١: ٥٢٧.

(٧) س، ن: «أنها تحمله».

(٨) أ والتفسير: «من فيها».

(٩) الخبر في التفسير ١: ٥٣٠.

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق (١) ، قال : أخبرنا
عمر بن عبد الرحمن بن مَهْرَب (٢) ، قال : سمعت وهب بن منبّه يقول :
لما أسكن الله تعالى آدم وزوجته الجنة ، ونهاه عن الشجرة ، وكانت شجرة
غصونُها متشعب بعضها في بعض ، وكان لها ثمر تأكله الملائكة لخلدهم (٣) ،
وهي الثرة التي نهي الله عنها آدم وزوجته ، فلما أراد إبليس أن يسترتهما دخل
في جوف الحية ، وكان للحية أربع قوائم ، كأنها بُخْتِيَّة من أحسن دابة
خلقها الله تعالى ، فلما دخلت الحية الجنة خرج من جوفها إبليس ، فأخذ
من الشجرة التي نهي الله عنها آدم وزوجته ، فجاء بها إلى حواء ، فقال :
انظري إلى هذه الشجرة ، ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها !
فأخذت حواء فأكلت منها ، ثم ذهبت بها إلى آدم ، فقالت : انظر إلى هذه
الشجرة ما أطيب ريحها ، وأطيب طعمها ، وأحسن لونها ! فأكل منها آدم ،
فبدت لهما سواتهما ، فدخل آدم في جوف الشجرة ، فناداه ربُّه : يا آدم ،
أين أنت ؟ قال : أنا هذا يا رب ، قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحي منك
يا رب ، قال : ملعونة الأرض التي خلقت منها لعنة حتى يتحول ثمارها شوكاً !
قال : ولم يكن في الجنة ولا في الأرض شجرة كانت أفضل من الطلح والسدر .
ثم قال : يا حواء ، أنت التي غررتِ عبدى ، فإنك لا تحمليين حملاً إلا
حملته كرهاً ، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفتِ على الموت مراراً . وقال
للحيه : أنت التي دخل الملعون في بطنك حتى غرّ عبدى ، ملعونة أنت لعنة
حتى تتحول قوائمك في بطنك ، ولا يكن لك رزق إلا التراب ، أنتِ عدوة
بني آدم وهم أعداؤك ، حيث لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه ، وحيث
لقيك شدّخ رأسك (٤) .

(١) هو عبد الرزاق بن همام . (٢) في ط : « معمر بن عبد الرحمن بن مهران » ؛
وصوابه ما أثبتته من أ ؛ وهو يوافق ما في التفسير .
(٣) كذا في التفسير ؛ وفي ط : « مجلدهم » .
(٤) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٥ ، وانظر حواشيه .

قيل لوهب^(١) : وما كانت الملائكة تأكل ؟ قال : يفعل الله ما يشاء .

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين بن داود ، ١٠٧/١
 قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : نهى
 الله تعالى آدم وحواء أن يأكلا من شجرة واحدة في الجنة ، ويأكلا منها رغداً
 حيث شاءا ، فجاء الشيطان فدخل في جوف الحية ، فكلتم حواء ، ووسوس
 إلى آدم فقال : ﴿ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا
 مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ . وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾^(٢)
 قال : فقطعت حواء الشجرة فدميت الشجرة ، وسقط عنهما رياشهما الذي كان عليهما ،
 ﴿ وَطَفِقَا يَخْضِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا
 عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلُّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ أَعْدُوٌّ مُبِينٌ ﴾^(٣) لم أكلتها
 وقد نهيتك عنها ؟ قال : يا رب أطعمتني حواء ، قال لحواء : لم أطعمتني ؟ قالت :
 أمرتني الحية ، قال للحية : لم أمرتها ؟ قالت : أمرني إبليس ، قال : ملعونٌ مدحورٌ !
 أما أنت يا حواء ، فكما أدميت الشجرة تدُميين في كل هلال ، وأما أنت
 يا حية ، فأقطع قوائمك فتمشين جرياً على وجهك ، وسيشدخ رأسك من
 لقيك بالحجر ، اهبطوا بعضكم لبعض عدو^(٤) .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي
 جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، قال : حدثني محدث أن الشيطان دخل الجنة
 في صورة دابة ذات قوائم ، فكان يُرى أنه البعير ، قال : فلعن ، فسقطت
 قوائمه فصار حية^(٤) .

حدثت عن عمار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن

(١) التفسير : « قال عمر قيل لوهب ... »

(٢) سورة الأعراف ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢

(٣) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٠ .

(٤) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

أبيه ، عن الربيع قال : وحدثني أبو العالية ؛ قال : إن من الإبل ما كان أولها من الجن . قال : فأبيحت له الجنة كلها - يعني آدم - إلا الشجرة ، وقيل لهما : ﴿ لَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾^(١) ، قال : فأتى الشيطان حواء فبدأ بها ، فقال : نهيتا عن شيء ؟ قالت : نعم ، عن هذه الشجرة ، فقال : ﴿ مَا نَهَا كَمَا رَبُّكُمْ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَتَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾^(٢) . قال : فبدأت^(٣) حواء فأكلت منها ، ثم أمرت آدم فأكل منها . قال : وكانت شجرة ، من أكل منها أحدث ، قال : ولا ينبغي أن يكون في الجنة حدث^(٤) ، قال : ﴿ فَأَزَلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ﴾^(٥) ، قال : فأخرج آدم من الجنة^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم أن آدم عليه السلام حين دخل الجنة ورأى ما فيها من الكرامة ، وما أعطاه الله منها ؛ قال : لو أنا خُلدنا^(٧) ! فاغتمز فيها منه الشيطان لما سمعها منه ، فأتاه من قبيل الخلد^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حَدَّثْتُ^(٩) أن أول ما ابتدأهما به من كيدِهِ إياهما أنه نأح عليهما نياحة أحزنتهما^(١٠) حين سمعاها ، فقالا له : ما يُبْكِيك ؟ قال : أبكى عليكما ،

(١) سورة البقرة ٣٥

(٢) سورة الأعراف ٢٠

(٣) كذا في الأصول ، وفي التفسير : « فبدأت » .

(٤) ن : « شيء من الحدث » .

(٥) سورة البقرة ٣٦

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٧) كذا في ط ؛ وفي ا ، س ، ن : « لو أن خلدنا » ، وفي التفسير : « لو أن

خلدا كان » .

(٨) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٨

(٩) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٩

(١٠) ا ، س « حزنتهما » .

تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعمة والكرامة . فوقع ذلك في أنفسهما ، ثم أتاهما فوسوس إليهما ، فقال : يا آدم هل أدلتك على شجرة الخلد وملك لا يبلى ؟ وقال : ﴿ مَا تَهَابَا كَمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ﴾ . وَقَاسَمَهُمَا إِيَّيَ لَكَمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴿ ١٠٩/١ ﴾ ، أى تكونان ملكين أو تخلدان ، أى إن لم تكونا ملكين في نعمة الجنة فلا تموتان (١) يقول الله عز وجل : ﴿ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ ﴾ .

حدثني يونس (٢) ، قال أخبرنا ابن وهب (٣) ، قال : قال ابن زيد (٤) في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ فَوَسَّوَسَ ﴾ : وسوس الشيطان إلى حواء في الشجرة حتى أتى بها إليها ، ثم حسنها في عين آدم ، قال : فدعاها آدم لحاجته ، قالت : لا : إلا أن تأتي ها هنا ، فلما أتى قالت : لا ، إلا أن تأكل من هذه الشجرة ، قال : فأكلا منها ، فبدت لهما سوءاتهما . قال : وذهب آدم هارباً في الجنة ، فناداه ربُّه : يا آدم ، أمنتى نفرة ؟ قال : لا يارب ، ولكن حياءً منك ، قال : يا آدم ، أتتى أتييت ؟ قال : من قبل حواء يارب ، فقال الله عز وجل : فإن لها على أن أدميتها في كل شهر مرة ، كما أدمت (٥) هذه الشجرة ، وأن أجعلها سفية ، وقد كنت خلقتها حليمة ، وأن أجعلها تحمل كرهاً وتضع كرهاً ، وقد كنت جعلتها تحمل يسراً وتضع يسراً . قال ابن زيد : ولولا البليَّةُ التي أصابت حواء لكان نساءُ أهل الدنيا لا يحضن ، ولكنَّ حليمات ، ولكنَّ يحملن يسراً ، ويضعن يسراً (٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة (٧) ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله بن قُسيِّط ، عن سعيد بن المسيَّب ، قال : سمعته يحلف بالله ما يستثنى : ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل ، ولكن حواء سقتنه

(١) في التفسير : « أى تكونا ملكين أو تخلدا إن لم تكونا ملكين » .

(٢) يونس بن عبد الأهل .

(٣) هو عبد الله

(٤) هو عبد الرحمن زيد بن أسلم .

(٥) في التفسير : « كما أدميت » .

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٢٩ .

(٧) هو سلمة بن الفضل الأبرش .

١١٠/١ الخمر حتى إذا سكير قادته إليها ، فأكل منها^(١) . فلما واقع آدم^(٢) وحواء الخطيئة ، أخرجهما الله تعالى من الجنة وسلبهما ما كانا فيه من النعمة والكرامة ، وأهبطهما وعدوهما إبليس والحية إلى الأرض ، فقال لهم ربهم : اهبطوا بعضكم لبعض عدو .

• • •

وكالذي قلنا في ذلك قال السلف من أهل العلم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثنا عبد الرحمن ابن مهدي ، عن إسرائيل^(٣) عن إسماعيل السدي ، قال : حدثني من سمع ابن عباس يقول : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾^(٤) ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية .^(٥)

حدثنا سفيان بن وكيع ، وموسى بن هارون ، قالا : حدثنا عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدي - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾ ، فلعن الحية فقطع قوائمها ، وتركها تمشي على بطنها ، وجعل رزقها من التراب ، وأهبط إلى الأرض آدم وحواء وإبليس والحية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى بن ميمون ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله عز وجل : ﴿ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوًّا ﴾ ، قال : آدم وحواء وإبليس والحية^(٦) .

(١) - الخبر إلى هنا في التفسير ١ : ٥٣٠ .

(٢) ر : « فلما وقع من آدم » . (٣) إسرائيل بن يونس .

(٤) سورة البقرة ٣٦ .

(٥) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٦ .

(٦) الخبر في التفسير ١ : ٥٣٥ .

القول في قدر مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عز وجل إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض

قد تظاهرت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن الله عز وجل خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وأنه أخرجته فيه من الجنة، وأهبطه إلى الأرض فيه، وأنه فيه تاب عليه، وفيه قبضه.

* * *

• ذكر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك :

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : حدثنا علي بن معبد ، قال : حدثنا عبيد الله بن عمرو ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل عن سعيد بن سعد بن عبادة ، عن سعد بن عبادة ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : « إن في الجمعة خمس خلال : فيه خلقت آدم ، وفيه أهبط إلى الأرض ، وفيه توفي الله آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها ربه شيئاً إلا أعطاه الله إياه ؛ ما لم يسأل إثمًا أو قطيعة ، وفيه : تقوم الساعة ، وما من ملك مقرب . ولا سماء ولا جبل ولا أرض ولا ريب ؛ إلا مشفق من يوم الجمعة » .

حدثني محمد بن بشار ومحمد بن معمر ، قالا : حدثنا أبو عامر ، حدثنا زهير بن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عبد الرحمن بن يزيد الأنصاري ؛ عن أبي لبابة بن عبد المنذر ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « سيد الأيام يوم الجمعة ، وأعظمها وأعظم عند الله من يوم الفطر ويوم النحر ؛ وفيه خمس خلال : خلق الله تعالى فيه آدم ، وأهبطه فيه إلى الأرض ، وفيه توفي الله تعالى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل الله العبد شيئاً إلا أعطاه إياه ما لم يكن حراماً . وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرب ولا سماء ولا أرض ولا جبال ولا رياح ولا بحر إلا وهو مشفق من يوم الجمعة ، أن تقوم فيه الساعة » . واللفظ لحديث ابن بشار .

حدثنا محمد بن معمر ، قال : حدثنا أبو عامر ، قال : حدثنا زهير
ابن محمد ، عن عبد الله بن محمد بن عقيل ، عن عمرو بن شرحبيل بن
سعید بن سعد بن عبادة ، عن أبيه ، عن جده ، عن سعد بن عبادة ، أن
رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، أخبرنا عن يوم
الجمعة ، ماذا (١) فيه من الخير؟ فقال : « فيه خلق آدم ، وفيه أهبط آدم ،
وفيه توفى آدم ، وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئاً إلا أعطاه (٢) الله إياه ، ما لم
يسأل مأثماً أو قطيعة ، وفيه تقوم الساعة ؛ ما من ملك مقرب ولا سماء ولا
أرض ولا جبال ولا ريح إلا هنَّ يُسْفِقن من يوم الجمعة » .

حدثني عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكيم ، قال : حدثنا
أبو زُرْعَةَ ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن عبد الرحمن الأعرج ،
أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « خير يوم طلعت
الشمس عليه يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أدخل الجنة وأخرج منها » .

حدثني بحر بن نصر ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن أبي
الزناد ، عن أبيه ، عن موسى بن أبي عثمان ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم : « سيد الأيام يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه أدخل
الجنة ، وفيه أخرج منها ، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة » .

١١٣/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا شعيب بن الليث ، قال : حدثنا
الليث بن سعد ، عن جعفر بن ربيعة ، عن عبد الرحمن بن هرْمَز ، أنه
قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم
تطلع الشمس على يوم مثل يوم الجمعة ؛ فيه خلق آدم ، وفيه أخرج من الجنة ،
وفيه أعيد فيها » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ومغيرة ، عن
زياد بن كليب أبي معشر ، عن إبراهيم ، عن القُرَظَعِ الضَّبِّيِّ — وكان القرظع

(١) : « ماروى فيه » .

(٢) : « آتاه الله » .

من القراء الأولين — قال : قال سلمان : قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، يقوها ثلاثاً : « يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ فيه جمّع أبوك » ، أو « أبوكم » .

حدثنى محمد بن عُمارة الأسدى ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى قال : أخبرنا شيبان ، عن يحيى ، عن أبي سلمة ، أنه سمع أبا هريرة يحدث أنه سمع كعباً يقول : خيرُ يومٍ طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم عليه السلام ، وفيه دخل الجنة ، وفيه أخرج منها ، وفيه تقوم الساعة . ١١٤/١

حدثنى الحسين بن يزيد الأدمى^(١) ، قال : حدثنا روح بن عبادة ، قال : حدثنا زكرياء بن إسحاق ، عن عمرو بن دينار ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن أول يوم طلعت فيه شمس يوم الجمعة ، وهو أفضل الأيام : فيه خلق الله تعالى ذكره آدم ، خلقه على مثل صورته ، فلما فرغ عطس آدم فألقى الله تعالى عليه الحمد ، فقال الله : يرحمك ربك .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا إسحاق بن منصور ، عن أبي كديسة ، عن مغيرة ، عن زياد ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن القرئع ، عن سلمان ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدرى ما يوم الجمعة ؟ هو يوم جمّع فيه أبوك » ، أو « أبوكم آدم » عليه السلام .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان بن سعيد ، عن أبي الأحوص ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة^(٢) ، قال : قال سلمان . قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا سلمان ، أتدرى ما يوم الجمعة ؟ » مرتين أو ثلاثاً ، قال : « هو اليوم الذى جمّع فيه أبوكم آدم » ، أو « جمّع فيه أبوكم » .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا حسن بن عطية ، قال : حدثنا قيس ، عن الأعمش ، عن إبراهيم . عن القرئع ، عن سلمان ، قال : قال

(١) س : « زيد » ، ب : « الحسن بن يزيد الأزدى » ؛ ولم يقع لى وجه الصواب فيما لى من كتب التراجم . (٢) علقمة بن قيس .

رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدري ما الجمعة ^(١) » ؟ أو قال : كذا ،
« فيها جمَعَ أبوكم آدم » .

حدثنا محمد بن علي بن الحسن بن شقيق ، قال : سمعت أبي يقول :
أنخبرنا أبو حمزة ^(٢) ، عن منصور ^(٣) ، عن إبراهيم ^(٤) ، عن القرظع ^(٥) ،
عن سلمان ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أتدري ما يوم
الجمعة ؟ » قلت : لا ، قال : « فيه جمع أبوك » .

١١٥/١

-
- (١) كذا في ١ ، وفي ط : « ما يوم الجمعة » .
(٢) محمد بن ميمون أبو حمزة السكري .
(٣) منصور بن المعتمر .
(٤) إبراهيم النخعي .
(٥) القرظع الضبي .

ذكر الوقت الذي فيه خلق آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط إلى الأرض

اختلف في ذلك، فروى عن عبد الله بن سلام وغيره في ذلك ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا ابن إدريس، قال: أخبرنا محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير يوم طلعت فيه^(١) الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أسكن الجنة، وفيه أهبط، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة - [يقللها] -^(٢) لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى فيها خيراً إلا آتاه الله إياه»، فقال عبد الله بن سلام: قد علمت أي ساعة هي، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة، قال الله عز وجل: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴾^(٣).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسد بن عمرو؛ عن محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو سلمة، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم نحوه، وذكر فيه كلام عبد الله بن سلام بنحوه.

حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثنا أبو عاصم، قال: حدثنا عيسى، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله عز وجل: ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾، قال: قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم [الجمعة]^(٤)؛ خلق الخلق، فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ولم يبلغ أسفله، قال: يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس.

(١) ن: « عليه ».

(٢) تكله من ١، والتفسير، وفي ابن كثير: « يقبض أصابعه يقللها ».

(٣) سورة الأنبياء ٣٧، والمهبر في التفسير ١٧، ٢١ (بولاق). وتفسير ابن كثير ٣: ١٧٩.

(٤) تكله من ١، س.

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن^(١) ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : آدم حين خُلِقَ بعد كل شيء ، ثم ذكره نحوه ؛ غير أنه قال في حديثه : استعجل بخُلُقِي ، قد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ﴾ ، قال : على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين - يريد يوم الجمعة - وخلقه على عَجَلَةٍ^(١) وجعله عجولا .

* * *

وقد زعم بعضهم أن الله عزّ وجلّ أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مَضَّتَا من نهار يوم الجمعة ، وقيل لثلاث ساعات مَضَيْنَ منه ، وأهبطه إلى الأرض لسبع ساعات مضين من ذلك اليوم ، فكان مقدار مَكْتُمَهُمَا في الجنة خمس ساعات منه . وقيل : كان ذلك ثلاث ساعات . وقال بعضهم : أخرج آدم عليه السلام من الجنة الساعة التاسعة أو العاشرة

* ذكر من قال ذلك :

١١٧/١

قال أبو جعفر : قرأتُ على عبدان بن محمد المروزيّ ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أنس عن أبي العالية ، قال : أخرج آدم من الجنة للساعة التاسعة أو العاشرة ، فقال لي : نعم ؛ لخمسَةِ أيام مضين من نَيْسَان .

فإن كان قائل هذا القول أراد الله أن تبارك وتعالى أسكن آدم وزوجته الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجُمعة من أيام أهل الدنيا التي هي على

(١) هو الحارث بن محمد روى عن الحسن بن موسى الأشيب . تاريخ بغداد ٢ : ٢١٨ .

(٢) ١ : «عجل» .

ما [هى] ^(١) به اليوم ؛ فلم يبعد قوله من الصواب في ذلك ؛ لأن الأخبار إذا كانت واردة عن السلف من أهل العلم ، بأن آدم خلِق في آخر ساعة من اليوم السادس من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا . فعلوم أن الساعة الواحدة من ساعات ذلك اليوم ثلاثة وثمانون عاماً من أعوامنا ، وقد ذكرنا أن آدم بعد أن خَمَّر ربنا عزَّ وجلَّ طينته بقى قبل أن ينفخ فيه الروح أربعين عاماً ؛ وذلك لا شك أنه عَسَى به من أعوامنا وسنيننا ، ثم [من] ^(١) بعد أن نفخ فيه الروح إلى أن تنهى أمره ، وأُسكن الفردوس ، وأهبط إلى الأرض - غير مستنكر أن يكون كان مقداره من سنيننا قدر خمس وثلاثين سنة . فإن كان أراد أنه أُسكن الفردوس لساعتين مضتا من نهار يوم الجمعة من الأيام التي مقدار اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا ، فقد قال غير الحق ، وذلك أن جميع مَنْ حَفِظَ له قول في ذلك من أهل العلم ؛ فإنه كان يقول إنَّ آدم نفخ فيه الروح في آخر النهار من يوم الجمعة قبل غروب الشمس من ذلك اليوم . ثم الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم متظاهرة بأن الله تبارك وتعالى أسكنه الجنة فيه ، وفيه أهبطه إلى الأرض . فإن ^(٣) كان ذلك صحيحاً ، فعلوم أن آخر ساعة من نهار يوم من أيام الآخرة ومن الأيام التي اليوم الواحد منها مقداره ألف سنة من سنيننا ، إنما هي ساعة بعد مَضَى إحدى عشرة ساعة ، وذلك ساعة من اثنتى عشرة ساعة ، وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر من سنيننا ؛ فآدم صلوات الله عليه إذ كان الأمر كذلك ؛ إنما خلِق لمضى إحدى عشرة ساعة من نهار يوم الجمعة من الأيام التي اليوم الواحد منها ^(٢) ألف سنة من سنيننا ، فكث جسداً ملقى لم يُنفخ فيه الروح أربعين عاماً من أعوامنا . ثم نفخ فيه الروح . فكان مكثه في السماء بعد ذلك ومقامه في الجنة ؛ إلى أن أصاب الخطيئة وأهبط إلى الأرض ثلاثاً وأربعين سنة من سنيننا وأربعة أشهر ، وذلك ساعة من ساعات يوم من الأيام الستة التي خلق الله تعالى فيها الخلق .

(١) تكلمة من ا

(٢) في الأصول : « منه » .

(٣) ١ : « فإذ » .

وقد حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال :
حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ،
قال : خرج آدم من الجنة بين الصلاتين : صلاة الظهر وصلاة العصر ،
فأنزل إلى الأرض وكان مكثه في الجنة نصف يوم يوم من أيام الآخرة ، وهو
خمسمائة سنة ، من يوم كان مقداره اثنتي عشرة ساعة ، واليوم ألف سنة
مما يعدّ أهل الدنيا ، وهذا أيضاً قولٌ خلاف ما وردت به الأخبار عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم ، وعن السلف من علمائنا .

القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها

ثم إن الله عزّ وجلّ أهبط آدم قبل غروب الشمس من اليوم الذي خلقه فيه -
وذلك يوم الجمعة - من السماء مع زوجته ، وأنزل آدم - فيما قال علماء سلف
أمة نبينا صلى الله عليه وسلم - بالهند .
• ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك منهم :

٢٢٠ - حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال :
أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أهبط الله عزّ وجلّ آدم إلى الأرض ، وكان
مهبطه بأرض الهند . ١٢٠/١

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عمران بن عيينة ، قال : أخبرنا
عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : إن أول ما
أهبط الله تعالى آدم أهبطه بدّهنا أرض الهند .

حدثت عن حمّار ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ،
عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالقة ، قال : أهبط آدم إلى الهند .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا الحجاج ، قال : حدثنا حماد بن
سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال :
قال علي بن أبي طالب عليه السلام : أطيب أرض في الأرض ريحا أرض
الهند ، أهبط بها آدم ، فعلق شجرها من ريح الجنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن
محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم
بالهند ، وحواء بجُدّة ، فجاء في طلبها حتى اجتمعا^(١) ، فازدلفت إليه حواء ، فلذلك

(١) ن : « جمعا » ، س : « جسمها » .

سميت المزدلفة ، وتعارفا بعرفات ، فلذلك سميت عرفات ، واجتمعا بجمعا
فلذلك سميت جمعا . قال : وأهبط آدم على جبل بالهند يقال له بؤوذ .

حدثنا أبو همام^(١) ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ،
عن أبي يحيى بائع القت ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثنا عبد الله بن عباس
أن آدم نزل حين نزل بالهند .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وأما
أهل التوراة فإنهم قالوا : أهبط آدم بالهند على جبل يقال له واسم^(٢) ، عند
واد يقال له بهيل^(٣) بين الدهنج والمندل : بلدين بأرض الهند . قالوا :
وأهبطت حواء بجدة من أرض مكة .

١٢١/١

وقال آخرون : بل أهبط آدم بسرنديب ، على جبل يدعى بؤوذ، وحواء
بجدة من أرض مكة ، وإبليس بميسان^(٤) ، والحية بأصبهان . وقد قيل : أهبطت
الحية بالبرية ، وإبليس بساحل بحر الأبلّة^(٥) .

وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يحيى عجيء الحجة ، ولا يعلم خبر
في ذلك ورد كذلك ؛ غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند ؛ فإن ذلك
مما لا يدفع صحته علماء^(٦) الإسلام وأهل التوراة والإنجيل ، والحجة قد ثبتت
بأخبار بعض هؤلاء

وذُكر أن الجبل الذي أهبط عليه آدم عليه السلام ذروته من أقرب ذرأ
جبال الأرض إلى السماء ، وأن آدم حين أهبط عليه كانت رجلاه عليه ورأسه
في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسييحهم ؛ فكان آدم يأنس بذلك ، وكانت

(١) هو أبو همام الوليد بن شجاع ، وشجاع هو ابن الوليد بن قيس .

(٢) واسم ، ذكره ياقوت ، وقال : « جبل بين الدهنج والمندل من أرض الهند » .

(٣) ر : « نهيل » .

(٤) ميسان ، بالفتح ثم السكون : اسم لكورة واسعة بين البصرة وواسط . معجم البلدان

٨ : ٢٢٤ .

(٥) الأبلّة ، بضم أوله وتشديد اللام وفتحها : بلد على شاطئ دجلة بالبصرة . معجم

البلدان ١ : ٨٩ .

الملائكة تهابه ، فنُقِصَ من طول آدم لذلك .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا هشام بن حسان ، عن سَوَّارِخْتَنَ عطاء ، عن عطاء بن أبي رباح ، قال : لما أهبط الله عز وجل آدم من الجنة كان رجلاه في الأرض ، ورأسه في السماء ، ١٢٢/١ يسمع كلام أهل السماء ودعاهم ، يأنس إليهم ، فهابته الملائكة حتى شكَّتْ إلى الله تعالى في دعائها وفي صلاتها ، فخفضه إلى الأرض ، فلما فقد ما كان يسمع منهم استوحش حتى شكَا ذلك إلى الله عز وجل في دعائه وفي صلاته ، فوجَّه إلى مكة فصار (١) موضع قدمه قرية ، وخطوته (٢) مفازة ، حتى انتهى إلى مكة ، وأنزل الله تعالى ياقوتة من ياقوت الجنة ، فكانت على موضع البيت الآن ، فلم يزل يطوف به حتى أنزل الله تعالى الطوفان ، فرفعت تلك الياقوتة حتى بعث الله تعالى إبراهيم الخليل عليه السلام فبناه ، فذلك قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ (٣) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر (٤) ، عن قتادة ، قال : وضع الله تعالى البيت مع آدم ، فكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض ، فكانت الملائكة تهابه ، فنُقِصَ إلى ستين ذراعاً ، فحزن آدم إذ فقد أصوات الملائكة وتسييحهم ، فشكا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم ، إنني أهبط لك (٥) بيتاً تطوف به كما يطاف حول عرشي ، وتصلني عنده كما يصلني عند عرشي . فانطلق إليه آدم عليه السلام ، فخرج ومد له في خطوه ، فكان بين كل خطوة مفازة ، فلم تزل تلك المفاوز (٦) بعد ذلك ، فأتى آدم عليه السلام البيت ، فطاف به ومن بعده [من] (٧) الأنبياء .

(١) : « فكان » .

(٢) : « وخطوه » .

(٣) سورة الحج ٢٦ (٤) معمر بن راشد البحراني .

(٥) ن : « اليك » .

(٦) س : « المفازة » .

(٧) تكلمة من ا ، ن .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما حُطَّ من طول آدم عليه السلام إلى ستين ذراعاً أنشأ يقول : ربّ ، كنتُ جارَك في دارك ؛ ليس لي ربّ غيرك ، ولا رقيب دونك ، آكل فيها رغداً ، وأسكن حيث أحببت ، فأهبطتني إلى هذا الجبل المقدس ، فكنت أسمع أصوات الملائكة ، وأراهم كيف يحفون بعرشك ، وأجد ريح الجنة وطيبها ، ثم أهبطتني إلى الأرض ، وحططتني إلى ستين ذراعاً ، فقد انقطع عني الصوت والنظر ، وذهب عني ريح الجنة . فأجابه الله عزّ وجلّ : لمعصيتك^(١) يا آدم فعلت ذلك بك . فلما رأى الله تعالى عُرَى آدم وحواء أمره أن يذبح كبشاً من الضأن من الثمانية الأزواج التي أنزل من الجنة ، فأخذ كبشاً فذبحه ، ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ، ونسجه هو وحواء ، فنسج آدم جبّة لنفسه ، وجعل لحواء درعاً وخميراً ، فلبسا ذلك ، وأوحى^(٢) الله تعالى إلى آدم أن لي حرماً بجبال عرشي ، فانطلق فابن لي فيه بيتاً ، ثم حفّ به كما رأيت ملائكتي يحفون بعرشي ، فهناك أستجيب لك ولولدك ؛ مَنْ كان مهتم في طاعتي ، فقال آدم : أي ربّ ، فكيف لي بذلك ، لست أقوى عليه ولا اهتدي له ! فقيّض الله له ملكاً ؛ فانطلق به نحو مكة ، فكان آدم إذا مرّ بروضة^(٣) ومكان يُعجبه قال للملك : انزل بنا هنا ، فيقول له الملك : مكانك ، حتى قدم مكة ، فكان كل مكان نزل به صار عمراناً ، وكل مكان تعدّاه صار مفاوز وقفارا ، فبنى البيت من خمسة أجبل : من طور سيناء وطور زيتون ولبنان والحدودي ، وبنى قواعده من حراء ، فلما فرغ من بنائه خرج به الملك إلى عرفات ؛ فأراه المناسك كلّها التي تفعلها الناس اليوم ، ثم قدم به مكة ؛ فطاف بالبيت أسبوعاً ،^(٤) ثم رجع إلى أرض الهند ، فمات على بوذ^(٥) .

(١) س ، وابن الأثير ١ : ٢٣ (فيما نقل عن الطبري) : « بمعصيتك » .

(٢) ط : « فأوحى » وما أثبتته من أ .

(٣) أ : « مروضة » .

(٤) ر : « أسبوعاً سبعا » .

(٥) كذا ورد في الأصول ؛ وفي معجم البلدان : « نوذ ، بالفتح ثم السكون وذال معجمة :

جبل بسرنديب عنده مهبط آدم عليه السلام ، وهو أخصب جبل في الأرض ؛ ويقال : أمرع في =

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القَتِّ ، قال : قال لي مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس أن آدم عليه السلام نزل حين نزل بالهند ، ولقد حجَّ منها أربعين حجةً على رجله ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، ألا كان يركب ؟ قال : فأى شيء كان يحمل ! فوالله إن خطوه مسيرة ثلاثة أيام ، وإن كان رأسه ليلبغ السماء ، فاشتكت الملائكة نَفْسَه ، فهمزه الرحمن همزةً ؛ فتطأاً مقدار أربعين سنة .

حدثني صالح بن حرب أبو معمر مولى بني هاشم ، قال : حدثنا ثمامة بن عبيدة السلمى ، قال : أخبرنا أبو الزبير ، قال : قال نافع : سمعت ابن عمر ، يقول : إن الله تعالى أوحى إلى آدم عليه السلام وهو ببلاد الهند^(١) : أن حجَّ هذا البيت . فحجَّ آدم من بلاد الهند ، فكان كلما وضع قدمه صار قرية ، وما بين خطوَيْتَيْه مفازة ، حتى انتهى إلى البيت فطاف به ، وقضى المناسك كلها ، ثم أراد الرجوع إلى بلاد الهند فضى ، حتى إذا كان بمأزَمَى عرفات ؛ تلقَّته الملائكة ؛ فقالوا : بَرَّ حَجَّكَ يا آدم ! فدخله من ذلك عجب ، فلما رأت الملائكة ذلك منه قالوا : يا آدم ، إنا قد حجَّجْنَا هذا البيت قبل أن تُخَلِّقَ بألَى سنة ، قال : فتفاصرت إلى آدم نفسه .

وذكر أن آدم عليه السلام أهبط إلى الأرض ، وعلى رأسه إكليل من شجر الجنة ، فلما صار إلى الأرض ، وبيس الإكليل ؛ تحاتَّ ورقة فنبت^(١) منه أنواع الطيب .

وقال بعضهم : بل كان ذلك ما أخبر الله عنهما ، أنهما جعلتا يَخْصِفَانِ عليهما من ورق الجنة ، فلما بيس ذلك الورق الذى خصَّفاه عليهما تحاتَّ فنبت من ذلك الورق أنواع الطيب . والله أعلم .

* * *

= الأرض ؛ ويقال : أمرع من نوذ . وقال ابن الأثير ١ : ٢٤ « نود ؛ بضم النون وسكون الواو وآخره دال مهيَّلة » ؛ وفى س : « قال الطبرى : الذى حدثنا به فى أمر الجبل أن اسمه نوذ ؛ بالنون ، قال : ولكن اسم الموضع بالباه ؛ وهو بوذ . »

(١) أبو الزبير محمد بن مسلم بن تدرس الأمدى ، ونافع مولى ابن عمر . (٢) ١ : « فنبئت . »

وقال آخرون : [بل] ^(١) لما علم آدم أن الله عز وجل مهبطه إلى الأرض ، جعل لا يمر بشجرة من شجر الجنة إلا أخذ غصناً من أغصانها ، فهبط إلى الأرض وتلك الأغصان معه ، فلما يبس ورقها تحات ، فكان ذلك أصل الطيب .

ذكر من قال ذلك :

٢٣٢ - حدثنا أبو همام ، قال : حدثنا أبي ، قال : حدثنا زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القت قال : قال [لى] ^(١) مجاهد : لقد حدثني عبد الله ابن عباس ، أن آدم حين خرج من الجنة كان لا يمر بشيء إلا عبث به ، فقيل للملائكة : دعوه فليترود منها ما شاء ، فترل حين نزل بالهند ، وإن هذا الطيب الذى يُجاء به من الهند مما خرج به آدم من الجنة .

* * *

* ذكر من قال : كان على رأس آدم عليه السلام حين أهبط من الجنة لإكليل من شجر الجنة :

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ^(٢) ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، قال : خرج آدم من الجنة ، فخرج منها ومعه عصا من شجر الجنة ، وعلى رأسه تاج أو لإكليل من شجر الجنة ، قال : فأهبط إلى الهند ، ومنه كل طيب بالهند .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : هبط آدم عليه - يعنى على الجبل الذى هبط عليه - ومعه ورق من ورق الجنة ، فبثه فى ذلك الجبل ، فنه كان أصل الطيب كله ، وكل فاكهة لا توجد إلا بأرض الهند .

١٢٦/١

(٢) أبو جعفر الرازى التميمى .

(١) من أ .

* * *

وقال آخرون : بل زوده الله من ثمار الجنة ، فمارنا هذه من تلك الثمار .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن أبي عديّ وعبد الوهاب ^(١) ومحمد بن جعفر ، عن عوف ^(٢) ، عن قسامة بن زهير ، عن الأشعري ^(٣) ، قال : إن الله تبارك وتعالى لما أخرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة ، وعلمه صنعة كل شيء ، فماركم هذه من ثمار الجنة ؛ غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير .

* * *

وقال آخرون : إنما علق بأشجار الهند طيب ريح آدم عليه السلام .

* ذكر من قال إنما صار الطيب بالهند لأن آدم حين أهبط إليها
علّق بأشجارها طيب ريحه :

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نزل آدم عليه السلام معه ريح الجنة ، فعلق بشجرها وأوديتها وامتلأ ما هنالك طيباً ، فمن ثم يؤتى بالطيب من ريح الجنة .
وقالوا : أنزل معه من طيب الجنة .

وقال : أنزل معه الحجر الأسود ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وعصا موسى ، وكانت من آس الجنة ؛ طولها عشرة أذرع على طول موسى ، ومُرّ ولَبان ^(٤) ، ثم أنزل عليه بعد ذلك العلاءَ والمِطْرَقَةَ والكَلْبِتَان ^(٥) ، فنظر آدم

(١) عبد الوهاب بن عبد المجيد بن الصلت (٢) هو عوف الأعرابي (٣) هو أبو موسى الأشعري .
(٤) المر : صمغ شجرة تكون ببلاد العرب ؛ شبيهة بالشوكة المصرية ، تشرط فتخرج منها هذه الصمغة . واللبان : هو العلك الذي يعضغ ؛ وشجرته تسمى الكندر ، طولها قدر ذراعين ، تعقر بالفأس فيظهر في مواضع العقر اللبان فيجتني . المعتمد في الأدوية ٣٠٠ ، ٣٤٠ .
(٥) العلاء : السندان ؛ حجراً كان أو حديداً . والمِطْرَقَةُ : من أدوات الحداد أو الصائغ يطرق بها . والكَلْبِتَان : ما يأخذ به الحداد الحديد الحمى .

حين أهبط على الجبل إلى قضيب من حديد نابت على الجبل ، فقال : هذا من هذا ، فجعل يكسِر أشجاراً قد عتقت وييست بالمطرقة ، ثم أوقد على ذلك الغصن حتى ذاب ، فكان أوّل شيء ضربه مُدَيّة ، فكان يعمل بها ، ثم ضرب التنّور ، وهو الذى ورثه نوح ، وهو الذى فار بالعذاب بالهند . وكان آدم حين هبط يمسح رأسه السماء ، فمن ثمّ صلّح ، وأورث ولده الصلّح ونفرت من طوله دوابّ البرّ ، فصارت وحشاً من يومئذ ، وكان آدم عليه السلام وهو على ذلك الجبل قائم يسمع أصوات الملائكة ، ويجد ريح الجنة ، فحطّ من طوله ذلك إلى ستين ذراعاً ، فكان ذلك طوله إلى أن مات . ولم يُجمع حسن آدم عليه السلام لأحد من ولده إلا ليوسف عليه السلام .

وقيل : إن من الثمار التى زوّد الله عزّ وجلّ آدم عليه السلام حين أهبط إلى الأرض ثلاثين نوعاً ؛ عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوّى ، وعشرة لاقشور لها ولا نوّى . فأما التى فى القشور منها فالجوز ، واللوز ، والفستق ، والبندق ، والخشخاش ، والبلّوط ، والشاهلوط ، والرّانج ، والرمان ، والموز . وأما التى لها نوّى منها فالخوخ ، والمشمش ، والإجاص ، والرّطب ، والغيراء ، والنبق ، والزّعور ، والعتاب ، والمُقل ، والشاهلوج . وأما التى لاقشور لها ولا نوّى فالتفّاح ، والسفرجل ، والكمثرى ، والعب ، والتوت ، والتين ، والأترج ، والخرنوب ، والخيار ، والبطيخ .

وقيل : كان مما أخرج آدم معه من الجنة صرة من حنطة ؛ وقيل : إن الحنطة إنما جاءه بها جبرئيل عليه السلام بعد أن جاع آدم ، واستطعم ربّه ، فبعث الله إليه مع جبرئيل عليه السلام بسبع حبات من حنطة ، فوضعها فى يد آدم عليه السلام ، فقال آدم لجبرئيل : ما هذا ؟ فقال له جبرئيل : هذا الذى أخرجك من الجنة ، وكان وزن الحبة منها مائة ألف درهم وثمانمائة درهم ، فقال آدم : ما أصنع بهذا ؟ قال : انثره فى الأرض ففعل ، فأنبته الله عزّ وجلّ من ساعته ، فحجرت سنةً فى ولده البئر فى الأرض ، ثم أمره فحصدّه ، ثم أمره فجمعه وفركه بيده ، ثم أمره أن يذرّه ، ثم أتاه بججرين فوضع أحدهما على الآخر

فطحنه ، ثم أمره أن يعجنه ، ثم أمره أن يخبزه مَلَّةً^(١) ، وجمع له جبرئيل عليه السلام الحجر والحديد ففدحه ، فخرجت منه النار ، فهو أول مَنْ خبز المَلَّةَ .

* * *

وهذا [القول]^(٢) الذى حكيناه عن قائل هذا القول ، خلاف ما جاءت به الروايات عن سلف أمة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن المثنى بن إبراهيم حدثنى أن إسحاق^(٣) حدثه ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا سفيان بن عيينة وابن المبارك ، عن الحسن بن عمار ، عن المهال بن عمرو ، وعن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت الشجرة التى نهى الله عنها آدم وزوجته السنبلة ، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما ، وكان الذى وارى عنهما من سوءاتهما أظفارهما ، وطفقا يخلصان عليهما من ورق الجنة ، ورق التين يُلصقان^(٤) بعضها إلى بعض ، فانطلق آدم مولياً فى الجنة ، فأخذت برأسه شجرة من الجنة^(٥) فناداه : يا آدم ، أمنى تفرّ؟ قال : لا ، ولكنى استحييتك يا ربّ ، قال : أما كان لك فيما منحتك من الجنة وأبحتك منها مندوحة عما حرمت عليك ! قال : بلى يا ربّ ، ولكن وعزتك ما حسبت أن أحداً يحلف بك كاذباً ، قال - وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكَمَّ لَمِينٌ النَّاصِحِينَ ﴾^(٦) - قال : فبعزتى لأهبطنك إلى الأرض ، فلا تنال العيش إلا كدّاً . قال : فأهبط من الجنة ، وكانا يأكلان فيها رَعْدًا ، فأهبط إلى غير رعد من طعام وشراب ، فعلم صنعة الحديد ، وأمير بالحرث فحرث وزرع ثم سقى ، حتى إذا بلغ حصده ، ثم داسه ، ثم ذراه ، ثم طحنه ، ثم عجنه ، ثم خبزه ، ثم أكله ، فلم يبلغه حتى بلغ منه ما شاء الله أن يبلغ^(٧) .

(١) يريد بخبز الملة ما يصنع فى الرماد أو الجمر من الخبز .

(٢) تكلّة من ا .

(٣) هو إسحاق بن يوسف الأزرق .

(٤) ا : « يلزقان » .

(٥) س : « فى الجنة » .

(٦) سورة الأعراف ٢١ . (٧) الخبر فى التفسير ١٢ : ٣٥٤ - ٣٥٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد^(١) ، قال : أهبط إلى آدم ثور أحمر ، فكان يحدث عليه ، ويمسح العرق عن جبينه ، فهو الذي قال الله عز وجل : ﴿ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴾ ؛ فكان ذلك شقاؤه .

فهذا الذي قاله هؤلاء هو أوّل بالصواب ، وأشبّه بما دلّ عليه كتاب ربنا عز وجل ، وذلك أن الله عز ذكره لما تقدم إلى آدم وزوجته حواء بالنبى عن طاعة عدوّهما ، قال لآدم : ﴿ يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى * إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى * وَأَنْتَ لَا تَطْمَأُنُّ فِيهَا وَلَا تَتَضَحَّى ﴾^(٢) ، فكان معلوماً أنّ الشقاء الذى أعلمه أنه يكون إن أطاع عدوّه إبليس ، هو مشقة الوصول إلى ما يُزِيل الجوع والعُرَى عنه ؛ وذلك هى الأسباب التى بها يصل أولاده إلى الغذاء ، من حرّاة وبذر وعلاج وسقى ، وغير ذلك من الأسباب الشاقة المؤلمة . ولو كان جبّريئيل أتاه بالغذاء الذى يصل إليه بيّذره دون سائر المؤن غيره ، لم يكن هناك من الشقاء الذى توعّده به ربه على طاعة الشيطان ومعصية الرحمن كبير خطب^(٣) ، ولكن الأمر^(٤) كان - والله أعلم - على ما روينا عن ابن عباس وغيره .

١٣٠/١

* * *

وقد قيل : إن آدم عليه السلام نزل معه السنّدان ، والكلبتان ، والميقعة^(٥) ، والمطرقة .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين^(٦) ، عن علباء بن أحمر ؛ عن عكرمة ؛ عن ابن عباس قال : ثلاثة أشياء نزلت مع آدم عليه السلام : السنّدان ، والكلبتان ، والميقعة ، والمطرقة .

(١) هو يعقوب القسى ، روى عن جعفر بن أبى المغيرة عن سعيد بن جبير ، وانظر ص ٤٩ ، ٩٠ .

(٢) سورة طه ١١٧ - ١١٩ . (٣) س : « حظ » .

(٤) كذا فى ١ ، وفى ط : « لأمر » . (٥) الميقعة : خشبة القصار يدق عليها .

(٦) هو الحسين بن واقد .

ثم إن الله عزّ ذكره فيما ذكر أنزل آدم من الجبل الذي أهبطه عليه إلى سفحه ، وملكه الأرض كلها ، وجميع ما عليها من الجنّ والبهايم والدوابّ والوحش والطير وغير ذلك ، وأن آدم عليه السلام لما نزل من رأس ذلك الجبل ، وفقد كلام أهل السماء ، وغابت عنه أصوات الملائكة ، ونظر إلى سعة الأرض وبسطها ، ولم ير فيها أحداً غيره ، استوحش فقال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامراً يسبّجك غيري !

فأجيب بما حدثني المثنى بن إبراهيم ، قال : أخبرنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد

ابن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن آدم لما أهبّط إلى الأرض فرأى سعتها ولم ير فيها أحداً غيره قال : يا ربّ ، أما لأرضك هذه عامراً يسبّج بحمدك ويقدم لك غيري ! قال الله : إني سأجعل فيها من ولدك مَنْ يسبّج بحمدى ويقدمنى ،

١٣١/١

وسأجعل فيها بيتاً تُرفع لذكرى ، ويسبّح فيها خلقي ، ويذكر فيها اسمي ، وسأجعل من تلك البيوت بيتاً أخصّه بكرامتى ، وأوثره باسمي ، وأسميه بيتي ،

أنطقه بعظمتي ، وعليه وضعتُ جلالى . ثم أنا مع ذلك فى كلّ شيء ومع كلّ شيء ؛

أجعل ذلك البيت حرماً آمناً يحرم بحرمته مَنْ حوله ومن تحته ومن فوقه ، فمن حرّمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ، ومن أخاف أهله فيه فقد أخفّر (١)

ذمتي ، وأباح حرمتي (٢) . أ جعله أول بيت وُضع للناس ببطن مكة مباركاً ، يأتونه شعثاً غيراً على كلّ ضامر ، من كلّ فج عميق ، يرجون بالتلبية رجياً ،

ويشجون بالبكاء ثجياً ، ويعجون بالتكبير عجبياً ، فمن اعتمده ولا يريد (٣)

غيره فقد وفد إلى وزارنى وضافنى (٤) ، وحقّ على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه ، وأن يسعف كلاً بحاجته . تعمّر يا آدم ما كنت حياً ، ثم تعمّر الأمم والقرون والأنبياء من ولدك أمة بعد أمة ، وقرناً بعد قرن .

ثم أمر آدم عليه السلام - فيما ذكر - أن يأتى البيت الحرام الذى أهبّط

(١) أخفّر الذمة ، أى نقضها .

(٢) فى ك بعدها : « واستوجب بذلك عقوبتى » .

(٣) ١ : « لا يريد » .

(٤) ضافنى ، أى نزل بى ضيفاً ، وفى ك : « فقد وفى لى وزاد فى ضيافى » .

له إلى الأرض ، فيطوف به كما كان يرى الملائكة تطوف حول عرش الله ، وكان ذلك ياقوته واحدة أو درة واحدة ؛ كما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر^(١) ، عن أبان ، أن البيت أهبط ياقوته واحدة أو درة واحدة ، حتى إذا أغرق الله قوم نوح رفعه وبقي أساسه ، فبواه الله عز وجل لإبراهيم فبناه ، وقد ذكرت الأخبار الواردة بذلك فيما مضى قبل .

١٣٢/١

* * *

فذكر أن آدم عليه السلام بكى واشتد بكاءه على خطيئته ، وندم عليها ، وسأل الله عز وجل قبول توبته ، وغفران خطيئته ، فقال في مسألته إياه : ما سألت من ذلك ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية^(٢) ، عن قيس ، عن ابن أبي ليلى^(٣) ، عن المنهال ، عن سعيد بن جببر ، عن ابن عباس : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ﴾^(٤) قال : أى رب ، ألم تخلقني بيدك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تنفخ في من روحك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسكنني جنتك ؟ قال : بلى ، قال : أى رب ، ألم تسبق رحمتك غضبك ؟ قال : بلى ، قال : أرأيت إن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة ؟ قال : بلى ، قال : فهو قوله تعالى : ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ .

حدثني بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، عن سعيد ، عن قتادة ، قوله تعالى ﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ ذكر لنا أنه قال : يا رب : أرأيت إن أنا تبت وأصلحت ! قال : إذآ أرجعك^(٥) إلى الجنة ، قال : وقال الحسن : إنهما قالا : ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(٦) .

حدثنا أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا سفيان وقيس^(٧) ، عن خُصيف ، عن مجاهد ، في قوله عز وجل :

(١) معمر بن راشد .

(٢) هو الحسن بن عطية .

(٣) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، روى عن المنهال بن عمرو .

(٤) سورة البقرة ٣٧ . (٥) ١ : « أرجعك » . (٦) سورة الأعراف ٢٣ .

(٧) سفيان الثوري وقيس بن سليم .

﴿ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ ﴾ قال: قوله: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أنزل آدم معه حين أهبط من الجنة الحجر الأسود^(١) ، وكان أشدّ بياضاً من الثلج ، وبكى آدم وحواء على ما فاتهما - يعنى من نعيم الجنة - مائتى سنة ، ولم يأكلا ولم يشربا أربعين يوماً ، ثم أكلا وشربا ، وهما يومئذ على بؤذ؛ الجبل الذى أهبط عليه آدم ولم يقرب حواء مائة سنة .

حدثنا أبو همام ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني زياد بن خيثمة ، عن أبي يحيى بائع القت؛ قال : قال لى مجاهد ، ونحن جلوس فى المسجد: هل ترى هذا؟ قلت: يا أبا الحجاج ، الحجر؟ قال : كذلك تقول؟ قلت : أو ليس حجراً ! قال : فوالله لحدثني عبدُ الله بن عباس أنها يا قوته بياضاً ، خرج بها آدم من الجنة ، كان يمسح بها دموعه ، [و]^(٢) أن آدم لم ترقأ دموعه^(٣) منذ خرج من الجنة حتى رجع إليها ألفتى سنة ، وما قدر منه إبليس على شيء ، فقلت له : يا أبا الحجاج ، فمن أى شيء اسود؟ قال : كان الخبيث يلمسونه فى الجاهلية . فخرج آدم عليه السلام من الهند يوم البيت الذى أمره الله عزّ وجلّ بالمصير إليه ، حتى أتاه ، فطاف به ، ونسك المناسك ، فذكر أنه التقي هو وحواء بعرفات ، فتعارفا بها ، ثم ازدلف إليها بالمزدلفة ، ثم رجع إلى الهند مع حواء ، فاتخذتا مغارة يأويان إليها فى ليلتهما ونهارهما ، وأرسل الله إليهما ملكاً يعلمهما ما يلبسانه ويستتران به ، فزعموا أن ذلك كان من جلود الضأن والأنعام والسباع . وقال بعضهم : إنما كان ذلك لباس أولادهما ، فأما آدم وحواء فإن لباسهما كان ما كانا خصصنا على أنفسهما من ورق الجنة . ثم إن الله عزّ ذكره مسح ظهر آدم عليه السلام بينبعمان من عرفة ؛ وأخرج

(١) : ١ « أنزل آدم من الجنة الحجر الأسود » .

(٢) من ١

(٣) رقاً الدمع : جف ، وفى ١ : « لم ترقأ عينه » .

ذريته ، فنهرهم بين يديه كالذرّ ، فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ١٣٤/١
 أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَى ، كَمَا قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ۱﴾ .

وقد حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : حدثنا الحسين بن محمد ، قال : حدثنا جرير بن حازم ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد ابن جبّير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : أخذ الله الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها ، فنهرهم بين يديه كالذرّ ، ثم كلمهم قبلاً ^(٢) ، وقال : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿ إِنَّا كُنَّا بِهَذَا غَافِلِينَ ﴾ ۗ ۱﴾ .

حدثني عمران بن موسى القزاز ، حدثنا عبد الوارث بن سعيد ، قال : حدثنا كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ۱﴾ ، قال : مسح ربنا ظهر آدم ، فخرجت كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان هذه - وأشار بيده - فأخذ مواثيقهم ، وأشهدهم على أنفسهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ويعقوب بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن عديّة ، عن كلثوم بن جبر ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ۗ ۱﴾ ، قال : مسح ظهر آدم فخرج كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة بنعمان ، هذا الذي وراء عرفة ، وأخذ ميثاقهم : أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ شَهِدْنَا ، واللفظ لحديث يعقوب . ١٣٥/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمران بن عيسى ، عن عطاء ،

(١) سورة الأعراف ١٧٢ ، ١٧٣ .

(٢) قبلا ، أي عيانا ومشاهدة ، وانظر اللسان ١٤ : ٥٤ .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٣ .

عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : أهبط آدم حين أهبط ففسح الله ظهره ، فأخرج منه كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، ثم قال : ألسنت بربكم؟ قالوا : بلى ، ثم نلى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ؛ فجف القلم من يومئذ بما هو كائن إلى يوم القيامة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس [في] (١) ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، قال : لما خلق الله عز وجل آدم عليه السلام أخذ ذريته من ظهره مثل الذر ، فقبض قبضتين ، فقال لأصحاب اليمين : ادخلوا الجنة بسلام ، وقال للآخرين : ادخلوا النار ولا أبالي .

حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، قال : حدثنا روح بن عبادة وسعد بن عبد الحميد بن جعفر ، عن مالك بن أنس ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب ، عن مسلم بن يسار الجهنني ؛ أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سئل عن هذه الآية : ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، فقال عمر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «إن الله خلق آدم ثم مسح على ظهره بيمينه واستخرج منه ذرية ، فقال : خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ، ثم مسح على ظهره فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون» ، فقال رجل : يا رسول الله ، فقيم العمل ؟ قال : «إن الله تبارك وتعالى إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة ، [حتى يموت على عمل من عمل أهل الجنة] (٢) فيدخله الجنة ، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من عمل أهل النار فيدخله النار» (٣) .

* * *

وقيل : إنه أخذ ذرية آدم عليه السلام من ظهره بدحنا .

(١) تكملة من ١

(٢) تكملة من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٢٢٣

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكام^(١) ، قال : حدثنا عمرو بن قيس ، عن عطاء ، عن سعيد ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ . قال : لما خلق الله عز وجل آدم مسح ظهره بدحنا^(٢) فأخرج من ظهره كل نسمة هو خالقها إلى يوم القيامة ، فقال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا : بلى ، قال : فيرون يومئذ ، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة^(٣) .

* * *

وقال بعضهم : أخرج الله ذرية آدم من صلبه في السماء قبل أن يهبطه إلى الأرض ، وبعد أن أخرجه من الجنة .

ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾ ، قال : أخرج الله آدم من الجنة ولم يهبطه من السماء ، ثم لانه مسح من آدم صفحة ظهره اليمنى ، فأخرج منه ذرية كهيئة الدرّ بيضاء مثل اللؤلؤ ، فقال لهم : ادخلوا الجنة برحمتي ، ومسح صفحة ظهره اليسرى ، فأخرج منه كهيئة الدرّ سوداً ، فقال : ادخلوا النار ولا أبالي . فذلك حين يقول : « أصحاب اليمين » و « أصحاب الشمال » . ثم أخذ الميثاق فقال : ألسنت بر بكم ؟ قالوا بلى ، فأعطاه طائفة طائعين ، وطائفة على وجه التقيّة^(٤) .

١٣٧/١

(١) حكام بن مسلم . (٢) بمعجم البلدان : دحنا : بفتح أوله وسكون ثانيه

ونون ، وألفه يروى فيها المد والقصر : أرض خلق الله منها آدم .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٢٨

(٤) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤٢

ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض

فكان أول ذلك قتل قابيل بن آدم أخاه هاويل ، وأهل العلم يختلفون في اسم قابيل ، فيقول بعضهم : هو قيس بن آدم ، ويقول بعضهم : هو قابيل ابن آدم . ويقول بعضهم : [هو] ^(١) قايين . ويقول بعضهم : هو قابيل . واختلفوا أيضاً في السبب الذي من أجله قتله :

فقال بعضهم في ذلك ما حدثني به موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ - في خبر ذكره - عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : كان ^(٢) لا يولد لآدم مولودٌ إلا ولد معه جارية ، فكان يزوّج غلامَ هذا البطن جاريةَ هذا البطن [الآخر] ^(٣) ويزوج جارية هذا البطن غلامَ هذا البطن الآخر ، حتى وُلد له ابنان ، يقال لهما قابيل وهاويل ، وكان قابيل صاحب زرع ، وكان هاويل صاحب ضرع ، وكان قابيل أكبرهما ، وكانت له أخت أحسن من أخت هاويل ، وإن هاويل طلب أن ينكح أخت قابيل ، فأبى عليه وقال : هي أختي وُلدت معي ، وهي أحسن من أختك ، وأنا أحقّ أن أتزوجها ، فأمره أبوه أن يزوّجها هاويل ، فأبى . وإنهما قربا قرباناً إلى الله أيهما أحق بالجارية ، وكان

١٣٨/١

(١) تكملة من ١ .

(٢) التفسير : « فكان » .

(٣) تكملة من التفسير .

آدم يومئذ قد غاب عنهما وأتى مكة ينظر إليها ، قال الله لآدم : يا آدم ، هل تعلم أن لي بيتاً في الأرض ؟ قال : اللهم لا ، قال : فإن لي بيتاً بمكة فأتته ، فقال آدم للسماء : احفظي ولدي بالأمانة ، فأبت ، وقال للأرض فأبت ، وقال للجبال : فأبت ، فقال لقابيل ، فقال^(١) : نعم ، تذهب وترجع وتجد أهلك كما يسرك . فلما انطلق آدم قرباً قرباناً ، وكان قابيل يفخر عليه فيقول : أنا أحقّ بها منك هي أختي ، وأنا أكبر منك ، وأنا وصيُّ والدي ، فلما قرباً ، قرب هاويل جدّعة سمينة ، وقرب قابيل حزمة سنبل ، فوجد فيها سنبله عظيمة ففركها فأكلها ، فنزلت النار فأكلت قربان هاويل ، وتركت قربان قابيل ، فغضب وقال : لأقتلنك حتى لا تنكح أختي ، فقال هاويل :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * لَئِن بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ﴾ ، إلى قوله : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾^(٢) ، فطلبه ليقته ، فراغ الغلام منه في رعوس الجبال ، فأتاه يوماً من الأيام وهو يرعى غنمه في جبل وهو نائم ، فرفع صخرة فشدخ بها رأسه ، فمات وتركه بالعراء ، لا يعلم كيف يدفن ، فبعث الله غرابين أخوين فاقتتلا ، فقتل أحدهما صاحبه ، فحضر له ثم حثا عليه ، فلما رآه قال : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ﴾^(٣) ، فهو قوله عز وجل : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ﴾^(٤) . فرجع آدم فوجد ابنه قد قتل أخاه ، فذلك حين يقول الله عز وجل : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ — إلى آخر الآية — ﴿ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾^(٥) .
يعنى قابيل حين حمل أمانة آدم ، ثم لم يحفظ له أهله^(٤) .

١٣٩/١

(١) ط : « قال » ، وما أثبتته عن التفسير .

(٢) سورة المائدة ٢٧ - ٣١

(٣) سورة الأحزاب ٧٢

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٦

وقال آخرون : كان السبب في ذلك أن آدم كان يولد له من حواء في كل بطن ذكر وأنثى ، فإذا بلغ الذكر منهما زوج منه [ولده] ^(١) الأنثى التي وُلدت مع أخيه الذي ولد في البطن الآخر ؛ قبله أو بعده .

فرغب قابيل بتوعمته عن هابيل .

كما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : أقبلت مع سعيد بن جبّير أرى الجمرة ، وهو متقنّع متوكّي على يدي ؛ حتى إذا وازينا ^(٢) بمنزل سمرة الصواف ، وقف يحدثني عن ابن عباس ، قال : نهيت أن تنكح المرأة أخاها توعمها ، وينكحها غيره من إختوها ، وكان يولد في كل بطن رجل وامرأة ، فولدت امرأة وسيمة وولدت امرأة قبيحة ، فقال أخو الدميمة : أنكحني أختك وأنكحك أختي ، قال : لا ، أنا أحق بأختي ، فقربا قرباناً فتقبّل من صاحب الكباش ، ولم يتقبّل من صاحب الزرع ، فقتله ، فلم يزل ذلك الكباش محبوباً عند الله عزّ وجلّ حتى أخرجه في فداء إسحاق ، فذبحه على هذا الصفا ، في ثبير ، عند منزل سمرة الصواف ، وهو على يمينك حين ترمي الجمار . ^(٣)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأوّل ، أن آدم عليه السلام كان يغشى حواء في الجنة قبل أن يصيب الخطيئة ، فحملت له بقيس بن آدم وتوعمته ، فلم تجد عليهما وحمّاً ولا وصباً ، ولم تجد عليهما طلقاً حين ولدتهما ، ولم تر معهما دمّاً لظهر الجنة ، فلما أكلا من الشجرة وأصابا المعصية ، وهبطا إلى الأرض واطمأنا بها تغشّاهما ، فحملت بهابيل وتوعمته ، فوجدت عليهما الوحمّ والوصب ، ووجدت حين ولدتهما الطلق ^(٤) ورأت معهما الدم ، وكانت حواء -

(١) تكملة من ا

(٢) ا ، ر ، س ، ن ، « واريننا » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٣ .

(٤) الطلق : وجع الولادة

فيما يذكرون— لا تحمّل إلا توعماً ذكراً وأنثى ، فولدت حواء لآدم أربعين ولداً لصلبه^(١) من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وكان الرجل منهم أى أخواته شاء تزوج^(٢) إلا توعمته التى تولد معه^(٣) ، فإنها لا تحل له ، وذلك أنه لم يكن نساء يومئذ إلا أخواتهم وأمهم حواء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم بالكتاب الأول^(٤) أن آدم أمر ابنه قيناً^(٥) أن ينكح توعمته هايبيل ، وأمر هايبيل أن ينكح أخته توعمته قينا ، فسلم لذلك هايبيل ورضى ، وأبى ذلك قين وكره تكررماً عن أخت هايبيل ، ورغب بأخته عن هايبيل ، وقال ، نحن ولادة الجنّة ، وهما من ولادة الأرض ، وأنا أحق بأختى — ويقول بعض أهل العلم من أهل الكتاب الأول : بل كانت أخت قين من أحسن الناس ، فضنّ بها عن أخيه ، وأرادها لنفسه — والله أعلم أى ذلك كان — فقال له أبوه : يا بنى إنما لا تحل لك ، فأبى قين أن يقبل ذلك من قول أبيه ، فقال له أبوه : يا بنى ، فقرب قرباناً ، ويقرب أخوك هايبيل قرباناً ، فأيتكما قبيل الله قربانه فهو أحقّ بها ، وكان قين على بندر الأرض ، وكان هايبيل على رعاية الماشية ، فقرب قين قمحاً ، وقرب هايبيل أبقاراً من أبقار غنمته — وبعضهم يقول : قرب بقرة — فأرسل الله جلّ وعزّ ناراً بيضاء ، فأكلت قربان هايبيل وتركت قربان قين^(٦) . وبذلك كان يقبل القربان إذا قبله الله عزّ وجلّ ؛ فلما قبل الله قربان هايبيل — وكان في ذلك القضاء له بأخت قين — غضب قين ، وغلب عليه الكبير واستحوذ عليه الشيطان ، فاتبع أخاه هايبيل ، وهو في ماشيته فقتله ، فهما اللذان قصّ الله خبرهما في القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ﴾ يعنى أهل الكتاب ﴿نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾

١٤١/١

(١) ر : « من صلبه » .

(٢) في ط : « يتزوج » ، وأثبت ما في ا وابن الأثير ١ : ٢٥ .

(٣) في ط : « ولدت » ، وأثبت ما في ا وابن الأثير .

(٤) في جميع الأصول : « عن الكتاب الأول » ، وما أثبتته من التفسير .

(٥) في التفسير « قابيل » ، وكذلك حيث ورد في باقى الخبر .

(٦) الخبر إلى هنا فى التفسير ١٠ : ٢٠٥ .

فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا ﴿١﴾ إلى آخر القصة، قال : فلما قتله سَقِطَ في يديه ، ولم يدركيف يُواريه ، وذلك أنه كان - فيما يزعمون - أولَ قَتِيلٍ من بنى آدم : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي. ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَثَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾ ﴿١﴾

قال : ويزعم أهل التوراة أن قينسًا ^(٢) حين قتل أخاه هايبيل ، قال الله له : أين أخوك هايبيل ؟ قال : ما أدري ، ما كنت عليه رقيباً ؛ فقال الله له : إن صوت دم أخيك لسيناديني من الأرض ! الآن أنت ملعون من الأرض التي فتحت فاهاً ، فتلقّت دم أخيك من يدك ، فإذا أنت عملت في الأرض ، فإنها لا تعود تعطيك حرثها حتى تكون فرعاً تائباً في الأرض ، فقال قين : عَظُمْتُ خَطِيئَتِي من أن تغفرها ، قد أخرجتني اليوم عن وجه الأرض [وأتوارى] ^(٣) من قدامك ، وأكون فرعاً تائباً في الأرض ، وكل من لقيتني ؛ قتلني . فقال الله عز وجل : ليس ذلك كذلك ؛ فلا يكون كل من قتل قتيلاً يجزى بواحد سبعة ، ولكن من قتل قينسًا يجزى سبعة ، وجعل الله في قين آية لئلا يقتله كل من وجدته ، وخرج قين من قدام الله عز وجل من شرقي عدن الجنة ^(٤) .

* * *

وقال آخرون في ذلك : إنما كان قتل القاتل منهما أخاه أن الله عز وجل أمرهما بتقريب قربان ، فتقبّل قربان أحدهما ، ولم يتقبل من الآخر ، فبغاه الذي لم يتقبّل قربانه فقتله .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا

(١) سورة المائدة ٢٧ - ٣٢

(٢) في التفسير : « قاييل » .

(٣) تكلمة من التفسير .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٢٨

عوف ، عن أبي المغيرة ، عن عبد الله بن عمرو ، قال : إن ابني آدم اللذين قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر كان أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، وأنها أميرا أن يقربا قرباناً ، وأن صاحب الغنم قرّب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها ، طيبة بها نفسه ، وأن صاحب الحرث قرّب ، شرّ حرثه : الكوزر^(١) والزّوان ، غير طيبة بها نفسه ، وأن الله عزّ وجلّ تقبل قربان صاحب الغنم ، ولم يتقبل قربان صاحب الحرث ، وكان من قصتهما ما قصّ الله في كتابه وقال : إيم الله ، إن كان المقتول لأشدّ الرجلين ، ولكن منعه التجرّح أن ينسب^(٢) إلى أخيه^(٣) .

١٤٣/١

وقال آخرون بما حدثني به محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان من شأنهما أنه لم يكن مسكين يتصدّق عليه ، وإنما كان القربان يقربه الرجل ، فبينما ابنا آدم قاعدان إذ قالا : لو قربنا قرباناً ! وكان الرجل إذا قرّب قرباناً فرضيّه الله عزّ وجلّ أرسل إليه ناراً فأكلته ، وإن لم يكن رضيه الله خبت النار ، فقربا قرباناً ، وكان أحدهما راعياً والآخر حراثاً ، وإن صاحب الغنم قرّب خيرَ غنمِهِ وأسمها ، وقرب الآخر بعض زرعه ، فجاءت النار فنزلت [بينهما]^(٤) فأكلت الشاة وتركت الزرع ، وإن ابن آدم قال لأخيه : أتمشى في الناس ، وقد علموا أنك قرّبت قرباناً فتقبل منك وردّ عليّ قرباني ! فلا والله لا ينظر الناس إلى وإليك وأنت خير مني ، فقال : لأقتلنك ، فقال له أخوه : ما ذنبي ! إنما يتقبل الله من المتقين^(٥) .

* * *

وقال آخرون : لم تكن قصة هذين الرجلين في عهد آدم ، ولا كان القربان

(١) ط : « الكوزر » ، وفي التفسير : « الكوزن » ، وأثبت ما في ا ، ر ، ك .

(٢) في ط والتفسير : « يبسط » ، وأثبت ما في ا

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٢

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٣

(٥) تكملة من ا والتفسير .

في عصره ، وقالوا : إنما كان هذان رجلين من بني إسرائيل ، وقالوا : إن أول ميّت مات في الأرض آدم عليه السلام ، لم يمّت قبله أحد .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : حدثنا سهل بن يوسف ، عن عمرو ، عن الحسن ، قال : كان الرجلان اللذان في القرآن قال الله عزّ وجلّ .
فيهما : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ ﴾ من بني إسرائيل ، ولم يكونا ابنيّ آدم لصلبه ، وإنما كان القربان في بني إسرائيل ، وكان آدم أول من مات (١) .

١٤٤/١

* * *

وقال بعضهم : إن آدم غشيّ حواء بعد مهبطهما إلى الأرض بمائة سنة ، فولدت له قابيل وتوعمته قليما في بطن واحد ، ثم هاويل وتوعمته في بطن واحد ، فلما شبوا أراد آدم عليه السلام أن يزوّج أخت قابيل التي ولدت معه في بطن واحد من هاويل ، فامتنع من ذلك قابيل ، وقربا بهذا السبب قربانا فتقبّل قربان هاويل ، ولم يتقبّل قربان قابيل ، فحسده قابيل ، فقتله عند عقبة حيرى (٢) ثم نزل قابيل من الجبل ، أخذاً بيد أخته قليما ، فهرب بها إلى عدن من أرض اليمن .

حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما قتل قابيل أخاه هاويل أخذ بيد أخته ثم هبط بها من جبل بوّذ إلى الحضيض ، فقال آدم لقابيل : اذهب فلا تزال مرعوباً لا تأمن من تراه ، فكان لا يمرّ به أحد من ولده إلا رماه ، فأقبل ابن لقابيل أعمى ، ومعه ابن له ، فقال للأعمى ابنه : هذا أبوك قابيل ، فرمى الأعمى أباه قابيل فقتله ، فقال ابن الأعمى : قتلت

(١) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٨ .

(٢) كذا في ١ ، ك ، وفي ط : « حراء » .

يا أبتاه أباك، فرفع الأعمى يده، فلطم ابنه فمات ابنه، فقال الأعمى: ويل لي!
 قتلت أبي برميتي، وقتلت ابني بلطمتي!
 وذكر في التوراة أن هابيل قُتل وله عشرون سنة، وأن قابيل كان له يوم
 قتله خمس وعشرون سنة.

* * *

والصحيح من القول عندنا أن الذي ذكر الله في كتابه أنه قتل
 أخاه من ابني آدم هو ابن آدم لصلبه، لنقل الحجّة أن ذلك كذلك، وأن
 هناد بن السريّ حدثنا، قال: حدثنا أبو معاوية ووكيع جميعاً عن الأعمش .
 ١٤٥/١ — وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا جرير . وحدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا
 جرير وأبو معاوية عن الأعمش — عن عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن
 عبد الله^(١)، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « ما من نفس تُقتل ظمماً إلا
 كان على ابن آدم الأوّل كيفلٌ منها »، وذلك لأنه أول من سنّ القتل .

حدثنا ابن بشار، قال: حدثنا عبد الرحمن بن مهديّ — وحدثنا
 ابن وكيع قال: حدثنا أبي — جميعاً عن سفيان^(٢)، عن الأعمش، عن
 عبد الله بن مرة، عن مسروق، عن عبد الله، عن النبي صلى الله عليه
 وسلم نحوه^(٣).

فقد بيّن هذا الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم صحة قول من قال:
 إن اللذين قصّ الله في كتابه قصتهما من ابني آدم كانا ابنيّه لصلبه؛ لأنه لاشكّ
 أنهما لو كانا من بني إسرائيل — كما روي عن الحسن — لم يكن الذي وُصف
 منهما بأنه قتل أخاه أوّل من سنّ القتل، إذ كان القتل في بني آدم قد كان
 قبل إسرائيل وولده .

* * *

فإن قال قائل: فما برهانك على أنهما ولدا آدم لصلبه، وأن لم يكونا من
 بني إسرائيل؟

(١) مسروق بن الأجدع، روى عن عبد الله بن مسعود . (٢) سفيان الثوري .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ : ٢١٤ .

قيل : لا خلاف بين سلف علماء أمتنا في ذلك ، إذا فسد قول من قال :
كانا من بني إسرائيل .

* * *

وذكر أن قابيل لما قتل أخاه هابيل بكاه آدم عليه السلام فقال — فيما
حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن غياث بن إبراهيم ، عن أبي
إسحاق الهمداني ، قال : قال ^(١) علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : لما قتل
ابن آدم أخاه بكاه آدم ، فقال :

١٤٦/١

تَغَيَّرَتِ الْبِلَادُ وَمَنْ عَلَيْهَا فَوَجَّهُ الْأَرْضِ مُغْبَرٌ قَبِيحٌ ^(٢)
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي طَعْمٍ وَلَوْنٍ وَقَلَّ بَشَاشَةُ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ

قال : فأجيب آدم عليه السلام :

أَبَا هَابِيلَ قَدْ قُتِلَا جَمِيعًا وَصَارَ الْحَى كَالْمَيْتِ الذَّبِيحِ ^(٣)
وَجَاءَ بَشِيرَةٌ قَدْ كَانَ مِنْهَا عَلَى خَوْفٍ فَجَاءَ بِهَا يَصِيحٌ ^(٤)

* * *

وذكر أن حواء ولدت لآدم عليه السلام عشرين ومائة بطن ، أولهم
قابيل وتوعمته قليما ، وآخرهم عبد المغيث وتوعمته أمة المغيث .
وأما ابن إسحاق فذكر عنه ما قد ذكرت قبل ؛ وهو أن جميع ما ولدته
حواء لآدم لصلبه أربعون من ذكر وأنثى في عشرين بطناً ، وقال : قد بلغنا
أسماء بعضهم ولم يبلغنا بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
فكان من بلغنا اسمه خمسة عشر رجلاً وأربع نسوة ؛ منهم قين وتوعمته ، وهابيل
وليودا ^(٥) وأشوث بنت آدم وتوعمها ، وشيث ^(٦) وتوعمته ، وحزورة وتوعمها ؛ على

(١) الخبر في التفسير ١٠ : ٢٠٩

(٢) التفسير : « فلون » .

(٣) ا ، س ، ك : « بالميت » .

(٤) في الأبيات إقواء .

(٥) ن : « كيودا » .

(٦) ا : « شث » .

ثلاثين ومائة سنة من عمره . ثم أباد^(١) بن آدم وتوعمته ، ثم بالغ^(٢) بن آدم وتوعمته ، ثم أثاني^(٣) بن آدم وتوعمته ، ثم توبة^(٤) بن آدم وتوعمته ، ثم بنان^(٥) ابن آدم وتوعمته ، ثم شبوبة^(٦) بن آدم وتوعمته ، ثم حيان بن آدم وتوعمته ، ثم ضرابيس^(٧) بن آدم وتوعمته ، ثم هدز^(٨) بن آدم وتوعمته ، ثم يهود^(٩) بن آدم وتوعمته ، ثم سندل بن آدم وتوعمته ، ثم بارق بن آدم وتوعمته ، كل رجل منهم تولد معه امرأة في بطنه الذي يُحْمَل به فيه .

١٤٧/١

* * *

وقد زعم أكثر علماء الفرس أن جيو مرت هو آدم ، وزعم بعضهم أنه ابن آدم لصلبه من حواء .

وقال فيه غيرهم أقوالا كثيرة ، يطول بذكر أقوالهم الكتاب ، وتركنا ذكر ذلك إذ كان قصدنا في كتابنا هذا ذكر الملوك وأيامهم ، وما قد شرطنا في كتابنا هذا أن ذكره فيه ، ولم يكن ذكر اختلاف المختلفين في نسب ملك من جنس ما أنشأنا له صنعة الكتاب ، فإن ذكرنا من ذلك شيئا فلتعريف من ذكرنا؛ ليعرفه من لم يكن به عارفاً؛ فأما ذكر الاختلاف في نسبة فإنه غير المقصود به في كتابنا هذا .

* * *

وقد خالف علماء الفرس فيما قالوا من ذلك آخرون من غيرهم ممن زعم أنه آدم ، ووافق علماء الفرس على اسمه وخالفه في عينه وصفته ، فزعم أن

(١) كذا في ١ ، ن ، وفي ط : « إياد » .

(٢) ك : « بالغ » .

(٣) ١ : « أثات » ، ر : « إيائي » .

(٤) ر : « ثوبة » .

(٥) ١ ، ن : « بيان » ، ر : « لبنان » .

(٦) ر : « ثوبه » ، ك : « شوبة » ، ن : « سبوبة » .

(٧) س : « صرابيس » .

(٨) ١ : « هزر » ، س : « هوز » ، ك : « هرز » ، ن : « هدن » .

(٩) ١ : « نهود » ، س : « يهود » ، ن : « يهود » .

جِيومَرْت^(١) الذي زعمت الفرس أنه آدم عليه السلام إنما هو جامر^(٢) بن يافث ابن نوح ، وأنه كان معمرًا سيِّداً ، نزل جبل دُنْبَاوَنَد^(٣) من جبال طَبْرِسْتَان من أرض المشرق ، وتملَّك بها وبفارس ، ثم عَظُم أمره وأمر ولده ، حتى ملكوا بابل ، وملكوا في بعض الأوقات الأقاليم كلَّها ، وأن جِيومَرْت منع من البلاد ما صار إليه ، وابتنى المدن والحصون وعمَّرها ، وأعدَّ السلاح ، واتخذ الخيل ، وأنه تجبَّرت في آخر عمره ، وتسمى بآدم ؛ وقال : من سمانى بغير هذا الاسم ضربتُ عنقه ، وأنه تزوج ثلاثين امرأة ، فكثُر منهن نسلُه ، وأن ماري^(٤) ابنة وماريانه^(٥) أخته ، ممن كان ولد له في آخر عمره ، فأعجب بهما وقد مهما ، فصار الملوك بذلك السبب من نسلهما ، وأن ملكه اتسع وعظُم .

١٤٨/١

وإنما ذكرت من أمر جِيومَرْت في هذا الموضع ما ذكرت ، لأنه لا تدافع بين علماء الأمم أن جِيومَرْت هو أبو الفرس من العجم ؛ وإنما اختلفوا فيه : هل هو آدم أبو البشر على ما قاله الذين ذكرنا قولهم أم هو غيره ؟ ثم مع ذلك فلأن ملكه وملك أولاده لم يزل منتظماً على سياق ، متسقاً بأرض المشرق وجبالها إلى أن قتل يَزْدَجِرْد بن شهر يار من ولد ولده بَمَرُو - أبعده الله - أيام عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فتأريخ ما مضى من سنى العالم على أعمار ملوكهم أسهل بياناً ، وأوضح مناراً منه على أعمار ملوك غيرهم من الأمم ؛ إذ لا تُعلم أمة من الأمم الذين ينتسبون إلى^(٦) آدم عليه السلام دامت لها المملكة ، واتصل لهم^(٧) الملك ، وكانت لهم ملوك تجمعهم ، ورعوس تحامى عنهم من ناوأمهم ، وتغالب بهم من عازَّهم ، وتدفع ظالمهم عن مظلومهم ، وتحملهم من الأمور على ما فيه حظهم

(١) جيومرت ، كذا كتب في الأصول ، بالجيم والتاء المثناة ، وكذا في الشاهنامه ١ : ١٣ ، ومعناه عند الفرس اسم الإنسان الأول .

(٢) ر ، وابن الأثير ١ : ٢٨ : « حام بن يافث » .

(٣) دنباوند ، ضبطه ياقوت بضم أوله وسكون ثانيه وبعدها باء موحدة ، وبعده الألف واو ثم نون ساكنة وآخره دال ، قال : « ويقال دباوند : جبل من فواحي الرى » . وفي س : « ديباوند » .

(٤) ك : « أمارى »

(٥) ر : « ماريانة » ، س : « ماريا » ، ك : « ماريانة » .

(٦) أ : « ينسبون » .

(٧) أ : « بها » .

على اتصال ودوام ونظام، يأخذ ذلك آخرهم عن أولهم، وغابهم عن سالفهم -
سواهم، فالتاريخ على أعمار ملوكهم أصبح مخرجاً، وأحسن وضوحاً.

* * *

وأنا ذاكر ما انتهى إلينا من القول في عمر آدم عليه السلام وأعمار من كان
بعده من ولده الذين خلفوه في النبوة والملك، على قول من خالف قول الفرس الذين
زعموا أنه جيسومرت، وعلى قول من قال: إنه هو جيومرت أبو الفرس، وذاكر
ما اختلفوا فيه من أمرهم إلى الحال التي اجتمعوا عليها، فاتفقوا على من ملك
منهم في زمان بعينه أنه كان هو الملك في ذلك الزمان إن شاء الله، ولا حول
ولا قوة إلا بالله، ثم سائق ذلك كذلك إلى زماننا هذا.

١٤٩/١

* * *

ونرجع الآن إلى الزيادة في الإبانة عن خطأ قول من قال: إن أول ميت
كان في أول الأرض آدم، وإنكاره الذين قص الله نبأهما في قوله:
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَى آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾^(١)، أن يكونا من
صُلب آدم من أجل ذلك.

فحدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا عبد الصمد بن عبد الوارث،
قال: حدثنا عمر بن إبراهيم، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرّة بن جندب،
عن النبي عليه السلام قال: «كانت حواء لا يعيش لها ولد، فنذرت لئن
عاش لها ولد لتسمينه عبد الحارث، فعاش لها ولد فسمته عبد الحارث، وإنما
كان ذلك عن وحى الشيطان^(٢)».

وحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن
داود بن الحصين، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كانت حواء تلد
لآدم فتعبدهم الله^(٣) عز وجل وتسميهم: عبد الله، وعبيد الله، ونحو ذلك،

(١) سورة المائدة ٢٧.

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ١٩٠.

(٣) ١ والتفسير: «الله».

فيصيهم الموت ، فأثاها إبليس وآدمَ عليه السلام ؛ فقال : إنكما لو تسميانه
بغير الذي تسميانه به لعاش ، فولدت له ذكراً ، فسمياه عبد الحارث ؛ ففيه أنزل
الله عزّ ذكره ، يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ﴾ ؛
إلى قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ ^(١) إلى آخر الآية ^(٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن فضيل ، عن سالم بن أبي
حفصة ، عن سعيد بن جبير : ﴿ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهُ رَبَّهُمَا ﴾ إلى قوله :
﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(١) .

قال : ولما حملت حواء في أول ولد ولدته حين أثقلت أتاها إبليسُ قبل
أن تلد فقال : يا حواء ، ما هذا في بطنك ؟ فقالت : ما أدرى من ؟ فقال :
أين يخرج ؟ من أنفك ؟ أو من عينك ؟ أو من أذنك ؟ قالت : لا أدرى ،
قال : رأيت إن خرج سليماً أمطعني أنتِ فيما أمركِ به ؟ قالت : نعم ، قال :
سميّه عبد الحارث - وقد كان يسمي إبليس لعنه الله الحارث - فقالت : نعم ،
ثم قالت بعد ذلك لآدم : أتاني آت في النوم فقال لي : كذا وكذا ، فقال : إن
ذاك الشيطان فاحذريه ، فإنه عدونا الذي أخرجنا من الجنة ، ثم أتاها إبليس
لعنه الله فأعاد عليها ، فقالت : نعم ، فلما وضعته أخرجها الله سليماً فسمته
عبد الحارث ، فهو قوله : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا جرير وابن فضيل ^(٤) ، عن
عبد الملك ^(٥) ، عن سعيد بن جبير ، قال : قيل له : أشرك آدم ؟ قال : أعوذ
بالله أن أزعج أن آدم عليه السلام أشرك ! ولكن حواء لما أثقلت أتاها إبليسُ

(١) سورة الأعراف ١٨٩ ، ١٩٠

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ٣٠٩

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٣١٣ (٤) محمد بن فضيل بن غزوان .

(٥) عبد الملك بن أبي سلمان .

فقال لها : من أين يخرج هذا ؟ من أنفك ، أو من عينك ، أو من فيك ؟
فقتطها ؛ ثم قال : أ رأيت إن خرج سويا — قال ابن وكيع : زاد ابن فضيل :
« لم يضرّك ولم يقتلك » — أتطعيني ؟ قالت : نعم ، قال : فسمّيه عبد الحارث ،
فعلت — زاد جرير : فإنما كان شرکه في الاسم ^(١) .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السديّ : فولدت — يعني حواء — غلاماً ، فأناها إبليس
فقال : سمّوه عبدي ، وإلا قتلته ، قال له آدم : قد أ طعتك وأخرجتني من
الجنة . فأني أن يطيعه ؛ فسماه « عبد الرحمن » ، فسلبّ عليه إبليس لعنه الله فقتله ،
فحملت بآخر فلما ولدته ، قال : سمّيه عبدي وإلا قتلته ، قال له آدم عليه
السلام : قد أ طعتك فأخرجتني من الجنة . فأني فسماه صالحاً ، فقتله ، فلما
كان الثالث قال لهما : فإذا غلبتموني فسمّوه عبد الحارث ، وكان اسم إبليس
الحارث ، — وإنما سمى إبليس حين أبلس (تحيير) ^(٢) — فذلك حين يقول
الله عزّ وجلّ : ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا ﴾ — يعني في الأسماء ^(٣) .

فهؤلاء الذين ذكرت الرواية عنهم بما ذكرت ؛ من أنه مات لآدم وحواء
أولاد قبلهما ، ومن لم نذكر أقوالهم ممن عددهم أكثر من عدد منّ ذكرت
قوله والرواية عنه ، قالوا خلاف قول الحسن الذي روى عنه أنه قال : أول من
مات آدم عليه السلام .

وكان آدم مع ما كان الله عزّ وجلّ قد أعطاه من ملك الأرض والسلطان
فيها قد نبّأه ، وجعله رسولا إلى ولده ، وأنزل عليه إحدى وعشرين صحيفة كتبها
آدم عليه السلام بخطه ، علّمه إياها جبرئيل عليه السلام .

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمّي ،
قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن ١٥٢/١

(١) الخبر في التفسير ١٣ : ٣١٣

(٢) ط : « تحيرا » تصحيف .

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٣١٣

أبي لإدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : دخلت المسجد فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده ، فجلست إليه فقال لي : «يا أبا ذر ، إن للمسجد تحية وإن تحيته ركعتان ، فقم فاركعهما» ، فلما ركعتهما جلست إليه فقلت : يا رسول الله ، إنك أمرتني بالصلاة فما الصلاة ؟ قال : «خير موضوع ، استكثر أو استقل» ، ثم ذكر قصة طويلة قال فيها : قلت : يا رسول الله ، كم الأنبياء ؟ قال : «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً» ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم المرسل من ذلك ؟ قال : «ثلثمائة وثلاثة عشر جمماً غفيراً» ، يعني كثيراً طيباً ، قال : قلت : يا رسول الله ، من كان أولهم ؟ قال : «آدم» ، قال : قلت : يا رسول الله ، وآدم نبي مرسل ؟ قال : «نعم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، ثم سواه قبلاً» . (١)

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد ابن إسحاق ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم بن عبد الرحمن ، عن أبي أمامة ، عن أبي ذر قال : قلت ، يا نبي الله ، أنبيأ كان آدم ؟ قال : «نعم ، كان نبياً ، كلمه الله قبلاً» .

وقيل : إنه كان مما أنزل الله تعالى على آدم تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير وحروف المعجم في إحدى وعشرين ورقة .

ذكر ولادة حواء شيئاً

ولما مضى لآدم صلى الله عليه وسلم من عمره مائة وثلاثون سنة ، وذلك بعد قتل قابيل هايل بن خمس سنين ، ولدت له حواء ابنة شيئاً ، فذكر أهل التوراة أن شيئاً ولد فرداً بغير توعم ، وتفسير « شيث » عندهم « هبة الله » ، ومعناه أنه خلف من هايل .

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثني ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولدت حواء لآدم شيئاً وأخته عزورا^(١) ، فسمي هبة الله ، اشتق له من هايل ، قال لها جبرئيل حين ولدته : هذا هبة الله بدل هايل ، وهو بالعربية شيث ، وبالسريانية شاث ، وبالعبرانية شيث ، وإليه أوصى آدم ، وكان آدم يوم ولد له شيث ابن ثلاثين ومائة سنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : لما حضرت آدم الوفاة - فيما يذكرون والله أعلم - دعا ابنه شيثا فعهد إليه عهده ، وعلمه ساعات الليل والنهار ، وأعلمه عبادة الخلق في كل ساعة منهن ، فأخبره أن لكل ساعة صنفاً من الخلق فيها عبادته . وقال له : يا بني إن الطوفان سيكون في الأرض يلبث فيها سبع سنين . وكتب وصيته ، فكان شيث - فيما ذكر - وصي أبيه آدم عليه السلام ، وصارت الرياسة من بعد وفاة آدم لشيث ، فأنزل^(٢) الله عليه فيما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسين صحيفة .

حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثنا الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قلت : يا رسول الله ، كم

(١) كذا في ١ ، ن وفي ط : « حزورا » .

(٢) ١ : « وأنزل » .

كتاب أنزله الله عزّ وجلّ ؟ قال : « مائة كتاب وأربعة كتب ، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة » .

* * *

وإلى شيث أنسابُ بني آدم كلّهم اليوم ؛ وذلك أن نسل سائر ولد آدم غير نسل شيث ، انقرضوا وبادوا فلم يبق منهم أحد ، فأنسابُ الناس كلهم اليوم إلى شيث عليه السلام .

١٥٤/١

* * *

وأما الفرس الذين قالوا إن جيُومَرْت هو آدم ؛ فإنهم قالوا : ولد لجيومَرْت ابنه ميشى ، وتزوج ميشى (١) أخته ميشانه فولدت له سيامك بن ميشى ، وسيامى ابنة ميشى ، فولد لسيامك بن ميشى بن جيومرت أفرواك ، وديس ، وبراسب ، وأجوب (٢) ، وأوراش (٣) بنو سيامك ، وأفرى ، ووذى (٤) ، وبرى (٥) وأوراشى بنات سيامك ، أمهم جميعاً سيامى بنت ميشى ، وهى أخت أبيهم .

وذكروا أن الأرض كلّها سبعة أقاليم ، فأرض بابل وما يوصل إليه مما يأتيه الناس براً أو بحراً فهو إقليم واحد ، وسكانه نسل ولد أفرواك بن سيامك وأعقابهم ، وأما الأقاليم الستة الباقية التى لا يوصل إليها اليوم براً أو بحراً فنسلُ سائر ولد سيامك ، من بنيهِ وبناته .

فولد لأفرواك بن سيامك من أفرى بنت سيامك هوشنك يشداد الملك ، وهو الذى خلف جدّه جيُومَرْت فى الملك ، وأول من جمع له ملك الأقاليم السبعة ، وسنذكر أخباره إن شاء الله إذا انتهينا إليه . وكان بعضهم يزعم أن أوشهنج هذا ، هو ابن آدم لصلبه من حواء .

وأما هشام الكلبيّ فإنه فيما حدثتُ عنه قال : بلغنا والله أعلم — أول ملك ملك الأرض أوشهنق بن عابر بن شالخب بن أرفخشذ بن سام بن نوح . قال :

(١) كذا فى ١ ، والشاهنامه ؛ وفى ط : « مشا ... ميشان » ، وانظر الشاهنامه وحواشيها

١٥٠ ، ١٤ : ١

(٢) كذا فى ١ ، وفى ط : « أجرب » .

(٣) ر ، ك : « أوراس » ، س : « أوراس » .

(٤) ١ : « دخرى » .

(٥) ١ : « بزى » .

والفرس تدعيه وتزعم أنه كان بعد وفاة آدم بمائتي سنة، قال : وإنما كان هذا الملك فيما بلغنا بعد نوح بمائتي سنة، فصيره أهل فارس بعد آدم بمائتي سنة ، ولم يعرفوا ما كان قبل نوح .

١٥٥/١

وهذا الذى قاله هشام قول لا وجه له ، لأن هوشنك الملك فى أهل المعرفة بأنسب الفرس أشهر من الحجاج بن يوسف فى أهل الإسلام ، وكل قوم فهم بأبائهم وأنسابهم وما ثرم أعلم من غيرهم ؛ وإنما يرجع فى كل أمر التبس إلى أهله .

وقد زعم بعض نسابه الفرس أن أوشهنج يشداذ الملك هذا هو مهلائيل ، وأن أباه فرواك هو قينان أبو مهلائيل ، وأن سيامك هو أنوش أبو قينان ، وأن ميشى هو شيث أبو أنوش ، وأن جيومرت هو آدم صلى الله عليه وسلم . فإن كان الأمر كما قال ، فلا شك أن أوشهنج كان فى زمان آدم رجلا ، وذلك أن مهلائيل فيما ذكر فى الكتاب الأول كانت ولادة أمه دينة ^(١) ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قيس بن آدم إياه بعد ما مضى من عمر آدم صلى الله عليه وسلم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، فقد كان له حين وفاة آدم ستائة سنة وخمس سنين ، على حساب ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عمر آدم أنه كان عمره ألف سنة .

وقد زعمت علماء الفرس أن ملنك أوشهنج هذا كان أربعين سنة . فإن كان الأمر فى هذا الملك كالذى قاله النسابة الذى ذكرت عنه ما ذكرت فلم يبعد من قال : إن ملنكه كان بعد وفاة آدم صلى الله عليه وسلم بمائتي سنة .

ذكر وفاة آدم عليه السلام

اختُلِفَ في مدة عمره ، وابن كَسَمٌ كان يوم قبضه الله عز وجل إليه .
 فأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنها واردة بما حدثني
 ١٥٦/١ محمد بن خلف العسقلاني ، قال : حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال :
 حدثنا أبو خالد سليمان بن حيان ، قال : حدثني محمد بن عمرو ، عن أبي
 سلمة ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم - قال أبو خالد : وحدثني
 الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم . قال
 أبو خالد : وحدثني داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، عن أبي هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم . قال أبو خالد : وحدثني ابن أبي ذباب الدؤسي ، قال : حدثنا
 سعيد المقبري ويزيد بن هرمز ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم -
 أنه قال : « خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ،
 فجلس فغطس فقال : الحمد لله ، فقال له ربه : يرحمك ربك ، إيت أولئك
 الملائم من الملائكة فقل لهم : السلام عليكم ، فاتاهم فقال [لهم] (١) : السلام
 عليكم . قالوا له : وعليك السلام ورحمة الله ، ثم رجع إلى ربه فقال له : هذه
 تحيتك وتحية ذريتك بينهم ، ثم قبض له يديه ، فقال له : خذ واختر ، قال :
 اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين ، ففتحها له ، فإذا فيها صورة آدم وذريته
 كلهم ، فإذا كل رجل مكتوب عنده أجله ، وإذا آدم قد كتب له عمر ألف
 سنة ، وإذا قوم عليهم النور ، فقال : يا رب ، من هؤلاء الذين عليهم النور ،
 فقال : هؤلاء الأنبياء والرسل الذين أرسل إلى عبادي ، وإذا فيهم رجل هو
 أضوءهم نوراً ، ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ، فقال : [يا رب ،
 ما بال هذا ، من أضوءهم نوراً ولم يكتب له من العمر إلا أربعون سنة ؟] فقال [(١) :
 ذاك ما كتب له ، فقال : يا رب ، انقص له من عمري ستين سنة » . فقال رسول
 ١٥٧/١ الله صلى الله عليه وسلم : « فلما أسكنه الله الجنة ثم أهبط إلى الأرض كان يعدّ

أيامه ، فلما أتاه ملك الموت ليقبضه قال له آدم : عجّلتَ عليّ يا ملك الموت ! فقال : ما فعلت ، فقال : قد بقيَ من عمري ستون سنة ، فقال له ملك الموت : ما بقيَ من عمرك شيء ، قد سألتَ ربّك أن يكتبه لابنك داود ، فقال : ما فعلتُ . فقال : رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : « ففسى آدم ، ففسيت ذريته ، وجحد آدم فجحدت ذريته ، فيومئذ وَصَحَ اللهُ الكتاب ، وأمر بالشهود » .

حدثني ابن سنان ، قال : حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن عليّ بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت آية الدّين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ أولَ من جحد آدم عليه السلام ثلاث مرات ، وإن الله تبارك وتعالى لما خلقه مسح ظهره فأخرج منه ما هو ذارٌّ إلى يوم القيامة ، فجعل يعرضهم على آدم ، فرأى فيهم رجلاً يزهر ، فقال : أي ربّ ، أي نبيّ هذا ؟ قال : هذا ابنك داود ، قال : أي ربّ ، كم عمره ؟ قال : ستون سنة ، قال : أي ربّ ، زده في عمره ، قال : لا ، إلا أن تزيد أنت من عمرك ، وكان عمر آدم ألف سنة ، فوهب له من عمره أربعين عاماً ، فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة ، فلما احتضِرَ آدم أتته الملائكة لتقبض روحه ، قال : إنه قد بقيَ من عمري أربعون سنة ، قالوا : إنك قد وهبتها لابنك داود ، قال : ما فعلت ولا وهبت له شيئاً ، فأنزل الله عليه الكتاب ، وأقام عليه الملائكة شهوداً ، فأكل لآدم ألف سنة ، وأكمل لداود مائة سنة » .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ^(١) ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا ﴾ ^(٢) ، قال ابن عباس : إن الله عز وجل لما خلق آدم مسح ظهره ، وأخرج ذريته

١٥٨/١

(١) ط : حدثني محمد بن سعد ، قال حدثنا هشام ، قال حدثني أبي قال حدثني عمي ، وما أثبتته عن ا والتفسير .

(٢) سورة الأعراف ١٧٢

كلّهم كهيئة الذرّ ، فأنطقهم فتكلّموا ، وأشهدهم على أنفسهم ، وجعل مع بعضهم النور . وأنه قال لآدم : هؤلاء ذريتك أخذ عليهم الميثاق : أنى أنا ربهم لثلاثا يُشركوا بى شيئاً ، وعلى رزقهم . قال آدم : فمن هذا الذى معه النور ؟ قال : هو داود ، قال : يا ربّ ، كم كتبت له من الأجل ؟ قال : ستين سنة ، قال : كم كتبت لى ؟ قال : ألف سنة ، وقد كتبت لكل إنسان منهم : كم يعمرّ ، وكم يلبث ، قال : يا رب زدّه ، قال : هذا الكتاب موضوع فأعطه إن شئت من عمرك ، قال : نعم ، وقد جفّ القلم عن سائر بنى آدم^(١) ، فكتب له من أجل آدم أربعين سنة ، فصار أجله مائة سنة ، فلما عمّر تسعمائة سنة وستين سنة جاءه ملك الموت ، فلما أن رآه آدم قال : مالك ؟ قال له : قد استوفيت أجلك ، قال له آدم : إنما عمّرت تسعمائة سنة وستين سنة ، وبقى [لى]^(٢) أربعون سنة ، فلما قال ذلك للملك ، قال الملك : قد أخبرنى بها ربى ، قال : فارجع إلى ربك فسله ، فرجع الملك إلى ربه فقال^(٣) : مالك ؟ قال : يا ربّ رجعتُ إليك لما كنت أعلم من تكرمك إياه ، قال الله عزّ وجلّ : ارجع فأخبره ، أنه قد أعطى ابنه داود أربعين سنة^(٤) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبى بشر ، عن سعيد بن جبيرة فى هذه الآية : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾ ، قال : أخرجهم من ظهر آدم ، وجعل لآدم عمر ألف سنة ، قال : فعرضوا على آدم ، فرأى رجلاً من ذريته له نور ، فأعجبه فسأله عنه فقال : هو داود ، وقد جعل عمره ستين سنة ، فجعل له من عمره أربعين سنة ، فلما احتضّر آدم عليه السلام جعل يخاصمهم فى الأربعين السنة ، فقليل له : إنك قد أعطيتها داود ، قال : فجعل يخاصمهم^(٥) .

(١) فى التفسير : « عن أجل سائر بنى آدم » .

(٢) تكلمة من ا

(٣) فى الأصول : « قال » . وما أثبتته من التفسير .

(٤) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٣٧

(٥) الخبر فى التفسير ١٣ : ٢٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ،
 في قوله عز وجل : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾
 قال : أخرج ذريته من ظهره في صورة كهيئة الذر ، فعرضهم على آدم
 بأسمائهم وأسماء آبائهم وأجالهم ، قال : فعرض عليه روح داود في نور ساطع ،
 فقال : مَنْ هذا ؟ قال : هذا من ذريتك ، نبيٌ خلقتة ، قال : كم عمره ؟
 قال : ستون سنة ، قال : زيدوه من عمري أربعين سنة ، قال : والأقلام ^(١) رطبة
 تجرى ، وأثبتت لداود عليه السلام الأربعون ، وكان عمر آدم ألف سنة ،
 فلما استكملها إلا الأربعين سنة ^(٢) بعث إليه ملك الموت قال : يا آدم أمِرتُ
 أن أقبضك ، قال : ألم يبق من عمري أربعون سنة ؟ قال : فرجع ملك الموت إلى
 ربه عز وجل فقال : إن آدم يدعى من عمره أربعين سنة ، قال : أخبر آدم
 أنه جعلها لابنه داود . والأقلام رطبة ، وأثبتت لداود [الأربعون] ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو داود ، عن يعقوب ، عن
 جعفر ، عن سعيد ، بنحوه .

وذكر أن آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوماً ، وأوصى إلى
 ابنه شيث عليه السلام وكتب وصيته ، ثم دفع كتاب وصيته إلى شيث ، وأمره
 أن يخفيه من قابيل وولده ، لأن قابيل قد كان قتل هايبيل حسداً منه حين
 خصه آدم بالعلم ، فاستخفى شيث وولده بما عندهم من العلم ، ولم يكن عند
 قابيل وولده علم ينتفعون به ^(٤) .

ويزعم أهل التوراة أن عمر آدم عليه السلام كله كان تسعمائة سنة
 وثلاثين سنة .

حدثنا الحارث قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام
 ابن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : كان
 عمر آدم تسعمائة سنة وستاً وثلاثين سنة ؛ والله أعلم .

(١) ط : « فالأقلام » ، وما أثبتته عن التفسير .

(٢) ا : « السنة »

(٣) الخبر في التفسير ١٣ : ٢٤١ ، والتكلمة من ا .

(٤) ا : « ينفعون » .

والأخبار الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والعلماء من سلفنا ما قد ذكرت ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم كان أعلم الخلق بذلك .

وقد ذكرت الأخبار الواردة عنه أنه قال : كان عمره ألف سنة ، وأنه بعد ما جعل لابنه داود من ذلك ما جعل له ، أكمل الله له عِدَّة ما كان أعطاه من العمر قبل أن يهب لداود ما وهب له من ذلك ، ولعل ما كان جعل من ذلك آدم عليه السلام لداود عليه السلام لم يُحسب في عمر آدم في التوراة ، فقليل : كان عمره تسعمائة وثلاثين سنة .

فإن قال قائل : فإن الأمر وإن كان كذلك ؛ فإن آدم إنما كان جعل لابنه داود من عمره أربعين سنة ، فكان ينبغي أن يكون في التوراة تسعمائة سنة وستون ؛ ليوافق ذلك ما جاءت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قيل : قد روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك أن الذي كان جعل آدم لابنه داود من عمره ستون سنة ، وذلك في رواية لأبي هريرة (١) عنه ، وقد ذكرناها قبل . فإن يكن ذلك كذلك ، فالذي زعموا أنه في التوراة من الخبر عن مدة حياة آدم عليه السلام موافق لما روينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك .

١٦١/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال : لما كتب آدم الوصية مات صلوات الله عليه ، واجتمعت عليه الملائكة من أجل أنه كان صفي الرحمن ، فقبرته الملائكة ، وشيئ وإخوته في مشارق الفردوس ، عند قرية هي أول قرية كانت في الأرض ، وكسفت عليه الشمس والقمر سبعة أيام وليالين ، فلما اجتمعت عليه الملائكة وجمع الوصية ، جعلها في معراج ، ومعها القرن الذي أخرج أبونا آدم من الفردوس ؛ لكيلا يغفل عن ذكر الله عز وجل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عباد ، عن أبيه ، قال : سمعته يقول : بلغني أن آدم عليه السلام حين

(١) ط : « أبي هريرة » ، وما أثبتته من ا .

مات بعث الله إليه بكفنه وحنوطه من الجنة ، ثم وليت الملائكة قبره ودفنه حتى غيبوه .

حدثنا علي بن حرب ، قال : حدثنا روح بن أسلم ، قال : حدثنا حماد بن سلمة ، عن ثابت البناني ، عن الحسن ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لما توفي آدم غسلته الملائكة بالماء وتراً ، وألحدوا^(١) له ، وقالت : هذه سنة آدم في ولده » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن ابن ذكوان ، عن الحسن بن أبي الحسن ، عن أبي بن كعب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن أباكم آدم كان طُوالاً كالنخلة السَّحوق ، ستين ذراعاً ، كثير الشعر ، موارى العورة ، وأنه لما أصاب الخطيئة بدت له سوءته فخرج هارباً في الجنة فتلقاه شجرة ، فأخذت بناصيته ، وناداه ربه : أفراراً مني يا آدم ! قال : لا والله يا رب ولكن حياءً منك مما [قد]^(٢) جنيت ، فأهبطه الله إلى الأرض ، فلما حضرته الوفاة بعث الله إليه بحنوطه^(٣) ، وكفنه من الجنة ، فلما رأته حواء الملائكة ذهبت لتدخل دونهم إليه ، فقال : خلتني عنى وعن رسل ربي ، فإني ما لقيت ما لقيت إلا منك ، ولا أصابني ما أصابني إلا فيك . فلما قبض غسلوه بالسُّدِّ والماء وتراً ، وكفنوه في وتر من الثياب ، ثم لحدوا له فدفنوه ، ثم قالوا : هذه سنة ولد آدم من بعده .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : حدثنا المعتمر بن سليمان ، قال : قال أبي : — وزعم قتادة عن صاحب له حدث عن أبي بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان آدم رجلاً طُوالاً كأنه نخلة سحوق » .

حدثنا الحارث بن محمد ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام [بن محمد]^(٢) قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال :

(١) ألحدوا له ولحدوا : عملوا له لحداً ؛ وهو القبر .

(٢) تكلمة من أ

(٣) الحنوط ، بالفتح : كل طيب يختلط للميت .

لما مات آدم عليه السلام قال شيث لجبرئيل صلى الله عليهما : صلّ على آدم ، قال : تقدم أنت فصلّ على أبيك ، وكبّر عليه ثلاثين تكبيرة ، فأما خمس فهي الصلاة ، وأما خمس وعشرون فتفضيلا لآدم صلى الله عليه وسلم .

* * *

وقد اختلف في موضع قبر آدم عليه السلام ، فقال ابن إسحاق ما قد مضى ذكره ، وأما غيره فإنه قال : دفن بمكة في غار أبي قُبَيْس ، وهو غار يقال له غار الكثر^(١) .

وروى عن ابن عباس في ذلك ، ما حدثني به الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام قال : أخبرنا أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس قال : لما خرج نوح من السفينة دَفَنَ آدم عليه السلام ببيت المقدس .

* * *

وكانت وفاته يوم الجمعة ، وقد مضى ذكرنا الرواية بذلك ، فكرهنا إعادته .

وروى عن ابن عباس في ذلك ما حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : مات آدم عليه السلام على بَوْدٍ - قال أبو جعفر يعني الجبل الذي أُهبط عليه - وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت رحمهما الله ، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت ، وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان ، حتى كان الطوفان ، فاستخرجهما نوح ، وجعلهما في تابوت ، ثم حملهما معه في السفينة ، فلما غاضت الأرضُ الماءُ رَدَّهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان ، وكانت حواء قد غَزَلت - فيما ذكر -

(١) ذكره ياقوت وقال : « غار الكنز : موضع في جبل أبي قبيس ، دفن فيه آدم كتبه فيما

زعموا » . معجم البلدان ٦ : ٢٦١

ونسجت وعجنت وخبزت ، وعملت أعمال النساء كلها .

* * *

ونرجع الآن إلى قصة قابيل وخبره وأخبار ولده وأخبار شيث وخبر ولده — إذ كنا قد أتينا^(١) من ذكر آدم وعدوه إبليس وذكر أخبارهما ، وما صنع الله بإبليس إذ تجبر وتعظم وطفى على ربه عز وجل فأشرب وبطر نعمته التي أنعمها الله عليه ، وتمادى في جهله وغيته ، وسأل ربه النظرة ، فأنظره^(٢) إلى يوم الوقت المعلوم ، وما صنع [الله]^(٣) بآدم صلوات الله عليه إذ خطيء^(٤) ونسى عهد الله من تعجيل عقوبته له على خطيئته ، ثم تغمده إياه بفضله ورحمته ، إذ تاب إليه من زلته فتاب عليه وهداه ، وأنقذه من الضلالة والردى — حتى نأتى على ذكر من سلك سبيل كل واحد منهما ؛ من تباع آدم عليه السلام على منهاجه^(٥) وشيعة إبليس والمقتدين به في ضلالته ، إن شاء الله ، وما كان من صنع الله تبارك وتعالى بكل فريق منهم .

١٦٤/١

فأما شيث عليه السلام فقد ذكرنا بعض أمره ، وأنه كان وصى أبيه آدم عليه السلام في مختلفيه^(٦) بعد مضيئه لسبيله ، وما أنزل الله عليه من الصحف . وقيل : إنه لم يزل مقبياً بمكة يحج ويعتمر إلى أن مات ، وإنه كان جمع ما أنزل الله عز وجل عليه من الصحف إلى صحف أبيه آدم عليه السلام ، وعمل بما فيها ، وأنه بنى الكعبة بالحجارة والطين .

وأما السلف من علمائنا فإنهم قالوا : لم تزل القبّة التي جعل الله لآدم في مكان البيت إلى أيام الطوفان ، وإنما رفعها الله عز وجل حين أرسل الطوفان . وقيل : إن شيئاً لما مرض أوصى ابنه أنوش ومات ، فدفن مع أبويه في غار أبي قبيس ، وكان مولده لمضى مائتي سنة وخمسة وثلاثين سنة ، من عمر آدم

(١) ن : « على ذكر آدم » .

(٢) ا ، ك : « فأنظر » بالبناء للمجهول .

(٣) تكملة من ا

(٤) ا : « أخطأ » ، وهما سواء .

(٥) ا : « منهاجه » .

(٦) كذا في ا ، س ، ن ، ط : « مختلفيه » .

عليه السلام . وكانت وفاته وقد أتت له تسعمائة سنة واثننا عشرة سنة .
 وولد لشيث أنوش^(١) ، بعد أن مضى من عمره ستمائة سنة وخمس سنين ؛ فيما
 يزعم أهل التوراة .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا
 سلمة بن الفضل ، عنه : نكح شيث بن آدم أخته حزورة ابنة آدم ، فولدت
 له يانش بن شيث ، ونعمة ابنة شيث ، وشيث يومئذ ابن مائة سنة وخمس
 سنين ، فعاش بعد ما وُلد له يانش ثمانمائة سنة وسبع سنين .

وقام أنوش بعد مضى أبيه شيث لسيله بسياسة^(٢) الملك ، وتديير من^{١٦٥/١}
 تحت يديه من رعيته مقام أبيه شيث ، ولم يزل - فيما ذُكر - على منهاج أبيه ؛
 لا يوقف منه على تغيير ولا تبديل . وكان جميعُ عمر أنوش - فيما ذكر أهل
 التوراة - تسعمائة سنة وخمس سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام ، قال :
 أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد شيث أنوش
 ونفراً كثيراً ، وإليه أوصى شيث ، ثم وُلد لأنوش بن شيث بن آدم ابنه
 قَيَسَان^(٣) من أخته نعمة ابنة شيث بعد مضى تسعين سنة من عمر أنوش ،
 ومن عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن
 ابن إسحاق : نكح يانش بن شيث أخته نعمة ابنة شيث ، فولدت له قَيَسَان ،
 ويانش يومئذ ابن تسعين سنة ، فعاش يانش بعد ما ولد له قَيَسَان ثمانمائة
 سنة وخمس عشرة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كلُّ ما عاش
 يانش تسعمائة سنة وخمس سنين . ثم نكح قَيَسَان بن يانش - وهو ابن

(١) أنوش كصبور ، كذا ضبطه صاحب تاج العروس في ٤ : ٢٨٠ ، قال :
 « ويقال : يانش كصاحب وآدم ، ويقال لإنوش ، بكسر الهمزة بمعنى إنسان » .

(٢) ر ، س : « لسياسة » .

(٣) قينان ، كذا ضبطه صاحب اللسان ؛ بفتح القاف ومد النون الأولى ، وفي سفر التكوين

٥ : ١٢ ضبط بكسر القاف . ويقال أيضاً « قينين » بإسقاط الألف ؛ كما نقله صاحب التاج .

سبعين سنة - دينة^(١) ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ^(٢) بن قين^(٣) بن آدم ، فولدت له مهلائيل^(٤) بن قيسان ، فعاش قيسان بعد ما ولد له مهلائيل ثمانمائة سنة وأربعين سنة ، فكان كل ما عاش قيسان تسعمائة سنة وعشر سنين .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد أنوش قيسان ، ونفراً كثيراً ، وإليه الوصية ، فولد قيسان مهلائيل ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد مهلائيل يررد^(٥) - وهو اليارد - ونفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد يررد أخنوخ وهو إدريس النبي صلى الله عليه وسلم ونفراً معه ، فولد أخنوخ متوشلخ^(٦) ونفراً معه وإليه الوصية ، [فولد متوشلخ ملك^(٧) ونفراً معه وإليه الوصية] .^(٨)

وأما التوراة فما ذكره أهل الكتاب أنه فيها أن مولد مهلائيل بعد أن مضت من عمر آدم ثلثمائة سنة وخمس وتسعون سنة ، ومن عمر قيسان سبعون سنة .

ونكح مهلائيل بن قيسان - وهو ابن خمس وستين سنة ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - خالته سمعن ابنة براكيل ابن محويل بن خنوخ بن قيس بن آدم ، فولدت له يررد بن مهلائيل ، فعاش مهلائيل بعد ما ولد له يررد ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، فولد له بنون وبنات ، فكان كل ما عاش مهلائيل ثمانمائة سنة وخمساً وتسعين سنة ، ثم مات .

وأما في التوراة فإنه ذكر أن فيها أن يررد ولد لمهلائيل بعد ما مضى من عمر آدم أربعمائة سنة وستون سنة ، وأنه كان على منهاج أبيه قيسان ، غير أن الأحداث بدت في زمانه .

(١) في « ذنية » ، وفي ن : « ذنية » بالدال .

(٢) كذا في الأصول ، وفي القاموس : خنوخ بالفتح وأخنوخ بالهمز .

(٣) في القاموس : « قايين ابن لآدم عليه السلام » ، وقال في التاج : « إنه انقرض » .

وفي سفر التكوين ٤ : ١ « قايين » .

(٤) في سفر التكوين ٥ : ١٥ « مهلائيل » .

(٥) كذا ورد في الأصول ، وحكى أبو الفدا في ١ : ٩ إعجام الدال أيضاً .

(٦) كذا في الأصول ، وضبطه ابن الأثير في ١ : ٣٦ بفتح الميم وبالنساء المعجمة باثنتين من فوق

وبالشين المعجمة وبحاء مهيمة ، قال : وقيل خاء معجمة .

(٧) في أبي الفدا : « لامخ ، ويقال : لاملك وملك أيضاً » . (٨) تكملة من ا

ذكر الأحداث التي كانت في أيام بني آدم

من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد

١٦٧/١

ذُكِرَ أن قابيل لما قتل هابيل ، وهرب من أبيه آدم إلى اليمن ، أتاه إبليس ، فقال له : إن هابيل إنما قَبِلَ قُرْبَانَهُ وأكَلته النار ، لأنه كان يخدم النار ويعبدها ، فانصب أنت أيضاً ناراً تكون لك ولعقبك . فبنى بيت نار ، فهو أول من نَصَب النار وعبدها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إن قيناً نكح أخته أشوث بنت آدم ، فولدت له رجلاً وامراًة : خنوخ بن قين ، وعذب^(١) بنت قين ، فنكح خنوخ بن قين أخته عذب بنت قين ، فولدت له ثلاثة نفر وامراًة : عيرد بن خنوخ ومحويل بن خنوخ وأنوشيل^(٢) بن خنوخ ، وموليث بنت خنوخ ، فنكح أنوشيل بن خنوخ موليث ابنة خنوخ ، فولدت لأنوشيل رجلاً اسمه لامك ، فنكح لامك امرأتين : اسم إحداهما عددي واسم الأخرى صلتى^(٣) ، فولدت له عددي تولين بن لامك ، فكان أول من سكن القباب ، واقتنى المال ، وتوبيش^(٤) ، وكان أول من ضرب بالونج^(٥) والصنج ، وولدت رجلاً اسمه توبلقين ، فكان أول من عمل النحاس والحديد ، وكان أولادهم جبابرة وفراعنة ، وكانوا قد أعطوا بسطة في الخلق ؛ كان الرجل فيما يزعمون يكون ثلاثين ذراعاً . قال : ثم انقرض ولد قين ، ولم يتركوا عقباً إلا قليلاً ، وذرية آدم كلهم جهلت^(٦) أنسابهم وانقطع نسلهم ، إلا ما كان من شيث بن آدم ، فنه كان النسل ، وأنساب الناس اليوم كلهم إليه دون أبيه آدم ، فهو أبو البشر ، إلا ما كان من أبيه وإخوته ممن لم يترك عقباً .

١٦٨/١

- (١) كذا في ا ، س ، ن ، وابن الأثير ١ : ٣٢ ، وفي ط : « عدن » .
- (٢) كذا في ا ، ك ، وابن الأثير ، وفي ط : « أبوشيل » .
- (٣) سفر التكوين : « عادة » و « صلة » ، بتشديد اللام .
- (٤) في ابن الأثير : « تولين » .
- (٥) النجج : المعزف ؛ وهو المزهر أو العود .
- (٦) في الأصول : « فجهلت » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

قال: ويقول أهل التوراة: بل نكح قَيْنِ آشوث، فولدت له حَنوخ، فولد
لحنوخ عيرد^(١)، فولد عيرد محويل، فولد محويل أنوشيل، فولد أنوشيل،
لامك، فتكح لامك عدتي وصلتي، فولدتا له مَن سميَتُ. والله أعلم.
فلم يذكر ابن إسحاق من أمر قابيل وعقبه إلا ما حكيتُ.

وأما غيره من أهل العلم بالتوراة فإنه ذكر أن الذي اتخذ الملاهي من ولد
قايين رجل يقال له توبال^(٢)، اتخذ في زمان مهلائيل بن قيسان آلات اللهو
من المزامير والطبول والعيدان والطنابير والمعازف، فانهمك ولد قايين في اللهو،
وتناهى خبرهم إلى مَن بالجبل من نسل شيث، فهم منهم مائة رجل بالنزول
إليهم، وبمخالفة ما أوصاهم به آبائهم، وبلغ ذلك يارد، فوعظهم ونهاهم؛
فأبوا إلا تمادياً، ونزلوا إلى ولد قايين، فأعجبوا بما رأوا منهم، فلما أرادوا
الرجوع حيل بينهم وبين ذلك لدعوة سبقت من آبائهم، فلما أبطئوا بمواضعهم،
نلن من كان في نفسه زيغ ممن كان بالجبل أنهم أقاموا اعتباطاً، فتساللوا^(٣)
ينزلون عن الجبل، ورأوا اللهو فأعجبهم، ووافقوا نساء من ولد قايين متسرعات
إليهم، وصرن معهم، وانهمكوا في الطغيان، وفشت الفاحشة وشرب الخمر.

* * *

قال أبو جعفر: وهذا القول غير بعيد من الحق؛ وذلك أنه قول قد
رؤى عن جماعة من سلف علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم نحو منه، وإن
لم يكونوا بينوا زمان مَن حدث ذلك في ملكه، سوى ذكرهم أن ذلك كان فيما
بين آدم ونوح صلى الله عليهما وسلم.

١٦٩/١

* ذكر من روى ذلك عنه:

حدثنا أحمد بن زهير، قال: حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا
داود - يعنى ابن أبي الفرات - قال: حدثنا علباء بن أحمر، عن عكرمة،

(١) في سفر التكوين: «عيراد».

(٢) كذا في ١، وفي ط من غير نقط، وفي ابن الأثير: «توبال».

(٣) كذا في ١، وفي ابن الأثير: «فتساللوا»، وفي ط: «فتساللوا».

عن ابن عباس ، أنه تلا هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(١)
قال : كانت فيما بين نوح وإدريس ، وكانت ألف سنة ، وإن بطنين من
ولد آدم ، كان أحدهما يسكن السهل ، والآخر يسكن الجبل ، وكان رجال
الجبل صباحا وفي النساء دمامة^(٢) ، وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال
دمامة ، وإن إبليس أتى رجلا من أهل السهل في صورة غلام فأجر نفسه
منه ، وكان يخدمه ، واتخذ إبليس لعنه الله شيئا مثل الذي يزمرفيه الرعاء ،
فجاء فيه بصوت لم يسمع الناس مثله ، فبلغ ذلك من حولهم ، فانتابوهم^(٣)
يسمعون إليه ، واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة ، فتتبرج النساء للرجال ،
قال : وينزل الرجال هن . وإن رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم في
عيدهم ذلك ، فرأى النساء وصباحتهن ، فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك ، فتحولوا
إليهن ، فترلوا عليهن^(٤) ، فظهرت الفاحشة فيهن ، فهو قول الله عز وجل :
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(٥)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا ابن أبي غنينة ، عن أبيه ، عن الحكم :
﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ ، قال : كان بين آدم ونوح ثمانمائة
سنة ، وكان^(٦) نساؤهم أقيح ما يكون من النساء ، ورجالهم حسان ، فكانت المرأة تريد
الرجل على نفسها ، فأنزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾ .^(٧)

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال :
أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لم يمّت آدم حتى
بلغ ولده وولده وأربعين ألفاً ببؤذ .

(١) سورة الأحزاب ٣٣

(٢) كذا في التفسير ، وفي باقي الأصول : « دمامة » .

(٣) ك : « فأتوهم » .

(٤) كذا في ط ، وفي ا ، ك والتفسير : « معهن » .

(٥) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق)

(٦) ا ، والتفسير : « فكان » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤ (بولاق) .

ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد ، فأوصى ألا يناكح بنو شيث
 بنى قابيل ، فجعل بنو شيث آدم في مغارة ، وجعلوا عليه حافظاً^(١) ، لا يقربه
 أحد من بنى قابيل^(٢) ، وكان الذين يأتونه ويستغفر لهم من بنى شيث^(٣) ،
 فقال مائة من بنى شيث صباح : لو نظرنا إلى ما فعل بنو عمنا ! يعنون بنى قابيل .
 فهبطت المائة إلى نساء صباح من بنى قابيل ، فاحتبس النساء الرجال ، ثم
 مكثوا ما شاء الله . ثم قال مائة آخرون : لو نظرنا ما فعل إخوتنا ! فهبطوا
 من الجبل إليهم ، فاحتبسهم النساء . ثم هبط بنو شيث كلتهم ، فجاءت المعصية ،
 وتناكحوا واختلطوا^(٤) ، وكثر بنو قابيل حتى ملثوا^(٥) الأرض ، وهم الذين
 غرقوا أيام نوح .

* * *

وأما نسابو الفرس فقد ذكرت ما قالوا في مهلائيل بن قيسان ، وأنه هو
 أوشهنج الذى ملك الأقاليم السبعة ، وبيّنت قول من خالفهم فى ذلك من
 نسابى العرب .

فإن كان الأمر فيه كالذى قاله نسابو الفرس ، فإنى حدثت عن هشام
 ابن محمد بن السائب ، أنه هو أول من قطع الشجر ، وبنى البناء ، وأول من
 استخرج المعادن وفطنّ الناس لها ، وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد ، وبنى
 مدينتين كانتا أول ما بُنى على ظهر الأرض من المدائن ، وهما مدينة بابل
 التى بسواد الكوفة ، ومدينة السوس . وكان^(٦) ملكه أربعين سنة .

وأما غيره فإنه قال : هو أول من استنبط الحديد فى ملكه ، فاتخذ منه
 الأدوات للصناعات ، وقدر المياه فى مواضع المناقع ، وحضّ الناس على الحراثة
 والزراعة والحصاد واعمال الأعمال ، وأمر بقتل السباع الضارية ، واتخاذ الملابس

(١) ك : « حائطا » .

(٢) ط : « من بنى آدم » ، وما ذكرته من ا ، وكذلك فيما يأتى .

(٣) ا : « بنو شيث » .

(٤) ط : « فاختلطوا » .

(٥) ط : « ملكوا » .

(٦) ط : « فكان » .

من جلودها والمفارش ، وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ، وأن
مُلْكُه كان أربعين سنة ، وأنه بنى مدينة الرّعى. قالوا: وهى أوّل مدينة بنيت
بعد مدينة جيومرت التي كان يسكنها بدُنْباوند من طبرستان .

وقالت الفرس : إن أوْشَهَنْج هذا وُلِدَ ملكًا ، وكان فاضلاً محموداً في
سيرته وسياسة رعيته ، وذكروا أنه أوّل من وَضَعَ الأحكام والحدود ، وكان
ملقباً بذلك ، يُدعى فيشداذ ومعناه بالفارسية أوّل مَنْ حَكَمَ بالعدل ، وذلك
أن « فاش » معناه أوّل ، وأن « داذ » عدل وقضاء ، وذكروا أنه نزل الهند ،
وتنقل في البلاد ، فلما استقام أمره واستوثق له الملك عقد على رأسه تاجاً ،
وخطب خطبة ، فقال في خطبته : إنه ورث الملك عن جده جيومرت ، وإنه
عذاب ونقمة على مرّدة الإنس والشياطين . وذكروا أنه قهر إبليس وجنوده ،
ومنعهم الاختلاط بالناس ، وكتب عليهم كتاباً في طرس أبيض أخذ عليهم
فيه المواثيق ألاّ يعرضوا لأحد من الإنس ، وتوعدهم على ذلك ، وقتل مردتهم
وجماعة من الغيلان ، فهربوا من خوفه إلى المفاوز والجبال والأودية ، وأنه ملك
الأقاليم كلها ، وأنه كان بين موت جيومرت إلى مولد أوْشَهَنْج وملكه مائتا سنة
وثلاث وعشرون سنة .

١٧٢/١

وذكروا أن إبليس وجنوده فرحوا بموت أوْشَهَنْج ، وذلك أنهم دخلوا بموته
مساكن بني آدم ، ونزلوا إليهم من الجبال والأودية .

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر يرد - وبعضهم يقول هو يارد - فولد يرد المهلائيل من
خالته سمن ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين ، بعد ما مضى من عمر آدم
أربعمائة وستون سنة ، فكان وصى أبيه وخليفته فيما كان والد المهلائيل أوصى
إلى المهلائيل ، واستخلفه عليه بعد وفاته ، وكانت ولادة أمه إياه بعد ما مضى
من عمر أبيه المهلائيل - فيما ذكروا - خمس وستون سنة ، فقام من بعد مهلك
أبيه من وصية أجداده وآبائه بما كانوا يقومون به أيام حياتهم .

ثم نكح يرد - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن

إسحاق ، وهو ابن مائة سنة واثنين وستين سنة - بركننا ابنة الدرهميل ^(١) بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم. فولدت له أحنوخ بن يرد - وأحنوخ إدريس النبي ، وكان أول بني آدم أعطي النبوة - فيما زعم ابن إسحاق - وخط بالقلم ، فعاش يرد بعد ما وُلد له أحنوخ ثمانمائة سنة ، وولد له بنون وبنات ، فكان كل ما عاش يرد تسعمائة سنة واثنين وستين سنة ثم مات .

وقال غيره من أهل التوراة : ولد ليرد أحنوخ - وهو إدريس - فنبأه الله عز وجل ، وقد مضى من عمر آدم ستمائة سنة واثنان وعشرون سنة ، وأنزل عليه ثلاثون صحيفة . وهو أول من خط بعد آدم وجاهد في سبيل الله ، وقطع الثياب وخاطها ، وأول من سبى من ولد قابيل ، فاسترق منهم ، وكان وصى والده يرد فيما كان أباه أوصوا به إليه ، وفيما أوصى به بعضهم بعضاً ، وذلك كله من فعله في حياة آدم .

قال : وتوفى آدم عليه السلام بعد أن مضى من عمر أحنوخ ثلثمائة سنة وثمانين سنين ، تمت تسعمائة وثلاثين سنة التي ذكرنا أنها عمر آدم . قال : ودعا أحنوخ قومه ووعظهم ، وأمرهم بطاعة الله عز وجل ومعصية الشيطان ، وألا يلبسوا ولد قابيل ، فلم يقبلوا منه ، وكانت العصابة بعد العصابة من ولد شيث تنزل إلى ولد قايين .

قال : وفي التوراة : إن الله تبارك وتعالى رفع إدريس بعد ثلثمائة سنة وخمس وستين سنة مضت من عمره ، وبعد خمسمائة سنة وسبع وعشرين سنة مضت من عمر أبيه ، فعاش أبوه بعد ارتفاعه أربعمائة وخمسة وثلاثين سنة تمام تسعمائة واثنين وستين سنة ، وكان عمر يرد تسعمائة واثنين وستين سنة ، وولد أحنوخ وقد مضت من عمر يرد مائة واثنان وستون سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : في زمان يرد حملت الأصنام ، ورجع من رجوع عن الإسلام . ١٧٤/١

وقد حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثني عمي ، قال :

حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر الغفاري ، قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا ذر ، أربعة - يعني من الرسل - سريانئون : آدم ، وشيث ، ونوح ، وأخنوخ ، وهو أول من خط بالقلم ، وأنزل الله تعالى على أخنوخ ثلاثين صحيفة » .

وقد زعم بعضهم أن الله بعث^(١) إدريس إلى جميع أهل الأرض في زمانه ، وجمع له علم الماضين ، وأن الله عز وجل زاده مع ذلك ثلاثين صحيفة ، قال : فذلك قول الله عز وجل : ﴿ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى ﴾^(٢)

وقال : يعني بالصحف الأولى [الصحف]^(٣) التي أنزلت على ابن آدم هبة الله وإدريس عليهما السلام .

وقال بعضهم : ملك بيوراسب في عهد إدريس ، وقد كان وقع إليه كلام من كلام آدم صلوات الله عليه ، فاتخذة في ذلك الزمان سحراً ، وكان بيوراسب يعمل به ، وكان إذا أراد شيئاً من جميع مملكته أو أعجبه دابة أو امرأة نفخ بقصبة^(٤) كانت له من ذهب ، وكان يحيى إليه كل شيء يريد ، فمن ثم تنفخ اليهود [في الشبورات]^(٥) .

وأما الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد موت أوشهنج طهمورث بن ويونجهان ابن خبانداذ بن خيا يذار^(٦) بن أوشهنج .

وقد اختلف في نسب طهمورث إلى أوشهنج ، فنسبه بعضهم النسبة التي ذكرت . وقال بعض نسابة الفرس : هو طهمورث بن أيونكهان بن أنكهد ابن أسكهد بن أوشهنج .

(١) : « ابتعث » .

(٢) سورة الأعلى ١٨ - ١٩

(٣) من ١

(٤) ك : « بعصية » .

(٥) تكللة من غرر أخبار ملوك الفرس ص ٢٤ فيما نقله عن الطبري .

(٦) كذا أورد الاسم مضبوطاً معجماً في ١ ، وفي ط مهمل من الضبط .

وقال هشام بن محمد الكلبى - فيما حدثتُ عنه : ذكر أهلُ العلم أن أولَ ملكٍ بابل طهمورث ، قال : وبلغنا - والله أعلم - أن الله أعطاه من القوة ما خضع له إبليس وشياطينه ، وأنه كان مُطيعاً لله ، وكان ملكه أربعين سنة . وأما الفرس فيها تزعم أن طهمورث ملك الأقاليم كلها ، وعقد على رأسه تاجاً ، وقال يوم ملك : نحن دافعون بعون الله عن خليقته المردة الفسدة .^(١) وكان محموداً في ملكه ، حدباً على رعيته ، وأنه ابني سابور من فارس ونزلها ، وتنقل في البلدان ، وأنه وثب بإبليس حتى ركبته ، فطاف عليه في أداني الأرض وأقاصيها ، وأفرغه ومردة أصحابه حتى تطايروا وتفرقوا ، وأنه أول من اتخذ الصوف والشعر للباس^(٢) والفرش ، وأول من اتخذ زينة الملوك من الخيل والبغال والحمير ، وأمر باتخاذ الكلاب لحفظ المواشى وحراستها من السباع والحوارج للصيد ، وكتب بالفارسية ، وأن بيوراسب ظهر في أول سنة من ملكه ، ودعا إلى ملة الصابئين .

١/٦٧١

ثم رجعنا إلى ذكر أخنوخ ، وهو إدريس عليه السلام .

ثم نكح - فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : أخنوخ بن يرد هداة^(٣) - ويقال : أداة^(٤) - ابنة باويل^(٥) ابن محويل بن خسوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمس وستين سنة ، فولدت له متوشلخ بن أخنوخ ، فعاش بعد ما ولد له متوشلخ ثلثمائة سنة ، وولد له بنون وبنات ؛ فكان كل ما عاش أخنوخ ثلثمائة سنة وخمسة وستين سنة ثم مات .

وأما غيره من أهل التوراة فإنه قال فيما ذكر عن^(٦) التوراة : وُلد لأخنوخ بعد ستمائة سنة وسبع وثمانين سنة خلت من عمر آدم متوشلخ ، فاستخلفه

١٧٧/١

(١) : « والفسدة » .

(٢) : ك ، ن : « للناس » .

(٣) : كذا ضبطت في ابتدئ الدال .

(٤) : ك : « إداية » .

(٥) : ر : « باويل » ، ك : « باويل » ، ن : « باويل » .

(٦) : ط : « ذكر أهل التوراة » وما أثبت من أ .

أَخْنُوخَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ ، وَأَوْصَاهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ سَيُعَذِّبُ وَلَدَ قَايِينَ وَمَنْ خَالَطَهُمْ وَمَالَ إِلَيْهِمْ ، وَنَهَاهُمْ عَنِ مَخَالَطَتِهِمْ ، وَذُكِرَ أَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ رَكِبَ الْجَحِيلَ ، لِأَنَّهُ اقْتَنَى رَسْمَ أَبِيهِ فِي الْجِهَادِ ، وَسَلَكَ فِي أَيَّامِهِ فِي الْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللَّهِ طَرِيقَ آبَائِهِ . وَكَانَ عَمْرُ أَخْنُوخَ إِلَى أَنْ رَفَعَ ثَلَاثَةَ سِنِينَ وَخَمْسًا وَسِتِينَ سِنَةً . وَوُلِدَ لَهُ مَتُوشَلِّخُ بَعْدَ مَا مَضَى مِنْ عَمْرِهِ خَمْسَ وَسِتُونَ سِنَةً .

ثم نكح - فيما حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - متوشلخ بن أخنوخ عربا ابنة عزرائيل^(١) بن أنوشيل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثلاثين سنة . فولدت له ملك بن متوشلخ ، فعاش بعد ما ولد له ملك سبعمائة سنة ، فولد له بنون وبنات ، وكان كل ما عاش متوشلخ تسعمائة سنة وتسع عشرة سنة . ثم مات ونكح ملك بن متوشلخ بن أخنوخ بنتوس ابنة براكيل بن محويل^(٢) بن خنوخ بن قين بن آدم عليه السلام ، وهو ابن مائة سنة وسبع وثمانين سنة . فولدت له نوحا النبي صلى الله عليه وسلم ، فعاش ملك بعد ما ولد له نوح خمسمائة سنة وخمسا وتسعين سنة ، [وولد له بنون وبنات] ^(٣) ، فكان كل ما عاش سبعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم مات . ونكح نوح ابن ملك عمذرة^(٤) ابنة براكيل بن محويل بن خنوخ بن قين بن آدم ، وهو ابن خمسمائة سنة ، فولدت له بنيه : سام ، وحام ، ويافت ، بنى نوح .

١٧٨/١

وقال أهل التوراة : ولد لمتوشلخ بعد ثمانمائة سنة وأربع وسبعين سنة من عمر آدم ملك ، فأقام على ما كان عليه آباؤه : من طاعة الله وحفظ عهوده . قالوا : فلما حضرت متوشلخ الوفاة استخلف ملك على أمره ، وأوصاه بمثل ما كان آباؤه يوصون به . قالوا : وكان ملك يعظ قومه ، وينهاهم عن التزول إلى ولد قايين فلا يتعظون ، حتى نزل جميع من كان في الجبل إلى ولد قايين .

(١) وابن الأثير : « عزرايل » .

(٢) محويل ، ضبطه ابن الأثير ١ : ٣١ : « بجاء مهملة وياء معجمة بائنين من تحت » .

(٣) تكلمة من ا .

(٤) ١ : « عمزورة » ، ر : « عزرة » ، ك : « عمريزة » ، ابن الأثير ١ : ٣٦ .

وقيل : إنه كان متوشلخ ابن آخر غير لَمَك ، يقال له صابئ — وقيل : إن الصابئين به سُمِّوا صابئين — وكان عمر متوشلخ تسعمائة وستين سنة ، وكان مولد لَمَك بعد أن مضى من عمر متوشلخ مائة وسبع وثمانون سنة . ثم ولد لَمَك نوحاً بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة ، وذلك لألف سنة وست وخمسين سنة مضت من يوم أهبط الله عزَّ وجلَّ آدم إلى مولد نوح عليه السلام ، فلما أدرك نوح قال له لَمَك : قد علمت أنه لم يبق في هذا الموضع غيرنا ، فلا تستوحش ولا تتبع الأمة الخاطئة ؛ فكان نوح يدعو إلى ربه ، ويعظ قومه فيستخفون به ، فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليه أنه قد أمهلهم ،^(١) فأنظرهم ليراجعوا ويتوبوا مدة ، فانقضت المدة قبل أن يتوبوا وينيبوا .

* * *

وقال آخرون غير من ذكرت قوله : كان نوح في عهد بيوراسب ، وكان قومه يعبدون الأصنام ، فدعاهم إلى الله جلَّ وعزَّ تسعمائة وستة وخمسين سنة ؛ كلِّما مضى قرن تبعهم قرن ، على ملَّة واحدة من الكفر ، حتى أنزل الله عليهم العذاب فأفناهم .

١٧٩/١

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : وكَلد متوشلخ ملك وفراً معه ، وإليه الوصية ، فولد لَمَك نوحاً ، وكان لَمَك يوم ولد نوح اثنتان وثمانون سنة ، ولم يكن أحد في ذلك الزمان ينهَى عن منكر ، فبعث الله إليهم نوحاً ؛ وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ، ثم أمره بصناعة السفينة فصنعها وركبها وهو ابن سبعمائة سنة ، وغرق من غرق ، ثم مكث بعد السفينة ثلاثمائة سنة وخمسين سنة .

* * *

وأما علماء الفرس فإنهم قالوا : ملك بعد طهمورث جم الشيد — والشيد معناه عندهم الشعاع ، لقبوه بذلك فيما زعموا بحمالة — وهو جم بن ويونجهان ، وهو أخو طهمورث . وقيل إنه ملك الأقاليم السبعة كلِّها ، وسُخِّر له ما فيها من

(١) ط : « أمهلهم » ، وما أثبتته من ا .

الجنّ والإنس ، وعقيد على رأسه التاج . وقال حين قعد في ملكه : إن الله تبارك وتعالى قد أكمل بهائنا وأحسن تأييدنا ، وسنوسع رعيتنا خيراً . وإنه ابتدع صنعة السيوف والسلاح ، ودلّ على صنعة الإبريسم والقزّ وغيره مما يُغزّل ، وأمر بنسج الثياب وصبغها ، وفتح السروج والأكفّ وتذليل الدوابّ بها . وذكر بعضهم أنه توارى بعد ما مضى من ملكه ستمائة سنة وست عشرة سنة وستة أشهر ، فخلت البلادُ منه سنة ، وأنه أمر لمضى سنة من ملكه إلى سنة خمس منه بصنعة السيوف والدروع والبيض وسائر صنوف الأسلحة وآلة الصنّاع من الحديد . ومن سنة خمسين من ملكه إلى سنة مائة بغزل الإبريسم والقزّ والقطن والكتّان وكلّ ما يُستطاع غزله وحيآكة ذلك وصبغته ألواناً وتقطيعه أنواعاً ولبسه . ومن سنة مائة إلى سنة خمسين ومائة صنّف الناس أربع طبقات : طبقة مقاتلة ، وطبقة فقهاء ، وطبقة كتّاباً وصناعاً وحرّاثين ، واتخذ طبقة منهم خدماً ، وأمر كلّ طبقة من تلك الطبقات بلزوم العمل الذي ألزمها إياه . ومن سنة مائة وخمسين إلى سنة خمسين ومائتين حارب الشياطين والجنّ وأثخنهم وأذلّتهم وسخّروا له وانقادوا لأمره . ومن سنة خمسين ومائتين إلى سنة ست عشرة وثلثمائة وكلّ الشياطين بقطع الحجارة والصخور من الجبال ، وعمل الرخام والحصّ والكلّس ، والبناء بذلك ، وبالطين البنيان والحمامات ، وصنعة الثّورة ، والنقل من البحار والجبال والمعادن والفلوات كلّ ما ينتفع به الناس ، والذهب والفضة وسائر ما يذاب من الجواهر ، وأنواع الطيب والأدوية فنقدوا في كلّ ذلك لأمره . ثم أمر فصنعت له عجلة من زجاج ، فصفّد فيها الشياطين وركبها ، وأقبل عليها في الهواء من بلده ، من دتبانوند إلى بابل في يوم واحد ، وذلك يوم هرمز أفروردين ماه^(١) ، فاتخذ الناس للأعجوبة التي رأوا من إجرائها ما أجرى على تلك الحال نوروز ؛ وأمرهم باتخاذ ذلك اليوم وخمسة أيام بعده عيداً ، والتنعم والتلذد فيها ، وكتب إلى الناس اليوم السادس ، وهو خرداذروز يخبرهم أنه قد سار فيهم بسيرة ارتضاها الله ، فكان من جزائه

(١) هرمز اسم اليوم الأول من السنة الشمسية، وكلمة «أز» بمعنى «من» ، وفروردين ماه :

اسم الشهر الأول منها .

إياه عليها أن جنبهم الحرَّ والبردَ والأسقام والهرم والحسد ، فكث الناس ثلثمائة سنة بعد الثلثمائة والست عشرة سنة التي خلت من ملكه ، لا يصيبهم شيء مما ذكر أن الله جلَّ وعزَّ جنبهم إياه .

ثم إن جمًّا بَطَّرَ بعد ذلك نعمة الله عنده ، وجمع الإنس والجن ، فأخبرهم أنه وليُّهم ومالكهم والدافع بقوته عنهم الأسقام والهرم والموت ، وجحد إحسان الله عزَّ وجلَّ إليه ، وتمادى في غيِّه فلم يُحِرَّ^(١) أحد من حضره له جوابًا ، وفقد مكانه بهاءه وعزَّه ، وتخلَّت عنه الملائكة الذين كان الله أمرهم بسياسة أمره ، فأحسَّ بذلك بيوراسب الذي يسمى الضحاك فابتدر إلى جَمِّ لينتسه^(٢) فهرب منه ، ثم ظفر به بيوراسب بعد ذلك ، فامتلخ أمعاءه واسترطها^(٣) ، ونشره بمنشار . وقال بعض علماء الفرس : إن جمًّا لم يزل محمودَ السيرة إلى أن بقى من ملكه مائة سنة فخلط حينئذ ، وادَّعى الربوبية ، فلما فعل ذلك اضطرب عليه أمره ، ووثب عليه أخوه اسفتور^(٤) وطلبه ليقتله ، فتواري عنه ، وكان في تواريه ملكًا ينتقل من موضع إلى موضع ، ثم خرج عليه بيوراسب فغلبه على ملكه ، ونشره بالمنشار .

وزعم بعضهم أن ملك جم كان سبعمائة سنة وست عشرة سنة وأربعة أشهر وعشرين يومًا^(٥) .

* * *

وقد ذكرت عن وهب بن منبته ، عن ملك من ملوك الماضين قصة شبيهة بقصة جم شاذ الملك ، ولولا أن تاريخه خلاف تاريخ جم لقلت إنها قصة جم .

(١) ن : « فلم يحدر » .

(٢) كذا في أو ابن الأثير ، وفي ط : « لينتسه »

(٣) استرطها ، من السرط ؛ وهو « اليلع » .

(٤) أو ابن الأثير ١ : ٣٧ : « اسفتور » .

(٥) قال ابن الأثير بعد أن نقل هذا الخبر : « قلت : وهذا الفصل من حديث جم قد

أتينا به تاما بعد أن كنا عازمين على تركه ؛ لما فيه من الأشياء التي تمجها الأسماح ، وتأباها العقول والطباع ؛ فإنها من خرافات الفرس مع أشياء آخر قد تقدمت قبلها ؛ وإنما ذكرناها ليعلم جهل الفرس ؛ فإنهم كثيراً ما يشتمون على العرب بجهلهم ، وما بلغوا هذا ؛ ولأننا لو تركنا هذا الفصل لخلا من شيء نذكره من أخبارهم » .

وذلك ما حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه ، أنه قال : إن رجلاً ملك وهو فتى شاب^(١) ، فقال : إني لأجدُ للملِك لذة وطعمًا ، فلا أدري : أكذلك كلَّ الناس أم أنا وجدته من بينهم ؟ فقيل له : بل الملِك كذلك ، فقال : ما الذي يقيمه لي ؟ فقيل له : يقيمه لك أن تطيع الله فلا تعصيه . فدعا ناسًا من خيار من كان في ملكه فقال لهم : كونوا بحضرتي في مجلسي ؛ فما رأيتم أنه طاعة لله عزَّ وجلَّ فأمروني أن أعمل به ، وما رأيتم أنه معصية لله فاجزوني عنه أنزجر ؛ ففعل ذلك هو وهم ، واستقام له ملكه بذلك أربعمئة سنة مطيعًا لله عزَّ وجلَّ . ثم إن إبليس انتبه لذلك فقال : تركت رجلاً يعبد الله ملكًا أربعمئة سنة ! فجاء فدخل عليه فتمثل له برجل ، ففزع منه الملِك ، فقال : من أنت ؟ قال إبليس : لا تُرْعَ ؛ ولكن أخبرني من من أنت ؟ قال الملِك : أنا رجل من بني آدم ، فقال له إبليس : لو كنت من بني آدم لقد متَّ كما يموت بنو آدم ؛ ألم ترَ كمَّ قدمات من الناس وذهب من القرون ! لو كنت منهم لقد متَّ كما ماتوا ؛ ولكنك إله ، فادعُ الناس إلى عبادتك . فدخل ذلك في قلبه ، ثم صعد المنبر ، فخطب الناس فقال : أيها الناس ، إني قد كنت أخفيت عنكم أمرًا بآن لي إظهاره ؛ لكم تعلمون أني ملكتكم منذ أربعمئة سنة ، ولو كنت من بني آدم لقد متَّ كما ماتوا ؛ ولكني إله فاعبدوني . فأرعى مكانه ، وأوحى الله إلى بعض من كان معه فقال : أخبره أني قد استقيمت له ما استقام لي ، فإذا تحول عن طاعتي إلى معصيتي فلم يستقم لي ، فبجزتي حلفت لأسلطنَّ عليه بخت ناصر ؛ فليضربنَّ عنقه ، وليأخذنَّ ما في خزائنه . وكان في ذلك الزمان لا يسخط الله على أحد إلا سلط عليه بخت ناصر ؛ فلم يتحول الملِك عن قوله ، حتى سلط الله عليه بخت ناصر ، فضرب عنقه ، وأقر من خزائنه سبعين سفينة ذهبًا .

١٨٣/١

قال أبو جعفر : ولكن بين بخت ناصر وجم دهر طويل ؛ إلا أن يكون الضحاك كان يدعى في ذلك الزمان بخت ناصر .

(١) ر : « وهو ذو شباب » ، ن : « وهو شاب » .

وأما هشام بن الكلبي فإني حَدَّثْتُ عنه أنه قال : ملك بعد طهْمُورث جم ، وكان أَصْبَحَ أهل زمانه وجهًا ، وأعظمهم جسمًا ، قال : فذكروا أنه غيَّبَ (١) ستائة سنة وتسع عشرة سنة مطيعًا لله مستعليًا أمره مستوثقة له البلاد . ثم إنه طغى وبنى ، فسَلَطَ الله عليه الضحاك ، فسار إليه في مائتي ألف ، فهرب جم منه مائة سنة ؛ ثم إن الضحاك ظفر به فنشره بمِشَار . قال : فكان جميع ملك جم ، منذ ملك إلى أن قتل سبعمائة وتسع عشرة سنة .

وقد روى عن جماعة من السلف أنه كان بين آدم ونوح عشرة قرون ؛ كلُّهم على ملة الحق ، وأن الكفر بالله إنما حدث في القرن الذين بعث إليهم نوح عليه السلام ، وقالوا : إن أول نبي أرسله الله إلى قوم بالإنذار والدعاء إلى توحيده نوح عليه السلام .

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا أبو داود ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان بين نوح و آدم عليهما السلام عشرة قرون ، كلُّهم على شريعة من الحق ؛ فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، قال : وكذلك هي في قراءة عبد الله : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾ (٢)

١٨٤/١

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة : قوله عز وجل : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ ، قال : كانوا على الهدى جميعًا فاختلفوا ، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين ، فكان أول نبي بعث نوح عليه السلام (٣) .

(١) ط : « عمر » ، وما أثبتته من ا .

(٢) سورة البقرة ٢١٣ ، والخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥ .

(٣) الخبر في التفسير ٤ : ٢٧٥ .

ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام

قد ذكرنا اختلاف المختلفين في ديانة القوم الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وأن منهم من يقول : كانوا قد أجمعوا على العمل بما يكرهه الله ، من ركوب الفواحش وشرب الخمر والاشتغال بالملاهي عن طاعة الله عز وجل ، وأن منهم من يقول : كانوا أهل طاعة بيوراسب ، وكان بيوراسب أول من أظهر القول بقول الصابئين ؛ وتبعه على ذلك الذين أرسل إليهم نوح عليه السلام ، وسأذكر إن شاء الله خبر بيوراسب فيما بعد .

فأما كتاب الله فإنه ينبي عنهم أنهم كانوا أهل أوثان ، وذلك أن الله عز وجل يقول مخبراً عن نوح : ﴿ قَالَ نُوحُ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَأَتَّبِعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ، وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۗ ﴾ (١) . فبعث الله إليهم نوحاً مخوفهم بأسه ، ومحدّثهم سطوته ، وداعياً لهم إلى التوبة والمراجعة إلى الحق ، والعمل بما أمر الله به رسله وأنزله في صحف آدم وشيث وأخنوخ . ونوح يوم ابتعثه الله نبياً إليهم - فيما ذكر - ابن خمسين سنة .

١٨٥/١

وقيل أيضاً ما حدثنا به نصر بن علي الجهضمي ، قال : حدثنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عوّن بن أبي شدّاد ، قال : إن الله تبارك وتعالى أرسل نوحاً إلى قومه وهو ابن خمسين وثلاثمائة سنة ، فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، ثم عاش بعد ذلك خمسين وثلاثمائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : بعث الله نوحاً إليهم وهو ابن أربعمائة سنة وثمانين سنة ، ثم دعاهم في نبوته مائة وعشرين سنة ،

وركب السفينة وهو ابن ستمائة سنة ، ثم مكث بعد ذلك ثلاثمائة وخمسين سنة .

قال أبو جعفر : فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله عز وجل يدعوهم إلى الله سرّاً وجهراً ، يمضي قرنٌ بعد قرن ، فلا يستجيبون له ، حتى مضى قرون ثلاثة على ذلك من حاله وحالهم ، فلما أراد الله عز وجل إهلاكهم دعا عليهم نوح عليه السلام فقال : ﴿ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مِنِّي لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴾ ، فأمره الله تعالى ذكره أن يفرس شجرة فرسها ، فعظمت وذهبت كل مذهب ، ثم أمره بقطعها من بعد ما غرسها بأربعين سنة ، فيتخذ منها سفينة ، كما قال الله له : ﴿ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ﴾ (١) ، فقطعها وجعل يعملها .

وحدثنا صالح بن مسمار المروزي والثني بن إبراهيم ، قالا : حدثنا ابن أبي مریم ، قال : حدثنا موسى بن يعقوب ، قال : حدثني فائد مولى عبيد الله ابن علي بن أبي رافع ، أن إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبي ربيعة ، أخبره أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أخبرته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لورحم الله أحداً من قوم نوح لرحم أم الصبي » ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كان نوح مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً ، يدعوهم إلى الله عز وجل ، حتى كان آخر زمانه غرس شجرة فعظمت وذهبت كل مذهب ثم قطعها ، ثم جعل يعمل سفينة فيمرّون فيسألونه فيقول : أعملها سفينة ، فيسخرون منه ، ويقولون : تعمل سفينة في البر فكيف تجرى ! فيقول : سوف تعلمون . فلما فرغ منها وفار التنور وكثر الماء في السكك خشيت أم الصبي عليه - وكانت تحبه حباً شديداً - فخرجت إلى الجبل حتى بلغت ثلثه ، فلما بلغها الماء خرجت حتى بلغت ثلثي الجبل ، فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل ، فلما بلغ الماء رقبتها رفعته بيدها ، حتى ذهب به الماء ، فلو رحم الله منهم أحداً لرحم أم الصبي » .

حدثني ابن أبي منصور ، قال : حدثنا علي بن الهيثم ، عن المسيّب بن

شريك ، عن أبي رَوْق ، عن الضَّحَّاك ، قال : قال سلمان الفارسيّ : عمل نوح السفينة أربعمئة سنة ، وأبنت الساج أربعين سنة ، حتى كان طوله ثلثمائة ذراع ، والذراع إلى المنكب .

١٨٧/١ فعمل نوح بوحى الله إليه ، وتعليمه إياه ، عملها فكانت إن شاء الله كما حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذُكِرَ لنا أن طول السفينة ثلثمائة ذراع ، وعرضها خمسون ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثون ذراعاً ، وبابها في عرضها .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك ، عن الحسن ، قال : كان طول سفينة نوح ألف ذراع ومائتي ذراع ، وعرضها ستمائة ذراع .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن مفضل بن فضالة ، عن عليّ بن زيد بن جدعان ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : قال الحواريون لعيسى بن مريم : لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة فحدثنا عنها ! فانطلق بهم حتى انتهى إلى كتيب من تراب ، فأخذ كفاً من ذلك التراب بكفّه ، فقال : أتدرون ما هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : هذا قبر حام بن نوح ، قال : فضرب الكتيب بعصاه وقال : قم بإذن الله ، فإذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه ، وقد شاب ، فقال له عيسى عليه السلام : هكذا هلكت ؟ قال : لا ، ولكني متّ وأنا شابٌّ ، ولكنني ظننتُ أنها الساعة . فُنِثِمَ شِبْتُ . قال : حدثنا عن سفينة نوح ، قال : كان طولها ألف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات : فطبقة فيها الدواب والوحش ، وطبقة فيها الإنس ، وطبقة فيها الطير ، فلما كثر أزواث الدواب أوحى الله إلى نوح أن اغمز ذنب الفيل ، فغمز فوقع منه خنزير وخنزيرة ، فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بجز السفينة يقرضه ، أوحى الله إلى نوح أن اضرب بين عيني الأسد ، فخرج من منخره سنور وسنورة ، فأقبلا على الفأر . فقال له عيسى : كيف علم نوح أن البلاد قد غرقت ؟ قال : بعث الغراب يأتيه بالخبر ، فوجد جيفة فوقه عليها ، فدعا عليه بالخوف ، فلذلك لا يألف البيوت . قال : ثم بعث الحمامة ، فجاءت

بورق زيتون بمقارها وطين برجلَيْهَا ، فعلم أن البلاد قد غرقت . قال : فطوقها الحضرة التي في عنقها ، دعا لها أن تكون في أنس وأمان ، فن تم تألف البيوت . قال : فقالت الحواريون : يا رسول الله ، ألا ننطلق به إلى أهلنا ، فيجلس معنا ويحدثنا ؟ قال : كيف يتبعكم من لا رزق له ؟ قال : فقال له : عُدْ بإذن الله ، فعاد تراباً .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : نَجَرَ^(١) نوح السفينة بجبل بَوْدَ ، من ثم تبدى الطوفان . قال : وكان طول السفينة ثلثمائة ذراع بذرَاعِ جدّ أبي نوح ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وطولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، وخرج منها من الماء ستة أذرع ، وكانت مطبقة ، وجعل لها ثلاثة أبواب ، بعضها أسفل من بعض .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عمن لا يتهم ، عن عبيد بن عمير الليثي ، أنه كان يحدث أنه بلغه أنهم كانوا يبطشون به - يعني قوم نوح بنوح - فيخنقونه حتى يُغشى عليه ، فإذا أفاق قال : اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون .

قال ابن إسحاق : حتى إذا تمادوا في المعصية ، وعظمت في الأرض منهم الخطيئة ، وتناول عليه وعليهم الشأن ، واشتد عليه منهم البلاء ، وانتظر النجل بعد النجل ، فلا يأتي قرن إلا كان أخبث من الذي قبله ؛ حتى إن كان الآخر منهم ليقول : قد كان هذا مع آبائنا ومع أجدادنا ؛ هكذا مجنوناً ! لا يقبلون منه شيئاً ، حتى شكوا ذلك من أمرهم إلى الله عز وجل ، فقال كما قص الله عز وجل علينا في كتابه : ﴿ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا ﴾ إلى آخر القصة ، حتى قال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دِيَارًا * إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضُلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ ،^(٢) إلى آخر القصة . فلما شكوا ذلك منهم نوح إلى الله عز وجل

(١) يقال . نجر الخشب ؛ أي نحتته وسواه .

(٢) سورة نوح ٥٠ ، ٦٤ ، ٢٦ - ٢٧

واستنصره عليهم أوحى الله إليه أن ﴿أَصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا وَلَا تَخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (١). فأقبل نوح على عمل الفلك ، ولها عن قومه ، وجعل يقطع الخشب ويضرب الحديد ، ، وبهيمى عدة الفلك من القار وغيره مما لا يصلحه إلا هو ، وجعل قومه يمرؤن به ، وهو في ذلك من عمله ، فيسخرون منه ، ويستهزئون به فيقول : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾ (٢) . قال : ويقولون - فيما بلغنى - : يا نوح قد صرت نجاراً بعد النبوة ! قال : وأعقم الله أرحام النساء فلا يولد لهم .

قال : ويزعم أهل التوراة أن الله عز وجل أمره أن يصنع الفلك من خشب الساج ، وأن يصنعه أزور (٣) ، وأن يطلبيته بالقار من داخله وخارجه ، وأن يجعل طوله ثمانين ذراعاً وعرضه خمسين ذراعاً ، وطوله في السماء ثلاثين ذراعاً ، وأن يجعله ثلاثة أطباق : سفلاً ووسطاً وعلوياً ، وأن يجعل فيه كؤواً . ففعل نوح كما أمره الله عز وجل ، حتى إذا فرغ منه وقد عهد الله إليه : ﴿إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٤) . وقد جعل التنور آية فيما بينه وبينه ، فقال : إذا جاء أمرنا وفار التنور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين واركب . فلما فار التنور حمل نوح في الفلك من أمره الله تعالى به - وكانوا قليلاً كما قال - وحمل فيها من كل زوجين اثنين مما فيه الروح والشجر ، ذكراً وأنثى . فحمل فيه بنيه الثلاثة : سام وحام ويافث ونساءهم ، وستة أناس ممن كان آمن به فكانوا عشرة نفر : نوح وبنوه وأزواجهم ، ثم أدخل ما أمره الله به من الدواب ، وتخلف عنه ابنه يام ، وكان كافراً .

(١) سورة هود ٣٧

(٢) سورة هود ٣٨ - ٣٩

(٣) أزور ، أى مائلا .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن
ابن دينار ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال :
سمعتة يقول : كان أول ما حمل نوح في الفلك من الدواب الذرة ، وآخر
ما حمل الحمار . فلما أدخل الحمار ودخل صدره تعلق إبليس لعنه الله بذنبيه
فلم تستقل رجلاه ، فجعل نوح يقول : ويحك ! ادخل ، فينهض فلا يستطيع ،
حتى قال نوح ، ويحك ! ادخل ! وإن كان الشيطان معك ، قال كلمة زلت عن
لسانه ، فلما قالها نوح حملت الشيطان سبيله ، فدخل ودخل الشيطان معه ،
فقال له نوح : ما أدخلك عليّ يا عدو الله ! قال : ألم تقل : « ادخل وإن كان
الشيطان معك ! » ، قال : اخرج عني يا عدو الله ، فقال : مالك بد من أن
تحملتني ، فكان - فيما يزعمون - في ظهر الفلك ، فلما اطمأن نوح في الفلك
وأدخل فيه كل من آمن به ، وكان ذلك في الشهر من السنة التي دخل فيها
نوح بعد ستمائة سنة من عمره لسبع عشرة ليلة مضت من الشهر ، فلما دخل
وحمل معه من حمل ، تحرك ينابيع الغوط الأكبر ، وفتحت أبواب السماء ، كما
قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّهِمٍّ * وَفَجَّرْنَا
الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ ^(١) . فدخل نوح ومن معه الفلك
وغطاه عليه وعلى من معه بطبقة ، فكان بين أن أرسل الله الماء وبين أن
احتمل الماء الفلك أربعين يوماً وأربعين ليلة . ثم احتمل الماء كما يزعم أهل
التوراة ، وكثر واشتد وارتفع ؛ يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم :
﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْوَاحِ وَدُسُرٍ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفْرًا ﴾ ^(١) .
والدُسُرُ : المسامير ، مسامير الحديد . فجعلت الفلك تجرى به وبمن معه في
موج كالجبال ، ونادى نوح ابنه الذي هلك فيمن هلك ، وكان في معزل
حين رأى نوح من صدق موعود ربه ما رأى ، فقال : ﴿ يَا بَنِيَّ ارْكَبْ
مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ ﴾ ، وكان شقيماً قد أضمر كفراً ، قال
سأوي إلى جبل يعصمني من الماء ، وكان عهد الجبال وهي حرز

١٩١/١

١٩٢/١

من الأمطار إذا كانت ، فظن أن ذلك كما كان يكون ، قال [نوح] ^(١) : ﴿ لا عاصمَ اليوم من أمر الله إلا من رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴾ ^(٢) .
 وكثر الماء وطفى ، وارتفع فوق الجبال — كما يزعم أهل التوراة — خمسة عشر ذراعاً ، فباد ما على وجه الأرض من الخلق ، [من] ^(١) كل شيء فيه الروح أو شجر ، فلم يبق شيء من الخلائق إلا نوح ومن معه في الفلك ، وإلا عوج بن عتق ^(٣) — فيما يزعم أهل الكتاب — فكان بين أن أرسل الله الطوفان وبين أن غاض الماء ستة أشهر وعشر ليال .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : أرسل الله المطر أربعين يوماً وأربعين ليلة ، فأقبلت الوحوش حين أصابها المطر والدواب والطير كلها إلى نوح ، وسخرت له ، فحمل منها كما أمره الله عز وجل : ﴿ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ آتَيْنِ ﴾ ، وحمل معه جسد آدم ، فجعله حاجزاً بين النساء والرجال ، فركبوا فيها لعشر ليال مضيئ من رجب ، وخرجوا منها يوم عاشوراء من الحرم ، فلذلك صام من صام يوم عاشوراء . وأخرج الماء نصفين ، فذلك قول الله عز وجل ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ ، يقول : منصب ، ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ ، يقول : شققنا الأرض ، ﴿ فَالتقى الماء على أمرٍ قد قدر ﴾ فصار الماء نصفين : نصف من السماء ونصف من الأرض ، وارتفع الماء على أطول جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً ، فسارت بهم السفينة ، فطافت بهم الأرض كلها في ستة أشهر لا تستقر على شيء ، حتى أتت الحرم فلم تدخله ، ودارت بالحرم أسبوعاً ، ورُفِعَ البيت الذي بناه آدم عليه السلام ؛ رفع من الغرق ، — وهو البيت المعمور والحجر الأسود — على أبي قبيس ، فلما دارت بالحرم ذهبت في الأرض تسير بهم ، حتى انتهت إلى الجودي — وهو جبل بالحضيض من

(١) تكلمة من ا

(٢) سورة هود ٤٣

(٣) كذا في ا ، وفي ط : « أعنتق » .

أرض الموصل — فاستقرت بعد ستة أشهر لتمام السبع ، فقبل بعد السبعة الأشهر : ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^(١) ، فلما استقرت على الجودي ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ﴾ ؛ يقول : أنشئ ماءك الذي خرج منك ، ﴿وَيَا سَمَاءَ أَقْلِعِي﴾ ؛ يقول : اجبسي ماءك ، ﴿وَعِغِضَ الْمَاءِ﴾^(٢) نشفته الأرض ، فصار ما نزل من السماء هذه البحور التي ترون في الأرض ، فأخر ما بقي من الطوفان في الأرض ماءً بحسبى^(٣) بقي في الأرض أربعين سنة^(٤) بعد الطوفان ثم ذهب .
وكان التنور الذي جعل الله تعالى ذكره آية ما بينه وبين نوح فوران الماء منه تنوراً كان لحواء من حجارة ، وصار إلى نوح .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هُشَيْمٌ ، عن أبي محمد ، عن الحسن ، قال : كان تنوراً من حجارة ، كان لحواء حتى صار إلى نوح ، قال : فقبل له : إذا رأيت الماء يفور من التنور ، فاركب أنت وأصحابك .

* * *

وقد اختلف في المكان الذي كان به التنور الذي جعل الله فوران مائه آية ، ما بينه وبين نوح ، قتال بعضهم : كان بالهند .
* ذكر من قال ذلك :

١٩٤/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبد الحميد الحماني ، عن النضر أبي عمر الخزاز ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : في : ﴿وَقَارَ التَّنُّورُ﴾^(٤) . قال : فار بالهند .

* * *

وقال آخرون : كان ذلك بناحية الكوفة .

* ذكر من قال ذلك :

(١) سورة هود ٤٤

(٢) حسمى : أرض ببادية الشام ؛ ذكرها ياقوت في معجم البلدان وقال : آخر ماء نضب من ماء الطوفان حسمى ، فبقيت منه هذه البقية إلى اليوم فلذلك هي أحب ماء .

(٣) ١ : « يعني بعد الطوفان » .

(٤) سورة هود ٤٠

حدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ^(١) ؛ قال : حدثنا خَلْفُ بن خليفة ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : نبع الماء في التنور ، فعلمت به امرأته فأخبرته ، قال : وكان ذلك في ناحية الكوفة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثنا علي بن ثابت ، عن السري بن إسماعيل ، عن الشعبي ، أنه كان يحلف بالله : ما فار التنور إلا من ناحية الكوفة .

واختلاف في عدد مَنْ ركب الفلْكَ من بني آدم ، فقال بعضهم : كانوا ثمانين نفساً .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : حدثنا زيد بن الحُبَاب ، قال : حدثني حسين بن واقد الخراساني ، قال : حدثنا أبو تَهْيِك ، قال : سمعت ابن عباس يقول : كان في سفينة نوح ثمانون رجلاً ، أحدهم جرهم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : قال ابن عباس : حمل نوحٌ معه في السفينة ثمانين إنساناً . حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : قال سفيان : كان بعضهم يقول : كانوا ثمانين - يعني القليل الذين قال الله عز وجل : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ^(٢) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : حمل نوح في السفينة بنيه : سام ، وحام ، ويافث . وكناثه ؛ نساء بنيه هؤلاء ، وثلاثة وسبعين من بني شيث ؛ ممن آمن به ، فكانوا ثمانين في السفينة .

* * *

(١) كذا في ط ؛ وفي ا : « حدثنا الحارث ، حدثنا القاسم » ؛ وهو يوافق ما في التفسير :

١٢ : ٢٥ (بلاق) ، وانظر تاريخ بغداد ٨ : ٢١٨ .

(٢) سورة هود ٤٠

وقال بعضهم : بل كانوا ثمانية أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه لم يتم^(١) في السفينة إيلانوح وامراته وثلاثة بنيه ، ونسأوهم ، فجميعهم ثمانية .

حدثنا ابن وكيع والحسن بن عرفة ، قالا : حدثنا يحيى بن عبد الملك ابن أبي غنبيّة ، عن أبيه ، عن الحكم : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : نوح ، وثلاثة بنيه ، وأربع كئانته .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، قال : قال ابن جريج : حدثت أن نوحاً حمل معه بنيه الثلاثة وثلاث نسوة لبنيه ، وامرأة نوح ، فهم ثمانية بأزواجهم ، وأسماؤ بنيه : يافث ، وحام ، وسام . فأصاب حام امرأته في السفينة ، فدعا نوح أن تُغيّر^(٢) نطفته ، فجاء بالسودان .

١٩٦/١

* * *

وقال آخرون : بل كانوا سبعة أنفس .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحارث ، قال : حدثني عبد العزيز ، قال : حدثنا سفیان ، عن الأعمش : ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ ، قال : كانوا سبعة : نوح ، وثلاث كئانث ، وثلاثة بنين له .

* * *

وقال آخرون : كانوا عشرة سوى نسأهم .

* ذكر من قال ذلك :

(١) س : « لم يبق » ، ك : « لم يتم » .

(٢) أ : « يغير » ، ك : « تغير » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل بنيه الثلاثة : سام ، وحام ، ويافث ونساءهم ، وستة أناسي ممن كان آمن به ^(١) ، فكانوا عشرة نفر بنوح وبنيه وأزواجهم . وأرسل ^(٢) الله تبارك وتعالى الطوفان لمضى ستمائة سنة من عمر نوح - فيما ذكره أهل العلم من أهل الكتاب وغيرهم - ولتتمة ألفي سنة ومائتي سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم إلى الأرض .

وقيل : إن الله عز وجل أرسل الطوفان لثلاث عشرة خلت من آب ، وإن نوحاً أقام في الضلك إلى أن غاض الماء ، واستوت الضلك على جبل الجودي ^(٣) بقردى ^(٤) ، في اليوم السابع عشر من الشهر السادس . فلما خرج نوح منها اتخذ بناحية قردى من أرض الجزيرة موضعاً ، وابتنى هناك قرية سماها ثمانين ^(٥) ؛ لأنه كان بنى فيها بيتاً لكل إنسان ممن آمن معه وهم ثمانون ، فهي إلى اليوم تسمى سوق ثمانين .

١٩٧/١

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : حدثني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : هبط نوح عليه السلام إلى قرية ^(٦) ، فبنى كل رجل منهم بيتاً ، فسميت سوق ثمانين ، ففرق بنو قabil كلهم ، وما بين نوح إلى آدم من الآباء كانوا على الإسلام . قال أبو جعفر : فصار هو وأهله فيه ، فأوحى الله إليه أنه لا يعيد الطوفان إلى الأرض أبداً .

وقد حدثني عباد بن يعقوب الأسدي ، قال : حدثنا الحارثي ، عن عثمان

(١) ١ : « معه » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « فأرسل » .

(٣) الجودي ؛ بالتشديد : جبل مطل على جزيرة ابن عمر ، في الجانب الشرق من دجلة ، من أعمال الموصل .

(٤) قردى ، بالفتح ثم السكون ، ثم دال مهملة . ياقوت .

(٥) قال ياقوت : « ثمانين ، بليدة عند جبل الجودي ، قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق الموصل . كان أول من نزله نوح عليه السلام لما خرج من السفينة معه ثمانون إنساناً ؛ فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع ، وأقاموا به ، فسمى الموضع بهم ، ثم أصابهم وباء ، فمات الثمانون غير نوح عليه السلام وولده ؛ فهو أبو البشر كلهم » . معجم البلدان ٣ : ٢٣ (٦) ١ : « في قرية » .

ابن مطر ، عن عبد العزيز بن عبد الغفور ، عن أبيه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « في أول يوم من رجب ركب نوح السفينة ، فصام هو وجميع مَنْ معه ، وجرت بهم السفينة ستة أشهر ، فأنتهى ذلك إلى المحرم ، فأرست^(١) السفينة على الجودي يوم عاشوراء ، فصام نوح ، وأمر جميع من معه من الوحش والنواب فصاموا شكراً لله عز وجل » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت السفينة أعلاها الطير ، ووسطها الناس ، وأسفلها السباع . وكان طولها في السماء ثلاثين ذراعاً ، ودَقَعَتْ^(٢) من عين وردة^(٣) يوم الجمعة لعشر ليال مضين من رجب ، وأرست على الجودي يوم عاشوراء ، ومرت بالبيت ، فطافت به سبعاً ، وقد رفعه الله من الغرق ، ثم جاءت اليمن ، ثم رجعت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن قتادة ، قال : هبط نوح من السفينة يوم العاشر من المحرم ، فقال لمن معه : مَنْ كان منكم صائماً فليتم صومه ، ومن كان منكم مفطراً فليصم .

١٩٨/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنها - يعني الفلک - استقلت بهم في عشر خَلَوْنَ من رجب ، فكانت في الماء خمسين ومائة يوم ، واستقرت على الجودي شهراً ، وأهبط بهم في عشر خَلَوْنَ من المحرم يوم عاشوراء .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن قيس ، قال : ما كان زمان نوح شبراً من الأرض إلا إنسان يدعيه .

(١) رست السفينة وأرست : وقفت .

(٢) كذا في ا ، ر ، وفي ط : « رفعت » . ، وودفعت من عين وردة ، أي ابتداء سيرها من هذا المكان .

(٣) عين وردة ، ذكرها ياقوت باسم « عين الوردة » ، وقال : « رأس عين المدينة المشهورة بالجزيرة » .

ثم عاش نوح بعد الطوفان فيما حدثني نصر بن علي الجهضمي ، قال :
أخبرنا نوح بن قيس ، قال : حدثنا عون بن أبي شداد ، قال : عاش - يعني
نوحاً - بعد ذلك - يعني بعد الألف سنة إلا خمسين عاماً التي لبثها في قومه -
ثلثمائة وخمسين سنة .

وأما ابن إسحاق ، فإن ابن حميد حدثنا ، قال : حدثنا سلمة ، عنه ،
قال : وعمر نوح - فيما يزعم أهل التوراة - بعد أن أهبط من الفلك ثلثمائة سنة
وثمانياً وأربعين سنة ، قال : فكان جميع عمر نوح ألف سنة إلا خمسين عاماً ،
ثم قبضه الله عزّ وجلّ إليه .

وقيل : إن ساماً ولد لنوح قبل الطوفان بثمان وتسعين سنة . وقال بعض
أهل التوراة : لم يكن التناسل ، ولا ولد لنوح ولد إلا بعد الطوفان ، وبعد
خروج نوح من الفلك .

قالوا : إنما الذين كانوا معه في الفلك قوم كانوا آمنوا به واتبعوه ،
غير أنهم بادوا وهلكوا ، فلم يبق لهم عقب ، وإنما الذين هم اليوم في الدنيا من
بني آدم ولد نوح وذريته دون سائر ولد آدم ؛ كما قال الله عزّ وجلّ :
﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ (١) .

١٩٩/١

وقيل : إنه كان لنوح قبل الطوفان ابنان هلكا جميعاً ؛ كان أحدهما
يقال له كنعان ، قالوا : وهو الذي غرق في الطوفان ، والآخر منهما يقال له
عابر (٢) ، مات قبل الطوفان .

حدثنا الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال :
أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : ولد لنوح سام ، وفي
ولده بياض وأدمة (٣) ، وحام وفي ولده سواد وبياض قليل ، ويافث وفيهم الشقرة
والحمرة ، وكنعان وهو الذي غرق ، والعرب تسميه يام ؛ وذلك قول العرب :
إنما هام عمنا يام ؛ وأمّ هؤلاء واحدة .

(١) سورة الصافات ٧٧ (٢) ن : « غابر » .

(٣) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « آدم » .

فأما الجوس فإنهم لا يعرفون الطوفان ، ويقولون : لم يزل المُلْكُ فينا من عهد جيومرّت ، وقالوا : جيومرّت هو آدم يتوارثة آخرٌ عن أولٍ إلى عهد فيروز بن يزْدَجِرْد بن شهريار ، قالوا : ولو كان لذلك صحة كان نسب القوم قد انقطع ، ومُلْكُ القوم قد اضمحل ، وكان بعضهم يُقرّ بالطوفان ويزعم أنه كان في إقليم بابل وما قرب منه ، وأن مساكن ولد جيومرّت كانت^(١) بالمشرق ، فلم يصل ذلك إليهم .

قال أبو جعفر : وقد أخبر الله تعالى ذكره من الخبر عن الطوفان بخلاف ما قالوا ، فقال وقوله الحق : ﴿ وَاقْدِرْ نَادَانَا نُوحٌ فَلْنَعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾^(٢) فأخبر عزّ ذكره أن ذرية نوح هم الباقيون دون غيرهم . وقد ذكرتُ اختلافَ الناس في جيومرّت ومن يخالف الفرس في عينه ، ومن هو ، ومن نسبه إلى نوح عليه السلام .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا ابن عثمة ، قال : حدثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن سمرة بن جندب ، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . قال : « سام وحام ويافث » .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، في قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ ، قال : فالناس كلُّهم من ذرية نوح . حدثني علي بن داود ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ . يقول : لم يبق إلا ذرية نوح .

وروى عن علي بن مجاهد ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري . وعن محمد بن

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « كان » .

(٢) سورة الصافات : ٧٥ - ٧٧ .

صالح ، عن الشعبي قالوا : لما هبط آدم من الجنة ، وانتشر ولدُه أرخ بسنوه من هبوط آدم ؛ فكان ذلك التاريخ حتى بعث الله نوحًا فأرخوا ببعث^(١) نوح ، حتى كان الغرق ، فهلك مَنْ هلك ممن كان على وجه الأرض . فلما هبط نوح وذريته وكلّ من كان في السفينة إلى الأرض قسم الأرض بين ولده أثلاثًا : فجعل لسام وسطا من الأرض ، ففيها بيت المقدس ، والنيل ، والفُرات ، ودجلة ، وسينحان ، وجيحان ، وقيشون ؛ وذلك ما بين فيشون إلى شرق النيل ، وما بين منخر ريح الجنوب^(٢) إلى منخر الشمال . وجعل لحام قسمه غربى النيل ، فما وراءه إلى منخر ريح الدبور . وجعل قسم يافث في فيشون^(٣) ، فما وراءه إلى منخر ريح الصبا ؛ فكان التاريخ من الطوفان إلى نار إبراهيم ، ومن نار إبراهيم إلى مبعث يوسف ، ومن مبعث يوسف إلى مبعث موسى ، ومن مبعث موسى إلى ملك سليمان ، ومن ملك سليمان إلى مبعث عيسى بن مريم ، ومن مبعث عيسى بن مريم إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢٠١/١

وهذا الذى ذكر عن الشعبي من التاريخ ينبغى أن يكون على تاريخ اليهود ، فأما أهل الإسلام فإنهم لم يؤرخوا إلا من الهجرة ، ولم يكونوا يؤرخون بشيء من قبل ذلك ، غير أن قريشًا كانوا - فيما ذكر - يؤرخون قبل الإسلام بعام الفيل ، وكان سائر العرب يؤرخون بأيامهم المذكورة ، كتاريخهم بيوم جبلة ، وبالكلاب الأول ، والكلاب الثانى .

وكانت النصارى تؤرخ بعهد الإسكندر ذى القرنين ؛ وأحسبهم على ذلك من التاريخ إلى اليوم .

وأما الفرس فإنهم كانوا يؤرخون بملوكهم ، وهم اليوم فيما أعلم يؤرخون بعهد يزيدجيرد بن شهريار ، لأنه كان آخر مَنْ كان من ملوكهم له ملك بابل والمشرق^(٤) .

(١) كذا فى ا ، وهو الصواب ، وفى باقى الأصول : « أرخوا مبعث نوح » ؛ وصوبها مصحح ط : « بمبعث » .

(٢) منخر ريح الجنوب ، أى موضع هبوطها .

(٣) ا ، ر ، ن : « قيسون » .

(٤) س : « لأنه كان آخر من ملك من ملوكهم » .

ذكر بيوراسب ، وهو الازدهاق

والعرب تسميه الضحاك ، فتجعل الحرف الذي بين السين والزاي في الفارسية ضاداً ، والهاء حاءً ، والقاف كافاً ، وإياه عنتى حبيب بن أوس بقوله :

مَا نَالَ مَا قَدْ نَالَ فِرْعَوْنُ وَلَا هَامَانُ فِي الدُّنْيَا وَلَا قَارُونُ^(١)
بَلْ كَانَ كَالضَّحَّاكِ فِي سَطَوَاتِهِ بِالْعَالَمِينَ ، وَأَنْتَ أَفْرِيدُونُ

وهو الذي افتخر بادعائه أنه منهم الحسن بن هانئ في قوله :

وَكَانَ مِنَّا الضَّحَّاكُ يَعْبُدُهُ الْخَابِلُ وَالْجِنُّ فِي مَسَارِبِهَا^(٢)

٢٠٢/١

قال : واليمن تدعيه .

حدثت عن هشام بن محمد بن السائب — فيما ذكر من أمر الضحاك هذا — قال : والعجم تدعى الضحاك وتزعم أن جما كان زوج أخته من بعض أشرف أهل بيته ، وملكه على اليمن ، فولدت له الضحاك .

قال : واليمن تدعيه ، وتزعم أنه من أنفسها ، وأنه الضحاك بن علوان بن عبيد بن عويج ، وأنه ملك على مصر أخاه سنان بن علوان بن عبيد^(٣) بن عويج ، وهو أول الفراعنة ، وأنه كان ملك مصر حين قدمها إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام .

وأما الفرس فإنها تنسب الازدهاق هذا غير النسبة التي ذكر^(٤) هشام عن أهل اليمن ، وتذكر أنه بيوراسب بن أرونداسب بن زينكاو^(٥) بن ويروشك^(٦)

(١) ديوانه ٣ : ٣٢١ ؛ من قصيدة يمدح فيها الأفشين .

(٢) ديوانه ١٥٥ ، وروايته : « والوحش في مساربها » . والخابل : ضرب من الجن .

(٣) س : « عبيدة » .

(٤) ن : « ذكرها » .

(٥) ا : « زينكار » .

(٦) ا : « ريشنك » .

٢٠٣/١

ابن تاز^(١) بن فرواك^(٢) بن سيامك^(٣) بن مشا بن جيومرت .
ومنهم من ينسبُه هذه النسبة ؛ غير أنه يخالف النطق بأسماء آبائه فيقول :
هو الضحاك بن أندرماسب بن زنجدار^(٤) بن وندريسج^(٥) بن تاج^(٦) بن
فرياك^(٧) بن ساهمك^(٨) بن تاذى^(٩) بن جيومرت .

والجوس تزعم أن تاج هذا هو أبو العرب ، ويزعمون^(١٠) أن أم الضحاك كانت
ودك بنت ويونجهان^(١١) ، وأنه قتل أباه تقريباً بقتله إلى الشياطين ، وأنه كان
كثير المقام ببابل ، وكان له ابنان يقال لأحدهما : سرهوار^(١٢) ، وللآخر
نفوار^(١٣) .

وقد ذكر عن الشعبي أنه كان يقول : هو « قرشت » مسخه الله « ازدهاق » .
* * *
* ذكر الرواية عنه بذلك :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن يحيى بن العلاء ،
عن القاسم بن سلمان ، عن الشعبي ، قال : أبجد ، وهوز ، وحطى ، وكلمن ،
وسعفص ، وقرشت ؛ كانوا ملوكاً جبابرة ، ففكر^(١٤) قرشت يوماً ، فقال :
٢٠٤/١ تبارك الله أحسن الخالقين ! فسخه الله فجعله « اجدهاق » ،^(١٥) وله سبعة

(١) ن : « تاز » .

(٢) ر ، ك : « فردال » ، س : « فروال » ، ن : « عيردال » .

(٣) ر : « سيامل » ، ك : « مسامك » .

(٤) كذا في ا ، ن ، وفي س : « زنجدار » ، وفي ر : « ريحندان » وفي ط بدون نقط .

(٥) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .

(٦) س : « باح » ، ر ، ك : « راج » .

(٧) في ن : « فريال » وفي رس : « فرمال » .

(٨) س : « شاهمك » .

(٩) ر ، س : « مادي » .

(١٠) كذا في ا ، وفي ط : « فيزعمون » .

(١١) ا : « ونونجهان » .

(١٢) كذا في ا ، وفي ن : « سريقوار » ، وفي ط بدون نقط .

(١٣) كذا في ا ، وفي ط بدون نقط .

(١٤) ر ، ك : « ففكر » .

(١٥) ر ، س ، ك ، ن : « ازدهان » .

أرؤس ، فهو الذى بدأوا ندى ، وجميع أهل الأخبار من العرب والعجم تزعم أنه ملك الأقاليم كلها ، وأنه كان ساحراً فاجراً .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : ملك الضحاك بعد جم - فيما يزعمون ، والله أعلم - ألف سنة ، ونزل السواد في قرية يقال لها نرس^(١) في ناحية طريق الكوفة^(٢) ، وملك الأرض كلها ، وسار بالبحر والعسف^(٣) ، وبسط يده في القتل ، وكان أول من سنّ الصلب والقطع ، وأول من وضع العشور ، وضرب الدراهم ، وأول من تغنى وغنى له ، قال : ويقال إنه خرج في منكبهِ سِلْعَتَانِ^(٤) فكانتا تضربان عليه ، فيشتدّ عليه الوجع حتى يطليهما بدماع إنسان ، فكان يقتل لذلك في كل يوم رجلين ويطلّى سِلْعَتَيْهِ بدماعيهما ، فإذا فعل ذلك سكن ما يحيد ، فخرج عليه رجل من أهل بابل فاعتقد لواء ، واجتمع إليه بشر كثير ، فلما بلغ الضحاك خبره راعه ، فبعث إليه : ما أمرك ؟ وما تريد ؟ قال : ألتست تزعم أنك ملك الدنيا ، وأن الدنيا لك ! قال : بلى ، قال : فليكن كلبك^(٥) على الدنيا ، ولا يكوننّ علينا خاصة ، فإنك إنما تقتلنا دون الناس . فأجابته الضحاك إلى ذلك ، وأمر بالرجلين اللذين كان يقتلهما في كل يوم أن يقسمّا على الناس جميعاً ، ولا يخصّ بهما مكان دون مكان . قال : فبلغنا أن أهل أصبهان من ولد ذلك الرجل الذى رفع اللواء ، وأن ذلك اللواء لم يزل محفوظاً عند ملوك فارس في خزائنتهم^(٦) ، وكان فيما بلغنا جلد أسد ، فألبسه ملوك فارس الذهب^(٧) والديباج تيمناً به .

٢٠٥/١

قال : وبلغنا أن الضحاك هو نمرود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن صلى

(١) نرس ، بفتح أوله وسكون ثانيه ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل نرس ، قرية كان ينزلها الضحاك بيوراسب ببابل » .

(٢) ك : « في ناحية الطريق إلى الكوفة » .

(٣) ر ، ك : « والعسف » .

(٤) السلعة ، بالكسر : زيادة تحدث في الجسد مثل الغدة ؛ تمرور بين الجلد واللحم

إذا حركتها .

(٥) ا ، س : « كلك » .

(٦) ر ، ك : « خزائنتهم » .

(٧) ك : « من الذهب » .

الله عليه وُلد في زمانه ، وأنه صاحبه الذي أراد إحراقه .

قال : وبلغنا أن أفريدون — هو^(١) من نسل جم الملك الذي كان [من]^(٢) قبل الضحاك ، ويزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بدُنْبَاوَنَد ، خرج حتى ورد منزل الضحاك وهو عنه غائب بالهند ، فحوى^(٣) على منزله وما فيه ، فبلغ الضحاك ذلك ، فأقبل وقد سلبه الله قوته ، وذهبت دولته ، فوثب^(٤) به أفريدون فأوثقه وصيَّره بجبال دُنْبَاوَنَد ؛ فالعجمُ تزعمُ أنه إلى اليوم مُوثَّق في الحديد يُعذَّب هناك .

وذكر غيرُ هشام أن الضحاك لم يكن غائباً عن مسكنه ، ولكن أفريدون ابن أنثيان جاء إلى مسكن له في حِصْن يُدعى زرنج ماه مهر روز مهر ، فنكح امرأتين له : تسمى إحداهما : أروناز^(٥) والأخرى سنوار . فوهل بيوراسب لما عاين ذلك ، وخرَّ مُدْلَهًا لا يعقل ، فضرب أفريدون هامته بِجُرْز^(٦) له ملتوى الرأس ، فزاده ذلك وهلاً وعزوب عقل ، ثم توجه به أفريدون إلى جبل دُنْبَاوَنَد ، وشده هنالك وثاقاً ، وأمر الناس باتخاذ مهرماه مهر روز — وهو المهرجان اليوم الذي أوثق فيه بيوراسب — عيداً ، وعلا أفريدون سرير الملك .

وذكر عن الضحاك أنه قال يومَ ملك وعقد عليه التاج : نحن ملوك الدنيا ، المالكون لما فيها .

والفرس تزعم أن الملك لم يكن إلا اللبطن الذي منه أوشهنج وجم وطهمورث ، وأن الضحاك كان غاصباً^(٧) وأنه غصب^(٨) أهل الأرض بسحره وخبثه ، وهوَّ عليهم بالحيثين اللتين كانتا على منكبَيْه ، وأنه بنى بأرض بابل مدينة

(١) كذا في ا ، س ، ن ؛ وفي ط : « هو » .

(٢) تكلمة من ا .

(٣) كذا في جميع الأصول ، وفي ن : « فاحتوى » .

(٤) ن : « فأقبل عليه » .

(٥) ا : « أروناز » ، س : « أردنان » ، ر ، ك : « أرونا » .

(٦) الجرّز : عمود من حديد .

(٧) كذا في ا ، ر ، س ، وفي ط : « عاصيا » .

(٨) س : « غلب » .

سماها حوب^(١) ، وجعل النَّبَطَ أصحابَه وبِطَانته ، فلقَى الناسُ منه كلَّ جهد ، وذَبَحَ الصبيان .

ويقول كثير من أهل الكتب : إن الذى كان على منكبيهِ كان لحمتين طويلتين ناتئتين على منكبيه ، كلُّ واحدةٍ منهما كراس الثعبان ، وأنه كان بخبثه^(٢) ومكره يسترهما بالثياب . ويذكر على طريق التهويل أنهما حيتان يقتضيانه الطعام ، وكانتا تتحركان تحت ثوبه إذا جاع كما يتحرك العضو من الإنسان عند التهابه بالجوع والغضب . ومن الناس من يقول : كان ذلك حيتين ، وقد ذكرتُ ما رُوِيَ عن الشعبيِّ في ذلك ، والله أعلم بحقيقته وصحته .

* * *

وذكر بعضُ أهل العلم بأنساب الفرسِّ وأمورهم أنَّ الناسَ لم يزالوا من بيوراسب هذا في جهْد شديد ، حتى إذا أراد الله إهلاكه وثب به رجلٌ من العامة من أهل أصبهان يقال له كابي^(٣) ، بسبب ابنين كانا له أخذهما رسل بيوراسب بسبب الحيتين اللتين كانتا على منكبيه . وقيل : إنه لما بلغ الجزع من كابي هذا على ولده أخذ عصاً كانت بيده ، فعلقَ بأطرافها جراباً كان معه ، ثم نصب ذلك العَلَمَ ، ودعا الناسَ إلى مجاهدة بيوراسب ومحاربتة ، فأسرع إلى إجابته خلق كثيرٌ ؛ لما كانوا فيه معه من البلاء وفنون الجور ، فلما غلب كابي تفاعل الناسُ بذلك العَلَمَ ، فعظّموا أمره ، وزادوا فيه حتى صار عند ملوك العجم عَلمهم الأكبر الذى يتبركون به ، وسموه درْفَش كايان^(٤) ، فكانوا لا يسيرونه^(٥) إلا فى الأمور العظام ، ولا يُرفع إلا لأولاد الملوك إذا وجهوا فى الأمور العظام . وكان من خبر كابي أنه شخصٌ عن أصبهان بمن تبعه والتفَّ إليه فى طريقه ، فلما قرب من الضحاك وأشرف عليه ، قذف فى قلب الضحاك

٢٠٧/١

(١) س : « حوف » ، ك : « تسمى ها حوب » .

(٢) ر : « لخبثته » .

(٣) ر : « كابي » .

(٤) ا : « درفتين كايان » ، ر : « درقين كايان » ، ك : « دريس كاتيان » ، ن :

« دفس كايان » .

(٥) س : « لا يسيرون به » .

منه الرعب، فهرب عن منزله، وخلّى مكانه، وانفتح للأعاجم فيه^(١) ما أرادوا، فاجتمعوا إلى كابي وتناظروا، فأعلمهم كابي أنه لا يتعرض للملك؛ لأنه ليس من أهله، وأمرهم أن يملّكوا بعض ولد جم، لأنه ابن الملك الأكبر أو شهنق بن فرواك الذى رسم الملك، وسبق إلى القيام به، وكان أفريدون بن أنثيان مستخفياً فى بعض النواحي من الضحاك، فوافى كابي ومن كان معه، فاستبشر القوم بموافاته، وذلك أنه كان مرشحاً للملك برواية كانت لهم فى ذلك، فلّكوه، وصار كابي والوجه لأفريدون أعواناً على أمره، فلما ملك وأحكم ما احتاج إليه من أمر الملك، واحتوى على منازل الضحاك، اتبعه فأسره بدُناوند فى جبالها.

٢٠٨/١

وبعض المحوس تزعم أنه جعله أسيراً حبيساً فى تلك الجبال، موكلًا به قوم من الجن.

ومنهم من يقول: إنه قتله، وزعموا أنه لم يُسمع من أمور الضحاك شيء يستحسن غير شيء واحد؛ وهو أن بليته^(٢) لما اشتدت ودام جورُهُ وطالت أيامه، عظم على الناس ما لقوا منه، فتراسل الوجوه فى أمره، فأجمعوا على المصير إلى بابه، فوافى بابه الوجوهُ والعظماء من الكُور والنواحي، فتناظروا فى الدخول عليه والتظلم إليه^(٣)، والتأتى لاستعطافه، فاتفقوا على أن يقدموا للخطاب عنهم كابي الأصهبانى، فلما صاروا إلى بابه أعلم بمكانهم، فأذن لهم، فدخلوا وكابي متقدّم لهم^(٤)، فنثّل بين يديه، وأمسك عن السلام، ثم قال: أيها الملك، أى السلام أسلمت عليك؟ أسلام من يملك هذه الأقاليم كلّها، أم سلام من يملك هذا الإقليم الواحد؟ يعنى بابل، فقال له الضحاك: بل سلام من يملك هذه الأقاليم كلّها، لأنى ملك الأرض. فقال له الأصهبانى: فإذا كنت تملك الأقاليم كلّها، وكانت يدك تنالها أجمع، فما بالنّا قد خصصنا بمؤنتك

٢٠٩/١

(١) كذا فى ا، س، ن، وفى ط: «منه».

(٢) ر: «نكته».

(٣) كذا فى ا، ر، ك: «منه».

(٤) ن: «مقدمهم».

وتحاملك وإساءتك من بين أهل الأقاليم ! وكيف لم تقسم أمر كذا وكذا بيننا وبين الأقاليم ؟ وعدد عليه أشياء كان يُمكنه تخفيفها عنهم ، وجرّد له الصدق والقول في ذلك ، فقدح في قلب الضحّاك قوله ، وعمل فيه حتى انخزل وأقرّ بالإساءة ، وتآلف القوم ووعدهم ما يُحبّون ، وأمرهم بالانصراف لينزلوا ويتدعوا ، ثم يعودوا ليقضى حوائجهم ، ثم ينصرفوا إلى بلادهم .

وزعموا أن أمه ودك كانت شرّاً منه وأردى ، وأنها كانت في وقت مُعاتبه القوم إياه بالقرب منه تتعرف ما يقولونه ، فتغتاظ وتُنكره ، فلما خرج القوم دخلت مُستشيطةً مُنكرة على الضحّاك احتماله القوم ، وقالت له : قد بلغني كلّ ما كان وجراًة هؤلاء القوم عليك حتى قرّعوك^(١) بكذا ، وأسمعوك كذا ،^(٢) أفلا دمّرت عليهم ودمدمتهم ، أو قطعت أيديهم^(٣) !

فلما أكثرت على الضحّاك قال لها مع عتوه : يا هذه ، إنك لم تفكرى في شيء إلا وقد سبقت إليه ؛ إلا أن القوم بدّهوني بالحق ، وقرّعوني^(٣) به ، فلما هممت بالسلطوة بهم والثوب عليهم تخیيل^(٤) الحق آفثل بيني وبينهم بمزلة الجبل ، فما أمكنني فيهم شيء . ثم سكّتها وأخرجها ، ثم جلس لأهل النواحي بعد أيام ، فوفى لهم بما وعدهم ، وردّهم وقد لان لهم ، وقضى أكثر حوائجهم ، ولا يُعرف للضحّاك — فيما ذكر — فعلة استحسنت [منه]^(٥) غير هذه .

٢١٠/١

وقد ذكر أن عُمر الأجدهاق^(٦) هذا كان ألف سنة ، وأن ملكه منها كان ستمائة سنة ، وأنه كان في باقى عمره شبيهاً بالملك لقدرته ونفوذ أمره . وقال

(١) في ط : « فزعوك » ؛ وما أثبتته من ا ؛ وابن الأثير ١ : ٤٤

(٢-٣) ١ : « أفلا دمر عليهم ودمدم بهم ، أولا قطعت أيديهم ! » . ودمدمهم ودمدم عليهم ؛ أى أهلكهم .

(٣) ط : « فزعوني » .

(٤) ن : « تجبل » ؛ أى صار مثل الجبل .

(٥) من ن .

(٦) ر ، ك : « الازدهاق » .

بعضهم : إنه ملك ألف سنة ، وكان عمره ألف سنة ومائة سنة ، إلى أن خرج عليه أفريدون فقهره وقتله .

وقال بعض علماء الفرس : لا نعلم أحداً كان أطول عمراً— ممن لم يُذكر عمره في التوراة — من الضحاك هذا ، ومن جامر بن يافث بن نوح أبي الفرس ؛ فإنه ذُكر أن عمره كان ألف سنة .

وإنما ذكرنا خبر بيوراسب في هذا الموضع ؛ لأن بعضهم زعم أن نوحاً عليه السلام كان في زمانه ، وأنه إنما كان أرسل إليه وإلى من كان في مملكته ، ممن دان بطاعته واتبعه على ما كان عليه من العتوّ والتمرد على الله ، فذكرنا إحسانَ الله وأياديّه عند نوح عليه السلام بطاعته ربّه وصبره على ما لقي منه^(١) من الأذى والمكروه في عاجل الدنيا ، بأن نجّاه ومن آمن معه واتبعه من قومه ، وجعل ذريّته هم الباقيين في الدنيا ، وأبقى له ذكره بالثناء الجميل ، مع ما ذكر له عنده في الآجل من النعيم المقيم والعيش الهنيء ، وإهلاكه الآخرين بمعصيتهم إياه وتمردهم عليه ، وخلافهم أمره ، فسلبهم ما كانوا فيه من النعيم ، وجعلهم عبرة وعظة للغابرين ؛ مع ما ذكر لهم عنده في الآجل من العذاب الأليم .

* * *

ونرجع الآن إلى ذكر نوح عليه السلام والخبر عنه وعن ذريّته ، إذ كانوا هم الباقيين اليوم كما أخبر الله عنهم ؛ وكان الآخرون الذين بُعث نوح إليهم خلا ولده ونسله قد بادوا وذريّتهم ، فلم يبق منهم ولا من أعقابهم أحدٌ .

قد ذكرنا قبلُ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ : إنهم سام ، وحام ، ويافث .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنا عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه ؛ يقول : إن سام بن نوح أبو العرب وفارس والروم ، وإنّ حام أبو السودان ، وإنّ يافث أبو الترك وأبو أجوج ومأجوج ، وهو بنو عمّ الترك .

وقيل : كانت زوجة يافث أربيسية^(١) بنت مرازيل بن الدرسميل بن محويل بن خنوخ بن قيسن بن آدم عليه السلام ، فولدت له سبعة نفر وامرأة . فممن ولدت له من الذكور جوهر بن يافث وهو - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - أبو ياجوج ومأجوج ، ومارح^(٢) بن يافث ووائل بن يافث ، وحوان بن يافث ، وتوبيل بن يافث ، وهوشل^(٣) بن يافث ، وترس بن يافث ، وشبكة بنت يافث . قال : فمن بنى يافث كانت ياجوج ومأجوج والصقالبة والترك فيما يزعمون . وكانت امرأة حام بن نوح نحل^(٤) بنت مارب بن الدرسميل بن محويل بن خنوخ بن قيسن بن آدم . فولدت له ثلاثة نفر : كوش بن حام بن نوح ، وقوط بن حام بن نوح ، وكنعان بن حام . فنكح كوش بن حام بن نوح قرنييل ابنة بتاويل بن ترس بن يافث ، فولدت له الحبشة والسند والهند فيما يزعمون . ونكح قوط بن حام بن نوح بخت ابنة بتاويل ابن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له القبط - قبط مصر - فيما يزعمون . ونكح كنعان بن حام بن نوح أرتيل^(٥) ابنة بتاويل بن ترس بن يافث بن نوح ، فولدت له الأسود : نوبة ، وفرزان ، والزنج ، والزغاوة ؛ وأجناس السودان كلها .

٢١٢/١

* * *

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في الحديث قال : ويزعم أهل التوراة أن ذلك لم يكن إلا عن دعوة دعاها نوح على ابنه حام ، وذلك أن نوحاً نام فأنكشف عن عورته ، فرآها حام فلم يغطها ، ورآها سام ويافث فألقيا عليها ثوباً فواريا عورته ، فلما هب من نومته علم ما صنع حام وسام ويافث ، فقال : ملعون كنعان بن حام ؛ عبيداً يكونون لإخوته ، وقال : يبارك الله ربّي في سام ، ويكون حام عبداً أخويه ، ويقرض الله يافث^(٦) ، ويحمل في مساكن حام ، ويكون كنعان عبداً لهم^(٦) . قال : وكانت امرأة سام

(١) ا ، س : « أدبسية » .

(٢) ا ، ن : « مارح » .

(٣) ا : « هوشنك » ، س : « هوشد » .

(٤) كذا في ا ، ك ؛ وفي ط : « أرسل » .

(٦-٦) كذا في ا ، وفي ط : « ويحمل في مساكن سام ، ويكون حام عبداً لهم » .

٢١٣/١ ابن نوح صليب ابنة بتاويل بن محويل بن حنوخ بن قيس بن آدم، فولدت له نفراً : أرفخشذ بن سام، وأشوذ بن سام، ولاوذ بن سام، وعويلم بن سام ، وكان لسام إرم بن سام ، قال : ولا أدري إرم لأم أرفخشذ وإخوته أم لا ؟

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام بن محمد ، قال : أخبرني أبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما ضاقت بولد نوح سوق ثمانين تحولوا إلى بابل فبنوها ، وهي بين الفرات والصرّة ، وكانت اثني عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً ، وكان بابها موضع دوران^(١) اليوم، فوق جسر الكوفة يسرة إذا عبرت ، فكثروا بها حتى بلغوا مائة ألف ، وهم على الإسلام .

ورجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق . فنكح لاوذ بن سام بن نوح شبكة ابنة يافث بن نوح ، فولدت له فارس وجرجان وأجناس فارس ، ووُلد للاوذ مع الفرس طسم وعمليق ، ولا أدري أهو لأم الفرس أم لا ؟ فعمليق أبو العماليق . كلهم أُم تفرقت في البلاد ، وكان أهل المشرق وأهل عُمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم ، ومنهم كانت الجابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون ، ومنهم كانت الفراعنة بمصر ، وكان أهل البحرَيْن وأهل عمان منهم أمة يُسمون جاسم ، وكان^(٢) ساكني المدينة منهم ، بنوهف وسعد بن هزان ، وبنو مطر ، وبنو الأزرق . وأهل نجد منهم بديل وراجل^(٣) وغيفار ، وأهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم بتياء اسمه الأرقم^(٤) ، وكانوا ساكني^(٥) نجد مع ذلك . وكان ساكني الطائف بنو عبد بن ضخم ، حتى من عبس الأول .

قال : وكان بنو أميسم بن لاوذ بن سام بن نوح أهل وبار بأرض الرمل ،

(١) دوران ، بضم أوله : موضع خلف جسر الكوفة . ياقوت .

(٢) ط : « وكانوا » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٣) أ ، ن : « راجل » . (٤) ن : « الأذفر » .

(٥) أ : « من ساكني نجد » .

رمل عالج، وكانوا قد كثروا بها وربلوا^(١)؛ فأصابتهم من الله عز وجل نعمة من معصية أصابوها، فهلكوا وبقيت منهم بقية، وهم الذين يقال لهم النسناس.

قال: وكان طسم بن لاوذ ساكن اليمامة وما حولها، قد كثروا بها وربلوا إلى البحرين؛ فكانت طسم والعماليق وأمميم وجاسم قومًا عربيًا، لسانهم الذي جبلوا عليه لسان عربي. وكانت فارس من أهل المشرق ببلاد فارس، يتكلمون بهذا اللسان الفارسي.

قال: وولد إرم بن سام بن نوح عوص بن إرم، وغاثر^(٢) بن إرم، وحويل بن إرم. فولد عوص بن إرم غاثر بن عوص، وعاد بن عوص، وعبيل ابن عوص. وولد غاثر بن إرم ثمود بن غاثر، وجديس بن غاثر. وكانوا قومًا عربيًا يتكلمون بهذا اللسان المضري، فكانت العرب تقول لهذه الأمم: العرب العاربة، لأنه لسانهم الذي جبلوا عليه، ويقولون لبني إسماعيل بن إبراهيم: العرب المتعربة، لأنهم إنما تكلموا بلسان هذه الأمم حين سكنوا بين أظهرهم. فعاد وثمرود والعماليق وأمميم وجاسم وجديس وطسم هم العرب؛ فكانت عاد بهذه الرمل إلى حضرموت واليمن كله، وكانت ثمود بالحجر بين الحجاز والشام إلى وادي القري وما حوله، ولحقت جديس بطسم، فكانوا معهم باليمامة وما حولها إلى البحرين، واسم اليمامة إذ ذاك جَوّ، وسكنت جاسم عُمان فكانوا بها.

وقال غير ابن إسحاق: إن نوحًا دعا لسام بأن يكون الأنبياء والرسل من ولده، ودعا لياث بأن يكون الملوك من ولده، وبدأ بالدعاء لياث وقدّمه في ذلك على سام، ودعا على حام بأن يتغير لونه، ويكون ولده عبيدًا لولد سام وياث.

قال: وذكر في الكتب أنه رقّ على حام بعد ذلك، فدعا له بأن يرزق الرفقة من إخوته، ودعا من ولد ولده لكوش بن حام ولحامير بن يافث بن نوح،

(١) ربلوا: كثر عددهم.

(٢) س: «عابر»، ك: «غابر».

وذلك أن عدّة من ولد الولد لحقوا نوحاً فخدموه، كما خدمه ولده لصلبه، فدعا لعدّة منهم .

٢١٦/١

قال: فولد لسام عابر وعُليم وأشوذ وأرفخشذ ولاوذ وإرم^(١)، وكان مقامه بمكة . قال: فمن ولد أرفخشذ الأنبياء والرسل وخيار الناس، والعرب كلها، والفراعنة بمصر . ومن ولد يافث بن نوح ملوك الأعاجم كلتها من الترك والخرز وغيرهم، والفرس الذين آخروا من ملوكهم يزدد جرد بن شهر يار ابن أبرويز، ونسبه ينتهي إلى جيومرت بن يافث بن نوح .

قال: ويقال إن قومًا من ولد لاوذ بن سام بن نوح وغيره من إخوته نزّعوا إلى جامر هذا، فأدخلهم جامر في نعمته ومملكه، وأن منهم ماذى بن يافث، وهو الذي تنسب السيوف الماذية إليه . قال: وهو الذي يقال إن كيرش الماذوي قاتل بلشصر^(٢) بن أولرودخ بن بختنصر من ولده .

قال: ومن ولد حام بن نوح، النوبة، والحبيشة، وقزّان، والهند، والسند، وأهل السواحل في المشرق والمغرب .

قال: ومنهم نمروذ، وهو نمروذ بن كوش بن حام .

قال: وولد لأرفخشذ بن سام ابنة قينان، ولا ذكّر له في التوراة، وهو الذي قيل إنه لم يستحق أن يذكر في الكتب المنزلة، لأنه كان ساحراً، وسمى نفسه إلهًا، فسيفت المواليد في التوراة على أرفخشذ بن سام ثم على شالّخ بن قينان بن أرفخشذ من غير أن يذكر قينان في النسب، لما ذكر من ذلك .

قال: وقيل في شالّخ: إنه شالّخ بن أرفخشذ من ولد لقينان . وولد لشالّخ عابر . وولد لعابر ابنان: أحدهما فالغ، ومعناه بالعربية قاسم - وإنما سمي بذلك لأن الأرض قسمت والألسن تلبلت في أيامه - وسمى الآخر قحطان . فولد لقحطان يعرب ويقطان ابنا قحطان بن عابر بن شالّخ، فتنزل أرض اليمن، وكان قحطان أوّل من ملك اليمن، وأول من سلّم عليه بـ «أبيّت اللّعن» ، كما كان يقال للملوك . وولد لفالغ بن عابر أرغوا - وولد لأرغوا ساروغ، وولد لساروغ ناحورا، وولد لناحورا تارّخ - واسمه بالعربية آزر - وولد لتارّخ

٢١٧/١

(١) في سفر التكوين ١٠ : ٢١ : « بنو سام عيلام وأشور وأرفكشار ولوذ وآرام » .

(٢) ن : « تلشصر » ، ل : « بلشهر » .

إبراهيم صلوات الله عليه . وولد لأرفخشذ أيضاً نمرود بن أرفخشذ، وكان منزله بناحية الحجر . وولد للاوذ بن سام طسم وجديس ، وكان منزلهما اليمامة . وولد للاوذ أيضاً عمليق بن لاوذ ، وكان منزله الحرم وأكناف مكة ، ولحق بعض ولده بالشام ؛ فمنهم كانت العماليق ، ومن العماليق الفراعنة بمصر . وولد للاوذ أيضاً أميم بن لاوذ بن سام ، وكان كثير الولد ، فنزع بعضهم إلى جامر بن يافث بالمشرق . وولد لإرم بن سام عوص بن إرم ، وكان منزله الأحقاف . وولد لعوص عاد بن عوص .

وأما حام بن نوح ، فولد له كوش ومصرام^(١) وقوط وكنعان ، فن ولد كوش نمرود المتجبر الذي كان ببايل ، وهو نمرود بن كوش بن حام ، وصارت بقية ولد حام بالسواحل من المشرق والمغرب والنوبة والحبشة وفران .

قال : ويقال : إن مصرام ولد القبط والبربر ، وإن قوطاً صار إلى أرض الهند والهند فتزلها ، وإن أهلها من ولده .

وأما يافث بن نوح فولد له جامر وموعج^(٢) وموادي^(٣) ويوان^(٤) وثوبال وماشج وتيرش . ومن ولد جامر ملوك فارس . ومن ولد تيرش الترك والخزر . ومن ولد ماشج الأشبان . ومن ولد موعج يأجوج ومأجوج ، وهم في شرق أرض الترك والخزر . ومن ولد يوان الصقالبة وبرجان والأشبان ، كانوا في القديم بأرض الروم قبل أن يقع بها من وقع من ولد العيص وغيرهم ؛ وقصد كل فريق من هؤلاء الثلاثة : سام وحام ويافث أرضاً ، فسكنوها ودفعوا غيرهم عنها .

٢١٨/١

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد بن السائب ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : قال : أوحى الله إلى موسى عليه السلام : إنك يا موسى وقومك وأهل الجزيرة وأهل المال من ولد سام بن نوح . وقال ابن عباس : والعرب والفرس والنسب والهند والسنند من ولد سام بن نوح .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن

(١) ن : « مصرام » . (٢) كذا في ١ ، وفي ط : « موعج » .

(٣) ١ : « موراي » . ن : « مورالي » . (٤) ط : « يوان » .

محمد ، عن أبيه : قال : الهند والسند بنو توقير ^(١) بن يقطن بن عابر بن شالغ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح . ومُكران بن البند ، وجهرم ، اسمه هنرم ^(٢) بن عابر بن سبأ بن يقطن بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وحضرموت بن يقطن بن عابر بن شالغ . ويقطن هو قحطان بن عابر بن شالغ ابن أرفخشذ بن سام بن نوح ، في قول من نسبته إلى غير إسماعيل . والفرس بنو فارس بن تيرش ^(٣) بن ناسور بن نوح . والنَّبِيطُ بنو نبيط بن ماش ابن إرم بن سام بن نوح . وأهل الجزيرة والعال من ولد ماش بن إرم بن سام ابن نوح . وعمليق - وهو عَرَبٌ - وطسم وأمِيم بنو لوذ بن سام بن نوح . وعمليق هو أبو العمالقة ، ومنهم البربر وهم بنو ثميلا بن مارب بن فاران بن عمرو بن عمليق بن لوذ بن سام بن نوح ، ما خلا صِنهاجة وكُتامة ، فإنهما بنو فرقيش بن قيس بن صيني بن سبأ .

ويقال : إن عمليق أول مَنْ تكلّم بالعربية حين ظَعَنُوا من بابل ؛ فكان يقال لهم وُجْهرم : العربُ العاربة . وثمود وجديس ابنا عابر بن إرم بن سام ابن نوح ، وعاد وعَبِيل ابنا عَوْص بن إرم بن سام بن نوح ، والروم بنونطي ^(٤) ابن يونان بن يافث بن نوح . ونمرود بن كوش بن كنعان بن حام بن نوح ، وهو صاحب بابل ؛ وهو صاحب إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه .

قال : وكان يقال لعاد في دهرهم عادُ إرَم ، فلما هلكت عاد قيل لثمود إرم ، فلما هلكت ثمود قيل لسائر بني إرم : إرمان ؛ فهم النَّبِيطُ ، فكلُّ هؤلاء كان على الإسلام وهم ببابل ، حتى ملكتهم نمرود بن كوش بن كنعان بن حام ابن نوح ، فدعاهم إلى عبادة الأوثان ففعلوا ، فأمسوا وكلامهم السريانية ، ثم أصبحوا وقد بلبس الله ألسنتهم ، فجعل لا يعرف بعضهم كلام بعض ، فصار لبني سام ثمانية عشر لساناً ، ولبني حام ثمانية عشر لساناً ، ولبني يافث

(١) كذا في ا وهو يوافق ما في ابن الأثير ١ : ٤٥ ، وفي ر : « بنوقين » ، وفي ن :

« توفين » .

(٢) ا : « هنوم » .

(٣) كذا في ا ، وفي ر : « نبرس » ، وابن الأثير « تيرش » ، وفي ط مهمل .

(٤) ا : « ليطي » .

سنة وثلاثون لسانًا ، ففهم الله العربيةَ عادًا وعَبِيلَ وثمودَ وجَدِيسَ وعِمْلِيقَ
وطَسَمَ وأمَيْمَ وبنيَ يَقْظَنَ بنِ عابِرِ بنِ شالِخِ بنِ أرفِخْشَدِ بنِ سامِ بنِ نُوحِ .

وكان الذي عقد لهم الألوية بيبابل بوناظر^(١) بن نوح ، وكان نوح فيما حدثني
الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرني هشام ، قال : أخبرني أبي عن
أبي صالح عن ابن عباس : تزوج امرأة من بني قابيل ، فولدت له غلامًا ،
فسماه بوناظر ، فولده بمدينة بالمشرق يقال لها معلون^(٢) شمسًا ، فنزل بنو سام
المجدل^(٣) سرّة^(٤) الأرض ، وهو ما بين ساتيدما^(٥) إلى البحر ، وما بين
اليمن إلى الشام ، وجعل الله النبوة والكتاب والجمال والأدمة والبياض فيهم .
ونزل بنو حام مجرى الجنوب والدبور ، ويقال لتلك الناحية الداروم^(٦) ، وجعل الله
فيهم أدمة وبياضًا قليلًا ، وأعمّر بلادهم وسماهم ، ورفع عنهم الطاعون ،
وجعل في أرضهم الأثل والأراك والعُشْرَ والغار والنخل ، وجرت الشمس والقمر
في سماهم . ونزل بنو يافث الصّفون مجرى الشمال والصباء وفيهم الحمرة والشقرة ،
وأحلّ الله أرضهم فاشتدّ بردها ، وأحلّ سماهم ، فليس يجرى فوقهم شيء من
النجوم السبعة الجارية ، لأنهم صاروا تحت بنات نعش والجدى والفرقدين ،
فابتلوا بالطاعون . ثم لحقت عاد بالشحر ، فعليه هلكوا بواد يقال له مغيث ،
فلحقهم بعد مهرة^١ بالشحر . ولحقت عبيل بموضع يثرب . ولحقت العماليق
بصنعاء قبل أن تسمى صنعاء ، ثم انحدر بعضهم إلى يثرب ، فأخرجوا منها
عبيل ، فنزلوا موضع الجحفة ، فأقبل السيل فاجتحفهم فذهب بهم فسميت
الجحفة . ولحقت ثمود بالحجر وما يليه فهلكوا ثم ، ولحقت طسم وجديس
باليامة فهلكوا ، ولحقت أميم بأرض أبار فهلكوا بها ، وهي بين اليامة والشحر ،
ولا يصل إليها اليوم أحد ، غلبت عليها الجن . وإنما سميت أبار بأبار بن أميم .

٢٢١/١

(١) : « يونان » ، ن : « نوباطن » .

(٢) : « معلون » .

(٣) المجدل ، ضبطها ياقوت بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال .

(٤) ر ، ك : « من الأرض » .

(٥) ساتيدما ، ضبطها ياقوت : « بعد الألف تاء مثناة من فوق مكسورة وياء مثناة من

تحت ؛ ودال مهلة مفتوحة ثم ميم وألف مقصورة » . (٦) : « الزاروم » .

ولحقت بنو يقطن بن عابر باليمن، فسميت اليمن حيث تيامنوا إليها، ولحق قوم من بني كنعان بالشأم فسميت الشأم حيث تشاءموا إليها، وكانت الشأم يقال لها أرض بني كنعان، ثم جاءت بنو إسرائيل فقتلوهم بها، ونفّوهم عنها، فكانت الشأم لبني إسرائيل. ثم وثبت الروم على بني إسرائيل فقتلوهم، وأجلوهم إلى العراق إلا قليلا منهم، ثم جاءت العرب فغلبوا على الشأم، وكان فالغ - وهو فالغ بن عابر بن أرفخشذ بن سام بن نوح - هو الذي قسم الأرض بين بني نوح كما سمينا.

٢٢٢/١

وأما الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن علماء سلفنا في أنساب الأمم التي هي في الأرض اليوم، فعلى ما حدثني أحمد بن بشير بن أبي عبد الله الوراق، قال: حدثنا يزيد بن زُرَيْع، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَةَ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش».

حدثني القاسم بن بشر بن معروف، قال: حدثنا روح، قال: حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبَةَ، عن قتادة. عن الحسن، عن سَمُرَةَ بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب، وحام أبو الزنج، ويافث أبو الروم».

حدثنا أبو كُريب، قال: حدثنا عثمان بن سعيد، قال: حدثنا عبّاد بن العوّام، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَةَ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سام أبو العرب، ويافث أبو الروم، وحام أبو الحبش».

حدثني عبد الله بن أبي زياد، قال: حدثني روح، قال: حدثنا سعيد بن أبي عَرُوبَةَ، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَةَ، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «ولد نوح سام وحام ويافث». قال عبد الله: قال رَوْح: أحفظ «يافث»، وسمعت مرة «يافت».

وقد روى هذا الحديث عن عبد الأعلى بن عبد الأعلى، عن سعيد، عن قتادة، عن الحسن، عن سَمُرَةَ وعمران بن حصين، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢٢٣/١

حدثني عمران بن بكّار الكلاعي قال : حدثنا أبو اليان ، قال : حدثنا إسماعيل بن عياش ، عن يحيى بن سعيد ، قال : سمعت سعيد بن المسيّب يقول : ولد نوح ثلاثة ، وولد كل واحد ثلاثة : سام ، وحام ، ويافث . فولد سام العرب وفارس والروم ؛ وفي كل هؤلاء خير . وولد يافث الترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج ؛ وليس في واحد من هؤلاء خير ، وولد حام القبط والسودان والبربر .

وروي عن ضَمْرَةَ بن ربيعة ، عن ابن عطاء ، عن أبيه ، قال : ولد حام كل أسود جعد الشعر ، وولد يافث كل عظيم الوجه صغير العينين ، وولد سام كل حسن الوجه حسن الشعر . قال : ودعا نوح على حام ألا يعدو شعرُ ولده آذانتهم ، وحيثما لقي ولده ولد سام استعبدهم .

وزعم أهل التوراة أن سام ولد لنوح بعد أن مضى من عمره خمسمائة سنة ، ثم ولد لسام أرفخشذ بعد أن مضى من عمر سام مائة سنة وستتان ، فكان (١) جميع عمر سام — فيما زعموا — ستمائة سنة . ثم ولد لأرفخشذ قينان ، وكان عمر أرفخشذ أربعمائة سنة وثمانيا وثلاثين سنة . وولد قينان لأرفخشذ بعد أن مضى من عمره خمس وثلاثون سنة ، ثم ولد لقينان شالغ بعد أن مضى من عمره تسع وثلاثون سنة ، ولم يذكر مدة عمر قينان في الكتب فيما ذكر لما ذكرنا من أمره قبل . ثم ولد لشالغ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة ، وكان عمر شالغ كله أربعمائة سنة وثلاثا وثلاثين سنة .

٢٢٤/١

ثم ولد لعابر فالغ وأخوه قحطان ، وكان مولد فالغ بعد الطوفان بمائة وأربعين سنة ، فلما كثرت الناس بعد ذلك مع قرب عهدهم بالطوفان هموا ببناء مدينة تجمعهم فلا يتفرقون ، أو صرح عال يجرزهم من الطوفان إن كان مرة أخرى فلا يفرقون ، فأراد الله عز وجل أن يوهن أمرهم ، ويخلف ظنهم ويعلمهم أن الحول والقوة له ، فبدد شملهم (٢) ، وشتت جمعهم ، وفرق ألسنتهم . وكان عمر عابر أربعمائة سنة وأربعاً وسبعين سنة .

(١) : « وكان » .

(٢) ط : « وبددهم » ؛ وما أثبت عن ا .

ثم ولد لفالغ أرغوا ، وكان عمر فالغ مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد أرغوا لفالغ وقد مضى من عمره ثلاثون سنة ، ثم ولد لأرغوا ساروغ ، وكان عمر أرغوا مائتين وتسعا وثلاثين سنة ، وولد له ساروغ بعد ما مضى من عمره اثنتان وثلاثون سنة . ثم ولد لساروغ ناحور^(١) ، وكان عمر ساروغ مائتين وثلاثين سنة . وولد له ناحور ، وقد مضى من عمره ثلاثون سنة .

ثم ولد لناحور تارخ أبو إبراهيم ، صلوات الله عليه ، وكان هذا الاسم اسمه الذي سماه أبوه ، فلما صار مع نمرود قيما على خزينة آلهته سماه آزر . وقد قيل : إن آزر ليس باسم أبيه ؛ وإنما هو اسم صنم ؛ فهذا قول يروى عن مجاهد . وقد قيل إنه عيب عابه به بمعنى « معوج » ، بعد ما مضى من عمر ناحور ٢٢٥/١ سبع وعشرون سنة ، وكان عمر ناحور كله مائتين وثمانيا وأربعين سنة .

وولد لتارخ إبراهيم ، وكان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة وتسع وسبعون سنة ، وكان بعض أهل الكتاب يقول : كان بين الطوفان ومولد إبراهيم ألف سنة ومائتا سنة وثلاث وستون سنة ، وذلك بعد خلق آدم بثلاثة آلاف وثلاثمائة سنة وسبع وثلاثين سنة .

وولد لقحطان بن عابر يعرب ، فولد يعرب يشجب بن يعرب ، فولد يشجب سبأ بن يشجب ، فولد سبأ حمير بن سبأ وكهلان بن سبأ وعمرو ابن سبأ ، والأشعر بن سبأ وأنمار بن سبأ ومر بن سبأ وعاملة بن سبأ . فولد عمرو ابن سبأ عدى بن عمرو ، فولد عدى نخم بن عدى وجد أم بن عدى .

* * *

وقد زعم بعض نسائي الفرس أن نوحا هو أفريدون الذي قهر الازدهاق ، وسلبه ملكه . وزعم بعضهم أن أفريدون هو ذو القرنين صاحب إبراهيم عليه السلام الذي قضى له بئر السبع^(٢) ، الذي ذكر الله في كتابه . وقال بعضهم : هو سليمان بن داود .

وإنما ذكرته في هذا الموضع لما ذكرت فيه من قول من قال : إنه نوح ،

(١) : « ناحور » ر : « يا حور » ، س : « يا حور » .

(٢) بئر السبع ، نقل القرطبي في تفسيره ١٢ : ٤٧ عن السجستاني أنه موضع بالشام .

وإن قصته شبيهة بقصة نوح في أولاد له ثلاثة، وعدله وحسن سيرته ، وهلاك الضحاك على يده . وأنه قيل إن هلاك الضحاك كان على يد نوح وأن^(١) نوحاً إنما كان أرسل — في قول من ذكرت عنه أنه قال : كان هلاك الضحاك على يدى نوح —^(١) حين أرسل إلى قومه ، وهم كانوا قوم الضحاك .

فأما الفرس فإنهم ينسبونه النسبة التي أنا ذاكرها ؛ وذلك أنهم يزعمون أن أفريدون من ولد جرم شاذ الملك الذي قتله الازدهاق ، على ما قد بيّنا من أمره قبل^١ ، وأن بينه وبين جرم عَشْرَةَ آباء .

وقد حُدِّثت عن هشام بن محمد بن السائب ، قال : بلغنا أن أفريدون — وهو من نسل جرم الملك الذي كان من قبل الضحاك ، قال : يزعمون أنه التاسع من ولده ، وكان مولده بُدُنْبَاوند — خرج حتى ورد منزل الضحاك ، فأخذه وأوثقه ، وملك مائتي سنة ، وردّ المظالم ، وأمر الناس بعبادة الله والإنصاف والإحسان ، ونظر إلى ما كان الضحاك غَصَبَ الناس من الأَرْضِينَ وغيرها ، فردّ ذلك كلّه على أهله ، إلا ما لم يجد له أهلا ، فإنه وقفه على المساكين والعامّة . قال : ويقال إنه أوّل مَنْ سُمِيَ الصوّافِي ، وأوّلُ مَنْ نظر في الطبّ والنجوم ، وإنه كان له ثلاثة بنين : اسم الأكبر سَلَمٌ^(٢) ، والثاني طوج ، والثالث إيرج ، وأن أفريدون تخوّف ألا يتفق بنيه ، وأن يبغى بعضهم على بعض ، فقسّم ملكه بينهم ثلاثاً ، وجعل ذلك في سهام كتب أسماءهم عليها ، وأمر كل واحد منهم فأخذ سهماً ، فصارت الروم وناحية المغرب لسلم ، وصارت الترك والصين لطوج ، وصارت للثالث — وهو إيرج — العراق والهند ، فدفع التاج والسريّر إليه ، ومات أفريدون ، فوثب بإيرج أخواه فقتلاه ، وملكوا الأرض بينهما ثلاثمائة سنة .

قال : والفرس تزعم أن لأفريدون عشرة آباء ، كلهم يسمى اثنيان باسم واحد . قالوا : وإنما فعلوا ذلك خوفاً من الضحاك على أولادهم ، لرواية كانت عندهم ، بأن بعضهم يغلب الضحاك على ملكه ، ويُدرك منه تأرجم ،

(١ - ١) كذا وردت العبارة في ١ .

(٢) في الأصول : « سرم » ، وانظر ما يأتي .

وكانوا يعرفون ويميّزون بألقاب لقبوها ، فكان يقال للواحد منهم : أنفيان صاحب البقر الحمر ، وأنفيان صاحب البقر البلسق ، وأنفيان صاحب البقر الكدر^(١) . وهو أفريدون بن أنفيان بُوكاو - وتفسيره صاحب البقر الكثير - بن أنفيان نيككاو - وتفسيره صاحب البقر الحياض ، بن أنفيان سيركاو^(٢) - وتفسيره صاحب البقر السمان العظام - بن أنفيان بوركاو - وتفسيره صاحب البقر التي بلون حمير الوحش - بن أنفيان أخشين كاو - وتفسيره صاحب البقر الصفير - بن أنفيان سياه كاو - وتفسيره صاحب البقر السود - بن أنفيان اسبيدكاو - وتفسيره صاحب البقر البيض - بن أنفيان كيركاو - وتفسيره صاحب البقر الرمادية - بن أنفيان رمين - وتفسيره كلّ ضرب من الألوان والقطعان - بن أنفيان بنفر وسن ؛ بن جم الشاذ .

وقيل : إن أفريدون أول من سُمّي بالكبيّية فقبل له : كَيّ أفريدون ، وتفسير الكبيّية أنها بمعنى التنزيه ، كما يقال : روحاني ، يعنون به أن أمره أمر مخلص منزّه يتصل بالروحانية . وقيل إن معنى « كَيّ » أي طالب الدخّل^(٣) ، ويزعم بعضهم أن « كَيّ » من البهاء ، وأن البهاء تعشّى أفريدون حين قتل الضحّاك ؛ وتذكر العجم من الفُرس أنه كان رجلاً جسيماً وسيماً بهيئاً مجرباً ، وأن أكثر قتاله كان بالجرز ، وأن جرزه كان رأسه كرأس الثور ، وأن ملك ابنه إيرج العراق ونواحيها كان في حياته ، وأن أيام إيرج داخله في ملك أفريدون ، وأنه ملك الأقاليم كلّها ، وتنقل في البلدان ، وأنه لما جلس على سريره يوم الملك قال : نحن القاهرون بعون الله وتأييده للضحّاك ، القامعون للشيطان وأحزابه ، ثم وعظ الناس ، فأمرهم بالتباصف وتعاطي الحقّ وبذل الخير بينهم ، وحشّتهم على الشكر والتمسك به ، ورتب سبعة من القوهيارين^(٤) - وتفسير ذلك محولو الجبال سبع مراتب - وصيّر إلى كلّ واحد منهم ناحية من دُنْبَاوند وغيرها على شبيهه بالتملك . قالوا : فلما ظفر بالضحّاك قال له الضحّاك : لا تقتلني بجدك

(١) كذا في ا ، وفي ط : « الكذا » .

(٢) ا ، ب ، ك ، ن : « شوكاو » . س « سوكاو » .

(٣) ك : « الجعل » .

(٤) ا : « القوهيارين » . س : « القوهارين » .

جم ، فقال له أفريدون منكراً لقوله : لقد سميت بك همتك ، وعظمت في نفسك حين قدرتها لهذا ، وطمعت لها فيه ! وأعلمه أن جدّه كان أعظم قدراً من أن يكون مثله كفوّاً له في القود ، وأعلمه أنه يقتله بثور كان في دار جدّه . وقيل إن أفريدون أول من ذلّل القبيلة وامتطأها ، ونَتَجَ البغال ، واتخذ الإوز والحمام ، وعالج الدرياق^(١) ، وقاتل الأعداء فقتلهم ونفاهم ، وأنه قسم الأرض بين أولاده الثلاثة : طوج وسلّم وإيرج ، فللك طوجاً ناحية الترك والخزر والصين ، فكانوا يسمونها صين بَغَا ، وجمع إليها النواحي التي اتصلت بها ، ومَلَكَ سلماً ابنه الثاني الروم والصقالبة والبُرْجان وما في حدود ذلك ، وجعل وسط الأرض وعامرهما - وهو إقليم بابل ، وكانوا يسمونها خنارث^(٢) بعد أن جمع إلى ذلك ما اتصل به من السند والهند والحجاز وغيرها - لإيرج وهو الأصغر من بنيه الثلاثة ، وكان أحبّهم إليه . وبهذا السبب سُمِّيَ إقليم بابل لإيران شهر ، وبه أيضاً نشبت العداوة بين ولد أفريدون وأولادهم بعد ، وصار ملوك خنارث والترك والروم إلى المحاربة ومطالبة بعضهم بعضاً بالدماء والترات . وقيل : إن طوجاً وسلماً لمّا علما أن أباهما قد خصّ لإيرج وقدّمه عليهما أظهرها له البغضاء ، ولم يزل التماسد ينمى بينهم إلى أن وثب طوج وسلّم على أخيهم إيرج ، فقتلاه متعاونين^(٣) عليه ، وأن طوجاً رماه بوَهَق^(٤) فمخنقه ، فن أجل ذلك استعملت الترك الوَهَق ، وكان لإيرج ابنان ؛ يقال لهما وندان^(٥) وأسطوبة^(٦) ، وابنة يقال لها خوزك^(٧) ، ويقال خوشك ، فقتل سلّم وطوج الابنين مع أبيهما ، وبقيت الابنة .

٢٣٠/١

وقيل : إن اليوم الذي غلب فيه أفريدون الضحاك كان روزمهر من مهرماه ، فاتخذ الناس ذلك اليوم عيداً لارتفاع بليّة الضحاك عن الناس ، وسماه المِهْرَجَان ؛

(١) ك : « وعالج بالدرياق » .

(٢) ا ، س : « خنارث » ، ك : « خنارث » ، ن : « خنباث » .

(٣) ن : « متعاونين » .

(٤) الوهق : الحبل يرمى في أنشوطه فتؤخذ به الدابة والإنسان .

(٥) ك : « وندان » ب : « وندان » .

(٦) كذا في ا ؛ وفي ر : « أستويه » ، وفي ن : « أستويه » وفي ك : « وسطونة » وفي ط مهمل .

(٧) ا : « خوزك » .

فقيل: إن أفريدون كان جباراً عادلاً في ملكه، وكان طولُه تسعة أرماح، كلُّ رمح ثلاثة أبواع، وعرض حُجْرته ثلاثة أرماح، وعرض صدره أربعة أرماح، وأنه كان يتبع مَنْ كان بقي بالسودان من آل نمرود والنَّبِط، وقصدهم حتى أتى على وجوههم، وبها أعلامهم وآثارهم؛ وكان ملكه خمسمائة سنة.

ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم خليل الرحمن عليهما السلام

قد ذكرنا قبل ما كان من أمر نوح عليه السلام وأمر ولده واقتسامهم الأرض بعده ، ومساكن كل فريق منهم ، وأى ناحية سكن من البلاد . وكان ممن طغا وعتا على الله عز وجل بعد نوح ، فأرسل الله إليهم رسولا فكذبوه وتمادوا في غيبتهم ، فأهلكهم الله هذان الحيان من إرم بن سام بن نوح : أحدهما عاد ابن عوص بن إرم ابن سام بن نوح ، وهى عاد الأولى ، والثانى ثمود بن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، وهم كانوا العرب العاربة .

* * *

فأما عاد فإن الله عز وجل أرسل إليهم هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود ابن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح . ومن أهل الأنساب من يزعم أن هوداً هو عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وكانوا أهل أوثان ثلاثة يعبدونها ، يقال لإحداها : صداة ، وللآخر صمود ، وللثالث الهباء (١) . فدعاهم إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة دون غيره ، وترك ظلم الناس ، فكذبوه وقالوا : من أشد منا قوة ! فلم يؤمن بهود منهم إلا قليل ، فوعظهم هود إذ تمادوا في طغيانهم ، فقال لهم : ﴿ أَتَمْنُونَ بِكُلِّ رِيحٍ آيَةٌ تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ . فكان جوابهم له أن قالوا :

(١) : « الهباء » .

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾^(١). وقالوا له: ﴿يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾^(٢)، فحبس الله عنهم - فيما ذكر - القَطْرَ سنين ثلاثا ؛ حتى جهدوا ، فأوفدوا وفداً ليستسقوا لهم .

فكان من قصصهم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو بكر بن عيَّاش ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن حَسَّان البكري ، قال : قدمتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمررتُ بامرأة بالربذة ، فقالت : هل أنتَ حاملي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلتُ : نعم ، فحملتها حتى قدمت المدينة ، فدخلتُ المسجد ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، وإذا بلالٌ متقلدُ السيف ، وإذا^(٣) راياتُ سُودٌ ، قال : قلتُ : ما هذا ؟ قالوا : عمرو بن العاص قدم من غزوته ، فلماً نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن منبره أتيتُه فاستأذنته ، فأذن لي ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنَّ بالباب امرأةً من بني تميم ، قد سألتني أن أحملها إليك ، قال : يا بلال ، ائذَن لها ، قال : فدخلتُ ، فلما جلستُ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قلتُ : نعم ، وكانت الدبيرة^(٤) عليهم ، فإن رأيت أن تجعل الدهناء بيننا وبينهم فعلت ، قال : تقول المرأة فأين تضطر مُضْرَك يا رسول الله؟ قال : قلتُ : مثل معزى حملت حَتْفًا ، قال : قلتُ : أو حملتُك تكونين على خصما ! أعوذ بالله أن أكون كوفد^(٥) عاد . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما وفد عاد ؟ قال : قلتُ : على الخبير سقطت ؛ إن عاداً قحطت ، فبعثت من يستسقي لها ، فرأوا على بكر بن معاوية بمكة يستقيهم الحمر ، وتغنِّيهم الجرادتان شهراً ، ثم بعثوا رجلاً من عنده ، حتى أتى جبال مهرة ، فدعا ، فجاءت سحابات ، قال : وكلما جاءت قال :

(١) سورة الشعراء ١٢٨ - ١٣٦

(٢) سورة هود ٥٣ ، ٥٤

(٣) ط والتفسير « فإذا » ، وما أتيت من ا .

(٤) الدبيرة عليهم ، أى الهزيمة ، وفى ا : « الدائرة » .

(٥) ا والتفسير : « وافد » .

اذهبي إلى كذا، حتى جاءت سحابة، فنودى [منها] (١) : خُذْهَا رِمَاداً رِمْدَا (٢) ،
لا تَدْعُ من عاد أحدا . قال : فسمعه وكنتمهم حتى جاءهم العذاب .

قال أبو كريب : قال أبو بكر بعد ذلك في حديث عاد، قال : فأقبل
الذي أتاهم ، فأتى جبال مَهْرَةَ فصعد فقال : اللهم إني لم أجئك لأسير فأفاديه ،
ولا لمريض أشفيه ، فأسقى عاداً ما كنت مُسْقِيهِ ! قال : فرُفِعَتْ له سحابات .
قال : فنودى منها : اختر ، فجعل يقول : اذهبي إلى بني فلان [اذهبي إلى
بني فلان] (١) . قال : ففرت آخرها سحابة سوداء ؛ فقال : اذهبي إلى عاد .
قال : فنودى منها : خُذْهَا رِمَاداً رِمْدَا ، لا تَدْعُ من عاد أحداً . قال :
وكنتمهم والقوم عند بكر بن معاوية يشربون . قال : وكره بكر بن معاوية أن يقول
لهم من أجل أنهم عنده ، وأنهم في طعامه . قال : فأخذ في الغناء وذكّرهم (٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا زيد بن حُبَاب ، قال : حدثنا سلام
أبو المنذر النَّحْوِيُّ ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي وائل ، عن الحارث بن
يزيد البكري ، قال : خرجت لأشكو العلاء بن الحضرمي إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم ، ففرت بالربذة ، فإذا عجوز منقطع بها من بني تميم ، فقالت :
يا عبد الله ، إن لي إلى رسول الله حاجة ، فهل أنت مُبْلِغِي إليه ؟ قال :
فحملتها ، فقدمت المدينة — قال أبو جعفر : أظنه أنا قال : « فإذا رايات
سود » — قال : قلت : ما شأن الناس ؟ قالوا : يريد أن يبعث بعمر بن العاص
وجنهما . قال : فجلست حتى فرغ ، قال : فدخل منزله — أو قال رحلته —
فاستأذنت عليه ، فأذن لي . قال : فدخلت فقعدت ، فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم : هل كان بينكم وبين تميم شيء ؟ قال : قلت : نعم ،
وكانت الدبيرة عليهم ، وقد مررت بالربذة ، فإذا عجوز منهم منقطع بها ،
فسألتنى أن أحملها إليك ، وها هي بالباب ، فأذن لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخلت ، فقلت : يا رسول الله ، اجعل بيننا وبين تميم الدهناء حاجزاً ،
فحميت العجوز واستوفزت ، وقالت : فأين تضطرّ مضرّك يا رسول الله ؟ قال :

٢٣٤/١

(١) تكلّة من ا والتفسير .

(٢) الرمّد: المنتهى في الاحتراق . (٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥١٣ - ٥١٥ .

قلت : أنا كما قالوا : «معزى حملت حَتَفًا»^(١) ، حملت هذه ولا أشعر أنها كائنة
 لى خصماً ، أعوذ بالله ورسوله أن أكون كوافد عاد ! قال : وما وافد عاد ؟ قلت :
 على الخبير سقطت ، قال : وهو استطعمنى^(٢) الحديث قلت : إن عاداً قَحَطُوا
 فبعثوا «قَيْلًا» وافدًا ، فنزل على بَكْرٍ ، فسقاه الخمر شهرًا ، وتغنيبه جاريتان
 يقال لهما الجرادتان ، فخرج إلى جبال مَهْرَةَ ، فنادى : إني لم أجد مريض
 فأداويه ، ولا لأسير فأقاده ، اللهم أسق عاداً ما كنت تُسقيه ! فررت به
 سحابات سود ، فنودى منها : خذها رماداً رَمَدًا ، لا تبقى من عاد أحدًا .
 قال : فكانت المرأة تقول : لا تكن كوافد عاد ، فما بلغنى أنه أرسل عليهم من
 الريح يا رسول الله إلاّ قَدَرَ ما يجرى في خاتمي . قال أبووائل : وكذلك بلغنى^(٣) .

وأما ابن إسحق فإنه قال كما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عنه : ٢٣٥/١
 أن عاداً لما أصابهم من القحط ما أصابهم قالوا : جهزوا منكم وفدًا إلى مكة
 فيستسقوا لكم ، فبعثوا قَيْلَ بن عتر ولُقَيْمَ بن هزّال بن هزّيل بن عَتَيْلِ
 ابن صدّ بن عاد الأكبر ، ومَرْتَدَ بن سعد بن عَفِير - وكان مسلمًا يكتّم
 إسلامه - وجُلْهُمَةَ بن الخبيري ، خال معاوية بن بكر أخت أمه ، ثم بعثوا
 لقمان بن عاد بن فلان بن فلان بن صدّ بن عاد الأكبر ، فانطلق كلُّ رجلٍ
 من هؤلاء القوم معه رهط من قومه ، حتى بلغ عدة وفدهم سبعين رجلًا ، فلما
 قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجًا من الحرم ، فأزلمهم
 وأكرمهم ، وكانوا أخواله وصهره . وكانت هزيلة ابنة بكر أخت معاوية بن
 بكر لأبيه وأمّه كلهدة ابنة الخبيري عند لُقَيْمِ [بن هزّال بن عَتَيْلِ بن صد
 ابن عاد الأكبر^(٤)] ، فولدت له عبيد بن لُقَيْمِ بن هزّال وعمرو بن لُقَيْمِ بن هزّال
 وعامر بن لُقَيْمِ بن هزّال وعمير بن لقيم بن هزّال ، فكانوا في أخوالهم بمكة
 عند آل معاوية بن بكر ، وهم عاد الأخيرة التي بقيت من عاد الأولى . فلما نزل

(١) ط : «حيفا» ، وما أثبتته من التفسير ، ومعزى مصروف ؛ لأن الألف للإلحاق وليست
 للتأنيث ؛ ذكره سيبويه .

(٢) استطعمه الحديث : أغراه أن يجده . (٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥١٦ - ٥١٨ .

(٤) تكلمة من أ .

وفد عادٍ على معاوية بن بكر أقاموا عنده شهراً يشربون الخمر ، وتغنيهم
الجرادتان - قينتان لمعاوية بن بكر - وكان مسيرهم شهراً ، ومقامهم شهراً ،
فلما رأى معاوية بن بكر طول مقامهم ، وقد بعثهم قومهم يتغوثون بهم^(١)
من البلاء الذي أصابهم ، شق ذلك عليه فقال : هلك أخوالي وأصهارى وهؤلاء
مقيمون عندى ، وهم ضيفي نازلون علىّ ، والله ما أدرى : كيف أصنع بهم !
أستحي أن أمرهم بالخروج إلى ما بعثوا إليه ، فيظنوا أنه ضيق منى بمقامهم
عندى ، وقد هلك من وراءهم من قومهم جهداً وعطشاً ، أو كما قال .
فشكا ذلك من أمرهم إلى قينتيه الجرادتين ، فقالتا : قل شعراً نغنيهم به
لا يذرون من قاله ، لعل ذلك أن يحركهم ! فقال معاوية بن بكر حين أشارتا
عليه بذلك :

ألا يا قيلُ ، وَيَحْكُ قَمِ فَهَيْنِمُ	لعلَّ الله يَسْقِينَا غَمَامًا ^(٢)
فيسقى أرضَ عادٍ ، إنَّ عادًا	قد أمسوا لا يُبَيِّنُونَ الكَلَامَا
من العطشِ الشَّدِيدِ ، فليس نرجو ^(٣)	به الشيخَ الكبيرَ ولا العلامَا
وقَدَ كانتْ نساؤُهُمُ بخيرٍ	فقد أمستْ نساؤُهُمُ عِيَامِي ^(٤)
وإنَّ الوحشَ تأتيهمُ جهارًا	ولا تخشى لعادِي سِهامَا
وأتمَّ ها هنا فيما اشتهتُمُ	نهارَكُمُ وليلكُمُ التَّمَامَا
فقبَّحَ وفدكُمُ من وفدِ قومِ	ولا لُقُوا التحيةَ والسلامَا !

فلما قال معاوية ذلك الشعر ، غنّتهم به الجرادتان . فلما سمع القوم ما غنّتا
به ، قال بعضهم لبعض : يا قوم إنما بعثكم قومكم يتغوثون بكم من هذا البلاء
الذى نزل بهم ، وقد أبطأتم عليهم ، فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم ،
فقال مَرثد بن سعد بن عُمير : إنكم والله لا تُسْقَوْنَ بدعائكم ؛ ولكن إن أطعتم

(١) ر : « لهم » وفي التفسير : « يتغوثون » ،

(٢) ا ، ر ، ك ، والتفسير : « يصبحنا غماماً » ، والهيمنة : الكلام الخفى .

(٣) ط : « يرحى » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، والتفسير .

(٤) اللسان : المرأة التى مات عنها زوجها ولا مال لها يقال لها : عى وأيمى ، والجمع عيام .

نبيكم، وأنبتم إليه سقيم. فأظهر إسلامه عند ذلك، فقال لهم جلهمسة بن
الخيبري، خال معاوية بن بكر حين سماع قوله، وعرف أنه قد تبع دين هود
وأمن به :

أَبَا سَعْدٍ فَإِنَّكَ مِنْ قَبِيلِ ذَوِي كَرَمٍ وَأُمَّكَ مِنْ ثَمُودِ
فَإِنَّا لَنْ نُطِيعَكَ مَا بَقِينَا وَلَسْنَا فَاعِلِينَ لِمَا تُرِيدُ
أَتَامَرْنَا لِنَتْرِكَ آلَ رِفْدٍ^(١) وَزَمَلْ وَآلَ صُدٍّ وَالْعُبُودِ^(٢)
وَنَتْرِكَ دِينَ آبَاءِ كَرَامِ ذَوِي رَأْيٍ وَنَتَّبِعُ دِينَ هُودِ

ورفد وزمل وصدّ قبائل من عاد، والعبود منهم. ثم قال لمعاوية بن بكر
وأبيه بكر: احبسنا عنّا مرثد بن سعد فلا يقدم معنا هكة؛ فإنه قد اتبع دين
هود، وترك ديننا. ثم خرجوا إلى مكة يستسقون بها لعاد، فلما ولّوا إلى مكة خرج
مرثد بن سعد من منزل معاوية، حتى أدركهم بها قبل أن يدعوا الله بشيء
مما خرجوا له. فلما انتهى إليهم قام يدعو الله، وبها وفد عاد قد اجتمعوا يدعون.
فقال: اللهم أعطني سؤلي وحدي، ولا تدخلني في شيء مما يدعوك به وفد
عاد. وكان قبيل بن عتر رأس وفد عاد. وقال وفد عاد: «اللهم أعطي قبيلاً
ما سألك، واجعل سؤلنا مع سؤلته». وقد كان تخلّف عن وفد عاد لقمان
ابن عاد، وكان سيد عاد، حتى إذا فرغوا من دعوتهم قال: اللهم إني جئتكم
وحدي في حاجتي فأعطني سؤلي. وقال قبيل بن عتر حين دعا: يا إلهنا، إن
كان هود صادقاً فاسقنا فإننا قد هلكنا. فأنشأ الله سحائب ثلاثاً: بيضاء
وحمراء، وسوداء، ثم ناداه مناد من السحاب: يا قبيل، اختر لنفسك وقومك
من هذا السحاب. فقال: قد اخترت السحابة السوداء، فإنها أكثر السحاب
ماءً، فناداه مناد: اخترت رماداً رمد داءً، لا تبقي من عاد أحداً، لا والداً
ترك ولا ولداً، إلا جعلته هميداً، إلا بني اللوذية المهدي^(٣) — وبني اللوذية

(١) كذا في ١، وفي ط والتفسير: «دين رفا».

(٢) همدا؛ أي هالكاً.

(٣) كذا ضبط في ١ بضم الميم وفتح الدال.

بنو لُقَيْمِ بن هَزَال بن هَزِيل بن هَزِيلَة ابنة بكر ، كانوا سُكَّانًا بِمَكَّةَ مع
أخوالهم ، لم يكونوا مع عاد بأرضهم ، فهم عاد الآخرة ، ومن كان من نسلهم
الذين بقوا من عاد -

وساق الله السحابة السوداء فيما يذكرون التي اختار قَيْلُ بن عتر بما فيها
من النعمة إلى عاد، حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيثُ . ولما رأوها
استبشروا بها ، وقالوا : ﴿ هَذَا عَارِضٌ مُّسْطِرٌّ نَا ﴾ ، يقول الله عز وجل : ﴿ بَلْ هُوَ
مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ * تَدْمُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا ﴾ (١) ،
أى كلَّ شَيْءٍ أَمِرتَ به . فكان أول من أبصر ما فيها أنها ريح - فيما يذكرون -
امرأة من عاد يقال لها مَهْدَد ، لما تبيّنت ما فيها صاحت ثم صَعقت ، فلما
أفاقت قالوا : ماذا رأيت يا مَهْدَد ؟ قالت : رأيت ريحاً فيها كَشَهَبُ النار ،
أمامها رجال يُقودونها . فسخرها الله عليهم ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾ ،
كما قال الله : وَالْحُسُومُ : الدائمة ؛ فلم تَدَعْ من عادٍ أحداً إلا هلك .

٢٣٩/١

فاعترل هود - فيما ذكر - ومن معه من المؤمنين في حظيرة ، ما يُصيبه ومن
معه منها إلا ما تكلن عليه الجلود ، وتلتذ الأنفس ؛ وإنما لتُمرَّ من عاد بالظعن
ما بين السماء والأرض ، وتدمغهم بالحجارة . وخرج وفد عاد من مكة حتى
مرُّوا بمعاوية بن بكر وأبيه ، فترلوا عليه ، فبيناهم عنده ، إذ أقبل رجل على ناقة
له في ليلة مقمرة مُسَيِّ (٢) ثالثة من مصاب عاد ، فأخبرهم الخبر ، فقالوا : فأين
فارقت هودا وأصحابه ؟ قال : فارقتهم بساحل البحر ؛ فكأنهم شكُّوا فيما
حدثهم ، فقالت هزيلة ابنة بكر : صدقَ وربُّ مكة (٣) . ومثوب بن يعفر بن
أخي معاوية بن بكر معهم . وقد كان قيل - فيما يزعمون والله أعلم - لمرثد بن
سعد ولقمان بن عاد ، وقَيْلُ بن عتر حين دعوا بمكة : قد أعطيتُم منَّاكم
فاختاروا لأنفسكم ، إلا أنه لا سبيلَ إلى الخلد ، فإنه لا بدَّ من الموت ،
فقال مرثد بن سعد : يا ربِّ ، أعطني براً وصدقاً ، فأعطيني ذلك ، وقال

٢٤٠/١

(١) سورة الأحقاف ٢٤ ، ٢٥ .

(٢) كذا في ا ، س ، وفي ط : « مساء » .

(٣) الخبر إلى هنا في التفسير ١٢ : ٥٠٩ - ٥١٣ .

لقمان بن عاد : أعطني عُمرًا ، فقبل له : اختر لنفسك ، إلا إنه لاسبيل إلى الخلد : بقاء أيعار (١) ضأن عُفر ، في جبل وعر ، لا يُلقي به إلا القطر ، أم سبعة أنسر إذا مضى نَسْرُ حلوت إلى نسر ؟ فاختار لقمان لنفسه النسر ، فَعُمِّرَ - فيما يزعمون - عُمرَ سبعة أنسر ؛ يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته ، فيأخذ الذكر منها لقوته ؛ حتى إذا مات أخذ غيره ، فلم يزل يفعل ذلك ، حتى أتى على السابع . وكان كلُّ نَسْرٍ فيما زعموا يعيش ثمانين سنة ، فلما لم يبق غيرُ السابع قال ابن أخ اللقمان : أي عم ، ما بقي من عمرك إلا عمر هذا النسر ؛ فقال له لقمان : أي ابن أخي : هذا لُبْدٌ - ولُبْدٌ بلسانهم الدهر - فلما أدرك نَسْرُ لقمان ، وانقضى عمره ، طارت النسر غداةً من رأس الجبل ، ولم ينهض فيها لُبْدٌ ، وكانت نسر لقمان تلك لا تغيب عنه ؛ إنما هي بعينه (٢) . فلما لم ير لقمان لُبْدًا نهض مع النسر ؛ نهض إلى الجبل لينظر ما فعل لُبْدٌ ، فوجد لقمان في نفسه وهنًا لم يكن يجده قبل ذلك ، فلما انتهى إلى الجبل رأى نسرهُ لُبْدًا واقعًا من بين النسر ، فناداه : انهض لُبْدٌ ، فذهب لُبْدٌ لينهض فلم يستطع ، عريت قوادمه وقد سقطت ؛ فاتا جميعًا .

٢٤١/١

وقيل لقييل بن عتر حين سمع ما قيل له في السحاب : اختر لنفسك كما اختار صاحبك ، فقال : أختار أن يصيبني ما أصاب قومي ، فقبل : إنه الهلاك ، قال : لا أبالي ؛ لا حاجة لي في البقاء بعدهم . فأصابه ما أصاب عادًا من العذاب فهلك ، فقال مرثد بن سعد بن عُفَيْر حين سمع من قول الراكب الذي أخبر عن عاد بما أخبر من الهلاك :

عَصَتْ عَادُ رَسُولَهُمْ فَأَمْسَوْا عَطِشًا مَا تَبَلَّهْمُ السَّمَاءُ
 وَسِيرَ وَقَدُهُمْ شَهْرًا لِيُسْقَوْا فَأَرَدَفَهُمْ مَعَ الْعَطَشِ الْعَمَاءُ
 بَكَفَرِهِمْ بَرَبِّهِمْ جَهَارًا عَلَى آثَارِ عَادِهِمْ الْعَفَاءُ
 الْآتِزِعَ الْإِلَهَ حُلُومَ عَادٍ فَإِنَّ قُلُوبَهُمْ قَفْرٌ هَوَاءُ

(١) الأيثار : جمع يعر ؛ وهي الشياه .

(٢) كذا في ١ ، س ، ن ، وفي ط : « تتعينه » .

مِنَ الْخَبْرِ الْمُبِينِ أَنْ يَعُوهُ
فَنَفْسِي وَأَبْنَتَايَ وَأُمَّهُ وَوَلَدِي
أَنَا وَالْقَابُوبُ مُصَمَّدَاتُ
لَنَا صَمَمٌ يُقَالُ لَهُ صَمُودٌ
فَأَبْصَرَهُ الَّذِينَ لَهُ أَنْابُوا
فَأَبْنَى سَوْفَ الْحَقِّ آلَ هُودٍ
وَمَا تُغْنِي النَّصِيحَةَ وَالشَّفَاءَ (١)
لِنَفْسٍ نَبِيْنًا هُودٍ فِدَاهِ
عَلَى ظُلْمٍ ، وَقَدْ ذَهَبَ الضِّيَاءُ
يُقَابِلُهُ صُدَاءُ وَأَهْبَاءُ
وَأَدْرَكَ مَنْ يُسَكِّدُ بِهِ الشَّقَاءُ
وَإِخْوَتَهُ إِذَا جَنَّ الْمَسَاءُ

وقيل : إن رئيسهم وكبيرهم في ذلك الزمان الخَلَجَان .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا أبي ، عن إسماعيل بن عياش ،
عن محمد بن إسحاق ، قال : لما خرجت الرياحُ على عاد من الوادي ، قال سبعة
رهط منهم ، أحدهم الخَلَجَان : تعالوا حتى نقومَ على شفير الوادي فردها ،
فجعلت الرياحُ تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ، ثم ترمى به فتندقُ عنقه ،
فتركهم كما قال الله عز وجل : ﴿ صَرَغَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَارُ نَخْلِ خَاوِيَةٍ ﴾ (٢)
حتى لم يبق منهم إلا الخَلَجَان ، فمال إلى الجبل ، فأخذ بجانب منه ، فهزّه فاهتزَّ
في يده ، ثم أنشأ يقول :

لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْخَلَجَانُ نَفْسُهُ
بِتَابِتِ الْوُطْءِ شَدِيدٍ وَطُسُهُ
بِأَلِكٍ مِنْ يَوْمِ دَهَانِي أَمْسُهُ
لَوْ لَمْ يَحْتَمِي جِئْتُهُ أَجْسُهُ

فقال له هود: ويحك يا خَلَجَان! أسلمت تسلم ، فقال له : وما لي عند ربك
إن أسلمت ؟ قال : الجنة ، قال : فما هؤلاء الذين أراهم في هذا السحاب كأنهم
البُيُخْتُ ، قال هود : تلك ملائكة ربي ، قال : فإن أسلمت أيُعبدني
ربك منهم ؟ قال : ويالك ! هل رأيت ملائكة يعبد من جنده ! قال : لوفعل
ما رضيت ، قال : ثم جاءت الرياحُ فألحفته بأصحابه ؛ أو كلاماً هذا معناه .
قال أبو جعفر : فأهلك الله الخَلَجَان ، وأفنى عاداً خلا من بقي

(١) ا ، ك : « من الخير » .

(٢) سورة الحاقة ٧

منهم ، ثم بادوا بعد ، ونجى الله هوداً ومن آمن به . وقيل : كان عمر هود مائة سنة وخمسين سنة .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، قال : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۗ ﴾^(١) ؛ إن عاداً أتاهم هود ، فوعظهم وذكرهم بما قص الله في القرآن ، فكذبوه وكفروا ، وسألوه أن يأتيهم العذاب فقال لهم : ﴿ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ۗ ﴾^(٢) ؛ وإن عاداً أصابهم حين كفروا قحط من المطر ، حتى جهدوا لذلك جهداً شديداً ، وذلك أن هوداً دعا عليهم ، فبعث الله عليهم الريح العقيم ، وهى الريح التى لا تُلْقح الشجر ، فلما نظروا إليها قالوا : هذا عارض ممطرنا ، فلما دنت منهم نظروا إلى الإبل والرجال ، تطير بهم الريح بين السماء والأرض ، فلما رأوها تبادروا إلى البيوت ، حتى دخلوا البيوت دخلت عليهم فأهلكتهم فيها ، ثم أخرجتهم من البيوت ، فأصابتهم ﴿ فِي يَوْمٍ نَحْسٍ ﴾ ، والنحس هو الشؤم ﴿ مُسْتَمِرًّا ﴾^(٣) استمر عليهم بالعذاب . ﴿ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ﴾^(٤) ، حسمت كل شىء مرت به ، حتى أخرجتهم من البيوت ، قال الله تبارك وتعالى : ﴿ تَنَزَّعُ النَّاسُ ﴾ عن البيوت ، ﴿ كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ ﴾^(٥) ، انقعر من أصوله . ﴿ خَاوِيَةً ﴾^(٦) خوت فسقطت ، فلما أهلكهم الله أرسل عليهم طيراً سوداً ، فنقلتهم إلى البحر ،

(١) سورة هود ٥٠

(٢) سورة الأحقاف ٢٣

(٣) سورة القمر ١٩

(٤) سورة الحاقة ٧

(٥) سورة القمر ٢٠

(٦) من قوله تعالى في سورة الحاقة ٧ : ﴿ فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرَغِي كَانَهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴾ .

فألقتهم فيه ، فذلك قوله عز وجل : ﴿ فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِينُهُمْ ﴾ (١) .
 ولم تخرج الريح قط إلا بمكيال إلا يومئذ ، فإنها عنت على الخزنة فغلبتهم ،
 فلم يعلموا كم كان مكيالها ؟ فذلك قوله : ﴿ فَأَهْلِكُوا بِيحٍ صَرَصِرَةٍ عَاتِيَةٍ ﴾ (٢) .
 والصرصر : ذات الصوت الشديد .

٢٤٤/١

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ،
 قال : حدثني عبد الصمد ، أنه سمع وهباً يقول : إن عاداً لما عذبهم الله بالريح
 التي عذبوا بها ، كانت تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم ، فمن
 لم يكن في بيت هبت به الريح حتى تقطعه بالجبال ، فهلكوا بذلك كلهم .

* * *

وأما ثمود فإنهم عتوا على ربهم ، وكفروا به ، وأفسدوا في الأرض ؛ فبعث
 الله إليهم صالح بن عبيد بن أسف بن ماسخ (٣) بن عبيد بن خادر بن ثمود
 ابن جاثر بن إرم بن سام بن نوح ، رسولا يدعوهم إلى توحيد الله وإفراده
 بالعبادة .

وقيل : صالح ، هو صالح بن أسف بن كماشج بن إرم بن ثمود بن جاثر
 ابن إرم بن سام بن نوح .

فكان من جوابهم له أن قالوا له : ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ
 هَذَا أَتَنهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ
 مُرِيبٍ ﴾ (٤) . وكان الله عز وجل قد مد لهم في الأعمار ، وكانوا يسكنون الحِجْرَ

٢٤٥/١

(١) سورة الأحقاف ٢٥

(٢) سورة الحاقة ٦ (٣) ١ : « ماشج » .

(٤) سورة هود ٦٢ .

إلى وادي القرى ، بين الحجاز والشام ، ولم يزل صالح يدعوهم إلى الله على تمردهم وطمعانهم ، فلا يزيدهم دعاؤه إياهم إلى الله إلا مباعدة من الإجابة ، فلما طال ذلك من أمرهم وأمر صالح قالوا له : إن كنت صادقاً فأتنا بآية .

فكان من أمرهم وأمره ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن عبد العزيز بن رُفيع ، عن أبي الطفيل ، قال : قالت ثمود لصالح : اثنتا بآية إن كنت من الصادقين . قال : فقال لهم صالح : اخرجوا إلى هَضْبَةِ من الأرض ؛ فإذا هي تتمخض كما تتمخض الحامل ، ثم تفرجت فخرجت من وسطها الناقة ، فقال صالح عليه السلام : ﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ .^(١) ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾^(٢) فلما ملئوها عقروها ، فقال لهم : ﴿ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ﴾ .^(٣) قال عبد العزيز : وحدثني رجل آخر أن صالحاً قال لهم : إن آية العذاب أن تصبحوا غداً حُمراً ، واليوم الثاني صُفراً ، واليوم الثالث سُوداً ، فصبتهم العذاب ، فلما رأوا ذلك تحنطوا واستعدوا^(٤) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، عن شهر بن حوشب ، عن عمرو بن خارجة ، قال : قلنا له : حدثنا حديث ثمود ، قال : أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ثمود . كانت^(٥) ثمود قوم صالح عمَّهم الله عزَّ وجلَّ في الدنيا ، فأطال أعمارهم حتى جعل أحدهم يبني المسكن من المسدِّر فيتهدَّم^(٦) والرجل منهم حي ، فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتاً فرهين ، ففتحوها وجابوها وجوقوها ،

(١) سورة الأعراف ٧٣ (٢) سورة الشعراء ١٥٥

(٣) سورة هود ٦٥ (٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٢٥ - ٥٢٦ .

(٥) ر ، س : « وكانت » .

(٦) ر : « فيهدم » ، س : « فيهدم » .

وكانوا في سعة من معاشهم^(١) ، فقالوا : يا صالح ، ادع لنا ربك يخرج^(٢) لنا آية نعلم أنك رسول الله . فدعا صالح ربه ، فأخرج لهم الناقة فكان شربها يوماً وشربهم يوماً معلوماً^(٣) ، فإذا كان يوم شربها خلثوا عنها وعن الماء ، وحلبوها لبناً ، ملثوا كل إناء ووعاء وسقاء ، فإذا كان يوم شربهم صرّفوها عن الماء ولم تشرب منه شيئاً ، فملثوا كل إناء ووعاء وسقاء ، فأوحى الله عز وجل إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك ، فقال لهم ؛ فقالوا : ما كنا لنفعل ، قال : إلا تعقروها أنتم أو شك أن يولد فيكم مولود يعقرها ، قالوا : ما علامة ذلك المولود ؟ فوالله لا نجده إلا قتلناه ، قال : فإنه غلام أشقر أزرق أصهب أحمر ، قال : فكان في المدينة شيخان عزيزان منيعان ، لأحدهما ابن يرغب له عن المناكح ، ولآخر ابنة لا يجد لها كفتاً ، فجمع بينهما مجلس ، فقال أحدهما لصاحبه : ما يمنعك^(٤) أن تزوج ابنتك ؟ قال : لا أجد له كفتاً ، قال : فإن ابنتي كفاء له ؛ وأنا أزوجه ، فزوجه فولد منهما^(٥) ذلك المولود .

٢٤٧/١

وكان في المدينة ثمانية رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، فلما قال لهم صالح : إنما يعقرها مولود فيكم ؛ اختاروا ثمانى نسوة قوايل من القرية ، وجعلوا معهن شراً كانوا يطوفون في القرية ؛ فإذا وجدوا المرأة تمخض نظروا ما ولد لها ؟ فإن كان غلاماً قتلته^(٦) ، وإن كانت جارية أعرضن^(٧) عنها ، فلما وجدوا ذلك المولود صرخ^(٨) النسوة ، وقلن : هذا الذي يريد^(٩) رسول الله صالح ، فأراد الشرط أن يأخذوها ، فحال جداه بينه وبينهم . وقالوا : إن أراد صالح هذا قتلناه ، وكان شرّ مولود ، وكان يشب في اليوم شباب غيره في الجمعة ، ويشب

(١) س : « العيش » .

(٢) ن : « يظهر » .

(٣) ن : « فكان شربهم يوماً معلوماً وشربها كذلك » .

(٤) ب : « ما منعك » .

(٥) ا ، ن ، و ، ين الأثير « بينهما » .

(٦) ا ، س ، ن : « قلبته فنظرن ما هو » .

(٧) ن : « انصرفن » .

(٨) ط : « صرخن » ، والأجود ما أثبتته عن ا .

(٩) ن : « أخبر عنه » .

في الجمعة شباب غيره في الشهر ، ويشبّ في الشهر شبابَ غيره في السنة ، فاجتمع الثمانية الذين يفسدون في الأرض ولا يُصلحون ، وفيهم الشيخان ، فقالوا : استعمل علينا هذا الغلام لمنزلته وشرف جدّه ، فصاروا تسعة ، وكان صالح عليه السلام لا ينام معهم في القرية ، بل كان في مسجد يقال له مسجد صالح ، فيه بيت بالليل ؛ فإذا أصبح أتاهم فوعظهم وذكرهم ، فإذا أمسى خرج إلى مسجده (١) فبات فيه .

قال حجاج : قال ابن جريج : لما قال لم صالح عليه السلام : إنه سيولد غلام يكون هلاكهم على يديه ، قالوا : فكيف تأمرنا ؟ قال : آمرم بقتلهم ، فقتلوهم إلا واحداً ، قال : فلما بلغ ذلك المولود قالوا : لو كنّا لم نقتل أولادنا لكان لكل واحد منا مثل هذا ، هذا عمل صالح ! فأتمروا بينهم بقتله ، وقالوا : نخرج مسافرين والناس يروننا علانية ، ثم نرجع من ليلة كذا وكذا فرصده عند مصلاّه فنقتله ، فلا يحسب الناس إلا أنا مسافرون كما نحن . فأقبلوا حتى دخلوا تحت صخرة يرصدونه ، فأنزل الله عزّ وجلّ عليهم الصخرة فرضختهم فاصبحوا رُضخاً ، فانطلق رجال ممن قد اطلع على ذلك منهم ؛ فإذا هم رُضخ ، فرجعوا يصيحون في القرية : أي عباد الله ، أما رضيّ صالح أن أمرهم أن يقتلوا أولادهم حتى قتلهم ! فاجتمع أهل القرية على عمقّ الناقة أجمعون ، فأحجموا عنها إلا ذلك ابن العاشر .

قال أبو جعفر : ثم رجع الحديث إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأرادوا أن يمكروا بصالح ، فمشوا حتى أتوا على سرب على طريق صالح ، فاخبتاً فيه ثمانية وقالوا : إذا خرج علينا قتلناه وأتينا أهله فيبيتناهم ، فأمر الله عزّ وجلّ الأرض فاستوت عليهم ، قال : فاجتمعوا ومشوا إلى الناقة ، وهى على حوضها قائمة ، فقال الشقّ لأحدهم : ائتها فاعقرها ، فأتاها ، فتعاضمه ذلك ، فأضرب عن ذلك ، فبعث آخر فأعظم ذلك ، فجعل لا يبعث أحداً إلا تعاضمه أمرها ؛ حتى مشى إليها وتطاول

(١) س : « منزله » .

(٢) ا : « فأرسل » .

فصرب عرقوبيها^(١) ، فوقعت تركض . فأتى رجلٌ منهم صالحاً فقال : أدرك الناقة فقد عقرت . فأقبل ؛ فخرجوا يتلقونه ويعتذرون إليه : يا نبي الله ، إنما عقرها فلان ؛ إنه لا ذنب لنا ، قال : انظروا هل تُدركون فصيلها ! فإن أدركتموه فمسي الله أن يرفع عنكم العذاب ! فخرجوا يطلبونه . فلما رأى الفصيلُ أمه تضطرب أتى جبلاً - يقال له : القارة - قصيراً فصعدَه وذهبوا ليأخذوه ، فأوحى الله عز وجلّ إلى الجبل ، فطال في السماء حتى ما تناله الطير ، قال : ودخل صالح القرية ، فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ، ثم استقبل صالحاً ، فرغاً رغوّة ، ثم رغا أخرى ، ثم رغا أخرى . فقال صالح : لكل رغوّة أجل يوم ؛ تمتهوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعد غير مكذوب ؛ إلا أن آية العذاب أن اليوم الأول تصبح وجوهكم مصفرة ، واليوم الثاني محمرة ، واليوم الثالث مسودة ، فلما أصبحوا إذا وجوههم كأنما طليت بالخلوق ، صغيرهم وكبيرهم ، ذكرهم وأنثاهم ، فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومٌ من الأجل وحضركم العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثاني إذا وجوههم محمرة ؛ كأنما خضبت بالدماء ، فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أنه العذاب . فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم : ألا قد مضى يومان من الأجل ، وحضركم^(٢) العذاب ، فلما أصبحوا اليوم الثالث فإذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار ، فصاحوا جميعاً : ألا قد حضركم العذاب ، فتكفتموا وتحنطوا ، وكان حنوطهم الصبر والمقر^(٣) ، وكانت أكفانهم الأنطاع ، ثم ألقوا أنفسهم إلى الأرض ، فجعلوا يقلبون أبصارهم إلى السماء مرة ، وإلى الأرض مرة ، لا يدرون من حيث^(٤) يأتيهم العذاب ؛ من فوقهم من السماء ، أو من تحت أرجلهم من الأرض خشعاً وفرقاً ؛ فلما أصبحوا اليوم الرابع أتتهم صيحة من السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الأرض ، فتقطعت قلوبهم في صدورهم فأصبحوا في ديارهم جاثمين .

٢٥٠/١

(١) أ ، س : « عرقوبها » .

(٢) س : « وحضرم » .

(٣) الصبر : عصارة شجر مر ، والمقر شبيه به .

(٤) ن : « من أين » .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : حدثت أنه لما أخذتهم الصيحة أهلك الله مَنْ بين المشارق والمغارب منهم ، إلا رجلاً واحداً كان في حَرَمِ الله ، منعه حرمُ الله من عذاب الله^(١) قيل : ومن هو يا رسول الله : ؟ قال : أبو رغال ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود لأصحابه : « لا يدخلن أحدٌ منكم القرية ، ولا تشربوا من ماءهم » ، وأرآهم مُرتقى الفصيل ، حين ارتقى في القارة^(٢) قال ابن جريج : وأخبرني موسى بن عقبة ، عن عبد الله بن دينار ، عن ابن عمران ، أن النبي صلى الله عليه وسلم حين أتى على قرية ثمود قال : « لا تدخلن »^(٣) على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين ، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم ؛ أن يصيبكم ما أصابهم .

قال ابن جريج : قال جابر بن عبد الله : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما أتى على الحجر ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أما بعد ، فلا تسألوا رسولكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآيات ، فبعث الله لهم الناقة ، فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج ، فتشرب ماءهم يوم وردها » .

حدثني إسماعيل بن المتوكل الأشجعي ، قال : حدثنا محمد بن كثير ، قال : حدثنا عبد الله بن واقد ، عن عبد الله بن عثمان بن خثيم ، قال : حدثنا أبو الطفيل [قال]^(٤) : لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزاة تبوك ، نزل الحجر فقال : « أيها الناس لا تسألوا نبيكم الآيات ، هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية ، فبعث الله تعالى ذكره لهم الناقة آية ، فكانت تليج عليهم يوم وردها من هذا الفج فتشرب ماءهم ، ويوم وردهم كانوا يتزودون منه ، ثم يجلبونها مثل ما كانوا يتزودون من ماءهم قبل ذلك لبناً ، ثم تخرج من ذلك الفج . ففتوا عن أمر ربهم وعقروها ، فوعدهم الله العذاب بعد ثلاثة أيام ،

(١) ن : « منعه من العذاب » .

(٢) ن : « حين أتى في المغارة » ، والقارة ، الجبل الصغير .

(٣) أ : « لا تدخلوا » .

(٤) تكله من أ .

وكان وعداً من الله غير مكذوب ، فأهلك الله مَنْ كان منهم في مشارق الأرض
ومغاربها إلا رجلاً^(١) واحداً كان في حرم الله ، فنبهه حرم الله من عذاب
الله ، قالوا : ومَنْ ذلك الرجل يا رسول الله ؟ قال : أبو رغال .

* * *

فأما أهل التوراة فإنهم يزعمون أن لا ذكر لعاد ولا^(٢) ثمود ولا هود وصالح
في التوراة ، وأمرهم عند العرب في الشهرة في الجاهلية والإسلام كشهرة إبراهيم
وقومه .

قال : ولولا كراهة إطالة الكتاب بما ليس من جنسه ، لذكرت من شعر
شعراء الجاهلية الذي قيل في عاد وثمود وأمورهم بعض ما قيل . ما يعلم به مَنْ
ظن خلاف ما قلنا في شهرة أمرهم في العرب صحة ذلك . ٢٥٢/١

ومن أهل العلم من يزعم أن صالحاً عليه السلام توفي بمكة وهو ابن ثمان
وخمسين سنة ، وأنه أقام في قومه عشرين سنة .

* * *

قال أبو جعفر : نرجع الآن إلى :

(١) : « ليس رجلاً » .

(٢) لم يذكر « لا » في ا .

ذكر إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام وذكر من كان في عصره من ملوك العجم

إذ كنا قد ذكرنا من بينه وبين نوح من الآباء وتاريخ السنين التي مضت قبل ذلك . وهو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغوا^(١) بن فالغ بن عابر بن شالغ بن قيهان بن أرفخشذ بن سام بن نوح .
واختلفوا في الموضع الذي كان منه ، والموضع الذي ولد فيه ، فقال بعضهم : كان مولده بالسوس من أرض الأهواز ، وقال بعضهم : كان مولده ببابل من أرض السواد . وقال بعضهم : كان بالسواد بناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بالوراء بناحية الزواي وحدود كسكر ، ثم نقله أبوه إلى الموضع الذي كان به نمروود من ناحية كوثى . وقال بعضهم : كان مولده بجران ، ولكن أباه تارخ نقله إلى أرض بابل . وقال عامة السلف من أهل العلم : كان مولد إبراهيم عليه السلام في عهد نمروود بن كوش . ويقول عامة أهل الأخبار : كان نمروود عاملاً للازدهاق الذي زعم^(٢) بعض من زعم أن نوحاً عليه السلام كان مبعوثاً إليه على أرض بابل وما حولها . وأما جماعة من سلف العلماء فإنهم يقولون : كان ملكاً برأسه ، واسمه الذي هو اسمه فيما قيل : زرهى بن طهماسلفان^(٣) .

٢٥٣/١

وقد حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق — فيما ذكر لنا والله أعلم — أن آزر كان رجلاً من أهل كوثى ، من قرية بالسواد سواد الكوفة ، وكان إذ ذاك ملك المشرق لنمرود الخاطى ، وكان يقال له الهاصر ، وكان ملكه فيما يزعمون — قد أحاط بمشارق الأرض ومغاربها ، وكان ببابل ، قال : وكان ملكه وملك قومه بالمشرق قبل ملك فارس .

قال : ويقال لم يجتمع ملك الأرض ولم يجتمع الناس على ملك واحد إلا

(١) س : « أرغوا » ، ن : « أرغو » .

(٢) ر : « يزعم » .

(٣) س : « طهماسفاز » .

على ثلاثة ملوك : نَمْرُود بن أَرغوا ، وذى القرنين ، وسليمان بن داود .

* * *

وقال بعضهم : نمرود هو الضحّاك نفسه .

حدّثت عن هشام بن محمد ، قال : بلغنا والله أعلم أنّ الضحّاك هو نَمْرُود ، وأن إبراهيم خليل الرحمن ولد في زمانه ، وأنّه صاحبه الذى أراد إحراقه .

حدّثنى موسى بن هارون ، قال : حدّثنا عمرو بن حماد ، قال : حدّثنا أسباط ، عن السدىّ في خير ذكره عن أبي صالح وعن أبي مالك ، عن ابن عباس - وعن مرّة الهمدانىّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : إنّ أول ملكٍ مَلَكَ في الأرض شرقها وغربها نَمْرُود بن كنعان ابن كوش بن سام بن نوح ، وكانت الملوك الذين ملكوا الأرض كلها أربعة : نمرود ، وسليمان بن داود ، وذو القرنين ، وبخت نصر : مؤمنان وكافران .

٢٥٤/١

وقال ابن إسحاق فيما حدّثنى ابن حميد ، قال : حدّثنا سَكَمَة ، عن ابن إسحاق : فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يبعث إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن حجة على قومه ورسولاً إلى عباده ، ولم يكن فيما بين نوح وإبراهيم عليهما السلام من نبيّ قبله إلا هود وصالح ، فلما تقارب زمان إبراهيم الذى أراد الله تعالى ذكره ما أراد ، أتى أصحابُ النجوم نمرود ، فقالوا له : تعلّم أنا نجد في علمنا أن غلاماً يُولد في قرينتك هذه يقال له إبراهيم ، يفارق دينكم ، ويكسر أوثانكم ، في شهر كذا وكذا من سنة كذا وكذا . فلما دخلت السنة التى وصف أصحاب النجوم لنمرود ، بعث نمرود إلى كل امرأة حبلى بقرينته ، فحبسها عنده ، إلا ما كان من أم إبراهيم امرأة آزر فإنه لم يعلم بحبلها ، وذلك أنها كانت جارية - حدّثة فيما يذكر - لم يعرف الحبل في بطنها ، فجعل لا تلد امرأة غلاماً في ذلك الشهر من تلك السنة إلا أمر به فذبح ، فلما وجدت أم إبراهيم الطلّق خرجت ليلاً إلى مغارة كانت قريباً منها ، فولدت فيها إبراهيم عليه السلام ، وأصلحت من شأنه ما يُصنع بالمولود ، ثم سدّت عليه المغارة ، ثم رجعت إلى بيتها ، ثم كانت تطالعه في المغارة لتنظر ما فعل ، فتجده حيّاً

٢٥٥/١

يُحِصُّ إِبْرَاهِيمَ^(١). يزعمون - والله أعلم - أن الله جعل رزق إبراهيم عليه السلام فيها ما يجيئه من مصبه ، وكان آزر فيما يزعمون قد سأل أم إبراهيم عن حملها ما فعل ، فقالت : ولدت غلاماً فمات . فصدقتها فسكت عنها ، وكان اليوم - فيما يذكرون - على إبراهيم في الشباب كالشهر ، والشهر كالسنة ؛ ولم يمكث إبراهيم عليه السلام في المغارة إلا خمسة عشر شهراً ، حتى قال لأمه : أخرجيني أنظر ، فأخرجته عشاء ، فنظر وتفكر في خلق السموات والأرض ، وقال : إن الذي خلقني ورزقني وأطعمني وسقاني لرَبِّي ، مالى إله غيره . ثم نظر في السماء ورأى كوكباً ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، ثم اتبعه ينظر إليه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ، ثم اطلع للقمر^(٢) فرآه بازغاً فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ثم اتبعه ببصره حتى غاب ﴿ فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ . فلما دخل عليه النهار وطلعت الشمس رأى عظم الشمس ورأى شيئاً هو أعظم نوراً من كل شيء رآه قبل ذلك ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ، فَسَمَّا أَفَلْتَنَ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفاً وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^(٣) .

ثم رجع إبراهيم إلى أبيه آزر وقد استقامت وجهته ، وعرف ربه وبرئ من دين قومه إلا أنه لم يبادهم^(٤) ، بذلك ، فأخبره أنه ابنه ، فأخبرته أم إبراهيم عليه السلام أنه ابنه ، فأخبرته بما كانت صنعت في شأنه ، فسر بذلك آزر وفرح فرحاً شديداً ، وكان آزر يصنع أصنام قومه التي يعبدون ، ثم يعطيها إبراهيم يبيعها ، فيذهب بها إبراهيم عليه السلام فيما يذكرون فيقول : مَنْ يَشْرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ! فلا يشتريها منه أحد ، فإذا بارت عليه ذهب بها إلى نهر فصوّب فيه رءوسها ، وقال : اشربي - استهزاء بقومه ، وبما هم^(٥) عليه من الضلالة - حتى فشا عيبه إياها ، واستهزأه بها في قومه وأهل قريته :

(١) ر : « أصابته » .

(٢) ط : « أطلع القمر » ، وما أتتبه عن ا .

(٣) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٤) يقال : بادي فلان بالعداوة ؛ أى جاهر بها .

(٥) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « وما هم » .

من غير أن يكون ذلك بلغ نمرود الملك^(١). ثم إنه لما بدا لإبراهيم أن يبادى قومه بخلاف ما هم عليه وبأمر الله والدعاء إليه ﴿نَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ﴾ فقال إني سقيم^(٢) ، يقول الله عز وجل : ﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾^(٣) ، وقوله : ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾^(٤) أى طعين^(٥) ، أو لسقم^(٦) كانوا يهربون منه إذا سمعوا به ، وإنما يريد إبراهيم أن يخرجوا عنه ليبلغ من أصنامهم الذى يريد . فلما خرجوا عنه خالف إلى أصنامهم التى كانوا يعبدون من دون الله ، فقرّب لها طعاماً ؛ ثم قال : ألا تأكلون ! ما لكم لا تنطقون ! تعبيراً فى شأنها واستهزاء بها .

وقال فى ذلك غير ابن إسحاق ، ما حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى صالح ، وعن أبى مالك ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : كان من شأن إبراهيم عليه السلام أنه طلع كوكب على نمرود ، فذهب بضوء الشمس والقمر ، ففرغ من ذلك فرعاً شديداً ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عنه ، فقالوا : يخرج من ملكك رجل يكون على وجهه هلاكك وهلاك ملكك - وكان مسكنه ببابل الكوفة - فخرج من قريته إلى قرية أخرى ، فأخرج الرجال وترك النساء ، وأمر ألاّ يولد مولود ذكر إلا ذبحه ، فذبح أولادهم . ثم إنه بدت له حاجة فى المدينة لم يأمن عليها إلا آزر أباً إبراهيم ، فدعاه فأرسله . فقال له : انظر لا تواقع أهلك ، فقال له آزر : أنا أضنّ بدينى من ذلك ، فلما دخل القرية نظر إلى أهله فلم يملك نفسه أن وقع عليها ؛ فقرّبها إلى قرية بين الكوفة والبصرة ، يقال لها أور ، فجعلها فى سرّب ، فكان يتعاهدها بالطعام

(١) إلى هنا الخبر فى التفسير ١١ : ٤٨١ - ٤٨٣

(٢) سورة الصافات ٨٨ - ٩٠

(٣) طعين ، أى أصابه الطاعون . اللسان - طعن .

(٤) ط : « بالسقم » ؛ وما أثبتته عن ا ، س ؛ وهو يوافق ما فى التفسير ٢٣ : ٤٤

والشراب وما يصلحها . وإن الملك لما طال عليه الأمر قال : قول سحرة كذابين ، ارجعوا إلى بلدكم ، فرجعوا . وولد إبراهيم فكان في كل يوم يمر كأنه جمعة ، والجمعة كالشهر ، والشهر كالسنة من سرعة شبابه ، ونسى الملك ذلك ، وكبر إبراهيم ولا يرى أن أحداً من الخلق غيره وغير أبيه وأمه ، فقال أبو إبراهيم لأصحابه : إن لي ابناً قد خبأته ، أفتخافون عليه الملك إن أنا جئت به ؟ قالوا : لا ، فأت به . فانطلق فأخرجه ، فلما خرج الغلام من السرب نظر إلى الدواب والبهائم والخلق ، فجعل يسأل أباه : ما هذا ؟ فيخبره عن البعير أنه بعير ، وعن البقرة أنها بقرة ، وعن الفرس أنه فرس ، وعن الشاة أنها شاة ، فقال : ما لهؤلاء الخلق بد من أن يكون لهم رب ، وكان خروجه حين خرج من السرب بعد غروب الشمس ، فرفع رأسه إلى السماء فإذا هو بالكوكب وهو المشتري ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ﴾ ، فلم يلبث أن غاب ، فقَالَ ﴿ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴾ ، أى لا أحب رباً يغيب . قال ابن عباس : وخرج في آخر الشهر ، فلذلك لم ير القمر قبل الكواكب ، فلما كان آخر الليل رأى القمر بازغاً قد طلع ، فقال : ﴿ هَذَا رَبِّي ، فَلَئِمَّا أَفْلَى ﴾ يقول : غاب ، قال لئن لم يهدني ربى لأكونن من القوم الضالين ، فلما أصبح ورأى الشمس بازغة ، قال : ﴿ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ ﴾ ، فلما غابت قال الله له : أسلم ، قال : قد أسلمت لرب العالمين . ثم أتى قومه فدعاهم فقال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا ﴾ ^(١) . يقول مخلصاً : فجعل يدعو قومه وينذرهم . وكان أبوه يصنع الأصنام فيعطئها ولدته فيبيعونها ، وكان يعطئها فينادى : مَنْ يَشْتَرِي مَا يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ ؟ فيرجع إخوته وقد باعوا أصنامهم ، ويرجع إبراهيم بأصنامه كما هي ، ثم دعا أباه فقال : ﴿ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴾ ^(٢) قال : ﴿ أَرَأَيْبَ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمَ لَئِن لَّمْ تَنْتَهَ لِأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ﴾ ^(٣) . قال : أبداً . ثم قال له أبوه :

(١) سورة الأنعام ٧٦ - ٧٩

(٢) سورة مريم ٤٢

(٣) سورة مريم ٤٦

يا إبراهيم ، إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا لأعجبك ديننا ، فلما كان يوم العيد ، فخرجوا إليه خرج معهم إبراهيم ، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، يقول : أشتكى رجلى ، فتوطئوا رجليه ، وهو صريع ، فلما مضوا نادى في آخرهم وقد بقي^(١) ضَعْفَى النَّاسِ : ﴿ تَاللَّهِ لَا كِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴾^(٢) فسمعوها منه ، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة ، فإذا هو في بهو عظيم ، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه ، بعضها إلى جنب بعض ، كل صنم يليه أصغر منه ، حتى بلغوا باب البهو وإذا هم قد صنعوا^(٣) طعاماً ، فوضعوه بين يدي الآلهة ، قالوا : إذا كان حين نرجع رجعتنا ، وقد باركت الآلهة في طعامنا فأكلنا . فلما نظر إليهم إبراهيم عليه السلام ، وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال : ألا تأكلون ؟ فلما لم تجبه قال : ما لكم لا تنطقون ! فراغ عليهم ضرباً باليمين ، فأخذ حديدة فبقر كل صنم في حافتيه ، ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر ، ثم خرج فلما جاء القوم إلى طعامهم ، ونظروا إلى آلهتهم ، قالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ^(٤) .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

٢٦٠/١

ثم أقبل عليهم كما قال الله عز وجل : ﴿ ضَرَبْنَا بِالْيَمِينِ ﴾^(٥) . ثم جعل يكسرهن بفأس في يده ، حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن ، فلما رجع قومه رأوا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك ، فأعظموه وقالوا : ﴿ مَنْ فَعَلَ بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثم ذكروا فقالوا : ﴿ قَدْ سَمِعْنَا فَتَى

(١) ط : « بقوا » ، والصواب ما أثبتته عن ١ ، والتفسير .

(٢) سورة الأنبياء ٥٧

(٣) ١ ، والتفسير : « جعلوا » .

(٤) سورة الأنبياء ٥٩ ، ٦٠ ، والخبر في التفسير ١٧ : ٢٩ (بولاق) .

(٥) سورة الصافات ٩٣

يَذْكَرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿١﴾ - يعنون (٢) فتى يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ،
لم نسمع أحداً يقول ذلك غيره ، وهو الذى نظنّ صنع هذا بها . وبلغ ذلك
نمرود وأشراف قومه ، فقالوا : ﴿ فَأَتَوْا بِهِ عَلَىٰ آعِينَ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴾ (١) ،
أى ما يصنع به .

فكان جماعة من أهل التأويل ، منهم قتادة والسدى يقولون فى ذلك :
لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك ، وقالوا : كرهوا أن يأخذوه
بغير بيّنة

رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق :

قال : فلما أتى به فاجتمع له قومه عند ملكهم نمرود ، قالوا : ﴿ أَأَنْتَ
فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ
إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١﴾ ، غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ،
فكسرهن ، فارعوا ورجعوا عنه فيما ادعوا عليه من كسرهن إلى أنفسهم فيما بينهم ،
فقالوا : لقد ظلمناه وما نراه إلا كما قال . ثم قالوا وعرفوا أنها لا تضر ولا تنفع ولا
تبطش : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٣) ، أى لا يتكلمون فيخبرونا :
من صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدى فنصدقك ، يقول الله عز وجل :
﴿ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ (٣) ، أى نكسوا على
رءوسهم فى الحجّة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين
ظهرت الحجّة عليهم بقولهم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴾ . قال
أَفْتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئاً وَلَا يَضُرُّكُمْ . أف لكم
ولمّا تعبدون من دون الله أفلا تعقلون ﴿٣﴾ .

قال : وحاجته قومه عند ذلك فى الله جل ثناؤه يستوصفونه إياه ويخبرونه

(١) سورة الأنبياء ٦٠ ، ٦٣

(٢) ١ : « يعنون : سمعنا فتى » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٥ - ٦٧

أن آلهتهم خير مما يعبد، فقال: ﴿أَتَحَاجُّونِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ﴾ ، إلى قوله: ﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (١) ، يضرب لهم الأمثال ، ويصرف لهم العبر ، ليعلموا أن الله هو أحق أن يُخاف ويُعبد مما يعبدون من دونه .

قال أبو جعفر : ثم إن نمرود - فيما يذكرون - قال لإبراهيم : أرايت إلهك هذا الذي تعبد وتدعو إلى عبادته ، وتذكره من قدرته التي تعظمه بها على غيره ما هو ؟ ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ ، فقال نمرود : فأنا ﴿أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ ، فقال له إبراهيم : كيف تحيي وتميت ؟ قال : آخذ الرجلين قد استوحبنا القتل في حكمي ، فأقتل أحدهما فأكون قد أمته ، وأعفو عن الآخر فأتركه فأكون قد أحييته ، فقال له إبراهيم عند ذلك : ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ (٢) ، فعرف (٣) أنه كما يقول ، فبُهِتَ عند ذلك نمرود ولم يرجع إليه شيئاً ، وعرف أنه لا يطيق ذلك . يقول الله عز وجل : ﴿قَبِيتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ (٢) ، يعني وقعت عليه الحجة .

٢٦٢/١

قال : ثم إن نمرود وقومه أجمعوا في إبراهيم فقالوا : ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ (٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوْتُ هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدرى يا مجاهد ، من الذي أشار بتحريق إبراهيم عليه السلام بالنار ؟ قال : قلت : لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قال : قلت : يا أبا عبد الرحمن ، وهل للفرس أعراب ؟ قال : نعم ، الكرْدُ هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن ليث ، عن مجاهد في

(١) سورة الأنعام ٨٠ ، ٨١

(٢) سورة البقرة ٢٥٨

(٣) كذا في ١ ، وفي ط « أعرف » .

(٤) سورة الأنبياء ٦٨

قوله: ﴿حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ﴾ قال : قالها رجل من أعراب فارس - يعنى الأكراد .

وحدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الحبائي ، قال : إن اسم الذى قال حرقوه « هينون » ، فخسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : فأمر نمرود ، بجمع الخطب^(١) ، فجمعوا له صلاب الخطب من أصناف الخشب ، حتى أن كانت المرأة من قرية لإبراهيم - فيما يُذكر - لتندرفى بعض ما تطلب مما تحب أن تدرك : لئن أصابته لتحطين فى نار إبراهيم التى يحرق بها احتساباً فى دينها ، حتى إذا أرادوا أن يلقوه فيها قدموه وأشعلوا فى كل ناحية من الخطب الذى جمعوا له ، حتى إذا اشتعلت النار ، واجتمعوا^(٢) لقدفه فيها ، صاحت السماء والأرض وما فيها من الخلق إلا الثقلين - فيما يذكرون - إلى الله عز وجل صيحة واحدة : أى ربنا ! إبراهيم ليس فى أرضك أحدٌ يعبدك غيره ، يحرق بالنار فيك ! فأذن لنا فى نصرته ، فيذكرون - والله أعلم - أن الله عز وجل حين قالوا ذلك قال : إن استغاث بشيء منكم أو دعاه فلينصره ، فقد أذنت له فى ذلك ، فإن لم يدع غيرى فأنا وليه ، فخلوا بينى وبينه ، فأنا أمنعه ، فلما ألقوه فيها قال : ﴿يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾^(٣) ، فكانت كما قال الله عز وجل .

وحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى قال ﴿قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُسْتَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ﴾^(٤) ،

(١) ط : « فجمع له الخطب » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ط : « وأجمعوا » .

(٣) سورة الأنبياء ٦٩

(٤) سورة الصافات ٩٧

قال: فحسبوه في بيت، وجمعوا له حطباً حتى أن كانت المرأة لتمرض فتقول: لئن عافاني الله لأجمعن حطباً لإبراهيم، فلما جمعوا له وأكثروا من الحطب حتى أن كان الطير ليمرّ بها فيحترق من شدة وهجها وحرها، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان، فرفع إبراهيم رأسه إلى السماء، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة: ربنا! إبراهيم يحرق فيك. فقال: أنا أعلم به، فإن دعاكم فأغيثوه. وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء: اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض، ليس في الأرض أحد يعبدك غيري، حسبي الله ونعم الوكيل! فقدفوه في النار، فنادها فقال: ﴿يا نارُ كوني برداً وسلاماً على إبراهيم﴾. وكان جبسرتيل هو الذي نادها. وقال ابن عباس: لو لم يتبع بردها سلاماً لمات إبراهيم من بردها، فلم تبق يومئذ نار في الأرض إلا لطفت، ظنت أنها تعنى، فلما طفت النار نظروا إلى إبراهيم فإذا هو ورجل آخر معه، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق، وذكر أن ذلك الرجل ملك الظل، وأنزل الله ناراً وانتفع بها بنو آدم، فأخرجوا إبراهيم، فأدخلوه على الملك، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه^(١)

٢٦٤/١

ثم رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق.

قال: وبعث الله عز وجل ملك الظل في صورة إبراهيم، فقعدها فيها إلى جنبه يؤنسه، فكث نمروود أياماً لا يشك إلا أن النار قد أكلت إبراهيم وفرغت منه، ثم ركب فرساً بها وهي تحرق ما جمعوا لها من الحطب، فنظر إليها، فرأى إبراهيم جالساً فيها إلى جنبه رجل مثله، فرجع من مركبه ذلك، فقال لقومه: لقد رأيت إبراهيم حياً في النار، ولقد شبّه علي، ابنوا لي صرحاً يشرف بي على النار حتى أسشيت، فبنوا له صرحاً، فأشرف عليه فاطلع منه إلى النار، فرأى إبراهيم جالساً فيها، ورأى الملك قاعداً إلى جنبه في مثل صورته، فناداه نمروود: يا إبراهيم، كبير إهلك الذي بلغت قدرته وعزته أن حال بين ما أرى وبينك، حتى لم تضرك يا إبراهيم، هل تستطيع أن تخرج منها؟

٢٦٥/١

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ٣٣ (بولاق).

قال : نعم ، قال : هل تخشى إن أقمت فيها أن تضرك ؟ قال : لا ، قال :
فقم واخرج منها ، فقام إبراهيم يمشى فيها حتى خرج منها ، فلما خرج إليه
قال : يا إبراهيم ، من الرجل الذى رأيتُ معك فى مثل صورتك قاعداً إلى
جنبك ؟ قال : ذلك ملك الظل ، أرسله إلى ربى ليكون معى فيها ليؤنسنى ،
وجعلها على برداً وسلاماً . فقال نمrod - فيما حدثت - : يا إبراهيم ، إنى
مقرب إلى إلهك قرباناً لما رأيت من عزته وقدرته ، ولما صنع بك حين أبيت
إلا عبادته وتوحيده ؛ إنى ذابح له أربعة آلاف بقرة . فقال له إبراهيم :
إذأ لا يقبل الله منك ما كنت على شىء من دينك هذا حتى تفارقه إلى دينى !
فقال : يا إبراهيم ، لا أستطيع ترك ملكى ، ولكنى سوف أذبحها له ، فذبحها
نمrod ، ثم كف عن إبراهيم ، ومنعه الله عز وجل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الحارث ، عن
أبي زُرعة ، عن أبي هريرة ، قال : إن أحسن شىء قاله أبو إبراهيم ^(١) لما رفع
عنه الطبق وهو فى النار وحده يرشحُ جبينه ، فقال عند ذلك : نعم الربُّ ربُّك
يا إبراهيم .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا مُعتمر بن سليمان
التميمي ، عن بعض أصحابه قال : جاء جببرئيل إلى إبراهيم عليه السلام وهو
يؤثق ويقيمط ليلقى فى النار ، قال : يا إبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أمّا
إليك فلا .

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : حدثني المعتمر ، قال : سمعتُ أبا
قال : حدثنا قتادة ، عن أبي سليمان ، قال : ما أحرقت النار من إبراهيم
إلا وثاقه .

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق ، قال : واستجاب
لإبراهيم عليه السلام رجالٌ من قومه حين رأوا ما صنع الله به على خوف من نمrod

(١) كذا فى ١ ، ن ، و ، فى ط : « قاله لإبراهيم » .

وملئهم ، فأمن له لوط - وكان ابن أخيه - وهو لوط بن هاران بن تارخ ، وهاران هو أخو إبراهيم ، وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ ، فهاران أبو لوط ، وناحور أبو بتويل ، وبتويل أبو لابان ، وربقا ابنة بتويل امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ، وليا وراحيل زوجتا يعقوب ابنتا لابان . وآمنت به سارة وهي ابنة عمه ، وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم ، وكانت لها أخت يقال لها ملكا امرأة ناحور .

وقد قيل : إن سارة كانت ابنة ملك حرّان .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قبيل الشام ، فلقى إبراهيم سارة ، وهي ابنة ملك حرّان ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فترجها على ألاّ يغيّرها ، ودعا إبراهيم أباه آزر إلى دينه ، فقال له : يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئاً ! فأبى أبوه الإجابة إلى ما دعاه إليه . ثم إن إبراهيم ومن كان معه من أصحابه الذين اتبعوا أمره أجمعوا لفراق قومهم ، فقالوا : ﴿ إِنَّا بُرَاءةٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ ﴾ ، أيها المعبودون من دون الله ﴿ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا ﴾ أيها العابدون ﴿ حَتَّى تَوَدُّوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (١) . ثم خرج إبراهيم مهاجراً إلى ربه وخرج معه لوط مهاجراً ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه (٢) حتى نزل حرّان ، فكث بها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجراً حتى قدم مصر ، وبها فرعون من الفراعنة الأولى . وكانت سارة من أحسن الناس فيما يقال ، وكانت (٣) لا تعصى إبراهيم

٢٦٧/١

(١) سورة المتحنة ٤

(٢) ا « على عبادته » .

(٣) ط : « فكانت » ؛ وما أثبتته عن ا .

شيئا ، وبذلك أكرمها الله عز وجل ، فلما وصفت لفرعون ووصف له حسنها وجماها أرسل إلى إبراهيم ، فقال : ما هذه المرأة التي معك ؟ قال : هي أختي ، وتخوف إبراهيم إن قال هي امرأتي أن يقتله عنها . فقال لإبراهيم : زينها ، ثم أرسلها إلى حتى أنظر إليها ، فرجع إبراهيم إلى سارة وأمرها فتهيأت ، ثم أرسلها إليه ، فأقبلت حتى دخلت عليه ، فلما قعدت إليه تناوها بيده ، فبيست إلى صدره ، فلما رأى ذلك فرعون أعظم أمرها ، وقال : ادعى الله أن يطلق عني ، فوالله لا أريك ولأحسبنن إليك ، فقالت : اللهم إن كان صادقا فأطلق يده ، فأطلق الله يده ، فردّها إلى إبراهيم ، وهب لها هاجر ، جارية كانت له قبطية .

٢٦٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال : لم يكذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث : ثنتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ . وبيننا هويسير في أرض جبّار من الجبابرة ، إذ نزل منزلا ، فأق الجبّار رجل فقال : إن في أرضك - أو قال : ها هنا - رجلا معه امرأة من أحسن الناس ، فأرسل إليه ، فجاء فقال : ما هذه المرأة منك ؟ قال : هي أختي ، قال : اذهب فأرسل بها إلى ، فانطلق إلى سارة ، فقال : إن هذا الجبار قد سألتني عنك فأخبرته أنك أختي فلا تكذبيني عنده ، فإنك أختي في كتاب الله ، فإنه ^(١) ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك ، قال : فانطلق بها وقام إبراهيم عليه السلام يصلّي قال : فلما دخات عليه فرآها أهوى إليها [وذهب] ^(٢) يتناولها ، فأخذ أخذاً شديداً ، فقال : ادعى الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل فأهوى إليها [فذهب] ^(٢) يتناولها ، فأخذ أخذاً شديداً ، فقال : ادعى الله ولا أضرك ، فدعت له فأرسل ، ثم

(١) : « وإنه » .

(٢) تكلمة من أ .

فعل ذلك الثالثة ، فأخذ ، فذكر مثل المرتين فأرسل . [قال] : (١) فدعا أذنى حُجَّابَه فقال : إنك لم تأتي بي إنسان ، ولكنك أتيتني بشيطان ، أخرجها وأعطيتها هاجر ، فانخرجت وأعطيت هاجر ، فأقبلتُ بها ، فلما أحسَّ إبراهيم بمجيئها انقتل من صلواته ، فقال : مهيم ! فقالت : كفى الله كيد الفاجر الكافر ! وأخدم هاجر .

٢٦٩/١

قال محمد بن سيرين : فكان أبو هريرة إذا حدث هذا الحديث يقول : فتلك أمكم يا بني ماء السماء .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي الزناد ، عن أبيه ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لم يقل إبراهيم شيئاً قط » لم يكن « إلا ثلاثاً : قوله ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ لم يكن به سقم ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسَأَلُوهُمْ إِنَّ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴾ ، وقوله لفرعون حين سأله عن سارة فقال : مَنْ هذه المرأة معك ؟ قال : أختي ، قال : فما قال إبراهيم عليه السلام شيئاً قط « لم يكن » إلا ذلك .

حدثني سعيد بن يحيى الأموي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث . . . » ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا أبو أسامة ، قال : حدثني هشام ، عن محمد ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم غير ثلاث : ننتين في ذات الله ، قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وقوله في سارة : هي أختي .

(١) تكله من ا .

(٢) ط : « وأخدم هاجر » ، وما أثبتته من ا .

حدثني ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن مغيرة ، عن المسيب بن رافع ، عن أبي هريرة قال : ما كذب إبراهيم عليه السلام غير ثلاث كذبات : قوله : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ ، وإنما قاله موعظة ، وقوله حين سأله الملك فقال : أختي - لسارة - وكانت امرأته .

حدثني يعقوب ، قال : حدثني ابن عُلَيْبَةَ ، عن أيوب ، عن محمد ، قال : إن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات : ثنتان في الله ، وواحدة في ذات نفسه ، وأما الثنتان فقولته : ﴿ إِنِّي سَقِيمٌ ﴾ ، وقوله : ﴿ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ﴾ وقصته في سارة . وذكر قصتها وقصة الملك

قال أبو جعفر : رجع الحديث إلى حديث ابن إسحاق .

قال : وكانت هاجر جارية ذات هيئة ، فوهبتها سارة لإبراهيم ، وقالت : إنى أراها امرأة وضيئة فخذها ، لعلَّ الله يرزقك منها ولداً ، وكانت سارة قد منعت الولد فلا تلد لإبراهيم حتى أسنت ، وكان إبراهيم قد دعا الله أن يهب له من الصالحين ، وأخرت الدعوة حتى كبر إبراهيم وعقمت سارة ، ثم إن إبراهيم وقع على هاجر ، فولدت له إسماعيل عليهما السلام .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، عن الزهرى ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصارى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا فتحتم^(١) مصر فاستوصوا بأهلها خيراً ، فإن لهم ذمة ورحيماً » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : سألت الزهرى : ما الرحم التي ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ؟ قال : كانت هاجر أم إسماعيل منهم . فيزعمون - والله أعلم - أن سارة حزنت عند ذلك على ما فاتها من الولد حزناً شديداً ، وقد كان إبراهيم خرج من مصر إلى الشام ، وهاب ذلك الملك الذي كان بها ، وأشفق من شره حتى قدمها ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهى برية الشام ، ونزل لوط بالمؤتفكة ، وهى من

السَّبْعُ على مسيرة يومٍ وليلة . وأقرب من ذلك ، فبعثه الله عز وجل نبياً ، وأقام إبراهيم فيما ذكر لي بالسَّبْعِ ، فاحتضر به بئراً واتخذ به مسجداً ، فكان ماء تلك البئر معيناً طاهراً ، فكانت غنمه تردُّها . ثم إن أهلها آذوه فيها ببعض الأذى ، فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وإيليا ، ببلد يقال له قَطَ - أَوْ قِطَ^(١) - فلما خرج من بين أظهرهم نصب الماء فذهب . واتبعه أهل السَّبْعِ ، حتى أدركوه وندموا على ما صنعوا ، وقالوا : أخرجنا من بين أظهرنا رجلاً صالحاً ، فسألوه أن يرجع إليهم ، فقال : ما أنا براجع إلى بلد أخرجت منه ، قالوا له : فإن الماء الذي كنت تشرب منه ونشرب معك منه قد نصب فذهب ، فأعطاهم سبع أعنز من غنمه ، فقال : اذهبوا بها معكم ، فإنكم لو قد أوردتموها البئر ، قد ظهر الماء ، حتى يكون معيناً طاهراً كما كان ، فاشربوا منها ، فلا تتغرفنَّ منها امرأةٌ حائضٌ ، فخرجوا بالأعنز ، فلما وقفت على البئر ظهر إليها الماء ، فكانوا يشربون منها وهي على ذلك ، حتى أتت امرأة طامثٌ ، فاغترفت منها ، فنكص ماؤها إلى الذي هو عليه اليوم ، ثم ثبت .

٢٧٢/١

قال : وكان إبراهيم يُضيف من نزل به ، وكان الله عز وجل قد أوسع عليه ، وبسط له في الرزق والمال والخدم ، فلما أراد الله عز وجل هلاك قوم لوط ، بعث إليه رسلاً يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم ، وكانوا قد عملوا من الفاحشة ما لم يسبقهم به أحدٌ من العالمين ، مع تكذيبهم نبيهم ، وردَّهم عليه ما جاءهم به من النصيحة من ربهم ، وأمرت الرسل أن ينزلوا على إبراهيم ، وأن يشروه وسارة بإسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب ، فلما نزلوا على إبراهيم وكان الضيفُ قد حُبِسَ عنه خمس عشرة ليلة حتى شقَّ ذلك عليه - فيما يذكرون - لا يضيفه أحدٌ ، ولا يأتيه ، فلما رأهم سرَّ بهم رأى ضيفاً لم يصفه مثلهم حسناً وجمالاً ، فقال : لا يخدم هؤلاء القوم أحدٌ إلا أنا بيدي ، فخرج إلى أهله ، فجاء كما قال الله عز وجل : ﴿ بِمِجَلِّ سَمِينٍ ﴾^(٢) قد حنَّه - والحنَّادُ :^(٣) الإنضاج يقول الله جل ثناؤه : ﴿ جَاءَ بِمِجَلِّ حَنِيدٍ ﴾^(٤) فقرَّبه إليهم ، فأمسكوا أيديهم

(١) ذكرها ياقوت ، وقال : « بلد بفلسطين ، بين الرملة وبيت المقدس » .

(٢) سورة الذاريات ٢٦ .

(٣) ط : « التحنَّاد » ؛ وما ذكرته من ا ، والتفسير : ١٢ : ٤٣ . (٤) سورة هود ٦٩

عنه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾
حين لم يأكلوا من طعامه ، ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ * وَإِمْرَأَتُهُ
سَارَةُ ﴾ قائمة فضحكت ﴿ لما عرفت من أمر الله عز وجل ، ولما تعلم من قوم
لوط ، فبشروها ﴾ بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴿^(١) بابن ، وبابن ابن ،
فقلت - وصحكت^(٢) وجهها ، يقال : ضربت على جبينها : ﴿ يَا وَيْلَتَىٰ أَلِدُ
وَأَنَا عَجُوزٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾^(٣) . وكانت سارة يومئذ
- فيما ذكر لي بعض أهل العلم - ابنة تسعين سنة ، وإبراهيم ابن عشرين
ومائة سنة ، فلما ذهب عن إبراهيم الروح وجاءته البشري بإسحاق ويعقوب
ولد من صلب إسحاق وأمن ما كان يخاف ، قال : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي
عَلَىٰ الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾^(٤) .

* * *

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن
جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان ، عن شعيب الجبائي ، قال : ألقى
إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ،
وولدت سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيليا على ميلين ،
فلما علمت سارة بما أراد بإسحاق مرضت يومين ، وماتت اليوم الثالث ، وقيل :
ماتت سارة وهي ابنة مائة وسبع وعشرين سنة .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

(١) سورة هود ٦٩ ، ٧١

(٢) من قوله تعالى في سورة الذاريات ٢٩ : ﴿ فَأَقْبَلَتْ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ فَصَكَّتْ

وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴾ .

(٣) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٤) سورة إبراهيم ٣٩ ؛ وهذا آخر حديث ابن إسحاق الذي بدأ به في ص ٢٣٤ .

أسباط ، عن السدي ، قال : بعث الله الملائكة لتهلك قوم لوط ، فأقبلت
تمشى في صورة رجال شباب ، حتى نزلوا على إبراهيم ، فتضيّفوه ، فلما رأهم
إبراهيم أجّسهم ، فراغ إلى أهله ، فجاء بعجل سمين فذبحه ، ثم شواه في الرّصف (١)
وهو الحنيد حين شواه ، وأتاهم فقعده معهم ، وقامت سارة تخدمهم ، فذلك
حين يقول جل ثناؤه : ﴿وَأَمْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ وَهُوَ جَالِسٌ﴾ (٢) في قراءة ابن مسعود ،
٢٧٤/١
فلما قرّبه إليهم قال : ألا تأكلون ! قالوا : يا إبراهيم ، إنا لا نأكل طعاماً
إلا بئمن ، قال : فإن لهذا ثمناً ، قالوا : وما ثمنه ؟ قال : تذكرون اسم الله
على أوّله وتحمدونه على آخره ، فنظر جبرئيل إلى ميكائيل ، فقال : حق لهذا أن
يتخذة ربه خليلاً ، ﴿فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ﴾ يقول : لا يأكلون ،
﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ (٣) ؛ فلما نظرت إليه سارة أنه قد أكرمهم
وقامت هي تخدمهم ضحكت وقالت : عجيباً لأضيافنا ! هؤلاء إنا نخدمهم
بأنفسنا تكريماً لهم ، وهم لا يأكلون طعامنا !

(١) الرّصف : الحجارة التي حميت بالشمس أو النار .

(٢) سورة هود ٧١

(٣) سورة هود : ٧٠ .

ذكر أمر بناء البيت *

قال : ثم إن الله عزّ وجلّ أمر إبراهيم بعد ما ولد له إسماعيل وإسحاق — فيما ذكر — ببناء بيت له يعبد فيه ، ويذكر . فلم يدر إبراهيم في أيّ موضع يبني ؛ إذ لم يكن بيّن له ذلك ، فضايق بذلك ذرعاً ، فقال بعضُ أهل العلم : بعث الله إليه السكينة لتدلّه على موضع البيت ، فضت به السكينة ، ومع إبراهيم هاجر زوجته وابنه إسماعيل ، وهو طفل صغير .
وقال بعضهم : بل بعث الله إليه جبرئيل عليه السلام ، حتى دلّه على موضعه ، وبيّن له ما ينبغي أن يعمل .

* * *

٢٧٥/١

* ذكر من قال : الذي بعثه الله إليه لذلك السكينة :

حدثنا هناد بن السرى ، قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة : أن رجلاً قام إلى علي بن أبي طالب ، فقال : ألا تخبرني عن البيت ، أهو أول بيت وضع في الأرض ؟ فقال : لا ، ولكنه أول بيت وضع في البركة مقام إبراهيم ، ومن دخله كان آمناً ، وإن شئت أنبأتك كيف بُسِي . إن الله عزّ وجلّ أوحى إلى إبراهيم أن ابن لى بيتاً في الأرض ، فضايق إبراهيم بذلك ذرعاً ، فأرسل عزّ وجلّ السكينة ، وهي ریح خَجْجُوج^(١) ولها رأسان ، فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهت إلى مكة فتطوّت على موضع البيت كتطوى الحية ، وأمر إبراهيم أن يبني حيث تستقرّ السكينة ، فبنى إبراهيم وبنى حجر ، فذهب الغلام يبني شيئاً ، فقال إبراهيم : أبغني^(٢) حجراً كما أمرك ؛ فانطلق الغلام يلتمس له حجراً ، فأثابه به ، فوجده قد ركّب الحجر الأسود في مكانه ، فقال : يا أبت ، من أتاك بهذا الحجر ؟ فقال : أتاني به من لم يتكل على بنائك ، أتاني به جبرئيل من السماء . فأثماه^(٣) .

* لم يرد في ا ، ر ، س .

(١) الحجوج : الريح الشديدة المر .

(٢) كذا في ا ؛ يقال : أبغاه الشيء ؛ إذا أعانه على طلبه .

(٣) الخبر في التفسير ٣ : ٧٠ .

حدثنا ابن بشار وابن المنثي ، قالا : حدثنا مؤتمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن حارثة بن مضرب ، عن عليّ عليه السلام قال : لما أمر إبراهيمُ ببناء البيت خرج معه إسماعيل وهاجر ، فلما قدم مكة رأى (١) على رأسه في موضع البيت مثل الغمامة فيه مثل الرأس ، فكلّمه ؛ وقال : يا إبراهيم ، ابن عليّ ظلّي - أو عليّ قدّري - ولا تزد ولا تنقص ، فلما بنى خرج وخلف إسماعيل وهاجر ، فقالت هاجر : يا إبراهيم ، إلى (٢) مَنْ تكلّمنا ؟ قال : إلى الله ، قالت : انطلق فإنه لا يُضيعنا ، قال : فعضس إسماعيل عطشاً شديداً ، فصعدت هاجر الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم أتت المروة فنظرت فلم تر شيئاً ، ثم رجعت إلى الصفا ، فنظرت فلم تر شيئاً ، حتى فعلت ذلك سبع مرات ، فقالت : يا إسماعيل ، مُتْ حيث لا أراك . فأتته وهو يفحص (٣) برجله من العطش ، فناداها جبرائيل ، فقال : مَنْ أنت ؟ قالت : أنا هاجر ، أم ولد إبراهيم ، قال : إلى مَنْ وكلّكما ؟ قالت : وكلّنا إلى الله ، قال : وكلّكما إلى كافٍ ، قال : ففحص الغلام الأرض بإصبعه ، فنبعت زعزم ، فجعلت تحبس الماء ، فقال : دعيه ، فإنها رواء (٤) .

٢٧٦/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل : أن طهرا بيتي للطائفين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول لا يدريان أين البيت ، فبعث الله عز وجل ريحاً يقال لها ريح الحجّوج ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنّست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران حتى وضعوا الأساس ، فذلك حين يقول عز وجل : ﴿ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ﴾ (٥) .

٢٧٧/١

(١) ر : « أتى » .

(٢) ر : « على » .

(٣) يفحص برجله ، أي يبحث ويزيل التراب عن حفرة .

(٤) الرواء : الماء العذب ، والخبر في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٥) سورة الحج ٢٦ .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عُمارة ، عن سماك بن حرب ، عن خالد بن عرعة ، عن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام أنه كان يقول : لما أمر الله إبراهيم بعمارة البيت والأذان بالحج في الناس خرج من الشام ومعه ابنه إسماعيل ، وأم إسماعيل هاجر ، وبعث الله معه السكينة ، وهي ريح^(١) لها لسان تكلم به ، يغدومعها إبراهيم إذا غدت ، ويروح معها إذا راحت ، حتى انتهت به إلى مكة ، فلما أتت موضع البيت استدارت به ، ثم قالت لإبراهيم : ابن عليّ ، ابن عليّ ، ابن عليّ ، فوضع إبراهيم الأساس ورفع البيت هو وإسماعيل ، حتى انتهيا^(٢) إلى موضع الركن ، قال إبراهيم لإسماعيل : يا بنيّ ، ابغ لي حجراً أجعله علماً للناس ، فجاءه بحجر ، فلم يرضه وقال : ابغني غير هذا ، فذهب إسماعيل ليلتمس^(٣) له حجراً ، فجاءه وقد^(٤) أتى بالركن ، فوضعه في موضعه ، فقال : يا أبت ، من جاءك بهذا الحجر ؟ قال : من لم يكلتني إليك يا بنيّ .

* * *

وقال آخرون : إن الذي خرج مع إبراهيم من الشام لدلالته على موضع البيت جبرئيل عليه السلام ، وقالوا : كان إخراجه هاجر وإسماعيل إلى مكة لما كان من غير سارة بسبب ولادة هاجر منه إسماعيل .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه أن سارة قالت لإبراهيم : تسرّ هاجر^(٥) ، فقد أذنت لك فوطئها ، فحملت بإسماعيل ، ثم إنه وقع على سارة فحملت بإسحاق ، فلما ولدته^(٦) وكبر اقتتل هو وإسماعيل ، فغضبت سارة

٢٧٨/١

(١) كذا في أ ، وفي ط : « ريح » ، وفي ب : « وريحا » .

(٢) ر ، س ، ن : « انتهى » .

(٣) ب ، ر : « يلتمس » .

(٤) ط : « فقد » ، وما أثبتته عن أ .

(٥) ط : « بهاجر » ، وما أثبتته عن أ ، ر ، ن .

(٦) أ ، س : « ولد له » .

على أمّ إسماعيل ، وغارت عليها ، فأخرجتها ، ثم إنهما دعتهما فأدخلتها . ثم غضبت أيضاً فأخرجتها ثم أدخلتها ، وحلفت لتقطعنّ منها بضعة ؛ فقالت : أقطع أنفها ، أقطع أذنها ، فيشينيها ذلك ، ثم قالت : لا بل أخفضها (١) ، فقطعت ذلك منها ، فاتخذت هاجر عند ذلك ذيلاً تعنى به عن الدم ، فلذلك خفضت النساء ، واتخذت ذيولاً ، ثم قالت : لا تساكنيني في بلد . وأوحى الله إلى إبراهيم أن يأتي مكة ، وليس يومئذ بمكة بيت ، فذهب بها إلى مكة وابنها فوضعهما ، وقالت له هاجر : إلى من تركتنا (٢) هاهنا ؟ ثم ذكر خبرها ، وخبر ابنها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي نَجَّيح ، عن مجاهد وغيره من أهل العلم أن الله عزّ وجلّ لما بوأ لإبراهيم مكان البيت ومعالم الحرم ، فخرج وخرج معه جبرئيل ، يقال : كان لا يمرّ بقرية إلا قال : بهذه أمرت يا جبرئيل ؟ فيقول : جبرئيل : امضه ، حتى قدم به مكة ، وهي إذ ذاك عِضاه سَلَمٌ وَسَمُرٌ ، وبها أناس يقال لهم العماليق ، خارج مكة وما حولها ، والبيت يومئذ ربوة حمراء مدرة ، فقال إبراهيم لجبرئيل : أها هنا أمرت أن أضعهما ؟ قال : نعم ، فعمد بهما إلى موضع الحجر ، فأنزلهما فيه ، وأمر هاجر أم إسماعيل أن تتخذ فيه عريشاً فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ إلى - ﴿ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ (٣) . ثم انصرف إلى أهله بالشأم وتركهما عند البيت ، قال : فظمئ إسماعيل ظمأ شديداً ، فالتمس له أمه ماء فلم تجده ، فاستسمعت (٤) : هل تسمع صوتاً ؟ فالتمس له شرباً ، فسمعت كالصوت عند الصفا ، فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ثم سمعت صوتاً نحو المروة ،

(١) الخفض للجارية ، مثل الختان للصبي .

(٢) ر : « تركنا » .

(٣) سورة إبراهيم ٣٧ .

(٤) في كذا ، ن ، وفي ط : « فاستمعت » .

فأقبلت حتى قامت عليه فلم تر شيئاً ، ويقال : بل قامت على^(١) الصفا تدعو الله وتستغيثه لإسماعيل ، ثم عمدت إلى المروة ففعلت ذلك . ثم إنها سمعت أصوات سبع الوادى نحو إسماعيل حيث تركته ، فأقبلت إليه تشتد ، فوجدته يفحص الماء بيده من عين قد انفجرت من تحت يده ، فشرب منها ، وجاعها أم إسماعيل فجعلتها^(٢) حسياً ، ثم استقت منها في قربتها تذخره لإسماعيل ، فلولا الذى فعلت ما زالت زمزم معيناً طاهراً ماؤها أبداً . قال مجاهد : ولم نزل نسمع أن زمزم هزّمة^(٣) جبرئيل بعقبه لإسماعيل حين ظمى .

حدثني يعقوب بن إبراهيم والحسن بن محمد ، قالا : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم ، عن أيوب ، قال : نبئت عن سعيد بن جبير أنه حدث عن ابن عباس أن أول من سعى بين الصفا والمروة لأم إسماعيل ، وأن أول من سارة أحدث من نساء العرب جرّ الذبول لأم إسماعيل . قال : لما فرّت من سارة أرخت ذيلها^(٤) لتعفى أثرها ، فجاء بها إبراهيم ومعها إسماعيل حتى انتهى بهما إلى موضع البيت ، فوضعهما ثم رجع ، فاتبعته فقالت : إلى أى شىء تكلنا ؟ إلى طعام تكلنا ؟ إلى شراب تكلنا ؟ لا يرد عليها شيئاً ، فقالت : آله أمرك بهذا ؟ قال : نعم ، قالت : إذا لا يضيعنا ، قال : فرجعت ومضى حتى إذا استوى على ثنية كداء ، أقبل على الوادى فقال : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ... ﴾ الآية . قال : ومع الإنسانية^(٥) شنة فيها ماء ، فنقذ الماء ، فعطشت فانقطع لبنها ، فعطش الصبي فنظرت : أى الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت الصفا فتسمعت : هل تسمع صوتاً ، أو ترى أنيساً ؟^(٦) فلم تسمع شيئاً فانحدرت ، فلما

(١) : « عند » .

(٢) ن : « فوجدتها » ، والحسى : حفرة قريبة القمر ؛ ولا يكون إلا فى أرض أسفلها حجارة وفوقها رمل ؛ فإذا مطرت نشفت الرمل ؛ فإذا انتهى إلى الحجارة أمسكته ، وجمعه أحساء .

(٣) هزمة جبريل ؛ أى ضرب برجله فانخفض المكان فنبع الماء . النهاية لابن الأثير ٤ : ٢٤٨

(٤) : « أرخت من ذيلها » .

(٥) ر : « هاجر » .

(٦) س : « إنساً » .

أتت على الوادى سعت - وما تريد السعى - كالإنسان المجهود الذى يسعى وما يريد السعى ، فنظرت أى الجبال أدنى إلى الأرض ، فصعدت المروة ، فسمعت : هل تسمع صوتاً أو ترى أنيساً^(١) ؟ فسمعت صوتاً ، فقالت كالإنسان الذى يكذب سمعه : صه ! حتى استيقنت ، فقالت : قد أسمعتنى صوتك فأغثنى ، فقد هلكت وهلك منى معى ، فجاء الملك بها حتى انتهى بها إلى موضع زمزم ، فضرب بقدمه فقارت عيناً ، فعجلت^(٢) الإنسانة تُفرغ فى شئتها^(٣) ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله أم إسماعيل ، لولا أنها عجلت لكانت زمزم عيناً معيناً » .

٢٨١/١

وقال لها الملك : لا تخافى الظمأ على أهل هذا البلد؛ فإنها عين يشرب^(٤) ضيفان الله منها، وقال : إن أبا هذا الغلام سيجئ فيبنيان لله بيتاً هذا موضعه . قال : ومرت رفقة من جرهم تريد الشام ، فرأوا الطير على الجبل ، فقالوا : إن هذا الطير لعائف^(٥) على ماء ، فهل علمتم بهذا الوادى من ماء ؟ فقالوا : لا ، فأشرفوا فإذا هم بالإنسانة ، فأتوها فطلبوا إليها أن ينزلوا معها ، فأذنت لهم ، قال : وأتى عليها ما يأتى على هؤلاء الناس من الموت ، فأتت وتزوج إسماعيل امرأة منهم ، فجاء إبراهيم فسأل عن منزل إسماعيل حتى دُلَّ عليه فلم يجده ، ووجد امرأة له^(٦) فظنة غليظة ، فقال لها : إذا جاء زوجك فقولى له : جاء^(٧) ها هنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وأنه يقول لك : إني لا أرضى لك عتبة بابك فحوثها ، وانطلق^(٨) . فلما جاء إسماعيل أخبرته فقال : ذلك أبى ، وأنت عتبة بابى . فطلقها ، وتزوج امرأة أخرى منهم^(٩) ، وجاء إبراهيم حتى

٢٨٢/١

(١) س : « إنسياً » .

(٢) ا : « فجعلت » .

(٣) ر : « شئها » ، والشئ والشنة : القربة .

(٤) ط : « لشرب » ، وما أثبتته من ؟

(٥) قال أبو عبيدة : « العائف هنا : الذى يتردد على الماء ويحوم ولا يمشى » . وانظر

اللسان ٦٣ : ١٦٩ .

(٦) ن : « امرأته » .

(٧) ر : « كان »

(٨) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : « فانطلق » .

(٩) ن : « منهن » .

انتهى إلى منزل^(١) إسماعيل فلم يجده ووجد امرأة له سهلة طليقة^(٢) فقال لها :
 أين انطلق زوجك ؟ فقالت : انطلق إلى الصيد ، قال : فإطعمهم ؟ قالت :
 اللحم والماء ، قال : اللهم بارك لهم في لحمهم ومأثم ، ثلاثاً . وقال لها : إذا
 جاء زوجك فأخبريه ؛ قولي^(٣) له جاء هاهنا شيخ من صفته كذا وكذا ، وإنه
 يقول لك : قد رضيتُ لك عتبة بابك ، فأثبتها ، فلما جاء إسماعيل أخبرته ،
 قال : ثم جاء الثالثة ، فرفعا القواعد من البيت^(٤) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا يحيى بن عباد ، قال : حدثنا
 حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس
 قال : جاء إبراهيم نبي الله بإسماعيل وهاجر فوضعهما بمكة في موضع زمزم ،
 فلما مضى نادته هاجر : يا إبراهيم ، إنما^(٥) أسألك ثلاث مرات : مَنْ أملك أن
 تضعني بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع ولا أنيس ولا ماء ولا زاد ؟ قال : ربي
 أمرني ، قالت : فإنه لن يضيعنا ، قال : فلما قفا إبراهيم قال : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ
 تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نَعْلَمُ ﴾ يعنى من الحزن ﴿ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴾^(٦) . فلما ظمى إسماعيل جعل يدحس^(٧) الأرض

٢٨٣/١

بعقبه فذهبت هاجر حتى علت الصفا ، والوادي يومئذ لاخ - يعنى
 عميق - فصعدت الصفا ، فأشرفت لتنظر : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ،
 فأنحدرت فبلغت الوادي ، فسعت فيه حتى خرجت منه ، فأثت المروة فصعدت
 فاستشرفت : هل ترى شيئاً ؟ فلم تر شيئاً ، ففعلت ذلك سبع مرات ، ثم
 جاءت من المروة إلى إسماعيل ، وهو يدحس الأرض بعقبه ، وقد نبعت العين

(١) ن : « موضع » .

(٢) ١ ، « طليقة » ، والطلقة والطلاق : المستبشرة .

(٣) ط : « فقولي » وما أثبتته عن ا والتفسير .

(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١٥٢ (بولاق) .

(٥) ط : « أنا » وما أثبتته من ا والتفسير .

(٦) سورة إبراهيم ٣٨ .

(٧) دحس الأرض : أثار غبارها ؛ وفي ا والتفسير : « دحس » ، وما يعنى .

وهي زمزم ، فجعلت تفحص الأرض بيدها عن الماء ، وكلما^(١) اجتمع ماء أخذته بقدحها ، فأفرغته في سقاها ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يرحمها الله ! لو تركتها لكانت عيناً سائحة تجرى إلى يوم القيامة » .

قال : وكانت جرهم يومئذ بواد قريب من مكة ، قال : ولزمت الطير الوادى حين رأت الماء ، فلما رأت جرهم الطير لزمت الوادى ، قالوا . ما لزمته إلا وفيه ماء ، فجاءوا إلى هاجر ، فقالوا : لو شئت كنا معك وأنسناك والماء ماؤك ، قالت : نعم ! فكانوا معها حتى شبَّ إسماعيل وماتت هاجر ، فتزوج إسماعيل امرأة من جرهم ، قال : فاستأذن إبراهيم سارة أن يأتي هاجر ، فأذنت له ، وشرطت عليه ألا ينزل ، وقدم إبراهيم - وقد ماتت هاجر - إلى بيت إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ليس ها هنا ، ذهب يتصيد ، وكان إسماعيل يخرج من الحرم فيتصيد ثم يرجع ، فقال إبراهيم : هل عندك^(٢) ضيافة ؟ هل عندك طعام أو شراب ؟ قالت : ليس عندي وما عندي أحد ، قال إبراهيم : إذا جاء زوجك فأقرئيه السلام ، وقول له : فليغير عتبة بابه ، وذهب إبراهيم وجاء إسماعيل ، فوجد ریح أبيه فقال لامرأته : هل جاءك أحد^(٣) ؟ قالت : جاءني شيخ صفته كذا - وكذا كالمستخفة بشأنه - قال : فما قال لك ؟ قالت : قال لي : أقرئي زوجك السلام ، وقول له : فليغير عتبة بابه ، فطلّقتها وتزوج أخرى ، فلبث إبراهيم ما شاء الله أن يلبث ، ثم استأذن سارة أن يزور إسماعيل ، فأذنت له واشترطت عليه ألا ينزل ، فجاء إبراهيم حتى انتهى إلى باب^(٤) إسماعيل ، فقال لامرأته : أين صاحبك ؟ قالت : ذهب يتصيد وهو يجيء الآن إن شاء الله ، فانزل يرحمك الله ! قال لها : هل عندك ضيافة ؟ قالت : نعم ، قال : هل عندك خبز أو بُرّ أو شعير أو تمر ؟ قال : فجاءت باللبن واللحم ، فدعا لهما^(٥) بالبركة ، فلو جاءت يومئذ بخبز

٢٨٤/١

(١) ط والتفسير : « فكلما » وما أثبتته من ا .

(٢) س : « عندكم » .

(٣) ن : « شيخ » .

(٤) س : « مكان » .

(٥) ر ، س : « لها » .

أو بُرٌّ أو شعير أو تمر لكأنت أكثر أرض الله برًّا وشعيراً وتمرّاً ، فقالت (١) :
 انزل حتى أغسل رأسك ، فلم ينزل ، فجاءته بالمقام فوضعتة عن شقه الأيمن ،
 فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه عليه ، فغسلت شقّ رأسه الأيمن ، ثم حولت
 المقام إلى شقّه الأيسر ، فغسلت شقّه الأيسر ، فقال لها : إذا جاء زوجك
 فأقرئيه السلام ، وقولِي له : قد استقامت عتبهُ بابك . فلما جاء إسماعيل وجد
 ريح أبيه ، فقال لامرأته : هل جاءك أحد ؟ قالت : نعم ، شيخ أحسنُ الناس
 وجهاً وأطيبهم ريحاً ، فقال لي : كذا وكذا ، وقلت له : كذا وكذا ، وغسلت رأسه ،
 وهذا موضع قدميه على المقام ، قال : وما قال لك ؟ قالت : قال لي : إذا جاء
 زوجك فأقرئيه السلام ، وقولِي له : قد استقامت عتبهُ بابك ، قال ذلك إبراهيم ،
 فلبث ما شاء الله أن يلبث وأمره (٢) الله عز وجل ببناء البيت ، فبناه هو وإسماعيل ،
 فلما بناه قيل : ﴿ أَذْنٌ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ (٣) ، فجعل لا يمرُّ بقوم إلا قال : يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ بُنِيَ لَكُمْ بَيْتٌ فَحَجُّوهُ ، فجعل لا يسمعه أحد ؛ لا صخرة ولا
 شجرة ولا شيء إلا قال : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ . قال : وكان بين قوله : ﴿ رَبَّنَا إِنِّي
 أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ ﴾ ، وبين قوله :
 ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ ﴾ (٤) كذا وكذا
 عامّاً ؛ لم يحفظ عطاء (٥) .

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا عبيد الله بن عبد الحميد أبو علي
 الحنفي ، قال : أخبرنا إبراهيم بن نافع ، قال : سمعت كثير بن كثير يحدث عن
 سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : جاء - يعني إبراهيم - فوجد إسماعيل
 يُصَلِّحُ نَبْلًا لَهُ مِنْ وَرَاءِ زَمْزَمَ ، فقال إبراهيم : يَا إِسْمَاعِيلُ ، إِنْ رَبَّنَا قَدْ
 أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ لَهُ بَيْتًا ، فقال له إسماعيل : فَأَطِعْ رَبَّنَا فِيمَا أَمَرَكَ ، فقال إبراهيم :
 ٢٨٦/١

(١) ر : « على » .

(٢) ط : « فأمره » ؛ وما أثبتته من التفسير .

(٣) سورة الحج ٢٧

(٤) سورة إبراهيم ٣٧ ، ٣٩ .

(٥) الخبر في التفسير ١٣ : ١٥٢ - ١٥٣ (بولاق) .

قد أمرك أن تُعِينَنِي عَلَيْهِ قَالَ : إِذَا أَفْعَل ، قَالَ : فقام معه ، فجعل إبراهيم بينه وإسماعيل يناوله الحجارة ويقولان : ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (١) ، فلما ارتفع البنيان وضعف الشيخ عن رفع الحجارة قام على حجر ، وهو مقام إبراهيم ، فجعل يناوله ويقولان : ﴿ تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٢) .

فلما فرغ إبراهيم من بناء البيت الذي أمره الله عز وجل ببنائه ، أمره الله أن يؤذّن في الناس بالحج ، فقال له : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا تُوَكَّلُ رَجُلًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾ (٣) . فقال إبراهيم - فيما ذكر لنا - ما حدثنا به ابن حمّيد قال : حدثنا جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، قيل له : أذّن في الناس بالحج ، قال : يارب ، وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذّن وعلى البلاغ ، فنادى إبراهيم : يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجُّ إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، قَالَ : فَسَمِعَهُ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ : أَفَلَا تَرَى النَّاسَ يَجِئُونَ مِنْ أَقْصَى الْأَرْضِ يَلْبِئُونَ !

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : حدثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله عز وجل إليه : أن أذّن في الناس بالحج ، قال : فقال إبراهيم : أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ قَدْ اتَّخَذَ بَيْتًا ، وَأَمْرَكُمْ أَنْ تَحْجُّوهُ ، فَاسْتَجَابَ لَهُ مَا سَمِعَهُ مِنْ شَيْءٍ ؛ مِنْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ أَوْ أَكْمَةٍ أَوْ تَرَابٍ أَوْ شَيْءٍ : لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ (٣) !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين ابن واقد ، عن أبي الزبير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ﴾ ، قال : قام إبراهيم عليه السلام خليل الله على الحجر فنادى :

(١) سورة البقرة ١٢٧ والخبر في التفسير ٣ : ٦٨ .

(٢) سورة الحج ٢٧ .

(٣) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

يأيها الناس ، كتب عليكم الحج ، فأسمع مَنْ في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه مَنْ آمن ممن سبق في علم الله أن يحجَّ إلى يوم القيامة : لبيك اللهم لبيك (١) !

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سُفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحج ، فقال : يا رب ، كيف أقول ؟ قال : قل : لبيك اللهم لبيك ، قال : فكانت أول التلبية (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة ؛ أن عبد الله بن الزبير قال لعبيد بن عمير الليثي : كيف بلغك أن إبراهيم دعا إلى الحج ؟ قال : بلغني أنه لما رفع هو وإسماعيل قواعد البيت ، وانتهى إلى ما أراد الله من ذلك ، وحضر الحج استقبل اليمن ، فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم استقبل المشرق فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته فأجيب : أن لبيك اللهم ! ثم إلى المغرب فدعا إلى الله وإلى حجِّ بيته ، فأجيب : أن لبيك اللهم لبيك ! ثم إلى الشام فدعا إلى الله عزَّ وجلَّ وإلى حجِّ بيته فأجيب أن لبيك اللهم لبيك ؛ ثم خرج بإسماعيل وهو معه يوم التروية ، فنزل به منىً ومن معه من المسلمين ، فصلَّى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بهم حتى أصبح ، فصلَّى بهم صلاة الفجر ، ثم غدا بهم إلى عرفة ، فقال بهم هنالك ، حتى إذا مالت الشمس جمَّع بين الصلاتين : الظهر والعصر ، ثم راح بهم إلى الموقف من عرفة ، فوقف بهم على الأراك (٣) ، وهو الموقف من عرفة الذي يقف عليه الإمام يرُيه ويعلمه ، فلما غربت الشمس دفع به وبمن معه حتى أتى المزدلفة ، فجمع فيها بين الصلاتين : المغرب والعشاء الآخرة ، ثم بات بها (٤) وبمن معه ، حتى إذا طلع الشجر صلَّى بهم صلاة الغداة ، ثم وقف به على قنَزَح من المزدلفة فيمن معه ، وهو الموقف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٢) الخبر في التفسير ١٧ : ١٠٦ (بولاق) .

(٣) الأراك : من مواقف عرفة ، بعضه من جهة الشام وبعضه من اليمن .

(٤) كذا في ١ ، في ط : « به » .

الذى يقف به الإمام حتى إذا أسفر دَفَعَ به وبمن معه يُرِيه ويعلمه كيف يصنع ، حتى رى الجمرَةَ الكُبْرَى ، وأراه المنحَرَّ من منى ، ثم نحر وحلق ، ثم أفاض به من منى لِيُرِيه كيف يطوف ، ثم عاد به إلى منى لِيُرِيه كيف يرمى الجمار ، حتى فرغ له من الحج وأذن به فى الناس .

* * *

قال أبو جعفر : وقد رُوِيَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن بعض أصحابه أن جبرئيل هو الذى كان يُرَى لإبراهيم المناسك إذا حجَّ . ٢٨٩/١

« ذكر الرواية بذلك عن رسول الله :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى — وحدثننا محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : حدثنا عبيد الله بن موسى — قال : أخبرنا ابن أبي ليلى ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أتى جبرئيل إبراهيم يوم التروية فراح به إلى منى ، فصلى به الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والفجر بمنى ، ثم غدا به إلى عرفات ، فأنزله الأراك — أو حيث ينزل الناس — فصلّى به الصلاتين جميعاً : الظهر والعصر ، ثم وقف به حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحدٌ من الناس المغرب ، أفاض حتى أتى به جمعاً ، فصلّى به الصلاتين جميعاً : المغرب والعشاء ، ثم أقام حتى إذا كان كأعجل ما يصلّى أحد من الناس الفجر صلّى به ، ثم وقف حتى إذا كان كأبطأ ما يصلّى أحد من المسلمين الفجر أفاض به إلى منى ، فرمى الجمرَةَ ، ثم ذبح وحلق ، ثم أفاض إلى البيت ، ثم أوحى الله عزّ وجلّ إلى محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَنْ أَتْبِعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عمران بن محمد بن أبي ليلى ، قال : حدثنى أبى ، عن عبد الله بن أبى مليكة ، عن عبد الله بن عمرو ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوه .

* * *

ثم إن الله تعالى ذكره ابتلى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه .
واختلف السلف من علماء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم في الذي أمرَ
إبراهيمَ بذبحه من ابنه ، فقال بعضهم : هو إسحاق بن إبراهيم ، وقال
بعضهم : هو إسماعيل بن إبراهيم ، وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
كلا القولين ، لو كان فيهما صحيح لم نَعُدْهُ إلى غيره ، غيرَ أنَ الدليلَ من
القرآن على صحة الرواية التي رويت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هو
إسحاق » أوضح وأبين منه على صحة الأخرى .

والرواية التي رويت عنه أنه قال : « هو إسحاق » حدثنا بها أبو كريب ،
قال : حدثنا زيد بن الحباب ، عن الحسن بن دينار ، عن علي بن زيد بن
جُدعان ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب ، عن
النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ (١)
قال : « هو إسحاق » (٢) .

* * *

وقد روى هذا الخبر عن غيره من وجه أصلح من هذا الوجه ، غير أنه
موقوف على العباس غير مرفوع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ،
عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾
قال : « هو إسحاق » (٣) .

وأما الرواية التي رويت عنه أنه هو إسماعيل ، فها حدثنا محمد بن عمار
الرازي ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة ، قال : حدثنا عمر بن
عبد الرحيم الخطابي ، عن عبد الله بن محمد العُتبي من ولد عُتْبة بن أبي سفيان ،
عن أبيه ، قال : حدثني عبد الله بن سعيد ، عن الصُّنَّاحِي ، قال : كنا عند معاوية

(١) سورة الصافات ١٠٧ .

(٢) الخبر في التفسير ٥١: ٢٣ (بولاق) . (٣) الخبر في التفسير ٥١: ٢٣ (بولاق) .

ابن أبي سفيان ، فذكروا الذبيح : إسماعيل أو إسحاق ؟ فقال : على الخير سقطم ، كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاءه رجل فقال : يا رسول الله ، عدُّ علىّ مما أفاء الله عليك يا بن الذبيحين ، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له : وما الذبيحان يا رسول الله ؟ فقال : (إن عبد المطلب لما أمر بحجر زمزم نذر لله : لئن سهل الله له أمرها ليدبحنّ أحد ولده) ، قال : فخرج السهم على عبد الله ، فمنعه أخواله وقالوا : أفد ابنتك بمائة من الإبل ، ففداه بمائة من الإبل وإسماعيل الثاني (١) .

* * *

ونذكر الآن من قال من السلف إنه إسحاق ، ومن قال إنه إسماعيل .

* ذكر من قال هو إسحاق :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك ، عن الحسن ، عن الأحنف بن قيس ، عن العباس بن عبد المطلب : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا الحسين بن يزيد الطَّحَّان ، قال : حدثنا ابن إدريس ، عن داود ابن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : الذي أمر بذبحه إبراهيم هو إسحاق .

٢٩١/١

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علي ، عن داود ، عن عكرمة ، قال : قال ابن عباس : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال : هو إسحاق .

حدثنا ابن المنثي ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، قال : افتخر رجل عند ابن مسعود ، فقال : أنا فلان ابن فلان ابن الأشياخ الكرام ، فقال عبد الله : ذاك يوسف بن يعقوب بن إسحاق ، ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله .

(١) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا إبراهيم بن المختار ، قال : حدثنا محمد ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن أبي بكر، عن الزهري ، عن العلاء بن جارية الثقفي ، عن أبي هريرة، عن كعب ، في قوله : ﴿وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ﴾ قال : من ابنه إسحاق .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي بكر ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن أبي سفيان بن العلاء بن جارية الثقفي ، حليف بني زهرة ، عن أبي هريرة ، عن كعب الأحبار ، أن الذي أمر بذبحه إبراهيم من ابنه إسحاق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أن عمرو بن أبي سفيان بن أسيد بن جارية الثقفي ، أخبره أن كعباً قال لأبي هريرة : ألا أخبرك عن إسحاق بن إبراهيم النبي ؟ قال أبو هريرة : بلى ، قال كعب : لما أرى^(١) إبراهيم ذبح إسحاق ، قال الشيطان : والله لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن أحداً منهم أبداً ، فتمثل الشيطان لهم رجلاً يعرفونه ، فأقبل حتى إذا خرج إبراهيم بإسحاق ليذبجه دخل على سارة امرأة إبراهيم ، فقال لها : أين أصبح إبراهيم غادياً بإسحاق ؟ قالت : غدا لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ما لذلك غدا به ، قالت سارة : فلم غدا به ؟ قال : غدا به ليذبجه ، قالت سارة : ليس من ذلك شيء ، لم يكن ليذبج ابنه ، قال الشيطان : بلى والله ، قالت سارة : فلم يذبجه ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قالت سارة : فهذا حسن^(٢) بأن يطيع ربه إن كان أمره بذلك . فخرج الشيطان من عند سارة حتى أدرك إسحاق وهو يمشي على أثر أبيه ، فقال له : أين أصبح أبوك غادياً بك ؟ قال : غدا بي لبعض حاجته ، قال الشيطان : لا والله ، ما غدا بك لبعض حاجته ، ولكنه^(٣) غدا بك ليذبجك .

(١) ب ، ن : « لما أرى » .

(٢) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « فهذا أحسن » .

(٣) ن : « وإنما » .

قال إسحاق : ما كان أبى ليذبحنى ، قال : بلى ، قال : لم ؟ قال : زعم أن ربّه أمره بذلك ، قال إسحاق : فوالله لئن أمره بذلك ليُطيعنّه ، فركه الشيطان وأسرع إلى إبراهيم ، فقال : أين أصبحت غادياً بابنك ؟ قال : غدوت به لبعض حاجتى ، قال : أما والله ما غدوت به إلا لتذبحه ، قال : لم أذبحه ؟ قال : زعمت أن ربك أمرك بذلك ، قال : فوالله لئن كان أمرنى ربى لأفعلنّ ، قال : فلما أخذ إبراهيم إسحاق ليذبحه وسلم إسحاق أعفاه الله ، وفداه بذبح عظيم . قال إبراهيم لإسحاق : قم أى بُنىّ ، فإن الله قد أعفاك ، فأوحى الله إلى إسحاق : إنى أعطيك دعوة أستجيب لك فيها ، قال إسحاق : اللهم فإنى أدعوك أن تستجيب لى : أيما عبدٍ لقيمتك من الأولين والآخريين لا يشرك بك شيئاً فأدخله الجنة^(١) .

٢٩٤/١

حدثنى عمرو بن على ، قال ، حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه ، قال : قال موسى : يا ربّ ، يقولون يا إله إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فيم قالوا ذلك ؟ قال : إن إبراهيم لم يعدل بى شيئاً قطّ إلا اختارنى عليه ، وإن إسحاق جادّ لى بالذبح وهو بغير ذلك أجود ، وإن يعقوب كلّما زدته بلاء زادنى حسن ظن .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن زيد بن أسلم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، عن أبيه قال : قال موسى : أى ربّ بمّ أعطيت إبراهيم وإسحاق ويعقوب ما أعطيتهم ؟ فذكر نحوه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ، عن ابن سابط ، قال : هو إسحاق .

٢٩٥/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان عن سفيان ، عن أبي سنان الشيبانىّ ، عن ابن أبي الهذيل ، قال : الذبيح هو إسحاق .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا سفيان بن عتبة ، عن حمزة الزيات ، عن أبى إسحاق ، عن أبى ميسرة ، قال : قال يوسفُ للملك فى وجهه ترغّب

(١) الخبر فى التفسير ٥٥/٢٣ (بولاق) .

أن تأكل معي ، وأنا والله يوسف بن يعقوب نبي الله بن إسحاق ذبيح الله
ابن إبراهيم خليل الله !

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن سفیان ، عن أبي سنان ،
عن ابن أبي الهذيل ، قال : قال يوسف للملك ، فذكر نحوه .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم ، أن إبراهيم عليه السلام أرى في المنام فقيل له : أوف
نذرك^(١) الذي نذرت : إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تذبحه .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : حدثنا زكرياء وشعبة ، عن
أبي إسحاق ، عن مسروق في قوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ قال :
هو إسحاق .

* * *

* ذكر من قال هو إسماعيل :

حدثنا أبو كريب وإسحاق بن إبراهيم بن حبيب بن الشهيد ، قال : حدثنا
يحيى بن يمان ، عن إسرائيل ، عن ثوير^(٢) ، عن مجاهد ، عن ابن عمر ، قال : ٢٩٦/١ :
الذبيح إسماعيل .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا يحيى ، قال : حدثنا سفیان ، قال :
حدثنا بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ،
قال : إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا أبو حمزة
محمد بن ميمون السكري عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس

(١) : « بنذرك » .

(٢) وهو ثوير من أبي فاضة أبو الجهم الكوفي ؛ ذكر ابن حجر في التهذيب ٢ : ٣٦ أن
إسرائيل عن روى عنه . وفي ب : « ثور » وهو خطأ .

قال : إن الذى أمر بذبح إبراهيم إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، عن على بن زيد ، عن عمار مولى بنى هاشم ، وعن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس قال : هو إسماعيل ، يعنى : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا داود ، عن الشعبي ، قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

وحدثني به يعقوب مرة أخرى ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : سئل داود بن أبي هند : أى ابنى إبراهيم أمر بذبحه ؟ فزعم أن الشعبي قال : قال ابن عباس : هو إسماعيل .

حدثنا ابن المثني ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن بيان ، عن الشعبي ، عن ابن عباس ، أنه قال فى الذى ، فداه الله بذبح عظيم ، قال : هو إسماعيل . ٢٩٧/١

حدثنا يعقوب ، قال : حدثنا ابن علية ، قال : حدثنا ليث ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

وحدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : ، حدثنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمر بن قيس ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن عبد الله بن عباس ، أنه قال : المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق ، وكذبت اليهود .

وحدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثنا أبو عاصم ، عن مبارك ، عن على بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس : الذى فداه الله عز وجل قال : هو إسماعيل .

حدثني محمد بن سنان ، قال : حدثنا حجاج ، عن حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، عن ابن عباس مثله .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : حدثني خالد بن عبدالله ، عن داود ،
عن عامر ، قال : الذي أراد إبراهيم ذبحه إسماعيل .

حدثنا ابن المني ، قال : حدثني عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن
عامر أنه قال في هذه الآية ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل ، قال :
وكان قرنا الكبش منوطين بالكعبة .

٢٩٨/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ،
عن الشعبي ، قال : الذبيحُ إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن إسرائيل ، عن جابر ،
عن الشعبي ، قال : رأيتُ قرني الكبش في الكعبة .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن مبارك بن فضالة ، عن
علي بن زيد بن جُدعان ، عن يوسف بن مِهْران ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، قال : حدثنا سفيان ، عن
ابن أبي تَجِيح ، عن مجاهد ، قال : هو إسماعيل .

حدثني يعقوب ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن :
﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : هو إسماعيل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : سمعت
محمد بن كعب القرظي وهو يقول : إن الذي أمر الله عز وجل إبراهيم بذبحه
من ابنه إسماعيل ، وإننا لنجد ذلك في كتاب الله عز وجل في قصة الخبر
عن إبراهيم وما أمر به من ذبح ابنه ، أنه إسماعيل ، وذلك أن الله عز وجل
يقول حين فرغ من قصة المذبح من ابنه إبراهيم قال : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ
نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ^(١) ويقول : ﴿ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ

يَعْقُوبَ^(١)؛ يقول : بابتن وابن ابن ، فلم يكن يأمره بذبح إسحاق ، وله فيه من الله من الموعود ما وعده ، وما الذي أُمِرَ بذبحه إلا إسماعيل^(٢) . ٢٩٩/١

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : حدثنا محمد بن إسحاق، عن بُرَيْدَةَ بن سفيان بن فروة الأُسَلَمِيِّ، عن محمد بن كعب القرظي، أنه حدثهم أنه ذكر ذلك لعمر بن عبد العزيز ، وهو خليفة إذ كان معه بالشام ، فقال له عمر : إن هذا لشيء ما كنتُ أنظر فيه ، وإني لأراه كما قلت ، ثم أرسل إلى رجل كان عنده بالشام كان يهودياً فأسلم ، فحسن إسلامه ، وكان يرى أنه من علماء اليهود . فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك . قال محمد بن كعب القرظي : وأنا عند عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : أيّ ابني إبراهيم أمر بذبحه ؟ فقال : إسماعيل ؛ والله يا أمير المؤمنين ، إن يهود لتعلم بذلك ، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله فيه ، والفضل الذي ذكره الله منه لصبره على ما أمر به ، فهم يحقدون ذلك ، ويزعمون أنه إسحاق ، لأنّ إسحاق أبوهم^(٣) .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن الحسن بن دينار وعمرو بن عبيد ، عن الحسن بن أبي الحسن البصري، أنه كان لا يشكّ في ذلك أن الذي أمر بذبحه من ابني إبراهيم إسماعيل .

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، قال : قال محمد بن إسحاق : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول ذلك كثيراً . ٣٠٠/١

وأما الدلالة من القرآن التي قلنا إنها على أن ذلك إسحاق أصحّ، فقوله تعالى مخبراً عن دعاء خليله إبراهيم حين فارق قومه مهاجراً إلى ربه إلى الشام مع زوجته

(١) سورة هود ٧١

(٢) الخبر في التفسير ١٣ : ٥٤ (بولاق)

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٢ (بولاق)

سارة ، فقال : ﴿ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ رَبُّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢) ،
 وذلك قبل أن يعرف هاجر ، وقبل أن تصير له أم إسماعيل ، ثم أتبع ذلك ربنا
 عز وجل الخبر عن إجابته دعاءه ، وتبشيره (٣) إياه بغلام حلیم ، ثم عن رؤيا
 لإبراهيم أنه يذبح ذلك الغلام حين بلغ معه السعی ، ولا يُعلم في كتاب ذكر (٤)
 لتبشير إبراهيم بولّد ذكر إلا بإسحاق ، وذلك قوله : ﴿ وامرأته قائمة فضحكت
 فبشّرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب ﴾ (٥) وقوله : ﴿ فأوجس منهنم خيفة
 قالوا لا تخف وبشّروه بغلام عليم ﴾ فأقبلت امرأته في صرّة فصكت وجهها
 وقالت عجوز عقيم (٦) ثم ذلك كذلك في كل موضع ذكر فيه تبشير إبراهيم
 بغلام ، فإنما ذكر تبشير الله إياه به من زوجته سارة ، فالواجب أن يكون ذلك
 في قوله : ﴿ فبشّرناه بغلام حلیم ﴾ (٨) نظير (٩) ما في سائر سور القرآن من
 تبشيره إياه به من زوجته سارة .

* * *

وأما اعتلال من اعتلّ بأن الله لم يكن يأمر إبراهيم بذبح إسحاق ، وقد أتته
 البشارة من الله قبّل ولادته بولادته وولادة يعقوب منه من بعده ، فإنها علّة غير
 موجبة صحّة ما قال ، وذلك أن الله إنما أمر إبراهيم بذبح إسحاق بعد إدراك
 إسحاق السعی . وجائز (١٠) أن يكون يعقوب وُلد له قبل أن يؤمر أبوه بذبحه ،
 وكذلك لا وجه لاعتلال من اعتلّ في ذلك بقرن الكيش أنه رآه معلقاً في
 الكعبة ، وذلك أنه غير مستحيل أن يكون حميل من الشام إلى الكعبة فعلق هنالك .

٣٠١/١

- | | |
|-----------------------|--------------------------------------------------|
| (١) ا : « قال » . | (٢) سورة الصافات ٩٩ ، ١٠٠ . |
| (٣) ن : « بتبشيره » . | (٤) ط : « في كتاب الله عز وجل تبشير لإبراهيم » . |
| (٥) سورة هود ٧١ . | (٦) سورة الذاريات ٢٨ ، ٢٩ . |
| (٧) ر : « ذكر » . | (٨) سورة الصافات ١٠١ . |
| (٩) ر : « نظيرها » . | (١٠) ر : « وجاز » . |

ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم
وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك
والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه

والسبب في أمر الله عزَّ وجلَّ إبراهيم بذبح ابنه الذي أمره بذبحه
فما ذكر أنه إذ فارق قومه هارباً بدينه مهاجراً إلى ربه متوجّهاً إلى الشام
من أرض العراق دعا^(١) الله أن يهب له ولداً ذكراً صالحاً من سارة فقال :
﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ [يعنى بذلك ولداً صالحاً من الصالحين^(٢)] كما
أخبر الله تعالى عنه فقال : ﴿ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَّهَدِينَ * رَبِّ هَبْ
لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ . فلما نزل به أضيافه من الملائكة الذين كانوا أرسلوا إلى
المؤتفكة قوم لوط بشروه بغلام حلِيم عن أمر الله تعالى إياهم بتبشيره ، فقال
إبراهيم إذ بشر به : هو إذأ لله ذبيح . فلما ولد الغلام وبلغ السعَى قيل له :
أوفٍ بنذرك الذي نذرت لله .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثني عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك . وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الهمداني ، عن عبد الله - وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال : قال جبرئيل عليه السلام لسارة : أبشري بولد اسمه إسحاق ،
ومن وراء إسحاق يعقوب ، فضربت جبينها عجباً ، فذلك قوله : ﴿ فَصَكَتُ
وَجْهَهَا ﴾^(٣) . وقالت : ﴿ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ
عَجِيبٌ * قَالُوا تَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ

(١) ر : « إلى الله » .

(٢) تكملة من أ .

(٣) سورة الذاريات ٢٩

الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ» (١). قالت سارة لجبرائيل : ما آية ذلك ؟ فأخذ بيده عوداً يابساً فلواه بين أصابعه فاهتزّ أخضر ، فقال إبراهيم : هو إذاً لله ذبيح ، فلما كبر إسحاق أتى (٢) إبراهيم في النوم فقيل له : أوف بندرك الذي نذرت ، إن رزقك الله غلاماً من سارة أن تدبجه . فقال لإسحاق : انطلق فقرب قرباناً إلى الله . وأخذ سكيناً وجلاً ، ثم انطلق معه حتى إذا ذهب به بين الجبال قال له الغلام : يا أبت ، أين قربانك ؟ قال : يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى . قال : يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ، قال له إسحاق : اشدد رباطي حتى لا أضطرب واكفف عن (٣) ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فتراه سارة فتحنن ، وأسرع مرّ السكين على حلقى ليكون أهوناً للموت على ، وإذا أتيت سارة فاقرأ عليها السلام . فأقبل عليه إبراهيم عليه السلام يقبله وقد ربطه وهو يبكي ، وإسحاق يبكي ، حتى استنقع الدموع تحت خدّ إسحاق ، ثم إنه جرّ السكين على حلقه فلم يحك (٤) السكين ، وضرب الله عزّ وجلّ صفيحة من نحاس على حلق إسحاق ، فلما رأى ذلك ضرب به على جبينه ، وحزّ في قفاه قوله عزّ وجلّ :

﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ (٥). يقول : سلما لله الأمر ، فنودي : يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا بالحق . التفت ، فإذا بكيش ، فأخذه وخلّى عن ابنه ، فأكبّ على ابنه يقبله وهو يقول : يا بني اليوم وهبت لي ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ . فرجع إلى سارة فأخبرها الخبر ، فجزعت سارة وقالت : يا إبراهيم ، أردت أن تدبح ابني ولا تعلمني !

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : كان إبراهيم فيما يقال إذا زارها - يعني هاجر - حميل على البراق يغدو من

(٢) ط : « أرى » ، وما أثبتته عن ا ، ن .

(٤) لم يحك : لم يقطع .

(٦) الخبر في التفسير ٢٣ : ٤٩ (بولاق) .

(١) سورة هود ٧٢ ، ٧٣

(٣) ا : « عنى » .

(٥) سورة الصافات ١٠٣

الشأم ، فيقبل بمكة ، ويروح من مكة ، فيبيت عند أهله بالشأم ، حتى إذا بلغ معه السعى ، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرمانه أرى في المنام أن يذبحه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن بعض أهل العلم أن إبراهيم حين أمر بذبح ابنه قال له : يا بني خذ الحبل والمُدْيَةَ ، ثم انطلق بنا إلى هذا الشعب ليحطِب^(١) أهلك منه ، قيل أن يذكر له شيئاً مما أمر به . فلما وجه إلى الشعب اعترضه عدو الله إبليس ليصدّه عن أمر الله في صورة رجل ، فقال : أين تريد أيها الشيخ ؟ قال : أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه ، فقال : والله إنى لأرى الشيطان قد جاءك في منامك ، فأمرك بذبح بنيك هذا ، فأنت تريد ذبحه ، فعرفه إبراهيم ، فقال : إليك عنى ، أى عدو الله ، فوالله لأمضين لأمر ربى فيه ، فلما يش عدو الله إبليس من إبراهيم اعترض إسماعيل وهو وراء إبراهيم يحمل الحبل والشفرة ، فقال له : يا غلام هل تدري أين يذهب بك أبوك ؟ قال : يحطِب^(٢) أهلنا من هذا الشعب ، قال : والله ما يريد إلا أن يذبحك ، قال : ليم ؟ قال : زعم أن ربه أمره بذلك ، قال : فليفعل ما أمره به ربه ، فسمعاً وطاعة . فلما امتنع منه الغلام ذهب إلى هاجر أم إسماعيل وهى فى منزلها ، فقال لها : يا أم إسماعيل ، هل تدريين أين ذهب إبراهيم بإسماعيل ؟ قالت : ذهب به يحطِبنا^(٣) من هذا الشعب ، قال : ما ذهب به إلا ليذبحه ، قالت : كلاً هو أرحمُ به وأشدُّ حباً له من ذلك ، قال : إنّه يزعم أن الله أمره بذلك ، قالت : إن^(٤) كان ربه أمره بذلك فتسليماً لأمر الله . فرجع عدو الله بغيظه لم يصب من آل إبراهيم شيئاً مما أراد ، وقد امتنع^(٥) منه إبراهيم وآل إبراهيم بعون الله ، وأجمعوا^(٦) لأمر الله بالسمع والطاعة ،

(١) ن : « لنحتطب لأهلك » .

(٢) ر ، ن : « يحطب لأهلنا » .

(٣) ن : « ليحطِب لنا » .

(٤) ا : « فإن » .

(٥) ط : « قد امتنع » ، وما أثبتته عن ا .

(٦) ر : « واجتمعوا » .

فلما خلا إبراهيم بابنه في - الشعب وهو فيها يزعمون شعب ثبير - قال له : يا بني ،
إني أرى في المنام أني أذبحك قال : يا أبت افعل ما تؤمر ، ستجدني إن شاء الله
من الصابرين .

قال ابن حميد : قال سلمة : قال محمد بن إسحاق عن بعض أهل
العلم : إن إسماعيل قال له عند ذلك : يا أبت إن أردت ذبحي فاشدد رباطي
لا يُصيبك (١) مني شيء فينقص أجرى ، فإن الموت شديد ، وإني لا آمن
أن أضطرب عنده إذا وجدت مسه ، واشحذ شفرتك حتى تُجهز علي فترينني ،
وإذا أنت أضجعتني لتذبحني فكبتني لوجهي على جبينى ولا تُصجعتنى لشتى ،
فإنى أخشى إن أنت نظرت فى وجهى أن تدركك رقة تحول بينك وبين أمر
الله فى ، وإن رأيت أن ترد قميصى على أمى فإنه عسى أن يكون هذا أسلتى
لها عنى ، فافعل . قال : يقول له إبراهيم : نعم العون أنت يا بنى على أمر
الله . قال : فربطه كما أمره إسماعيل فأوثقه ، ثم شحذ شفرته ثم تله للجبين
واتقى النظر فى وجهه ، ثم أدخل الشفرة لخطمه فقلها الله لقفها فى يده ، ثم اجتذبا
إليه ليفرغ منه ، فنودى : أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ، هذه ذبيحتك فداء
لابنك فاذبحها دونه ، يقول الله عز وجل ، ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، وإنما
تسل الذبائح على حدودها ، فكان مما صدق عندنا هذا الحديث عن إسماعيل
فى إشارته على أبيه بما أشار إذ قال : كبتى على وجهى قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ .
وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ * قَدْ صَدَّقَتِ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * ٣٠٦/١
إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبْتَلِ * وَقَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿ (٢) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الحسن بن
دينار ، عن قتادة بن دعامه ، عن جعفر بن إياس ، عن عبد الله بن عباس ،
قال : خرج عليه كبش من الجنة قد رعاها قبل ذلك أربعين خريفاً ، فأرسل
إبراهيم ابنه فاتبع الكبش ، فأخرجه إلى الجمرة الأولى فرماه بسبع حصيات ،

(١) ن : « حتى لا يصيبك » .

(٢) سورة الصافات ١٠٢ - ١٠٧ .

فأفلته عنده ، فجاء الجمرة الوسطى ، فأخرجه عندها ، فرماه بسبع حصيات ، ثم أفلته فأدركه عند الجمرة الكبرى ، فرماه بسبع حصيات ، فأخرجه عندها ، ثم أخذه فأتى به المنحرم من منى فذبحه ، فولد الذي نَفَسُ ابن عباس بيده ، لقد كان أول-الإسلام ، وإن رأس الكبش لعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة ، وقد وَخَّش - يعني قد يبس .

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : حدثني حجاج ، عن حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطُّفَيْل ، قال : قال ابن عباس : إن إبراهيم لما أُمِرَ بالمناسك عَرَضَ له الشيطان عند المسعى (١) فسأقه ، فسبقه إبراهيم ، ثم ذهب به جبرئيل عليه السلام إلى جمرة العقبة ، فعرض له الشيطان ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم عرض له عند الجمرة الوسطى ، فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ، ثم تله للجبين ، وعلى إسماعيل قميص أبيض ، فقال له : يا أبت إنه ليس لي ثوب تكفنتي (٢) فيه غير هذا فاخلعه عني ، فأكفنتي فيه ، فالتفت إبراهيم عليه السلام فإذا هو بكبش أعين أبيض أقرن فذبحه ، فقال ابن عباس : لقد رأيتنا نتبع هذا الضرب من الكباش (٣) .

٣٠٧/١

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثني أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال ، حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : ﴿ وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، قال : وضع وجهه للأرض قال : لا تدبجني وأنت تنظر إلى وجهي عسى أن ترحمني ؛ فلا تجهز عليّ ؛ اربط يدي إلى رقبتى ، ثم ضع وجهي للأرض .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي الطفيل ، عن عليّ عليه السلام : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش أبيض أقرن أعين مربوط بِسَمْرٍ (٤) في ثبير .

(١) ر : « السعى » . (٢) ر : « تكفني » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ (بولاق) .

(٤) سمر ، كرجل : من شجر العضاء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن جريج ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كبش . قال عبيد بن عمير : ذبح بالمقام ، وقال مجاهد : ذبح بمنى في المنحر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن ابن خُثَيْم ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : الكبش الذي ذبحه إبراهيم عليه السلام هو الكبش الذي قرّبه ابن آدم فتقبل منه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبيرة : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان الكبش الذي ذبحه إبراهيم رعى في الجنة أربعين سنة ، وكان كبشاً أملح ، صوفه مثل العهن الأحمر .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا معاوية بن هشام ، عن سفيان ، عن ٣٠٨/١ رجل ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : كان وعيلاً .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمرو ابن عبيد ، عن الحسن أنه كان يقول : ما فُدىَ إسماعيلُ لإبليس كان من الأروى ، أهبط عليه من تبير ، وما يقول الله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ لذبيحته فقط ، ولكنه الذبح على دينه ، فتلك السنة إلى يوم القيامة ، فاعلموا أن الذبيحة تدفع ميتة السوء ، فضحوا عباد الله .

وقد قال أمية بن أبي الصلت في السبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبح ابنه شعراً ، ويحقق بقيله ما قال في ذلك الرواية التي رويناها عن السدي ، وأن ذلك كان من إبراهيم عن نذر كان منه ، فأمره الله بالوفاء به ، فقال :

وَلِإِبْرَاهِيمَ الْمُؤْتَى بِالنَّذْرِ
رِاحَتَسَابًا وَحَامِلِ الْأَجْزَالِ^(١)

(١) الأبيات في خزنة الأدب ٢ : ٥٤٢ مع اختلاف في الرواية .

بِكْرِهِ لَمْ يَكُنْ لِيَصْبِرْ عَنْهُ أَوْ يَرَاهُ فِي مَعْشَرِ أَقْبَالِ
 أَيْ بُنَى إِيَّيْ نَذَرْتُكَ لِلْمَشْحِيطِ فَأَصْبِرْ فِدَى لِكَ خَالِي (١)
 وَاشْدُدِ الصَّفَدَ لَا أَحِيدُ عَنِ السَّكِينِ حَيْدَ الْأَسِيرِ ذِي الْأَغْلَالِ
 وَهُ مُدْيَةٌ تَخَابِلُ فِي اللَّحْمِ جُدَامٌ حَنِيبَةٌ كَالِهَلَالِ
 بَيْنَمَا يَخْلَعُ السَّرَائِيلَ عَنْهُ فَكَّهُ رَبُّهُ بِكَيْشِ جُلَالِ
 فَذَنْ ذَا قَارُسِلِ ابْنِكَ إِيَّيْ لِلَّذِي قَدْ فَعَلْتَمَا غَيْرُ قَالَ
 وَالِدٌ يَتَّبِعِي وَآخِرُ مَوْلُو دُ فَطَارَ مِنْهُ سَمِعُ فَصَالِ (٢)
 رُبَّمَا تَجَزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

٣٠٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا الحسين
 - يعنى ابن واقد - عن زيد ، عن عكرمة : قوله عز وجل : ﴿ فَآمَنَّا أَسْلَمًا ﴾ :
 قال : أسلما جميعاً لأمر الله ؛ رضى الغلام بالذبح ورضى الأب بأن يذبحه .
 قال : يا أبت اقدنى للوجه كيلا تنظر إلى فترحمنى ، وأنظر أنا إلى الشفرة
 فأجزع ، ولكن أدخل الشفرة من تحى ، وامض لأمر الله ، فذلك قوله تعالى :
 ﴿ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴾ ، فلما فعل ذلك نادينا به ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ
 سَدَقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ .

* * *

[ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات]

وكان ممن امتحن الله به إبراهيم عليه السلام وابتلاه به - بعد ابتلائه إياه بما
 كان من أمره وأمر ثمرود بن كوش ، ومحاولته إحراقه بالنار وابتلائه بما كان
 من أمره إياه بذبح ابنه ، بعد أن بلغ معه السعى ورجا نفعه ومعاونته على
 ما يقربه من ربه عز وجل ورفع القواعد من البيت ، ونسكه المناسك - ابتلاؤه
 جل جلاله بالكلمات التى أخبر الله عنه أنه ابتلاه بهن فقال : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى

(١) كذا فى ا ، ر ، وفى ط : « حال » .

(٢) السمع : الذكر الجميل . وفى الخزانة : « يسمع معال » .

إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَاتَمَّهِنَّ ﴿١﴾

• • •

وقد اختلف السلف من علماء الأمة في هذه الكلمات التي ابتلاه الله بهم فاتمهن ، فقال بعضهم : ذلك ثلاثون سهماً ، وهي شرائع الإسلام .

٣١٠/١

• ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن المثني ، قال : حدثنا عبد الأعلى ، قال : حدثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : قال ابن عباس : لم يُبْتَلْ أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم عليه السلام ، ابتلاه الله تعالى بكلمات فاتمهن ، قال : فكتب الله تعالى له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ^(١) : عشرٌ منها في الأحزاب ، وعشر منها في براءة ، وعشرٌ منها في المؤمنين ، وسأل سائل ، وقال : إنَّ هذا الإسلام ثلاثون سهماً .

حدثنا إسحاق بن شاهين الواسطي ، قال : حدثنا خالد الطحان ، عن داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ما ابتلي أحد بهذا الدين فقام به كله غير إبراهيم عليه السلام ؛ ابتلي بالإسلام فاتمه ، فكتب الله له البراءة فقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فذكر عشرًا في براءة ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ ... ﴾ ^(٢) وعشرًا في الأحزاب : ﴿ إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ ... ﴾ ^(٣) وعشرًا في سورة «المؤمنين» إلى قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ^(٤) ، وعشرًا في سأل سائل : ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة النجم ٣٧

(٤) سورة الأحزاب ٣٥

(٦) سورة المارج ٣٤

(١) سورة البقرة ١٢٤

(٣) سورة التوبة ١١٢

(٥) سورة المؤمنين ٩

وحدثني عبد الله بن أحمد المروزي، قال : حدثنا علي بن الحسن ، قال :
حدثنا خارجة بن مصعب ، عن داود بن أبي هند ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ،
قال : الإسلام ثلاثون سهماً ، وما ابتلى أحد بهذا الدين فأقامه إلا إبراهيم ،
قال الله تعالى : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ ، فكتب الله له براءة من النار .

* * *

وقال آخرون : ذلك عشر خصال من سنن الإسلام ، خمس منهن في
الرأس ، وخمس في الجسد .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمّر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : ابتلاه الله عز وجل بالطهارة : خمس في الرأس ،
وخمس في الجسد ؛ في الرأس قصّ الشارب ، والمضمضة ، والاستنشاق ، والسواك ، وفرق
الرأس . وفي الجسد تقليم الأظفار ، وحلق العانة ، والختان ، ونتف الإبط ، وغسل أثر
الغائط والبول بالماء .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرزاق ، عن
معمّر ، عن الحكم بن أبان ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن ابن عباس بمثله ،
غير أنه لم يذكر أثر البول .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا أبو هلال ،
قال : حدثنا قتادة في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ،
قال : ابتلاه بالختان ، وحلق العانة ، وغسل القبل والدبر ، والسواك ، وقصّ الشارب ،
وتقليم الأظفار ، ونتف الإبط . قال أبو هلال : ونسيت خصلة .

حدثني عبدان المروزي ، قال : حدثنا عمار بن الحسن ، قال : حدثنا
عبد الله بن أبي جعفر ، عن أبيه ، عن مطر ، عن أبي الجليل^(١) ، قال : ابتلى

إبراهيم عليه السلام بعشرة أشياء هن في الإنسان ^(١) سنة : المضمضة ، والاستنشاق ،
وقصّ الشارب ، والسواك ، وشفّ الإبط ، وتقليم الأظفار ، وغسل البراجم ، والختان ،
وحلق العانة ، وغسل الدبر والفرج .

* * *

وقال آخرون نحو قول هؤلاء ، غير أنهم قالوا : ستّ من العشر في جسّد
الإنسان ، وأربع منهن في المشاعر .
* ذكر من قال ذلك :

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال : حدثنا محمد بن حرب ،
قال : حدثنا ابن لهيعة ، عن ابن هبيرة ، عن حنّس ، عن ابن عباس في
قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : ست
في الإنسان وأربع في المشاعر ، فالتى في الإنسان : حلق العانة ، والختان ، وشفّ
الإبط ، وتقليم الأظفار ، وقصّ الشارب ، والغسل يوم الجمعة . وأربع في المشاعر :
الطواف ، والسعي بين الصفاء والمروة ، ورمي الجمار ، والإفاضة .

* * *

وقال آخرون : [بل] ^(٢) ذلك قوله : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومناسك الحج .
* ذكر من قال ذلك :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت إسماعيل
ابن أبي خالد ، عن أبي صالح : قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ،
منهنّ إني جاعلك للناس إماماً وآيات النسك ^(٣) .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا ابن إدريس قال : سمعت إسماعيل بن
أبي خالد ، عن أبي صالح ، مولى أم هانئ في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ
بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهنّ ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ ، ومنهنّ آيات النسك

(١) ط : « الإسلام » وما أثبتته من التفسير .

(٢) من أ ، ن والتفسير ٣ : ١٠ .

(٣) ر : « ومناسك الحج » .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ﴾^(١).

حدثني محمد بن عمرو ، قال : أخبرنا أبو عاصم ، قال : حدثني عيسى ابن أبي نجیح ، عن مجاهد في قوله : ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾^(٢) قال : قال الله لإبراهيم : إني مبتليك بأمر فما هو ؟ قال : تجعلني للناس إماماً ، قال : نعم ، ﴿قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ ، قال : تجعل البيت مثابة للناس ، قال : نعم ، قال : وتجعل هذا البلد أمناً ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وتجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمةً مسلمة لك ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترينا مناسكنا وتب علينا ، قال : نعم ، [قال]^(٣) : وترزق أهله من الثمرات من آمن [منهم]^(٣) ؟ قال : نعم^(٤) .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد بنحوه . قال ابن جريج : فاجتمع على هذا القول مجاهد وعكرمة .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفیان ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد : ﴿وَإِذْ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ابتلى بالآيات التي بعدها : ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٢) .

حدثني المثني بن إبراهيم ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجیح ، قال : أخبرني به عكرمة ، قال : فعرضته على مجاهد فلم ينكره . ٣١٤/١

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم : ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ

(٢) سورة البقرة ١٢٤ .

(٤) الخبر في التفسير ٣ : ١١ .

(١) سورة البقرة ١٢٧ .

(٣) من التفسير .

أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ
لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * رَبَّنَا وَابْعَثْ
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ ﴿١﴾ .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر ،
عن أبيه ، عن الربيع ، في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ (٢) قال :
الكلمات : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً
لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ ، وقوله : ﴿ وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ (٢) وقوله : ﴿ وَعَهْدْنَا إِلَىٰ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ ﴾ (٢) . الآية ، وقوله : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ .. ﴾ (٢)
الآية . قال فذلك كله من الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال :
حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ
رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : منهن ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ﴾ (٢) ، ومنهن :
﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ﴾ ، ومنهن الآيات في شأن المنسك
والمقام الذي جعل لإبراهيم ، والرزق الذي رزق ساكن البيت ، ومحمد صلى الله
عليه وسلم بعث في ذريتهما .

* * *

وقال آخرون : بل ذلك مناسك الحج خاصة .

* ذكر من قال ذلك :

٣١٥/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، قال : حدثنا عمر بن
نبهان ، عن قتادة ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾
قال : مناسك الحج .

(١) سورة البقرة ١٢٧ - ١٢٩

(٢) سورة البقرة ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٧ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كان ابن عباس يقول في قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ قال : هي المناسك .

حدثت عن عمار بن الحسن ، قال : حدثنا ابن أبي جعفر ، عن أبيه قال : بلغنا عن ابن عباس أنه قال : إنَّ الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم هي المناسك .

حدثني أحمد بن إسحاق الأهوازي ، قال : حدثنا أبو أحمد الزبيرى ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس قوله : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ، قال : مناسك الحج .

حدثني ابن المني ، قال : حدثني الحماني ، قال : حدثنا شريك ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : قال ابن عباس : ابتلاه بالمناسك .

٣١٦/١

* * *

وقال آخرون : بل ابتلاه بأمر ، منهن الختان .

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، عن يونس بن أبي إسحاق ، عن الشعبي : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ ﴾ ، قال : منهن الختان .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا يونس ابن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبي يقول . . . فذكر مثله .

حدثني أحمد بن إسحاق ، قال : حدثنا أبو أحمد ، قال : حدثنا يونس بن أبي إسحاق ، قال : سمعتُ الشعبي — وسأله أبو إسحاق عن قوله

عَزَّ وَجَلَّ : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ - قال : منهم الختان يا أبا إسحاق .

* * *

وقال آخرون: ذلك الخلالُ السَّتْ : الكوكب ، والقمر ، والشمس ،
والنار ، والهجرة ، والختان ، التي ابتلى بهنَّ أجمع فصبرَ عليهنَّ .

ذكر من قال ذلك :

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن أبي رَجَاءَ ، قال :
قلتُ للحسن : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب
فرضى عنه ، وابتلاه بالقمر فرضى عنه ، وابتلاه بالشمس فرضى عنه ، وابتلاه
بالنار فرضى عنه ، وابتلاه بالهجرة ، وابتلاه بالختان .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زُرَيْعَ ، قال : حدثنا سَعِيدُ ،
عن قَتَادَةَ ، قال : كان الحسنُ يقول : إن الله ابتلاه بأمرٍ فصبر عليه ؛
ابتلاه بالكوكب والشمس والقمر ، فأحسن في ذلك ، وعرف أن ربه دائم
لا يزول ، فوجه وجهه للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما كان من
المشركين ؛ وابتلاه بالهجرة فخرج من بلاده وقومه حتى لحق بالشام مهاجراً
إلى الله تعالى ؛ ثم ابتلاه بالنار قبل الهجرة فصبر على ذلك ، وابتلاه بذبح
ابنه وبالختان^(١) ، فصبر على ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا
معمر ، عن سمع الحسن يقول في قوله : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ،
قال : ابتلاه [بذبح ولده ، وبالنار]^(٢) بالكوكب ، وبالشمس ، وبالقمر .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سلم بن قتيبة ، قال : حدثنا أبو هلال
عن الحسن : ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ ، قال : ابتلاه بالكوكب ، وبالشمس
وبالقمر ، فوجهه صابراً .

(١) ط : « والختان » ، وما أثبتته من ا ، والتفسير ٣ : ١٤

(٢) تكملة من التفسير ٣ : ١٤

حدثنا أحمد بن إسحاق بن المختار ، قال : حدثني غسان بن الربيع ، قال : حدثنا عبد الرحمن — وهو ابن ثوبان — عن عبد الله بن الفضل ، عن عبد الرحمن الأعرج ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اختن إبراهيم بعد ثمانين سنة بالقَدوم » .

* * *

وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في الكلمات التي ابتلى بها إبراهيم خبران :

أحدهما : ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا الحسن بن عطية ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وإبراهيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ قال : « أتدرون ما وفى ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : « وفى عمل يومه أربع ركعات في النهار » .

والآخر منهما ما حدثنا به أبو كريب ، قال : حدثنا رشدين بن سعد ، قال : حدثنا زبان بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله ﴿ الَّذِي وَفَّى ﴾ ؟ لأنه كان يقول كلِّمًا أصبح وكلِّمًا أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ... ﴾ (١) حتى ختم الآية » (٢) .

فلما عرف الله تعالى من إبراهيم الصبر على كلِّ ما ابتلاه به ، والقيام بكلِّ ما ألزمه من فرائضه ، وإيثاره طاعته على كلِّ شيء سواها ، اتخذته خليلًا ، وجعله لمن بعده من خلقه إمامًا ، واصطفاه إلى خلقه رسولًا ، وجعل في ذريته النبوة والكتاب والرسالة ، وخصَّهم بالكتب المنزلة ، والحكم البالغة ، وجعل منهم الأعلام والقادة والرؤساء والسادة ، كلِّمًا مضى منهم نجيبٌ خلفه سيد رفيع ، وأبقى لهم ذكرًا في الآخرين ، فالأمم كلها تتولاه وتثنى عليه ، وتقول بفضلِهِ إكرامًا من الله له بذلك في الدنيا ، وما ادَّخر له في الآخرة من الكرامة

(٢) الخبران في التفسير ٣ : ١٥ ، ١٦ .

(١) سورة الروم ١٧

أجلٌ وأعظمٌ من أن يحيط به وصف واصف .

* * *

[أمر نمرود بن كوش بن كنعان]

وَنَرْجِعُ الْآنَ إِلَى الْخَبَرِ عَنْ عَدُوِّ اللَّهِ وَعَدُوِّ إِبْرَاهِيمَ الَّذِي كَذَّبَ بِمَا جَاءَ بِهِ ٣١٩/١
 مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ، وَرَدَّ عَلَيْهِ النَّصِيحَةَ الَّتِي نَصَحَهَا لَهُ جَهْلًا مِنْهُ ، وَاعْتِرَارًا بِحِلْمِ اللَّهِ
 تَعَالَى عَنْهُ ، نَمْرُودُ بْنُ كُوشٍ بْنُ كَنْعَانَ بْنِ حَامِ بْنِ نُوحٍ ، وَمَا آَلَ إِلَيْهِ أَمْرُهُ فِي عَاجِلِ
 دُنْيَاهُ حِينَ تَمَرَّدَ عَلَى رَبِّهِ ، مَعَ إِمْلَاءِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَتَرَكَهُ تَعْجِيلَ الْعَذَابِ لَهُ عَلَى كُفْرِهِ
 بِهِ ، وَمَحَاوَلْتِهِ إِحْرَاقَ خَلِيلِهِ بِالنَّارِ حِينَ دَعَاهُ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنَ الْآلِهَةِ وَالْأَوْثَانِ ،
 وَأَنَّ نَمْرُودَ لَمَّا تَطَاوَلَ عُسُوفُهُ وَتَمَرَّدَهُ عَلَى رَبِّهِ مَعَ إِمْلَاءِ اللَّهِ (١) اللَّهُ تَعَالَى لَهُ - فِيهَا ذِكْرٌ -
 أَرْبَعِمِائَةَ عَامٍ ، لَا تَزِيدُهُ حُجُجُ اللَّهِ الَّتِي يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْهِ ، وَعَبْرُهُ الَّتِي يُرِيهَا إِيَّاهُ
 إِلَّا نَمَادِيًّا فِي غِيَّهِ ، عَذَبَهُ اللَّهُ - فِيهَا ذِكْرٌ - فِي عَاجِلِ دُنْيَاهُ قَدْرَ إِمْلَائِهِ إِيَّاهُ مِنْ
 الْمُدَّةِ بِأَضْعَفِ خَلْقِهِ ، وَذَلِكَ بَعُوضَةٌ سُلْطَهَا عَلَيْهِ [تَوَغَّلَتْ فِي خِيَاشِيمِهِ فَمَكَثَ
 أَرْبَعِمِائَةَ سَنَةٍ يَعْذِبُ بِهَا فِي حَيَاتِهِ الدُّنْيَا] (٢) .

* * *

* ذِكْرُ الْأَخْبَارِ الْوَارِدَةِ عَنْهُ بِمَا ذَكَرْتُ مِنْ جَهْلِهِ وَمَا أَحْلَى اللَّهُ بِهِ مِنْ نَقْمَتِهِ :

حَدَّثَنِي الْحَسَنُ بْنُ يَحْيَى ، قَالَ : أَخْبَرَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا
 مَعْمَرٌ ، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ ، أَنَّ أَوَّلَ جَبَّارٍ كَانَ فِي الْأَرْضِ نَمْرُودَ ، وَكَانَ النَّاسُ
 يُخْرِجُونَ فَيَمْتَارُونَ مِنْ عِنْدِهِ الطَّعَامَ ، فَخَرَجَ إِبْرَاهِيمُ يَمْتَارُ مَعَهُ مِنْ يَمْتَارٍ ، فِإِذَا
 مَرَّ بِهِ نَاسٌ قَالَ : مَنْ رَبُّكُمْ ؟ قَالُوا : أَنْتَ ، حَتَّى مَرَّ بِهِ إِبْرَاهِيمُ ، قَالَ :
 ٣٢٠/١ مَنْ رَبُّكَ ؟ قَالَ : ﴿ رَبِّي الَّذِي يُخَيِّي وَيَمِيتُ قَالُوا أَنَا أَحِبُّي وَأَمِيتُ قَالُوا إِبْرَاهِيمُ

(٢) تَكْمِلَةٌ مِنْ أ ، ن .

(١) : « إِمْلَاءُ اللَّهِ إِيَّاهُ » .

فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴿١﴾ .
 قال : فردّده بغير طعام ، قال : فرجع إبراهيمُ إلى أهله فرمّ على كئيبٍ أعقر (٢) ،
 فقال : هلاّ أخذُ من هذا فأتّى به أهلي فتطيبَ أنفسهم حين أدخل عليهم !
 فأخذ منه ، فأتى أهله . قال : فوضع متاعه ثم نام ، فقامت امرأته إلى متاعه
 ففتحتّه فإذا هي بأجود طعام رآه أحدٌ ، فصنعت له منه ، فقرّبتّه إليهم وكان
 عهد أهله ليس عندهم طعام — فقال : من أين هذا ؟ قالت : من الطعام
 الذي جئت به ، فعلم أن الله قد رزقه ، فحميد الله .

ثم بعث الله إلى الجبار مَلَكَ : أن آمن بي وأتركك على مالك ، قال :
 فهل ربّ غيري ؟ فجاءه الثانية فقال له ذلك ، فأبى عليه ، ثم أتاه الثالثة فأبى
 عليه ، فقال له المَلَكُ : اجمع جموعك إلى ثلاثة أيام ، فجمع الجبار جموعه ،
 فأمر الله الملك ، ففتح عليهم باباً من البعوض ، فطلعت الشمس فلم يروها
 من كثرتها (٣) ، فبعثها الله عليهم ، فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ، فلم يبق
 إلا العظام ، والمَلَكُ كما هو لم يُصِبه من ذلك شيء ، فبعث الله عليه بعوضةً
 فدخلت في منخره ، فكثت أربعمئة سنة يُضرب رأسه بالمطارق ، وأرحم الناس
 به مَنْ جمع يديه ثم ضرب بهما رأسه . وكان جباراً أربعمئة عام ، فعذبه
 الله أربعمئة سنة كملكه وأمانته الله ، وهو الذي بنى صرحاً إلى السماء ،
 فأتى الله بنيانه من القواعد ، وهو الذي قال الله : ﴿ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ
 الْقَوَاعِدِ ﴾ (٤)

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
 أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن
 ابن عباس — وعن مرة عن ابن مسعود ، وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله

٣٢١/١

(١) سورة البقرة ٢٥٨ .

(٢) الكئيب الأعقر : الرمل الأحمر .

(٣) ن : « كثرتها » .

(٤) سورة النحل ٢٦ ، والخبر في التفسير ٥ : ٤٢٣ - ٤٢٤ .

عليه وسلم ، قال : أمر الذي حاج إبراهيم في ربه بإبراهيم ، فأخرج - يعني من مدينته - قال : فأخرج فلقي لوطاً على باب المدينة - وهو ابن أخيه - فدعاه فأمن به ، وقال : ﴿ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي ﴾ ^(١) ، وحلف نمرود أن يطلب إله إبراهيم ، فأخذ أربعة أفرخ من فراخ النسر ؛ فربّاهن باللحم والخمر ، حتى إذا كبرن وغلظن واستعلجن ، قرهن بتابوت ، وقعد في ذلك التابوت ، ثم رفع رجلاً من لحم هن ، فطرن به ؛ حتى إذا ذهبن في السماء أشرف ينظر إلى الأرض ، فرأى الجبال تدب كدبيب النمل ، ثم رفع هن اللحم ، ثم نظر فرأى الأرض محيطاً بها بحر كأنها فلكة في ماء ، ثم رفع طويلاً فوقع في ظلمة ؛ فلم ير ما فوقه ولم ير ما تحته ، ففرع فألقى اللحم فاتبعته منقضات ، فلما نظرت الجبال إليهن وقد أقبلن منقضاتٍ وسمعن حفيفهن فرعت الجبال ، وكادت أن تزول من أمكنتها ولم يفعلن ، وذلك قوله عز وجل : ﴿ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ^(٢) ، وهي في قراءة ابن مسعود : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ فكان طيرانهن ^(٣) به من بيت المقدس ، ووقعهن في جبل الدخان ، فلما رأى أنه لا يطيق شيئاً أخذ في بناء الصرح ، فبنى حتى إذا أسنده إلى السماء ارتقى فوقه ينظر - بزعمه - إلى إله إبراهيم ، فأحدث لم يكن يحدث ، وأخذ الله بنيانه من القواعد : ﴿ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٤) ، يقول : من آمنهم ، وأخذهم من أساس الصرح ، فتنقض [هم] ^(٥) . ثم سقط فتلبلت ألسن الناس من يومئذ من الفرع ، فتكلموا بثلاثة وسبعين لساناً ، فلذلك سميت بابل ، وإنما كان لسان الناس قبل ذلك السريانية ^(٦) .

٣٢٢/١

(١) سورة المنكوت ٢٦

(٢) سورة إبراهيم ٤٦

(٣) ١ والتفسير : « طير ورهن » ؛ وهما بمعنى .

(٤) سورة النحل ٢٦

(٥) تكلمة من ١ والتفسير .

(٦) الخبر في التفسير ١٤ : ٦٦ ، ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو داود الحفصيّ ، عن يعقوب ، عن حفص بن حميد - أو جعفر - عن سعيد بن جبير : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : نمرود صاحب النور ، أمر بتابوت فجعل وجعل معه رجلا . ثم أمر بالنور فاحتملته ، فلما صعد قال لصاحبه : أى شىء ترى ؟ قال : أرى الماء والجزيرة - يعنى الدنيا - ثم صعد وقال لصاحبه : أى شىء ترى ؟ قال : ما نزداد من السماء إلا بعداً ، قال : اهبط ، وقال غيره : تُودى : أيها الطاغية ، أين تريد ؟ فسمعت الجبال حفيف النور ، وكانت ترى أنه أمر من السماء فكادت تزول ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ (١) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن أبي عدى ، عن شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن دانييل ، أن علياً عليه السلام قال فى هذه الآية : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ ، قال : أخذ ذلك الذى حاج إبراهيم فى ربه تسريين صغيرين ، فرباهما حتى استغلظا واستعلجا فشباً ، قال : فأوثق رجل كل واحد منهما بوتر إلى تابوت ، وجوعهما وقعد هو ورجل آخر فى التابوت ، قال : ورفع فى التابوت عصاً على رأسه اللحم ، فطارا ، وجعل يقول لصاحبه : انظر ماذا ترى ؟ قال : أرى كذا وكذا ، حتى قال : أرى الدنيا كأنها ذباب ، فقال : صوب ، فصوبها ، فهبط . قال : فهو قوله عز وجل : ﴿ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ ﴾ . قال أبو إسحاق : ولذلك هى فى قراءة عبد الله : ﴿ وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ ﴾ (٢) .

فهذا ما ذكر من خبر نمرود بن كوش بن كنعان .

* * *

وقد قال جماعة : إن نمرود بن كوش بن كنعان هذا ملك مشرق الأرض ومغربها ، وهذا قول يدفعه أهل العلم بسير الملوك وأخبار الماضين ، وذلك أنهم

(١) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٦١ (بولاق) .

(٢) الخبر فى التفسير ١٣ : ١٦٠ (بولاق) .

لا يدفعون ولا ينكرون أن مولد إبراهيم كان في عهد الضحاك بن أندرماسب الذى قد ذكرنا بعض أخباره فيما مضى ، وأن ملك شرق الأرض وغربها يومئذ كان الضحاك . وقد قال بعض من أشكل عليه أمر نمرود من عرف زمان الضحاك وأسبابه فلم يدر كيف الأمر في ذلك مع سماعه ما انتهى إليه من الأخبار عن روى عنه أنه قال : ملك الأرض كافران ومؤمنان ، فأما الكافران فنمرود وبختنصر ، وأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين . وقول القائلين من أهل الأخبار إن الضحاك كان هو ملك شرق الأرض وغربها في ٣٢٤/١ عهد إبراهيم نمرود : هو ^(١) الضحاك . وليس الأمر في ذلك عند أهل العلم بأخبار ^(٢) الأوائل ، والمعرفة بالأمور السوالف ، كالذى ظن ، لأن نسب نمرود في النسب معروف ، ونسب الضحاك في عجم الفرس مشهور ، ولكن ذوى العلم بأخبار الماضين وأهل المعرفة بأمور السالفين من الأمم ذكروا أن الضحاك كان ضم إلى نمرود السواد وما اتصل به يمنة ويسرة ، وجعله وولده عماله على ذلك ، وكان هو يتنقل ^(٣) في البلاد ، وكان وطنه الذى هو وطنه ووطن أجداده ^(٤) دُنْبَاوند ، من جبال طبرستان ، وهنالك روى به أفريدون حين ظفر به وقهره موثقاً بالحديد . وكذلك بختنصر كان أصهبذ ما بين الأهواز إلى أرض الروم من غربي دجلة من قبل هُراسب ، وذلك أن هُراسب كان مشتغلاً بقتال الترك ، مقيماً بإزائهم ببلخ ، وهو بتناها - فيما قيل - لما تطاول مكثه هنالك لحرب الترك ، فظن من لم يكن عالماً بأمور القوم بتطاول مدة ولايتهم أمر الناحية لمن ولوا له أهم كانوا هم الملوك . ولم يدع أحد من أهل العلم بأمور الأوائل وأخبار الملوك الماضية وأيام الناس فيما نعلمه أن أحداً من النسب كان ملكاً برأسه على شبر من الأرض ، فكيف يملك شرق الأرض وغربها ! ولكن العلماء من أهل الكتاب وأهل المعرفة بأخبار الماضين ومن قد عانى النظر في كتب التواريخ ، يزعمون أن ولاية نمرود لإقليم بابل من قبل الازدهارق بيوراسب دامت أربعمائة سنة ، ثم لرجل من نسله من بعد هلاك نمرود ، يقال ٣٢٥/١

(١) ر : « هو » . (٢) ط : « بالأخبار » ، وما أثبتته عن ا ، ر ، ن .

(٣) كذا في ا ، وفى ط : « يتنقل » . (٤) ن : « أولاده » .

له نَبَطَ بن قعود مائة سنة ، ثم لداوص^(١) بن نبط من بعد نبط ثمانين سنة ، ثم من بعد داوص بن نبط لبالش بن داوص مائة وعشرين سنة ، ثم لنمرود بن بالش من بعد بالش سنة وأشهرًا . فذلك سبعمائة سنة وسنة وأشهر ، وذلك كله في أيام الضحاك ، فلما ملك أفريدون وقهر الازدهاق قتل نمرود بن بالش وشرّد النَّبَطَ وطردهم ، وقتل منهم مقتلة عظيمة ، لما كان منهم من معاونتهم بيوراسب على أموره ، وعمل نمرود وولده له .

وقد زعم بعض أهل العلم أن بيوراسب قد كان قبل هلاكه تنكّر لهم .
وتغيّر عما كان لهم عليه .

* * *

[ذكر لوط بن هاران وقومه]

ونعود الآن إلى ذكر الخبر عن بقية الأحداث التي كانت في أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

وكان من الكائن أيام حياته من ذلك ما كان من أمر لوط بن هاران ابن تارخ ، ابن أخى إبراهيم عليهما السلام وأمر قومه من سدّوم . وكان من أمره فيما ذكر أنه شخص من أرض بابل مع عمّه إبراهيم خليل الرحمن ، مؤمنًا به ، متبعًا له على دينه ، مهاجرًا إلى الشام ، ومعهما سارة بنت ناحور . وبعضهم يقول : هي سارة بنت هيبال^(٢) بن ناحور . وشخص معهم - فيما

قيل - تارخ أبو إبراهيم مخالفًا لإبراهيم في دينه ، مقيمًا على كفره حتى صاروا إلى حرّان ، فمات تارخ وهو [آزر]^(٣) أبو إبراهيم بحرّان على كفره وشخص إبراهيم ولوط وسارة إلى الشام ، ثم مضوا إلى مصر ، فوجدوا بها فرعونًا من فراعنتها ، ذكر أنه كان سنان بن علوان بن عبيد بن عويج^(٤) بن عملاق بن لاوذ^(٥) ابن سام بن نوح . وقد قيل إن فرعون مصر يومئذ كان أخًا للضحاك ، كان

٣٢٦/١

(١) ن : « ولداوص » ر « ولداوص » .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « هنال » .

(٣) تكلمة من أ .

(٤) ر : « عوج » .

(٥) ب : « لاوى » .

الضحك وجهه إليها عاملاً عليها من قبله - وقد ذكرتُ بعض قصته مع إبراهيم فيما مضى قبل - ثم رجعوا عوداً على بلدتهم إلى الشام. وذكر أن إبراهيم نزل فلسطين، وأنزل ابن أخيه لوطاً الأردن، وأن الله تعالى أرسل لوطاً إلى أهل سدوم، وكانوا أهل كفر بالله وركوب فاحشة، كما أخبر الله عن قوم لوط: ﴿ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ • أُنْتُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقَاطِعُونَ السَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ (١).

* * *

وكان قطعهم السبيل - فما ذكر - إتيانهم (٢) الفاحشة إلى من ورد بلدهم.

* ذكر من قال ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله تعالى: ﴿ وَتَقَطُّعُونَ السَّبِيلَ ﴾ ، قال : السبيل طريقُ المسافر إذا مرَّ بهم ، وهو ابن السبيل قطعوا به وعملوا به ذلك العمل الخبيث .

* * *

وأما إتيانهم ما كانوا يأتونه من المنكر في ناديهم ، فإن أهل العلم اختلفوا

٣٢٧/١

فيه ، فقال بعضهم : كانوا يحذفون من مرَّ بهم .

وقال بعضهم : كانوا يتضارطون في مجالسهم .

وقال بعضهم : كان بعضهم ينكح بعضاً فيها .

* ذكر من قال كانوا يحذفون من مرَّ بهم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يحيى بن واضح ، قال : حدثنا عمر

ابن أبي زائدة ، قال : سمعتُ عكرمة يقول في قوله: ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ،

قال : كانوا يؤذون أهل الطريق ، يحذفون من مرَّ بهم (٣) .

(١) سورة العنكبوت ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) ب : « اتباعهم » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٣ (بولاق)

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن عمر بن أبي زائدة^(١) ، قال : سمعت
عكرمة ، قال : الحذف .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا
أسباط ، عن السديّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن
عباس - وعن مرة الهمدانيّ عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا كلّ من
مرّ بهم حذفوه ، وهو المنكر .

* ذكر من قال : كانوا يتضارطون في مجالسهم :

حدثني عبد الرحمن بن الأسود الطفاويّ ، قال : حدثنا محمد بن ربيعة ،
قال : حدثنا رَوْحُ بن غُطَيْفِ الثَّقَفِيّ ، عن عمرو بن مُصْعَبٍ ، عن عُرْوَةَ
ابن الزبير ، عن عائشة في قوله تعالى : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قالت :
الضراط .

* ذكر من قال كان يأتي بعضهم بعضاً في مجالسهم :

٣٢٨/١

حدثنا ابن وكيع وابن حميد ، قالا : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن
مجاهد في قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان بعضهم يأتي بعضاً
في مجالسهم .

حدثنا سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا ثابت بن محمد الليثي ، قال :
حدثنا فضيل بن عياض ، عن منصور بن المعتمر ، عن مجاهد في قوله :
﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كان يجامع بعضهم بعضاً في المجالس .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام ، عن عمرو ، عن منصور ،
عن مجاهد مثله .

(١) ط : « عمران بن زيد » ، والصواب ما أثبتته من أ .

(٢) كذا في أ ، وفي ط : « الظفاري » ، وانظر تهذيب التهذيب ٦ : ١٤٠ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يجامعون الرجال في مجالسهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : المجالس ، والمنكر إتيانهم الرجال .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ ، قال : كانوا يأتون الفاحشة في ناديهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ ﴾ قال : ناديهم المجالس ، والمنكر عملهم الخبيث الذي كانوا يعملونه ، كانوا يعترضون الراكب فيأخذونه فيركبونه ، وقرأ : ﴿ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴾ ^(١) وقرأ : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) .

٣٢٩/١

وقد حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا إسماعيل بن علية ، عن ابن أبي نجيح ، عن عمرو بن دينار : قوله : ﴿ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴾ ، ما نرا ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط .

* * *

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك عندي قول من قال : عني بالمنكر الذي كانوا يأتونه في ناديهم في هذا الموضع حذفهم من مر بهم وسخرتهم منه ، للخبر الوارد بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذي حدثناه أبو كريب وابن وكيع ، قالوا : حدثنا أبو أسامة ، عن حاتم بن أبي صغيرة ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح مولى أم هانئ ، عن أم هانئ

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحدفون أهل الطريق ويسخرون منهم ، وهو المنكر الذي كانوا يأتونه (١)

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : حدثنا سليمان بن حيان ، قال : أخبرنا أبو يونس القشيري ، عن سماك بن حرب ، عن أبي صالح ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن قوله : ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، قال : كانوا يحدفون أهل الطريق ويسخرون منهم ٢٣٠/١

حدثنا الربيع بن سليمان ، قال : حدثنا أسد بن موسى ، قال : حدثنا سعيد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثنا سماك بن حرب ، عن باذام أبي صالح ، مولى أم هانئ ، عن أم هانئ ، قالت : سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ﴾ ، فقال : كانوا يجلسون بالطريق فيحدفون أبناء السبيل ويسخرون منهم ، فكان لوط عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله ، وينهاهم بأمر الله إياه عن الأمور التي كرهها الله تعالى لهم من قطع السبيل وركوب الفواحش وإتيان الذكور في الأدبار ، ويتوعدهم - على إصرارهم على ما كانوا عليه مقيمين من ذلك وتركهم التوبة منه - العذاب الأليم فلا يزجرهم عن ذلك وعيده ولا يزيدهم وعظه إلا تمادياً وعتواً واستعجالاً لعذاب الله ، إنكاراً منهم وعيده ، ويقولون له : ﴿اِئْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (٢) ، حتى سأل لوط ربه عز وجل النصر عليهم لما تناول عليه أمره وأمرهم وتمادهم في غيهم ، فبعث الله عز وجل لما أراد خزيهم وهلاكهم ونصرة رسوله لوط عليهم جبرئيل عليه السلام وملاكين آخرين معه .

وقد قيل : إن الملكين الآخرين كان أحدهما ميكائيل والآخر إسرافيل

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٩٢ (بولاق) ، وفيه : « يأتون » .

(٢) سورة المكنوت ٢٩ .

فأقبلوا - فيما ذكر - مُشاةً في صورة رجال شباب .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السُّدِّي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : بعث الله الملائكة لتُهْلِكَ قومَ لوط ، فأقبلت (١) تمشي في صورة رجال شباب ؛ حتى نزلوا على إبراهيم فتضيّفوه ، فكان من أمرهم وأمر إبراهيم ما قد مضى ذكرنا إياه في خبر إبراهيم وسارة . فلما ذهب عن إبراهيم الروح جاءتُه البشري ، وأطلعتَه الرسل على ما جاءوا له ، وأنّ الله أرسلهم لهلاك قوم لوط ناظرهم إبراهيم وحاجّهم في ذلك كما أخبر الله عنه [فقال] : (٢)

﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ . (٤)

وكان جداله إياهم في ذلك - فيما بلغنا - ما حدثنا به ابن حميد ، قال :

حدثنا يعقوب القمي ، قال : حدثنا جعفر ، عن سعيد ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ قال : لما جاءه جبرئيل ومن معه ، قالوا لإبراهيم : ﴿ إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ (٥) . قال لهم إبراهيم : أتُهْلِكُون قريةً فيها

أربعمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها ثلثمائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها مائة مؤمن ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعون مؤمناً ؟ قالوا : لا ، قال : أفتهلكون قريةً فيها أربعة عشر مؤمناً ؟ قالوا : لا ، وكان إبراهيم يعدّهم أربعة عشر بامرأة لوط ، فسكت عنهم ، واطمأنت نفسه .

(١) في جميع الأصول : « أقبلت » .

(٢) ط : « فأطلعتَه » ، وما أثبتته من ا .

(٣) من ا .

(٤) سورة هود ٧٤

(٥) سورة العنكبوت ٣١

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا الحِمَاطِيُّ ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : قال الملك لإبراهيم : إن كان فيها خمسة يصلُّون رُفِعَ عنهم العذاب .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ﴾ قال : بلغنا أنه قال لهم يومئذ : أرايتم إن كان فيهم خمسون من المسلمين ؟ قالوا : إن^(١) كان فيهم خمسون لن نعدِّبهم^(٢) ، قال : وأربعون ؟ قالوا : وأربعون ، قال : وثلاثون ؟ قالوا : وثلاثون ، حتى بلغ عشرة ، قالوا : وإن كانوا عشرة ؟ قال : ما من قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير ، فلما علم إبراهيم حال قوم لوط يخبر الرسل قال للرسل : ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾^(٣) إشفاقاً منه عليه ، فقالت الرسل : ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهٗ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَائِبِينَ﴾^(٤) .

* * *

ثم مضت رسلُ الله نحو أهل سدوم ، قرية قوم لوط ، فلما انتهوا إليها ذُكِرَ أنهم لَقُوا لوطاً في أرض له يعمل فيها ، وقيل إنهم لَقُوا عند نهرها ابنة لوط تستقي الماء .

* ذكر من قال لقوا لوطاً :

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حذيفة أنه لما جاءت الرسل لوطاً أتوه وهو في أرض له يعمل فيها ، وقد قيل لهم - والله أعلم : لا تُهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط ، قال : فأتوه فقالوا : إنا مُضَيَّفوك^(٤) الليلة . فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت فقال : أما تعلمون ما يعمل أهل هذه القرية ؟ والله ما أعلم على ظهر

٣٣٣/١

(١) في ط : « وإن » ، وما أثبتته عن ا .

(٢) ب ، ن : « يعذبهم » .

(٣) سورة النكيت ٣٢

(٤) كذا في ا ، ب ، وفي ر : « نتضيفك » ، وفي ط : « متضيفوك » .

الأرض (١) أناساً (٢) أحبّتهم . قال : ففضى معهم ثم قال الثانية مثل ما قال ، فانطلق بهم ، فلما بصرت بهم عجوز السوء امرأته انطلقت فأندرتهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائي ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : أتت الملائكة لوطاً وهو في مزرعة له ، وقال الله تعالى للملائكة : إن شهد لوط عليهم أربع شهادات ، فقد أذنت لكم في هلاكهم (٣) ، فقالوا : يا لوط ، إنا نريد أن نضيّفك الليلة ، قال : وما بلغكم (٤) أمرهم ؟ قالوا : وما أمرهم ؟ فقال : أشهد بالله أنها لشرقية في الأرض عملاً ، يقول ذلك أربع مرّات ، فشهد عليهم لوط أربع شهادات ، فدخلوا معه منزله .

• ذكر من قال إنما لقيت الرسل أول ما لقيت حين دنت

من سدوم ابنة لوط دون لوط (٥) :

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا

أسباط ، عن السدي في خبر ذكره عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن

ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي ٣٣٤/١

صلى الله عليه وسلم ، قال : لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم نحو قرية لوط ،

فأتوها نصف النهار ، فلما بلغوا نهر سدوم لقوا ابنة لوط تستقي من الماء

لأهلها - وكانت له ابنتان : اسم الكبرى ريثا واسم الصغرى (٦) رعزيا (٧) - فقالوا

(١) ر : « وجه الأرض » ، ب : « ظهر هذه الأرض » .

(٢) ن : « أحداً » .

(٣) كذا في ا ، ر ، وفي ط : « مهلكتهم » ، ن : « هلاكهم » .

(٤) ابن الأثير : « أو ما بلغكم » .

(٥) ن : « قبل » .

(٦) ب ، ر : « والصغرى » .

(٧) كذا في ا ، ب ، وفي ن : « رعزنا » ، وفي ر : « دعريا » ، وفي ط من غير نقط .

لها : يا جارية ، هل من منزل ؟ قالت : نعم ، فكانتكم لا تدخلوا حتى آتيتكم ؛ فرقت^(١) عليهم من قومها ، فأنت أباهما ، فقالت : يا أبتاه ، أراذك فتیان على باب المدينة ، ما رأيت وجوه^(٢) قوم هي أحسن منهم ، لا يأخذهم قومك فيفضحهم - وقد كان قومه نهوه أن يُضَيَّفَ رجلا - فقالوا له : خَلَّ عَنَا فلنضف الرجال ، فجاء بهم فلم يعلم أحد إلا أهل بيت لوط ، فخرجت امرأته فأخبرت قومها فقالت : إن في بيت لوط رجلا ما رأيت مثلهم ومثل وجوههم حسنا قط ، فجاءه قومه يهرعون إليه .

قال أبو جعفر : فلما أتوه قال لهم لوط : يا قوم اتقوا الله ﴿ ولا تخزون في ضيقي أليس منكم رجل رشيد ﴾^(٣) ؛ هؤلاء بناتي هنَّ أظهرُ لكم مما تريدون . فقالوا له : أو لم نهنك أن تضَيِّفَ الرجال ! لقد علمت ما لنا في بناتك من حق ، وإنك لتعلم ما نريد ! فلما لم يقبلوا منه شيئا مما عرضه عليهم قال : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾^(٤) . يقول عليه السلام : لو أن لي أنصاراً ينصرونني عليكم أو عشيرة تمنعني منكم ، لحللت بينكم وبين ما جئتم تريدونه من أضيافي !

٣٣٥/١

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا اسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : قال لوط لهم : ﴿ لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد ﴾ ، فوجد عليه الرسل وقالوا : إن ركنك لشديد . فلما يشس^(٥) لوط من إجابتهم إياه إلى شيء مما دعاهم إليه وضاق بهم ذرعاً ، قالت الرسل له حينئذ : ﴿ يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسرِّ بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا أمرأتك

(١) ابن الأثير ١ : ٧٩ : « خافت » .

(٢) ابن الأثير : « ما رأيت أصبح وجوها منهم » .

(٣) سورة هود ٧٨

(٤) سورة هود ٨٠

(٥) ر : « أيس » .

إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ ﴿١﴾ ، فذكر أن لوطاً لما علم أن أضيافه رسل الله ،
وأنها أرسلت بهلاك قومه قال لهم : أهلكوهم الساعة .
* ذكر من روى ذلك عنه أنه قاله من أهل العلم :

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال :
مضت الرسل من عند إبراهيم إلى لوط ، فلما أتوا لوطاً وكان من أمرهم ما ذكر
الله قال جبرئيل للوط : يا لوط ، إنا مهلكو أهل هذه القرية ، إن أهلها
كانوا ظالمين . فقال لهم لوط : أهلكوهم الساعة ، فقال جبرئيل عليه السلام :
﴿ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ﴿١﴾ فأنزلت على لوط : ﴿ أَلَيْسَ
الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴾ ﴿١﴾ .

قال : وأمره أن يسرى بأهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد
إلا امرأته ، قال : فسار فلما كانت الساعة (٢) التي أهلكوا فيها أدخل
جبرئيل جناحه في أرضهم فقلعها ورفعها حتى سمع أهل السماء صياح الديكة ،
ونُبَّأح الكلاب ، فجعل عاليها سافلها ، وأمطر عليهم حجارة من سجيل ،
قال : وسمعت امرأة لوط الهدية فقالت : وا قوماه ! فأدرکها حجر فقتلها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب ، عن حفص بن حميد ، عن
شمس بن عطية ، قال : كان لوط أخذ على امرأته ألا تذيع شيئاً من سرِّ
أضيافه ، قال : فلما دخل عليه جبرئيل ومن معه ورأتهم في صورة لم تر
مثلها قط انطلقت تسعى إلى قومها ، فأتت النادی فقالت بيدها هكذا ،
فأقبلوا يهرعون مشياً بين الهرولة والجمز ، فلما انتهوا إلى لوط قال لهم لوط ما قال
الله تعالى في كتابه . قال جبرئيل : يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ،
قال : فقال بيده ، فطمس أعينهم ، قال : فجعلوا يطلبونهم ، يلتمسون (٣) الحيطان
وهم لا يبصرون (٤) .

(١) سورة هود ٨١ .

(٢) ب : « الليلة » . ن : « كان في الساعة » .

(٣) كذا في ا ، ب ؛ وفي ط : « يطلبون يلتمسون » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ (بولاق) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، عن حُدَيْفَةَ ، قال : لما بصرت بهم - يعنى بالرسل - عجزوا السوء ، امرأته ، انطلقت فأندرتهم فقالت : قد تضيف لوطاً قومٌ ما رأيت قوماً أحسنَ منهم وجوهاً - قال : ولا أعلمه إلا قالت : وأشدّ بياضاً وأطيب ريحاً منهم - قال : فأتوه ﴿يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾^(١) ، كما قال الله عز وجل ، فأصفيق^(٢) لوط الباب . ٣٣٧/١

قال : فجعلوا يعالجونه ، قال : فاستأذن جبرئيل ربه عز وجل في عقوبتهم ، فأذن له ، فصفقهم بجناحه ، فتركهم عمياناً يترددون في أخبث ليلة أتت عليهم قطاً ، فأخبروه إنا رسل ربك ، فأسرّ بأهلك بقطع من الليل ، قال : ولقد ذكر لنا أنه كانت مع لوط حين خرج من القرية امرأته ، ثم سمعت الصوت فالتفتت ، فأرسل الله تعالى عليها حجراً فأهلكها^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا الحكم بن بشير ، قال : حدثنا عمرو ابن قيس الملائى ، عن سعيد بن بشير ، عن قتادة ، قال : انطلقت امرأته - يعنى امرأة لوط - حين رأتهم - يعنى حين رأت الرسل - إلى قومها فقالت : إنه قد ضافه الليلة قوم ما رأيت مثلهم قطاً أحسن وجوهاً ، ولا أطيب ريحاً . فجاءوا يهرعون إليه فبادرهم لوط إلى أن يزحمهم على الباب فقال : ﴿هُوَ لَأَءَبْنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾^(٤) ، فقالوا : ﴿أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٥) ، فدخلوا على الملائكة فتناولتهم الملائكة ، فطمست أعينهم فقالوا : يَا لُوطُ جِئْتَنَا بِقَوْمٍ سَحَرَةٍ ؛ سحرونا كما أنت حتى نصبح . قال : فاحتمل جبرئيل قريات لوط الأربع ، في كل قرية مائة ألف ، فرفعهم على جناحه بين السماء والأرض حتى سمع أهل السماء الدنيا أصوات ديكتهم ثم قلبهم ، فجعل الله عاليها سافلها^(٦) . ٣٣٨/١

(١) سورة هود ٧٨ .

(٢) أصفيق الباب : أغلقه .

(٣) ر : « قتلها » ، والخبر في التفسير ١٢ : ٥٤ - ٥٥ (بولاق) .

(٤) سورة الحجر ٧١ .

(٥) سورة الحجر ٧٠ .

(٦) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور . وحدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، جميعاً عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال حذيفة : لما دخلوا عليه ذهبت عجزه ، عجزو السوء ، فأنت قومها فقالت : قد تضيّف لوطاً [الليلة] (١) قوم ما رأيت قوماً قط أحسن وجوهاً منهم ، قال : فجاءوا يهرعون إليه ، فقام ملكٌ فلزّ الباب - يقول : فسده - فاستأذن جبرئيل في عقوبتهم ، فأذن له ، فصر بهم (٢) جبرئيل يجناحه ، فتركهم عمياناً ، فباتوا بشرّ ليلة ، ثم قالوا : إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ، فأسر بأهلك بقطع من الليل ، ولا يلتفت منكم أحدٌ إلا امرأتك ، قال : فبلغنا أنها سمعت صوتاً ، فالتفت فأصابها حجر وهى شاذة من القوم معلوم مكانها (٣) .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه : لما قال لوط : ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةٌ أَوْ آوَى إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ ، بسط حينئذ جبرئيل جناحه ففقا أعينهم ، وخرجوا يدوس بعضهم في آثار بعض عمياناً ، يقولون : النجاء النجاء ! فإن في بيت لوط أسحر قوم في الأرض ؛ فذلك قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾ (٤)

٣٣٩/١

وقالوا للوط : ﴿إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ ، يقول : سر بهم فامضوا حيث تؤمرون ، فأخرجهم الله تعالى إلى الشام . وقال لوط : أهلكوهم الساعة ، فقالوا : إنا لم نؤمر إلا بالصبح ، أليس الصبح بقريب ! فلما أن كان السحر خرج لوط وأهله معه إلا امرأته ، وذلك قوله تعالى : ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾ (٥) .

(١) من التفسير . (٢) ط : « فصفقهم فصر بهم » ، وما أثبتته من ا ، والتفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق)

(٤) سورة القمر ٣٧ . (٥) سورة القمر ٣٤ .

حدثنا المثني، قال : أخبرنا إسحاق، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم، قال : حدثني عبد الصمد أنه سمع وهب بن مُنَبِّه يقول : كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قومَ سوء قد استغنوا عن النساء بالرجال ، فلما رأى الله ذلك منهم بعث الملائكة ليعذبوهم ، فأتوا إبراهيم ، فكان من أمره وأمرهم ما ذكره الله تعالى في كتابه ، فلما بشروا سارة بالولد قاموا ، وقام معهم إبراهيم يمشي ، فقال : أخبروني لمَ بعثتم ؟ وما خطبكم ؟ قالوا : إنا أرسلنا إلى قوم سدوم لندمهم فإينهم قوم سوء ، قد استغنوا بالرجال عن النساء . قال إبراهيم : أرايتم إن كان فيهم خمسون رجلاً صالحاً ؟ قالوا : إذاً لا نعدبهم ، فلم يزل [ينقص] (١) حتى قال أهل البيت ، قالوا : فإن كان فيهم بيت صالح ، قال : فلوط وأهل بيته ، قالوا : إن امرأته هواها معهم ، فلما ينس إبراهيم انصرف ومضوا إلى أهل سدوم فدخلوا على لوط ، فلما رأته امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم ، فأرسلت إلى أهل القرية أنه قد نزل بنا قومٌ لم نر قوماً قط أحسن منهم ولا أجمل ؛ فتسامعوا بذلك ، فغشوا دار لوط من كل ناحية ، وتسوروا عليهم الجدران (٢) ، فلقيتهم لوط فقال : يا قوم لا تفضحون في ضيفي وأنا أزوجهم بناتي فهن أطهر لكم . فقالوا : لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن ، فقال : لو أن لي بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد . فوجد عليه الرسل فقالوا : إن ركنك لشديد ، وإنيهم آتيهم عذاب غير مردود ، فسمح أحدهم أعينهم بجناحه ، فطمس أبصارهم ، فقالوا : سحرنا ، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه ، فكان من أمرهم ما قد قصص الله تعالى في القرآن ، فأدخل ميكائيل وهو صاحب العذاب جناحيه حتى بلغ أسفل الأرضين ، فقلبها فنزلت حجارة من السماء ، ففتتبع من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا فأهلكهم الله ، ونجى لوطاً وأهله إلا امرأته . (٣)

حدثنا أبو كريب، قال : حدثنا جابر بن نوح، قال : حدثنا الأعمش، عن مجاهد، قال : أخذ جبرئيل قوم لوط من سرّحهم ودورهم، حملهم بمواشيهم وأمتعتهم ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ثم كفأها .

(١) من والتفسير .

(٢) ط ، ١ : « الجدارات » ، وما أثبتته من التفسير .

(٣) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٥ (بولاق) .

وحدثنا أبو كريب مرة أخرى ، عن مجاهد ، فقال : أدخل جبرئيل جناحيه ^(١) تحت الأرض السفلى من قوم لوط ، ثم أخذهم بالجناح الأيمن ، وأخذهم من سرعهم ومواشيهم ثم رفعها .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان يقول : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا ﴾ ^(٢) ، قال : لما أصبحوا غدا جبرئيل على قريتهم ففتقها من أركانها ثم أدخل جناحيه ^(١) ، ثم حملها على خوافي جناحيه ^(٣) .

٣٤١/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، قال : وحدثني هذا ابن أبي نجيح ، عن إبراهيم بن أبي بكر ، قال : ولم يسمعه ابن أبي نجيح من مجاهد قال : فحملها على خوافي جناحيه ^(٤) بما فيها ، ثم صعد بها إلى السماء حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم ، ثم قلبتها ، فكان أول ما سقط منها شرافها ، فذلك قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ ﴾ ^(٥)

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : بلغنا أن جبرئيل عليه السلام أخذ بعروة القرية الوسطى ثم ألوى بها إلى السماء ، حتى سمع أهل السماء ضواغى ^(٦) كلابهم ، ثم دمر بعضها على بعض ، فجعل عاليها سافلها ، ثم أتبعتهم ^(٧) الحجارة . قال قتادة : وبلغنا أنهم كانوا أربعة آلاف ألف .

٣٤٢/١

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن

(١) ط : « جناحه » ، وما أثبتته من أ . (٢) سورة هود ٨٢ .
 (٣) أ : « ثم حملها في جناحيه » . (٤) ط : « جناحه » ، وما أثبتته من أ .
 (٥) سورة الحجر ٧٤ . (٦) ضواغى الكلاب : نباحها .
 (٧) أ : « تبعهم » .

قتادة ، قال : وذكر لنا أن جبرئيل أخذ بعروتها الوسطى ، ثم ألوى بها إلى جو السماء حتى سمعت الملائكة ضواغى كلابهم ثم دمر بعضها على بعض ، ثم أتبع شدان^(١) القوم صخراً ، قال : وهي ثلاث قرى يقال لها سدوم ، وهي بين المدينة والشأم ، قال : وذكر لنا أنه كان فيها أربعة آلاف ألف ، قال : وذكر لنا أن إبراهيم كان يُشرف ثم يقول : سدوم يوماً هالك .

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ بالإسناد الذي قد ذكرناه : لما أصبحوا - يعني قوم لوط - نزل جبرئيل عليه السلام واقتلع الأرض من سبع أرضين ، فحملها حتى بلغ بها السماء الدنيا ، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم ، ثم قلبها فقتلهم ، فذلك حين يقول : ﴿وَالْمَوْتَفِكَةَ أَهْوَى﴾^(٢) ، المتقلبة حين أهوى بها جبرئيل عليه السلام الأرض فاقتلعها بجناحيه ، فن لم يمت حين أسقط^(٣) الأرض أمطر الله تعالى عليه وهو تحت الأرض الحجارة ، ومن كان منهم شاذاً في الأرض ، وهو قول الله تعالى : ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، ثم تتبعهم في القرى ، فكان الرجل يتحدث فيأتيه الحجر فيقتله ، فذلك قوله تعالى : ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾^(٤) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : حدثني محمد بن كعب القرظي ، قال : حدثت أن الله تعالى بعث جبرئيل إلى الموتفكة (قرية قوم لوط التي كان لوط فيهم) ، فاحتملها بجناحيه ثم أصعد^(٥) بها حتى إن أهل السماء^(٦) الدنيا ليسمعون^(٧) نباح كلابها وأصوات دجاجها ، ثم كفأها على وجهها ثم أتبعها الله عز وجل بالحجارة ، يقول الله تعالى :

٣٤٣/١

(١) شدان القوم : المتفرقون منهم . (٢) سورة النجم ٥٣ .

(٣) في الأصول «سقط» وما أثبتته من التفسير .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٩ بولاق

(٥) كذا في ا ، ن ، وفي ط : «صعد» .

(٦) ساقطة من ا وفي ن : «أهل سماء الدنيا» .

(٧) ط : «يسمعون» وما أثبتته من ا والتفسير .

﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ﴾ ، فأهلكها الله تعالى وما حولها من المؤتفكات ، وكُنَّ خمس قريات : صبعة^(١) ، وصعرة^(٢) ، وعمرة^(٣) ، ودوما^(٤) ؛ وسدوم هي القرية العظمى ، ونجى الله تعالى لوطاً ومن معه من أهله ، إلا امرأته كانت فيمن هلك^(٥) .

(١) ن : « صبعة »

(٢) ن : صعوة .

(٣) ب : « عمرة » .

(٤) ب : « وربما » .

(٥) الخبر في التفسير ١٢ : ٥٦ (بولاق) .

ذكر وفاة سارة بنت هاران، وهاجر أم إسماعيل وذكر

أزواج إبراهيم عليه السلام وولده

قد ذكرنا فيما مضى قبل ما قيل في مقدار عمر سارة أم إسحاق؛ فأما موضع وفاتها فإنه لا يدفع أهل العلم من العرب والعجم أنها كانت بالشام .

وقيل : إنها ماتت بقرية الجبابرة من أرض كنعان في حبرون، فدفنت في مزرعة اشراها إبراهيم . وقيل إن هاجر عاشت بعد سارة مدة .

فأما الخبر فبغير ذلك ورد . حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل .

ثم إن إبراهيم اشتاق إلى إسماعيل ، فقال لسارة : ائذني لي أنطلق إلى ابني فأنظر إليه ، فأخذت عليه عهداً ألا ينزل حتى يأتيها ، فركب البراق ، ثم أقبل وقد ماتت أم إسماعيل ، وتزوج إسماعيل امرأة من جرهم .

٣٤٤/١

وإن إبراهيم عليه السلام كثر ماله ومواشيه . وكان سبب ذلك فيما حدثنا به موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي بالإسناد الذي قد ذكرناه قبل ، أن إبراهيم عليه السلام احتاج - وقد كان له صديق يعطيه^(١) ويأتيه - فقالت له سارة : لو أتيت خلعتك^(٢) فأصبت لنا منه طعاماً ! فركب حماراً له ، ثم أتاه ، فلما أتاه تغيب منه ، واستحياً إبراهيم أن يرجع إلى أهله خائباً ، فمرّ على بطحاء ، فلأ منها خرجه ، ثم أرسل الحمار إلى أهله ، فأقبل الحمار وعليه حنطة جيدة ، ونام إبراهيم عليه السلام فاستيقظ ، وجاء إلى أهله ، فوجد سارة قد جعلت له طعاماً ، فقالت : ألا تأكل ؟ فقال : وهل من شيء ؟ فقالت : نعم من الحنطة التي جئت بها من عند خليلك ، فقال : صدقت

(١) ر : « يقرضه » . (٢) ط : « خليلك » ؛ وهما سواء .

من عند خليلي جثت بها ، فزرعها فنبتت له ، وزكا زرعه وهلكت زروع الناس ؛ فكان أصلُ ماله منها ، فكان الناس يأتونه فيسألونه فيقول : مَنْ قال : لا إله إلا الله فليدخل فليأخذ ؛ فمنهم من قال فأخذ ، ومنهم من أبي فرجع ، وذلك قوله تعالى : ﴿ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴾^(١). فلما كثر مالُ إبراهيم ومواشيه احتاج إلى السعة في

المسكن والمرعى ، وكان مسكنه ما بين قرية^(٢) مدين - فيما قيل - والحجاز ٣٤٥/١ إلى أرض الشام ، وكان ابن أخيه لوط نازلا معه ، فقسام^(٣) ماله لوطا ، فأعطى لوطا شطره فيما قيل ، وخيره مسكنا يسكنه ومنزلا يتزله غير المنزل الذي هو به نازل ، فاختر لوط ناحية الأردن فصار إليها ، وأقام إبراهيم عليه السلام بمكانه ، فصار ذلك فيما قيل سببا لآثاره بمكة وإسكانه إياها لإسماعيل ، وكان ربما دخل أمصار الشام .

ولما ماتت سارة بنت هاران زوجة إبراهيم تزوج إبراهيم بعدها - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - قطورا بنت يقطن ؛ امرأة من الكنعانيين ، فولدت له ستة نفر: يقسان^(٤) بن إبراهيم ، وزمران بن إبراهيم ؛ ومديان بن إبراهيم ، ويسبق بن إبراهيم ، وسوح بن إبراهيم ، وبسر بن إبراهيم ، فكان جميع بني إبراهيم ثمانية بإسماعيل وإسحاق ، وكان إسماعيل يكره أكبر ولده . قال : فنكح يقسان بن إبراهيم رعوة بنت زمر بن يقطن بن لوزان بن جرهم بن يقطن بن عابر ، فولدت له البربر وليفتها . وولد زمران بن إبراهيم المزامر الذين لا يعقلون^(٥) . وولد لمديان أهل مدين قوم شعيب بن ميكائيل النبي ، فهو وقومه من ولده بعثه الله عز وجل إليهم نبيا .

٣٤٦/١

حدثني الحارث بن محمد ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا

(١) سورة النساء ٥٥

(٢) كذا في ا ، ر وفي ط : « برية » .

(٣) ب : « فاقسم » . ن : « وقاسم » .

(٤) ا : يقشان ، ن وابن الأثير : « نفسان » .

(٥) كذا في ا ، ر ، وفي ط : « يعلمون » .

هشام بن محمد بن السائب، عن أبيه، قال : كان أبو إبراهيم من أهل حران ، فأصابته سنة من السنين ، فأتى هُرْمَزْ جرد بالأهواز ، ومعه امرأته أم إبراهيم ، واسمها توتا^(١) بنت كرينا^(٢) بن كوئي ، من بني أرفخشذ بن سام بن نوح .

وحدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا محمد بن عمر الأسلمي عن غير واحد من أهل العلم قال : اسمها أمموتا من ولد أفرام بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالغ بن أرفخشذ بن سام بن نوح . وكان بعضهم يقول : اسمها امتلى بنت يكفور^(٣) .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : أخبرنا هشام بن محمد ، عن أبيه ؛ قال : نهر كُوَيْ كَرَاه كرينا جد إبراهيم من قبل أمه ، وكان أبوه على أصنام الملك نمrod ، فولد إبراهيم بهرْمَزْ جرد ، ثم انتقل إلى كُوَيْ من أرض بابل ، فلما بلغ إبراهيم وخالف قومه ، دعاهم إلى عبادة الله ، وبلغ^(٤) ذلك الملك نمrod فحبسه في السجن سبع سنين ، ثم بنى له الحَيْر^(٥) بجص ، وأوقد له الحطب الجزل ، وألقى إبراهيم فيه ، فقال : حسبي الله ونعم الوكيل ! فخرج منها سليماً لم يكلم .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثنا هشام بن محمد ، عن أبيه ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، قال : لما هرب إبراهيم من كُوَيْ ، وخرج من النار ولسانه يومئذ سرياني ، فلما عبر الفرات من حرّان غير الله لسانه فقيل : عبراني ، أي حيث عبر الفرات ، وبعث نمrod في أثره ، وقال : لا تدعوا أحداً يتكلم بالسريانية إلا جثمتوني به ، فلقوا إبراهيم عليه السلام فتكلم بالعبرانية ، فتركوه ولم يعرفوا لغته .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا ابن سعد ، قال : أخبرنا هشام ، عن أبيه قال : فهاجر إبراهيم من بابل إلى الشام فجاءته سارة ، فوهبت له نفسها

(١) كذا في ن
(٢) كذا في ر .
(٣) ا : « تكفور »
(٤) ط : « بلغ » .
(٥) ر : « الحفر » .

فتزوجها ، وخرجت معه وهو يومئذ ابن سبع وثلاثين سنة ، فأتى حرّان ، فأقام بها زماناً ، ثم أتى الأردن فأقام بها زماناً ، ثم خرج إلى مصر فأقام بها زماناً ، ثم رجع إلى الشام فنزل السبع (أرض بين إيليا وفلسطين) واحترف بئراً ، وبني مسجداً . ثم إن بعض أهل البلد آذاه فتحول من عندهم ، فنزل منزلاً بين الرملة وإيليا ، فاحترف به بئراً أقام^(١) به ، وكان قد وسّع عليه في المال والخدم ، وهو أوّل من أضاف الضيف ، وأوّل من ثرّد الثريد ، وأوّل من رأى الشيب .

قال : وولد لإبراهيم عليه السلام إسماعيل وهو أكبر ولده — وأمه هاجر وهي قبطية ، وإسحاق ، وكان ضرير^(٢) البصر ، وأمه سارة ابنة بتويل بن ناخور بن ساروع بن أرغوا بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح — ٣٤٨/١ ومدن ، ومدين ، ويقسان ، وزمران ، وأسبق ، وسوح ؛ وأمههم قنطورا بنت مقطور^(٣) من العرب العاربة .

فأما يقسان فلحق بنوه بمكة ، وأقام مدن ومدين بأرض مدین ، فسميت به ، ومضى سائرهم في البلاد وقالوا لإبراهيم : يا أبانا أنزلت إسماعيل وإسحاق معك ، وأمرتنا أن ننزل أرض الغربة والوجشة ! فقال : بذلك أمرت ، قال : فلمسمهم اسمًا من أسماء الله تبارك وتعالى ، فكانوا يستسقون به ويستنصرون ، فنههم من نزل خراسان ، فجاءتهم الخزر فقالوا : ينبغي للذي علمكم هذا أن يكون خير أهل الأرض ، أو ملك الأرض ، قال : فسموا ملوكهم خاقان .

قال أبو جعفر : ويقال في يسبق : يسباق ، وفي سوح : ساح .

وقال بعضهم : تزوج إبراهيم بعد سارة امرأتين من العرب ، إحداهما قنطورا بنت يقطان ، فولدت له ستة بنين ، وهم الذين ذكرنا ، والأخرى منهما حجور بنت أرهير ، فولدت له خمسة بنين : كيسان ، وشورخ ، وأميم ، ولوطان ، ونافس .

(١) ط : « فأقام » ، وما أثبتته من أ .

(٢) ط : « وهو ضرير » ، وما أثبتته من أ .

(٣) ط : « مقطور » ، وما أثبتته من أ .

ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام

فلما أراد الله تبارك وتعالى قبض روح إبراهيم صلى الله عليه وسلم، أرسل إليه^(١) ملك الموت في صورة شيخ هرم . ٣٤٩/١

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السديّ بالإسناد الذي ذكرته قبل : كان إبراهيم كثير الطعام يطعم الناس ، ويضيفهم ، فبينما هو يطعم الناس إذا هو بشيخ [كبير]^(٢) يمشى في الحرة^(٣) ، فبعث إليه بحمار، فركبه حتى إذا أتاه أطعمه ، فجعل الشيخ يأخذ اللقمة يريد أن يدخلها فاه ، فيدخلها عينه وأذنه ثم يدخلها فاه ، فإذا دخلت جوفه خرجت من دبره . وكان إبراهيم قد سأل ربه عزّ وجلّ ألاّ يقبض روحه حتى يكون هو الذي يسأله الموت ، فقال للشيخ حين رأى من حاله ما رأى : ما بالك يا شيخ تصنع هذا ؟ قال : يا إبراهيم ، الكبير ، قال : ابن كم أنت ؟ فزاد على عمر إبراهيم سنتين ، فقال إبراهيم : إنما بيني وبينك ستان ، فإذا بلغت ذلك صرت مثلك ! قال : نعم ، قال إبراهيم : اللهم اقبضني إليك قبل ذلك ، فقام الشيخ فقبض روحه ، وكان ملك الموت .

ولما مات إبراهيم عليه السلام — وكان موته وهو ابن مائتي سنة ، وقيل ابن مائة وخمس وسبعين سنة — دفن عند قبر سارة في مزرعة جبرون .

وكان مما^(٤) أنزل الله تعالى على إبراهيم عليه السلام من الصحف فيما قيل عشر صحائف ، كذلك حدثني أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : أخبرني عمي عبد الله بن وهب ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان، عن القاسم بن محمد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر الغفاري، قال : قلت : يا رسول الله ، كم كتاب أنزله الله ؟ قال : مائة كتاب وأربع

(١) ر : « أرسل الله تعالى » (٢) من ا .

(٣) ا : « الحرة » .

(٤) ن : « فيما » وفي ا : « كذلك حدثني » .

كتب : أنزل الله عزَّ وجلَّ على آدم عليه السلام عشر صحائف ، وعلى شِيث خمسين صحيفة ، وأنزل على أخنوخ ثلاثين صحيفة ، وأنزل على إبراهيم عشر صحائف ، وأنزل جلَّ وعزَّ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان . قلت : يا رسول الله ، فما كانت صحف إبراهيم ؟ قال : كانت أمثالا كلها .

أيها الملك المسلط المبتلى المغرور ، إني لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها إلى بعض ، ولكن بعثتك لتردَّ عني دعوة المظلوم ؛ فإني لا أردُّها^(١) وإن كانت من كافر .

وكانت فيها أمثال : وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون له ساعات ؛ ساعة يناجى فيها ربّه ، وساعة يفكر فيها في صنع الله عزَّ وجلَّ ، وساعة يحاسب فيها نفسه فيما قدم وأخر ، وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال في المطعم^(٢) والمشرب . وعلى العاقل ألاَّ يكون ظاعناً إلاَّ في ثلاث : تزوّد لمعاده ، ومرمّة لمعاشه ، ولذّة في غير محرّم . وعلى العاقل أن يكون بصيراً بزمانه ، مقبلاً على شأنه ، حافظاً للسانه . ومنَّ حسب كلامه من عمله قل كلامه إلاَّ فيما يعنيه .

٣٥١/١

* * *

وكان لإبراهيم - فيما ذكر - أخوان يقال لأحدهما هاران - وهو أبو لوط ، وقيل إن هاران هو الذي بنى مدينة حرّان ، وإليه نسبت^(٣) - والآخر منهما ناحورا وهو أبو بتويل وبتويل^(٤) هو أبو لابان^(٥) ورفقا ابنة بتويل ، ورفقا امرأة إسحاق بن إبراهيم أم يعقوب ابنة بتويل ، وليّاً وراحيل امرأتا يعقوب ابنتا لابان .

(١) في ط : « لأردّها » تصويب من مصححه ؛ والصواب ما في الأصول .

(٢) ر : « من الحلال من المطعم » .

(٣) ط : « تنسب » ، وما أثبتته من ا .

(٤) ا : « بتويل » ، ر : « نبويل »

(٥) ا ، ن : « لايان » .

ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام

قد مضى ^(١) ذكرنا سبب مصير إبراهيم بابنه إسماعيل، وأمه هاجر إلى مكة وإسكانه إياهما بها . ولما كبر إسماعيل تزوج امرأة من جرهم ، فكان من أمرها ما قد تقدم ذكره ، ثم طلقها بأمر أبيه إبراهيم بذلك ، ثم تزوج أخرى يقال لها السيدة بنت مضاخ بن عمرو الجرهمي ، وهي التي قال لها إبراهيم إذ قدم مكة ، وهي زوجة إسماعيل : قولي لزوجك إذا جاء : قد رضيتُ لك عتبة بابك .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ولد لإسماعيل ابن إبراهيم اثنا عشر رجلا ، وأمههم السيدة بنت مضاخ بن عمرو الجرهمي : نابت بن إسماعيل ، وقيدر بن إسماعيل ، وأدبيل بن إسماعيل ، ومبشا بن إسماعيل ، ومسمع بن إسماعيل ، ودما بن إسماعيل ، وماس بن إسماعيل ، وأدد بن إسماعيل ، ووطور بن إسماعيل ، ونفيس بن إسماعيل ، وطما بن إسماعيل ، وقيدمان بن إسماعيل .

٣٥٢/١

قال : وكان عمر إسماعيل فيما يزعمون ثلاثين ومائة سنة ، ومن نابت وقيدر نشر الله العرب ، ونبتاً الله عز وجل إسماعيل ، فبعثه إلى العماليق — فيما قيل — وقبائل اليمن .

وقد ينطق أسماء أولاد إسماعيل بغير الألفاظ التي ذكرت عن ابن إسحاق ، فيقول بعضهم في قيدر : ، قيدار ، وفي أدبيل : أدبال ، وفي مبشا : مبشام ، وفي دما : ذوما ومسا ، وحداد ، وتيم ، ويطور ، ونافس ، وقادم ^(٢) .
وقيل : إن إسماعيل لما حضرته الوفاة أوصى إلى أخيه إسحاق وزوج ابنته من العيص بن إسحاق ، وعاش إسماعيل فيما ذكر مائة وسبعا وثلاثين سنة ، ودفن في الحجر عند قبر أمه هاجر .

(١) ا ، ن : « ذكرنا قبل » .

(٢) وأسأوهم في سفر التكوين ٢٥ : ١٣ : ينابوت ، وقيدار ، وأتبيل ، ومبشام ، ومشعاع ، ودومة ، ومسا ، وحدار ، وتيما ، ويطور ، ونافيس ، وقدمه .

حدثني عبدة بن عبد الله الصفار ، قال : حدثنا خالد بن عبد الرحمن
 المخزومي ، عن مبارك بن حسّان صاحب الأنماط ، عن عمر بن عبد العزيز ،
 قال : شكّا إسماعيل إلى ربه تبارك وتعالى حرّاً مكة فأوحى الله تعالى إليه : إني
 فاتح لك باباً من الجنة يجري عليك روحها إلى يوم القيامة ، وفي ذلك المكان تدفن .

* * *

ونرجع الآن إلى :

ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده

إذ كان التأريخ غير متصل على سياق معروف لأمة بعد الفرس غيرهم ؛ وذلك أن الفرس كان ملئهم متصلاً دائماً من عهد جيومرت الذي قد وصفت شأنه وخبره ، إلى أن زال عنهم بخير أمة أخرجت للناس ، أمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم . وكانت النبوة والملك متصلين بالشأم ونواحيها لولد إسرائيل بن إسحاق إلى أن زال ذلك عنهم بالفرس والروم بعد يحيى بن زكرياء وبعد عيسى بن مريم عليهما السلام . وسنذكر إذا نحن انتهينا إلى الخبر عن يحيى وعيسى عليهما السلام سبب زوال ذلك عنهم إن شاء الله .

فأما سائر الأمم غير الفرس ، فإنه غير ممكن الوصول إلى علم التأريخ بهم ؛ إذ لم يكن لهم ملك متصل في قديم الأيام وحديثه إلا مالا يمكن معه سياق التأريخ عليه وعلى أعمار ملوكهم ، إلا ما ذكرنا من ولد يعقوب إلى الوقت الذي ذكرت^(١) ، فإن ذلك وإن كانت مدته انقطعت بزواله عنهم ؛ فإن قدر مدة زواله عنهم إلى غايتنا هذه معاوم مبلغه . وقد كان لليمن ملوك لهم ملك ، غير أنه كان غير متصل ، وإنما كان يكون منهم الواحد بعد الواحد ، وبين الأول والآخر فترات طويلة ، لا يقف على مبلغها العلماء ، لقلّة عنايتهم كانت بها ، ومبلغ عمر الأول منهم والآخر ، إذا لم يكن من الأمر الدائم ، فإن دام منه شيء فإنما يدوم لمن دام له منهم بأنه عامل لغيره في الموضع الذي هو به لا يملكه^(٢) ، بنفسه ، وذلك كدوامه لآل نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك ابن عمرو بن نمارة بن لحم ؛ فإنهم كانوا على فرج ثغر العرب للفرس من الحيرة إلى حدّ اليمن طولاً وإلى حدود^(٣) الشأم وما اتصل بذلك^(٤) عرضاً ، فلم يزل ذلك دائماً لهم من عهد أردشير بابكان إلى أن قتل كسرى أبرويز بن هرمز بن أنوشروان النعمان بن المنذر ، فنقل عنهم ما كان إليهم من العمل على ثغر العرب إلى إياس بن قبيصة الطائي .

(١) ١ : «وصفت» . (٢) ط : «لا يملك» وما أثبتته من أ .

(٣) ط : «حد» ، وما أثبتته من أ . (٤) ط : «به» ، ما أثبتته من أ .

فحدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: نكح إسحاق بن إبراهيم رفقا بنت بتويل بن إلياس، فولدت له عيص بن إسحاق، ويعقوب ابن إسحاق، يزعمون أنهما كانا توأمين وأن عيصا كان أكبرهما. ثم نكح عيص بن إسحاق ابنة عمه بسمة ابنة إسماعيل بن إبراهيم، فولدت له الروم بن عيص، فكلُّ بني الأصفر من ولده. قال: وبعض الناس يزعم أن الأشبان من ولده، ولا أدري أمن ابنة إسماعيل أم لا.

ونكح يعقوب بن إسحاق - وهو إسرائيل - ابنة خاله ليثا ابنة لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له روبيل بن يعقوب، وكان أكبر ولده، وشمعون ٣٥٥/١ ابن يعقوب، ولاوى بن يعقوب، ويهوذا بن يعقوب، وزبالون^(١) بن يعقوب، ويسحر بن يعقوب، ودينة ابنة يعقوب. وقد قيل في يسحر إن اسمه «يشحر». ثم توفيت ليا بنت لبان فحلف يعقوب على أختها راحيل بنت لبان بن بتويل بن إلياس، فولدت له يوسف بن يعقوب، وبنيامين بن يعقوب - وهو بالعربية شداد - وولد له من سُرَيْتَيْن؛ اسم إحداهما زلفة، واسم الأخرى بلهة، أربعة نفر: دان بن يعقوب، ونفتالي^(٢) بن يعقوب، وجاد^(٣) بن يعقوب، وأشر^(٤) بن يعقوب، فكان بنو يعقوب اثني عشر رجلا.

وقد قال بعض أهل التوراة إن رفقا زوجة إسحاق هي ابنة ناهر بن آزر عم إسحاق، وإنها ولدت له ابنيه عيصا ويعقوب في بطن واحد، وإن إسحاق أمر ابنه يعقوب ألا ينكح امرأة من الكنعانيين، وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر، وأن يعقوب لما أراد النكاح مضى إلى خاله لبان ابن ناهر خاطباً، فأدركه الليل في بعض الطريق، فبات متوسداً حجراً، فرأى فيما يرى النائم أن سلماً منصوباً إلى باب من أبواب السماء عند رأسه، والملائكة تنزل وتخرج فيه، وأن يعقوب صار إلى خاله فخطب إليه ابنته راحيل، وكانت ٣٥٦/١ له ابنتان: ليا وهي الكبرى، وراحيل وهي الصغرى، فقال له: هل من مال أزوجك عليه؟ فقال يعقوب: لا، إلا أني أخذتُك أجيراً حتى تستوفى صدق

(١) ا، ب، ن: «ربالون» . (٢) ن: «يفتال» .

(٣) ر: «وجاد» . (٤) ن: «وأسر» .

ابتتك ، قال : فإنَّ صداقها أن تخدمني سبع حجج . قال يعقوب : فزوجني راحيل وهي شرطي ، ولها أخذُك ، فقال له خاله : ذلك بيني وبينك ، فرعى له يعقوب سبع سنين ، فلما وفتى له ^(١) شرطه دفع إليه ابنته الكبرى ليا ، وأدخلها عليه ليلا ، فلما أصبح وجد غير ما شرط ، فجاءه يعقوب وهو في نادي قومه فقال له : غررتني وخذعتني واستحللت ^(٢) عملي سبع سنين ، ودلست عليّ غير امرأتى ، فقال له خاله : يا بن أختي ، أردت أن تُدخِل عليّ خالك العار والسبّة ، وهو خالك والدك ، ومتى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى ! فهلمّ فاخذمني سبع حجج أخرى ، فأزوّجك أختها - وكان الناس يومئذ يجمعون بين الأختين إلى أن بعث موسى عليه السلام وأنزل عليه التوراة - فرعى له سبعاً ، فدفع إليه راحيل ، فولدت له ليا أربعة أسباط : روبيل ، ويهوذا ، وشمعان ، ولاوي . وولدت ليراحيل يوسف وأخاه بنيامين وأخوات لهما ، وكان لابان دفع إلى ابنته حين جهزهما إلى يعقوب أمتين فوهبتا الأمتين ليعقوب ، فولدت كل واحدة منهما له ثلاثة رهط من الأسباط ، وفارق يعقوب خاله ، وعاد حتى نازل أخاه عيصا .

٣٥٧/١

وقال بعضهم : ولد ليعقوب دان ونفثالي من زلفة جارية راحيل ؛ وذلك أنها وهبتها له وسألته أن يطلب منها الولد حين تأخر الولد عنها ، وأن ليا وهبت جارتها بلهة ليعقوب منافسة ليراحيل في جارتها ، وسألته أن يطلب منها الولد ، فولدت له جاد ، وأشير ، ثم ولد له من راحيل بعد اليأس يوسف وبنيامين ، فانصرف يعقوب بولده هؤلاء وامراتيه المذكورتين إلى منزل أبيه من فلسطين على خوف شديد من أخيه العيص ، فلم ير منه إلا خيراً ، وكان العيص فيما ذكر لحق بعمه إسماعيل ، فتروج إليه ابنته بسمة وحملها إلى الشام ، فولدت له عدة أولاد فكثروا حتى غلبوا الكنعانيين بالشأم ، وصاروا إلى البحر وناحية الإسكندرية ثم إلى الروم . وكان العيص فيما ذكر يسمى آدم لأدُمته . قال : ولذلك سمي ولده

(١) ا : « فلما وفاه » ، وقر : « فلما تم » .

(٢) ر : « واشترطت علي » .

ولد الأصفر، وكانت^(١) ولادة رفقا بنت بتويل لإسحاق بن إبراهيم ابنه العيص ويعقوب - بعد أن خلا من عمر إسحاق ستون سنة - توأمين في بطن واحد، والعيص المتقدم منهما خروجا من بطن أمه، فكان إسحاق فيما ذكر يختص العيص، وكانت^(٢) رفقا أمهما تميل إلى يعقوب، فزعموا أن يعقوب ختل العيص في قربان قرباه بأمر أبيهما إسحاق بعد ما كبرت سن إسحاق، وضعف بصره، فصار أكثر دعاء إسحاق ليعقوب، وتوجهت البركة نحوه بدعاء أبيه إسحاق له، فغاض ذلك العيص وتوعدّه بالقتل، فخرج يعقوب هارباً منه إلى خاله لابان ببابل، فوصله لابان وزوجه ابنتيه ليا وراحيل، وانصرف بهما وبخاريبتيهما وأولاده الأسباط الاثني عشر وأختهم دينا إلى الشام إلى منزل آباءه، وتآلف أخاه العيص حتى نزل^(٣) له البلاد وتنقل في الشام، حتى صار إلى السواحل. ثم عبر^(٤) إلى الروم فأوطنها^(٥)، وصار الملوك من ولده وهم اليونانية - فيما زعم هذا القائل .

حدثنا الحسين بن عمرو بن محمد العنقزي^(٥)، قال : حدثنا أبي، قال : أخبرنا أسباط، عن السدي، قال : تزوج إسحاق امرأة فحملت بغلامين في بطن، فلما أرادت أن تضعهما اقتتل الغلامان في بطنها، فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص، فقال عيص : والله لئن خرجت قبلي لأعرضن في بطن أمي ولأقتلنّها، فتأخّر يعقوب، وخرج عيص قبله، وأخذ يعقوب بعقب عيص، فخرج فسمى عيصاً لأنه عصى، فخرج قبل يعقوب، وسمى يعقوب لأنه خرج آخذاً بعقب عيص، وكان يعقوب أكبرهما في البطن، ولكن عيصاً خرج قبله، وكبر الغلامان، فكان عيص أحبهما إلى أبيه، وكان يعقوب أحبهما إلى أمه، وكان عيص صاحب صيد، فلما كبر إسحاق

(١) ط : « فكانت » وما أثبتته من ا .

(٢) كذا في ا، ر وفي ط : « حتى ترك » .

(٣) ن : « حتى عبر » .

(٤) يقال : أوطن بمكان كذا ؛ إذا اتخذها وطناً .

(٥) في الأصول : « العبقري »، تصحيف ؛ منسوب إلى بيع المنقر، ذكره ابن الأثير

وعمى، قال لعيص : يا بنى أطمعنى لحم صيد واقرب منى أدع لك بدعاء دعا لى به أبى ، وكان عيص رجلاً أشعر ، وكان يعقوب رجلاً أجرداً ، فخرج عيص يطلب الصيد ، وسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب : يا بنى ، اذهب إلى الغم فاذبح منها شاة ثم اشوه ، والبس جلده وقدّمه إلى أبيك ، وقل له : أنا ابنك عيص ، ففعل ذلك يعقوب ، فلما جاء قال : يا أبتاه كُله ، قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا ابنك عيص ، قال : فسّه ، فقال : المسُّ مسُّ عيص ، والريحُ ریح يعقوب ، قالت أمه : هو ابنك عيص فادع له ، قال : قدّم طعامك ، فقدّمه فأكل منه ، ثم قال : ادن منى ، فدنا منه ، فدعا له أن يجعل فى ذريته الأنبياء والملوك ، وقام يعقوب ، وجاء عيص فقال : قد جئتكَ بالصيد الذى أمرتني به ^(١) ، فقال : يا بنى قد سبقك أخوك يعقوب ، فغضب عيص وقال : والله لأقتلنّه ، قال : يا بنى قد بقيت لك دعوة ، فهلم أدع ^(٢) لك بها ، فدعا له فقال : تكون ذريتك عدداً كثيراً كالتراب ولا يملكهم أحدٌ غيرهم ، وقالت أم يعقوب ليعقوب : الحق بخالك فكن عنده خشية أن يقتلك عيص ، فانطلق إلى خاله ، فكان يسرى بالليل ويكمن بالنهار ، ولذلك سمي إسرائيل ، وهو سرى الله ، فأتى خاله وقال عيص : أما إذ غلبتني على الدعوى فلا تغلبني على القبر ، أن أدفن عند آبائى : إبراهيم وإسحاق ، فقال : لئن فعلت لتُدفننّ معه .

٣٥٩/١

ثم إن يعقوب عليه السلام هوى ابنة خاله - وكانت له ابنتان - فخطب إلى أبيهما الصغرى منهما ، فأنكحها إياه على أن يرعى غنمه إلى أجل مسمى ، فلما انقضى الأجل زفّ إليه أختها ليا ، قال يعقوب : إنما أردت راحيل ، فقال له خاله : إنا لا ينكح فينا الصغير قبل الكبير ، ولكن ارع لنا أيضاً وانكحها ^(٣) ، ففعل . فلما انقضى الأجل زوجته راحيل أيضاً ، فجمع يعقوب بينهما ، فذلك قول الله : ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ﴾ ^(٤) .

٣٦٠/١

يقول : جمع يعقوب بين ليا وراحيل ، فحملت ليا فولدت يهوذا ،

(٢) : « أدعو » وكلاهما جائز .

(١) ر : « أردت » .

(٤) سورة النساء ٢٣ .

(٣) ر : وانكحها جيمياً .

وروبيل ، وشمعون . وولدت راحيل يوسف ، وبنيامين ، وماتت راحيل في نفاسها بينيامين ، يقول : من وجع النفاس [الذى ماتت فيه] (١) .

وقطع خال يعقوب ليعقوب قطيعاً من الغنم ، فأراد الرجوع إلى بيت المقدس ، فلما ارتحلوا لم يكن له نفقة ، فقالت امرأة يعقوب ليوسف : خذ من أصنام أبي لعلنا نستنفق منه فأخذ ، وكان الغلامان في حجر يعقوب ، فأحبهما وعطف عليهما ليُتَمَّهما من أمهما ، وكان أحبَّ الخلق إليه يوسف عليه السلام ، فلما قدموا أرض الشام ، قال يعقوب لراع من الرعاة : إن أتاكم أحدٌ يسألکم : من أنتم ؟ فقولوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فلقبيهم عيص فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن ليعقوب عبد عيص ، فكفَّ عيص عن يعقوب ، ونزل (٢) يعقوب بالشام ، فكان همّه يوسف وأخوه ، فحسده إخوته لما رأوا من حب أبيه له ، ورأى يوسف في المنام كأنّ أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأهم ساجدين له ، فحدث أباه بها فقال : ﴿ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ (٣) .

(١) تكملة من ١ .

(٢) ١ : « وترك »

(٣) سورة يوسف هـ

ذكر أيوب عليه السلام

ومن ولده - فيما قيل - أيوب نبي الله؛ وهو فيما حدثنا ابن حميد ، قال :
حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عمن لا يُتَّهم ، عن وهب بن منبه ، أن
أيوب كان رجلاً من الروم ، وهو أيوب بن موص بن رازح بن عيص بن
إسحاق بن إبراهيم .

٣٦١/١

وأما غير ابن إسحاق فإنه يقول : هو أيوب بن موص بن رغويل بن العيص
ابن إسحاق بن إبراهيم .

وكان بعضهم يقول : هو أيوب بن موص بن رعويل^(١) . ويقول : كان أبوه
ممن آمن بإبراهيم عليه السلام يوم أحرقه^(٢) نمرود ، وكانت زوجته التي أمر
بضربها بالضغث ابنة لعقوب بن إسحاق ، يقال : لها ليا ؛ كان يعقوب
زوجها منه .

وحدثني الحسين بن عمرو بن محمد ، قال : حدثنا أبي ، قال : أخبرنا
غياث بن إبراهيم ، قال : ذكر - والله أعلم - أن عدو الله إبليس لقي امرأة أيوب -
وذكر أنها كانت ليا بنت يعقوب - فقال : يا ليا ابنة الصديق وأخت الصديق .
وكانت أم أيوب ابنة للوط بن هاران .

وقيل : إن زوجته التي أمر بضربها بالضغث هي رحمة بنت أفرايم بن
يوسف بن يعقوب ، وكانت لها البشينة^(٣) من الشام كلها بما فيها ، وكان - فيما
ذكر - عن وهب بن منبه في الخبر الذي حدثنيه محمد بن سهل بن عسكر البخاري ،
قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم أبو هشام ، قال : حدثني عبد الصمد
ابن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : إن إبليس لعنه الله سمع تجاوب
الملائكة^(٤) بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله تعالى وأثنى عليه ، فأدركه

٣٦٢/١

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « رغويل » . (٢) ط : « إحراقه » ؛ وما أثبتته عن ١ .
(٣) البشينة ؛ ويقال البشنة ؛ ذكرها ياقوت وقال « اسم ناحية من نواحي دمشق ، وقال :
وقيل : هي قرية بين دمشق وأذرعات ، عن الأزهري . وكان أيوب النبي عليه السلام منها » .
(٤) ر : « ملائكة السموات » .

البغي والحسد ، فسأل الله أن يسلطه عليه ليفتنه عن دينه^(١) ، فسلطه الله على ماله دون جسده وعقله ، وجمع إبليس عفاريت الشياطين وعظماهم ، وكان لأيوب البشيمة من الشام كلها بما فيها بين شرقها وغربها ، وكان بها ألف شاة برعاتها^(٢) ، وخمسمائة فدّان يتبعها خمسمائة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، ويحمل آلة كل فدّان أتان ، لكل أتان ولد ؛ بين اثنين^(٣) وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك . فلما جمعهم إبليس ، قال : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ؟ فإنني قد سلطت على مال أيوب ؛ فهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال . فقال كلٌّ من عنده قوة على إهلاك شيء ما عنده^(٤) . فأرسلهم فأهلكوا ماله كله ، وأيوب في كل ذلك يحمد الله ولا يشنيه شيء أصيب به من ماله عن الجحد في عبادة الله تعالى والشكر له على ما أعطاه ، والصبر على ما ابتلاه به . فلما رأى ذلك من أمره إبليس لعنه الله سأل الله تعالى أن يسلطه على ولده ، فسلطه عليهم ، ولم يجعل له سلطاناً على جسده وقلبه وعقله ، فأهلك ولده كلهم ، ثم جاء إليه متمثلاً بعمالهم الذي كان يعلمهم الحكمة جريحاً مشدوخاً يرققه حتى رقّ أيوب فبكى ، فقبض قبضة من تراب فوضعها على رأسه ، فسُرسّ بذلك إبليس ، واغتنمه من أيوب عليه السلام .

٣٦٣/١

ثم إنّ أيوب تاب واستغفر ، فصعدت قرناؤه من الملائكة بتوبته فبدروا إبليس إلى الله عزّ وجلّ . فلما لم يثن أيوب عليه السلام ما حلّ به من المصيبة في ماله وولده عن عبادة ربه ، والجحد في طاعته ، والصبر على ما ناله ، سأل الله عزّ وجلّ إبليس أن يسلطه على جسده ، فسلطه على جسده خلالسانه وقلبه وعقله ؛ فإنه لم يجعل له على ذلك منه سلطاناً ، فجاءه^(٥) وهو ساجد ، فنفخ في منخره نفخة اشعل^(٦) منها جسده ، فصار من جملة أمره إلى أن أتت

(١) ن : « في دينه » .

(٢) ن : « يرهاها » .

(٣) كذا في ط ، وفي ا : « بين اثنين » .

(٤) ر : « ما عندهم » .

(٥) ط : « فجاء » ، وما أثبتته من .

(٦) ن : « أشعل » .

جسده ، فأخرجه أهلُ القرية من القرية إلى كُنْاسة خارج القرية لا يقربه أحد إلا زوجته . وقد ذكرت اختلاف الناس في اسمها ونسبها قبل .

ثم رجع الحديث إلى حديث وهب بن منبّه :

وكانت زوجته تختلف إليه بما يصلحه وتلزمه ، وكان قد اتبعه ثلاثة نفر على دينه ، فلما رأوا ما نزل به من البلاء رفضوه وأتهموه من غير أن يتركوا دينه ؛ يقال لأحدهم بلدد ، وللآخر اليفز^(١) وللثالث صافر^(٢) . فانطلقوا إليه وهو في بلائه فبكتوه ، فلما سمع أيوب عليه السلام كلامهم أقبل على ربه يستغيثه ويتضرع إليه ، فرحمه ربه ورفع عنه البلاء ، وردَّ عليه أهله وماله ومثلهم معهم ، وقال له : « أَرَأَيْكَ كُنْصُ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ »^(٣) ؛ فاغتسل به فعاد كهيبته قبل البلاء في الحسن والجمال .

٣٦٤/١

فحدثني يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : حدثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب عليه السلام مطروحاً على كُنْاسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا ، ما يسأل الله عزَّ وجلَّ أن يكشف ما به ، قال : فما على وجه الأرض أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لربِّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا ! فعند ذلك دعا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن عُلَيْيَّة ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقي أيوب عليه السلام على كُنْاسة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرا اختلف فيها^(٤) الرواة .

فهذه جملة من خبر أيوب صلى الله عليه وسلم ، وإنما قدمنا ذكر خبره وقصته قبل خبر يوسف وقصته لما ذكر من أمره ، وأنه كان نبياً في عهد يعقوب أبي يوسف عليهم السلام .

وذكر أن عُمر أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة ، وأنه أوصى عند موته إلى

(١) : « اليفز » ، ن : « النفر » . (٢) : « صافن » .

(٣) سورة ص ٤٢ . (٤) في الأصول : « فيه » .

ابنه حومل^(١) ، وأن الله عزّ وجلّ بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبيّاً ، وسماه
 ذا الكفّل وأمره بالدعاء إلى توحيدهِ ، وأنه كان مقيماً بالشّام عُمره حتى مات ،
 وكان عُمره خمساً وسبعين سنة ، وأن بشرّاً أوصى إلى ابنه عبدان ، وأن الله
 عزّ وجلّ بعث بعده شُعَيْبَ بن صَيْفون^(٢) بن عَيْفَا^(٣) بن نَابِت^(٤) بن مَدِين
 ابن إبراهيم إلى أهل مدين .

وقد اختلف في نسب شُعَيْب فنسبه أهل التوراة النسب الذي^(٥) ذكرت .
 وكان ابن إسحاق يقول : هو شعيب بن ميكائيل من ولد مدين ، حدثني
 بذلك ابن حميد ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

وقال بعضهم : لم يكن شعيب من ولد إبراهيم ، وإنما هو من ولد بعض من
 كان آمن بإبراهيم واتبعه على دينه ، وهاجر معه إلى الشّام ، ولكنه ابن بنت لوط ؛
 فجدّة شعيب ابنة لوط .

* * *

ذكر خبر شعيب صلى الله عليه

وقيل إن اسم شعيب يزون^(٦) ، وقد ذكرت نسبه واختلاف أهل الأنساب
 في نسبه ، وكان - فيما ذكر - ضريير البصر .

حدثني عبد الأعلى بن واصل الأسديّ ، قال : حدثنا أسيد بن زيد
 الجصاص ، قال : أخبرنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبّير في قوله :
 ﴿وَإِنَّا لَنَرَاكَ فَيِّنًا ضَعِيفًا﴾^(٧) ، قال : كان أعمى .

(١) ن : « حومل » .

(٢) ا « صيفون » .

(٣) ط : « عنقا » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

(٤) كذا في ا ، ن ، وفي ط : « ثابت » .

(٥) ن : « النسبة التي » .

(٦) كذا في ا ، وفي ر : « بيروز » ، وفي ط : « يزون » .

(٧) سورة هود ٩١ .

حدثنا أحمد بن الوليد الرَّمْلِيُّ ، قال : حدثنا إبراهيم بن زياد وإسحاق ابن المنذر وعبد الملك بن يزيد ، قالوا : حدثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ، مثله .

حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا عمرو بن عون ومحمد بن الصباح ، قالا : سمعنا شريكا يقول في قوله : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : أعمى .
حدثني أحمد بن الوليد ، قال : حدثنا سعدويه ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني المثني ، قال : حدثنا الحِمَّانِيُّ ، قال : حدثنا عباد ، عن شريك ، عن سالم ، عن سعيد : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضرير البصر .

حدثني العباس بن أبي طالب ، قال : حدثنا إبراهيم بن مهدي المِصْبِصِيُّ ، قال : حدثنا خلف بن خليفة ، عن سفيان ، عن سالم ، عن سعيد بن جبير : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضعيف البصر (١)

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو نعيم ، قال : حدثنا سفيان ، قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا ﴾ ، قال : كان ضعيف البصر . قال سفيان : وكان يقال له خطيب الأنبياء ، وإن الله تبارك وتعالى بعثه نبياً إلى أهل مدين ، وهم أصحاب الأيكة - والأيكة الشجر الملتف - وكانوا أهل كفر بالله وبخس للناس في المكاييل والموازين وإفساد لأموالهم ، وكان الله عز وجل وسع عليهم في الرزق ، وبسط لهم في العيش استدراجاً منه لهم ، مع كفرهم به ، فقال لهم شعيب عليه السلام : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ مُخْتَرِينَ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ ﴾ (٢) . فكان من قول شعيب لقومه وجواب قومه له ما ذكره الله عز وجل في كتابه .

(١) ، ن : « كان أعمى » .

(٢) سورة هود ٨٤

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : قال ابن إسحاق : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم - فيما ذكر لي يعقوب بن أبي سلمة - إذا ذكره قال : «ذاك خطيب الأنبياء» ، لحسن مراجعته قومه فيما يرادهم به .

فلما طال تماديهم في غيبيهم وضلالهم ، ولم يردّهم تذكير شعيب إليهم ، وتحذيرهم عذاب الله [لهم] ^(١) وأراد الله تبارك وتعالى هلاكهم ^(٢) ، سلط عليهم - فيما حدثني الحارث - قال : حدثنا الحسن بن موسى الأشيب ، قال : حدثني سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد ، قال : حدثنا حاتم بن أبي صغيرة ، قال : حدثني يزيد الباهلي ، قال : سألت عبد الله بن عباس عن هذه الآية : ﴿ فَأَخَذَهُمُ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ^(٣) ، فقال عبد الله بن عباس : بعث الله وبادة ^(٤) وحرّاً شديداً ، فأخذ بأنفاسهم فدخلوا أجواف البيوت ، فدخل [عليهم] ^(٥) أجواف البيوت فأخذ بأنفاسهم ، فخرجوا من البيوت هرباً ^(٥) إلى البرية فبعث الله عزّ وجلّ سحابة ، فأظلمت من الشمس ، فوجدوا لها برداً ولذّة ، فنادى بعضهم بعضاً ، حتى إذا اجتمعوا تحتها أرسل ^(٦) الله عليهم ناراً ، قال عبد الله ابن عباس : فذاك عذاب يوم الظلّة ؛ ﴿ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا ابن وهب ، قال : حدثني جرير بن حازم أنه سمع قتادة يقول : بعث شعيب إلى أمتين : إلى قومه أهل مدين ، وإلى أصحاب الأيكة ، وكانت الأيكة من شجر ملتفّ ، فلما أراد الله عزّ وجلّ أن يعذبهم بعث عليهم حرّاً شديداً ، ورفع لهم العذاب كأنه سحابة ، فلما دنت منهم خرجوا إليها رجاء برّدها ، فلما كانوا تحتها أمطرت ^(٧)

(١) من أ . (٢) ١ : «إهلاكهم» .

(٣) سورة الشعراء ١٨٩

(٤) ابن الأثير : «وقدة» ؛ وهما بمعنى .

(٥) ر : «هرباً» .

(٦) ن : «أرسلها» .

(٧) كذا في ا وابن الأثير ، وهو أجود ؛ قال في اللسان : «أمطرتهم الله ، في العذاب خاصة» ،

وفي ط : «مطرت» .

عليهم ناراً، قال: فذلك قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني أبو سفيان ، عن معمر بن راشد ، قال : حدثني رجل من أصحابنا عن بعض العلماء ، قال : كانوا - يعني قوم شعيب - عطّلوا حدّاً ، فوسع الله عليهم في الرزق ، ثم عطّلوا حدّاً فوسع الله عليهم في الرزق ، فجعلوا كلما عطّلوا حدّاً أوسع الله عليهم في الرزق ، حتى إذا أراد الله هلاكهم سلّط عليهم حرّاً لا يستطيعون أن يتقاروا ، ولا ينفعمهم ظل ولا ماء ، حتى ذهب ذاهب منهم فاستظلّ تحت ظلة فوجد روحاً ، فنادى أصحابه : هلمّوا إلى الروح ، فذهبوا إليه سراعاً ؛ حتى إذا اجتمعوا ألهبها الله عليهم ناراً ، فذلك عذاب يوم الظلة . ٣٦٩/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن معاوية في قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ، قال : أصابهم حرٌّ قاتلهم في بيوتهم ، فنشأت سحابة كهيئة الظلّة فابتدروها ، فلما ناموا تحتها أخذتهم الرجفة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : حدثنا الحسن ، قال : حدثنا ورقاء ، جميعاً عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ، قال : ظلال العذاب .

حدثني القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله: ﴿فَأَخَذَهُمُ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ﴾ ، قال : أظلّ العذاب قوم شعيب . قال ابن جريج : لما أنزل الله تعالى عليهم أول العذاب أخذهم منه حرٌّ شديد ، فرفع الله لهم غمامة ، فخرج إليها طائفة منهم ليستظلوا بها ، فأصابهم منها برد وروح وريح طيبة ، فصبّ الله عليهم من فوقهم من تلك الغمامة عذاباً ، فذلك قوله: ﴿عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله : ﴿ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ، قال : بعث الله عز وجل إليهم ظلة من سحب ، وبعث الله إلى الشمس فأحرقت ما على وجه الأرض ، فخرجوا كلهم إلى تلك الظلة ؛ حتى إذا اجتمعوا كلهم كشف الله عنهم الظلة ، وأحمى عليهم الشمس ، فأحرقوا كما يحترق الجراد في المِقْلَى .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا أبو تميمية ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عامر ، عن ابن عباس ، قال : من حدثك من العلماء ، ما عذاب يوم الظلة ، فكذب به .

حدثني محمود بن خداش ، حدثنا حماد بن خالد الحياط ، قال ، حدثنا داود بن قيس ، عن زيد بن أسلم في قوله عز وجل : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾^(١) ، قال : كان مما ينهاهم عنه حذف الدراهم - أو قال : قطع الدراهم ، الشك من حماد .

حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : حدثنا ابن أبي فديك ، عن أبي مودود قال : سمعت محمد بن كعب القرظي يقول : بلغني أن قوم شعيب عند بوا في قطع الدراهم ، ثم وجدت ذلك في القرآن : ﴿ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا زيد بن حباب ، عن موسى بن عبيدة ، عن محمد بن كعب القرظي ؛ قال : عذب قوم شعيب في قطعهم الدراهم ، فقالوا : ﴿ يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ ﴾ .

* * *

ونرجع الآن إلى :

ذكريعقوب وأولاده

ذكروا والله أعلم أن إسحاق بن إبراهيم عاش بعد ما ولد له العيص ويعقوب مائة سنة ، ثم توفى وله مائة وستون سنة فقبره ابناه : العيص ويعقوب عند قبر أبيه إبراهيم في مزرعة حَبْرُونَ (١) ، وكان عمر يعقوب بن إسحاق كله مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وكان ابنه يوسف قد قُسم له ولأمه من الحسن ما لم يقسم لكثير من أحد من الناس .

وقد حدثني عبد الله بن محمد وأحمد بن ثابت الرازيان ، قالا : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : أخبرنا حماد بن سلمة ، قال : أخبرنا ثابت [البثاني] (٢) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : « أعطى يوسف وأمّه شَطْرَ الحسن » .

وأن أمه راحيل لما ولدته دفعه زوجها يعقوب إلى أخته تحضنه ، فكان من شأنه وشأن عمته التي كانت تحضنه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نَجِيح ، عن مجاهد ، قال : كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما (٣) بلغني أن عمته ابنة إسحاق ، وكانت أكبر ولد إسحاق ، وكانت إليها صارت مِنْطَقَة إسحاق ، وكانوا يتوارثونها بالكَيْسِر ، فكان من اختانها مَنْ وليها كان له سَلَمًا (٤) لا يَنَازَع فيه ، يصنع فيه ما شاء ، وكان يعقوب حين ولد له يوسف قد كان حضنته (٥) عمته ، فكان معها وإليها ، فلم يَجِبْ أحد شيئًا من الأشياء حبّها إياه ، حتى إذا ترعرع

٣٧٢/١

(١) في الأصول : « جيرون » ؛ وفي ياقوت : « حبرون » ، بالفتح ثم السكون وضم الراء وسكون الواو ونون : اسم القرية التي فيها قبر إبراهيم الخليل عليه السلام بالبيت المقدس .

(٢) من ١ .

(٣) كذا في ١ ، ح ، وفي ط : « ما بلغني » .

(٤) السلم هنا : الأسير .

(٥) كذا في ١ ان والتفسير ، وفي ط : « حضنه » .

وبلغ سنوات ، ووقعت نفس يعقوب عليه ، أتاها فقال : يا أختي^(١) سلمى إلى يوسف ، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة ، قالت : والله^(٢) ما أنا بتاركته ؛ قال : فوالله ما أنا بتاركة . قالت : فدعه عندي أياماً أنظر إليه وأسكن عنه ، لعل ذلك يسدني عنه - أو كما قالت - فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه ، ثم قالت : لقد فقدت منطقة إسحاق ، فانظروا من أخذها ومن أصابها ، فالتُمتت ثم قالت : كَشَفُوا أهل البيت ، فكشّفوهم فوجدوها مع يوسف ، فقالت : والله إنه لي لسَلَمٌ أصنع فيه ما شئت . قال : وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر ، فقال لها : أنت وذاك ، إن كان فعل ذلك فهو سَلَمٌ لك ، ما أستطيع غير ذلك فأمسكته ، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت . قال : فهو الذي يقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه : ﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٣) .

٣٧٣/١

قال أبو جعفر : فلما رأت إخوة يوسف شدة حب والدهم يعقوب إياه في صباه وطفولته وقلّة صبره عنه حسدوه على مكانه^(٤) منه ، وقال بعضهم لبعض : ﴿ لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى آبَائِنَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ ﴾ ، يعنون بالعصبة الجماعة ، وكانوا عشرة : ﴿ إِنْ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾^(٥) .

ثم كان من أمره وأمر يعقوب ما قد قصّ الله تبارك وتعالى في كتابه من مسألته إياه لإرساله إلى الصحراء معهم ، ليسعى وينشط ويلعب ، وضمانهم^(٦) له حفظه ، وإعلام يعقوب إياهم حزنه بمغيبه عنه ، وخوفه عليه من الذئب ، وخذاعهم والدهم بالكذب من القول والزور عن يوسف ، ثم إرساله معهم

(١) ح : « يا أختاه » .

(٢) ط : « فوالله » ، وما أثبتته من أ .

(٣) سورة يوسف ٧٧ ، والخبر في التفسير ١٣ : ٢١ (بولاق) .

(٤) ح : « لمكانه » . وفي ر : « حسدوا مكانه » .

(٥) سورة يوسف ٨ .

(٦) ح : « في ضمانهم » .

وخرجهم به وعزمهم حين برزوا به إلى الصحراء على إلقائه في غيابة الجب ، فكان من أمره حينئذ — فيما ذكر — ما حدثنا ابنُ وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد العنقريّ ، عن أسباط ، عن السديّ قال : أرسله — يعني يعقوبُ يوسفَ — معهم ، فأخرجوه وبه عليهم كرامة ، فلما برزوا إلى البريّة أظهروا له العداوة ، وجعل أخوه يضربه فيستغيث بالآخر فيضربه ، فجعل لا يرى منهم رحماً ، فضر به حتى كادوا يقتلونه ، فجعل يصيح ويقول : يا أبتاه يا يعقوب ! لو تعلم (١) ما يصنع بابنك بنو الإماء ! فلما كادوا يقتلونه (٢) ، قال يهوذا : أليس قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه ! فانطلقوا به إلى الجب ليطرحوه ، فجعلوا يدّونونه في البئر فيتعلق بشفيرها (٣) ، فربطوا يديه ، ونزعوا قميصه ، فقال : يا إخواناه ، ردّوا عليّ قميصي أتوارى به في الجب ! فقالوا : ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً تؤنسك ، قال : إني لم أر شيئاً ، فدلّوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادةً أن يموت ، فكان في البئر ماء ، فسقط فيه ، ثم أوى إلى صخرة فيها ، فقام عليها ، فلما ألقوه في الجب جعل يبكي ، فنادوه ، فظنّ أنّها رحمة أدركتهم ، فأجابهم ، فأرادوا أن يرضخوه بصخرة (٤) فيقتلوه ، فقام يهوذا ، فنعمهم وقال : قد أعطيتموني موثقاً ألا تقتلوه ، وكان يهوذا يأتيه بالطعام .

٣٧٤/١

ثم خبره تبارك وتعالى عن وحيه إلى يوسف عليه والسلام وهو في الجب لينبئتنّ إخوته الذين فعلوا به ما فعلوا بفعلهم ذلك وهم لا يشعرون بالوحي الذي أوحى إلى يوسف . كذلك روى ذلك عن قتادة . حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعانيّ ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وأوحينا إليه لتنبئنههم بأمرهم هذا ﴾ ، قال : أوحى إلى يوسف وهو في الجب أن ينبئهم بما صنعوا به ﴿ وهم لا يشعرون ﴾ (٥) بذلك الوحي .

(١) ط : « لم تعلم » وما أثبتته من ا .

(٢) ر ، ن : « أن يقتلوه » .

(٣) شفير البئر : أعلاها ، وفي ب ، ن : « بشفير البئر » .

(٤) ا : « بالحجارة » .

(٥) سورة يوسف ١٥ .

حدثني المثنى ، قال : حدثنا سويد ، قال : أخبرنا ابن المبارك ، عن
معمر ، عن قتادة بنحوه ، إلا أنه قال : أن سينبئهم . ٣٧٥/١

وقيل معنى ذلك : وهم لا يشعرون أنه يوسف ، وذلك قول يروى عن
ابن عباس ؛ حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا
صدقة بن عبادة الأسدي ، عن أبيه ، قال : سمعت ابن عباس يقول ذلك^(١) ،
وهو قول ابن جريج .

ثم خبره تعالى عن إخوة يوسف ومجيئهم إلى أبيه عشاءً يكون ، يذكرون
له أن يوسف أكله الذئب ، وقول والدهم : ﴿ بَلْ سَوَّاتْ لَكُمْ أَنْفُسَكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ
جَمِيلٌ ﴾^(٢) .

ثم خبره جل جلاله عن مجيء السيارة ، وإرسالهم واردهم ، وإخراج الوارد
يوسف وإعلامه أصحابه به بقوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلَامٌ ﴾^(٣) فيبشرهم^(٤) .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن
قتادة ، قال : ﴿ يَا بُشْرَايْ هَذَا غُلَامٌ ﴾ ، تباشروا به حين أخرجوه - وهي بشر
بأرض بيت المقدس معلوم مكانها .

* * *

وقد قيل : إنما نادى الذى أخرج يوسف من البئر صاحبه له يسمى بشرى ،
فتاداه باسمه الذى هو اسمه . كذلك ذكر عن السدي . حدثنا الحسن بن محمد ،
حدثنا خلف بن هشام ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، عن قيس بن الربيع ،
عن السدي في قوله : ﴿ يَا بُشْرَايْ ﴾ ، قال : كان اسم صاحبه بشرى . ٣٧٦/١

(١) : « ذلك » .

(٢) : سورة يوسف ١٨ .

(٣) : سورة يوسف ١٩ .

(٤) : « فيبشرهم » .

حدثني المثني ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد ، قال : حدثنا الحكم بن ظهير ، عن السدي في قوله : ﴿ يَا بُشْرَىٰ هَذَا غَلَامٌ ﴾ ، قال : اسم الغلام بشري ، كما تقول : يا زيد .

* * *

ثم خبره عز وجل عن السيارة وواردهم الذي استخرج يوسف من الجب إذ اشتروه من إخوته ﴿ بئس ما كسبتهم ﴾ (١) ، على زهد فيه وإسراهم إياه بضاعة ، خيفة ممن معهم من التجار مسألهم الشركة فيه ، إن هم علموا أنهم اشتروه .

كذلك قال في ذلك أهل التأويل :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى [عن] (٢) ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : ﴿ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً ﴾ (١) ، قال : صاحب الدلو ومن معه قالوا لأصحابهم : إنا استبضعناه (٣) خيفة أن يستشركوهم فيه إن علموا بئس منه ، وتبعهم إخوته يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق ، حتى وقفوه بمصر فقال : مَنْ يبتاعني ويبيتر! فاشتراه الملك ، والملك مسلم (٤) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شيابة ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ؛ غير أنه قال : خيفة أن يستشركوهم إن علموا به ، واتبعهم إخوته ، يقولون للمدلى وأصحابه : استوثقوا منه لا يأتق حتى وقفوه بمصر .

٢٧٧/١

حدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً ﴾ ، قال : لما اشتراه الرجلان فرقا من الرفقة أن يقولوا : اشتريناه فيسألونهم الشركة فيه فقالوا : إن سألونا : ما هذا ؟ قلنا : بضاعة ، استبضعناه (٣) أهل الماء ، فذلك قوله : ﴿ وَأَسْرُوهُ بِضَاعَةً ﴾ .

(١) سورة يوسف ٢٠ (٢) تكلمة من ١ والتفسير .

(٣) كذا في ١ ، ح والتفسير ، وفي ط : « استبضعناها » .

(٤) الخبر في التفسير ١٢ : ١٠٠ (بولاق) .

فكان بيعهم إياه ممن باعوه منه بثمن بخس ، وذلك الناقص القليل من الثمن الحرام .

وقيل إنهم باعوه بعشرين درهماً ، ثم اقتسموها - وهم عشرة - درهمين درهمين، وأخذوا العشرين معدودة بغير وزن؛ لأن الدرهم حينئذ - فيما قيل - إذا كانت أقلّ من أوقية وزنها أربعون درهماً لم تكن توزن ، لأن أقلّ أورانهم يومئذ كانت أوقية .

وقد قيل : إنهم باعوه بأربعين درهماً . وقيل : باعوه باثنين وعشرين درهماً .

وذكر أن بائعه الذي باعه بمصر كان مالك بن دعر بن يوب^(٢) ابن عفقان بن مديان بن إبراهيم الخليل عليه السلام . حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن السائب ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

وأما الذي اشتراه بها وقال : ﴿لَا مَرَأَتَهُ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ﴾^(٣)؛ فإن اسمه - فيما ذكر عن ابن عباس - قُطْفِير^(٤) . حدثني محمد بن سعد ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني عمي ، قال : حدثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : كان اسم الذي اشتراه قُطْفِير .

٣٧٨/١

وقيل إن اسمه أطفير ، بن رُوحيب^(٥) ، وهو العزيز ، وكان على خزائن مصر ، والملك يومئذ الريّان بن الوليد ، رجل من العماليق ، كذلك حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

فأما غيره فإنه قال : كان يومئذ الملك بمصر وفرعونها الريّان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح .

(١) : « ذعر » .

(٢) : ن ، بويب ، ر : « تويب » . (٣) سورة يوسف ٢١ .

(٤) كذا في ط وهو يوافق ما في ابن الأثير : ١ : ٨٠ ، وفي : « قطفين » ، وفي ن : « قطفين » ،

واسمه في سفر التكوين ٣٩ : ١ : « فوطيفار » .

(٥) : « روحيب » ، ر : « روحيت » .

وقد قال بعضهم : إن هذا الملك لم يمِت حتى آمن واتَّبِع يوسف على دينه ، ثم مات ويوسف بعدُ حتى ، ثم ملك بعده قابوس بن مُصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن قاران بن عمرو بن عملاق بن لاؤف بن سام بن نوح عليه السلام ، وكان كافرًا ، فدعاه يوسف إلى الإسلام فأبى أن يقبل .

وذكر بعضُ أهل التوراة أن في التوراة : أن الذي كان من أمر يوسف وإخوته والمصير به إلى مصر ، وهو ابن سبع عشرة سنة يومئذ ، وأنه أقام في منزل العزيز الذي اشتراه ثلاث عشرة سنة ، وأنه لما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر ؛ الوايد بن الريان ، وأنه مات يوم مات وهو ابن مائة سنة وعشر^(١) سنين وأوصى إلى أخيه يهوذا ، وأنه كان بين فراقه يعقوب واجتماعه معه بمصر اثنتان وعشرون سنة ، وأن مقام يعقوب معه بمصر بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب صلى الله عليه وسلم أوصى إلى يوسف عليه السلام .

٣٧٩/١

وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنسانًا من أهله ، فلما اشترى أطفير يوسف ، وأتى به منزله ، قال لأهله واسمها - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - راعيل : ﴿ أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا ﴾ فيكفيننا إذا هو بلغ وفهم الأمور بعض ما نحن بسبيله من أمورنا : ﴿ أَوْ تَتَّخِذَهُ وَدَلًّا ﴾ ، وذلك أنه كان فيما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق - رجلاً لا يأتي النساء ، وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في مُلك ودنيا ، فلما خلا من عمر يوسف عليه السلام ثلاث وثلاثون سنة أعطاه الله عز وجل الحكم والعلم .

حدثني المثني ، قال : حدثنا أبو حذيفة ، قال : حدثنا شبيل ، عن ابن أبي نجيج ، عن مجاهد : ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾^(٢) : قال : العقل والعلم قبل النبوة .

* * *

﴿ وَرَأَوْدَتُهُ ﴾ حين بلغ من السن أشده (١) ﴿ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا
عَنْ نَفْسِهِ ﴾ - وهى راعيل امرأة العزيز أطفير - ﴿ وَغَلَّتِ الْأَبْوَابَ ﴾ (٢)
عليه وعليها للذى أرادت منه ، وجعلت - فيما ذكر - تذكر ليوسف محاسنه
تشوقه بذلك إلى نفسها .

* ذكر من قال ذلك .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن
السدى : ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا ﴾ (٣) ، قال : قالت له يا يوسف :
ما أحسن شعرك ! قال : هو أول ما ينتثر من جسدى ، قالت : يا يوسف ما أحسن
عينيك ! قال : هى أول ما يسيل إلى الأرض من جسدى ، قالت :
يا يوسف ما أحسن وجهك ! قال : هو للتراب يأكله ، فلم تزل حتى أطعمته
فهمت به وهم بها ، فدخل البيت وغلقت الأبواب ، وذهب ليحل سراويله
فإذا هو بصورة يعقوب قائماً فى البيت قد عض على إصبعه يقول : يا يوسف
لا تواقعها ، فإنما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ، ومثلك
إن واقعته مثله إذا مات وقع فى الأرض لا يستطيع أن يدفع عن نفسه ،
ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ، ومثلك إن واقعته
مثل الثور حين يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه لا يستطيع أن يدفع عن
نفسه . فربط سراويله ، وذهب ليخرج يشتد ، فأدركته فأخذت بمؤنم تبيسه
من خلفه فخرقته حتى أخرجته منه ، وسقط وطرحه يوسف ، واشتد نحو
الباب .

وقد حدثنا أبو كرييب وابن وكيع وسهل بن موسى ، قالوا : حدثنا ابن عيينة
عن عثمان بن أبى سليمان ، عن ابن أبى مليكة ، عن ابن عباس : سئل عن هم
يوسف ما بلغ ؟ قال : حلّ الهميان ، وجلس منها مجلس الحائر (٤) .

٣٨١/١

(١) ا ، ن ، : « بلغ السن الأشد » . (٢) سورة يوسف ٢٣

(٣) سورة يوسف ٢٥ ، والخبر فى التفسير ١٢ : ١٠٨ (بولاق) .

(٤) ا : « الحائر » . وكذلك فى التفسير ١٢ : ١٠٩ (بولاق) .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنا عبد الله بن أبي مُسَيْكَةَ ، قال : قلت لابن عباس : ما بلغ من همّ يوسف ؟ قال : استلقت له وجلس بين رجلها ينزع ثيابه ، فصرف الله تعالى عنه ما كان همّ به من السوء بما رأى من البرهان الذي أراه الله ، فذلك (١) — فيما قال بعضهم — صورة يعقوب عاضاً على إصبعه .

وقال بعضهم : بل نودى من جانب البيت : أتزني فتكون كالطير وقع ريشه ، فذهب يطير ولا ريش له !

وقال بعضهم : رأى في الحائط مكتوباً : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْنَةَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (٢) فقام حين رأى برهان ربه هارباً يريد باب البيت ، فراراً مما أردته ، واتبعته راعيل فأدركته قبل خروجه من الباب ، فجذبتة بقميصه من قبيل ظهره ، فقدت قميصه وألنى يوسف وراعيل سيدها — وهو زوجها أظفير — جالساً عند الباب ، مع ابن عمّ لراعيل .

كذلك حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، : ﴿ وَأَلْفِيَا سَيِّدَهَا لَدَى الْبَابِ ﴾ (٣) . قال : كان جالساً عند الباب وابن عمها معه ، فلما رأته قالت : ﴿ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤) ؛ إنه راودني عن نفسي ، فدفعته عن نفسي فأبيت فشقت قميصه . قال يوسف : بل هي راودتني عن نفسي ، فأبيت وفررت منها ، فأدركتني فشقت قميصي . فقال ابن عمها : تبين هذا في القميص ، فإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ (٥) ، وإن كان القميص ﴿ قَدْ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٥) ، فأتى بالقميص ، فوجده قد من دُبُرٍ ، قال : ﴿ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ

٣٨٢/١

(١) ١ : « أراه الله بد ، وذلك » . (٢) سورة الإسراء ٣٢ .

(٣) سورة يوسف ٢٥ . (٤) سورة يوسف ٢٦ .

(٥) سورة يوسف ٢٧ .

عَظِيمٌ * يُوسُفُ أَعْرَضَ عَن هَذَا وَأَسْتَغْفِرِي لِدَنبِكَ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١﴾ .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : حدثنا عبید الله بن موسى ، قال : أخبرنا شيبان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف الشامي ، قال : ما كان يوسف يريد أن يذكره حتى قالت : ﴿ مَا جَزَاءَهُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٢) ، قال : فغضب وقال : ﴿ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَفْسِي ﴾ .

* * *

وقد اختلف في الشاهد الذي شهد من أهلها ﴿ إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قَبْلِ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾ ، فقال بعضهم : ما ذكرت عن السدي .

وقال بعضهم : كان صبيياً في المهد ، وقد روى في ذلك عن رسول الله ما حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا عفان بن مسلم ، قال : حدثنا حماد ، قال : أخبرنا عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « تكلم أربعة وهم صغار » ، فذكر فيهم شاهد يوسف .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : تكلم أربعة وهم صغار : ابن ماشطة ابنة فرعون ، وشاهد يوسف ، وصاحب جريج ، وعيسى بن مريم .

* * *

وقد قيل إن الشاهد كان هو القميص وقدّه من دبره .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثني محمد بن عمرو ، قال : حدثنا أبو عاصم ، قال : حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله عز وجل : ﴿ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا ﴾

قال : قميصه مشقوق من دُبُرِه فتلك الشهادة ، فلما رأى زوجُ المرأة قميص يوسف قُدَّ من دُبُرِ قال لراعيل زوجته : ﴿إِنَّهُ مِنْ كَيْدِ كُنَّ إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ ، ثم قال ليوسف : أعرض عن ذكر ما كان منها من مرادتها إياك عن نفسها فلا تذكره لأحد ، ثم قال لزوجته : ﴿اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ .

وتحدث النساء بأمر يوسف وأمر امرأة العزيز بمصر ومرادتها إياه على نفسها فلم ينكمن ، وقلن : ﴿امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ ، (١) قد وصل حب يوسف إلى شغاف قلبها فدخل تحته حتى غلب على قلبها . وشغاف القلب : غلافه وحجابيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ قال : والشغاف جلدة على القلب (٢) يقال لها لسان القلب ؛ يقول : دخل الحب الخلد حتى أصاب القلب ، فلما سمعت امرأة العزيز بمكرهن وتحدثن بينهن بشأنها وشأن يوسف ، وبلغها ذلك أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكأ يتكئن عليه إذا حضرنها من وسائل . وحضرها فقدمت إليهن طعاماً وشراباً وأترجاً ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً تقطع به الأترج .

٣٨٤/١

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : حدثنا محمد بن الصلت ، قال : حدثنا أبو كد يسنة ، عن حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس : ﴿وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا﴾ ، قال : أعطتهن أترجاً ، وأعطت كل واحدة منهن سكيناً .

فلما فعلت امرأة العزيز ذلك بهن ، وقد أجلس يوسف في بيت ويجلس غير المجلس الذي هن فيه جلوس ، قالت ليوسف : ﴿أُخْرِجْ عَلَيْنَ﴾ ،

(١) يوسف ٣٠ .

(٢) ن : « في القلب » .

فخرج يوسف عليهن ، فلما رأيته أجللته وأكبرته وأعظمته ، وقطعن أيديهن بالسكاكين التي في أيديهن ، وهن يحسبن أنهن يقطعن بها الأترج ، وقلن : معاذ الله ما هذا إنس ، ﴿ إِنَّ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ (١) . فلما حلّ بين ما حلّ من قطع أيديهن من أجل نظرة نظرها إلى يوسف وذهاب عقولهن ، وعرفتهن خطأ قبلهن : ﴿ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تَرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ ﴾ ، وإنكارهن ما أنكرن من أمرها أقرت عند ذلك لهن بما كان من مراودتها إياه على نفسها ، فقالت : ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، بعد ما حلّ سراويله .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ٣٨٥/١ ﴿ قَالَتْ فَذَلِكَ الَّذِي لُمْتَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ ، تقول : بعد ما حلّ السراويل استعصم ، لا أدري ما بدا له ! ثم قالت لهن : ﴿ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ ﴾ من إتيانها ﴿ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّغِيرِينَ ﴾ ، فاختار السجن على الزنا ومعصية ربه ، فقال : ﴿ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ (٢) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي : ﴿ قَالَ رَبُّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ ﴾ من الزنا ، واستغاث بربه عز وجل فقال : ﴿ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (٣) . فأخبر الله عز وجل أنه استجاب له دعاءه ، فصرف عنه كيدهن ونجاه من ركوب الفاحشة ، ثم بدا للعزیز من بعد ما رأى من الآيات ما رأى من قنّد القميص من الدُّبر ، وخمش في الوجه ، وقطع النسوة أيديهن وعلمه

(١) سورة يوسف ٣١

(٢) سورة يوسف ٣٢

(٣) سورة يوسف ٣٣

براءة يوسف مما قُرف^(١) به في ترك يوسف مطلقاً .

* * *

وقد قيل : إن السبب الذي من أجله بدا له في ذلك ، ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط عن السدي : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾^(٢) ، قال : قالت المرأة لزوجها : إن هذا العبد العبراني قد فضحني في الناس يعتذر إليهم ويخبرهم أني راودته عن نفسه ، ولست أطيق أن أعتذر بعذري ، فيما أن تأذن لي فأخرج فاعتذر ، وإما أن تحبسه كما حبستني ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، فذكر أنهم حبسوه سبع سنين .

٣٨٦/١

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا المحاربي ، عن داود ، عن عكرمة : ﴿ لَيْسَجُنَّهُ حَتَّى حِينَ ﴾ ، قال : سبع سنين ؛ فلما حبس يوسف في السجن صاحبه العزيز ، أدخل معه السجن الذي حبس فيه فتيان من فتيان الملك صاحب مصر الأكبر ؛ وهو الوليد بن الريان ؛ أحدهما كان صاحباً طعامة ، والآخر كان صاحب شرا به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : حبسه الملك ، وغضب على خبأزه ؛ بلغه أنه يريد أن يسمه فحبسه ، وحبس صاحب شرا به ؛ ظن أنه ماله على ذلك ، فحبسهما جميعاً ، فذلك قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السَّجْنَ فَتَيَانٍ ﴾^(٣) .

فلما دخل يوسف قال فيما حدثني به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما دخل يوسف السجن ، قال : إني أعبر الأحلام ، فقال أحدُ الفتيين لصاحبه : هلم فلنجرّب هذا العبد العبراني ، فقرأ يا له ، فسأله من غير أن يكون رأياً شيئاً ، فقال الخباز : ﴿ إني أراي أحيلُ

٣٨٧/١

(١) ح : « قُرف به » . (٢) سورة يوسف ٣٥ . (٣) سورة يوسف ٣٦ .

فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ ﴿٥﴾ ، وقال الآخر : ﴿ إِنِّي أَرَانِي
أَعَصِرُ خَمْراً ﴾ ، ﴿ نَبَّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١) .

فقيل : كان إحسانه ما حدثنا به إسحاق بن أبي إسرائيل ، قال : حدثنا
خلف بن خليفة ، عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك قال : سألت رجل الضحاك
عن قوله : ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ : ما كان إحسانه ؟ قال : كان إذا
مرض لإنسان في السجن قام عليه ، وإذا احتاج جمع له ، وإذا ضاق عليه
المكان وسَّع له ، فقال لهما يوسف : ﴿ لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ﴾
في يومكما (٢) هذا ﴿ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ (١) في اليقظة . فكره (٣) صلى الله
عليه أن يعبر لهما ما سألاه عنه ، وأخذ في غير الذي سألا عنه لما
في عبارة ما سألا عنه من المكروه على أحدهما فقال : ﴿ يَا صَاحِبِي السَّجْنِ
أَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمْ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾ (٤) .

وكان اسم أحد الفتيين اللذين أدخلوا السجن محلب—وهو الذي ذكر أنه رأى
فوق رأسه خبراً— واسم الآخر نبي (٥) ، وهو الذي ذكر أنه رأى كأنه يعصر
خمراً ، فلم يدعاه والعدول عن الجواب عما سألاه عنه حتى أخبرهما بتأويل
ما سألاه عنه فقال : ﴿ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً ﴾ — وهو الذي ذكر أنه
رأى كأنه يعصر خمراً ، ﴿ وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصَلَّبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ ﴾ (٦) .
فلما عبر لهما ما سألاه تعبيره ، قالوا : ما رأينا شيئاً .

حدثنا ابن وكيع . قال : حدثنا ابن فضيل ، عن عمارة — يعني ابن
القعقاع — عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، في الفتيين اللذين أتيا يوسف

(١) سورة يوسف ٣٦ ، ٣٧ .

(٢) ١ : « نوبكما » .

(٣) ط : « وكره » وما أثبتته من أ .

(٤) سورة يوسف ٤١ .

(٥) كذا في أ ، وفي ط مهمل .

في الرؤيا إنما كانا تحالما ليختبراه^(١) ، فلما أوّل رؤياهما قالا : إنما كنا نلعب ، فقال^(٢) : ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾^(٣) ثم قال لنبو- وهو الذي ظن يوسف أنه ناج منهما : ﴿ إِذْ كُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ يعني عند الملك ، وأخبره^(٤) أني محبوس ظلماً ، ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ ﴾^(٥) ، غفلة عرضت ليوسف من قبل الشيطان .

فحدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبعي ، عن بسطام بن مسلم ، عن مالك بن دينار ، قال : قال يوسف للساقى : ﴿ إِذْ كُرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ ، قال : قيل : يا يوسف ، اتخذت من دوني وكيلاً ! لأطيلن حبسك . قال : فبكى يوسف وقال : يا ربّ أنسى قلبي كثرة البلوى فقلت كلمة ، فويل لإخوتي !

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن إبراهيم بن يزيد ، عن عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « لو لم يقل يوسف - يعني الكلمة التي قال - ما لبث في السجن طول ما لبث حيث يبتغي الفرج من عند غير الله عز وجل » .

فلبث في السجن ، فيما حدثني الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا عمران أبو الهذيل الصنعاني ، قال : سمعت وهبا يقول : أصاب أيوب البلاء سبع سنين ، وترك يوسف في السجن سبع سنين ، وعذب بختنصر فحوّل في السباع سبع سنين .

٣٨٩/١

* * *

ثم إن ملك مصر رأى رؤيا هالته .

(٢) ط : « قال » ، وما أثبت من ا
(٤) ط : « فأخبره » ، وما أثبت من ا .

(١) ا : « ليجرباه » .
(٣) سورة يوسف ٤١ .
(٥) سورة يوسف ٤٢ .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو بن محمد ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : إن الله عز وجل رأى الملك في منامه رؤيا هالته ، فرأى :
﴿ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾^(١) ، فجمع السحرة ، والكهنة والحازة^(٢) والقافة ، فقصتها عليهم ، فقالوا :
﴿ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ ۖ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا مِنَ الْفِتْنَيْنِ وَهُوَ نُبُو ، ﴿ وادَّكَّرَ ﴾ حاجة يوسف ﴿ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ ، يعني بعد نسيان :
﴿ أَنَا أَنْبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾^(٣) ، يقول : فأطلقون . فأرسلوه فأتى يوسف فقال : ﴿ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٍ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾^(٣) فإن الملك رأى ذلك في نومه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال ، حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : قال ابن عباس : لم يكن السجن في المدينة ، فانطلق الساقى إلى يوسف ، فقال : ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ . . . ﴾ الآيات .

فحدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، ﴿ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ ﴾ فالسمان الخاصيب ، والبقرات العجاف هن السنون المحول الجذوب . قوله : ﴿ وَسَبْعِ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ﴾ أما الخضرفهن السنون الخاصيب ، وأما اليابسات فهن الجذوب المحول .
فلما أخبر يوسف نبوتأويل ذلك ، أتى نبوالمملك ، فأخبره بما قال له يوسف ، فعلم الملك أن الذي قال يوسف من ذلك حق ، قال : اثبتوني به .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما أتى الملك رسوله فأخبره ، قال : اثبتوني به ، فلما أتاه الرسول ودعاه إلى

(١) سورة يوسف ٤٣ .

(٢) زاد ا : « والحازي : المتخوص » .

(٣) سورة يوسف ٤٤ - ٤٦ .

الملك أبي يوسف الخروج معه، وقال: ﴿ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالَ النَّسْوَةِ
الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ (١).

قال السدي: قال ابن عباس: لو خرج يوسف يومئذ قبل أن يعلم الملك
بشأنه ما زالت في نفس العزيز منه حاجة، يقول: هذا الذي راود امرأتى. فلما
رجع الرسول إلى الملك من عند يوسف جمع الملك أولئك النسوة، فقال لهن: ما
ماخطيكن؟ إذ راودتن يوسف عن نفسه! قلن - فيما حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو،
عن أسباط، عن السدي قال: لما قال الملك لهن: ﴿مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾؛
ولكن امرأة العزيز أخبرتنا أنها راودته عن نفسه، ودخل معها البيت، فقالت
امرأة العزيز حينئذ: ﴿الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ
الصَّادِقِينَ﴾ (٢). فقال يوسف: ذلك هذا الفعل الذي فعلت من ترددي رسول
الملك بالرسالات التي أرسلت في شأن النسوة، ليعلم أظفیر سیدی ﴿أَنِّي لَمْ أَخْنُفُ
بِالْقَيْبِ﴾ في زوجته راعيل، ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْخَائِثِينَ﴾ (٣).

فلما قال ذلك يوسف قال له جببرئيل: ما حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما جمع الملك النسوة، فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ﴾ قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين ﴿قال يوسف: ذلك ليعلم أنني لم أخننه بالقيب وأن الله لا يهدي الخائثين﴾. قال: فقال له جببرئيل:

٣٩١/١

(١) سورة يوسف ٥٠ .

(٢) سورة يوسف ٥١ .

(٣) سورة يوسف ٥٢ .

ولا يوم هممت بها؟ فقال: ﴿وَمَا أَبْرَىٰ نَفْسِي إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (١).
فلما تبين للملك عنده يوسف وأمانته قال: ﴿أَتُؤْتِنِي بِهِ اسْتَخْلَصَهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا﴾
أتى به ﴿كَلِمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدِينَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (١). فقال يوسف للملك:
﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ .

فحدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله:
﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ قال: كان لفرعون خزائن كثيرة غير الطعام،
فسلم سلطانه كله إليه، وجعل القضاء إليه أمره، وقضاؤه نافذ.

حدثنا ابن حميد قال: حدثنا إبراهيم بن المختار، عن شيبه الضبي في قوله:
﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾، قال: على حفظ الطعام. ﴿إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ (١)
يقول: إني حفيظ لما استودعني، عليم بسنى المجاعة، فولاه الملك ذلك.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال:

٣٩٢/١ لما قال يوسف للملك: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيزٌ عَلِيمٌ﴾ قال
الملك: قد فعلت، فولاه - فيما يذكر - عمل إطفير، وعزل إطفير
عما كان عليه، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ
يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (١)
قال: فذكر لي - والله أعلم - أن إطفير هلك في تلك الليالي، وأن الملك
الريان بن الوليد زوج يوسف امرأة إطفير راعيل، وأنها حين دخلت
عليه قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين! قال: فيزعمون أنها قالت:
أيها الصديق لا تلمني، فإني كنت امرأة - كما ترى - حسناء (٣) جميلة ناعمة،
في ملك ودينا، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلك الله في حسنك
وهيبتك، فغلبتني نفسي على ما رأيت. فيزعمون أنه وجدها عذراء، وأصابها
فولدت له رجلين: أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي:

(١) سورة يوسف ٥٣ - ٥٦ . (٢) ح : « حسنا وجمالا » .

﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ (١) قال :
استعمله الملك على مصر ، وكان صاحبَ أمرها ، وكان يلى البيع والتجارة وأمرها
كله ، فذلك قوله : ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ .

فلما ولي يوسف للملك خزائن أرضه واستقر (٢) به القرار في عمله ، ومضت
السنون السبع الخصبه التي كان يوسف أمرَ بترك ما في سنبل ما حصدوا من ٣٩٣/١
الزرع فيها فيه ، ودخلت السنون المجده وقحط الناس ، أجذبت بلاد فلسطين
فيما أجذب من البلاد ، ولحق مكروه ذلك آل يعقوب في موضعهم الذي كانوا
فيه ، فوجه يعقوب بنيه .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :
أصاب الناس الجوع حتى أصاب بلاد يعقوب التي هو بها ، فبعث بنيه إلى
مصر ، وأمسك أخوا يوسف بنيامين ، فلما دخلوا على يوسف عرفهم وهم
له منكرون ، فلما نظر إليهم قال : أخبروني : ما أمرُكم ؟ فإني أنكر شأنكم !
قالوا : نحن قوم من أرض الشام ، قال : فما جاء بكم ؟ قالوا : جئنا نمتار
طعاماً ، قال : كذبتُم ، أنتم عيون ! كم أنتم ؟ قالوا : عشرة ، قال : أنتم
عشرة آلاف ، كلُّ رجل منكم [أمير] (٣) ألف . فأخبروني خبركم ، قالوا : إنا
إخوة ، بنو رجل صدِّيق ، وإنا كنا اثني عشر ، وكان أبونا يجب أخصاً لنا ،
وإنه ذهب معنا إلى البرية فهلك فيها ، وكان أحبنا إلى أبينا . قال : فإلى من
سكن أبوكم بعده ؟ قالوا : إلى أخ لنا أصغر منه . قال : فكيف تخبروني أن
أباكم صدِّيق وهو يجب الصغير منكم دون الكبير ! اتنوني بأخيكم هذا حتى
أنظر إليه : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ . قَالُوا
سَرَّأَوْدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴿ (٤) .

(١) سورة يوسف ٥٦ .

(٢) ط : « واستقر » ، وما أثبتته من ا .

(٣) تكلمة من ا والتفسير .

(٤) سورة يوسف ٦٠ ، ٦١ ، وأخبر في التفسير ١٣ : ٦ (بولاق) .

قال : فضعوا بعضكم رهينة حتى ترجعوا ، فوضعوا شمعون .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان يوسف حين رأى ما أصاب الناس من الجهد قد آسى بينهم ، فكان لا يحمل للرجل إلا بعيراً واحداً ، ولا يحمل الواحد بعيرين تقسيطاً بين الناس ، وتوسيعاً عليهم ، فقدم عليه لإخوته فيمن قدم عليه من الناس يلتمسون الميرة من مصر ، فعرفهم وهم له منكرون لما أراد الله تعالى أن يبلغ بيوسف^(١) فيما أراد . ثم أمر يوسف بأن يوقر لكل رجل من إخوته بعيرة ، فقال لهم : ائتوني بأخيكم من أبيكم ، لأحمل لكم بعيراً آخر ، فتزادوا به حمل بعير : ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِ الْكَيْلَ ﴾ فلا أبخسه أحداً ، ﴿ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾^(٢) . وأنا خير من أنزل ضيفاً على نفسه من الناس بهذه البلدة ، فأنا أضيفكم ﴿ فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي ﴾^(٣) بأخيكم من أبيكم فلا طعام لكم عندي أكيله ، ولا تقربوا بلادى . وقال لفتياناه الذين يكيلون الطعام لهم : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ ﴾ - وهى ثمن الطعام الذى اشتروه به - ﴿ فِي رِحَالِهِمْ ﴾ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ ﴾^(٣) ، أى ورفهم ، فجعلوا ذلك فى رحالهم وهم لا يعلمون .

٣٩٥/١ : فلما رجع بنو يعقوب إلى أبيهم ، قالوا : ما حدثنا به ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : فلما رجعوا إلى أبيهم قالوا : يا أبانا ، إن ملك مصر أكرمنا كرامةً ، لو كان رجلاً من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته ، وإنه ارتن شمعون وقال : ائتوني بأخيكم هذا الذى عطف عليه أبوكم بعد

(١) : « ليوسف » ، ن : « من يوسف » .

(٢) سورة يوسف ٥٩ ، ٦٠ .

(٣) سورة يوسف ٦٢ .

أخيكم الذي هلك؛ فإن لم تأتوني به فلا كيل لكم عندي ولا تقرّبوا بلادى (١) أبداً.
قال يعقوب: ﴿هَلْ آمَنْتُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ
فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٢). قال: فقال لهم يعقوب:
إذا أتيتم ملك مصر فأقرّوه مني السلام وقولوا له: إن أبانا يصلّي عليك،
ويدعوك بما أوليتنا.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: خرجوا
حتى إذا قدموا على أبيهم، وكان مترهم - فيما ذكر لي (٣) بعض أهل العلم -
بالعربات من أرض فلسطين بغور الشام. وبعضهم يقول: بالأولاج (٤) من
ناحية الشعب أسفل من حِسْنَى فلسطين، وكان صاحب بادية، له إبل
وشاء. فلما رجع إخوة يوسف إلى والدهم يعقوب قالوا له: يا أبانا منع منا
الكيل فوق حمل أباعرنا، ولم يكل لكل واحد منا إلا كيل بعير، فأرسل معنا
أخانا بنيامين يكتل لنفسه، وإنا له لحافظون، فقال لهم يعقوب: ﴿هَلْ آمَنْتُمْ
عليه إِلَّا كَمَا آمَنْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.

٣٩٦/١

ولما فتح ولد يعقوب الذين كانوا خرجوا إلى مصر للميرة متاعهم الذي
قدموا به من مصر، وجعلوا ثمن طعامهم الذي اشتروه به رُدًّا إليهم، فقالوا لوالدهم:
﴿يَا أَبَانَا مَا نَبِغِي هَذِهِ بِضَاعَتْنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا
وَتَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ (٥) آخر على أحمال إبلنا.

وقد حدثني الحارث، قال: حدثنا القاسم، قال: حدثنا حجاج، عن

(١) ط: «ولا تقرّبوني». وفح: «فإن لم تأتوني بأخيكم هذا فلا تقرّبوا بلادى»؛
وما أثبتته من أ.

(٢) سورة يوسف ٦٤.

(٣) ط: «ذكرني»؛ وما أثبتته عن أ.

(٤) الأولاج: موضع ذكره ياقوت؛ ولم يعين موضعه.

(٥) سورة يوسف ٦٥.

ابن جريج، ﴿وَزَزَادُ كَيْلٍ بَعِيرٍ﴾ ، قال : كان لكل رجل منهم حمل بعير ، فقالوا : أرسل معنا أحمانا نزدد حمل بعير . قال ابن جريج : قال مجاهد : كيل بعير حمل حمار . قال : وهي لغة ؛ قال الحارث : قال القاسم : يعنى مجاهد أن الحمار يقال له فى بعض اللغات « بعير » .

فقال يعقوب : ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنْ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾ يقول : إلا أن تهلکوا جميعاً ، فيكون حينئذ ذلك لكم عذراً عندى ، فلما وثقوا له بالأيمان قال يعقوب : ﴿اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾^(١) .

ثم أوصاهم بعد ما أذن لأخيهم من أبيهم بالرحيل معهم ، ألا تدخلوا من باب واحد من أبواب المدينة خوفاً عليهم من العين ، وكانوا ذوى صورة حسنة ، وجمال وهيئة ، وأمرهم أن يدخلوا من أبواب متفرقة ، كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾^(١) ، قال : كانوا قد أتوا صورة وجمالاً ، فخشى عليهم أنفس الناس ، فقال الله تبارك وتعالى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾ ، [وكانت الحاجة التى فى نفس يعقوب فقضاها]^(٢) ما تخوف على أولاده أعين الناس لهيئتهم وجمالهم .

ولما دخل إخوة يوسف على يوسف ضم إليه أخاه لأبيه وأمه ، فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدى : ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾^(١) ، قال : عرف أخاه ، وأنزلهم منزلاً ، وأجرى عليهم الطعام والشراب ، فلما كان الليل جاءهم بمثل فقال : لیستم كل أخوين

(١) سورة يوسف ٦٦ - ٦٩ .

(٢) تكلمة من ١ .

منكم على مثال^(١)، فلما بقي الغلام وحده قال يوسف: هذا ينام معي على فراشي، فبات معه، فجعل يوسف يشتم ريحه، ويضمه إليه حتى أصبح؛ وجعل روبيل يقول: ما رأينا مثل هذا إن نجونا منه.

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق، قال: لما دخلوا - يعني ولد يعقوب - على يوسف قالوا: هذا أخونا الذي أمرتنا أن نأتيك به، قد جئناك به. فذكر لي أنه قال لهم: قد أحسنتم وأصبتم، وستجدون جزاء ذلك عندي، أو كما قال.

ثم قال: إني أراكم رجالا، وقد أردت أن أكرمكم، فدعا صاحب ضيافته فقال: أنزل كل رجلين على حدة، ثم أكرمهما وأحسن ضيافتهما. ٣٩٨/١

ثم قال: إني أرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس معه ثاب، فسأضمه إلي فيكون منزله معي، فأنزلهم رجلين رجلين في منازل شتى، وأنزل أخاه معه فأواه إليه، فلما خلا به قال: إني أنا أخوك أنا يوسف فلا تبتئس بشيء فعلوه بنا فيما مضى؛ فإن الله قد أحسن إلينا فلا تعلمهم مما أعلمتكم؛ يقول الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢)، يقول له: ﴿فلا تبتئس﴾، فلا تحزن.

فلما حمل يوسف إبل إخوته ما حملها من الميرة وقضى حاجتهم ووفاهم كيلهم، جعل الإناء الذي كان يكيل به الطعام - وهو الصواع - في رحل أخيه بنيامين.

حدثنا الحسن بن محمد، قال: حدثنا عفان، قال: حدثنا عبد الواحد، عن يونس، عن الحسن أنه كان يقول: الصواع والسقاية سواء، هما الإناء الذي يشرب فيه، وجعل ذلك في رحل أخيه، والأخ لا يشعر فيما ذكر.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا عمرو، عن أسباط، عن السدي: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَّازِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ﴾، والأخ لا يشعر، فلما ارتحوا أذن مؤذن قبل أن ترتحل العير: ﴿إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾^(٢).

(١) المثال: الفراش ينام عليه. (٢) سورة يوسف ٦٩، ٧٠.

٣٩٩/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حمل ثم بعيراً بعيراً ، وحمل لأخيه بنيامين بعيراً باسمه كما حمل لهم ، ثم أمر بسقاية الملك - وهو الصّواع - وزعموا أنها كانت من فضة ، فجعلت في رحل أخيه بنيامين ، ثم أمهلهم حتى إذا انطلقوا فأمعنوا من القرية ، أمر بهم فأدرِكوا واحتسبوا ، ثم نادى مناد : أيتها العير إنكم لسارقون ، [قفوا] ^(١) . وانتهى إليهم رسوله فقال لهم - فيما يذكرون - : ألم نكرم ضيافتكم ، ونوفِّكم كَيْلَكُمْ ، ونحسن منزلتكم ، ونفعل بكم ما لم نفعل بغيركم ، وأدخلناكم علينا في بيوتنا ، وصار لنا عليكم حرمة ! أو كما قال لهم . قالوا : بلى ، وما ذاك ؟ قال : سقاية الملك فقدناها ، ولا يتَّهَموا عليها غيركم . قالوا : ﴿ تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ^(٢) . وكان مجاهد يقول . كانت العير حميراً .

حدثني بذلك الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا سفيان ، قال : أخبرني رجل ، عن مجاهد : وكان فيما نادى به منادى يوسف : مَنْ جَاء بِصُوعِ الْمَلِكِ فَلَهُ حَمْلٌ بَعِيرٌ مِنَ الطَّعَامِ ، وَأَنَا بِيَفَاثِهِ ذَلِكَ زَعِيمٌ - يعني « كفيل » ^(٣) - وإنما قال القوم : ﴿ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴾ ، لأنهم ردوا ثمن الطعام الذي كان كيل لهم المرة الأولى في رحالهم . فردوه إلى يوسف ، فقالوا : لو كنا سارقين ^(٤) لم نردد ذلك إليكم - وقيل إنهم كانوا معروفين بأنهم لا يتناولون ما ليس لهم ، فلذلك قالوا ذلك - فقيل لهم : فما جزاء من كان سرق ذلك ؟ فقالوا : جزاؤه في حُكْمِنَا بَأَن يَسَلَّمَ لِفَعْلِهِ ذَلِكَ إِلَى مَنْ سَرَقَهُ حَتَّى يَسْتَرْقَهُ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : ﴿ قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴾ قالوا جزاؤه مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ

(١) تكلمة من ا ، ن ، والتفسير .

(٢) سورة يوسف ٧٣ ، والخبر في التفسير ١٢ . ١٢ (بولاق) .

(٣) ن : « كفيلا » .

(٤) ح : « سراقاً » .

٤٠٠/١

فهو جزاؤه ^(١) تأخذونه ؛ فهو لكم . فبدأ يوسف بأوعية القوم قبل وعاء أخيه بنيامين ، ففتشها ثم استخرجها من وعاء أخيه لأنه أحرر تفتيشه .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : ذكر لنا أنه كان لا ينظر في وعاء إلا استغفر الله تأمناً مما قرفهم به ، حتى بقي أخوه - وكان أصغر القوم - قال : ما أرى هذا أخذ شيئاً . قالوا : بلى فاستبرئه ، ألا وقد علموا حيث وضعوا سقايتهم . **﴿ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾** ^(٢) ، يعني في حكم الملك ، ملك مصر ، وقضائه لأنه لم يكن من حكم ذلك الملك وقضائه أن يُسْتَرْقَ السارق بما سرق ، ولكنه أخذ بكيد الله له حتى أسلمه رفاقه وإخوته بحكمهم عليه وطيب أنفسهم بالتسليم .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا شباية ، قال : حدثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : قوله : **﴿ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾** إلا بعلّة كادها الله له ، فاعتلّ بها يوسف ، فقال لإخوة يوسف حينئذ : **﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾** ^(٣) - يعنون بذلك يوسف .

٤٠١/١

* * *

وقد قيل إن يوسف كان سرق صنماً بلده أبي أمته ، فكسره ، فعيروه بذلك .
 * ذكر من قال ذلك :

حدثني أحمد بن عمرو البصري ، قال : حدثنا الفيض بن الفضل ، قال : حدثنا مسعر ، عن أبي حصين ^(٤) ، عن سعيد بن جبیر : **﴿ إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ ﴾** ، قال : سرق يوسف صنماً بلده أبي أمه فكسره وألقاه في الطريق ، فكان إخوته يعيرونه بذلك .

(١) سورة يوسف ٧٤ ، ٧٥ . (٢) سورة يوسف ٧٦ . (٣) سورة يوسف ٧٧ .
 (٤) أبو حصين ، يفتح المهلة ، وهو عثمان بن عاصم بن حصين الأسدي . تهذيب التهذيب .

وقد حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن لإدريس ، قال : سمعت أبي قال : كان بنو يعقوب على طعام ، إذ نظر يوسف إلى عَرَق^(١) فخبأه فعيّروه بذلك ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهٗ مِنْ قَبْلُ﴾ ، فأسرّ في نفسه يوسف حين سمع ذلك منهم ، فقال : ﴿أَتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾^(٢) به أخا بنيامين من الكذب ، ولم يُبْسِدِ ذلك لهم قولاً .

فحدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما استخرجت السريقة من رحل الغلام انقطعت ظهورهم ، وقالوا : يا بتي راحيل ، ما يزال لنا منكم بلاء ! متى أخذت هذا الصواع ؟ فقال بنيامين : بل بنو راحيل الذين لا يزال لهم منكم بلاء ، ذهبتم بأخي فأهلكتموه في البرية^(٣) ، وصّع هذا الصواع في رحلي الذي وضع الدرهم في رحالكم . فقالوا : لا تذكر الدرهم فتؤخذ بها . فلما دخلوا على يوسف دعا بالصواع ، فنقر فيه ثم أذناه من أذنه ، ثم قال : إن صواعي هذا ليخبرني أنكم كنتم اثني عشر رجلاً ، وأنكم انطلقتم بأخ لكم فبعتموه . فلما سمعها بنيامين قام فسجد ليوسف ثم قال : أيها الملك ، سل صواعك هذا عن أخي أين هو؟ فنقره ، ثم قال : هو حي ، وسوف تراه . قال : فاصنع بي ما شئت ، فإنه إن علم بي فسوف يستنقذني . قال : فدخل يوسف فبكى ثم توضأ ، ثم خرج فقال بنيامين : أيها الملك ، إنني أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذي سرقه فجعله في رحلي . فنقره ، فقال : إن صواعي هذا غضبان ، وهو يقول : كيف تسألني : من صاحبي ؟ فقد رأيت مع من كنت ! قالوا : وكان بنو يعقوب إذا غضبوا لم يُطاقوا ، فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، والله لتتركنا أو لأصبحن صبيحة لا تبقى بمصر حامل إلا ألفت ما في بطنها ، وقامت كل شعرة في جسد روبيل ، فخرجت من ثيابه . فقال يوسف لابنه : قم إلى جنب روبيل فسّه - وكان بنو يعقوب إذا غضب أحدهم فسّه الآخر ذهب غضبه - فقال روبيل : من

(١) العرق والعراق : العظم أكل لحمه .

(٢) سورة يوسف ٧٧ .

(٣) ن : « بالبرية » .

هذا ؟ إن في هذا البلد لبزراً من بزّر يعقوب ، فقال يوسف : من يعقوب ؟
فغضب روبيل وقال : أيها الملك ، لا تذكر يعقوب فإنه لإسرائيل الله بن ذبيح
الله بن خليل الله . قال يوسف : أنت إذن كنت صادقاً .

قال : ولما احتبس يوسف أخاه بنيامين ، فصار بحكم إخوته أولى به منهم ،
ورأوا أنه لاسبيل لهم إلى تخليصه (١) صاروا إلى مسألته تخليته ببذل منهم
يعطونه إياه ، فقالوا : ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا
مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ في أفعالك . فقال لهم يوسف : ﴿ مَعَاذَ اللَّهِ
أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ يَجِدُنَا مَتَاعًا عِنْدَهُ إِنَّا إِذًا لَطَالِمُونَ ﴾ (٢) أن نأخذ بريئاً
بستيم !

٤٠٣/١

فلما يئس إخوة يوسف من إجابة يوسف إياهم إلى ما سألوا من إطلاق
أخيه بنيامين وأخذ بعضهم مكانه ، خلصوا نجياً لا يفترق منهم أحد ، ولا
يختلط بهم (٣) غيرهم . فقال كبيرهم : - وهو روبيل ، وقد قيل إنه شمعون - :
ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله أن تأتيه بأخي بنيامين إلا
أن يحاط بنا أجمعين ! ومن قبل هذه المرة ما فرطتم في يوسف ﴿ فَلَنْ أُبْرَحَ
الْأَرْضَ ﴾ التي أنا بها ﴿ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي ﴾ في الخروج منها وترك أخي بنيامين
بها ﴿ أَوْ يَحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (٤) - وقد قيل معنى
ذلك : أو يحكم الله لي بحرب من منعي من الانصراف بأخي -
﴿ ارجعوا إلى أبيكم فقولوا يا أبانا إن ابنك سرق ﴾ ، فأسلمناه بحريته ،
﴿ وما شهدنا إلا بما علمنا ﴾ ؛ لأن صواع الملك لم يوجد إلا في رحله ، ﴿ وما كنا
للغيب حافظين ﴾ (٤) ، يعنون بذلك أنا إنما ضمننا لك أن نحفظه مما لنا إلى حفظه

٤٠٤/١

(١) ن : « تخليته » .

(٢) سورة يوسف ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) ن : « معهم » .

(٤) سورة يوسف ٨٠ ، ٨١ .

سبيل، ولم نكن نعلم أنه يسرق فيُسترقّ بسرقة، واسأل أهل القرية التي كنا فيها فسرق ابنك فيها، والقافلة التي كنا فيها مقبلة من مصر معنا عن خبر ابنك، فإنك تخبر بحقيقة ذلك.

فلما رجعوا إلى أبيهم فأخبروه خبر بنيامين، وتخلّف روبييل قال لهم (١): بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً أردتموه، فصبرٌ جميل لاجزع فيه على ما نالني من فقيد ولدي، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً بيوسف وأخيه وروبييل.

ثم أعرض عنهم يعقوب وقال: ﴿يا أسفاً على يوسف﴾ يقول الله عز وجل: ﴿وابيضّت عيناه من الحزن فهو كظيم﴾ (٢)، مملوء من الحزن والغم.

فقال له بنوه الذين انصرفوا إليه من مصر حين سمعوا قوله ذلك: تالله لا تزال تذكر يوسف فلا تفتر (٣) من حبه وذكره حتى تكون ذنفاً الجسم، محبول العقل من حبه وذكره، هرماً بالياً أو تموت!

فأجابهم يعقوب فقال: إنما أشكو بثي وحزني إلى الله لا إليكم، وأعلم من الله ما لا تعلمون من صدق رؤيا يوسف؛ أن تأويلها كائن، وأنى وأنتم سنسجد له.

وقد حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا حكام، عن عيسى بن يزيد، عن الحسن، قال: قيل: ما بلغ وجد يعقوب على ابنه؟ قال: وجد سبعين شكلي، قال: فما كان له من الأجر؟ قال: أجر مائة شهيد، قال: وما ساء ظنّه بالله ساعة قطّ من ليل ولا نهار.

وحدثنا ابن حميد مرة أخرى، قال: حدثنا حكام، عن أبي معاذ، عن يونس، عن الحسن، عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله.

حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة، عن المبارك بن مجاهد، عن رجل من الأزد، عن طلحة بن مصرف اليماني، قال: أنبت أن يعقوب ابن إسحاق دخل عليه جاره فقال: يا يعقوب، مالي أراك قد أنهشمت

(١) «قال لهم أبيهم» . (٢) سورة يوسف ٨٤ .

(٣) كذا في ١، وفي ط: «لا تفتر» .

وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك؟ قال : هشمى وأفنانى ما ابتلانى الله به من هم يوسف وذكره . فأوحى الله عز وجل إليه : يا يعقوب^(١) أتشكونى إلى خلقى ! قال : يارب خطيئة أخطأتها فاغفرها^(٢) لى . قال : فإنى قد غفرت لك ، فكان بعد ذلك إذا سئل قال : إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله ، وأعلم من الله ما لا تعلمون .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام عن الحسن ، قال : كان منذ خرج يوسف من عند يعقوب إلى أن رجع ثمانون سنة لم يفارق الحزن قلبه ، ولم يزل يبكى حتى ذهب بصره . قال الحسن : والله ما على الأرض خليفة^٣ أكرم على الله من يعقوب .

ثم أمر يعقوب بنبيه الذين قدموا عليه من مصر بالرجوع إليها وتحسس الخبر عن يوسف وأخيه ، فقال لهم : اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيسبوا من روح الله ، يفرج به عنا وعنكم الغم الذى نحن فيه . فرجعوا إلى مصر فدخلوا على يوسف فقالوا له حين دخلوا عليه : ﴿ أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَّا الضَّرَّ وَحِثْنَا بِبِضَاعِهِ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾^(٣) . وكانت بضاعتهم المزجاة التى جاءوا بها معهم فيما ذكر - دراهم رديئة زيوفا لا تؤخذ إلا بوضيعة^(٤) . وكان بعضهم يقول : كانت حلق الغرارة والحبل ونحو ذلك . وقال بعضهم : كانت سمناً وصوفاً . وقال بعضهم : كانت صنوبراً وحببة الخضراء . وقال بعضهم : كانت قليلة دون ما كانوا يشترون به قبل ، فسألوا يوسف أن يتجاوز لهم ويؤفقيهم بذلك من كيل الطعام مثل الذى كان يعطيهم فى المرتين قبل ذلك ، ولا ينقصهم . فقالوا له : ﴿ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

(١) ن : « فأوحى الله إلى يعقوب » .

(٢) ح : « فاغفر لى » .

(٣) سورة يوسف ٨٨ .

(٤) الوضيعة هنا : الحط من الثمن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي :
﴿ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ﴾ ، قال : بفضل ما بين الجهاد والريّة . وقد قيل : إن معنى
ذلك : وتصدق علينا برد أحياننا إلينا ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال :
ذكر أنهم لما كلموه بهذا الكلام ، غلبته نفسه فافرض دمعهُ باكيًا ، ثم باح
لهم بالذي كان يكتُم منهم ، فقال : ﴿ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ
إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴾ ^(١) . ولم يعن بذكر أخيه ما صنعه هو فيه حين أخذه ،
ولكن التفريق بينه وبين أخيه إذ صنعوا بيوسف ^(٢) ما صنعوا . فلما قال لهم
يوسف ذلك قالوا له : ها أنت يوسف ! قال : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ
اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ بأن جمع بيننا بعد تفريقكم بيننا ، ﴿ إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ
لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : لما قال
لهم يوسف : ﴿ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي ﴾ اعتذروا وقالوا : ﴿ تَأَلَّه لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ
عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ ﴾ ^(٣) . قال لهم يوسف : ﴿ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ
يَقْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ ^(٣) . فلما عرفهم يوسف نفسه سألم عن أبيه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :
قال يوسف : ما فعل أبي بعدى ؟ قالوا : لما فاته بنيامين عمي من الحزن فقال :
﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَالْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ
أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ ﴾ عير بني يعقوب ، قال يعقوب :

(١) سورة يوسف ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) ن : « فيه » .

(٣) سورة يوسف ٩١ ، ٩٢ .

﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ (١) .

فحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني ابن شريح ،
 عن أبي أيوب الهوزني ، حدثه ، قال : استأذنت الريح بأن تأتي يعقوب بريح
 يوسف حين بعث بالقميص إلى أبيه قبل أن يأتيه البشير ، ففعلت ، فقال يعقوب :
 ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ (١) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا وكيع ، عن إسرائيل ، عن ابن سنان ،
 عن ابن أبي الهذيل ، عن ابن عباس في ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي
 لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : هاجت ريحٌ فجاءت بريح يوسف من مسيرة
 ثمان ليال ، فقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ،
 عن قتادة ، عن الحسن ، قال : ذُكر لنا أنه كان بينهما يومئذ ثمانون فرسخاً ،
 يوسف بأرض مصر ويعقوب بأرض كنعان ، وقد أتى لذلك زمان طويل .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا حجاج ، عن ابن
 جريج . قوله : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ قال : بلغنا أنه كان بينهم يومئذ
 ثمانون فرسخاً ، وقال : ﴿ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ ﴾ وقد كان فارقه قبل ذلك سبعاً
 وسبعين سنة . ويعني بقوله : ﴿ لَوْلَا أَنْ تُفَنِّدُونِ ﴾ لولا أن تسفهوني فتنسبوني إلى الهرم
 وذهاب العقل . فقال له مَنْ حضره من ولده حينئذ : تالله إنك من
 ذكر يوسف وجبه ﴿ إِنِّي ضَلَّالِكَ الْقَدِيمِ ﴾ (٢) — يعنون في خطبك القديم .
 ﴿ فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ ﴾ (٣) — يعنى البريد الذي أبرده يوسف إلى يعقوب —
 يبشر بحياة يوسف وخبره ، وذكر أن البشير كان يهوذا بن يعقوب .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال :

(١) سورة يوسف ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) سورة يوسف ٩٥ ، ٩٦ .

قال يوسف: ﴿ اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَاَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ (١). قال يهوذا: أنا ذهبت بالقميص ملطخًا بالدم إلى يعقوب فأخبرته أن يوسف أكله الذئب ، وأنا أذهب اليوم بالقميص فأخبره بأنه حي ، فأقر عينه كما أحزنته ؛ فهو كان البشير .

فلما أن جاء البشير يعقوب بقميص يوسف ألقاه على وجهه ، فعاد بصيراً بعد العمى ، فقال لأولاده: ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٢). وذلك أنه كان قد علم - من صدق تأويل رؤيا يوسف التي رآها أن الأحد عشر كوكبًا والشمس والقمر ساجدون - ما لم يكونوا يعلمون . فقالوا ليعقوب : ﴿ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ (٣). فقال لهم يعقوب : ﴿ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ (٤). قيل : إنه أحر الدعاء لهم إلى السحر . وقيل إنه أحر ذلك إلى ليلة الجمعة .

حدثنا أحمد بن الحسن الترمذی ، قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن الدمشقي ، قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، قال : حدثنا ابن جريج ، عن عطاء وعكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال يعقوب : ﴿ سَوْفَ اسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي ﴾ ، يقول : حتى تأتي ليلة الجمعة » .

فلما دخل يعقوب وولده وأهاليهم على يوسف آوى إليه أبويه ، وكان دخولهم عليه قبل دخولهم مصر - فيما قيل - لأن يوسف تلقاهم . حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا عمرو ، عن أسباط ، عن السدي ، قال : حملوا إليه أهليهم وعيالهم ، فلما بلغوا مصر كلّم يوسف الملك الذي فوقه فخرج هو والملك يتلقونهم ، فلما بلغوا مصر قال : ﴿ ادْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ (٥) . فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه .

(١) سورة يوسف ٩٣

(٢) سورة يوسف ٩٦ - ٩٩

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان ، عن فرقد السبّخي ، قال : لما ألقى القميص على وجهه ارتد بصيراً ، وقال : ائتوني بأهلكم أجمعين ، فحمل يعقوب وإخوة يوسف ، فلما دنا يعقوب أخبر يوسف أنه قد دنا منه ، فخرج يتلقاه . قال : وركب معه أهل مصر - وكانوا يعظمونه - فلما دنا أحدهما من صاحبه - وكان يعقوب يمشي وهو يتوكأ على رجل من ولده ، يقال له يهوذا - قال : فنظر يعقوب إلى الخيل والناس ، فقال (١) : يا يهوذا ، هذا فرعون مصر ، فقال : لا ، هذا ابنك يوسف ، قال : فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب (٢) يوسف يبدوه بالسلام ، فنع ذلك ، وكان يعقوب أحقّ بذلك منه وأفضل . فقال : السلام عليك يا مذهب الأحران ، فلما أن دخلوا مصر رفع أبويه على السرير وأجلسهما عليه .

* * *

وقد اختلف في اللذين رفعهما يوسف على العرش ، وأجلسهما عليه ، فقال بعضهم : كان أحدهما أبوه يعقوب ، والآخر أمه راحيل . وقال آخرون : بل كان الآخر خالته ليا وكانت أمه راحيل قد كانت ماتت قبل ذلك . وخر له يعقوب وأمّه وولد يعقوب سجّداً . ٤١١/١

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ (٣) قال : كانت تحية الناس أن يسجد بعضهم لبعض ، وقال يوسف لأبيه : ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ (٣) يعني بذلك : هذا السجود منكم ، يدل على تأويل رؤياي التي رأيتها من قبل ، صنع إخوتي بي ما صنعوا ، وتلك الكواكب الأحد عشر والشمس والقمر ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ . يقول : قد حقق الرؤيا بمجيء تأويلها .

* * *

وقيل كان بين أن أرى يوسف رؤياه هذه وحىء تأويلها أربعون سنة .
* ذكر بعض من قال ذلك :

(١) ط : « قال » وما أثبتته من أ . (٢) ١ : « فذهب » .

(٣) سورة يوسف ١٠٠ .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : حدثنا معتمر ، عن أبيه ، قال :
حدثنا أبو عثمان ، عن سلمان الفارسي ، قال : كان بين رؤيا يوسف إلى أن
رأى تأويلها أربعون سنة .

وقال بعضهم : كان بين ذلك ثمانون سنة .

* ذكر بعض من قال ذلك :

حدثنا عمرو بن علي ، قال : حدثنا عبد الوهاب الثقفي ، قال : حدثنا
هشام ، عن الحسن ، قال : كان منذ فارق يوسف يعقوب إلى أن التقيا ثمانون
٤١٢/١ سنة ، لم يفارق الحزن قلبه ودموعه تجرى على خديه ، وما على الأرض يومئذ
أحب إلى الله عز وجل من يعقوب .

حدثنا الحسن بن محمد ، قال : حدثنا داود بن مهزيان ، قال : حدثنا
عبد الواحد بن زياد ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : ألتقي يوسف في الحب
وهو ابن سبع عشرة سنة ، وكان بين ذلك وبين لقائه يعقوب ثمانون سنة ، وعاش
بعد ذلك ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

حدثني الحارث ، قال : حدثنا عبد العزيز ، قال : حدثنا مبارك بن
فضالة ، عن الحسن ، قال : ألتقي يوسف في الحب ، وهو ابن سبع عشرة
سنة ، فغاب عن أبيه ثمانين سنة ، ثم عاش بعد ما جمع الله شمله ، ورأى
تأويل رؤياه ثلاثاً وعشرين سنة ، فمات وهو ابن عشرين ومائة سنة .

وقال بعض أهل الكتاب : دخل يوسف مصر وله سبع عشرة سنة ، فأقام
في منزل العزيز ثلاث عشرة سنة ، فلما تمت له ثلاثون سنة استوزره فرعون
ملك مصر ، واسمه الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن قاران بن عمرو بن
عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ، وأن هذا الملك آمن ، ثم مات ، ثم ملك
بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس^(١) بن قاران بن عمرو
ابن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح . وكان كافراً ، فدعاه يوسف إلى الإيمان
٤١٣/١ بالله فلم يستجب إليه ، وأن يوسف أوصى إلى أخيه يهوذا ، ومات وقد أتت
له مائة وعشرون سنة ، وأن فِراق يعقوب إياه كان اثنتين وعشرين سنة ، وأن

مقام يعقوب معه بمصر كان بعد موافاته بأهله سبع عشرة سنة ، وأن يعقوب لما حضرته الوفاة أوصى إلى يوسف - وكان دخول يعقوب مصر في سبعين إنساناً من أهله . وتقدم إلى يوسف عند وفاته أن يحمل جسده حتى يدفنه بجانب أبيه إسحاق ، ففعل يوسف ذلك به ومضى به حتى دفنه بالشام ، ثم انصرف إلى مصر ، وأوصى يوسف أن يحمل جسده حتى يدفن إلى جنب آبائه ، فحمل موسى تابوت جسده عند خروجه من مصر معه .

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ذكر لي - والله أعلم - أن غيبة يوسف عن يعقوب كانت ثمانين سنة .

قال : وأهل الكتاب يزعمون أنها كانت أربعين سنة أو نحوها ، وأن يعقوب بقي مع يوسف بعد أن قدم عليه مصر سبع عشرة سنة ، ثم قبضه الله إليه . قال : وقبر يوسف - كما ذكر لي في - صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء .

وقال بعضهم : عاش يوسف بعد موت أبيه ثلاثاً وعشرين سنة ، ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة . قال : وفي التوراة أنه عاش مائة سنة وعشر سنين .
 وولد ليوسف أفرايم بن يوسف ومنشا بن يوسف ، فولد لإفرايم نون ، فولد لنون بن إفرايم يوشع بن نون وهو فتى موسى ، وولد لمنشا موسى بن منشا .
 وقيل : إن موسى بن منشا نبي^(١) قبل موسى بن عمران .
 ويزعم أهل التوراة أنه الذي طلب الخضر .

٤١٤/١

(١) ط : « نبي » ، وما أثبتته من ا .

قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام

قال أبو جعفر : كان الخضر ممن كان في أيام أفريدون الملك بن أنفيان في قول عامة أهل الكتاب الأول ، وقبل^(١) موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم . وقيل إنه كان على مقدمة ذى القرنين الأكبر ، الذى كان أيام إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قضى له بيئر السبع - وهى بيئر كان إبراهيم احتضرها لما شيته في صحراء الأردن - وإن قوماً من أهل الأردن ادّعوا الأرض التى كان احتضر بها إبراهيم بئر ، فحاكمهم إبراهيم إلى ذى القرنين الذى ذكر أن الخضر كان على مقدمته أيام سيره في البلاد ، وإنه بلغ مع ذى القرنين نهر الحياة ، فشرب من مائه وهو لا يعلم ، ولا يعلم به ذو القرنين ومن معه ، فخلد ، فهو حتى عندهم إلى الآن .

٤١٥/١ وزعم بعضهم أنه من ولد من كان آمن بإبراهيم خليل الرحمن ، واتبعه على دينه ، وهاجر معه من أرض بابل حين هاجر إبراهيم منها . وقال : اسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، قال : وكان أبوه ملكاً عظيماً .

وقال آخرون : ذو القرنين الذى كان على عهد إبراهيم صلى الله عليه وسلم هو أفريدون بن أنفيان ، قال : وعلى مقدمته كان الخضر .

وقال عبد الله بن شوذب فيه ، ما حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم المصرى قال : حدثنا محمد بن المتوكل ، قال : حدثنا ضميرة بن ربيعة ، عن عبد الله بن شوذب ، قال : الخضر من ولد فارس ، وإلياس من بنى إسرائيل ، يلتقيان في كل عام بالموسم .

وقال ابن إسحاق فيه ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : بلغني أنه استخلف الله عز وجل في بنى إسرائيل

(١) كذا في ابن الأثير ، وهو الصواب ، وفي ط : « وقيل » .

رجلا منهم ، يقال له ناشية بن أموص ، فبعث الله عزَّ وجلَّ لهم الخضر نبياً . قال : واسم الخضر - فيما كان وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل - أورميا بن خلقيا ، وكان من سبط هارون بن عمران . وبين هذا الملك الذى ذكره ابن إسحاق وبين أفريدون أكثر من ألف عام . ٤١٦/١

وقول الذى قال : إن الخضر كان فى أيام أفريدون وذى القرنين الأكبر وقبل (١) موسى بن عمران أشبه بالحق إلا أن يكون الأمر كما قاله مَنْ قال إنه كان على مقدمة ذى القرنين صاحب إبراهيم ، فشرب ماء الحياة ، فلم يبعث فى أيام إبراهيم صلى الله عليه وسلم نبياً ، وبعث أيام ناشية بن أموص ؛ وذلك أن ناشية بن أموص الذى ذكر ابن إسحاق أنه كان ملكاً على بنى إسرائيل ، كان فى عهد بشتاسب بن لهراسب ، وبين بشتاسب وبين أفريدون من الدهور (٢) والأزمان ما لا يحمله ذو علم بأيام الناس وأخبارهم ، وسأذكر مبلغ ذلك إذا انتهينا إلى خبر بشتاسب إن شاء الله تعالى .

وإنما قلنا : قول من قال : كان الخضر قبل موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم أشبه بالحق من القول الذى قاله ابن إسحاق وحكاه عن وهب بن منبه ، للخبر الذى روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أبى بن كعب ، أن صاحب موسى بن عمران - وهو العالم الذى أمره الله تبارك تعالى بطلبه إذ ظن أنه لا أحد فى الأرض أعلم منه - هو الخضر ، ورسول الله صلى الله عليه كان أعلم خلق الله بالكائن من الأمور الماضية ، والكائن منها الذى لم يكن بعد . ٤١٧/١

والذى روى أبى بن كعب فى ذلك عنه صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن آدم ، قال : حدثنا سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد ، قال (٣) : قلت لابن عباس : إن نوقاً يزعم أن الخضر ليس

(١) ط : « قبل » من غير واو ، وما أثبتة من ا .

(٢) ح : « الدهر » .

(٣) رواه البخارى فى كتاب التفسير بسنده عن سعيد بن جبير ؛ مع اختلاف فى ألفاظ

بصاحب موسى ، فقال : كذبَ عدو الله ، حدثنا أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن موسى قام في بني إسرائيل خطيباً فقبل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا ، فعتب الله عليه حين لم يردِّ العلم إليه ، فقال : بل عبدٌ لي ^(١) عند مجمع البحرين ، فقال : يا رب ، كيف به ؟ قال ^(٢) : تأخذ حوتاً فتجعله في مكثل فحيث تفقده فهو هناك . قال : فأخذ حوتاً فجعله في مكثل ، ثم قال لفتاه : إذا فقدتَ هذا الحوت فأخبرني . فانطلقا يمشيان على ساحل البحر حتى أتيا صخرة ، فرقد موسى فاضطرب الحوت في المكثل ، فخرج فوق في البحر ، فأمسك الله عنه جريرة الماء فصار مثل الطاق ، فصار للحوت سرباً ، وكان لهما عجباً . ثم انطلقا ، فلما كان حين الغداء قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاةَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ ^(٣) قال : ولم يجد موسى النصب ^(٤) حتى جاوز حيث أمره الله ^(٥) ، قال : فقال : ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ ^(٦) قال : فقال : ﴿ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ ۗ فَارْتَدَّ عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴾ ^(٧) . قال : يقصان آثارهما ^(٨) . قال : فأتيا الصخرة ، فإذا رجل نائم مسجى بثوبه ، فسلمت عليه موسى فقال : وأنتى بأرضنا السلام ! قال : أنا موسى ، قال : موسى بنى إسرائيل ؟ قال : نعم ، قال : يا موسى ، إني على علم من علم الله ، علمنيه الله لا تعلمه ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه ، قال : فإني أتبعك على أن تعلمني ممَّا علمت رُشدًا . ﴿ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ ^(٩) . فانطلقا يمشيان على الساحل ، فإذا بملاح في سفينة ، فعرف الحضرم ، فحملة

(١) البخارى : « فأوحى الله إليه إن لي عبداً » .

(٢) ط : « فقال » ؛ وما أثبتته عن البخارى .

(٣) سورة الكهف ٦٢ - ٦٤ .

(٤) ح : « التعب » .

(٥) لفظ البخارى : « المكان الذى أمر الله به » .

(٦) ن : « أثرهما » ، ولفظ البخارى : « رجماً يقصان آثارها حتى انتهيا إلى الصخرة » .

(٧) سورة الكهف ٧٠ .

بغير نَوَلٍ ، فجاء عصفور فوق على حرفها فنقر - أو فنقد^(١) - في الماء ، فقال الخضر لموسى : ما ينقص علمي وعلمك من علم الله إلا مقدار ما نقر - أو فنقد - هذا العصفور من البحر .

قال أبو جعفر : أنا أشكُّ ، وهو في كتابي هذا « نقر » . قال : فبينما هم في السفينة لم ينجأ موسى إلا وهو يتد وتدأ أو ينزع تخسماً منها ، فقال له موسى : حملنا بغير نَوَلٍ وتخرقها لتغرق أهلها^(٢) ! ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قَالَ لَا تَوَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ ﴿^(٣) - قال : فكانت الأولى من موسى نسياناً - قال : ثم خرجا فانطلقا يمشيان ، فأبصرا غلاماً يلعب مع الغلمان ، فأخذ برأسه فقتله ، فقال له موسى : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَاكِيَةً بغيرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَدُنِّي عُذْرًا ﴿^(٤) .

٤١٩/١

فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها ، فلم يجدا أحداً يطعمهم ولا يسقيهم ، فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه بيده - قال : مسحه بيده - فقال له موسى : لم يضيفونا ولم ينزلونا ، ﴿ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾^(٥) . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾^(٥) قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لوددت أنه كان صبر حتى يقص علينا قصصهم^(٦) » .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : أخبرني أبي قال : حدثنا الأوزاعي ،

(١) ط : « نقد ، وما أثبتته عن ا ، ونقر وفنقد بمعنى واحد .
(٢) لفظ البخاري : « فقال له موسى : قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها » .

(٣) سورة الكهف ٧١ - ٧٣ .

(٤) سورة الكهف ٧٤ - ٧٦ ، و « زاكية » قراءة الجمهور ، وقراءة الكوفيين وابن عامر : « زكية » ، بتشديد الياء ، وهي التي في المصحف . وقال البخاري : « كان ابن عباس قرأها : زكية وزاكية » .

(٥) سورة الكهف ٧٧ ، ٧٨ .

(٦) لفظ البخاري : ووددت أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما » .

قال : حدثني الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه ^(١) تمارى هو وألحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى ، فقال ابن عباس : هو الخضر ، فرأى بهما أبى بن كعب ، فدعاه ابن عباس فقال : إني تماريت أنا وصاحبى هذا فى صاحب موسى عليه السلام الذى سأل السبيل إلى لقائه ، فهل سمعت رسول الله يذكر شأنه ؟ قال : نعم إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « بينا موسى عليه السلام فى ملا من بنى إسرائيل ، إذ جاءه رجل فقال : تعلم مكان أحد أعلم منك ؟ قال موسى : لا ، فأوحى الله إلى موسى : بلى عبدنا الخضر ، فسأل موسى السبيل إلى لقائه ، فجعل الله الحوت آية ، وقال له : إذا افتقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه ، فكان موسى يتبع أثر الحوت ، [فى البحر ، فقال فنى موسى لموسى : ﴿ رأيت إذ أويننا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت ﴾] ^(٢) ، قال موسى : ﴿ ذلك ما كنا ننبغ فارتدأ على آثارهما قصصاً ﴾ ، فوجدنا الخضر ^(٣) ، فكان من شأنهما ما قص الله فى كتابه .

حدثني محمد بن مرزوق قال ، حدثنا حجاج بن المنهال ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر النميرى ، عن يونس بن يزيد ، قال : سمعت الزهرى يحدث قال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن عباس : أنه تمارى هو وألحر بن قيس بن حصن الفزارى فى صاحب موسى ، فذكر نحو حديث العباس عن أبيه .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : حدثني أبى ، قال : حدثني عمى ، قال : حدثني أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ؛ قوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ

(١) نقله ابن كثير فى تفسيره ٣ : ٩٦

(٢) تكلمة من اوتفسير ابن كثير .

(٣) ١ : « فوجدنا عبدنا الخضر » .

لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ...» (١) الآية ، قال : لما (٢) ظهر موسى وقومه على مصر نزل قومه مصر ، فلما استقرت بهم الدار ، أنزل الله عز وجل عليه : أن ذكّرهم بأيام الله . فخطب قومه ، فذكّر ما آتاهم الله من الخير والنعمة ، وذكّرهم إذ أنجاهم الله من آل فرعون ، وذكّرهم هلاك عدوهم ، وما استخلفهم [الله] (٣) في الأرض ، فقال : وكلم الله موسى نبيكم تكليماً ، واصطفاني لنفسه ، وأنزل عليّ محبة منه ، وآتاكم الله من كل ما سألتموه ، فنيبكم أفضل أهل الأرض وأنتم تقرءون التوراة . فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم إلا ذكرها وعرفها إياهم ، فقال له رجل من بني إسرائيل : هو كذلك يا نبي الله ، وقد عرفنا الذي تقول ، فهل على الأرض أحد أعلم منك يا نبي الله ؟ قال : لا ، فبعث الله عز وجل جبرئيل عليه السلام إلى موسى عليه السلام فقال : إن الله تعالى يقول : وما يدريك أين أضع علمي ؟ بلى إن على شطّ البحر رجلاً أعلم منك - قال ابن عباس : هو الخضر - فسأل موسى ربه أن يرّيه إياه ، فأوحى الله إليه أن ائت البحر ، فإنك تجد على شطّ البحر حوتاً فخذها فادفعه إلى فتاك ثم الزم شطّ البحر ، فإذا نسيت الحوت وهلك منك ، فسمّ تجد العبد الصالح الذي تطلب .

٤٢١/١

فلما طال سفر موسى نبي الله صلى الله عليه ونصب فيه ، سأل فتاه عن الحوت ، فقال له فتاه وهو غلامه : ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ لك . قال الفتى : لقد رأيت الحوت حين اتخذ سبيله في البحر سرياً . فأعجب ذلك موسى فرجع حتى أتى الصخرة فوجد الحوت ، فجعل الحوت يضرب في البحر ويتبعه موسى ، وجعل موسى يقدم عصاه يفرج بها عنه الماء ، يتبع الحوت ، وجعل الحوت لا يمس شيئاً من الماء (٤) إلا يبس حتى يكون صخرة ، فجعل نبي الله صلى الله عليه يعجب من ذلك حتى انتهى به الحوت إلى جزيرة من جزائر البحر ، فلقى الخضر بها ، فسلم

٤٢٢/١

(١) سورة الكهف ٦٠ .

(٢) نقله ابن كثير في التفسير ٣ : ٩٥ .

(٣) من تفسير ابن كثير .

(٤) ط : « البحر » ، وما أثبتته من ا .

عليه ، فقال الخضر : وعليك السلام ، وأنى يكون هذا السلام بهذه الأرض !
ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقال له : الخضر صاحب^(١) بنى إسرائيل ؟
قال : نعم ، فرحّب به وقال : ما جاء بك ؟ قال : جئت على أن تعلّمنى مما
علمت رشدأ ، قال : ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾^(٢) ، يقول : لا تطيق
ذلك ، قال موسى : ﴿ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴾^(٣) .
قال : فانطلق به ، وقال له : لا تسألنى عن شىء أصنعُه حتى أبين لك شأنه ،
فذلك قوله : ﴿ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾^(٤) . فركبا فى السفينة يريدان
أن يتعديا إلى البرّ ، فقام الخضر ، فخرق السفينة فقال له موسى : ﴿ أَخْرَقْتَهُمَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهُمَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾^(٥) ... ثم ذكر بقية القصة

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا يعقوب القسّمى ، عن هارون بن عنبرة
عن أبيه ، عن ابن عباس قال : سأل موسى عليه السلام ربه عزّ وجلّ فقال :
أى ربّ ؟ أىّ عبادك أحبُّ إليك ؟ قال : الذى يذكرنى ولا ينسانى ، قال :
فأىّ عبادك أقضى ؟ قال : الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى ، قال أىّ ربّ ،
أىّ عبادك أعلم ؟ قال : الذى يبتغى علم الناس إلى علمه ، عسى أن يُصيب
كامة تهديه إلى هدى ، أو تردّه عن ردى ، قال : ربّ فهل فى الأرض أحد
— قال أبو جعفر أظنه قال : أعلم منى ؟ قال : نعم ، قال : ربّ ، فمن
هو ؟ قال : الخضر ، قال : وأين أطلبه ؟ قال : على الساحل^(٤) ، عند
الصخرة التى ينفلت عندها الحوت ، قال : فخرج موسى يطلبه حتى كان
ما ذكره الله عزّ وجلّ وانتهى موسى إليه عند الصخرة ، فسلم كل واحد منهما
على صاحبه ، فقال له موسى : إنى أريد أن تستصحبنى^(٥) ، قال : لن تطيق

(١) ١ ، ن : « أصحاب بنى إسرائيل ؟ » .

(٢) سورة الكهف ٦٧

(٣) سورة الكهف ٦٩ - ٧١

(٤) ح : « بالساحل »

(٥) ن : « أصحبك » .

صحبتى ، قال : بلى ، قال : فإن صحبتى ﴿ فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ . فإطلقا حتى إذا ركبنا في السفينة خرقتها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ . قال ألم أقول : إنك لن تستطيع معي صبرا . قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا . فإطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال أقتلت نفسا زاكية تغير نفس لقد جئت شيئا نكرا ﴿ ، إلى قوله : ﴿ لَا تَخَذْ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ (١) .

قال : فكان قول موسى في الجدار لنفسه ولطلب شيء من الدنيا ، وكان قوله في السفينة وفي الغلام لله عز وجل . ﴿ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴾ (١) ، فأخبره بما قال الله : ﴿ أَمَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ ... ﴾ الآية ، ﴿ وَأَمَا الْغُلَامُ ... ﴾ (١) الآية ، ﴿ وَأَمَا الْجِدَارُ ... ﴾ (١) الآية . قال : فسار به في البحر حتى انتهى به إلى مجمع البحرين (٢) ، وليس في الأرض مكان أكثر (٣) ماء منه ، قال : وبعث ربك الخطاف ، فجعل يستقى منه بمنقاره ، فقال لموسى : كم ترى هذا الخطاف رزا من هذا الماء ؟ قال : ما أقل ما رزا ! قال : يا موسى فإن علمي وعلمك في علم الله كقدر ما استقى هذا الخطاف من هذا الماء . وكان موسى عليه السلام قد حدث نفسه أنه ليس أحد أعلم منه ، أو تكلم به ؛ فمن ثم أمر أن يأتي الخضر .

٤٢٤/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن عمارة ، عن الحكم بن عتيبة ، عن سعيد بن جبير ، قال : جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب ، فقال بعضهم : يا أبا العباس إن ثوفا ابن امرأة كعب ، ذكر (٤) عن كعب أن موسى النبي عليه

(١) سورة الكهف ٧٠ - ٨٠

(٢) « البحور »

(٣) ح « أكبر »

(٤) « يزعم »

السلام الذى طلب العالم إنما هو موسى بن منشا . قال سعيد : فقال ابن عباس : أنوفٌ يقول هذا ؟ قال سعيد : فقلت له : نعم ، أنا سمعت نوناً يقول ذلك ، قال : أنت سمعته يا سعيد ؟ قال : قلت : نعم ، قال : كذب نونٌ . ثم قال ابن عباس : حدثني أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن موسى نبي إسرائيل سأل ربه تبارك وتعالى فقال : أى رب ، إن كان فى عبادك أحدٌ هو أعلم منى فادلنى عليه ، فقال له : نعم فى عبادى مَنْ هو أعلم منك ، ثم نعت له مكانه ، وأذن له فى لقائه ، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه ، ومعه حوت مليح قد قيل له : إذا حييَ هذا الحوت فى مكان فصاحبك هنالك ، وقد أدركت حاجتك .

٤٢٥/١

فخرج موسى ومعه فتاه ، ومعه ذلك الحوت يحملانه ، فسار حتى جهده السير، وانتهى إلى الصخرة وإلى (١) ذلك الماء وذلك الماء، ماء الحياة، مَنْ شرب منه خلَّد ، ولا يقاربه شيء ميت إلا أدركته الحياة (٢) وحي . فلما نزلوا منزلاً ومسى الحوتُ الماءَ حياً ، فاتخذ سبيله فى البحر سرباً ، فانطلق فلما جاوزا بمنقلة (٣) قال موسى لفتاه : ﴿ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا ﴾ . قال الفتى وذكر: ﴿ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴾ . قال ابن عباس : وظهر موسى على الصخرة حتى انتهيا إليه ، فإذا رجل ملتف (٤) فى كساء له ، فسلم عليه موسى ، فرد عليه السلام ، ثم قال له : ومن أنت ؟ قال : أنا موسى ابن عمران ، قال : صاحب بنى إسرائيل ؟ قال : نعم أنا ذلك ، قال : وما جاء بك إلى هذه الأرض ؛ أن لك فى قومك لشغل ! قال له موسى : جئتك لتعلمنى مما علمتَ رشداً ، قال : إنك لن تستطيع معى صبراً ، وكان رجلاً يعمل على الغيب قد علم ذلك ، فقال موسى : بلى ، قال : ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ

(١) ن : « إلى » .

(٢) ح ، ا ، ح : « ميت إلا حى » .

(٣) المنقلة هنا : المرحلة .

(٤) كذا فى ا ، ح ، وفى ط : « ملتف » .

٤٢٦/١ خُبْرًا، أَي إِمَاعَتَعَرَفَ ظَاهِرَ مَا تَرَى مِنَ الْعَدْلِ وَلَمْ تُحِطْ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ بِمَا أَعْلَمُ .
 ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا﴾ وَإِنْ رَأَيْتُمْ مَا يَخَالِفُنِي .
 قَالَ : ﴿فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ ،
 أَي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ وَإِنْ أَنْكَرْتَهُ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ، أَي خَبْرًا .
 فَانْطَلَقَا يَمْشِيَانِ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ يَتَعَرَّضَانِ النَّاسَ ، يَلْتَمِسَانِ مَنْ يَحْمِلُهُمَا
 حَتَّى مَرَّتْ بِهِمَا سَفِينَةٌ جَدِيدَةٌ وَثِيْقَةٌ ، لَمْ يَمْرُ بِهِمَا شَيْءٌ مِنَ السَّفِينِ أَحْسَنُ وَلَا
 أَجْمَلُ وَلَا أَوْثَقُ مِنْهَا ، فَسَأَلَا أَهْلَهَا أَنْ يَحْمِلُوهُمَا ، فَحَمَلُوهُمَا ، فَلَمَا اطْمَأَنَّا
 فِيهَا ، وَجَلَّجَتْ بِهِمَا مَعَ أَهْلِهَا ، أَخْرَجَ مَنقَارًا لَهُ وَمَطْرُقَةً ، ثُمَّ عَمِدَ إِلَى نَاحِيَةِ
 مِنْهَا فَضْرَبَ فِيهَا بِالْمَنقَارِ حَتَّى خَرَقَهَا ، ثُمَّ أَخَذَ لَوْحًا فَطَبَّقَهُ عَلَيْهَا ، ثُمَّ جَلَسَ
 عَلَيْهَا يَرْقَعُهَا ، قَالَ لَهُ مُوسَى : فَأَيَّ أَمْرٍ أَفْطَعُ مِنْ هَذَا ! ^(١) ﴿أَخْرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ
 أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ ! حَمَلُونَا وَأَوُونَا إِلَى سَفِينَتِهِمْ ، وَلَيْسَ فِي الْبَحْرِ سَفِينَةٌ
 مِثْلُهَا ، فَلَمْ خَرَقْتَهَا ! قَالَ : ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ . قَالَ
 لَا تَوَاضِعْنِي بِمَا نَسِيتُ ، أَي بِمَا تَرَكْتِ مِنْ عَهْدِكَ ﴿وَلَا تُرْهِقِي مِنْ أَمْرِي
 عُسْرًا﴾ . ثُمَّ خَرَجَا مِنَ السَّفِينَةِ ، فَانْطَلَقَا حَتَّى أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ ، فَإِذَا غُلَمَانُ
 يَلْعَبُونَ ، فِيهِمْ غُلَامٌ لَيْسَ فِي الْغُلَمَانِ غُلَامٌ أَظْرَفُ وَلَا أَتْرَفُ وَلَا أَوْضَأُ مِنْهُ ،
 فَأَخَذَ بِيَدِهِ ، وَأَخَذَ حِجْرًا فَضْرَبَ بِهِ رَأْسَهُ حَتَّى دَمَعَهُ فَمَقْتَلَهُ . قَالَ : فَرَأَى مُوسَى
 ٤٢٧/١ أَمْرًا فَطَبِيعًا لَا صَبْرَ عَلَيْهِ ، صَبِيًّا صَغِيرًا قَتَلَهُ ^(٢) بَغَيْرِ جُنَايَةٍ وَلَا ذَنْبٍ
 لَهُ ! فَقَالَ : ﴿أَقْتَلْتِ نَفْسًا زَاكِيَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ﴾ ، أَي صَغِيرَةً بَغَيْرِ نَفْسٍ ،
 ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا﴾ . قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا .
 قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ، أَي
 قَدْ أَعْدَرْتِ فِي شَأْنِي . ﴿فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبْوَا أَنْ
 يُضَيِّقُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ﴾ ، فَهَدَمَهُ ثُمَّ قَعَدَ بَيْنَهُ ،

(١) : «ورأى أمرا فطع به»

(٢) ط : «أخذ صبيا صغيرا بغير جناية» وما أثبتته من أ .

فضجر موسى مما رآه يصنع من التكلف لما ليس عليه صبر ، فقال : ﴿ لو
شئت لاتخذت عليه أجراً ﴾ أى قد استطعناهم فلم يطعمونا ، واستضفناهم
فلم يضيفونا ، ثم قعدت تعمل فى غير صنيعه (١) ، ولو شئت لأعطيت عليه أجراً
[فى عمله] (٢) ﴿ قال هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه
صبراً . أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيها
وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة - وفى قراءة أبى بن كعب :
كل سفينة صالحة - غصبا ﴾ ، وإنما عيبتها لأردّه عنها ، فسلمت منه حين
رأى العيب الذى صنعت بها . ﴿ وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن
يزهقهما طغياناً وكفراً فأردنا أن يبدلهم ربهما خيراً منه زكاةً وأقرب
رحماً * وأما الجدار فكان لآلئمين يئيمون فى المدينة وكان تحته كنز
لهم وكان أبوهم صالحاً - إلى - ﴿ ما لم تستطع عليه صبراً ﴾ .
فكان ابن عباس يقول : ما كان الكنز إلا عِلماً (٣) .

٤٢٨/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى محمد بن إسحاق ،
عن الحسن بن عمارة ، عن أبيه ، عن عكرمة ، قال : قيل لابن عباس : لم نسمع
لفى موسى بذكر من حديث وقد كان معه ! فقال ابن عباس فيما يذكر من
حديث الفتى ، قال : شرب الفتى من ماء الخلد فخلد ، فأخذته العالم فطابق به
سفينة ، ثم أرسله فى البحر ، فإنها لتموج به إلى يوم القيامة ، وذلك أنه لم يكن
له أن يشرب منه فشرب .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد ، عن شعبة ، عن قتادة ، قوله :
﴿ فلما بلغنا مجتمع بينهما نسيا حوتهما ﴾ ، ذكر لنا أن نبي الله موسى لما قطع
البحر وأنجاه الله من آل فرعون ، جمع بنى إسرائيل فخطبهم فقال :

(١) كذا فى ١ والتفسير ، وفى ط : « ضيعة » . (٢) من أ والتفسير .

(٣) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨٠ - ١٨٣ (بولاق) .

أنتم خيرُ أهل الأرض وأعلمهمُ قد أهلك الله عدوكم ، وأقطعكم البحر وأنزل عليكم التوراة ، قال : فقيل له : إن ها هنا رجلا هو أعلم منك^(١) قال : فانطلق هو وفتاه يوشع بن نون يطلبانه ، فترودا مملوحة في مكثل لهما ، وقيل لهما : إذا نسيما ما معكما لقيتِما رجلا عالماً يقال له الخضر ، فلما أتيا ذلك المكان ، رد الله إلى الخوت روحه فسرَّب له من الجُدِّ^(٢) حتى أفضى إلى البحر ، ثم سلك فجعل لا يسلك فيه طريقاً إلا صار ماء جامداً ، قال : ومضى موسى وفتاه ، يقول الله عز وجل : ﴿ فلما جاوزا قال لفتاه آتينا غداً ما لقد لقينا من سفرنا هذا نصباً ﴾ — إلى قوله — : ﴿ وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ الدُّنَا عِلْماً ﴾ ، فلقيا رجلا عالماً يقال له الخضر ، فذكر لنا أن نبي الله قال : إنما سمي الخضر خضراً لأنه قعد على فروة بيضاء فاهترت به خضراء .

٤٢٩/١

* * *

فهذه الأخبار التي ذكرناها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن السلف من أهل العلم تنبئ عن أن الخضر كان قبل موسى وفي أيامه ، ويدل على خطأ قول من قال : إنه أورميا بن خلقيا ، لأن أورميا كان في أيام بختنصر ، وبين عهدى موسى وبختنصر من المدة ما لا يشكّل قدرها على أهل العلم بأيام الناس وأخبارهم ؛ وإنما قدمنا ذكره وذكر خبره لأنه كان في عهد أفريدون فيما قيل ؛ وإن كان قد أدرك على هذه الأخبار التي ذكرت من أمره وأمر موسى وفتاه أيام منوشهر وملكه ، وذلك أن موسى [إنما]^(٣) نُبئ في عهد منوشهر ، وكان ملك منوشهر بعد ما ملك جده أفريدون ، فكل ما ذكرنا من أخبار من ذكرنا أخباره من عهد إبراهيم إلى الخبر عن الخضر عليهما السلام ، فإن ذلك كله — فيما ذكر — كان في ملك بيئوراسب وأفريدون ، وقد ذكرنا فيما مضى قبل أخبار أعمارهما ومبلغهما ومدة كل واحد منهما^(٤) .

* * *

ونرجع الآن إلى الخبر عن :

(١) ط : « منكم » ؛ وما أثبتته من ا .

(٢) الجد ، بضم الجيم : شاطئ البحر ، وفي ح : « الحد » .

(٣) من ا (٤) : « مبلغ أعمارهما ومدة ملك كل واحد منهما » .

منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه

ثم ملك بعد أفريدون بن أنفیان بركاو^(١) منوشهر، وهو من ولد إيرج بن أفريدون .

وقد زعم بعضهم أن فارس سميت فارس بمنوشهر هذا ، وهو منوشهر كيازيه^(٢) — فيما يقول نسبة الفرس — بن منشخورنر^(٣) بن منشخواربع^(٤) ابن ويرك بن سروشنك^(٥) بن أبوك بن بتك^(٦) بن فرزشك^(٧) بن زشك^(٨) ابن فركوزك^(٩) بن كوزك^(١٠) بن إيرج بن أفريدون بن أنفیان بركاو . وقد ينطق بهذه الأسماء بخلاف هذه الألفاظ .

وقد يزعم بعض المحوس أن أفريدون وطى ابنة لابنه إيرج ، يقال لها كوشك ، فولدت له جارية يقال لها فركوشك^(١١) ، ثم وطى فركوشك هذه فولدت له جارية يقال لها زوشك^(١٢) ، ثم وطى زوشك هذه ، فولدت له جارية يقال لها فرزوشك^(١٣) ، ثم وطى فرزوشك هذه فولدت له جارية يقال لها بيتك^(١٤) ،

(١) ح وابن الأثير : « بن كاو »

(٢) كذا في ن ، وفي ا ، ح : « كان به » ، وفي ط من غير نقط .

(٣) ا : « متشجور » ن : « مشجورين » .

(٤) ا : « منشجواربع »

(٥) ن : « سروشنك » .

(٦) ن : « بتك » .

(٧) ا : « فرشك » ، ح : « ورشك » .

(٨) ا : « رشك » ، ن : « رشك » .

(٩) ا ، فركوزك « ن : « فركوزل » .

(١٠) ن : « كوزل »

(١١) ا : « خركوشك » .

(١٢) ا : « روشك » .

(١٣) ا : « فروزشك » .

(١٤) ا : « تبتك » .

٤٣٢/١ ثم وطئ بيتك هذه فولدت له جارية يقال لها إيرك^(١) ، ثم وطئ إيرك فولدت له إيزك ، ثم وطئ إيزك فولدت له ويرك ، ثم وطئ ويرك فولدت له منشخرفاغ^(٢) . ويقول بعضهم : منشخواربغ^(٣) وجارية يقال لها : منشجرك^(٤) ، وأن منشخرفاغ وطئ منشجرك فولدت له منشخرنر ، وجارية يقال لها منشراروك ، وأن منشخرنر وطئ منشراروك فولدت له منوشهر .

فيقول بعضهم كان مولده بدُنياوند .

ويقول بعض : كان مولده بالرّي ، وإن منشخرنر ومنشراوك لما ولد لهما منوشهر أسراً أمره خوفاً من طوج وسلّم عليه ، وإن منوشهر لما كبر صار إلى جده أفريدون ، فلما دخل عليه توسّم فيه الخير ، وجعل له ما كان جعل لجدّه إيرج من المملكة ، وتوجه بتاجه . ٤٣٣/١

وقد زعم بعض أهل الأخبار أن منوشهر هذا هو منوشهر بن منشخرنر ابن أفريقيس بن إسحاق بن إبراهيم ؛ وأنه انتقل إليه الملك بعد أفريدون وبعد أن مضى ألف سنة وتسعمائة سنة واثنان وعشرون سنة ، من عهد جيومرت ، واستشهد لحقيقة ذلك بأبيات لجرير بن عطية ، وهو قوله^(٥) .

وأبناء إسحاق اللبوث إذا ارتدوا حمائل موت لآيسين السنورا^(٦)
 إذا اتسبوا عدوا الصهباء منهم وكسرى وعدوا الهرمزان وقيصرا^(٧)
 وكان كتاب فيهم ونبوته وكانوا ياصطخر الملوك وتستر^(٨)

(١) كذا في ن ، وفي ط ، امهمل .

(٢) ١ : « منشخرفاغ » .

(٣) ١ : « منشجواربغ » .

(٤) كذا في ا ، وفي ط مهمل .

(٥) من قصيدة يملح بها هلال بن أحموز المازني ويفخر بأبناء إسماعيل وإسحاق ، ويهجو

الفرزدق وبنى طهية ، في ديوانه ٢٤٢ . والنقائض ٩٩٥

(٦) السنور : الدروع .

(٧) الصهباء : قائد السكر ، بالفارسية .

(٨) قال في شرح النقائض : « إي كان الملوك ينزلون إصطخر وتستر » .

فَيَجْمَعُنَا وَالْفَرُّ أَبْنَاءَ فَارِسَ أَبُ لَا نُبَالِي بَعْدَهُ مَنْ تَأَخَّرَا
أَبُونَا خَلِيلُ اللَّهِ ، وَاللَّهُ رَبُّنَا رَضِينَا بِمَا أَعْطَى الْإِلَهُ وَقَدَّرَا

وأما الفرس فلإنها تنكر هذا النسب ، ولا تعرف لها مُلْكًا إلا في أولاد
أفريدون ، ولا تقرُّ بالملك لغيرهم ، وترى أن داخلا إن كان دخل عليهم في ذلك
من غيرهم في قديم الأيام [قبل الإسلام] (١) ، فإنه دخل فيه بغير حق (٢) .

وحدثت عن هشام بن محمد ، قال : مَلَكَ طُوجُ وَسَلِمُ الْأَرْضَ بَيْنَهُمَا
بعد قتلها أحاهما إِرَجَ ثَلَاثَةَ سَنَةٍ ، ثُمَّ مَلَكَ مَنُوشَهْرُ بْنُ إِرَجَ بْنِ أَفْرِيدُونَ
مائة وعشرين سنة ، ثم إنه وثب به ابن لابن طوج التركي [على رأس ثمانين سنة] (١) ٤٣٤/١
فنفاه عن بلاد العراق ثنتي عشرة سنة ، ثم أديل منه منوشهر ، فنفاه عن بلاده ،
وعاد إلى ملكه ، وملك بعد ذلك ثمانيا وعشرين سنة .

قال : وكان منوشهرٌ يُوصَفُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ خَنَدَقَ
الْخَنَادِقَ ، وَجَمَعَ آلَةَ الْحَرْبِ ، وَأَوَّلُ مَنْ وَضَعَ الدِّهْقَنَةَ فَجَعَلَ لِكُلِّ قَرْيَةٍ
دِهْقَانًا ، وَجَعَلَ أَهْلَهَا لَهُ خَوْلًا وَعَيْدًا ، وَأَلْبَسَهُمْ لِبَاسَ الْمَدَنَةِ ، وَأَمَرَهُمْ بِطَاعَتِهِ .
قال : ويقال إن موسى النبي صلى الله عليه وسلم ظهر في سنة ستين من ملكه .

وذكر غير (٣) هشام أن منوشهر لما ملك تُوِّجَ بِتَاجِ الْمَلِكِ وَقَالَ يَوْمَ مَلَكَ :
نَحْنُ مَقْوُونَ مَقَاتِلِنَا ، وَمُعِيدٌ وَهُمْ لِلانْتِقَامِ لِأَسْلَافِنَا ، وَدَفَعُ الْعُدُوَّ عَنْ بِلَادِنَا .
وأنه سار نحو بلاد الترك طالبًا بدم جده إِرَجَ بْنِ أَفْرِيدُونَ ، فَقَتَلَ طُوجَ بْنَ
أفريدون وأخاه سَلْمًا ، وَأَدْرَكَ ثَأْرَهُ وَأَنْصَرَفَ ، وَأَنَّ فَرَّاسِيَابَ بْنَ فَشْنَجَ
ابن رستم بن ترك — الذي تنسب إليه الأتراك ، بن شهراسب . ويقال : ابن ٤٣٥/١

(١) من ١ (٢) قال ابن الأثير : « قلت : والحق ما قاله الفرس فإن أسماء ملوكهم قبل
الإسكندر معروفة ، وبعد أيامه ملوك الطوائف ؛ وإذا كان منوجه أيام موسى ، وكان ما بين موسى
وإسحاق خمسة آباء معروفون ولم يزلوا بمصر ؛ ففي أي زمان كثروا وانتشروا وملكوا بلاد الفرس !
ومن أين لجريير هذا العلم حتى يكون قوله حجة ؛ لا سيما وقد جعل الجميع أبناء إسحاق ! » . الكامل
٩٣ : ١

(٣) ط : « عن » ، وما أثبتته عن ابن الأثير .

لارشيب بن طوج بن أفريدون الملك . وقد يقال لفشك (١) فشنج بن زاشمين -
حارب منوشهر ، بعد أن مضى لقتله طوجا وسألما ستون سنة ، وحاصره
بطبرستان .

ثم إن منوشهر وفراسياب اصطلحا على أن يجعلوا حداً ما بين مملكتيهما
منتهى رمية سهم رجل من أصحاب منوشهر يدعى أرشبتاير - وربما
خفف اسمه بعضهم فيقول : إيرش - فحيث ما وقع سهمه من موضع رميته
تلك مما يلي بلاد الترك فهو الحد بينهما لا يجاوز ذلك واحد منهما إلى الناحية
الأخرى . وإن أرشبتاير نزع بسهم في قوسه ، ثم أرسله - وكان قد أعطى
قوة وشدة - فبلغت رميته من طبرستان إلى نهر بلخ ووقع السهم هنالك (٢) ،
فصار نهر بلخ حداً ما بين الترك وولد طوج وولد إيرج وعمل الفرس ، فانقطع
بذلك من رمية أرشبتاير حروب ما بين فراسياب ومنوشهر .

وذكروا أن منوشهر اشتق من الصراة ودجلة ونهر بلخ أنهاراً عظماً .
وقيل إنه هو الذي كثر القنرات الأكبر ، وأمر الناس بحراثة الأرض وعمارتها ،
وزاد في مهنة المقاتلة الرمي ، وجعل الرياسة في ذلك لأرشبتاير لرميته التي
رماها .

وقالوا : إن منوشهر لما مضى من ملكه خمس وثلاثون سنة تناولت الترك
من أطراف رعيته ، فوبخ قومه وقال لهم : أيها الناس ، إنكم لم تلدوا الناس كلهم ،
وإنما الناس ناسٌ ما عقلوا من أنفسهم ودفعوا العدو عنهم ، وقد نالت الترك
من أطرافكم ، وليس ذلك إلا من ترككم جهاد عدوكم ، وقلة المبالاة ، وإن الله
تبارك وتعالى أعطانا هذا الملك ليلبونا أنشكر فيزيدنا ، أم نكفر فيعاقبنا ! ونحن
أهل بيت عز (٣) ومعدن الملك لله ؛ فإذا كان غداً فاحضروا ، قالوا : نعم
واعتدروا ، فقال : انصرفوا ، فلما كان من الغد أرسل إلى أهل المملكة وأشرف

(١) : « لفشك بن برز بن تشمين » .

(٢) قال ابن الأثير : « وهذا من أعجب ما يتداوله الفرس في أكاذيبهم أن رمية سهم تبلغ
هذا كله » .

(٣) : « غير » ، بضمتين .

الأساورة ، فدعاهم وأدخل الرؤساء من الناس ، ودعا مؤبذ مؤبذان ،
 فأقعد على كرسيّ مقابل سريره ، ثم قام على سريره ، وقام أشراف أهل بيت
 المملكة وأشراف الأساورة على أرجلهم ، فقال : اجلسوا فإنّي إنّما قمت لأسمِعكم
 كلامي . فجلسوا فقال : أيها الناس ، إنّما الخلق للخالق ، والشكر للمنعّم ،
 والتسليم للقادر ، ولا بدّ مما هو كائن ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالباً كان
 أو مطلوباً ، ولا أقوى من خالق ، ولا أقدر ممن طلبته في يده ، ولا أعجز
 ممن هو في يد طالبه ، وإنّ التفكّر نور ، والغفلة ظلمة ، والجهالة ضلالة ، وقد
 ورد الأول ولا بدّ للآخر من اللحاق^(١) بالأول ، وقد مضت قبلنا أصول نحن
 فروعها ، فما بقاء فرع بعد ذهاب أصله ! وإنّ الله عزّ وجلّ أعطانا هذا الملك
 فله الحمد ، ونسأله إلهام الرشد والصدق واليقين ، وإنّ للملك على أهل مملكته
 حقّاً ، ولأهل مملكته عليه حقّاً ، فحقّ الملك على أهل المملكة أن يُطيعوه
 ويتناصحوه ويقاتلوا عدوّه ، وحقهم على الملك أن يعطيهم أرزاقهم في أوقاتهم ،
 إذ لا معتمد لهم على غيرها ، وإنّها تجارتهم . وحق الرعية على الملك أن ينظر
 لهم ، ويرفق بهم ، ولا يحملهم على ما لا يطيقون ، وإنّ أصابتهم مصيبة تنقص
 من ثمارهم من آفة من السماء أو الأرض أن يُسقط عنهم خراج ما نقص ، وإن
 اجتاحتهم مصيبة أن يُعوّضهم ما يقوّمهم على عماراتهم ، ثم يأخذ منهم بعد
 ذلك على قدر ما لا يحيف بهم^(٢) في سنة أو سنتين ، وأمّر الجند للملك بمنزله
 جناحي الطائر ، فهم أجنحة الملك متى قصّ من الجناح ريشة كان ذلك
 نقصاناً منه ؛ فكذلك الملك إنّما هو بجناحه وريشه . ألا وإنّ الملك ينبغي أن
 يكون فيه ثلاث خصال : أولها أن يكون صدوقاً لا يكذب ، وأن يكون سخياً
 لا يبخل ، وأن يملك نفسه عند الغضب ؛ فإنه مسلّط ويده مبسوطة ، والخراج
 يأتيه ، فينبغي ألا يستأثر عن جنده ورعيته بما هم أهل له ، وأن يكثر العفو ؛
 فإنه لا ملك أبى من ملك فيه العفو ، ولا أهلك من ملك فيه العقوبة . ألا

(١) ا : « اللحق » .

(٢) ن : « بقاء » .

(٣) ط : « به » وما أثبتته عن ا ، وابن الأثير .

وإن المرء إن يخطئ في العفو فيعفو، خير من أن يخطئ في العقوبة . فينبغي للملك أن يتثبت في الأمر الذي فيه قتل النفس وبوارها . وإذا رفع إليه من عامل من عماله ما يستوجب به العقوبة فلا يبغي له أن يجابيه ، وليجمع بينه وبين المتظلم ؛ فإن صح عليه للمظلوم حقٌ خرج إليه منه ، وإن عجز عنه أدى عنه الملكُ وردّه إلى موضعه ، وأخذه بإصلاح ما أفسد ؛ فهذا لكم علينا . ألا ومن سلك دما بغير حق ، أو قطع يداً بغير حق ، فإني لا أعفو عن ذلك إلا أن يعفو^(١) عنه صاحبه فخذوا هذا عني . وإن الترتك قد طمعت فيكم فاكفونا ، فإنما تكونون أنفسكم ، وقد أمرت لكم بالسلاح والعدة وأنا شريككم في الرأي ، وإنما لي من هذا الملك اسمه مع الطاعة منكم . ألا وإن الملك ملك إذا أطيع ، فإذا خولف فذلك مملوك ليس بملك . ومهما بلغنا من الخِلاف فإننا لا نقبله من المَسْبُوح له حتى نتيقنه ، فإذا صحت معرفة ذلك وإلا أنزلناه منزلة المخالف . ألا وإن أكمل الأداة عند المصيبات الأخذ بالصبر والراحة إلى اليقين ؛ فمن قُتِل في مجاهدة العدو رجوتُ له الفوز برضوان الله . وأفضل الأمور التسليم لأمر الله والراحة إلى اليقين والرضا بقضائه ، وأبسن المَهْرَب مما هو كائن ! وإنما يتقلب في كف الطالب ، وإنما هذه الدنيا ستفر لأهلها لا يحلّون عقنُد الرحال إلا في غيرها ؛ وإنما بُلغتهم فيها بالعوارى ، فما أحسن الشكر للمنعم والتسليم لمن القضاء له ! ومن أحقُّ بالتسليم لمن فوقه ممن لا يجد مهرباً إلا إليه ، ولا معولاً إلا عليه ! فثقوا بالغلبة إذا كانت نياتكم أن النصر من الله ، وكونوا على ثقة من درك الطلبة إذا صحت نياتكم . واعلموا أن هذا الملك لا يقوم إلا بالاستقامة وحسن الطاعة وقمع العدو وسد الثغور والعدل للرعية وإنصاف المظلوم ، فشفأؤكم عندكم ، والدواء الذي لا داء فيه الاستقامة ، والأمر بالخير والنهي عن الشر ، ولا قوة إلا بالله . انظروا للرعية فإنها مطعمكم ومشربكم ، ومتى عدلتم فيها رغبوا في العمارة ، فزاد ذلك في خراجكم ، وتبين في زيادة أرزاقكم ، وإذا حِفِتم على الرعية زهدوا في العمارة ، وعطلوا أكثر الأرض فنقص ذلك

٤٣٩/١

٤٤٠/١

(١) ط : « حتى يعفو » ، وما أثبتته من ا .

من خراجكم ، وتبين في نقص أرزاقكم ، فتعاهدوا الرعية بالإنصاف ؛ وما كان من الأهمار والبثوق مما تنفق ذلك من السلطان فأسرعوا فيه قبل أن يكثر ، وما كان من ذلك على الرعية فعجزوا عنه فأقرضوهم من بيت مال الخراج ، فإذا حان^(١) أوقات خراجهم ، فخذوا من خراج غلاتهم على قدر ما لا يجحف ذلك بهم ، رُبْع في كل سنة أو ثلث أو نصف ، لكيلا يشق^(٢) ذلك عليهم . هذا قول وأمرى يا موبذ موبذان ، الزم هذا القول ، وخذ^(٣) في هذا الذي سمعت في يومك ؛ أسمعتم أيها الناس ! فقالوا : نعم ، قد قلت فأحسننت ، ونحن فاعلون إن شاء الله : ثم أمر بالطعام فوضع فأكلوا وشربوا ، ثم خرجوا وهم له شاكرون . وكان ملكه مائة وعشرين سنة .

* * *

وقد زعم هشام بن الكلبي فما حدثت عنه أن الراثش بن قيس بن صبي^(٤) ابن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان كان من ملوك اليمن بعد يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ وإخوته ، وأن الراثش كان ملكه باليمن أيام [ملك]^(٤) منو شهر ، وأنه إنما سمي الراثش - واسمه الحارث بن أبي شدد^(٥) - لغنيمة غنمها من قوم غزاهم فأدخلها اليمن ، فسُمي لذلك الراثش ، وأنه غزا الهند فقتل بها وسبى وغنم الأموال ، ورجع إلى اليمن ثم سار منها ، فخرج على جبلتي طي^(٦) ثم على الأنبار ، ثم على الموصل ، وأنه وجهه منها خيله وعليها رجل من أصحابه ، يقال له : شمر بن العطاف ، فدخل على الترك أرض أذربيجان وهي في أيديهم يومئذ ، فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، وزبر ما كان من مسيره في حججرتين ، فهما معروفان ببلاد أذربيجان . قال : وفي ذلك يقول امرؤ القيس^(٦) :

أَلَمْ يُخْبِرْكَ أَنَّ الدَّهْرَ غُولٌ^(٧) خَتُورُ الْعَهْدِ يَلْتَقِمُ الرَّجَالَ

(١) : « جاءت » .

(٢) ط : « يتبين » وما أثبتته من ا .

(٣) ا : « وجد » .

(٤) من ا .

(٥) كذا في ا ، ح ، وفي ط : « سد » .

(٦) ديوانه ٣٠٩

(٧) ا ، والديوان : « ألم يحزنك » .

أَزَالَ عَنِ الْمَصَانِعِ ذَا رِيَاشٍ وَقَدْ مَلَكَ السُّهُولَةَ وَالْجِبَالَ
وَأَنْشَبَ فِي الْمَخَالِبِ ذَا مَنَارٍ^(١) وَلِلزَّرَادِ قَدْ نَصَبَ الْجِبَالَ

قال : وذو منار الذي ذكره الشاعر هو ذو منار بن راثش ، الملك بعد أبيه ،
واسمه أبرهة بن الراثش ، قال : وإنما سمي ذا منار لأنه غزا بلاد المغرب فوغل
فيها برأً وبحراً ، وخاف على جيشه الضلال عند قفوله ، فبنى المنار ليهدوا بها .
قال : ويزعم أهل اليمن أنه كان وجه ابنه العبد بن أبرهة في غزوته^(٢) هذه
إلى ناحية من أقاصي بلاد المغرب ، فغم وأصاب مالاً وقدم عليه بستناس^(٣)
لهم خلیق وحشيّة منكرة ، فذعر الناس منهم ، فسموه ذا الأذعار .
قال : فأبرهة أحد ملوكهم الذين توغلوا في الأرض ؛

* * *

ولما ذكرت من ذكرت من ملوك اليمن في هذا الموضع لما ذكرت من
قول من زعم أن الراثش كان ملكاً باليمن أيام منوشهر ، وأن ملوك اليمن
كانوا عمالاً للملك فارس^(٤) بها ، ومن قبلهم كانت ولايتهم^(٥) بها .

(١) الديوان : « داخليل » .

(٢) ح وابن الأثير : « غزواته » .

(٣) في القاموس : « الستناس : جنس من الخلق يشب أحدهم على رجل واحدة » ، وفي ا

وابن الأثير : « بيسي » .

(٤) ح : « الفرس » .

(٥) « ولاياتهم » .

ذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد
منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

قد ذكرنا أولاد يعقوب إسرائيل الله وعددهم وموالدهم^(١) . فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة بن الفضل ، عن محمد بن إسحاق ، قال : ثم إن لاوى بن يعقوب نكح نابتة ابنة ماري بن يشخر ، فولدت له عرشون بن لاوى ومرزى^(٢) بن لاوى [ومردى بن لاوى]^(٣) وقاهث ابن لاوى . فنكح قاهث بن لاوى فاهى^(٤) ابنة مسين^(٥) بن بتويل بن إلياس . فولدت له يصهر بن قاهث ، فتزوج يصهر شميث ابنة بتاديت بن بركياء^(٦) ابن يقسان^(٧) بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر ، وقارون بن يصهر ، فنكح عمران يحيب ابنة شمویل بن برکیاء بن يقسان بن إبراهيم . فولدت له هارون بن عمران وموسى بن عمران .

٤٤٣/١

وقال غير ابن إسحاق : كان عمرُ يعقوب بن إسحاق مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد لاوى له ، وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ، وولد للاوى قاهث بعد أن مضى من عمر لاوى ست وأربعون سنة ، ثم ولد لقاهث يصهر ، ثم ولد ليصهر عرم - وهو عمران - وكان عمر يصهر مائة وسبعاً وأربعين سنة ، وولد له عمران بعد أن مضى من عمره ستون سنة ، ثم ولد لعمران موسى ، وكانت أمه يوخابد^(٨) - وقيل : كان اسمها باخته^(٩) - وامراته صفورا ابنة يثرون^(١٠) ، وهو

- (١) ح : « وموالدهم » .
(٢) كذا في ا ، وفي ط : « مررى » .
(٣) من ا .
(٤) ا : « قاهى » ، ن : « ماهى » .
(٥) كذا في ح ، وفي ا : « متنين » ، وفي ن : « متدير » .
(٦) ا ، ن : « برکنا » .
(٧) ا : « يفشان » .
(٨) ا : « يوخايد » ، ن : « بوخايد » .
(٩) كذا في ا .
(١٠) ا : « تيزون » .

شعيب النبي صلى الله عليه وسلم . وولد موسى جرشون^(١) وإيليعازر^(٢) ، وخرج إلى مدين خائفًا وله إحدى وأربعون سنة ، وكان يدعو إلى دين إبراهيم ، وتراعى^(٣) الله بطور سيناء ، وله ثمانون سنة . ٤٤٤/١

وكان فرعون مصر في أيامه قابوس بن مصعب بن معاوية صاحب يوسف الثاني ، وكانت امرأته آسية ابنة مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد ، فرعون يوسف الأول . فلما نودي موسى أعلم أن قابوس بن مصعب قد مات ، وقام أخوه الوليد بن مصعب مكانه ، وكان أعتى^(٤) من قابوس وأكفر^(٥) وأفجر^(٦) ، وأمير بأن يأتيه هو وأخوه هارون بالرسالة .

قال : ويقال إن الوليد تزوج آسية ابنة مزاحم بعد أخيه وكان عمر عمران مائة سنة وسبعًا وثلاثين سنة ، وولد موسى وقد مضى من عمر عمران سبعون سنة^(٧) ، ثم صار موسى إلى فرعون رسولًا مع هارون ، وكان من مولد موسى إلى أن خرج بنى^(٨) إسرائيل عن مصر ثمانون سنة ، ثم صار إلى التيه بعد أن عبر البحر ، فكان مقامهم هنالك إلى أن خرجوا مع يوشع بن نون أربعين سنة ، فكان ما بين مولد موسى إلى وفاته في التيه مائة وعشرين سنة .

وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : قبض الله يوسف ، وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد ، وتوارثت الفراعنة من العماليق ملك مصر ، فنشر الله بها بنى إسرائيل ، وقبر يوسف حين قبض — كما ذكر لي — في صندوق من مومر في ناحية من النيل في جوف الماء ، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم ٤٤٥/١

(١) ا ، ن : « جرشون » ، ح : « حوشون » .

(٢) ا : « إيلعان » ، ن : « إيليعان » .

(٣) ح : « ورأى النار » .

(٤) ا : « أعتى » . (٥) ا ، ن : « أكبر » ، ح : « أكبرم » .

(٦) كذا في ا ، وفي ط : « وأفخر » .

(٧) ح : « مائة وسبع سنين » . (٨) ا : « بنو » .

من الإسلام ، متمسكين به حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه ، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولاً ولا أطول عمراً في ملكه منه . وكان اسمه — فيما ذكروا لى — الوليد بن مصعب ، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة ، ولا أقسى قلباً ، ولا أسوأ ملكة لبني إسرائيل منه ، يعدّ بهم فيجعلهم خدماً وحولاً ، وصنّفهم في أعماله ، فصنّف بينون ، وصنّف بحرثون ، وصنّف يزرعون له ، فهم في أعماله ، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية ، فسامهم كما قال الله : ﴿ سُوء الْعَذَابِ ﴾ ، وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه ، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها آسية ابنة مزاحم ، من خيار النساء المعدودات ، فعمّر فيهم وهم تحت يديه عمراً طويلاً يسومهم سوء العذاب ، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى الأشدّ أعطى الرسالة .

قال : وذكر لى أنه لما تقارب زمان موسى أتى منجمو فرعون وحزراته إليه ، فقالوا : تعلم أنا نجد في علمنا أن مولوداً من بني إسرائيل قد أظلك زمانه الذي يُولد فيه ، يسلبك ملكك ، ويغلبك على سلطانك ، ويخرجك من أرضك ، ويبدّل دينك . فلما قالوا له ذلك أمر بقتل كل مولود يولد من بني إسرائيل من الغلمان وأمر بالنساء يُستحيين ، فجمع القوابل من نساء أهل مملكته فقال لهن : لا يسقطن على أيديكن غلام من بني إسرائيل إلا قتلتموه ، فكنّ يفعلن ذلك ، وكان يذبح من فوق ذلك من الغلمان ، ويأمر بالحبال فيعدّ بن حتى يطرحن ما في بطونهن .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الله بن أبي نجيع ، عن مجاهد ، قال : لقد ذُكر لى أنه كان يأمر بالقصب فيُسقّ حتى يجعل أمثال الشفار ، ثم يصفّ بعضه إلى بعض ، ثم يأتي بالحبال من بني إسرائيل فيوقفهن^(١) عليه فيحزّ أقدامهن ، حتى إن المرأة منهن لتمصع^(٢) بولدها فيقع بين رجليها ، فتظلّ تطوّه تتقي به حزّ القصب عن رجليها ، لما بلغ من جهدها ، حتى أسرف في ذلك ، وكاد يُفنيهم ، فقيل له : أفنيت

(١) : « فيوقفن » .

(٢) تمصع بولدها ، أى تلقيه .

الناس ، وقطعت النسْل ، وإلهم خَوْلِكَ وَعُمَّالِكَ . فأمر أن يقتل الغلمان عامًّا ويستحيوا عامًّا ، فولد هارون في السنة التي يُسْتَحْيَا فيها الغلمان ، وولد موسى في السنة التي فيها يُقْتَلُونَ ، فكان هارون أكبر منه بسنة .

* * *

وأما السدى فإنه قال ما حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس — وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود — وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم [أنه] (١) كان من شأن فرعون أنه رأى رؤيا في منامه أن ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر ، فأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل ، وأخرجت بيوت مصر ، فدعا السحرة والكهنة والقافة والحازة ، فسألهم عن رؤياه فقالوا له : يخرج من هذا البلد الذي جاء بنو إسرائيل منه — يعنون بيت المقدس — رجل يكون على وجهه (٢) هلاكُ مصر . فأمر بنو إسرائيل ألا يولد لهم غلام إلا ذبحوه ، ولا يولد لهم جارية إلا تركت . وقال للقبط : انظروا مملوكيكم (٣) الذين يعملون خارجاً فأدخلوهم واجعلوا بني إسرائيل يلون تلك الأعمال القذرة . فجعل بنو إسرائيل في أعمال غلمانهم وأدخلوا غلمانهم ، فذلك حين يقول الله : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ يقول : تجبر في الأرض ، ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَمًا ﴾ — يعنى بنو إسرائيل حين جعلهم في الأعمال القذرة — ﴿ يَسْتَضَعِفُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ، (٤) فجعل لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ، فلا يكبر الصغير ، وقذف الله في مشيخة بني إسرائيل الموت ، فأسرع فيهم ، فدخل رموس القبط على فرعون فكلّمه ، فقالوا : إن هؤلاء القوم قد وقع فيهم الموت ، فيوشك أن يقع العمل على غلماننا نذبح أبناءهم فلا يبلغ الصغار ، ويتفنى الكبار ، فلو أنك تبتى من أولادهم فأمر أن يذبحوا سنة ويتركوا سنة ؛ فلما كان في السنة التي لا يذبحون فيها ولد هارون فترك ، فلما كان في السنة التي يذبحون فيها حملت أم موسى بموسى (٥) فلما أرادت وضعه

٤٤٧/١

٤٤٨/١

(١) من ا (٢) ن : « يديه » . (٣) كذا في ا ح ، وخط : « ممالككم » .

(٤) سورة القصص ٤ : (٥) ا : « حملت بموسى أمه » .

حزنت من شأنه ، فأوحى الله إليها : ﴿ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ وهو النيل ، ﴿ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(١) . فلما وضعت أرضعته ، ثم دعت له نجاراً فجعل له تابوتاً ، وجعل مفتاح التابوت من داخل ، وجعلته فيه وألقته في اليم ، ﴿ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ ﴾ تعنى قصصى أثره ﴿ فَبَصَّرتْ بِهِ عَنِ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ ^(٢) ، أنها أخته . فأقبل الموج بالتابوت يرفعه مرة ، ويخفضه أخرى ، حتى أدخله بين أشجار عند بيت فرعون ، فخرج جوارى آسية امرأة فرعون يغتسلن ، فوجدن التابوت فأدخلته إلى آسية ، وظنن ^(٣) أن فيه مالا ، فلما نظرت إليه آسية وقعت عليه رحمتها وأحبتة . فلما أخبرت به فرعون أراد أن يذبحه ، فلم تنزل آسية تكلمه حتى تركه لها ، قال : إني أخاف أن يكون هذا من بنى إسرائيل ، وأن يكون هذا الذى على يديه ^(٤) هلاكنا ، فذلك قول الله تعالى : ﴿ فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ﴾ ^(٥) . فأرادوا له المرضعات ، فلم يأخذ من أحد من النساء ، وجعل النساء يطلبن ذلك لينزلن عند فرعون فى الرضاع ، فأبى أن يأخذ ، فذلك قول الله : ﴿ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلٍ فَقَالَتْ ﴾ أخته ﴿ هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِكُمْ يُكْفِلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ ^(٦) ، فأخذوها ، وقالوا : إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله . فقالت ^(٧) : ٤٤٩/١ :
 ما أعرفه ، ولكنى إنما قلت : هم للملك ناصحون .

ولما جاءت أمه أخذ منها ثديها فكادت أن تقول : هو ابنى ! فعصمها

(١) سورة القصص ٧

(٢) سورة القصص ١١

(٣) ط : « وظنوا » ؛ وما أثبتته عن ا .

(٤) ا : « يده » .

(٥) سورة القصص ٨

(٦) سورة القصص ١٢

(٧) ا : « قالت » .

الله، فذلك قول الله : ﴿ إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (١) ، وإنما سُمِّي موسى لأنهم وجدوه في ماء وشجر ، والماء بالقبطية « مو » والشجر « شا » . فذلك قول الله عز وجل : ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَمَا تَفَرَّقَ عَيْنَاهُ وَلَا تَحْزَنُ ﴾ (٢) . فاتخذه فرعون ولداً فدعى ابن فرعون . فلما تحرك الغلام أرته أمه آسية صبيهاً ، فبينما هي ترقصه وتلعب به إذ ناولته فرعون ، وقالت : خذ هرة عين لي ولك ، قال فرعون : هو قرة عين لك ولا لي (٣) . قال عبد الله بن عباس : لو أنه قال : وهو لي قرة عين إذا لآمن به ؛ ولكنه أبي ، فلما أخذه إليه أخذ موسى بلحيته فنتفها ، فقال فرعون : علىّ بالذباحين ، هذا هو ! قالت آسية : ﴿ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَكِدًّا ﴾ (٤) ، إنما هو صبي لا يعقل ؛ وإنما صنع هذا من صباه ، وقد علمت أنه ليس في أهل مصر امرأة أحلى مني ؛ أنا أضع له حلياً من الياقوت ، وأضع له جمرًا (٥) ، فإن أخذ الياقوت فهو يعقل فاذهب ، وإن أخذ الجمر فلإنما هو صبي ، فأخرجت له ياقوتها فوضعت له طستا من جمر ، فجاء جبرئيل فطرح في يده جمرة فطرحها موسى في فيه فأحرق لسانه ، فهو الذي يقول الله عز وجل : ﴿ وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَقْفَهُوا قَوْلِي ﴾ (٦) . فزال عن موسى من أجل ذلك . وكبر (٧) موسى فكان يركب مراكب فرعون ، ويلبس [مثل] (٨) ما يلبس ، وكان إنما يدعى موسى بن فرعون . ثم إن فرعون ركب مركباً وليس عنده موسى ، فلما جاء موسى قيل له : إن فرعون قد ركب ، فركب في أثره فأدرکه المقييل بأرض يقال لها مَسْتَف ، فدخلها نصف النهار ،

٥٠/١

(١) سورة القصص ١٠

(٢) سورة القصص ١٣

(٣) في الأصول : « ول لا » .

(٤) سورة القصص ٩

(٥) ن : « جمر نار » .

(٦) سورة طه ٢٧ ، ٢٨

(٧) ط : « فكبر » ، وما أثبتته من ا .

(٨) من ا

وقد تغلقت أسواقها ، وليس في طرفها أحد ، وهو قول الله عز وجل : ﴿ وَدَخَلَ
 الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ ﴾
 يقول : هذا من بني إسرائيل ، ﴿ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ ﴾ يقول : من القبط ﴿ فَاسْتَفَاهَهُ
 الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا
 مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ * قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ
 لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ
 ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ * فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ خائفاً أن يؤخذ ، ﴿ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ ﴾ يقول : يستغيثه ﴿ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَأَعْوَىٰ
 مُبِينٌ ﴾ (١) . ثم أقبل [موسى] (٢) لينصره ، فلما نظر إلى موسى قد أقبل نحوه ليبطش
 بالرجل الذي يقاتل الإسرائيلي ، قال الإسرائيلي — وفريق من موسى أن يبطش به من أجل أنه
 أغلظ الكلام — يا موسى ﴿ أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس إن
 تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين ﴾ (١) .
 فتركه وذهب القبطي ، فأفشى عليه أن موسى هو الذي قتل الرجل ، فطلبه فرعون
 وقال : خذوه فإنه صاحبنا ، وقال للذين يطلبونه : اطلبوه في بُسَيَّاتِ (٢) الطريق ،
 فإن موسى غلام لا يهتدي إلى الطريق ، وأخذ موسى في بُسَيَّاتِ الطريق
 وجاءه الرجل وأخبره ﴿ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَاتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ
 مِنَ النَّاصِحِينَ * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴾ (١) . فلما أخذ موسى في بُسَيَّاتِ الطريق جاءه ملك على فرس بيده
 عنزة ، فلما رآه موسى سجد له من الفرق ، فقال : لا تسجد لي ، ولكن اتبعني ،
 فاتبعه فهداه نحو مدين ، وقال موسى وهو متوجه نحو مدين :
 ﴿ عَسَىٰ رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ (١) ، فانطلق به الملك حتى انتهى
 به إلى مدين .

(١) سورة القصص ١٥ - ٢٢

(٢) من أ

(٣) بُسَيَّاتِ الطريق : هي الطرق الصغار التي تتفرع من الجادة .

حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا يزيد بن هارون ، قال :
حدثنا أصبغ بن زيد الجهنّي ، قال : حدثنا القاسم ، قال : حدثني سعيد
ابن جبير ، قال : [سألت عبد الله بن عباس عن قول الله لموسى : ﴿ وَفَتَنَّاكَ
فُتُونًا ﴾ ^(١) ، فسألته عن الفتون ما هي ؟ فقال لي : استأنف النهار يا ابن جبير ،
فإن لها حديثاً طويلاً ، قال : فلما أصبحت غدوت على ابن عباس لأنتجز منه
ما وعدني [^(٢) . قال : فقال ابن عباس : تذاكر فرعون وجلساؤه ما وعد الله إبراهيم
من أن يجعل في ذريته أنبياء وملوكاً ، فقال بعضهم : إن بني إسرائيل
لينتظرون ذلك ما يشكون ^(٣) ، ولقد كانوا يظنون أنه يوسف بن يعقوب ، فلما
هلك قالوا : ليس هكذا كان الله ^(٤) وعد إبراهيم ، قال فرعون : فكيف ترون ؟
قال : فائتمروا بينهم ، وأجمعوا أمرهم على أن يبعث رجلاً معهم الشفّار ،
يطوفون في بني إسرائيل فلا يجدون مولوداً ذكراً إلا ذبحوه ، فلما رأوا أن الكبار
من بني إسرائيل يموتون بأجلهم ، وأن الصغار ^(٥) يُذبحون قالوا : توشكون أن
تفنون بني إسرائيل فتصيروا إلى أن تباشروا من الأعمال والخدمة التي كانوا يكفونكم ،
فاقتلوا عاماً كل مولود ذكر ، فيقتل أبناءهم ، ودعوا عاماً لا تقتلوا منهم أحداً ،
فبشّب الصغار مكان من يموت من الكبار ؛ فإنهم لن يكثرُوا بمن تستحيون
منهم فتخافوا مكاترتهم إياكم ، ولن يقلّوا بمن تقتلون . فأجمعوا أمرهم على ذلك
فحملت أم موسى بهارون في العام الذي لا يذبح فيه الغلمان فولدته علانية آمنة
حتى إذا كان العام المقبل حملت بموسى فوقع في قلبها الهم والحزن — وذلك
من الفتون يا ابن جبير — مما دخل عليه في بطن أمه مما يراد به ، فأوحى الله إليها :
﴿ الْآتِحَا فِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . وأمرها إذا
ولدته أن تجعله في تابوت ، ثم تلقيه في اليم . فلما ولدته فعلت ما أمرت به ،
حتى إذا توارى عنها ابنها أتاها إبليس ، فقالت في نفسها : ما صنعت بابني ؟
لو ذبح عندي فواريته وكفنته كان أحب إليّ من أن ألقىه بيدي إلى حيطان

٤٥٢/١

٤٥٣/١

(٢) تكلمة من التفسير وتاريخ ابن كثير .

(١) سورة طه ٤٠

(٤) ن : « كان وعد الله » .

(٣) ن ، والتفسير : « وما يشكون » .

(٥) ن وابن كثير : « والصغار » .

البحر ودوابه . فانطلق به الماء حتى أوفى (١) به عند فُرْضَة (٢) مُسْتَقَى جوارى آل فرعون ، فرأينته فأخذنه ، فهممن أن يفتحنَ التابوت ، فقال بعضهم لبعض : إن في هذا مالاً ؛ وإنا إن فتحناه لم تصدقنا امرأة فرعون بما وجدنا فيه ، فحملنه كهبيته لم (٣) يحركن منه شيئاً حتى دفعنه إليها ، فاما فتحته رأت فيه (٤) الغلام ، فألقى عليه منها محبة لم يلق مثلها منها على أحد من الناس ، ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا ﴾ من ذكر كل شيء ، إلا من ذكر موسى . فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا (٥) إلى امرأة فرعون بشفارهم يريدون أن يذبجوه—وذلك من الفُتُونِ يا بن جبير — فقالت : للذباحين : انصرفوا ، فإن هذا الواحد لا يزيد في بني إسرائيل ، فأتى فرعون فأستوهبه إياه ، فإن وهبه لي كنتم قد أحسنتم وأجملتم ، وإن أمر بذبجه لم ألكم . فلما أتت به فرعون قالت : ﴿ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَآكِ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ ، قال فرعون : يكون لك ، فأما أنا فلا حاجة لي فيه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي يُحْتَلَفُ به ، لو أقر فرعون أن يكون له قرّة عين كما أقرت به لهداه الله به ، كما هدى به امرأته ، ولكن الله حرمه ذلك » .

فأرسلت إلى مَنْ حوّلها من كلّ أنثى لها لبن لتختار له ظئراً ، فجعل (٦) كلّما أخذته امرأة منهن لترضّعه لم يقبل ثليبها (٧) ، حتى أشفت امرأة فرعون أن يمتنع من اللبن فيموت ، فحرّنها ذلك ، فأمرت به فأخرج إلى السوق .

(١) كذا في ا ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ك : « وافي » ، وفي ط : « وأرفأ » .

(٢) الفرضة من النهر : ثلثة يستقى منها .

(٣) ح ، « ولم » ، وابن كثير : « لم يخرجن » .

(٤) ح ، ك : « وجه » .

(٥) ن ، وابن كثير : « جاوا » .

(٦) ح : « فكان » .

(٧) ح : « ثديها » ، وابن كثير : « على ثديها » .

يجمع الناس ترجو أن تُصيب له ظئراً يأخذ منها ، فلم يقبل من أحد ، وأصبحت أم موسى فقالت لأخته : قصيه واطلبيه هل تسمعين له ذكراً ! أحيى ابني أم قد أكلته دواب البحر وحيثانه ؟ ونسيت الذي كان الله وعدها ، فبصرت به أخته عن جنب وهم لا يشعرون ، فقالت من الفرح حين أعياهم الظنورات : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴾ . فأخذوها فقالوا : وما يدريك ما نصحهم له ! هل تعرفينه ؟ حتى شكوا في ذلك - وذلك من الفتون يا بن جبير - فقالت : نصحهم له ، وشفقتهم عليه ، ورجبتهم (١) في ظنورة الملك ، ورجاء منفعتة . فتركوها ، فانطلقت إلى أمها فأخبرتها الخبر ، فجاءت فلما وضعته في حجرها نزا إلى ثديها حتى امتلأ جنباه ، فانطلق البشراء إلى امرأة فرعون يبشرونها أن قد وجدنا لابنك ظئراً ، فأرسلت إليها فأتيت بها وبه ، فلما رأت ما يصنع بها قالت : امكثي عندي تُرضعين ابني هذا فإنني لم أحب حبه شيئاً قط . قال : فقالت : لا أستطيع أن أدع بيتي وولدي فيضيع ، فإن طابت نفسك أن تعطينيه (٢) فأذهب به إلى بيتي ، فيكون معي لا آلوه خيراً فعلت ، وإلا فإنني غير تاركة بيتي وولدي . وذكرت أم موسى ما كان الله وعدها ، فتعاسرت على امرأة فرعون ، وأيقنت أن الله عز وجل منجز وعده ، فرجعت بابنها إلى بيتها من يومها ، فأنبته الله نباتاً حسناً ، وحفظه لما قضى فيه ، فلم تزل بنو إسرائيل وهم مجتمعون في ناحية المدينة يمتنعون به من الظلم والسُّخْر التي كانت فيهم ، فلما ترعرع قالت امرأة فرعون لأم موسى : أريد أن تريني موسى (٣) ، فوعدها يوماً تريها إياه فيه ، فقالت لحواضنها وظنورها (٤) وقهارمتها : لا ييقين أحد منكم إلا استقبل ابني بهدية وكرامة ، ليرى ذلك ، وأنا باعثة أمينة (٥) تحصى ما يصنع كل إنسان منكم . فلم تزل الهدية والكرامة والتحف تستقبله

٤٥٥/١

(١) كذا في ح ، ك ، وتاريخ ابن كثير ، وفي ط : « رجبتهم » .

(٢) كذا في أ وابن كثير والتفسير ، وفي ط : « تعطيني » .

(٣) ك : « ولدي » .

(٤) ك : « وظنورها » .

(٥) ابن كثير : « وأنا باعثة أمينة يحصى » .

من حين خرج من بيت أمه إلى أن دخل على امرأة فرعون ، فلما دخل عليها
يَحْتَلِّته (١) وأكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ، وقالت :
انطلقن به إلى فرعون فليجسَّله وليكرمه (٢) . فلما دخلن به على فرعون وضعته في
حجره ، فتناول موسى لحية فرعون حتى مدَّها ، فقال : عدو من أعداء الله ! ألا
ترى ما وعد الله إبراهيم أنه سيصرعك ويعلوك ! فأرسل إلى الذبَّاحين ليذبحوه
— وذلك من الفتون يا بن جبير — بعد كلِّ بلاء ابتلى به وأريد به . فجاءت امرأة
فرعون تسعى إلى فرعون فقالت : ما بدا لك في هذا الصبي الذي وهبته لي ؟ قال :
ألا ترى يزعم أنه سيصرعني ويعلوني ! فقالت : اجعل بيني وبينك أمراً يعرف (٣)
فيه الحق ؛ ائت بجمرتين ولؤلؤتين فقرِّبهن إليهِ ، فإن بطش باللؤلؤتين واجتنب
الجمرتين علمت أنه يعقل ، وإن تناول الجمرتين ولم يرد اللؤلؤتين فاعلم أن أحداً
لا يؤثِّر الجمرتين على اللؤلؤتين وهو يعقل ، فقرب ذلك إليه فتناول الجمرتين
فتزعهما منه مخافة أن تحرقا يده ، فقالت المرأة : ألا ترى ! فصرفه الله عنه
بعد ما كان قد همَّ به ، وكان الله بالغاً فيه أمره ، فلما بلغ أشده وكان (٤)
من الرجال لم يكن أحد (٥) من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل
بظلم ولا سخرة ، حتى امتنعوا كلَّ امتناع ، فبينما هو يمشي ذات يوم في ناحية
المدينة إذا هو برجلين يقتتلان ؛ أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون ،
فاستغاثه الإسرائيليُّ على الفرعونيِّ ، فغضب موسى واشتدَّ غضبه لأنه تناوله وهو
يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ، ولا يعلم الناس إلا أنما ذلك من
قبل الرضاة غير أم موسى ؛ إلا أن يكون الله عزَّ وجلَّ أطلع موسى من ذلك
على ما لم يطلع عليه غيره ، فوكز موسى الفرعونيَّ فقتله ، وليس يراهما إلا الله
عزَّ وجلَّ والإسرائيليُّ ، فقال موسى حين قتل الرجل : ﴿ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ

(١) التفسير وابن كثير : « نحلته » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط . « فليكرمه » ، وفي التفسير وابن كثير : « فلينحله » .

(٣) ن : « تعرف » ..

(٤) كذا في ١ ، والتفسير وتاريخ ابن كثير ، وفي ط : « فكان » .

(٥) ط : « لم يمكن أحداً » ، وما أثبتته عن التفسير وتاريخ ابن كثير .

إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ^(١)، ثم قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ^(٢) . فأصبح في المدينة خائفًا يترقب الأخبار ، فأتى فرعون فقيل له : إن بني إسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذنا بحقنا ، ولا ترخص لهم في ذلك ، فقال : ابغوني قاتله ، ومن يشهد عليه ؛ لأنه لا يستقيم أن نقضى بغير بيّنة ولا ثبت^(٣) . فطلبوا له ذلك ، فبينما هم يطوفون لا يجدون بيّنة ، إذ مرّ موسى من الغد ، فرأى ذلك الإسرائيليّ يقاتل فرعونياً ، فاستغاثه الإسرائيليّ على الفرعونيّ ، فصادف موسى وقد ندم على ما كان منه بالأمس ، وكره الذي رأى ، فغضب موسى فمدّ يده وهو يريد أن يبطش بالفرعونيّ ، فقال للإسرائيليّ لما فعل بالأمس واليوم : ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ^(٤) . فنظر الإسرائيليّ إلى موسى بعد ما قال [ما قال]^(٥) ، فإذا هو غضبان كغضبه بالأمس الذي قتل فيه الفرعونيّ ، فخاف أن يكون بعد ما قال له : ﴿إِنَّكَ لَعَوِيٌّ مُبِينٌ ، أن يكون إياه أراد - ولم يكن أراده ، وإنما أراد الفرعونيّ - فخاف الإسرائيليّ فحاجز الفرعونيّ ، وقال : يا موسى ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ! وإنما قال ذلك مخافة أن يكون إياه أراد موسى ليقته ، فتاركاً ، فانطلق الفرعونيّ إلى قومه فأخبرهم بما سمع من الإسرائيليّ من الخبر ، حين يقول : ﴿أَتُرِيدُ أَنْ تَقْتُلَنِي كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًا بِالْأَمْسِ ! فأرسل فرعون الذّباحين ، وسلك موسى الطريق الأعظم وطابوه وهم لا يخافون أن يفوتهم ، وكان رجلٌ من شيعة موسى من أقصى المدينة ، فاختصر طريقاً قريباً حتى سبقهم إلى موسى ، فأخبره الخبر^(٦) ؛ وذلك من الفتون يا بن جبير^(٧) .

* * *

ثم رجع الحديث إلى حديث السديّ . قال : ﴿فَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ

(١) سورة القصص ١٥ ، ١٦ (٢) الثبت هنا : الحجة .

(٣) سورة القصص ١٨ ، ١٩ (٤) تكلمة من والتفسير وابن كثير .

(٥) ن : « بالخبر » . (٦) الخبر في التفسير ١٦ : ١٢٥ ، ونقله ابن كثير

في التاريخ ١ : ٣٠٠ - ٣٠٢ ، بسنده عن أبي عبد الرحمن النسائي .

عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ ﴿١١﴾ يقول : كثرةً من الناس يسقون .

وقد حدثنا أبوعمار المرزبي ، قال : حدثنا الفضل بن موسى ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، قال : خرج موسى من مصر إلى مدين ، وبينهما ^(٢) مسيرة ثمان ليال - قال : وكان يقال نحو من الكوفة إلى البصرة - ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ، فخرج حافياً ، فما وصل إليها حتى وقع خف قدمه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا عثمان ، قال : حدثنا الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس بنحوه .

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ﴾ يقول : تحيسان غنهما ، فسألها : ﴿ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءَ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ ^(١) ، فرحمهما موسى فأتى البئر فاقتلع صخرة على البئر ، كان النفر من أهل مدين يجتمعون عليها حتى يرفعوها ، فسقى لهما موسى دلوأ فأروتا ^(٣) غنهما ، فرجعتا سريعاً ، وكانتا إنجا تسقيان من فضول الحياض ، ثم تولى موسى إلى ظل شجرة من السمرة ^(٤) فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾ ^(١) ، قال : قال ابن عباس : لقد قال موسى ، ولو شاء إنسان أن ينظر إلى خضرة أمعائه من شدة الجوع ما يسأل الله إلا أكلة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام بن سلم ، عن عنبسة ، عن أبي حصين ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله عز وجل : ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ ﴾ ، قال : ورد الماء وإنه ليتراءى خضرة البقل في بطنه من

(١) سورة القصص ٢٢ - ٢٤

(٢) ن : « وبينه وبينها » .

(٣) ط : « فأرويتا » ، وما أثبتته عن ا ، س .

(٤) س ، ن : شجرة سمرة .

الهُزَالُ فَقَالَ: ﴿رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنْزَلْتَ إِلَىٰ مِن خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ قال : شَبْعَةُ .

رجع الحديث إلى حديث السدي . فلما رجعت الجاريتان إلى أبيهما سريعاً ،
سألهما فأخبرتا خبر موسى ، فأرسل إحداهما فأتته ﴿ تَمْشِي عَلَىٰ اسْتِحْيَاءٍ ﴾
[وهي تستحي منه] ^(١) ، ﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾
فقام معها ، وقال لها : امضي ، فمشت ^(٢) بين يديه ، فضربتها الرياح فنظر
إلى عجيزتها ، فقال لها موسى : امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت ،
فلما أتى الشيخ ﴿وَفَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾
قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ .
وهي الجارية التي دعت . قال الشيخ : هذه القوة قد رأيت حين اقتلع الصخرة ،
أرأيت أمانته ما يدريك ما هي ؟ قالت : إني مشيت قدامه فلم يجب أن يخونني
في نفسي ، وأمرني أن أمشي خلفه ، قال له الشيخ : ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ
أُنَكِّحَكَ بِحَدَىٰ ابْنَتِي هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي﴾ — إلى — ﴿أَيُّمَا
الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتَ﴾ ، إما ثمانيا وإما عشرة ، ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ ^(٣) .

٤٦٠/١

قال ابن عباس : الجارية التي دعت هي التي تزوج بها . فأمر إحدى
ابنتيه أن تأتيه بعضاً فأتته بعضاً ، وكانت تلك العصا [عصا] ^(٤) استودعها ^(٥) إياه مالك
في صورة رجل ، فدفعها إليه . فدخلت الجارية فأخذت العصا فأتته بها ، فلما
رأها الشيخ قال لها : لا ، إيتيه بغيرها ، فألقتهما ، فأخذت تريد أن تأخذ غيرها فلا
يقع في يدها إلا هي ، وجعل يردد لها ، فكل ذلك ^(٦) لا يخرج في يدها غيرها ^(٧) ،
فلما رأى ذلك عمد إليها فأخرجها معه ، فرعى بها . ثم إن الشيخ قدم وقال :
كانت وديعة . فخرج يتلقى موسى فلما لقيه قال : أعطني العصا ، فقال ^(٨) موسى :

٤٦١/١

(١) تكلمة من أ . (٢) ن : « فمشت » .

(٣) سورة القصص ٢٥ - ٢٨ (٤) من أ

(٥) س : « أودعها » . (٦) أ : « وكل » .

(٧) ن : « إلا هي » .

(٨) كذا في أ ، وفي ط : « قال » .

هي عصاى ، فأبى أن يعطيته ، فاختمها بينهما ثم تراضيا أن يجعلها بينهما أول رجل يلقاها ، فأتاهما ملك يمشى ففضى بينهما فقال : ضبعاها فى الأرض فن حملها فهى له ، فعالجها الشيخ فلم يطقها ، وأخذها موسى بيده فرفعها ، فتركها له الشيخ ، فرعى له عشر سنين .
قال عبد الله بن عباس : كان موسى أحقّ بالوفاء .

حدثنى أحمد بن محمد الطوسى ، قال : حدثنا الحميد بن عبد الله ابن الزبير^(١) ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنى إبراهيم بن يحيى بن أبى يعقوب ، عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «سألت جبرئيل : أى الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملهما» .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنى ابن إسحاق ، عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، قال : قال لى يهودى بالكوفة - وأنا أتجهز للحج - : إني أراك رجلا يتبع العلم ، أخبرنى أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم وأنا الآن قادم على حبر العرب - يعنى ابن عباس - فسأله عن ذلك ، فلما قدمت مكة سألت ابن عباس عن ذلك وأخبرته بقول ٤٦٢/١ اليهودى ، فقال ابن عباس : قضى أكثرهما وأطيبهما ؛ إن النبى إذا وعد لم يخلف . قال سعيد : فقدمت العراق فلقيت اليهودى فأخبرته ، فقال : صدق ، وما أنزل الله على موسى هذا . والله العالم .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يزيد ، قال : أخبرنا الأصمغ بن زيد ، عن القاسم بن أبى أيوب ، عن سعيد بن جبير ، قال : سألتى رجل من أهل النصرانية : أى الأجلين قضى موسى ؟ قلت : لا أعلم - وأنا يومئذ لا أعلم - فلقيت ابن عباس ، فذكرت له الذى سألتى عنه النصرانى ، فقال : أما كنت تعلم أن ثمانياً واجبة عليه ، لم يكن نبى لينقص منها شيئاً ، وتعلم أن الله كان قاضياً عن موسى عدته التى وعده ، فإنه قضى عشر سنين .

(١) هو عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدى ؛ وفى الأصول : « الحميدى بن عبد الله ... »

حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ،
عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان الذماری ، عن شعيب الجبائی
قال : اسم الجاريتين ليا وصفورة ، وامرأة موسى صفورة ابنة يثرون ، كاهن
مدين ، والكاهن حَبْر .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن عمرو
ابن مرة ، عن أبي عبيدة ، قال : كان الذي استأجر موسى يثرون ، ابن أخي
شعيب النبي .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا العلاء بن عبد الجبار ، عن حماد بن
سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : الذي استأجر موسى اسمه يثرى
صاحب مدين .

حدثني إسماعيل بن الهيثم أبو العالية ، قال : حدثنا أبو قتيبة ، عن حماد
ابن سلمة ، عن أبي جمرة ، عن ابن عباس ، قال : اسم أبي امرأة موسى يثرى .

٤٦٣/١

رجع الحديث إلى حديث السدي . ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ ﴾
فضل الطريق . قال عبد الله بن عباس : كان في الشتاء ، ورفعت له نار ،
فلما ظن أنها نار - وكانت من نور الله - ﴿ قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ
نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ ﴾ ، فإن لم أجد خبراً آتيتكم منها بشهاب قبس ،
﴿ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴾ - قال : من البرد - ﴿ فَلَمَّا أَنَا نَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِي
الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ ﴾ ^(١) . ﴿ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ
وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ ^(٢) . فلما سمع موسى النداء فزع وقال : الحمد لله رب العالمين .
﴿ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٣) . ﴿ وَمَا تَلَكَ يَمِينِكَ
يَا مُوسَى ﴾ قال هي عصاى أتوكتأ عليها وأهش بها على غنمي ، يقول

أضرب بها الورك ، فيقع للغم من الشجر ﴿ وَلِي فِيهَا مَارِبٌ أُخْرَى ﴾ ، يقول :
 حوائج أخرى أحمل عليها المزود والسقاء ، فقال له : ﴿ أَلْقَهَا يَا مُوسَى • فَأَلْقَاهَا فَإِذَا
 هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴾ ^(١) . ﴿ فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾ ،
 يقول : لم ينتظر . فنودي : ﴿ يَا مُوسَى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَى
 الْمُرْسَلِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴾ ^(٣) ، ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ
 جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ ^(٤) العصا واليد آيتان ، ٤٦٤/١
 فذلك ^(٥) حين يدعو موسى ربه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ
 أَنْ يَقْتُلُونِ • وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا
 يُصَدِّقُنِي ﴾ ، يقول : كما يصدقني ﴿ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴾ ^(٦) قال : ﴿ وَلَهُمْ
 عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴾ — يعني بالقتيل — ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ
 بِأَخِيكَ وَنَجْمَلُ لَكَمَا سُلْطَانًا ﴾ — والسلطان الحجة — ﴿ فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا
 بِأَيِّتَانَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْفَالِغُونَ ﴾ ^(٧) ، ﴿ فَاتِنَا فِرْعَوْنَ فَقَوْلَا إِنَّا
 رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٨) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة : ﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ ﴾ ،
 خرج — فيما ذكر لي ابن إسحاق ، عن وهب بن منبه البائي — فيما ذكر له —
 عنه ، ومعه غم له ، ومعه زنده له وعصاه في يده يهش بها على غنمه نهاره ، فإذا أمسى
 اقتدح بزنده ناراً ، فبات عليها هو وأهله وغنمه ، فإذا أصبح غدا بأهله وبقنمه
 يتوكأ على عصاه ، وكانت — كما وُصف لي عن وهب بن منبه — ذات شعبتين
 في رأسها ، ومحجن في طرفها .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن لايتهم من
 أصحابه ، أن كعب الأحبار قدم مكة وبها عبد الله بن عمرو بن العاص ،

(١) سورة طه ١٧ - ٢٠ (٢) سورة النمل ١٠ (٣) سورة القصص ٣١ - ٣٥
 (٤) ن : « لك » . (٥) سورة الشعراء ١٦

فقال كعب: سلوه عن ثلاث، فإن أخبركم فإنه^(١) عالم، سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس في الأرض، وسلوه ما أول ما وضع في الأرض؟ وما أول شجرة غرست في الأرض؟ فسئل عبد الله عنها فقال: أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الأرض من الجنة فهو هذا الركن الأسود، وأما أول ما وضع في الأرض فبرهوت^(٢) باليمن يردّه هام الكفار، وأما أول شجرة غرسها الله في الأرض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه. فلما بلغ ذلك كعباً قال: صدق الرجل، عالم والله!

قال: فلما كانت الليلة التي أراد الله بموسى كرامته، وابتدأ فيها بنبوته وكلامه، أخطأ فيها الطريق حتى لا يدري أين يتوجه، فأخرج زنده ليقده ناراً لأهله ليبيتوا عليها حتى يصبح، ويعلم وجه سبيله، فأصلد عليه زنده فلا يورى له ناراً، فقدح حتى [إذا^(٣)] أعياه لاحت النار فرآها، ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدُ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾^(٤)، بقبس تصطلون، وهدى: عن علم الطريق الذي أضلنا بنعت من خبير. فخرج نحوها، فإذا هي في شجرة من العليق. وبعض أهل الكتاب يقول: في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة، فلما أراد الرجعة دنت منه، ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله: يا موسى ﴿أَخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طَوًى﴾^(٥). فالتقاهما ثم قال: ﴿مَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى﴾ قال هي عصا أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى، أي منافع أخرى، ﴿قال ألقها يا موسى﴾ فالتقاها فإذا هي حية تسعى^(٦) قد صار شعبتها فيها وصار محجتها عرفاً لها، في ظهر تهتر، لها أنياب، فهي كما شاء الله أن تكون. فرأى

(١) س: «فهو».

(٢) س: «فبرهوت» (٣) من ١

(٤) سورة طه: ١٠.

(٥) سورة طه: ١٢.

(٦) سورة طه: ١٧ - ٢٠.

أمراً فظيماً فولى مدبراً ولم يعقب ، فناداه ربه : أن يا موسى أقبل ولا تخف ، ﴿ سَمِعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى ﴾^(١) ، أى سيرتها عصا كما كانت . قال : فلما أقبل قال : ﴿ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ﴾^(٢) ، أدخل يدك فى فيها ، وعلى موسى جبة من صوف ، فلف يده بكمته وهو لها هائب ، فنودى أن ألقى كلك عن يدك ، فألقاه عنها ، ثم أدخل يده بين لحيتيها ، فلما أدخلها قبض عليها فإذا هى عصاه فى يده ، ويده بين شعبتها حيث كان يضعها ، ومحجنها بموضعه الذى كان لا ينكر منها شيئاً . ثم قيل : ﴿ أَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ ﴾^(٣) أى من غير برص - وكان موسى عليه السلام رجلاً آدم ألقى جعداً طويلاً - فأدخل يده فى جيبه ثم أخرجها بيضاء مثل الثلج ، ثم ردها فى جيبه ، فخرجت كما كانت على لونه ، ثم قال : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴾ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ * وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ، أى يبين لهم عنى ما أكلتهم به ، فإنه يفهم عنى ما لا يفهمون . ﴿ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ مُلْكًا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنْ أُتْبِعَكُمَا الْغَالِبُونَ ﴾^(٤) .

٤٦٧/١

رجع الحديث إلى حديث السدى . فأقبل موسى إلى أهله فسار بهم نحو مصر حتى أتاهم ليلاً ، فتضيف على أمه وهو لا يعرفهم ، فأتاهم فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطقميشل^(٤) ، فنزل فى جانب الدار ، فجاء هارون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف ، فدعاه فأكل معه ، فلما أن قعدا تحدثا ، فسأله هارون : من أنت ؟ قال : أنا موسى ، فقام كل واحد منهما إلى صاحبه فاعتنقه ، فلما أن تعارفا قال له موسى : يا هارون

(١) سورة طه ٢١ .

(٢) سورة النمل ١٢ .

(٣) سورة القصص ٣٢ - ٣٥ .

(٤) الطقميشل : نوع من المرق ، قاله صاحب القاموس .

انطلق معي إلى فرعون ، إن الله قد أرسلنا إليه ، فقال هارون :
 سمعٌ وطاعة ، فقامت أمهما فصاحت وقالت : أنشدكما الله ألا تذهبا
 إلى فرعون فيقتلكما فأبيا . فانطلقا إليه ليلا ، فأتيا الباب فضرباه ففزع فرعون ،
 وفزع البواب ، وقال فرعون : مَنْ هذا الذي يضرب بابي في هذه الساعة ؟ فأشرف
 عليهما البواب ، فكلمتهما ، فقال له موسى : ﴿ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) ففزع
 البواب فأتى فرعون فأخبره فقال : إن هاهنا إنسانا مجنوناً يزعم أنه رسول رب
 العالمين ، قال : أدخله ، فدخل فقال : إني رسول رب العالمين ؛ أن أرسل
 معي بنى إسرائيل ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فَيَتًا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا
 مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلَتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ .
 معاعلى ديننا هذا الذي تعيب! ﴿ قَالَ فَعَلْتَهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الصَّالِينَ * فَفَرَزْتُ
 مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ﴾ - والحكم النبوة - ﴿ وَجَعَلَنِي مِنَ
 الْمُرْسَلِينَ * وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ وربيتني
 قبل وليداً! ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(٢) . ﴿ فَمَنْ رَبُّكُمْ يَا مُوسَى * قَالَ
 رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾ ^(٣) . يقول : أعطى كل دابة زوجها ^(٤)
 ثم هدى للنكاح ، ثم قال له : ﴿ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَآتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ
 مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٥) ، وذلك بعد ما قال له من الكلام ما ذكر الله تعالى . قال
 موسى : ﴿ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ * قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ *
 فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ^(٦) - والثعبان الذكر من الحيات - فاتحة

٤٦٨/١

(١) سورة الزخرف ٤٦

(٢) سورة الشعراء ١٨ - ٢٣

(٣) سورة طه ٤٩ ، ٥٠

(٤) ١ : « خلقها : زوجاً »

(٥) سورة الأعراف ١٠٦

(٦) سورة الشعراء ٣٠ - ٣٢

فاها ، واضعةً لَحْيَها الأسفل في الأرض والأعلى على سور القصر ، ثم توجهت نحو فرعون لتأخذه ، فلما رآها ذعر منها وثب ، فأحدث - ولم يكن يُحدث قبل ذلك - وصاح : يا موسى خذها وأنا أومن بك وأرسلُ معك بنى إسرائيل . فأخذها موسى فعادت عصا ، ثم نزع يده وأخرجها^(١) من جيبه ، فإذا هي بيضاء للناظرين . فخرج موسى من عنده على ذلك ، وأبى فرعون أن يؤمن به ، أو^(٢) يرسل معه بنى إسرائيل ، وقال لقومه : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا أَعْلَى أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى ﴾^(٣) . فلما بنى له الصرح ارتقى فوقه ؛ فأمر بنشأبة فرمى بها نحو السماء فردت إليه ، وهي ملطخة دماً ، فقال : قد قتلت إله موسى .

حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة : ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ ﴾ ، قال : كان أول من طبخ الآجر يبنى به الصرح .

وأما ابن إسحاق ، فإنه قال ما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج موسى لما بعثه الله عز وجل حتى قدم مصر على فرعون هو وأخوه هارون ، حتى وقفا على باب فرعون يلتمسان الإذن عليه ، وهما يقولان : إنا رسولا رب العالمين ، فأذونا بنا هذا الرجل . فكثنا - فيما بلغنا - سنتين يغدوان على بابه ، ويروحيان لا يعلم بهما ، ولا يجترئ أحد على أن يخبره بشأنهما ، حتى دخل عليه بطال له يلعبه ويضحكه ، فقال له : أيها الملك ، إن على الباب رجل يقول قولاً عجيباً ، يزعم أن له إلهاً غيرك ، قال : أدخلوه ، فدخل ومعه هارون أخوه ، وبسيده عصاه ، فلما وقف على فرعون قال له : إني رسول رب العالمين ، فعرفه فرعون فقال : ﴿ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعَلْتِكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « أخرجها » من غير واو .

(٢) كذا في ١ ، س ، وفي ط : « وأن » . (٣) سورة القصص ٣٨ .

مِنَ الْكَافِرِينَ * قَالَ فَعَلْتُهَا إِذَا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿١﴾ أى خطأ لا أريد ذلك . ثم أقبل عليه موسى ينكر عليه ما ذكر من يده عنده ، فقال : ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىٰ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ ! أى اتخذتهم عبيد أنتزع (١) أبناءهم من أيديهم ، فستسرق من شئت ، وتقتل من شئت . إني إنما صيرتني إلى بيتك وإليك ذلك . ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (٢) ، أى يستوصفه إله الذى أرسله إليه ، أى ما إلهك هذا ! ﴿قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ﴾ . قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ ﴿مِنْ مَلَائِكَةِ﴾ ﴿الْأَسْمِعُونَ﴾ أى إنكاراً لما قال : ليس له إله غيرى . ﴿قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ﴾ الذى خلق آباءكم الأولين وخلفكم من آباءكم . قال فرعون : ﴿إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾ ، أى ما هذا بكلام صحيح إذ يزعم أن لكم إلهاً غيرى ، ﴿قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنَّ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أى خالق المشرق والمغرب وما بينهما من الخلق إن كنتم تعقلون . ﴿قَالَ لَنْ اتَّخَذتَ إِلَهًا غَيْرِي﴾ لتعبد غيرى وتترك عبادتى ﴿لَأَجْعَلَكَ مِنَ الْمَسْجُورِينَ﴾ * قَالَ أَوْ لَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ، أى بما تعرف بها صدق وكذبك وحق وباطلك ! ﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣﴾ ، فَلَآت مَا بَيْنَ سَمَاطِي فِرْعَوْنَ ، فَاتْحَةٌ فَاهَا ، قَدْ صَارَ مَحْجَنُهَا عِرْفًا عَلَى ظَهْرِهَا . فَارْفَضَ عَنْهَا النَّاسَ ، وَحَالَ فِرْعَوْنَ عَنِ سَرِيرِهِ يُسْتَشِدُّ بِرَبِّهِ . ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَأَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ مِثْلِ الثَّلْجِ ، ثُمَّ رَدَّهَا كَهَيْئَتِهَا ، وَأَدْخَلَ مَوْسَىٰ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ فَصَارَتْ عَصَا فِي يَدِهِ ، يَدَهُ بَيْنَ شَعْبَتَيْهَا ، وَحَجَّجَهَا فِي أَسْفَلِهَا كَمَا كَانَتْ ، وَأَخَذَ فِرْعَوْنَ بَطْنَهُ ، وَكَانَ فِيهَا يَزْعُمُونَ يَمْكُثُ الْخَمْسَ وَالسَّتْ مَا يَلْتَمِسُ الْمَذْهَبَ - يَرِيدُ الْخِلَاءَ - كَمَا يَلْتَمِسُهُ النَّاسُ ، وَكَانَ ذَلِكَ مِمَّا زَيَّنَّ لَهُ أَنْ

٤٧٠/١

٤٧١/١

(١) ن : « تنتزع » .

(٢) سورة الشعراء ١٧ - ٣٢ .

يقول ما يقول^(١) : إنه ليس من الناس بشبه^(٢) .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : حدثت عن وهب بن منبه اليماني ، قال : فشى بضعا وعشرين ليلة ، حتى كادت نفسه أن تخرج ، ثم استسك^(٣) فقال للمته : ﴿إِنَّ هَذَا السَّاحِرُ عَلِيمٌ﴾ أي ماساحر أسحر منه ، ﴿يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾^(٤) أقتله ؟ فقال مؤمن من آل فرعون - العبد الصالح وكان اسمه فيما يزعمون حبرك : ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ بعصاه ويده ! ثم خوفهم عقاب الله وحذرهم ما أصاب الأمم قبلهم ، وقال : ﴿يَأْتِيهِمْ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَلْفٌ مِنْ تَارِكِينَ مُخْلَصِينَ وَبَعْضٌ مِمَّنْ يَبْتغِي النَّارَ﴾^(٥) . وقال الملائ من قومه - وقد^(٦) وهنهم من سلطان الله ما وهنهم : ﴿أَرَجِحُ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تَوَكُّبِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾^(٧) ، أي كائره بالسحرة لعلك أن تجد في السحرة من جاء بمثل ما جاء به . وقد كان موسى وهارون خرجا من عنده حين أراهم من سلطان الله ما أراهم ، وبعث فرعون مكانه في مملكته ، فلم يترك في سلطانه ساحرا إلا أتى به ؛ فذكر لي - والله أعلم - أنه جمع له خمسة عشر ألف ساحر ، فلما اجتمعوا إليه أمرهم أمره ، فقال لهم : قد جاءنا ساحر ما رأينا مثله قط ، وإنكم إن غلبتموه أكرمتمكم وفضلتكم وقربتكم على أهل مملكتي ، قالوا : إن لنا ذلك [عليك]^(٨) إن

٤٧٢/١

(١) كذا في اس ، وفي ط : « ما قال » .

(٢) « بشبهه » .

(٣) س : « استبيل » .

(٤) سورة الشعراء ٣٤ ، ٣٥ .

(٥) سورة غافر ٢٨ ، ٢٩ .

(٦) ط : « قد » من غير واو ، وما أثبتته من أ .

(٧) سورة الشعراء ٣٦ ، ٣٧ .

(٨) من أ

غَلَبْنَا! قال: نعم، قالوا: فعد لنا موعداً نجتمع نحن وهو، فكان^(١) رموس
السحرة الذين جمع فرعون لموسى: ساتور^(٢)، وعادور^(٣)، وحطحط^(٤)،
ومصفي^(٥)؛ أربعة، وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله،
فأمّنت السحرة جميعاً وقالوا لفرعون حين توعدهم القتل والصلب: ﴿لَنْ
نُؤْتِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾^(٦). فبعث
فرعون إلى موسى: ﴿أَنْ اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا
سُوًى﴾. قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ، يوم عيد كان فرعون يخرج إليه^(٧)،
﴿وَأَنْ يُخَشِّرَ النَّاسَ ضَعْفَى﴾^(٨)، حتى يحضروا أمرى وأمرى، فجمع فرعون الناس
لذلك الجمع، ثم أمر السحرة فقال: ﴿اِنَّتُوا صَفَا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى﴾^(٩)،
أى قد أفلح من استعلى اليوم على صاحبه. فصفت خمسة عشر ألف ساحر،
مع كل ساحر جباله وعصيه، وخرج موسى ومعه أخوه يتكىء على عصاه،
حتى أتى الجمع وفرعون في مجلسه ومعه^(١٠) أشرف أهل مملكته، وقد استكف
له الناس، فقال موسى للسحرة حين جاءهم: ﴿وَيْلَكُمْ لَا تَنْفَرُوا عَلَى اللَّهِ
كَذِبًا فَيَسْحَبِكُمْ بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنْ افْتَرَى﴾^(١١)، فتراد السحرة
بينهم، وقال بعضهم لبعض: [ما هذا بقول ساحر، ثم قالوا وأشار بعضهم
إلى بعض]^(١٢) بتناج: ﴿إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ أَنْ يُرِيدَ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ
بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَ بِطَرِيقِكُمُ الْمُنْتَلَى﴾^(١٣). ثم قالوا: ﴿يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى

٤٧٣/١

(١) كذا في أ، وفي ط: «فكانوا».

(٢) كذا في أ، وفي س: «شانور»، ن: «سالور»، وفي ط من غير نقط.

(٣) أ: «عادور»، س: «غادور».

(٤) س: «حطحطه». (٥) ن: «مصفي».

(٦) سورة طه: ٧٢. (٧) س: «له».

(٨) سورة طه: ٥٨، ٥٩.

(٩) سورة طه: ٦٤.

(١٠) ط: «معه»، وما أثبتته من أ.

(١١) سورة طه: ٦١ (١٢) تكلمة من أ.

(١٣) سورة طه: ٦٣.

وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ أَوْلَ مَنْ أَتَى * قَالَ بَلْ أَلْتُوا إِذَا جِبَالَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخَيَّلُ
إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ تَسْمَى ﴿^(١)﴾ . فكان أول ما اختطفوا بسحرهم بصراً موسى
وبصر فرعون ، ثم أبصار الناس بعد ، ثم أتى كل رجل منهم ما في
يده من العصى والجبال ، فإذا هي حيات كأمثال الجبال ، قد ملأت الوادى
يركب بعضها بعضاً . ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَى ﴾ ^(١) ، وقال : والله إن
كانت لعصياً في أيديهم ، ولقد عادت حيات ، وما تعدو عصاى هذه
— أو كما حدثت نفسه — فأوحى الله إليه : ﴿ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا
صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ ^(٢) . وفُرج عن موسى فأتى
عصاه من يده ، فاستعرضت ما ألقوا من جبالهم وعصيهم — وهى حيات فى
عين فرعون وأعين الناس تسمى فجعلت تلتقفها ^(٣) ، تبتلعها حية حية ، حتى ما يرى
فى الوادى ^(٤) قليل ولا كثير مما ألقوا ، ثم أخذها موسى فإذا هى عصاه فى
يده كما كانت ، ووقع السحرة سجداً ﴿ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ،
لو كان هذا سحراً ما غلبنا . قال لهم فرعون — وأسف ورأى الغلبة البيئنة : ﴿ آمَنْتُمْ
لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ ﴾ ، [أى
لعظيم السحار الذى علمكم] ^(٥) ﴿ فَلَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ ﴾
— إلى قوله — ﴿ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ﴾ ، [أى لن نؤثرك على الله وعلى ما جاء نامن
الحجج مع نبيه فاقض ما أنت قاض] ^(٥) ، أى فاصنع ما ببدالك ، ﴿ إِنَّمَا تَقْضَى هَذِهِ

٤٧٤/١

(١) سورة طه ٦٥ - ٦٧

(٢) سورة طه ٦٩

(٣) كذا فى ١ ، وفى ط « تلتقفها » .

(٤) ١ ، ن : « بالوادى » .

(٥) تكلمة من ١ .

الحياة الدنيا التي ليس لك سلطان إلا فيها ، ثم لا سلطان لك بعدها ، ﴿ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنَبْتَغِيَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴾ (١) ،
 أى خير منك ثواباً ، وأبقى عقاباً . فرجع عدو الله مغلوباً ملعوناً (٢) ثم أبى إلا
 الإقامة على الكفر ، والتمادى فى الشر ، فتابع الله عليه بالآيات ، وأخذ به بالسنين ،
 فأرسل عليه الطوفان .

رجع الحديث إلى حديث السدى . وأما السدى فإنه قال فى خبره : ذُكر
 أن الآيات التى ابتلى الله بها قوم فرعون كانت قبل اجتماع موسى والسحرة ، وقال :
 لما رجع إليه السهم ملطخاً بالدم قال : قد قتلنا (٣) إله موسى . ثم إن الله
 أرسل عليهم الطوفان — وهو المطر — فغرق كل شىء لهم ، فقالوا : يا موسى ادع
 لنا ربك يكشف عنا ، ونحن نؤمن لك ونرسل معك بنى إسرائيل . فكشفه الله
 عنهم ، ونبتت زروعهم ، فقالوا : ما يسرنا أننا لم نُمطر . فبعث الله عليهم
 الجراد فأكل حرثهم ، فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه ويؤمنوا به ، فدعا
 فكشفه ، وقد بقى من زروعهم بقية ، فقالوا : لن نؤمن وقد بقى لنا من زرعنا بقية ،
 فبعث الله عليهم الدباب — وهو القمل — ، فلحس الأرض كلها ، وكان يدخل
 بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه ، وكان أحدهم يأكل الطعام فيمتلىء دباباً
 حتى إن أحدهم لينبى الأسطوانة بالحصص والآجر ، فيزلقها (٤) حتى لا يرتقى فوقها
 شىء [من الذباب ، ثم] (٥) يرفع فوقها الطعام ، فإذا صعد إليه لىأأكله وجده ملآن
 دباباً ، فلم يصبهم بلاء كان أشد عليهم من الدباب ؛ وهو الرجز الذى ذكره الله فى
 القرآن (٦) أنه وقع عليهم . فسألوا موسى أن يدعو ربه فيكشفه عنهم ويؤمنوا به ،
 فلما كشف (٧) عنهم أبوا أن يؤمنوا ، فأرسل الله عليهم الدم ، فكان الإسرائيلى

٤٧٥/١

(١) سورة طه : ٧٠ - ٧٣

(٢) ١ ، س : « مغلوباً »

(٣) ١ : « قتلت » .

(٤) ط : « فيزلقه » ، ما أثبتته من ١ . (٥) تكله من ١

(٦) وهو قوله تعالى فى سورة الأعراف ١٣٤ : (وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا

يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ لِمَا عَاهَدَ عِنْدَكَ) .

(٧) ط : « كشفه » ؛ والأجود ما أثبتته من ١ .

يَأْتِي هُوَ وَالْقَبْطِيُّ فَيَسْتَقِيَانِ ^(١) مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ ، فَيُخْرِجُ مَاءَ هَذَا الْقَبْطِيُّ دَمًا ، وَيُخْرِجُ لِلْإِسْرَائِيلِيِّ مَاءً . فَلَمَّا اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ سَأَلُوا مُوسَى أَنْ يَكْشِفَهُ وَيُؤْمِنُوا بِهِ فَكَشَفَ ذَلِكَ عَنْهُمْ ، فَأَبَوْا أَنْ يُؤْمِنُوا ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ ^(٢) مَا أَعْطَوْا مِنَ الْعَهْدِ ، وَهُوَ حِينَ يَقُولُ : ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالْسِّنِينِ ﴾ — وَهُوَ الْجُوعُ — ﴿ وَنَقَصْنَا مِنَ الثَّمَرَاتِ ٤٧٦/١ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ ^(٣) .

نَمَّ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَوْحَى إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ ^(٤) أَنْ : ﴿ قَوْلًا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ ^(٥) ، فَأَتِيَاهُ فَقَالَ لَهُ مُوسَى : هَلْ لَكَ يَا فِرْعَوْنَ فِي أَنْ أُعْطِيكَ شَبَابِكَ وَلَا تَهْرَمَ ^(٦) ، وَمَلَكَكَ لَا يَنْزِعَ مِنْكَ ، وَيُرَدُّ ^(٧) إِلَيْكَ لَذَّةُ الْمُنَاقِحِ وَالْمَشَارِبِ وَالرُّكُوبِ ، فَإِذَا مَتَّ دَخَلْتَ الْجَنَّةَ ؟ تَوْمَنُ فِي ^(٨) ! فَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ ، وَهِيَ اللَّيْنَةُ ^(٩) ، فَقَالَ : كَمَا أَنْتَ حَتَّى يَأْتِيَ هَامَانَ . فَلَمَّا جَاءَ هَامَانَ قَالَ لَهُ : [أَشَعْرَتْ] ^(١٠) أَنْ ذَلِكَ الرَّجُلُ أَتَانِي ؟ قَالَ : مِنْ هُوَ ؟ — وَكَانَ قَبْلَ ذَلِكَ إِنَّمَا يَسْمِيهِ السَّاحِرَ ، فَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمَ لَمْ يَسْمِهِ السَّاحِرَ — قَالَ فِرْعَوْنَ : مُوسَى ، قَالَ : وَمَا قَالَ لَكَ ؟ قَالَ : قَالَ لِي : كَذَا وَكَذَا ، قَالَ هَامَانَ : وَمَا رَدَدْتَ عَلَيْهِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : حَتَّى يَأْتِيَ هَامَانَ فَأَسْتَشِيرَهُ ، فَعَجَزَهُ هَامَانَ وَقَالَ : قَدْ كَانَ ظَنِّي بِكَ خَيْرًا مِنْ هَذَا ، تَصِيرُ عَبْدًا يَعْبُدُ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ رَبًّا يَعْبُدُ ! فَذَلِكَ حِينَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ لِقَوْمِهِ وَجَمَعَهُمْ فَقَالَ : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ^(١١) . وَكَانَ بَيْنَ كَلِمَتِهِ ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ^(١٢) وَبَيْنَ قَوْلِهِ :

(١) كَذَا فِي أ ، وَفِي ط : « يَسْتَقِيَانِ » . (٢) سُورَةُ الزُّخْرُفِ ٥٠ .

(٣) سُورَةُ الْأَعْرَافِ ١٣٠ . (٤) كَذَا فِي أ ، وَفِي ط : « إِلَيْهَا » .

(٥) سُورَةُ طه ٤٤ . (٦) ط : « وَلَا يَهْرَمُ » ، أ : « شَيْئًا لَا يَهْرَمُ » ، وَفِي ابْنِ الْأَثِيرِ

١ : ١٠٢ : « فَلَا يَهْرَمُ » . (٧) ابْنُ الْأَثِيرِ : « وَأُرَدُّ » .

(٨) أ ، ن ، وَابْنُ الْأَثِيرِ : « وَيَتَوَمَّنُ فِي » . (٩) أ : « اللَّيْنِيَّاتُ » .

(١٠) تَكَلَّمَ مِنْ أ . (١١) سُورَةُ النَّازِعَاتِ ٢٤ (١٢) سُورَةُ الْقَصَصِ : ٣٨ .

﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ أربعون سنة . وقال لقومه : ﴿ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فإِذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْنَيْهِ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَا تُوكُ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٌ ﴾ (١) . قال فرعون : ﴿ أَجِئْنَاكَ لَتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى * فَلْنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنْتَ مَكَانًا سُوًى ﴾ — يقول : عدلا ، قال موسى : ﴿ مَوْعِدُكُمْ يَوْمَ الزَّيْنَةِ وَأَنْ يُخَشِرَ النَّاسُ سُحْرِي ﴾ — وذلك يوم عيد لهم — ﴿ فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ نِمَ آتَى ﴾ (٢) . وأرسل فرعون في المدائن حاشرين ، فحشروا وعلبه السحرة ، وحشروا الناس ينظرون ، يقول : ﴿ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلْنَا نَبْسِعَ السَّحْرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴾ — إلى قوله : ﴿ أَنْتُمْ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴾ — يقول : عطية تعطينا — ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُفْرَبِينَ ﴾ (٣) . فقال لهم موسى : ﴿ وَبَلِّغْكُمْ لَنَا نِقْمَتَنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ ﴾ ، يقول : يهلككم بعذاب . ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى ﴾ من دون موسى وهارون ، وقالوا في نجواهم : ﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثَلَى ﴾ (٤) ، يقول : يذهبها بأشراف قومكم .

فالتقى موسى وأمير السحرة ، فقال له موسى : أرايتك إن غلبتكم أتؤمن بي وتشهد أن ما جئت به حق ؟ قال : نعم ، قال الساحر : لا آتئين غداً بسحر لا يغلبه سحر ، فوالله لن غلبتني لأومنين بك ، ولأشهدن أنك على حق — وفرعون ينظر إليهما — وهو قول فرعون : ﴿ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكْرَتُهُ فِي الْمَدِينَةِ ﴾ ،

(١) سورة الشعراء ٣٤ - ٣٧

(٢) سورة طه ٥٧ - ٦٠

(٣) سورة الشعراء ٣٩ - ٤٢

(٤) سورة طه ٦١ - ٦٣ .

إذ التقيتا لتظاهرا ﴿لِخُرْجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا﴾^(١). فقالوا: ﴿يَا مُوسَىٰ إِنَّمَا أَنْ تُلْقِيَ
وَأَمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمَلْقِينَ﴾^(٢)، قال لهم موسى: ألقوا فألقنوا حبالهم
وعصيهم - وكانوا بضعة وثلاثين ألف رجل، ليس منهم رجل إلا ومعه حبل
وعصا - ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرَجَبُوهُمْ﴾^(٣) يقول: فرقوهم.
﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةَ مُوسَىٰ﴾^(٤)، فأوحى الله إليه: ألا تخف، ﴿وَأَلْقِ
مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾^(٥). فآلى موسى عصاه فأكلت كل حبة
لهم، فلما رأوا ذلك سجدوا، وقالوا: ﴿آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾^(٦).
قال فرعون: ﴿فَلَا قِطْمَانَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَا صَلْبَيْنَكُمْ فِي
جُدُوعِ النَّخْلِ﴾^(٧) فقتلهم وقطعهم - كما قال عبد الله بن عباس - حين قالوا:
﴿رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً وتوفنا مسلمين﴾^(٨). قال^(٩): كانوا في أول النهار
سحرة، وفي آخر النهار شهداء.

* * *

ثم أقبل على بني إسرائيل فقال له قومه: ﴿أَتَدْرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيَفْسُدُوا فِي
الْأَرْضِ وَيَذْرُكَ وَأَهْلَتِكَ﴾^(١٠)، وأهنته - فيما زعم ابن عباس - كانت البقرة،
كانوا إذا رأوا بقرة حسناء أمرهم أن يعبدوها، فلذلك أخرج لهم عجلاً بقرة.
ثم إن الله تعالى ذكره أمر موسى أن يخرج ببني إسرائيل فقال: ﴿أَنْ أَسْرَ
بِعَادِي﴾ ليللاً ﴿إِنَّكُمْ مُتَّبِعُونَ﴾^(١١). فأمر موسى بني إسرائيل أن يخرجوا، وأمرهم

(١) سورة الأعراف ١٢٣ .

(٢) سورة طه ٦٧ .

(٣) سورة الشعراء ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) سورة الأعراف ١٢٦ .

(٥) سورة الأعراف ١٢٧ .

(٦) سورة الأعراف ١١٥ ، ١١٦ .

(٧) سورة طه ٦٩ .

(٨) سورة طه ٧١ .

(٩) ط : « قالوا » ، وصوابه من .

(١٠) سورة الشعراء ٥٢ .

أن يستعيروا الحلي من القبط ، وأمر ألا ينادى إنسان صاحبه ، وأن يسرجوا في بيوتهم حتى الصبح ، وأن من خرج إذا قال : موسى ، قال : «عمرو» . وأمر من خرج يلبخ بابه بكف من دم حتى يعلم أنه قد خرج . وإن الله أخرج كل ولد زنا في القبط من بني إسرائيل إلى بني إسرائيل ، وأخرج كل ولد زنا في بني إسرائيل من القبط إلى القبط ، حتى أتوا آباءهم .

ثم خرج موسى ببني إسرائيل ليلاً والقبط لا يعلمون ، وقد دعا قِبَل ذلك على القبط ، فقال موسى : ﴿ رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَآئِهِ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾ إلى قوله : ﴿ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ (١) ، فقال الله تعالى : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا ﴾ فزعم السدي أن موسى هو الذي دعا وأمن هارون ، فذلك حين يقول الله : ﴿ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا ﴾ (١) .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ ﴾ (١) فذكر أن طمس الأموال أنه جعل دراهمهم ودنانيرهم حجارة ، ثم قال لهما استقيما ، فخرجا في قومهما ، وألق على القبط الموت ، فات كل بيكر رجل ، فأصبحوا يبدفنونهم ، فشغلوا عن طلبهم حتى طلعت الشمس ؛ فذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَنْبَبُوهُمْ مُشْرِقِينَ ﴾ (٢) .

وكان موسى على ساقه (٣) بني إسرائيل ، وكان هارون أمامهم يقدمهم ، فقال المؤمن لموسى : يا نبي الله ، أين أمرت ؟ قال : البحر ، فأراد أن يقتحم فنفعه وسى . وخرج موسى في ستمائة ألف وعشرين ألف مقاتل ، لا يُعَدُّون ابن العشرين لصغره ولا ابن السنين لكبره ، وإنما عدوا ما بين ذلك سوى الذرية ، وتبعهم فرعون ، وعلى مقدمته هامان ، في ألف ألف وسبعمائة ألف حصان ، ليس (٤) فيها ماذيانة ، وذلك حين يقول الله : ﴿ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا أَسْرِدُ مِمَّا قَلِيلُونَ * وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴾ — يعني بني إسرائيل — ﴿ وَأَنَا جَمِيعٌ حَازِرُونَ ﴾ (٥) ، يقول : قد حذرنا فأجمعنا أمرنا ،

(٢) سورة الشعراء ٦٠ .

(٤) ن : وليس .

(١) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٢) ساقه الجيش : مؤخرهم .

(٥) سورة الشعراء ٥٣ - ٥٦ .

﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ ﴾ ، فنظرت بنو إسرائيل إلى فرعون قد رددهم ، قالوا :
﴿ إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ ^(١) . قالوا : يا موسى ، أؤذينا من قبل أن تأتيينا ، كانوا
يدبّحون أبناءنا ، ويستحيون نساءنا ، ومن بعد ما جئتنا اليوم يدركنا فرعون
فيقتلنا ! إنا لمدركون ، البحر من بين أيدينا وفرعون من خلفنا ، قال
موسى : ﴿ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَزِينُ ﴾ ^(٢) ، يقول : سيكفيني ، ﴿ قَالَ عَمَّى
رَبُّكُمْ أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرَ كَيْفَ
تَعْمَلُونَ ﴾ ^(٣) . فتقدم هارون فضرب البحر فأبى البحر أن يفتح ، وقال :
من هذا الجبار الذي يضربني ! حتى أتاه موسى فكناه أبا خالد ، وضربه ،
﴿ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ ^(٤) ، يقول : كالجبل العظيم ،
فدخلت بنو إسرائيل ، وكان في البحر اثنا عشر طريقًا ، في كل طريق
سبب ، وكان الطرق إذ انفلقت بجدران . فقال كل سبب : قد قتل أصحابنا ،
فلما رأى ذلك موسى دعا الله فجعلها لهم قناطر كهيئة الطيقان ، فنظر
آخرهم إلى أولهم ، حتى خرجوا جميعًا ؛ ثم دنا فرعون وأصحابه ، فلما
نظر فرعون إلى البحر منفلقًا قال : ألا ترون البحر فرق مني ، وقد تفتح لي حتى
أدرك أعدائي فأقتلهم ! فذلك قول الله : ﴿ وَأَرْزَأْنَا مِمَّ الْآخِرِينَ ﴾ ^(٥) ،
يقول : قربنا ثم الآخريين ؛ هم آل فرعون .

فلما قام فرعون على أفواه الطرق أبت خيلُه أن تقتحم ، فنزل جبرئيل
على ماذيانة ، فشمت ^(٥) الحصن ريح الماذيانة فاقتمحت في أثرها حتى إذا هم
أولتهم أن يخرج ودخل آخرهم ، أمر البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم ،

(١) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ .

(٢) سورة الأعراف ١٢٩ .

(٣) سورة الشعراء ٦٣ .

(٤) سورة الشعراء : ٦٤ .

(٥) كذا في ح وإبن الأثير ، وفي ا ، ط : « فشامت » .

وتفرد جبرئيل بفرعون بمَقْلَةٍ من مَقْل (١) البحر ، فجعل يَدُسُّهَا فِيهِ ، فقال حين أدركه الغرق : ﴿ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَعَثُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ، فبعث الله إليه ميكائيل يعيره ، قال : ﴿ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ (٢) . فقال جبرئيل : يا محمد ، ما أبغضت أحداً من

الخلق ما أبغضت رجلين : أما أحدهما فن الجين وهو إبليس حين أبى أن يسجد لآدم ، وأما الآخر فهو فرعون حين قال : ﴿ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى ﴾ ، ولورأيتني يا محمد ، وأنا آخذ مَقْلَ البحر فأدخله في فم فرعون مخافة أن يقول كلمة يرحمه الله بها ! وقالت بنو إسرائيل : لم يغرق فرعون ، الآن يدركنا فيقتلنا ، فدعا الله موسى : فأخرج فرعون في ستمائة ألف وعشرين ألفاً ، عليهم الحديد فأخذته بنو إسرائيل يمثلون به ، وذلك قول الله لفرعون : ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا لَتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً ﴾ (٣) ؛ يقول : لبي إسرائيل آية . فلما أرادوا أن يسيروا ضُرب

٤٨٢/١

عليهم تيه ، فلم يدروا أين يذهبون ، فدعا موسى مشيخة بنى إسرائيل فسألهم : ما بالنا ؟ فقالوا له : إن يوسف لما مات بمصر أخذ على إخوته عهداً ألا يخرجوا من مصر حتى تخرجوني معكم ، فذلك هذا الأمر ، فسألهم : أين موضع قبره ؟ فلم يعلموا ، فقام موسى ينادى : أنشد الله كل مَنْ كَانَ يَعْلَمُ أين موضع قبر يوسف إلا أخبرني به ، ومن لم يعلم فصمت أذناه عن قولي ! وكان يمر بين الرجلين ينادى فلا يسمعان صوته ، حتى سمعته عجوز لهم فقالت : رأيتك إن دلتك على قبره أعطيتني كل ما سألتك ؟ فأبى عليها وقال : حتى أسأل ربي ، فأمره الله عز وجل أن يعطيها ، فأناها فأعطاها ، فقالت : إني أريد ألا تنزل عُرفَةَ من الجنة إلا نزلتها معك ، قال : نعم ، قالت : إني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فأحملني ، فحملها ، فلما دنا من النيل ، قالت : إنه في جوف الماء ، فادع الله أن يحسب عنه الماء ، فدعا الله فحسر الماء عن القبر ، فقالت : احفره ، ففعل فحمل عظامه ، ففتح

٤٨٣/١

(١) في اللسان ؛ مقل البحر ، موضع المدائن منه .

(٢) سورة يونس : ٩٠ ، ٩٢ .

لهم الطريق، فساروا، ﴿فَاتُوا عَلَى قَوْمٍ يَمْكُمُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا مَثْبُورٌ مَا هُمْ فِيهِ﴾ يقول مهلك ما هم فيه ﴿وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١).

فأما ابنُ إسحاق، فإنه قال - فيما حدثنا ابن حميد، قال: حدثنا سلمة عنه - فتابع الله عليه بالآيات - يعني على فرعون - وأخذه بالسنين إذ أنى أن يؤمن بعد (٢) ما كان من أمره وأمر السحرة ما كان، فأرسل عليه الطوفان، ثم الجراد، ثم القمل، ثم الضفادع، ثم الدم آيات مفصّلات، أى آية بعد آية، يتبع بعضها بعضاً، فأرسل الطوفان وهو الماء، ففاض على وجه الأرض ثم ركد، لا يقدر على أن يجرثوا، ولا يعملوا شيئاً، حتى جهدوا جوعاً. فلما بلغهم ذلك قالوا: يا موسى ادع لنا ربك، ﴿لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ بِكَ وَكَانُوا مِن قَبْلُ كَافِرِينَ﴾ (٣). فدعا موسى ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الجراد فأكل الشجر - فيما بلغني حتى إنه كان لياًكل مسامير الأبواب من الحديد حتى تقع دورهم ومساكنهم، فقالوا مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشفه عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم القمل. فذكر لى أن موسى أمر أن يمشى إلى كتيب فيضربه (٤) بعصاه فمشى إلى كتيب أهيل عظيم فضربه بها فانثال عليهم قملاً حتى غلب على البيوت والأطعمة، ومنعهم النوم والقرار، فلما جهدهم قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله عليهم الضفادع، ففألت البيوت والأطعمة والآية فلا يكشف أحد منهم (٥) ثوباً ولا طعاماً ولا إناء إلا وجد فيه الضفادع قد غلبت عليه، فلما جهدهم ذلك قالوا له مثل ما قالوا، فدعا ربه فكشف عنهم فلم يفوا له بشيء مما قالوا، فأرسل الله

٤٨٤/١

(١) سورة الأعراف ١٣٨ ، ١٣٩

(٢) ح : « من بعد » .

(٣) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٤) ن : « حتى يضره » .

(٥) ح ، ن : « أحدهم » .

عليهم الدم فصارت مياه آل فرعون دمًا ، لا يستقون من بئر ولا نهر ولا يغترفون من إناء إلا عادت دمًا عبيطًا .

حدثنا محمد بن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي أنه حدث أن المرأة من آل فرعون كانت تأتي المرأة من بنى إسرائيل حين جهدهم العطش ، فتقول : اسقيني من مائك ، فتغرف لها من جرتها أو تصب لها من قربتها ، فيعود في الإناء دمًا ، حتى إن كانت لتقول لها : اجعليه في فيك ثم مجبه في في ، فتأخذ في فيها ماء ، فإذا مجته في فيها صار دمًا ، فكثروا في ذلك سبعة أيام ، فقالوا : ﴿ ادعُ لنا ربك بما عهدَ عندكَ لئنَ كشفتَ عنَّا الرجزَ لنؤمننَّ لكَ ولنرسلنَّ معكَ بني إسرائيلَ ﴾ ^(١) . فلما كشف عنهم الرجزُ نكثوا ولم يفؤا بشيء مما قالوا ، فأمر الله موسى أن يسير ، وأخبره أنه منجيه ومن معه ، ومهلك فرعون وجنوده ، وقد دعا موسى عليهم بالطمسة ؛ فقال : ﴿ ربنا إنك آتيت فرعون وملائه زينةً وأمواً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ﴾ - إلى - ﴿ ولا تدبمان سبيل الذين لا يعامون ﴾ ^(٢) . فسخ الله أموالهم حجارة : النخل والرقيق والأطعمة ، فكانت إحدى الآيات التي أراها ^(٣) الله فرعون .

٤٨٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بريدة ابن سفيان بن فروة الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : سألتني عمر بن عبد العزيز عن التسع الآيات التي أراها الله فرعون ، فقلت : الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ، وعصاه ، ويده ، والطمسة ، والبحر . فقال عمر : فأنتِ عرفت أن الطمسة إحداهن ؟ قلت : دعا عليهم موسى وأمن هارون ، فسخ الله أموالهم حجارة ، فقال : كيف يكون الفقه إلا هكذا ! ثم

(١) سورة الأعراف ١٣٤ .

(٢) سورة يونس ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ط : « أراها » ، وما أثبتته من أ .

دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لبعده العزيز بن مروان بمصر ؛ إذ كان عليها من بقايا أموال آل فرعون ، فأخرج البيضة مقشورة نصفين ؛ وإنما لحجر ، والجوزة مقشورة وإنما لحجر ، والحمصة ، والعدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد ، عن رجل من أهل الشام كان بمصر ، قال : قد رأيت النخلة مصروعة ، وأنها لحجر ، وقد رأيت إنساناً ما شككت أنه إنسان وإنه لحجر ، من رقيقهم ، فيقول الله عز وجل : ﴿ وَالْقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ إِلَى قَوْلِهِ مَثْبُورًا ﴾ ^(١) يقول : شقيياً . ٤٨٦/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يحيى بن عروة بن الزبير ، عن أبيه ، أن الله حين أمر موسى بالمسير ببني إسرائيل أمره أن يحمل يوسف معه حتى يضعه بالأرض المقدسة ، فسأل موسى عمن يعرف موضع قبره ، فما وجد إلا عجوزاً من بني إسرائيل ، فقالت : يا نبي الله ، أنا أعرف مكانه . إن أنت أخرجتني معك ^(٢) ، ولم تخلفني بأرض مصر دللتك عليه . قال : أفعل ، وقد كان موسى وعبد بني إسرائيل أن يسير بهم إذا طلع الفجر ، فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ، ففعل ، فخرجت به العجوز حتى أرته إياه في ناحية من النيل في الماء ، فاستخرجه موسى صندوقاً من مرمر ، فاحتلمه معه . قال عروة : فمن ذلك تحمّل اليهود موتها من كل أرض إلى الأرض المقدسة .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان فيما ذكر لي — أن موسى قال لبني إسرائيل فيما أمره الله به : استعبروا منهم الأمتعة والحلي والثياب فإن منفلتكم أموالهم مع هلاكهم ؛ فلما أذن فرعون في الناس كان مما يحرّض به على بني إسرائيل أن قال حين ساروا : لم يرضوا أن يخرجوا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالكم معهم .

(١) سورة الإسراء ١٠١ ، ١٠٢

(٢) ن : « خرجت بي » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد ابن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد ، قال : لقد ذكر لي أنه خرج فرعون في طلب موسى على سبعين ألفاً من دهم الخيل سوى ما في جنده من شيات^(١) الخيل ، وخرج موسى حتى إذا قابله البحر ولم يكن عنه منصرف طلع فرعون في جنده من خلفهم ، ﴿ فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ ﴾ قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿^(٢) ، أي للنجاة ، وقد وعدني ذلك ولا خلف لموعدة^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق قال : فأوحى الله تبارك وتعالى - فيما ذكر لي - إلى البحر : إذا ضربك موسى بعصاه فانفلق له ، فبات البحر يضرب بعضه بعضاً فرقاً من الله وانتظاراً لأمره ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى : أن اضرب بعصاك البحر ، فضربه بها وفيها سلطان الله الذي أعطاه ، ﴿ فَاَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾^(٤) ، أي كالجبل على نشز من الأرض . يقول الله لموسى عليه السلام : ﴿ فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً لَا تَخَافُ دَرْكاً وَلَا تَخْشَى ﴾^(٥) . فلما استقر له البحر على طريق قائمة يبس سلك فيه موسى بنو إسرائيل ، واتبعه فرعون بجنوده .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن شداد بن الهاد الليثي ، قال : حدثت أنه لما دخلت بنو إسرائيل فلم يبق منهم أحدٌ أقبل فرعون وهو على حصان له من الخيل ، حتى وقف على شفير البحر وهو قائم على حاله ، فهاب الحصان أن يتقدم^(٦) ، فعرض له جبرئيل على فرس أنثى وديق^(٧) ، فقربها منه

(١) كذا في ١ ، وفي التفسير : « شية » ، وفي ط : « شهب » من تصرف مصححه .

(٢) سورة الشعراء ٦١ ، ٦٢ (٣) الخبر في التفسير ١٩ : ٤٩ (بولاق) .

(٤) سورة الشعراء ٦٣ (٥) سورة طه ٧٧

(٦) ح ، ١ ، ح : « أن ينفذ » . (٧) الفرس الوديق : التي تريد الفحل .

فشمّتها الفحل ، ولما شمّتها قدمها ، فتقدم معه الحصان عليه فرعون ، فلما رأى جند فرعون أنّ فرعون قد دخل دخلوا معه ، وجبرئيل أمامه ، فهم يتبعون فرعون ، ويكاثيل على فرس خلف القوم يشحذهم يقول : الحقوا بصاحبكم ، حتى إذا فصل جبرئيل من البحر ليس أمامه أحدٌ ، ووقف ميكائيل على الناحية^(١) الأخرى ليس خلفه أحد ، طبّق عليهم البحر ، ونادى فرعون حين رأى من سلطان الله وقدرته ما رأى ، وعرف ذلك وخذلته نفسه ، نادى : أن لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، وأنا من المسلمين .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا أبو داود البصرى ، عن حماد بن سلمة ، عن علي بن زيد ، عن يوسف بن مهران ، عن ابن عباس ، قال : جاء جبرئيل إلى النبي عليه السلام فقال : يا محمد ، لقد رأيتني وأنا أدسّ من حملي البحر في فم^(٢) فرعون مخافة أن تدركه الرحمة ! يقول الله : ﴿ آ لَآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِيَدِنَا ﴾ ، أى سواء لم يذهب منك شيء ، ﴿ لَتَسْكُونَنَّ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً ﴾^(٣) أى عبرة وبينه . فكان يقال : لو لم يخرججه الله ببدنه حتى عرفوه لشكّ فيه بعض الناس .

٤٨٩/١ ولما جاوز بنو إسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ * إِنَّ هُوَ إِلَّا مَتَّبِعُ مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * قَالَ أَعْبِرْ اللَّهُ أَبْعِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾^(٤) . ووعد الله موسى حين أهلكت فرعون وقومه ونجاه وقومه ثلاثين ليلة .

رجع الحديث إلى حديث السدى . ثم إن جبرئيل أتى موسى يذهب به إلى

(١) ١ : « ناحيته الأخرى » ، ح ، س : « ناحية أخرى » .

(٢) ١ : « في فرعون » .

(٣) سورة يونس ٩٢ ، ٩١ .

(٤) سورة الأعراف : ١٣٨ - ١٤٠ .

الله عز وجل ، فأقبل على فرس فرآه السامريّ فأنكره ، ويقال : إنه فرس الحياة ، فقال حين رآه : إن لهذا شأنًا ، فأخذ من تربة الحافر حافر الفرس ، فانطلق موسى واستخلف هارون على بني إسرائيل ، وواعدهم ثلاثين ليلة ، وأتمها الله بعشر ، فقال لهم هارون : يا بني إسرائيل ، إن الغنيمة لا تحل لكم ، وإن حلّي القبط إنما هو غنيمة ، فاجمعوها جميعًا فاحضروا لها حفرة فادفنها فيها ، فإن جاء موسى فأحلّها أخذتموها ، وإلا كان شيئًا لم تأكلوه ، فجمعوا ذلك الحليّ في تلك الحفرة ، وجاء السامريّ بتلك القبضة فقفدها ، فأخرج الله من الحليّ عجلًا جسدًا له خوار ، وعدت بنو إسرائيل موعد موسى ، فعدوا الليلة يومًا واليوم يومًا ، فلما كان العشر^(١) خرج لهم العجل فلما رأوه قال لهم السامريّ : ﴿ هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَذِي ﴾^(٢) . يقول : ترك موسى إله هاهنا ، وذهب يطلبه

٤٩٠/١

فحكفوا عليه يعبدونه ، وكان يخور ويمشي ، فقال لهم هارون : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ يقول : إنما ابتليتكم به ، يقول : بالعجل ، ﴿ وَإِنَّ رَبَّكُمْ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾^(٣) ، فأقام هارون ومن معه من بني إسرائيل لا يقاتلونهم ، وانطلق موسى إلى إلهه يكلمه ، فلما كلمه قال له : ﴿ وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى * قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَى أَثْرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى * قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ ﴾^(٤) . فلما أخبره خبرهم قال موسى : يا رب هذا السامريّ أمرهم أن يتخذوا العجل ، أرايت الروح من نفضها فيه ؟ قال الرب : أنا . قال : رب أنت إذا أضلتهم .

ثم إن موسى لما كلمه ربه أحب أن ينظر إليه ، ﴿ قَالَ رَبِّ ارْنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنْ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ

(١) كذا في ١ ، ن : وفقط : « العشرين » .

(٢) سورة طه ٨٨ .

(٣) سورة طه ٩٠ .

(٤) سورة طه ٨٣ - ٨٥ .

فَسَوْفَ تَرَانِي^(١) ، فحَفَّ حَوْلَ الْجِبِلِ الْمَلَائِكَةُ ، وَحَفَّ حَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بِنَارٍ ، وَحَفَّ حَوْلَ النَّارِ بِمَلَائِكَةٍ ، وَحَوْلَ الْمَلَائِكَةِ بِنَارٍ ، ثُمَّ تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجِبَلِ .

فحدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، قال : حدثني السدي ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قال : تجلَّى منه مثل طرف الحنصر ، فجعل الجبل دكًا وخرَّ موسى صعقًا ، فلم يزل صعقًا ما شاء الله ، ثم انه أفاق فقال : ﴿ سُبْحَانَكَ تَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) ، يعني أول المؤمنين من بني إسرائيل ، فقال : ﴿ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ . وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الحلال والحرام ﴿ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ ﴾ ، يعني بجِدِّ واجتهاد ﴿ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَا خُذُوا بِأَحْسَنِهَا ﴾^(٣) أي بأحسن ما يجدون فيها . فكان موسى بعد ذلك لا يستطيع أحد أن ينظر في وجهه^(٤) ، وكان يُلْبِسُ وجهه بجريرة ، فأخذ الألواحَ ثم رجع إلى قومه ﴿ غَضَبَانَ أَصْفًا ﴾ يقول : حزينا ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا ﴾ - إلى - ﴿ قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا ﴾ يقولون : بطاقتنا ، ﴿ وَالَكِنَّا حُمَلْنَا أَوْزَارًا مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ ﴾ يقول : من حُلَى القبط ﴿ فَقَدَفْنَا هَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴾^(٥) ، ذلك حين قال لهم هارون : احضروا لهذا الحلَى حفرة ، واطرحوه فيها ، فطرحوه فقذف السامري تربيته ، فألقى موسى الألواحَ وأخذ برأس أخيه يجره إليه ، ﴿ قَالَ يَا بَنِي أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾^(٥) . فترك موسى هارون ، ومال إلى السامري ، فقال :

(١) سورة الأعراف ١٤٣ . (٢) سورة الأعراف ١٤٣ - ١٤٥ .

(٣) ١ : « إلى وجهه » .

(٤) سورة طه ٨٦ ، ٨٧ .

(٥) سورة طه ٩٤ .

﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾^(١)، قال السامري: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَنْبُصُرُوا بِهِ﴾ إلى : ﴿فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾^(١). ثم أخذه فذبحه ، ثم حرفه بالبرد ثم ذراه في البحر ، فلم يبق بحر يجري إلا وقع فيه شيء منه ، ثم قال لهم موسى : اشربوا منه فشربوا ، فمن كان يحبه خرج على شاربه الذهب ، فذلك حين يقول: ﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾^(٢). فلما سقط في أيدي بني إسرائيل حين جاء موسى ﴿وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٣). فأبى الله أن يقبل توبة بني إسرائيل إلا بالحال التي كرهوا أن يقاتلوهم حين عبدوا العجل ، فقال لهم موسى : ﴿يَا قَوْمِ إِنَّمَا إِنْكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٤) ، فاجتلد الذين عبدوه والذين لم يعبدوه بالسيوف ، فكان من قُتِلَ من الفريقين شهيداً ، حتى كثر القتل حتى كادوا أن يهلكوا ، حتى قتل بينهم سبعون ألفاً ، حتى دعا موسى وهارون : رَبَّنَا هَلِكْتُمْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ! رَبَّنَا الْبَقِيَّةُ الْبَقِيَّةُ ! فأمرهم أن يضعوا السلاح ، وتاب عليهم ، فكان من قُتِلَ كان شهيداً ، ومن بقى كان مكفراً عنه ، فذلك قوله : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٤).

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ،

عن حكيم بن جبير ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كان السامري رجلاً من أهل باجرما^(٥) ، وكان من قوم يعبدون البقر ، فكان حبُّ عبادة

(٢) سورة البقرة ٩٣ .

(١) سورة طه ٩٥ - ٩٧ .

(٤) سورة البقرة ٥٤ .

(٣) سورة الأعراف ١٤٩ .

(٥) باجرما ، بفتح الجيم وسكون الراء ويميم وألف مقصورة : قرية ، قرب الرقة من أعمال

البقر في نفسه ، وكان قد أظهر الإسلام في بني إسرائيل ، فلما فصل هارون في بني إسرائيل ، وفصل موسى معهم ^(١) إلى ربه تبارك وتعالى قال لهم هارون : إنكم قد تحملتكم ^(٢) أوزاراً من زينة القوم آل فرعون ، وأمتعة وحلياً ، فطهروا منها فإنها نجس ، وأوقد لهم ناراً ، وقال : اقدفوا ما كان معكم من ذلك فيها ، قالوا : نعم ، فجعلوا يأتون بما كان فيهم من تلك الحليّ وتلك الأمتعة فيقدفون به فيها ، حتى إذا انكسرت الحليّ فيها ، رأى ^(٣) السامري أثر فرس جبّريّيل ، فأخذ تراباً من أثر حافره ، ثم أقبل إلى الحفرة فقال لهارون : يا نبيّ الله ، ألقى ما في يدي ؟ قال : نعم ، ولا يظن هارون إلاّ أنه كبعض ما جاء به غيره من تلك الأمتعة والحليّ ، فقدفه فيها ، وقال : كن عجلاً جسداً له خوار ، فكان للبلاء والفتنة ، فقال : هذا إلهكم وإله موسى ، فعكفوا عليه وأحبوه حباً لم يحبوا مثله شيئاً قطّ ، فقال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَذَسِيءٌ ﴾ ^(٤) ، أي ترك ما كان عليه من الإسلام ، - يعني السامريّ - ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ ^(٥) .

قال : وكان اسمُ السامريّ موسى بن ظفر ^(٥) ، وقع في أرض مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، فلما رأى هارون ما وقعوا فيه قال : ﴿ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾ ^(٦) . فأقام هارون فيمن معه من المسلمين ممن لم يفتن ، وأقام من يعبد العجل على عبادة العجل ، وتخوف هارون إن سار بمن معه من المسلمين أن يقول له موسى : ﴿ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَمْ تَرَاقِبُ قَوْلِي ﴾ ^(٧) ، وكان له هائباً مطيعاً ، ومضى موسى ببني إسرائيل إلى الطور ، وكان الله عزّ وجلّ وعدّ بني إسرائيل حين أنجاهم وأهلك عدوهم جانب الطور الأيمن ، وكان موسى حين سار ببني إسرائيل

(١) كذا في ا ، ح ، ن ؛ وفي ط : « عنهم » . (٢) س : « حملتم »

(٣) في الأصول : « ورأى » . (٤) سورة طه ٨٨ ، ٨٩ .

(٥) ح : « الظفر » . (٦) سورة طه ٩٠ ، ٩١ .

(٧) طه : ٩٤

من البحر قد احتاجوا إلى الماء، فاستسقى موسى لقومه، فأمر أن يضرب بعصاه الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا، لكل سبط عين يشربون منها قد عرفوها، فلما كلم الله موسى طمع في رؤيته، فسأل ربه أن ينظر إليه، فقال له: **إِنَّكَ لَنْ تَرَاني وَلَكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ** إلى قوله: **﴿وَأَنَا أَوْلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾** (١).

ثم قال الله لموسى: **﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ﴾** إلى قوله: **﴿سَارِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾** (١). وقال له: **﴿وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى﴾** إلى قوله: **﴿فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا﴾** (٢)، ومعه عهد الله في الواحه.

ولما انتهى موسى إلى قومه فرأى ما هم فيه من عبادة العجل ألقي الألواح من يده، وكانت فيما يذكرون—من زبرجد أخضر، ثم أخذ برأس أخيه وحيته ويقول: **﴿مَا مَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أَلا تَدَّبِعَنِ﴾** إلى قوله: **﴿وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾** (٣). فقال: **﴿يَا بَنِي أُمَّةٍ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّوْنِي وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشِمْتُمْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** (٤)، فارعوى موسى وقال: **﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾** (٤).

وأقبل على قومه فقال: **﴿يَا قَوْمِ أَلَمْ يَهْدِكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا﴾** إلى قوله: **﴿عَجَلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ﴾** (٥). وأقبل على السامري فقال: **﴿فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾** قال **﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾** إلى قوله: **﴿وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾** (٦). ثم

(١) سورة الأعراف ١٤٣-١٤٥

(٢) سورة طه ٨٣-٨٦

(٣) سورة طه ٩٢-٩٤

(٤) سورة الأعراف ١٥٠، ١٥١

(٥) سورة طه ٨٦-٨٨

(٦) سورة طه ٩٥-٩٨

أَخَذَ الْأَلْوَاحَ ، يَقُولُ اللَّهُ : ﴿ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ . وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ (١) .

٤٩٥/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن صدقة ابن يسار ، عن سعيد بن جببير ، عن ابن عباس ، قال : كان الله تعالى قد كتب لموسى فيها موعظة وتفصيلا لكل شيء وهدى ورحمة ، فلما ألقاها رفع الله ستة أسباعها وأبقى سبعة ، يقول الله عز وجل : ﴿ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ ﴾ ، ثم أمر موسى بالعجل فأحرق ، حتى رجع رماداً ، ثم أمر به فقذف في البحر .

قال ابن إسحاق : فسمعت بعض أهل العلم يقول : إنما كان أحرقه (٢) ثم سحله ثم ذراه في البحر . والله أعلم .

* * *

ثم اختار موسى منهم سبعين رجلاً : الخيبر فالخيبر ، وقال : انطلقوا إلى الله فتوبوا إليه مما صنعتم وسأوه التوبة على من تركتم وراءكم من قومكم ، صوموا وتطهروا وطهروا ثيابكم ، فخرج بهم إلى طور سيناء لميقات وقته له ربه ، وكان لا يأتيه إلا بإذن منه وعلم ، فقال له السبعون - فيما ذكر لي - حين صنعوا ما أمرهم به ، وخرجوا معه للقاء ربه : اطلب لنا نسمع كلام ربنا ، فقال : أفعل ، فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ، ودنا موسى فدخل فيه ، وقال للقوم : ادنوا ، وكان موسى إذا كلمه وقع على جبهته نور ساطع لا يستطيع أحد من بني آدم أن ينظر إليه ، فضرب دونه بالحجاب ، ودنا القوم حتى إذا دخلوا في الغمام وقعوا سجوداً ، فسمعه وهو يكلم موسى بأمره وبيناه : افعل ولا تفعل ، فلما فرغ إليه من أمره انكشف عن موسى الغمام (٣) ، فأقبل إليهم فقالوا لموسى : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّى تَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾ (٤) ، ﴿ فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةَ ﴾ (٥) ، وهي الصاعقة ، فالفلتت أرواحهم فأتوا جميعاً ،

٤٩٦/١

(٢) كذا في ا ، ح ، وفي ط : « إحراقه سحله » .

(٤) سورة البقرة ٥٥ .

(١) سورة الأعراف : ١٥٤

(٣) ن : « الحجاب » .

(٥) سورة الأعراف ٧٨

وقام موسى يناشد ربه ويدعوه ، ويرغب إليه ويقول : ﴿ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ وَإِيَّايَ ﴾^(١) قد سفهوا ، أفتهلك^(٢) مَنْ ورائي من بني إسرائيل بما فعل السفهاء منا ! إن هذا هلاك لهم . اخترت منهم سبعين رجلاً الخيّر فالحير ، أرجع إليهم وليس معي رجل واحد ، فما الذي يصدقوني به ! فلم يزل موسى يناشد ربه ، ويسأله ويطلب إليه حتى ردّ إليهم أرواحهم ، وطلب إليه التوبة لبني إسرائيل من عبادة العجل ، فقال : لا ، إلا أن يقتلوا أنفسهم . وقال : فبلغني أنهم قالوا لموسى : نصبر لأمر الله ، فأمر موسى مَنْ لم يكن عبد العجل أن يقتل مَنْ عبده ، فجلسوا بالأفنية ، وأصلت عليهم القوم السيوف ، فجعلوا يقتلونهم ، وبكى موسى وبهش^(٣) إليه الصبيان والنساء يطلبون العفو عنهم ، فتاب عليهم وعفا عنهم ، وأمر موسى أن يرفع عنهم السيف .

وأما السدى فإنه ذكر في خبره الذي ذكرت إسناده قبل أن مصير موسى إلى ربه بالسبعين الذين اختارهم من قومه بعد ما تاب الله على عبدة العجل من قومه ، وذلك أنه ذكر بعد القصة التي قد ذكرتها عنه بعد قوله : ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾^(٤) . قال : ثم إن الله أمر موسى أن يأتيه في ناس من بني إسرائيل يعتذرون إليه من عبادة العجل ، ووعدهم موعداً ، فاختر موسى قومه سبعين رجلاً على عينه ، ثم ذهب بهم ليعتذروا ، فلما أتوا ذلك المكان قالوا : ﴿ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾^(٥) ، فإنك قد كلمته فأرنا ، فأخذتهم الصاعقة فماتوا ، فقام موسى يبكي ويدعو الله ويقول : رب ماذا أقول لبني إسرائيل إذا أتيتهم وقد أهلكت خيارهم ! رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإيائي ، أهلكنا بما فعل السفهاء منا ! فأوحى الله عز وجل إلى موسى : إن هؤلاء السبعين ممن اتخذ العجل ، فذلك حين يقول موسى : ﴿ إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ ﴾^(٥) ، يقول :

٤٩٧/١

(٢) ط : « فيهلك » ؛ وما أثبتته عن ا .

(٤) سورة البقرة ٥٤ ، ٥٥ .

(١٠) سورة الأعراف ١٥٥ .

(٣) بهش الصبيان إليه : أقبلوا .

(٥) سورة الأعراف ١٥٥ ، ١٥٦ .

تبنا إليك، وذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ بِكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ﴾ (١)، والصاعقة نار . ثم إن الله أحياهم ، فقاموا وعاشوا (٢) رجلا رجلا ، ينظر بعضهم إلى بعض : كيف يحيون ؟ فقالوا : يا موسى ، أنت تدعو الله فلا تسأله شيئاً إلا أعطاك ، فادعُه يجعلنا أنبياء ، فدعا الله فجعلهم أنبياء ، فذلك قوله : ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ﴾ (١) ، ولكنّه قدّم حرفاً وأخر حرفاً .

٤٩٨/١

ثم أمرهم بالسير إلى أريحا (٣) ، وهي أرض بيت المقدس ، فساروا حتى إذا كانوا قريباً منها (٤) بعث موسى اثني عشر نقيباً من جميع أسباط بني إسرائيل ، فساروا يريدون أن يأتوه بخبر الجبارين ، فلقبهم رجل من الجبارين يقال له عاج ، فأخذ الاثني عشر فجعلهم في حُجْرته وعلى رأسه حملة حطب ، فانطلق بهم إلى امرأته فقال : انظري إلى هؤلاء القوم الذين يزعمون (٥) أنهم يريدون أن يقاتلونا ، فطرحهم بين يديها ، فقال : ألا أطحنهم برجلي ! فقالت امرأته : لا ، بل خلّ عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ، ففعل ذلك ، فلما خرج القوم قال بعضهم لبعض : يا قوم ، إنكم إن أخبرتم بني إسرائيل بخبر القوم ارتدوا عن نبي الله ، ولكن اكتبوهم وأخبروا نبي الله ، فيكونان هما يريان رأيهما ، فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ليكتبوه ، ثم رجعوا فانطلق عشرة فنكثوا العهد ، فجعل الرجل منهم يخبر أخاه وأباه بما رأوا من أمر عاج ، وكتب رجلان منهم ، فأتوا موسى وهارون فأخبروهما الخبر ، فذلك حين يقول الله : ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (٦) .

فقال لهم موسى : ﴿يَا قَوْمِ إِذْ ذُكِّرُوا نِعْمَةً اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا﴾ (٧) ، يملك الرجل منكم نفسه وأهله وماله . ﴿يَا قَوْمِ إِذْ خَلُّوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ ، يقول : التي أمركم الله بها

٤٩٩/١

(٢) كذا في ١ ، وفي أصول ط : « فعاش »

(١) سورة البقرة ٥٥ ، ٥٦

(٤) كذا في ١ ، ح ، وفي ط : « منهم » .

(٣) أريحا ، بالفتح ثم الكسر وياء ساكنة .

(٦) سورة المائدة ١٢

(٥) ح ، س : « زعموا » .

(٧) سورة المائدة ٢٠

﴿وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ • قَالُوا ﴿مَا سَمِعُوا مِنَ
العشرة: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنَنذُرُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن
يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ • قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ
أَنفَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ﴿ ، وهما اللذان كما ، وهما يوشع بن نون فتي موسى
وكالوب بن يوفنة - وقيل : كلاب بن يوفنة ختن موسى - فقالا (١) :
يا قوم ﴿ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ﴾ . ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنَنذُرُهَا أَبَدًا
مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ . فغضب
موسى ، فدعا عليهم ، فقال : ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ
بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ وكانت عجلة من موسى عجلها ، فقال الله :
﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ﴾ (٢) . فلما ضُرب عليهم
التيه ، ندم موسى وأتاه قومه الذين كانوا معه بطيعونه ، فقالوا له : ما صنعت
بنا يا موسى ؟ فلما ندم أوحى الله عز وجل إليه : ألا تأس ، أى لا تحزن
على القوم الذين سميتهم فاسقين . فلم يحزن ، فقالوا : يا موسى ،
فكيف لنا بما هاهنا ؟ أين الطعام ؟ فأُنزل الله عليهم المن والسلوى ، فكان
يسقط على الشجر الترنجيبين (٤) والسلوى - وهو طير يشبه السماني - فكان
يأتى أحدهم فينظر إلى الطير ، فإن كان سمينا ذبحه وإلا أرسله ، فإذا سمن أتاه ،
فقالوا : هذا الطعام فأين الشراب ؟ فأمر موسى فضرب (٥) بعضاه الحجر فانفجرت
منه اثنتا عشرة عينا ، يشرب كل سبب من عين . فقالوا : هذا الطعام
والشراب ، فأين الظل ؟ فظل الله عليهم الغمام ، فقالوا : هذا الظل ، فأين

٥٠٠/١

(١) ط : « فقال » ! وما أثبتته من ا .

(٢) سورة المائدة ٢١ ، ٢٦

(٣) سورة المائدة ٢٢ - ٢٦

(٤) الترنجيبين : طل يقع من السماء ؛ وهو ندى شبيه بالمثل جامد متجيب ، تأويله عسل

الندى ، وأكثر ما يقع بخراسان على شجر الحاج . المعتد في الأدوية المفردة ٣٥

(٥) س : « أن يضرب » .

اللباس ؟ فكانت ثيابهم تطول معهم ^(١) كما تطول الصبيان ، ولا يتخرق لهم ثوب ، فذلك قوله : ﴿ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى ﴾ ^(٢) .
وقوله : ﴿ وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ ﴾ ^(٣) ، فأجمعوا ذلك ، فقالوا :
﴿ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا ﴾ - وهى الخنطة - ﴿ وَعَدَسِيهَا وَبَصَلِهَا ﴾ .
قال : ﴿ أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا ﴾ من الأمصار ، ﴿ فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ ^(٤) . فلما خرجوا من التيه رفع المن والسلوى ، وأكلوا البقول ، والتقى موسى وعاج فترا موسى فى السماء عشرة أذرع ، وكانت عصاه عشرة أذرع ، وكان طوله عشرة أذرع ، فأصاب ^(٥) كعب عاج فقتله .

٥٠١/١

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا مؤمل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن نوف ، قال : كان طول ^(٥) عوج ثمانمائة ذراع ، وكان طول موسى عشرة أذرع ، وعصاه عشرة أذرع ، ثم وثب فى السماء عشرة أذرع ، فضرب عوجاً فأصاب كعبه فسقط ميتاً ، فكان جسرأ للناس يمشون عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا ابن عطية ، قال : أخبرنا قيس ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كانت عصا موسى عشرة أذرع ، ووثبته عشرة أذرع ، وطوله عشرة أذرع ، فأصاب كعب عوج فقتله ، فكان جسرأ لأهل النيل . وقيل إن عوج عاش ثلاثة آلاف سنة .

(١) ن : « عليهم » .

(٢) سورة الأعراف ١٦٠ .

(٣) سورة البقرة ٦٠ ، ٦١ .

(٤) كذا فى ا ، وفى ط : « وأصاب » .

(٥) فى ط : « سرير » ؛ والصواب ما أثبتته عن ا .

ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال :
 حدثنا أسباط ، عن السُّدِّيِّ في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ،
 عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن عبد الله بن مسعود - وعن ناس من
 أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم : ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى ،
 أني مُتَوَفِّ هارون ، فأت به جبل كذا وكذا . فانطلق موسى وهارون نحو
 ذلك الجبل ، فإذا هما بشجرة لم يُرَ مثلها ، وإذا هما ببيت مبني ، وإذا هما
 فيه بسرير عليه فرش ، وإذا فيه ريحٌ طيبة ، فلما نظر هارون إلى ذلك الجبل
 والبيت وما فيه أعجبه ، فقال : يا موسى إني لأحب أن أنام على هذا السرير ،
 قال له موسى : فم عليه ، قال : إني أخاف أن يأتي ربُّ هذا البيت فيغضب
 عليّ ، قال له موسى : لا ترهب أنا أكفيك ربُّ هذا البيت فم ، قال :
 يا موسى بل نم معي ، فإن جاء رب البيت غضب عليّ وعليك جميعاً ، فلما
 ناما أخذ هارون الموت ، فلما وجد حسه قال : يا موسى خدعتني ، فلما قُبِضَ
 رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفُع السرير إلى السماء ، فلما رجع موسى
 إلى بني إسرائيل ، وليس معه هارون قالوا : فإن موسى قتل هارون وحسده لحبِّ
 بني إسرائيل له ، وكان هارون أكفَّ عنهم وألين لهم من موسى ، وكان في موسى
 بعضُ الغلظة^(١) عليهم ، فلما بلغه ذلك قال لهم : ويحكم ! كان أخي ، أفتروني^(٢)
 أقتله ! فلما أكثروا عليه قام فصلتي ركعتين ثم دعا الله فنزل بالسرير حتى
 نظروا إليه بين السماء والأرض فصدّقه . ثم إن موسى بينما هو يمشي ويوشع
 فتاه إذا أقبلت ريح سوداء ، فلما نظر إليها يوشع ظن أنها الساعة والتزم موسى ،
 وقال : تقوم الساعة وأنا ملتزم موسى نبي الله ، فاستل موسى من تحت القميص
 وترك القميص في يد يوشع ، فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو إسرائيل ،
 وقالوا : قتلت نبي الله ! قال : لا والله ما قتلتُه ، ولكنه استل مني ، فلم يصدّقه
 وأرادوا قتله . قال : فإذا لم تصدقوني فأخبروني ثلاثة أيام ، فدعا الله فأتي كل

٥٠٢/١

٥٠٣/١

(٢) ط : « أفتروني » .

(١) ا ، ن : « الغلظة » .

رجل ممن كان يحرسه في المنام ، فأخبر أن يوشع لم يقتل موسى ، وأننا قد رفعناه
إلينا ، فركوه ولم يبق أحد ممن أبي أن يدخل قرية الجبّارين مع موسى إلا
مات ، ولم يشهد الفتح .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : كان
صفيّ الله قد كره الموت وأعظمه ، فلما كرهه أراد الله تعالى أن يجسّب إليه الموت
ويكرهه إليه الحياة ، فحوّلت (١) النبوة إلى يوشع بن نون ، فكان يغدو عليه
ويروح ، فيقول له موسى : يا نبيّ الله ، ما أحدث الله إليك ؟ فيقول له يوشع بن
نون : يا نبيّ الله ، ألم أصبحك كذا وكذا سنة ، فهل كنت أسألك عن شيء
مما أحدث الله إليك حتى تكون أنت الذي تبتدىء به وتذكره ؟ فلا يذكر له
شيئاً ، فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحبّ الموت .

٥٠٤/١

قال ابن حميد : قال سلمة : قال ابن إسحاق : وكان صفيّ الله - فيما
ذكر لي وهب بن منبه - إنما يستظلّ في عريش (٢) ويأكل ويشرب في نقير
من حَجَرٍ ؛ إذا أراد أن يشرب بعد أن أكل كرع كما تكرر الدابة في ذلك
النقير ، تواضعاً لله حين أكرمه الله بما أكرمه به من كلامه .

قال وهب : فذكر لي أنه كان من أمر وفاته أن صفيّ الله خرج يوماً من
عريشه ذلك لبعض حاجته (٣) لا يعلم به أحدٌ من خلق الله ، فمرّ برهط من الملائكة
يحفرون قبراً (٤) فعرفهم وأقبل إليهم ، حتى وقف عليهم ، فإذا هم يحفرون قبراً
لم ير شيئاً قطّ أحسن منه ، ولم يرمثل ما فيه من الحضرة والنضرة والبهجة ،
فقال لهم : يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر ؟ قالوا : نحفره لعبد كريم
على ربه ، قال : إن هذا العبد من الله ليمتزل ! ما رأيت كاليوم مضجعاً (٥)
ولا مدخلاً ! وذلك حين حضر من أمر الله ما حضر من قبضه ، فقالت له
الملائكة : يا صفيّ الله ، أتحبّ أن يكون لك ؟ قال : وددت (٦) . قالوا :
فانزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربك ، ثم تنفس أسهلّ تنفس تنفسته قطّ .

(١) ح : « فتحوّلت » . (٢) ح : « ظلّ عريش » .

(٣) كذا في جميع الأصول ؛ وفي ط : « حاجاته » تصرف من مصححه .

(٤) ح : « حفراً » . (٥) ن : « مضطجعاً » . (٦) ح : « وددته » .

فتزل فاضطجع فيه ، وتوجه إلى ربه ، ثم تنفس فقبض الله تعالى روحه ، ثم سوت عليه الملائكة ، وكان صني الله زاهداً في الدنيا راعباً فما عند الله . ٥٠٠/١

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا مصعب بن المقدام ، عن حماد بن سلمة ، عن عمار بن أبي عمار ، مولى بني هاشم ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن ملك الموت كان يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى فلطمه ففقأ عينه ، قال : فرجع فقال : يا رب ، إن عبدك موسى فقأ عيني ، ولولا كرامته عليك لشققت عليه ، فقال : ائت عبدى موسى ، فقل له : فليضع كفه على من ثور ، فله بكل شعرة وارت يدُه سنة ؛ وخيرُه بين ذلك وبين أن يموت الآن ، قال : فأتاه فخيرُه ، فقال له موسى : فما بعد ذلك ؟ قال : الموت ، قال : فالآن إذا ، قال : فشمه شمة قبض روحه . قال : فجاء بعد ذلك إلى الناس خفية (١) » .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن أبي سنان الشيباني ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : مات موسى وهارون جميعاً في التيه ، مات هارون قبل موسى ، وكانا خرجا جميعاً في التيه إلى بعض الكهوف ، فمات هارون ، فدفنه موسى ، وانصرف موسى إلى بني إسرائيل ، فقالوا : ما فعل هارون ؟ قال : مات ، قالوا : كذبت ولكنك قتلته لحبنا إياه ، وكان محبباً في بني إسرائيل ، فتضرع موسى إلى ربه ، وشكا ما لقي من بني إسرائيل ، فأوحى الله إليه أن انطلق بهم إلى موضع قبره ، فإني باعته حتى يخبرهم أنه مات موتاً ولم تقتله . قال : فانطلق بهم إلى قبر هارون ، فنادى : يا هارون ، فخرج من قبره ينفض رأسه ، فقال : أنا قتلتك ؟ قال : لا والله ، ولكني مت ، قال : فعُدْ إلى مضجعك ، وانصرفوا . ٥٠٦/١

فكان جميع مدة عمر موسى عليه السلام كلها مائة وعشرين سنة ، عشرون من ذلك في ملك أفريدون ؛ ومائة منها في ملك منو شهر ، وكان ابتداء أمره من لدن بعثه الله نبياً إلى أن قبضه إليه في ملك منوشهر .

(١) ط : « خفياً » ، وما أثبتته عن ا .

ذكر يوشع بن نون عليه السلام *

ثم ابتعث الله عز وجل بعد موسى عليه السلام يوشع بن نون بن إفرايم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم نبيًا ، وأمره بالمسير إلى أريحا لحرب مَنْ فيها من الجبارين . فاختلف السلفُ من أهل العلم في ذلك ، وعلى يد مَنْ كان ذلك (١) ؟ ومتى سار يوشع إليها ؟ في حياة موسى بن عمران كان مسيره إليها أم بعد وفاته ؟

* * *

فقال بعضهم : لم يسِرْ يوشع إلى أريحا ، ولا أميرَ بالمسير إليها إلا بعد موت موسى ، وبعد هلاك جميع من كان أبي المسيرَ إليها مع موسى بن عمران ، حين أمرهم الله تعالى بقتال مَنْ فيها من الجبارين ، وقالوا : مات موسى وهارون جميعًا في التيه قبل خروجهما منه .

* ذكر من قال ذلك :

حدثني عبد الكريم بن الهيثم ، قال : حدثنا إبراهيم بن بشار ، قال : حدثنا سفیان ، قال : قال أبو سعيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : قال الله تعالى : لما دعا موسى - يعني بدعائه قوله : ﴿ رَبِّ إِنِّي لَأَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ (٢) . قال : فدخلوا التيه ، فكل (٣) من دخل التيه ممن جاوز العشرين سنة مات في التيه ، قال : فمات موسى في التيه ، ومات هارون قبله . قال : ٥٠٧/١ فلبثوا في تيههم أربعين سنة ، وناهض يوشعُ بمن بقي معه مدينة الجبارين فافتتح يوشع المدينة (٤) .

(*) هذا العنوان لم يذكر إلا في ١ .

(١) ن : « على يد من فتح ذلك » . ح : « على يد من كان فتح ذلك » .

(٢) سورة المائدة ٢٥ ، ٢٦ .

(٣) س : « فكان » .

(٤) الخبر في التفسير ١٠ : ١٩٣ .

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد بن زريع ، قال : حدثنا سعيد عن قتادة . قال : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّمَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً ... ﴾ الآية ، حرمت عليهم القرى ، فكانوا لا يهبطون قرية ، ولا يقدرون على ذلك أربعين سنة . وذكر لنا أن موسى مات في الأربعين سنة ، ولم يدخل بيت المقدس منهم إلا أبناؤهم ، والرجلان اللذان قالوا ما قالوا .

حدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في الخبر الذي ذكرت إسناده فيما مضى : لم يبق أحدٌ ممن أبي أن يدخل مدينة الجبارين مع موسى الامات ، ولم يشهد الفتح . ثم إن الله عز وجل لما انقضت الأربعون سنة بعث يوشع بن نون نبياً فأخبرهم أنه نبي وأن الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه^(١) وصدقوه ، فهزم الجبارين ، واقتحموا عليهم ، فقتلهم^(٢) ، فكانت العصابة من بني إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضر بونها لا يقطعونها^(٣) .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا سليمان بن حرب ، عن هلال ، عن قتادة في قول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ﴾ ، قال : أبداً .

حدثني المثنى قال : حدثنا مسلم بن إبراهيم ، عن هارون النحوي ، عن الزبير بن الحرث ، عن عكرمة في قوله : ﴿ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيَهُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ ، قال : التحريم التيه .

* * *

وقال آخرون : إنما فتح أريحا موسى ؛ ولكن يوشع كان على مقدمة موسى حين سار إليهم .

* ذكر من قال ذلك :

(١) ح : « فتبايعوه » .

(٢) ح ، س : « يقتلونهم » ، والتفسير : « يقتلونهم » .

(٣) الخبر في التفسير ١٠ ، ١٩٢ ، ١٩٣ .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما نشأت النواشى من ذراريهم - يعنى من ذرارى الدين - أبوا قتال الجبارين مع موسى - وهلك آباؤهم ، وانقضت الأربعون سنة التى تبيها فيها؛ سار بهم موسى ومعه يوشع بن نون، وكلاب بن يوفنة ، وكان فيما يزعمون على مريم ابنة عمران أخت موسى وهارون ، فكان لهم صهراً ، فلما انتهوا إلى أرض كنعان ، وبها بلعم بن باعور العروف^(١) ، وكان رجلاً قد آتاه الله علماً ، وكان فيما أوتى من العلم اسم الله الأعظم - فيما يذكرون - الذى إذا دعى الله به أجاب ، وإذا سئل به أعطى .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن سالم أبى النَّضْر ، أنه حدث أن موسى لما نزل أرض بني كنعان من أرض الشام ، وكان بلعم ببالة - قرية من قرى البلقاء - فلما نزل موسى ببني إسرائيل ذلك المنزل ، أتى قوم بلعم إلى بلعم ، فقالوا له : يا بلعم ، هذا موسى بن عمران فى بني إسرائيل قد جاء يخرجنا من بلادنا ، ويقتلنا ويحلها ببني إسرائيل ، ويسكنها ، وإننا قومك وليس لنا منزل ، وأنت رجل مجاب الدعوة ، فاخرج فادع الله عليهم ، فقال : ويلكم! نبى الله معه الملائكة والمؤمنون ! كيف أذهب أدعو عليهم ، وأنا أعلم من الله ما أعلم ! قالوا : ما لنا من منزل ، فلم يزالوا به يرفقونه^(٢) ، ويتضرعون إليه حتى فتنوه ، فافتتن فركب حمارة^(٣) له متوجهاً إلى الجبل الذى يطلعه على عسكر بني إسرائيل ، وهو جبل حُسْبَان ، فما سار عليها غير قليل ، حتى ربضت^(٤) به ، فنزل عنها فضربها حتى أذلقتها فقامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، ففعل بها مثل ذلك ، فقامت فركبها ، فلم تسر به كثيراً حتى ربضت به ، فضربها حتى إذا أذلقتها أذن الله لها فكلمته حجة عليه ، فقالت : ويحك يا بلعم ! أين تذهب ! ألا ترى الملائكة أمامى تردى عن وجهى هذا ! أتذهب إلى نبى الله والمؤمنين تدعو

(١) كذا فى أ ، و ، ط : « المعروف » ، و فى ن : « العروف » .

(٢) ط : « يرفقونه » ، وما أثبتته من أ ، ح .

(٣) أ ، ح : « حملاً » . (٤) الربوض للداية ، كالركوب للإبل .

عليهم ! فلم ينتزع عنها يضرها ، فخطى الله سبيلها حين فعل بها ذلك ، فانطلقت حتى إذا أشرفت به على جبل حُسبان^(١) ، على عسكر موسى وبني إسرائيل ، جعل يدعو عليهم ، فلا يدعو عليهم بشيء إلاّ صرف الله لسانه إلى قومه ، ولا يدعو لقومه بخير إلاّ صرف لسانه إلى بني إسرائيل ، فقال له قومه : أتدرى يا بلعم ما تصنع ؟ إنما تدعو لهم ، وتدعو علينا ، قال : فهذا ما لا أملك ، هذا شيء قد غلب الله عليه ، واندلع لسانه فوقع على صدره ، فقال لهم : قد ذهبت الآن منى الدنيا والآخرة ، فلم يبق إلاّ المكر والحيلة ، فسأمر لكم وأحتال ، جمّأوا النساء وأعطوهنّ السلع ، ثم أرسلوهنّ إلى العسكر يبعنها فيه ، ومروهنّ فلا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها ؛ فإنه إن زنى رجل واحد منهم كفيتموهم ، ففعلوا ، فلما دخل النساء العسكر مرّت امرأة من الكنعانيين اسمها كسبي^(٢) ابنة صور - رأس أمته وبني أبيه من كان منهم في مديّن ، هو كان كبيرهم - برجل من عظماء بني إسرائيل ، وهو زمرى بن شلوم ، رأس سبط شمعون بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم ، فقام إليها فأخذ بيدها حين أعجبه جمالها ، ثم أقبل حتى وقف بها على موسى ، فقال : إني أظنك ستقول : هذه حرام عليك ! قال : أجلّ هي حرام عليك لا تقرّبها ، قال : فوالله لا نطيعك في هذا ، ثم دخل بها قبته فوقع عليها ، فأرسل الله الطاعون في بني إسرائيل . وكان فنحاص بن العيزار بن هارون صاحب أمر موسى ، وكان رجلاً قد أعطى بسطة في الخلق ، وقوة في البطش ، وكان غائباً حين صنع زمرى بن شلوم ما صنع ، فجاء والطاعون يحوس في بني إسرائيل ، فأجبر الخبر ، فأخذ حربته - وكانت من حديد كلّها - ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانظمتها بحربته ، ثم خرج بهما رافعهما^(٣) إلى السماء ، والحربة قد أخذها بندراعه ، واعتمد بمرفقه على خاصرته ، وأسند الحربة إلى لحيته - وكان بكرّ العيزار - فجعل يقول : اللهم هكذا نفعل بمنّ يعصيك ! ورُفِع الطاعون فحُسِبَ مَنْ يهلك من بني إسرائيل في الطاعون - فيما بين أن أصاب زمرى المرأة إلى أن قتله

٥١٠/١

٥١١/١

(١) ن : « على الجبل جبل حسان » .

(٢) كذا في ا ، س ، ن ، و ، ط : « كسبي » ، ح : « كسي » .

(٣) كذا في ا ، ح ، ن ، و ، ط : « رافعاً » .

فنحاص — فوجدوا قدهلك منهم سبعون ألفاً ، والمقتل لهم يقول : عشرون ألفاً ، في ساعة من النهار ، فن هنالك تُعطى بنو إسرائيل ولد فنحاص بن العيزار بن هارون من كل ذبيحة ذبحوها القبّة والذراع واللّحى ، لاعتماده بالحربة على خاصرته ، وأخذة إياها بذراعه ، وإسناده إياها إلى لحيته ، والبكر من كل أموالهم وأنفسهم ، لأنه كان بكر العيزار ، ففي بلعم بن باعور ، أنزل الله تعالى على محمد صلى الله عليه : ﴿ وَانزَلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَاسْلَخَ مِنْهَا ﴾ — يعنى بلعم بن باعور ، ﴿ فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ ^(١) يعنى بنى إسرائيل ؛ أنى قد جنتهم بخبر ما كان فيهم مما يخفون عليك لعلهم يتفكرون فيعرفون أنه لم يأت ^(٢) بهذا الخبر عمّا مضى فيهم إلا نبى يأتيه خير من السماء .

ثم إن موسى قدّم يوشع بن نون إلى أريحا في بنى إسرائيل فدخلها بهم ، وقتل بها الجبارة الذين كانوا فيها ، وأصاب من أصاب منهم ، وبقيت منهم بقية في اليوم الذى أصابهم فيه ، وجنح عليهم الليل ، وخشى إن لبسهم ^(٣) الليل أن يُعجزوه ، فاستوقف الشمس ، ودعا الله أن يجسها ، ففعل عزّ وجلّ حتى استأصلهم ؛ ثم دخلها موسى ببني إسرائيل ، فأقام فيها ما شاء الله أن يقيم ، ثم قبضه الله إليه ، لا يعلم بقبوره أحد من الخلائق .

فأما السدىّ في الخبر الذى ذكرت عنه إسناده فيما مضى ؛ فإنه ذكر في خبرة ذلك أن الذى قاتل ^(٤) الجبارين يوشع بن نون بعد موت موسى وهارون ، وقصّ من أمره وأمرهم ما أنا ذاكره ، وهو أنه ذكر فيه أن الله بعث يوشع نبيا بعد أن انقضت الأربعون سنة ، فدعا بنى إسرائيل فأخبرهم أنه نبى ، وأنّ الله قد أمره أن يقاتل الجبارين ، فبايعوه ^(٥) وصدّقه ، وانطلق رجل من بنى إسرائيل يقال له : بلعم — وكان عالماً ، يعلم الاسم الأعظم ^(٦) المكتوم — فكفر

(١) سورة الأعراف ١٧٥ ، ١٧٦

(٢) ن : « يأتهم » .

(٣) ن : « لبسه » .

(٤) ن : « قتل » .

(٥) ن : « فتابعوه » .

(٦) ن : « اسم الله الأعظم » .

وأتى الجبارين ، فقال : لا ترهبوا بنى إسرائيل ؛ فإنى إذا خرجتم تقاتلونهم أَدْعُو عليهم دعوة فيهِلِكُون ؛ فكان عندهم فيما شاء من الدنيا ، غيرَ أنه كان لا يستطيع أن يأتى النساء من عظمهنّ ، فكان ينكح أُنثاهُ له ، وهو الذى يقول الله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ﴾ أى فبصر ﴿ فَأَنْسَلَخَ مِنْهَا فَاتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الضَّالِّينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثُ ﴾ ، فكان بِلَعْمِ يَلْهَثُ كما يَلْهَثُ الكلب ، فخرج يوشع يقاتل الجبارين فى الناس ، وخرج بِلَعْمِ مع الجبارين على أُنثاهُ ، وهو يريد أن يلعن بنى إسرائيل ، فكلّمَا أراد أن يدعُو على بنى إسرائيل جاء على الجبارين ، فقال الجبارون : إنك إنما تدعو علينا ، فيقول (١) : إنما أردت بنى إسرائيل ، فلما بلغ باب المدينة أخذ ملك بذيئ الأتان فأمسكها ، وجعل يجرّها فلا تتحرك ، فلما أكثر ضررُها تكلمت ، فقالت : أنت تنكحنى بالليل وتركبنى بالنهار ! وويل منك ! ولو أننى أطقت الخروجَ لخرجت بك ؛ ولكن هذا الملك يجيئنى ، فقاتلهم يوشع يوم الجمعة قتالا شديداً حتى أمسوا (٢) وغربت الشمس ، ودخل السبت . فدعا الله فقال للشمس : إنك فى طاعة الله وأنا فى طاعة الله ، اللهم اردد علىّ الشمس ، فردت عليه الشمس ، فزيد له فى النهار يومئذ ساعة ، فهزم الجبارين واقتحموا عليهم يقتلونهم ، فكانت العصابة من بنى إسرائيل يجتمعون على عنق الرجل (٣) يضربونها لا يقطعونها . وجمعوا غنائمهم ، وأمرهم يوشع أن يقرّبوا الغنيمة فقرّبوها ، فلم تنزل النار (٤) تأكلها ، فقال يوشع : يا بنى إسرائيل إن الله عزّ وجلّ عندكم طائفة ، هلمّوا فيابعونى ، فيابعوه فلصقت (٥) يد رجل منهم بيده ، فقال : هلمّ ما عندك ! فأثارة برأس ثور من ذهب مكلّل بالياقوت والجوهر ، كان قد غلّه ، ففجعله فى القربان ، وجعل الرجل معه ، فجاءت النار فأكلت الرجل والقربان .

(١) عن ا ، ح ، س : « فتقول » .

(٢) ح : « حتى إذا أمسوا » .

(٣) ا ، ن : « رجل » .

(٤) ط : « تنزل » ، والصواب ما أثبتته من ا .

(٥) ن : « فالصقت » .

وأما أهلُ التوراة ؛ فإنهم يقولون : هلك هارون وموسى في التَّيِّه ، وإن الله أوحى إلى يوشع بعد موسى ، وأمره أن يعبر الأردنَّ إلى الأرض التي أعطاه بني إسرائيل ، ووعدها إياهم ، وأن يوشع جدَّ في ذلك ووجَّه إلى أريحا من تعرف^(١) خبرها ، ثم سار ومعه تابوت الميثاق ، حتى عبَّر الأردنَّ ، وصار له ولأصحابه فيه طريق ، فأحاط بمدينة أريحا ستة أشهر ، فلما كان السابع نفخوا في القرون ، وضجَّ الشعب ضجة واحدة ، فسقط سور المدينة فأباحوها وأحرقوها ، وما كان فيها ما خلا الذهب والفضة وآنية النحاس والحديد ، فإنهم أدخلوه بيت المال . ثم إن رجلاً من بني إسرائيل غلَّ شيئاً ، فغضب الله عليهم وانهمزوا ، فجزع يوشع جزعاً شديداً ، فأوحى الله إلى يوشع أن يُقرِّع بين الأسباط ، ففعل حتى انتهت القرعة إلى الرجل الذي غلَّ ، فاستخرج غلُّه من بيته ، فرجمه يوشع وأحرق كلَّ ما كان له بالنار ، وسَمَّوا الموضع باسم صاحب الغلُول ، وهو عاجر^(٢) فالوضع إلى هذا اليوم غور عاجر^(٢) . ثم نهض بهم يوشع إلى ملك عاي وشعبه ، فأرشدهم الله إلى حربه ، وأمر يوشع أن يكمن لهم كميناً ففعل ، وغلب على عاي وصاب ملكها على خشبة ، وأحرق المدينة وقتل من أهلها اثني عشر ألفاً من الرجال والنساء ، واحتال أهلُ عماق وجيعون^(٣) ليوشع حتى جعل لهم أماناً ، فلما ظهر على خديعتهم دعا الله عليهم أن يكونوا حطَّابين وسقائين ، فكانوا كذلك ، وأن يكون بازق^(٤) ملك أورشليم يتصدق ، ثم أرسل ملوك الأرمانيين ، وكانوا خمسة بعضهم إلى بعض ، وجمعوا كلمتهم^(٥) على جيعون ، فاستنجد أهل جيعون يوشع ، فأنجدهم وهزموا أولئك الملوك حتى حدَّروهم إلى هَبْطَةَ حوران ، ورواهم الله بأحجار البرد ، فكان من قتله البرد أكثر ممن قتله بنو إسرائيل بالسيف ، وسأل يوشع الشمس أن تقف والقمر أن يقوم حتى ينتقم من أعدائه قبل دخول السبت ، ففعل ذلك وهرب الخمسة ملوك فاخطفوا في غار ، فأمر يوشع فسُدَّ^(٦) بابُ الغار حتى فرغ من الانتقام

(٢) كذا في ا ، ح ، وفي ط من غير نقط .

(٤) ح ، س ؛ « بازق » ، ن ؛ « بازق » .

(٦) ط ؛ « بسد » ، وما أثبتته عن ا .

(١) ا ، ن ؛ « يعرف » .

(٣) كذا في ا ، وفي ط ؛ « عماق جيعون » .

(٥) كذا في ا ، وفي ط ؛ « كلمهم » .

من أعدائه ، ثم أمر بهم فأخرجوا ، فقتلهم وصلبهم ثم أنزلم من الخشب ، وطرحهم في الغار الذي كانوا فيه ، وتبع سائر الملوك بالشام ؛ فاستباح منهم أهدأ وثلاثين ملكاً ، وفرق الأرض التي غلب عليها . ثم مات يوشع ، فلما مات دفن في جبل أفرائيم ، وقام بعده سبئ يهوذا وسبط شمعون بحرب الكنعانيين ، فاستباحوا حريمهم ، وقتلوا منهم عشرة آلاف ببازق ، وأخذوا ملك بازق فقطعوا إبهامى يديه ورجليه ، فقال عند ذلك ملك بازق : قد كان يلقط ^(١) الخبز من تحت مائدتي سبعون ملكاً مقطعى الأباهيم ، فقد جزاني الله بصنيعي ^(٢) ، وأدخلوا ملك بازق أورشليم ، فمات بها . وحارب بنو يهوذا سائر الكنعانيين واستولوا على أرضهم ، وكان عمر يوشع مائة سنة وستاً وعشرين سنة . وتديره أمر بنى إسرائيل منذ توفي موسى إلى أن توفي يوشع بن نون سبعاً وعشرين سنة .

٥١٦/١

* * *

وقد قيل إن أول من ملك من ملوك اليمن ، ملك كان لهم في عهد موسى بن عمران من حمير ، يقال له : شمير بن الأملول ، وهو الذي بنى مدينة ظفار باليمن ، وأخرج من كان بها من العماليق ، وإن شمير بن الأملول الحميري هذا كان من عمال ملك الفرس يومئذ على اليمن ونواحيها .

وزعم هشام بن محمد الكلبي أن بقية بقيت من الكنعانيين بعد ما قتل يوشع من قتل منهم ، وأن إفريقيس بن قيس بن صيفي بن سبأ بن كعب ابن زيد بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان مر بهم متوجهاً إلى إفريقية ، فاحتملهم من سواحل الشام ، حتى أتى بهم إفريقية ، فافتتحها وقتل ملكها جرجيرا ، وأسكنها البقية التي كانت بقيت من الكنعانيين الذين كان احتملهم معه من سواحل الشام . قال : فهم البرابرة ، قال : وإنما سموا بربراً ، لأن إفريقيس قال لهم : ما أكثر بربرتكم ! فسموا لذلك بربراً ، وذكر أن إفريقيس قال في ذلك من أمرهم شعراً ، وهو قوله :

بَرَبَرَتْ كِنَعَانُ لَمَّا سُوِّقَتْهَا
مِنْ أَرْضِ الْهَلْكِ لِلْعَيْشِ الْعَجَبِ

قال : وأقام من حمير في البربر صنهاجة وكثامة ، فهم فيهم إلى اليوم .

(١) ن : « يلتقط » . (٢) ن : « بصنيعي » .

ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث

وكان قارون ابن عم موسى عليه السلام . حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾^(١) ، قال : ابن عمه ، أخى أبيه . فإن^(٢) : قارون ابن يصفر^(٣) — هكذا قال القاسم ، [وإنما هو يصهر]^(٣) — بن قاهث ، وموسى بن عمر بن قاهث ، وعمر بالعربية عمران ؛ هكذا قال القاسم ، وإنما هو عمرم .

وأما ابن إسحاق فإنه قال ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عنه : تزوج يصهر بن قاهث سميت^(٤) ابنة تباويت^(٥) بن بركياء^(٦) ابن يقسان بن إبراهيم . فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر ، فقارون — على ما قال ابن إسحاق — عم موسى أخو أبيه لأبيه وأمه .

وأما أهل العلم من سلف أمتنا ومن أهل الكتابين فعلى ما قال ابن جريج^(٧) .

* ذكر من حضرنا ذكره ممن قال ذلك من علمائنا الماضين :

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل ابن أبي خالد ، عن إبراهيم في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عم موسى .

حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا عبد الرحمن ، قال : حدثنا عن سفيان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كان قارون ابن عم موسى .

(١) سورة القصص ٧٦ (٢) في الأصول : « قال » ، والأوجه ما أثبتته من التفسير .

(٣) كذا في التفسير ، وفي الأصول : « يصد » . (٤) ح والتفسير ، « سميت » .

(٥) التفسير « يتاديت » . (٦) التفسير : « بركننا » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٧ (بولاق) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبي ، عن سفيان ، عن سماك ، عن إبراهيم : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه فبغى عليه .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا يحيى بن سعيد القطان ، عن سماك بن حرب ، عن إبراهيم ، قال : كان قارون ابن عم موسى .

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن ابن أبي خالد ، عن إبراهيم ، قال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه .

حدثنا بشر بن معاذ قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، كنا نحدث أنه كان ابن عمه أخى أبيه ، وكان يسمى المتور من حسن صورته^(١) في التوراة ، ولكن عدو الله نافق كما نافق السامري ، فأهلكه البغي .

حدثني بشر بن هلال الصواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ، عن مالك بن دينار ، قال : بلغني أن موسى بن عمران كان ابن عم قارون ، وكان الله قد آتاه مالا كثيراً ، كما وصفه الله عز وجل ، فقال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُضْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ ، يعني بقوله : ﴿ تَنُوءُ ﴾ تثقل .

وذكر أن مفاتيح خزائنه كانت كالذي حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن خيشمة في قوله : ﴿ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْمُضْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ ﴾ قال : نجد مكتوباً في الإنجيل : مفاتيح قارون وقرستين بفلاغراً محجلة ، ما يزيد مفتاح منها على إصبع ؛ لكل مفتاح منها كثر .

حدثني أبو كريب ، قال : حدثنا هُشَيْمٌ^(٢) ، قال : أخبرنا إسماعيل بن

(١) « ن » صورته . (٢) في ط : « هشام » ؛ والصواب من التفسير ، وهو هشيم بن بشير بن القاسم ؛ ذكره ابن حجر فيمن أخذ عن إسماعيل بن سالم . والفطر تهذيب التهذيب ١١ : ٥٩ .

سالم، عن أبي صالح: ﴿مَا إِنْ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوهَ بِالْعُصْبَةِ﴾، قال: كانت مفاتيح خزائنه تحمل على أربعين بغلا (١).

حدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال: أخبرنا الأعمش عن خيثمة، قال: كانت مفاتيح قارون تحمل على ستين بغلا، كل مفاتيح منها لباب كثر معلوم، مثل الإصبع، من جلود.

حدثنا ابن وكيع، قال: حدثنا أبي، عن الأعمش، عن خيثمة، قال: كانت مفاتيح قارون من جلود، كل مفاتيح مثل الإصبع، كل مفاتيح على خزائنه على حدة، فإذا ركب حملت المفاتيح على ستين بغلا أغر محجل. فبغى عدو الله لما أراد الله به من الشقاء والبلاء على قومه بكثرة (٢) ماله.

وقيل إن بغيه عليهم كان بأن زاد عليهم في الثياب شبراً. كذلك (٣) حدثني علي بن سعيد الكندي وأبو السائب وابن وكيع، قالوا: حدثنا حفص ابن غياث، عن ليث، عن شهر بن حوشب.

فوعظه قومه على ما كان من بغيه ونهوه عنه، وأمروه بإنفاق ما أعطاه الله في سبيله والعمل فيه بطاعته، كما أخبر الله عز وجل عنهم أنهم قالوا له فقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ * وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٤). وعنى بقوله: ﴿وَلَا تَلْسُ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾: لا تنس في دنياك أن تأخذ نصيبك (٥) فيها لآخرتك، فكان جوابه إياهم جهلا منه، واغتراراً بجم الله عنه، ما ذكر الله تعالى في كتابه أن قال لهم: إنما أوتيت ما أوتيت من هذه الدنيا على علم عندي فقيل: معنى ذلك: على خير عندي، كذلك روى ذلك عن قتادة.

وقال غيره: عني بذلك: لولا رضاء الله عني ومعرفته بفضلي ما أعطاني

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٦٨ (بولاق).

(٢) (٢) س : « لكثرة » .

(٣) (٣) ا : « كالتى » . (٤) سورة القصص ٧٦، ٧٧ . (٥) ح : « بنصيبك » .

هذا ، قال الله عز وجل مكذباً قبله : ﴿ أَوْ لَمْ يَعْلَمِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَهَنَّمَ ﴾^(١) للأموال. ولو كان الله إنما يعطي الأموال والدنيا من يعطيها لها لرضاه عنه ، وفضله عنده ، لم يهلك من أهلكت من أرباب الأموال الكثيرة قبله ، مع كثرة ما كان أعطاهم منها ، فلم يردعه عن جهله ، وبغية على قومه بكثرة ماله عظمة من وعظه ، وتذكير من ذكره بالله ونصيحته إياه ؛ ولكنه تمادى في غيه وخسارته ، حتى خرج على قومه في زينته راكباً برذوناً أبيض مسرجاً بسرج الأرجوان ، قد لبس ثياباً معصفرة ، قد حمل معه من الجوارى بمثل هيئته وزينته على مثل برذونه ثلثمائة جارية وأربعة آلاف من أصحابه .

وقال بعضهم : كان الذين حملهم على مثل هيئته وزينته من أصحابه سبعين ألفاً . ٥٢١/١

حدثنا ابن وكيع ، قال : حدثنا أبو خالد الأحمر ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، قال : على برازين بيض ، عليها سروج الأرجوان ، عليهم^(٢) المعصفرة^(٣) . فتمنى أهل الخسار من الذين خرج عليهم في زينته مثل الذي أوتيه ، فقالوا : ﴿ يَا آيَّتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾^(٤) ، فأنكر ذلك من قوله عليهم أهل العلم بالله فقالوا لهم : ويلكم أيها المتمنون مثل ما أوتي قارون ! اتقوا الله ، واعملوا بما أمركم الله به ، وانتهوا عما نهاكم عنه ، فإن ثواب الله وجزاءه أهل طاعته خير لمن آمن به وبرسله ، وعمل بما أمره به من صالح الأعمال ، يقول الله : ﴿ وَلَا يُبْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾^(٤) ، يقول : لا يلقي مثل هذه الكلمة إلا الذين صبروا عن طلب زينة الحياة الدنيا ، وآثروا جزيل ثواب الله على صالح الأعمال على لذات الدنيا وشهواتها ، فعملوا له بما يوجب لهم ذلك .

* * *

(٢) ن : « وعليهم » .
(٤) سورة القصص ٧٩ ، ٨٠ .

(١) سورة القصص ٧٨

(٣) في التفسير ٢٠ : ٧٣ (بولاق) : « المعصفرات » .

فلما عتا الخبيث وتمادى في غيِّه، وبطر نعمة ربه ابتلاه الله عزَّ وجلَّ من الفريضة في ماله والحق الذي ألزمه فيه ما ساق إليه شحَّه به أليم عقابه، وصار به عبرة للغابرين^(١) وعظة للباقيين .

فحدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت الزكاة أتى قارونُ موسى فصالحه عن كلِّ ألف دينار ديناراً ، ٥٢٢/١ وعلى كلِّ ألف درهم درهماً ، وعلى كلِّ ألف شيء شيئاً ، أو قال : وكلِّ ألف شاه شاهةً — قال أبو جعفر الطبري : أنا أشدُّ — قال : ثم أتى بيته فحسبه فوجده كثيراً فجمع بنى إسرائيل ، فقال : يا بنى إسرائيل ، إن موسى قد أمركم بكلِّ شيء فأطعتموه ، وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم . فقالوا له : أنت كبيرنا وسيدنا ، فرنا بما شئت ، فقال : أمركم أن تَجِثُوا بفلانة البغي فتجعلوا لها جُعلاً فتقدفه بنفسها . فدعوها فجعلوا لها جُعلاً على أن تقدفه بنفسها ، ثم أتى موسى فقال^(٢) : إن قومك قد اجتمعوا لتأمرهم وتنهاهم^(٣) ، فخرج إليهم وهم في بَرّاح من الأرض ، فقال : يا بنى إسرائيل ، مَنْ سرق قطعنا يده ، ومن افترى جلدناه ثمانين ، ومن زنا وليس له امرأة جلدناه مائة ، ومن زنا وله امرأة جلدناه حتى يموت — أو قال : رجمناه^(٤) حتى يموت — قال أبو جعفر أنا أشك — فقال له قارون : وإن كنت أنت ؟ قال : وإن كنت أنا . قال : وإن بنى إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة ، فقال : ادعوها ، فإن قالت فهو كما قالت ، فلما أن جاءت قال لها موسى : يا فلانة ، قالت : لبيك ! قال : أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء ؟ قالت : لا ، وكذبوا^(٥) ، ولكن جعلوا لي جُعلاً على أن أفذفك بنفسى ، فوثب فسجد وهو بينهم ، فأوحى إليه : مرُّ الأرض بما شئت ، ٥٢٣/١ قال : يا أرض خذيني ، فأخذتهم إلى أقدامهم ، ثم قال : يا أرض خذيني فأخذتهم إلى ركبهم ، ثم قال : يا أرض خذيني ، فأخذتهم إلى أعناقهم ،

(١) س : « للغابرين » . ن : « للمعتبرين » .

(٢) كذا في ا ، وفي ط والتفسير : « فقال لموسى » .

(٣) ا ، ح ، ن ، والتفسير : « وتنهاهم » . (٤) وكذا في ا ، وفي ط « أو رجمناه » .

(٥) كذا في ا والتفسير ؛ وفي ط : « لا ، كذبوا » .

قال : فجعلوا يقولون : يا موسى ، ويتضرعون إليه ، قال : يا أرض خذهم ، فأطبقت عليهم ، فأوحى الله إليه : [يا موسى] ^(١) يقول لك عبادى : يا موسى يا موسى ، فلا ترحمهم ، أما لو إياى دعوا لوجدوني قريباً جيبياً ، قال : فذلك قوله : ﴿ فخرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ، وكانت زينته أنه خرج على دواب شقمر عليها ^(٢) سروج أرجوان ، عليها ثياب مصبغة بالبهرمان ، : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ ﴾ إلى قوله : ﴿ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ ﴾ . يا محمد ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْمَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ^(٣) .

حدثنا أبو كريب ، قال : حدثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن رجل ، عن ابن عباس بنحوه ، وزادني فيه : قال : فأصاب بنى إسرائيل بعد ذلك شدة وجوع شديد ، فأتوا موسى فقالوا : ادع لنا ربك ، قال : فدعا لهم فأوحى الله إليه : يا موسى ، أتكلمني في قوم قد أظلم ما بيني وبينهم من خطاياهم ، وقد دعوك فلم تجبهم ^(٤) أما لو إياى دعوا لأجبتهم ^(٥) .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثنا علي بن هاشم ابن البريد ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى ﴾ ، قال : كان ابن عمه ، وكان موسى يقضى في ناحية بنى إسرائيل وقارون في ناحية ، قال : فدعا بغية كانت في بنى إسرائيل ، فجعل لها جُعلاً على أن ترمى موسى بنفسها ، فتركه ، حتى إذا كان يوم يجتمع فيه بنو إسرائيل إلى موسى أتاه قارون فقال : يا موسى ، ما حدث من سرق ؟ قال : أن تقطع يده ، قال : فإن كنت أنت ؟ قال نعم ، قال : فما حدث من زنا ؟ قال : أن يُرجم ، قال : وإن كنت أنت ؟ قال : نعم ،

٥٢٤/١

(١) تكلمة من التفسير . (٢) ن : « عليين » .

(٣) سورة القصص : ٧٩-٨٢ ، والخبر في التفسير ٢٠ : ٧٤ (بولاق) .

(٤) ح : « وقد دعوا غيرى ولم يجهم » . (٥) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

قال : فإنك قد فعلت ، قال : ويلك ! بمن ؟ قال : بفلانة ، فدعاها موسى فقال :
 أنشدك بالذي أنزل التوراة ، أصدق قارون ؟ قالت : اللهم إذ نشدتنى ،
 فأني أشهد أنك برىء ، وأنتك رسول الله ، وأن عدو الله قارون جعل لي
 جعلاً على أن أرميك بنفسى ، قال : فوثب موسى فخرّاً ساجداً ، فأوحى
 الله إليه أن ارفع رأسك فقد أمرت الأرض أن تطيعك ، فقال موسى : خذنيهم ،
 فأخذتهم حتى بلغوا الحقو ، قال ﴿ يا موسى ، قال : خذنيهم فأخذتهم حتى
 بلغوا الصدور ، قال : يا موسى ، قال : خذنيهم ، قال : فذهبوا ، قال :
 فأوحى الله إليه : يا موسى ، استغاث بك فلم تُغته ، أمالو استغاث بي ، لأجبتُه
 ولأغثته (١) .

حدثنا بشر بن هلال الصّواف ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعي ،
 قال : حدثنا علي بن زيد بن جدعان ، قال : خرج عبد الله بن الحارث من
 الدار ، ودخل المقصورة فلما خرج منها جلس وتساند عليها (٢) وجلسنا إليه ، فذكر
 سليمان بن داود و ﴿ قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي
 مُسْلِمِينَ ﴾ إلى قوله : ﴿ إِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ ﴾ (٣) . قال : ثم سكت عن حديث
 سليمان ، فقال : ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ ﴾ ، وكان قد
 أوتي من الكنوز ما ذكره الله في كتابه : ﴿ مَا إِنْ مَفَاتِحُهُ لِنُؤُومٍ بِالْعُضْبَةِ أُولِي
 الْقُوَّةِ ﴾ (٤) . فقال : إنما أوتيته على علم عندي . قال : وعاد موسى وكان مؤذياً
 له ، فكان موسى يصفح عنه ، ويعفو للقرابة حتى بنى داراً ، وجعل باب
 داره من ذهب ، وضرب على جدر داره صفائح الذهب ، وكان الملاء من
 بني إسرائيل يغدون عليه ويروحون ، فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضحكونه ،
 فلم تدعه شقوته والبلاء حتى أرسل إلى امرأة من بني إسرائيل مشهورة بالحنأ
 مشهورة بالسب ، فجاءت قال لها : هل لك أن أمولك وأعطيك وأخلطك

(١) الخبر في التفسير ٢٠ : ٧٥ (بولاق) .

(٢) ١ : « واستند إليها » .

(٣) سورة النمل ٣٨ - ٤٠ .

(٤) سورة القصص ٧٦ .

بنسأني، على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندي فتقول: يا قارون ألا تنهي
عني موسى! قالت: بلى، فلما جلس قارون، وجاءه الملا من بني إسرائيل
أرسل إليها فجاءت، فقامت بين يديه، فقلب الله قلبها، وأحدث لها توبة،
فقال في نفسها: لا أجد اليوم توبة أفضل من ألا أؤذي رسول الله وأعذب
عدو الله، فقالت: إن قارون قال لي: هل لك أن^(١) أمولك وأعطيك وأخلطك
بنسأني على أن تأتيني والملا من بني إسرائيل عندي، فتقول: يا قارون ألا تنهي
عني موسى! فلم أجد توبة أفضل من ألا أؤذي رسول الله، وأعذب عدو
الله. فلما تكلمت بهذا الكلام سقط في يدي قارون، ونكس رأسه، وسكت
عن الملا، وعرف أنه قد وقع في هلكة، فشاع كلامها في الناس، حتى بلغ
موسى، فلما بلغ موسى اشتد غضبه فتوضأ من الماء وصلى وبكى، وقال:
يا رب عدوك لي مؤذ، أراد فضيحتي وشيئتي، يا رب سلطني عليه. فأوحى
الله إليه أن مر الأرض بما شئت تطعك، فجاء موسى إلى قارون، فلما دخل
عليه عرف الشر في وجه موسى له، فقال له: يا موسى ارحمني، قال: يا أرض
خذيم، قال: فاضطربت داره، وساخت بقارون وأصحابه إلى الكعبين،
وجعل يقول: يا موسى ارحمني، قال: يا أرض خذيم، فاضطربت داره^(٢)
وساخت، وخسف بقارون وأصحابه إلى ركبهم وهو يتضرع إلى موسى:
يا موسى، ارحمني! قال: يا أرض خذيم، فاضطربت داره، وساخت
وخسف بقارون وأصحابه^(٣) إلى سرهم، وهو يتضرع إلى موسى: يا موسى،
ارحمني! قال: يا أرض خذيم، فخسف به وبيداره وأصحابه، قال:
وقيل لموسى: يا موسى، ما أفظك، أما وعزتي لو إياي نادى لأجبت^(٤)!

٥٢٦/١

حدثنا بشر بن هلال، قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن أبي عمران
الجوتني، قال: بلغني أنه قيل لموسى: لا أعبد الأرض لأحد بعدك أبداً.

٥٢٧/١

حدثنا بشر، قال: حدثنا يزيد، قال: حدثنا سعيد عن قتادة، ﴿فخسفنا

(١) ح: والتفسير «هل لك في». (٢) ن: «أرضه».

(٣) ح: «وساخت بقارون وخسف به وأصحابه».

(٤) الخبر في التفسير ٢٠: ٧٥، ٧٦ (بولاق).

بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ ﴿١﴾ ، ذكر لنا أنه يخسف به كل يوم قامة ، وأنه يتجلجل فيها لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة .

* * *

قال أبو جعفر: فلما نزلت نعمة الله بقارون حميد الله على ما أنعم به عليهم المؤمنون الذين وعظوه وأذروه بأمر الله ، ونصحوا له من المعرفة بحقه والعمل بطاعته ، وندم الذين كانوا يتمنون ما هو فيه من كثرة المال ، والسعة في العيش على أمنيته ، وعرفوا خطأ أنفسهم في أمنيته ، فقالوا ما أخبر الله عز وجل عنهم في كتابه : ﴿ وَيَسْأَلُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا ﴾ (١) ، فصرف عنا ما ابتلى به قارون وأصحابه مما كنا نتمناه بالأمس نحسف بنا كما خسف به وبهم . فنجى الله تعالى من كل هول وبلاء نبيه موسى والمؤمنين به المتمسكين بعهد من بنى إسرائيل ، وقتاه يوشع بن نون المتبعين له بطاعتهم ربهم ، وأهلك أعداءه وأعداءهم : فرعون وهامان وقارون والكنعانيين بكفرهم وتمردهم عليه وعتوهم ، بالفرق بعضاً ، وبالخسف بعضاً ، وبالسيف بعضاً ، وجعلهم عبراً لمن اعتبر بهم ، وعظة لمن اتعظ بهم ، مع كثرة أموالهم وكثرة عدد جنودهم ، وشدة بطشهم ، وعظم (٢) خلقهم وأجسامهم ، فلم تغن [عنهم] (٣) أموالهم ولا أجسامهم ولا قواهم ولا جنودهم وأنصارهم عنهم من الله شيئاً ؛ إذ كانوا يحجدون بآيات الله ، ويسعون في الأرض فساداً ، ويتخذون عباد الله لأنفسهم خوفاً ، وحقاق بهم ما كانوا منه آمنين ؛ نعوذ بالله من عمل يقرب من سخفه ، ونرغب إليه في التوفيق لما يلدني من محبته ، ويزلف إلى رحمته !

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب ، قال : حدثنا عمي ، قال : حدثني الماضي بن محمد ، عن أبي سليمان ، عن القاسم بن محمد ، عن أبي إدريس الخولاني ، عن أبي ذر ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول أنبياء بنى إسرائيل موسى وآخرهم عيسى » .

(١) سورة القصص : ٨٢ . (٢) ح : « عظيم » . (٣) من ا .

قال : قلت : يا رسولَ الله ، ما كان في صحف موسى ؟ قال : كانت عيراً
كلّتها ، عجبت لمن أيقنَ بالنار ثم يضحك ، عجبت لمن أيقن بالموت ثم
يفرح ، عجبت لمن أيقن بالحساب غداً ثم لم يعمل !

وكان تدبير يوشع أمر بني إسرائيل من لدن مات موسى ، إلى أن توفي
يوشع ، كله في زمان منوشهر عشرين سنة ، وفي زمان فراسياب سبع سنين .

* * *

ونرجع الآن إلى :

ذكر القائم بالملك ببابل من الفرس بعد منوشهر

إذ كان التاريخ إنما تدرك صحته على سياق مدة^(١) أعمار ملوكهم .
ولما هلك منوشهر الملك بن منشخورنر^(٢) ، قهر فراسياب^(٣) بن فشنج
ابن رستم بن ترك على خنيارث^(٤) ومملكة أهل فارس ، وصار — فيما قيل —
إلى أرض بابل ، فكان يكثر المقام ببابل وبمهرجان قدق ، فأكثر الفساد
في مملكة أهل فارس .

وقيل : إنه قال حين غلب على مملكتهم : نحن مسرعون في إهلاك البرية ،
وإنه عظم جوره وظلمه ، وخرّب ما كان عامراً من بلاد خنيارث ، ودفن الأنهار
والقنى ، وقحط الناس في سنة خمس من ملكه ، إلى أن خرج عن مملكة أهل
فارس ، وردّ إلى بلاد الترك ، فغارت المياه في تلك السنين ، وحالت الأشجار
المثمرة .

ولم يزل الناس منه في أعظم البلية ، إلى أن ظهر زو بن طهما سب
وقد يلفظ باسم « زو » بغير ذلك فيقول بعضهم : زاب بن طهما سفان ،
ويقول بعضهم : زاغ ، ويقول^(٥) بعضهم : راسب بن طهما سب بن كانجو بن
زاب^(٦) بن أرفس^(٧) بن هراسف بن ونديج^(٨) بن أريج^(٨) بن نوذ وجوش^(٨) ٥٣٠/١
ابن منسوا^(٨) — بن نوذ بن منوشهر .

وأم زو مادول ابنة وامن بن واخرجا بن قود^(٩) بن سلّم بن أفريدون .
وقيل : إن منوشهر كان وجد في أيام ملكه على طهما سب بسبب جناية
جناها ، وهو مقيم في حدود الترك لحرب فراسياب ، فأراد منوشهر قتله
بسبب ذلك ، فكلمه في الصفح عنه عظماء أهل مملكته . وكان من عدل

(١) س : « مدد » .

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « فراسيات » .

(٣) (٤) ا ، ن : « خنيارث » .

(٥) ط : « ويقال » ، وما أثبتته من ا .

(٦) ا : « زابن » ، س : « راد » ، ح ، ن : « زاق » .

(٧) ا : « أرفس » . (٨) كذا في ا . (٩) ا : « نوذ » ، ن : « فوذ » .

مُنوشهر - فيما ذكر - أنه قد كان يسوّى بين الشريف والوضيع ، والقريب
والبعيد في العقوبة ، إذا استوجبها بعضُ رعيته على ذنب أتاها - فأبى إجابتهم
إلى ما سألوه من ذلك ، وقال لهم : هذا في الدين وَهَنٌ ، ولكنكم إذْ أبيتم
على ، فإنه لا يسكنُ في شيء من مملكتي ، ولا يُقيم به ، فنفاه عن مملكته
٥٣١/١ فشخص إلى بلاد الترك ، فوقع إلى ناحية وامن ، فاحتال لابنته وهي محبوسة
في قصر من أجل أن المنجمين كانوا ذكروا لوا من أبيها أنها تلد ولدًا يقتله ،
حتى أخرجها من القصر الذي كانت محبوسة فيه ، بعد أن حملت منه بزوا .

ثم إن مَنوشِهرَ أذِنَ لظُهُمَّاسب بعد أن انقضت أيامُ عقوبته في
العود إلى خينارث مملكة فارس ، فأخرج مادول ابنة وامن بالحيلة منها ومنه في
إخراجها من قصرها من بلاد الترك إلى مملكة أهل فارس ، فولدت له زوا بعد
العود إلى بلاد إيرانكرد^(١) ،

ثم إن زوا - فيما ذكر - قتل جدّه ، وأمن في بعض مغازيه الترك ،
وطرد فراسياب عن مملكة أهل فارس ، حتى رده إلى الترك بعد حروب جرت
بينه وبينه وقتال ، فكانت غلبة فراسياب أهل فارس على إقليم بابل اثنتي
عشرة سنة ، من لدن توفي مَنوشِهرَ إلى أن طرده عنه ، وأخرجه زوا بن
ظهُمَّاسب إلى تركستان .

وذكر أن طَرْدَ زوا فراسياب عمّا كان عليه من مملكة أهل فارس
في روزابان من شهر آبانماه ، فاتخذ العجم هذا اليوم عيداً لما رفع عنهم فيه
من شر فراسياب وعَسَفه وجعلوه الثالث من أعيادهم النوروز والمِهْرَجَان .

وكان زوا محموداً في مُلكه ، محسنًا إلى رعيته ، فأمر بإصلاح ما كان فراسياب
٥٣٢/١ أفسد من بلاد خينارث ، ومملكة بابل وبناء ما كان هُدْم من حصون ذلك ،
ونشَل^(٢) ما كان طم^(٣) وغور من الأنهار والقنى ، وكرى ما كان اندفن من
المياه حتى أعاد كلَّ ذلك - فيما ذكر - إلى أحسن ما كان [عليه]^(٤) ، ووضع

(١) كذا في ط ، وفي : « إيكرا نكرد » . (٢) أي أخرج ما فيها من تراب .

(٣) طم : دفن ؛ وفي : « طمر » ؛ وهي بمعناها . (٤) من أ .

عن الناس الخراج سبع سنين ، ودفعه (١) عنهم ، فعمرت بلاد فارس في ملكه ، وكثرت المياه فيها ، ودرت معاش أهلها ، واستخرج بالسواد نهراً وسماه الزاب ، وأمر فبنيت على حافته مدينة وهي التي تسمى المدينة العتيقة ، وكورها كورة ، وسماها الزوابي ، وجعل لها ثلاثة طساسيج : منها طسسوج (٢) الزاب الأعلى ، ومنها طسسوج الزاب الأوسط ، ومنها طسسوج الزاب الأسفل ؛ وأمر بحمل بزور (٣) الرياحين من الجبال إليها وأصول الأشجار ، وبذر ما يبذر من ذلك ، وغرس ما يغرس منه ، وكان أول من اتخذ له ألوان الطيبخ وأمر بها وبأصناف الأطعمة ، وأعطى جنوده مما غنم من الخيل والركاب ، مما أوجف عليه من أموال الترك وغيرهم . وقال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن متقدمون في عمارة ما أحر به الساحر فراسياب .

وكان له كرشاسب بن أنرط (٤) بن سهم بن نريمان بن طورك بن شيراسب (٥) بن أروشسب بن طوج بن أفريدون الملك .

وقد نسبة بعض نسابي الفرس غير هذا النسب فيقول : هو كرشاسب ٥٣٣/١ بن أشناس (٦) بن طهموس بن أشك بن ترس (٧) بن زحر (٨) بن دودسرو (٩) بن مینوشهَر الملك - مؤازراً له على ملكه .

ويقول بعضهم : كان زو وكرشاسب مشتركين في الملك ، والمعروف من أمرهما أن الملك كان لزو بن طهماسب وأن كرشاسب كان له مؤازراً [له] (١٠) معيناً .

- (١) كذا في ا ، وفي ط : « ورفعه » .
- (٢) الطسوج هنا : الناحية ، فارسي معرب .
- (٣) البزر : كل حب يبذر للنبات ؛ وجمعه بزور .
- (٤) ا : « أنوط » ، ح ، ن : « أنوط » .
- (٥) ا ، س : « سراسب » .
- (٦) كذا في ا ، ح ، وفي س : « أستاس » .
- (٧) كذا في ا ، ن ، وفي ح : « فوس » ، وفي ط مهمل .
- (٨) كذا في ط ، وفي ح ، س : زحر ، ، وفي ن : « زجر » ،
- (٩) في ا ، ح ، ن ، وفي س : « روذسرو » وفي ط : « دودسرو » .
- (١٠) تكلمة من ا .

وكان كرشاسب عظيم الشأن في أهل فارس ، غير أنه لم يملك ، فكان جميع ملك زو إلى أن انقضى ومات - فيما قيل - ثلاث سنين .

* * *

ثم ملك بعد زو كيقباز ، وهو كيقباز بن زاغ بن نوحياه^(١) بن منشو^(٢) بن نوذر بن منوشهر . وكان متزوجاً بفرتك^(٣) ابنة تدرسا^(٤) التركي ، وكان تدرسا من رعوس الأتراك وعظماهم ، فولدت له كى إفنه ، وكى كاوس ، وكى أرش^(٥) ، وكيبه أرش ، وكيفاشين وكيبية ؛ وهؤلاء الملك الجبابرة وآباء الملوك الجبابرة .

٥٣٤/١

وقيل إن كيقباز قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن مدوخون بلاد الترك ومجتهدون في إصلاح بلادنا ، حديون عليها ، وأنه قد رمياه الأنهار والعيون لشرب الأرضين ، وسمى البلاد بأسمائها ، وحدها بحدودها ، وكور الكور ، وبين حير كل كورة منها وحریمها ، وأمر الناس باتخاذ الأرض ، وأخذ العشر من غلاتها لأرزاق الجند ، وكان - فيما ذكر - كيقباز يشبه في حرصه على العمارة ، ومنعه البلاد من العدو ، وتكبره في نفسه بفرعون .

٥٣٥/١

وقيل إن الملوك الكيبية وأولادهم من نسله ، وجرت بينه وبين الترك وغيرهم حروب كثيرة ، وكان مقبياً في حد ما بين مملكة الفرس والترك بالقرب من نهر بلخ ، لمنع الترك من تطرق شيء من حدود فارس ، وكان ملكه مائة سنة ، والله أعلم .

* * *

ونرجع الآن إلى :

(١) كذا في أ ، ن . (٢) كذا في أ ، وفي س : « مشر »

(٣) كذا في أ ، وفي ح ، س : « بقرتك » ، وفي ن : « بفرتك » ، وفي ط مهمله .

(٤) كذا في أ ، ن . وفي س : « تدرشيل » ، وفي ط مهمله .

(٥) س ، ن : « كى لوس » .

ذَكَرَ أَمْرَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالْقَوَامِ الَّذِينَ كَانُوا بِأَمْرِهِمْ بَعْدَ يَوْشَعَ
ابْنِ نُونٍ وَالْأَحْدَاثَ الَّتِي كَانَتْ فِي عَهْدِ زَوْ وَكَيْسَقَبَادَ

ولا خلاف بين أهل العلم بأخبار الماضين وأمور الأمم السالفة من أمتنا
وغيرهم أن القيم بأمر بني إسرائيل بعد يوشع كان كالب بن يوفنا ، ثم
حزقييل بن بوذي^(١) من بعده ، وهو الذي يقال له ابن العجوز .

فحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : إنما
سمى حزقييل^(٢) بن بوزي ابن العجوز ؛ أنها سألت الله الولد ، وقد كبرت وعقيمت ،
فوهبه الله لها ، فبذلك قيل له : ابن العجوز ؛ وهو الذي دعا للقوم الذين ذكر
الله في الكتاب عليه السلام كما بلغنا : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾^(٣) .

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم
قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ؛ أنه سمع وهب بن منبه يقول : أصاب
ناساً من بني إسرائيل بلاءٌ وشدة من الزمان ، فشكوا ما أصابهم فقالوا : يا ليتنا
قد متنا فاسترحنا مما نحن فيه ! فأوحى الله إلى حزقييل : إن قومك صاحوا
من البلاء ، وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا فاستراحوا ، وأى راحة لهم في الموت !
أيظنون أنى لا أقدر على أن أبعثهم بعد الموت ! فانطلق إلى جبانة كذا كذا
فإن فيها أربعة آلاف — قال وهب : وهم الذين قال الله تعالى :
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ ﴾ —
فقم فيهم فنادهم ، وكانت عظامهم قد تفرقت ؛ فرقتها الطير والسباع ،
فنادها حزقييل ، فقال : يا أيتهن العظام النخرة ، إن الله عز وجل

٥٣٦/١

(١) ، والتفسير : « بوزي » ، وكذلك حيث ورد فيما يلى .

(٢) حزقييل ، بكسر الحاء ؛ ضبطه صاحب القاموس .

(٣) سورة البقرة ٢٤٣ .

يأمرُك أن تجتمعى . فاجتمع عظام كل إنسان منهم معاً ، ثم نادى ثانية (١) حزقييل فقال : يايتها العظام ، إن الله يأمرُك أن تكتسى اللحم ، فاكنتس اللحم ، وبعد اللحم جلدا ، فكانت أجساداً ، ثم نادى حزقييل الثالثة فقال : يايتها الأرواح ، إن الله يأمرُك أن تعودى فى أجسادك . فقاموا بإذن الله ، وكبروا تكبيرة واحدة (٢) .

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى خبر ذكره عن أبى مالك وعن أبى صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ﴾ كانت قرية يقال لها داوردان (٣) قبل واسط ، فوقع بها الطاعون ، فهرب عامة أهلها فنزلوا ناحية منها ، فهلك أكثر من بقى فى القرية وسلم الآخرون ، فلم يمت منهم كثير ، فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين ، فقال الذين بقوا : أصحابنا هؤلاء كانوا أحزم منا ، لو صنعنا كما صنعوا بقينا ! ولئن وقع الطاعون ثانية لنخرجن معهم . فوقع فى قابل فهربوا وهم بضعة وثلاثون ألفاً ، حتى نزلوا ذلك المكان ، وهو واد أفصح ، فناداهم ملك من أسفل الوادى ، وآخر من أعلاه : أن موتوا ، فأتوا حتى هلكوا ، وبلت أجسادهم ، فرَّ بهم نبىٌ يقال له هزقييل (٤) ، فلما رآهم وقف عليهم فجعل يتفكر فيهم ، يكتوى شِدْقَه وأصابه ، فأوحى الله إليه : يا هزقييل ، أتريد أن أريك كيف أحْييهم ؟ قال : نعم ، وإنما كان تفكُّره أنه تعجَّب من قدرة الله عليهم ، فقال : نعم ، فقيل له : ناد ، فنادى يايتها العظام ، إن الله يأمرُك أن تجتمعى ، فجعلت العظام يطير بعضها إلى بعض ؛ حتى كانت أجساداً من عظام ، ثم أوحى الله أن ناد : يايتها العظام ؛ إن الله يأمرُك أن تكتسى لحمًا فاكنتس لحمًا ودمًا وثيابها التى ماتت فيها ؛ وهى عليها ، ثم قيل له : ناد ،

(١) فى ١ : « الثانية » .

(٢) الخبر فى التفسير ٥ : ٤٦٨

(٣) ضبطلها ياقوت بفتح الواو وسكون الراء ؛ وذكر أمر حزقييل بها .

(٤) التفسير : « حزقييل » .

فنادى : يَا أَيُّهَا الْأَجْسَادُ ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقُومِي ، فقاموا^(١)

حدثني موسى ، قال : حدثنا عمر و ، قال : حدثنا أسباط ، قال : فرعم منصور بن المعتمر عن مجاهد أنهم قالوا حين أحيوا : سبحانك ربنا وبمحمدك ٥٣٨/١ لا إله إلا أنت ؛ فرجعوا إلى قومهم أحياء يعرفون أنهم كانوا موتى ، سحنة الموت على وجوههم ، لا يلبسون ثوباً إلا عاد دسماً مثل الكفن ، حتى ماتوا لآجالهم التي كتبت لهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا حكّام ، عن عنبسة ، عن أشعث^(٢) ، عن سالم التّصريّ ، قال : بينما عمر بن الخطاب يصلي ويهوديان خلفه ، وكان عمر إذا أراد أن يركع خوياً^(٣) ، فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ قال : فلما انفتل عمر قال : رأيت قول أحدهما لصاحبه : أهو هو ؟ فقالا : إنا نجد في كتابنا قرناً من حديد يعطى ما أعطى حزقيل الذي أحيى الموتى بإذن الله ، فقال عمر : ما نجد في كتابنا^(٤) حزقيل ، ولا أحيى الموتى بإذن الله إلا عيسى ابن مريم ، فقالا : أما تجد في كتاب الله ﴿ وَرَسُولًا لَمْ نَقْضُصْهُمْ عَلَيْهِمْ ﴾^(٥) ، فقال عمر : بلى ، قالوا وأما إحياء الموتى فسنحدثك أن نبى إسرائيل وقع فيهم الوباء ، فخرج منهم قوم حتى إذا كانوا على رأس ميل أماتهم الله ، فبنوا عليهم حائطاً ، حتى إذا بليت عظامهم بعث الله حزقيل فقام عليهم ، فقال : ما شاء الله ! فبعثهم الله له ، فانزل الله في ذلك : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ . . . ﴾ ، الآية^(٦) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنا محمد بن إسحاق ، ٥٣٩/١

(١) الخبر في التفسير ٥ : ٢٧٠

(٢) ١ ، ن والتفسير : « أشعث بن أسلم البصرى » وانظر حواشى التفسير .

(٣) خوياً الرجل فى سجوده : تجافى وفرج ما بين عضديه وجنبه .

(٤) ١ ، والتفسير : « كتاب الله » .

(٥) سورة النساء : ١٦٤ .

(٦) الخبر في التفسير ٥ : ٢٦٨ - ٢٧٠ .

عن وهب بن منبه : أن كالب بن يوفنا لما قبضه الله بعد يوشع ، خلف فيهم
— يعنى فى بنى إسرائيل — حزقييل بن بوذى ، وهو ابن العجوز ، وهو الذى
دعا للقوم الذين ذكر الله فى الكتاب لمحمد صلى الله عليه وسلم كما بلغنا :
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ . . . ﴾ الآية (١) .

قال ابن حميد : قال سلمة قال ابن إسحاق : فبلغنى أنه كان من
حديثهم أنهم خرجوا فراراً من بعض الأوباء من الطاعون ، أو من سقم
كان يصيب الناس حذراً من الموت (٢) وهم ألوف ، حتى إذا نزلوا بصعيد من
البلاد قال الله لهم : موتوا ، فماتوا جميعاً ، فعمد أهل تلك البلاد فحظروا (٣)
عليهم حظيرة دون السباع ، ثم تركوهم فيها ، وذلك أنهم كثروا عن أن
يغيثوا ، فمرت بهم الأزمان والدهور ، حتى صاروا عظاماً نخرة ، فتر بهم
حزقييل بن بوذى ، فوقف عليهم ، فتعجب لأمرهم ، ودخلته رحمة لهم ، فقيل
له : أتحب أن يحييهم الله ؟ فقال : نعم ، فقيل له : فقل : أيتها العظام
الرميم ، التى قد رميت وبليت ، ليرجع كل عظم إلى صاحبه . فناداهم بذلك ،
فنظر إلى العظام تتوالب يأخذ بعضها بعضاً ، ثم قيل له : قل أيها اللحم
والعصب والجلد ، اكس العظام بإذن ربك (٤) ، قال فنظر إليها والعصب
يأخذ العظام ، ثم اللحم والجلد والأشعار ، حتى استواو خلقاً ليست فيهم
الأرواح ، ثم دعا لهم بالحياة ، فتنشأه من السماء شئ كربه ، حتى
غشي عليه منه ، ثم أفاق والقوم جلوس يقولون : سبحان الله فقد أحياهم
الله (٥) !

٥٤٠/١

فلم يذكر لنا مدة مكث حزقييل فى بنى إسرائيل .

* * *

(١) الخبر فى التفسير ٢٤٣ :

(٢) ن : « حذر الموت » .

(٣) س : « فحظروا . . . حظيرة » ، ن : « فحظروا » .

(٤) ا : « بأمر الله » .

(٥) الخبر فى التفسير ٥ : ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

[إلیاس والیسع علیهما السلام]

ولما قبض الله حزقیل كثرت الأحداث - فیما ذکر - فی بنی اسرائیل ، وترکوا عهد الله الذی عهد إلیهم فی التوراة ، وعبدوا الأوثان ، فبعث الله إلیهم فیما قبیل : إلیاس بن یاسین بن فنحاص ^(١) بن العیزار بن هارون بن عمران .

فحدثنا ابن حمید ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثنی محمد بن إسحاق : ثم إن الله عزّ وجلّ قبض حزقیل ، وعظمت فی بنی اسرائیل الأحداث ، ونسّوا ما كان من عهد الله إلیهم ، حتی نصبوا الأوثان وعبدوها من دون الله ، فبعث الله إلیهم إلیاس بن یاسین بن فنحاص بن العیزار بن هارون بن عمران نبیاً ؛ وإنما كانت الأنبیاء من بنی اسرائیل بعد موسى یُبْعَثُونَ إلیهم بتجدید ما نسّوا من التوراة . فكان إلیاسُ مع ملک من ملوک بنی اسرائیل یقال له أحاب ، وكان اسم امرأته أزل ^(٢) ، وكان یسمع منه ویصدقّه ، وكان إلیاس یقیم له أمره ، وكان سائر بنی اسرائیل قد اتخذوا صنماً یعبدونّه من دون الله ، یقال له : بعل . قال ابن إسحاق : وقد سمعت بعض أهل العلم یقول : ما كان بعل إلا امرأة یعبودنها من دون الله یقول الله لمحمد ﴿ وَإِنَّ إلیاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ - إلی قوله : ﴿ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴾ ^(٣) - فجعل إلیاس یدعوهم إلی الله ، وجعلوا لا یسمعون منه شیئاً إلا ما كان من ذلك الملك ، والملوک متفرقة بالشأم ؛ کل ملك له ناحية منها یأكلها ، فقال ذلك الملك ، الذی كان إلیاس معه ، یقوم له بأمره ^(٤) ، ویراه علی هدی من بین أصحابه يوماً یا إلیاس ، والله

٥٤١/١

(١) فی أبی الفدا : « فینحاس » ، وضبطه « بفاء مشربة بباء موحدة » ، ثم یاء مشتاة من تحتها مماله ، ثم نون ساكنة ، ثم حاء مهملة ، ثم ألف مماله وسین مهملة .

(٢) ح : « أریک » ، س : « أریک » ، ن : « أزل » . ، وفی التفسیر : « إزبل » .

(٣) سورة الصافات : ١٢٣ - ١٢٦ .

(٤) ا والتفسیر : « یقوم له أمره » .

ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلا ، والله ما أرى فلاناً وفلاناً فعد^(١) ملوكاً من ملوك بني إسرائيل قد عبدوا الأوثان من دون الله إلا على مثل ما نحن عليه ، يأكلون ويشربون ويتنعمون^(٢) ، مملكين ، ما ينقص دنياهم أمرهم الذي تزعم أنه باطل ، وما نرى لنا عليهم من فضل .

فيزعمون — والله أعلم — أن إلياس استرجع وقام شعر رأسه وجلده ، ثم رفضه وخرج عنه ففعل ذلك الملك فعل أصحابه ؛ عبّد الأوثان ، وصنع ما يصنعون . فقال إلياس : اللهم إن بني إسرائيل قد أبوا إلا الكفر بك ، والعبادة لغيرك ، فغيّر ما بهم من نعمتك . أو كما قال^(٣) .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، قال : حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ذكر لي أنه أوحى إليه : إننا قد جعلنا أمر أرزاقهم بيدك وإليك ؛ حتى تكون أنت الذي تأمر في ذلك . فقال إلياس : اللهم فأمسك عنهم المطر . فحبس عنهم ثلاث سنين حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر ، وجهد الناس جهداً شديداً .

٥٤٢/١

وكان إلياس — فيما يذكرون — حين دعا بذلك على بني إسرائيل قد استخفى شفقاً على نفسه منهم ، وكان حيث ما كان وضع له رزق ، فكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في دار أو بيت قالوا : لقد دخل إلياس هذا المكان ، فطلبوه^(٤) ، ولقي أهل ذلك المنزل منهم شراً . ثم إنه أوى ليلة إلى امرأة من بني إسرائيل ، لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب ، به ضرٌّ ، فأوته وأخفت أمره ، فدعا إلياس لابنها فعوفى من الضر الذي كان به ، واتبع اليسع فآمن به وصدقه ولزمه ، فكان يذهب معه حيثما ذهب ، وكان إلياس قد أسنّ وكبير ، وكان اليسع غلاماً شاباً . فيزعمون — والله أعلم — أن الله أوحى إلى إلياس أنك قد أهلك كثيرًا من الخلق^(٥) ممن لم يعص ، سوى بني إسرائيل ممن لم أكن أريد هلاكه بخطايا

(١) كذا في ١ ، وفي ط : « يعد » ، وفي التفسير : « يعدد » .

(٢) ١ : « ويمتعون » ، والتفسير : « وينعمون » .

(٣) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥٩ ، ٦٠ (بولاق) .

(٤) ح : « فيطلبونه فيلقى » .

(٥) ١ : « الناس » .

بنى إسرائيل من البهائم والدواب والطيور والحوام والشجر ، بحبس المطر عن
 بنى إسرائيل . فيزعمون - والله أعلم - أن إلياس قال : أى ربّ ، دعنى أكن
 أنا الذى أدعو لهم به ، وأكن أنا الذى آتيتهم بالفرج مما هم فيه من البلاء
 الذى أصابهم ، لعلهم أن يرجعوا وينزعوا^(١) عما هم عليه من عبادة غيرك . قيل
 له نعم ، فجاء إلياس إلى بنى إسرائيل ، فقال لهم : إنكم قد هلكتم جهداً ،
 وهلكت البهائم والدواب والطيور والحوام والشجر بخطاياكم ، وأنكم على باطل
 وغرور - أو كما قال لهم - فإن كنتم تحبسون أن تعلموا ذلك وتعلموا أن الله
 عليكم ساخط فيما أنتم عليه ، وأن الذى أدعوكم إليه الحق ، فاخرجوا بأصنامكم
 هذه التى تعبدون وتزعمون أنها خير مما أدعوكم إليه ؛ فإن استجابت لكم فذلك
 كما تقولون ، وإن هى لم تفعل علمتم أنكم على باطل فنزعتم ، ودعوت الله ففرج
 عنكم ما أنتم فيه من البلاء . قالوا : أنصفت ، فخرجوا بأوثانهم وما يتقربون به
 إلى الله من أحداثهم التى لا يرضى ، فدعوها فلم تستجب لهم ، ولم تفرج عنهم
 ما كانوا فيه من البلاء ، حتى عرفوا ما هم فيه^(٢) من الضلالة والباطل ، ثم
 قالوا لإلياس : يا إلياس ؛ إنا قد هلكنا ، فادع الله لنا ، فدعا لهم إلياس
 بالفرج مما هم فيه ، وأن يسقوا ، فخرجت سحابة مثل الترس بإذن الله
 على ظهر البحر ، وهم ينظرون ، ثم تراءى إليهم السحاب ، ثم أدرجت ، ثم أرسل
 الله المطر فأغاثهم ، فحييت بلادهم ، وفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ،
 فلم ينزعوا ولم يرجعوا وأقاموا على أحبب ما كانوا عليه . فلما رأى ذلك إلياس
 من كفرهم دعا ربّه أن يقبضه إليه فيريحه منهم ، فقيل له - فيما يزعمون : انظر
 يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى بلد كذا وكذا ، فاجاءك من شىء فاركبه
 ولا تهبه ، فخرج إلياس ، وخرج معه اليسع بن أخطوب حتى إذا كان بالبلد
 الذى ذكر له فى المكان الذى أمر به أقبل فرس من نار ، حتى وقف بين
 يديه فوثب عليه ، فانطلق به فناداه اليسع : يا إلياس ، يا إلياس ، ما تأمرنى ؟
 فكان آخر عهدهم به ، فكساه الله الريش وألبسه النور ، وقطع عنه لذة

٥٤٣/١

٥٤٤/١

(١) ن : «ويقلعوا» .

(٢) كذا فى ا ، ن ، وفى ط : «عليه» .

المطعم ، والمشرّب ، وطار في الملائكة ، فكان إنسياً ملكياً أرضياً سمائياً^(١) .

* * *

ثم قام بعد إلياس بأمر بني إسرائيل - فما حدثنا ابن حُميد ، قال : حدثنا سلمة عن ابن إسحاق ، قال : كما ذكر لي عن وهب بن منبه قال : ثم نبئ فيهم - يعني في بني إسرائيل - بعده يعني [بعد]^(٢) إلياس - اليسع ، فكان فيهم ما شاء الله أن يكون ، ثم قبضه الله إليه ، وخلفت فيهم الخُلوْف ، وعظمت فيهم الخطايا ، وعندهم التابوت يتوارثونه كابراً عن كابر ، فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هارون ، فكانوا لا يلقاهم عدوٌّ فيقدّمون التابوت ويزحفون به معهم إلا هزم الله ذلك العدو .

والسكينة فيما ذكر ابن إسحاق عن وهب بن منبه عن بعض أهل العلم من بني إسرائيل رأسُ هرة ميته ، فإذا صرّخت في التابوت بصُراخ هرة أيقنوا بالنصر ، وجاءهم الفتح .

ثم خلف فيهم ملكٍ يقال له إيلاف ، وكان الله قد بارك لهم في جبلهم من إيليا ، لا يدخله عليهم عدو ، ولا يحتاجون معه إلى غيره ، فكان أحدهم - فيما يذكرون - يجمع التراب على الصخرة ، ثم ينبذ فيه الحب ، فيخرج الله له ما يأكل [منه]^(٣) سنة^(٤) وهو وعياله ، ويكون لأحدهم الزيتونة فيعتصر منها ما يأكل ؛ هو وعياله سنة^(٥) ، فلما عظمت أحداثهم ، وتركوا عهد الله إليهم ، نزل^(٦) بهم عدوٌّ فخرجوا إليه وأخرجوا التابوت كما كانوا يخرجونه ، ثم زحفوا به فقتلوا حتى استلب^(٧) من أيديهم ، فأتى ملكهم إيلاف ، فأخبر أن التابوت قد أخذ واستلب ، فالت عنقه فأت كمداً عليه ، فرج أمرهم بينهم^(٨) واختلف ووطئهم عدوهم حتى أصيب من أبنائهم ونسأهم ، فمكثوا على اضطراب من أمرهم ، واختلف من أحوالهم يتأدون أحياناً في غيهم وضلالهم ، فسלט^(٩) الله عليهم مَنْ ينتقم به منهم ، ويراجعون التوبة أحياناً فيكفيهم الله [عند

(١) الخبر في التفسير ٢٣ : ٦٠ (بولاق) (٢) من ن .

(٣) ا ، والتفسير : « سنته » . (٤) ن : « نهض » . (٥) ا ، ن : « استبي » .

(٦) التفسير : « فرج أمرهم عليهم » ، وابن الأثير : « واختل » .

(٧) ا : « فيسلط » .

ذلك] (١) شر من بَغَاهم سوءاً؛ حتى بعث الله فيهم طالوت ملكاً ، ورد عليهم تابوت الميثاق (٢) .

* * *

وكانت مدة ما بين وفاة يوشع بن نون - التي كان أمر بني إسرائيل في بعضها إلى القضاة منهم والساسة ، وفي بعضها إلى غيرهم ممن يقهرهم فيتملك عليهم من غيرهم إلى أن ثبت الملك فيهم ، ورجعت النبوة اليهم بشمويل بن بالي - أربعمائة سنة وستين سنة . فكان أول من سلط عليهم فيما قيل رجل من نسل لوط ، يقال له: كوشان ، فقهرهم وأذلهم ثمانين سنة ، ثم تنقذهم (٣) من يده أخ لكالب الأصغر يقال له عتيل (٤) بن قيس - فقام بأمرهم فيما قيل - أربعين سنة ، سلط عليهم ملك يقال له جعلون (٥) فلكهم ثمانين سنة ، ثم تنقذهم منه - فيما قيل - رجل من سبط بنيامين يقال له أهود بن جيرا (٦) الأشلّ اليمني ، فقام بأمرهم ثمانين سنة ، ثم سلط عليهم ملك من الكنعانيين يقال له يا فين (٧) ، فلكهم عشرين سنة ، ثم تنقذهم - فيما قيل - امرأة نبية من أنبيائهم يقال لها دبوراً (٨) فدبر أمرهم - فيما قيل - رجل من قبيلها يقال له باراق أربعين سنة ، ثم سلط عليهم قوم (٩) من نسل لوط كانت منازلهم في تخوم الحجاز فلكوهم سبع سنين ، ثم تنقذهم منهم رجل من ولد نفثالي بن يعقوب يقال له جدعون بن يواش (١٠) ، فدبر أمرهم أربعين سنة ، ثم دبر أمرهم من بعد جدعون ابنه أبيملك (١١) بن جدعون ثلاث سنين ، ثم دبرهم من بعد أبيملك تولع بن فوا بن خال أبيملك . وقيل إنه ابن عمه - ثلاثا وعشرين سنة ، ثم دبر

(٢) الخبر في التفسير ٥ : ٢٩٥ ، ٢٩٦

(١) من ا

(٤) ا : « عتيل » .

(٣) ا : « انتقذهم » .

(٥) ط : « جعلون » ، وما أثبتته من ا

(٦) ا : « أعور بن حنا » .

(٧) ا ، ن : « ياقيس » .

(٨) ا ، س ، وفي ح : « ديوار » .

(٩) س : « أهل » ، ن : « ولد » .

(١٠) ا ، ن : « يرانس » .

(١١) ا ، ن : « أينك » .

٥٤٧/١
 أمرهم بعد تولغ رجل من بنى إسرائيل يقال له : يائير ^(١) اثنتين وعشرين سنة ،
 ثم ملكهم بنو عمون ، وهم قوم من أهل فلسطين ثمانى عشرة سنة ، ثم قام
 بأمرهم رجل منهم يقال له يفتح ست سنين ، ثم دبرهم من بعده يخبشون ^(٢) ،
 وهو رجل من بنى إسرائيل سبع سنين ، ثم دبرهم بعده ألون عشر سنين ، ثم
 من بعده كيرون ^(٣) - ويسميه بعضهم عكرون - ثمانى سنين ، ثم قهرهم أهل
 فلسطين وملوكهم أربعين سنة ، ثم وليهم شمسون وهو من بنى إسرائيل عشرين
 سنة ، ثم بقوا بغير رئيس ولا مدبّر لأمرهم بعد شمسون - فيما قيل - عشر
 سنين ، ثم دبر أمرهم بعد ذلك على الكاهن ، وفى أيامه غلب أهل غزة وعسقلان
 على تابوت الميثاق ، فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم أربعين سنة ، بعث
 سمويل نبيا فدبر سمويل ^(٤) أمرهم - فيما ذكر - عشر سنين . ثم سألوا سمويل حين
 نالهم بالذل والهوان بمعصيتهم ربهم أعداؤهم ، أن يبعث لهم ملكا يجاهدون معه
 فى سبيل الله ، فقال لهم سمويل ما قد قصّ الله فى كتابه العزيز .

(١) : « يائير » ، ن : « يائير » .

(٢) : « يخبشون » .

(٣) : « ليزون » .

(٤) : « سمويل » . وهو فى كل مرة يرد اسمه فيها كذلك .

ذكر خبر شمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو
ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت

كان من خير شمويل بن بالى أن بنى إسرائيل لما طال عليهم البلاء ،
وأذلتهم الملوك من غيرهم ، ووطئت بلادهم ، وقتلوا رجالهم ، وسبوا أذراريتهم ،
وعلبوهم ^(١) على التابوت الذى فيه السكينة والبقية ^(٢) مما ترك آل موسى وآل
هارون ، وبه كانوا ينصرون إذا لقوا العدو ، ورغبوا ^(٣) إلى الله عز وجل في أن
يبعث لهم نبياً يقم أمرهم .

فحدثني موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ،
قال : حدثنا أسباط عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وأبي صالح
عن ابن عباس - وعن مرة عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم : كانت بنو إسرائيل يقاتلون العمالقة ، وكان ملك العمالقة
جالوت ، وأنهم ظهروا على بنى إسرائيل فضربوا عليهم الجزية ، وأخذوا توراتهم ،
فكانت بنو إسرائيل يسألون الله أن يبعث لهم نبياً يقاتلون معه ، وكان سبب
النبوة قد هلكوا ، فلم يبق منهم إلا امرأة حبلى فأخذوها فحبسوها في بيت ،
رهبة أن تلد جارية فتبذله بغلام ، لما ترى من رغبة بنى إسرائيل في ولدها ،
فجعلت المرأة تدعو الله أن يرزقها غلاماً ، فولدت غلاماً فسمته سمعون ^(٤) ،
تقول : الله سمع دعائي . فكبر الغلام ، فأسلمته يتعلم التوراة في بيت المقدس ،
وكفله شيخ من علمائهم ، وتبناه ، فلما بلغ الغلام أن يبعثه الله نبياً ، أتاه
جبريل والغلام نائم إلى جنب الشيخ ، وكان لا يأمن ^(٥) عليه أحداً غيره فدعاه
بلحن الشيخ : يا شمويل ، فقام الغلام فزعاً إلى الشيخ ، فقال : يا أبتاه ،

(١) س ، ن : « وعلبوا » .

(٢) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « بقية » .

(٣) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « رغبوا » .

(٤) كذا في ا ، ح ، س ، وفي ط : « سمعون » .

(٥) كذا في ا ، وفي ط : « لا يمتن »

دعوتى! فكره الشيخ أن يقول: لا فيفزع الغلام، فقال: يا بنى، ارجع فم، فرجع الغلام فنام. ثم دعاه الثانية فلباه^(١) الغلام أيضاً، فقال: دعوتى! فقال ارجع فم، فإن دعوتك الثالثة فلا تجبى، فلما كانت الثالثة ظهر له جبرئيل عليه السلام فقال: اذهب إلى قومك فبلّغهم رسالة ربك، فإن الله قد بعثك فيهم نبياً. فلما أتاهم كذبوه وقالوا: استعجلت بالنبوة ولم يالك^(٢) وقالوا: إن كنت صادقاً فابعث لنا ملكاً يقاتل في سبيل الله، آية من نبوتك، قال لهم سمعون: عسى إن كتب عليكم القتال ألا تقاتلوا^(٣).

قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا وأبنائنا بأداء الجزية، فدعا الله فأتى بعضاً، تكون مقداراً على طول الرجل الذى يبعث فيهم ملكاً، فقال: إن صاحبكم يكون طوله هذه العصا، فقاسوا أنفسهم بها، فلم يكونوا مثلها، وكان طالوت رجلاً سقاءً يستقى على حمار له، فضل حماره، فانطلق يطلبه في الطريق، فلما رأوه دعوه فقاسوه بها فكان مثلها، وقال لهم نبينهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾^(٤) قال القوم: ما كنت قط أكذب منك الساعة، ونحن من سببنا المملكة، وليس هو من سببنا المملكة، ولم يؤت أيضاً سعة من المال فنتبعه لذلك، فقال النبي: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾^(٤)، فقالوا: فإن كنت صادقاً فأتنا بآية أن هذا ملك، قال: ﴿إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾^(٥). والسكينة طيست من ذهب يغسل فيها قلوب الأنبياء، أعطاه الله موسى، وفيها وضع الألواح، وكانت الألواح—فيا بلغنا—من در وياقوت وزبرجد، وأما البقية فإنها عصا موسى ورؤضة الألواح، فأصبح التابوت وما فيه في دار

٥٥٠/١

(١) ط: «فأناه»، وما أثبتته من أ.

(٢) كذا في التفسير، وفي ط: «ولم يالك».

(٣) إلى هنا ينتهى الخبر في التفسير ٥: ٢٩٨، ٢٩٩.

(٤) سورة البقرة: ٢٤٧، والخبر في التفسير ٥: ٣١٩. (٥) سورة البقرة: ٢٤٨.

طالوت ، فآمنوا بنبوة سمعون ، وسلموا الملك لطالوت .

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض ، وهم ينظرون إليه حتى وضعته عند طالوت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : نزلت الملائكة بالتابوت نهاراً ينظرون إليه عياناً ، حتى وضعوه بين أظهرهم ، قال : فأقروا غير راضين ، وخرجوا ساخطين .

رجع الحديث إلى حديث السدي . فخرجوا معه وهم ثمانون ألفاً ، وكان جالوت من أعظم الناس وأشدّهم بأساً ، يخرج (١) يسير بين يدي الجند ، ولا يجتمع إليه أصحابه حتى يهزم هو من لقي ، فلما خرجوا قال لهم طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ (٢) وهو نهر فلسطين ، فشربوا منه هيبه من جالوت ، فعبر معه منهم أربعة آلاف ورجع ستة وسبعون ألفاً ، فمن شرب منه عطش ، ومن لم يشرب منه إلا غرفة روى ، فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه ، فنظروا إلى جالوت رجعوا أيضاً وقالوا: ﴿ لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ ﴾ ، الذين يستيقنون ﴿ كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتِ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٣) . فرجع عنه أيضاً ثلاثة آلاف وسبعمائة وبضعة وثمانون ، وخلص في ثلثمائة وتسعة (٣) عشر عدة أهل بدر .

حدثني المثني ، قال ، حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : كان لعيلي الذي ربي شمویل ابنان شابان ، أحدهما في القربان

(١) كذا في ا ، وفي ط : « فخرج » .

(٢) سورة البقرة : ٢٤٩ .

(٣) في ا ، : « بضعة » .

شيئاً لم يكن فيه كان مسوِّط القربان الذى كانوا يسوِّطونه به كلابسين ، فما أخرجوا كان للكاهن الذى يسوِّطه ، فجعله ابناه كلابيب ، وكانا إذا جاءت النساء يصلين فى القدس يتشبثان بهن . فبينما أشمويل نائم قبل البيت الذى كان ينام فيه عيلى إذ سمع صوتاً يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى فقال : لبيك ، فقال : مالك دعوتنى ؟ قال : لا ! ارجع ، فم . فنام ، ثم سمع صوتاً آخر يقول : أشمويل ! فوثب إلى عيلى أيضاً ، فقال : لبيك ؛ مالك دعوتنى ؟ فقال : لم أفعل ، ارجع فم ، فإن سمعت شيئاً فقل : « لبيك » مكانك ، « مررتى فافعل » ، فرجع فنام فسمع صوتاً أيضاً يقول : أشمويل ، فقال : لبيك ، أنا هذا فرنى أفعل ، قال : انطلق إلى عيلى ، فقل له : منعه حبُّ الولد من أن يزجر ابنيه أن يحدثا فى قدسى وقربانى ، وأن يعصيانى ، فلا بزعن منه الكهانة ومن ولده ، ولأهلكته وإياهما ، فلما أصبح سأله عيلى فأخبره ، ففزع لذلك فزعاً شديداً ، فسار إليهم عدوٌّ ممن حوله فأمر ابنيه أن يخرجوا بالناس ويقاتلا ذلك العدو ، فخرجوا وأخرجوا معهم التابوت الذى فيه الألواح وعصا موسى لينتصروا به (١) . فلما تهيئوا للقتال هم وعدوهم جعل عيلى يتوقع الخبر : ماذا صنعوا ؟ فجاءه رجل يخبره (٢) وهو قاعد على كرسيه : أن ابنيك قد قتلا ، وأن الناس قد انهزموا ، قال : فما فعل التابوت ؟ قال : ذهب به العدو قال فشبهت وقع على قفاه من كرسيه فمات ، وذهب الذين سببوا التابوت حتى وضعوه فى بيت آلهتهم ، وطم صنم يعبدونه ، فوضعوه تحت الصنم والصنم من فوقه ، فأصبح من الغد الصنم تحته ، وهو فوق الصنم ، ثم أخذوه فوضعوه فوقه ، وسمروا قدميه فى التابوت ، فأصبح من الغد قد قطعت يد الصنم ورجلاه ، وأصبح ملقى تحت التابوت ، فقال بعضهم لبعض : أليس (٣) قد علمتم أن إله بنى إسرائيل لا يقوم له شيء ! فأخرجوه من بيت آلهتكم . فأخرجوا التابوت فوضعوه فى ناحية من قريتهم ، فأخذ أهل تلك الناحية التى وضعوا فيها التابوت وجع فى أعناقهم ، فقالوا : ما هذا ؟ فقالت لهم جارية كانت عندهم من سنى بنى إسرائيل : لا تزالون

(١) س : « بها » ، التفسير : « لينصروا به » .

(٢) ل ن : « فخبره » .

(٣) ن : « ألسم » .

تروُن ما تكرهون ! ما كان هذا التابوت فيكم ، فأخرجه من قريبتكم . قالوا : ٥٥٣/١
كذبت ، قالت : إن آية ذلك أن تأتوا ببقرتين ، لهما أولاد لم يوضع عليهما
نيرٌ قط ، ثم تضعوا وراءهما العجل ، ثم تضعوا التابوت على العجل وتسيروهما
وتحسبوا أولادهما ، فإيهما تنطلقان به مدعتين ، حتى إذا خرجتا من أرضكم
ووقعتا في أدنى أرض بني إسرائيل كسرتا نيرهما ، وأقبلتا إلى أولادهما ،
ففعلا ذلك ، فلما خرجتا من أرضهم ، ووقعتا^(١) في أدنى أرض بني إسرائيل ،
كسرتا نيرهما وأقبلتا إلى أولادهما ، ووضعته في خربة فيها حصاد من
بني إسرائيل ، ففرع إليه بنو إسرائيل ، وأقبلوا إليه فجعل لا يدنو منه^(٢)
أحد لإمات ، فقال لهم نبيهم أشمويل اعترضوا^(٣) ، فن أنس من نفسه قوة
فأيدن منه ، فعرضوا عليه الناس ، فلم يقدر أحد على أن يدنو منه ؛ إلا
رجلان من بني إسرائيل ، أذن لهما بأن يحملاه إلى بيت أمهما ، وهي أرملة ،
فكان في بيت أمهما ، حتى ملك طالوت ، فصلح أمر بني إسرائيل مع
أشمويل^(٤) . فقالت بنو إسرائيل : لأشمويل : ابعث لنا ملكا يقاتل في سبيل
الله ، قال : قد كفاكم الله القتال ، قالوا إنا نتخوف من حوانا ، فيكون لنا
ملك نفرع إليه ، فأوحى الله إلى أشمويل : أن ابعث لهم طالوت ملكا وادهنه
بدهن القدس ، فضلت حمر لأنى طالوت ، فأرسله وغلاما له يطلبانها فجاء
إلى أشمويل يسألانه عنها ، فقال إن الله قد بعثك ملكا على بني إسرائيل ،
٥٥٤/١ قال : أنا ! قال : نعم ، قال أو ما علمت أن سيطي أدنى أسباط
بني إسرائيل ! قال : بلى ، قال . أفأعلمت أن قبيلتي أدنى قبائل سيطي !
قال : بلى ، قال : أما علمت أن بيتي أدنى بيوت قبيلتي ؟ قال : بلى ، قال : فبآية آية ؟
قال : بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك حمره ، وإذا كنت في مكان كذا وكذا
نزل عليك الوحي . فدهنه بدهن القدس ، وقال لبني إسرائيل : ﴿ إن الله قد
بعث لكم طالوت ملكا قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحقُّ

(١) ن : « ووضعتاه » .

(٢) ن : « إليه » .

(٣) كذا في ا ، ن والتفسير ، وفي ط : « عرضوا » .

(٤) إل هنا ، الخبر في التفسير ٥ : ٣١٨ - ٣٢٠ .

بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتِ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ
وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ (١).

رجع الحديث إلى حديث السدى. ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا
رَبَّنَا أفرغ علينا صبراً﴾ (٢) فعبر يومئذ أبو داود فيمن عبر في ثلاثة عشر
ابناً له ، وكان داود أصغر بنيه وإنه أتاه ذات يوم فقال : يا أبتاه ، ما أرى
بقد آفتى شيئاً إلا صرعته ، قال : أبشر يا بني ، إن الله قد جعل رزقك في
قد آفتك ، ثم أتاه مرة أخرى فقال : يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فوجدت
أسداً رابضاً فركبت عليه وأخذت بأذنيه فلم يهجنى ، فقال : أبشر يا بني ،
فإن هذا خير يعطيكه الله ، ثم أتاه يوماً آخر ، فقال : يا أبتاه إنى لأمشى
بين الجبال فأسبح فلا يبقى جبل إلا سبّح معى ، فقال : أبشر يا بني ، فإن
هذا خير أعطاكه الله— وكان داود راعياً ، وكان أبوه خلفه يأتي إلى أبيه وإلى
إخوته بالطعام — فأتى النبي عليه السلام بقرن فيه دهن وتنور من حديد ،
فبعث به إلى طالوت ، قال : إن صاحبكم الذى يقتل جالوت يوضع هذا القرن
على رأسه ، فيغلى حتى يدّهن منه ولا يسيل على وجهه ، ويكون على رأسه
كهية الإكليل ، ويدخل في هذا التنور فيملاؤه . فدعا طالوت بنى إسرائيل ،
فجرّبهم به فلم يوافقهم منهم أحد ، فلما فرغوا قال طالوت لأبي داود : هل
بقى لك ولد لم يشهدنا ؟ قال : نعم ، بقى ابنى داود ، وهو يأتينا بطعام ، فلما
أتاه داود مرّ في الطريق بثلاثة أحجار فكلّمه وقلن له : خذنا يا داود تقتل بنا
جالوت ، قال : فأخذهن وجعلهن في مخلاته ، وكان طالوت قد قال : من
قتل جالوت زوجته ابنتى ، وأجريت خاتمه فى ملكى ، فلما جاء داود وضعوا
القرن على رأسه ، فغلى حتى ادّهن منه ولبس التنور فملأه ، وكان رجلاً مسقماً
مصفراً ، ولم يلبسه أحد إلا تقلقل فيه ، فلما لبسه داود تضايق التنور عليه
حتى تنقّض ، ثم مشى إلى جالوت ، وكان جالوت من أجسّم الناس وأشدّهم ،

٥٥٥/١

(١) سورة البقرة : ٢٤٧ ، والخبر فى التفسير ٥ : ٣٠٨ ، ٣٠٩

(٢) سورة البقرة : ٢٥٠ .

فلما نظر إلى داود قُدْفَ في قلبه الرعب منه ، فقال له : يا فتى ، ارجع فإني أرحمك أن أقتلك ، فقال داود : لا بل أنا أقتلك . فأخرج الحجارة فوضعها في القَدَافَة ، كلما رفع منها حجرا سماه ، فقال : هذا باسم أبي إبراهيم ، والثاني باسم أبي إسحاق ، والثالث باسم أبي إسرائيل ، ثم أدار القَدَافَة فعدت الأحجار حجراً واحداً ، ثم أرسله فصكَّ به بين عيني جالوت فنسقت رأسه ، ثم قتله ؛ فلم تزل تقتل كلَّ إنسان تصيبه تنفذ فيه ، حتى لم يكن بجياهما أحد ، فهزمهم عند ذلك ، وقتل داود جالوت ، ورجع طالوت فأنكح داود ابنته ، وأجرى خاتمه في ملكه ، قال الناس إلى داود وأحبوه .

٥٥٦/١

فلما رأى ذلك طالوت وجدَّ في نفسه وحسده ، وأراد قتله ، فعلم داود أنه يريد به بذلك^(١) ، فسجى^(٢) له زقَّ خمر في مضعه ، فدخل طالوت إلى منام داود وقد هرب داود ، فضرب الزقَّ ضربة فخرقه ، فسالت^(٣) الخمر منه ، فوَقعت قطرة من خمر^(٤) في فيه ، فقال : يرحم الله داود ، ما كان أكثر شربه للخمر ! ثم إن داود أتاه من القابلة في بيته وهو نائم ، فوضع سهمين عند رأسه ، وعند رجله وعن يمينه وعن شماله سهمين سهمين ، ثم نزل . فلما استيقظ طالوت بصُرَّ بالسهم فعرفها فقال : يرحم الله داود ، هو خير مني ، ظفرت به فقتلته^(٥) وظفرتي فكفت عني ! ثم إنه ركب يوماً فوجده يُمشي في البرية ، وطالوت على فرس ، فقال طالوت : اليوم أقتل داود - وكان داود إذا فرغ لم يدرك - فركض على أثره طالوت ، ففرغ داود ، فاشتدَّ فدخل غاراً ، فأوحى الله إلى العنكبوت فضربت عليه بيتاً ، فلما انتهى طالوت إلى الغار نظر إلى بناء العنكبوت ، فقال : لو كان دخلها هنا لخرق بيت العنكبوت ، فخيَّل إليه فتركه .

٥٥٧/١

وطعن العلماء على طالوت في شأن داود ، فجعل طالوت لا ينهأ أحد عن داود إلا قتله ، وأغراه الله بالعلماء يقتلهم ، فلم يكن يقدر في بني إسرائيل على عالم يُطبق قتله إلا قتله ، حتى أتى بامرأة تعلم اسم الله الأعظم ، فأمر الحبيز^(٦) أن يقتلها ،

(١) س : « يريد ذلك » . (٢) سجي الشيء : غطاه .

(٣) في ا ، ح : « فسالت » والخمر تذكر وتؤنث .

(٤) ط : « الخمر » ، وما أثبتته عن ا ، ح ، س .

(٥) كذا في الأصول ، وفي ابن الأثير : « فأردت قتله » . (٦) كذا في ا ، وفي ط : « الحبيز » .

فرحمها الخباز ، وقال : لعلنا نحتاج إلى عالم . فتركها ، فوقع في قلب طالوت التوبة وندم ، وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس ، وكان كل ليلة يخرج إلى القبور فيبكي ، وينادي : أنشد الله عبداً علم أن لي توبةً إلا أخبرني بها ! فلما أكثر^(١) عليهم [ليالي^(٢)] ناداه مناد من القبور : أن يا طالوت ، أما ترضى أن قتلنا أحياء حتى تؤذينا أمواتاً ! فازداد بكاء وحزناً ، فرحمه الخباز فكلمه فقال : مالك ؟ فقال : هل تعلم لي في الأرض عالماً أسأله : هل لي من توبة ؟ فقال له الخباز : هل تدري ما مثلك ؟ إنما مثلك مثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك ، فتطير منه ، فقال : لا تركوا في القرية ديكاً إلا ذبحتموه ، فلما أراد أن ينام قال : إذا صاح الديك فأيقظونا حتى نُدْرَج^(٣) ، فقالوا له : وهل تركت ديكاً يُسمع صوته ! ولكن هل تركت عالماً في الأرض ! فازداد حزناً وبكاء ، فلما رأى الخباز منه الجِدَّ ، قال : أرايتك إن دلتك على عالم لعلك أن تقتله ! قال : لا ، فتوثق عليه الخباز ، فأخبره أن المرأة العاملة عنده ، قال : انطلقي بي إليها أسألك هل لي من توبة ؟ وكان إنما يعلم ذلك الاسم أهل بيت ؛ إذا فنيت رجالهم علمت النساء ، فقال : إنما إن رأيتك غشبي عليها ، وفزعك منك ، فلما بلغ الباب خلفه خلفه ، ثم دخل عليها الخباز ، فقال لها : أأنت أعظم الناس مئة عليك ؟ أنجيتك من القتل ، وآويتك عندي . قالت : بلى ، قال : فإن لي إليك حاجة ، هذا طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ فغشبي عليها من الفسق ، فقال لها : إنه لا يريد قتلك ، ولكن يسألك : هل له من توبة ؟ قالت : لا ، والله ما أعلم لطالوت توبةً ، ولكن هل تعلمون مكان قبر نبي ؟ قالوا : نعم ، هذا قبر يوشع بن نون ، فانطلقت وهما معها إليه ، فدعت ، فخرج يوشع بن نون ينفض رأسه من التراب ، فلما نظر إليهم ثلاثتهم قال : ما لكم ؟ أقامت القيامة ؟ قالت : لا ، ولكن طالوت يسألك : هل له من توبة ؟ قال يوشع : ما أعلم لطالوت من توبة إلا أن يتخلى من ملكه ، ويخرج هو وولده فيقاتلون^(٤) بين يديه في سبيل الله ، حتى إذا قتلوا شداً هو فقطل ؛ فعسى أن يكون

٥٥٨/١

(١) ح ، س : « كثر » . (٢) تكلمة من ا ، ح ، س .

(٣) الإدلاج هنا : السير آخر الليل .

(٤) ن : « يقاتلون » .

ذلك له توبة ، ثم سقط ميتاً في القبر .

ورجع طالوت أحزن ما كان ؛ رهبة^(١) ألا يتابعه ولده ، فبكى حتى سقطت أشفار عينيه ، ونحل جسمه ، فدخل عليه بنوه وهم ثلاثة عشر رجلاً فكلّموه وسألوه عن حاله ، فأخبرهم خبره ، وما قيل له في توبته ، فسألهم أن يغزوا معه ، فجهدّهم فخرجوا معه ، فشدوا بين يديه حتى قتلوا ، ثم شدّ بعدهم هو فقتل ، وملك داود بعد ذلك ، وجعله الله نبياً ، فذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَأَتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ ؛ قيل : هي النبوة ؛ آتاه نبوة شمعون وملك طالوت .

* * *

واسم طالوت بالسريانية شاول بن قيس بن أبيال^(٢) بن ضرار بن بحدت^(٣) بن أفيح بن آيش^(٤) بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم^(٥) .
وقال ابن إسحاق : كان النبيّ الذي بعث لطالوت من قبره حتى أخبره بتوبته اليسع بن أخطوب ؛ حدثنا بذلك ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق .

* * *

وزعم أهل التوراة أنّ مدة ملك طالوت من أولها إلى أن قتل في الحرب مع ولده كانت أربعين سنة .

(١) ١ ، س : « قط رهبة » .

(٢) ن : « أنيال » .

(٣) ١ والتفسير : « يحرب » .

(٤) التفسير : « آيس » .

(٥) التفسير ٥ : ٣٠٨ .

ذكر خبر داود بن إيشي بن عويد بن باعز بن سلمون بن
 نحشون بن عمي نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن
 يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم

وكان داود عليه السلام^(١) - فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة
 عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه - قصيراً أزرق
 قليل الشعر ، طاهر القلب نقيته .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : حدثني
 ابن زيد في قول الله : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ
 حَدَرَ الْمَوْتَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴾^(٢) قال : أوحى الله
 إلى نبيهم أن في ولد فلان رجلاً يقتل الله به جالوت ، ومن علامته هذا القرن
 يضعه على رأسه فيفيض ماء ، فأتاه فقال : إن الله عز وجل أوحى إلى أن في
 ولدك رجلاً يقتل الله به جالوت . فقال : نعم يانبي الله ، قال : فأخرج له
 اثني عشر رجلاً أمثال السواري^(٣) ، وفيهم رجل بارع [عليهم]^(٤) ، فجعل يعرضهم
 على القرن فلا يرى شيئاً ، فيقول لذلك الجسم : ارجع ، فيردده عليه ، فأوحى الله إليه :
 إنا لا نأخذ الرجال على صورهم ، ولكننا نأخذهم على صلاح قلوبهم ، قال : يارب ،
 قد زعم أنه ليس له ولد غيره ، فقال : كذب ، فقال : إن ربي قد كذبك ،
 وقال : إن لك ولداً غيره . قال : قد صدق يا نبي الله ، إن لي ولداً قصيراً استحيت
 أن يراه الناس فجعلته في الغم ، قال : فأين هو ؟ قال : في شعب كذا
 وكذا ، من جبل كذا وكذا ، فخرج إليه فوجد الوادي قد سال بينه وبين
 البقعة التي كان يربح^(٥) إليها . قال : ووجدته يحمل شاتين شاتين ، يُجيزُ بهما
 السبيل ولا يخوض بهما السبيل . فلما رآه قال : هذا هو ، لا شك فيه ، هذا

٥٦٠/١

(١) ١ : « وكان داود رجلاً » . (٢) سورة البقرة ٢٤٣ - ٢٤٦ .

(٣) السواري : الأعمدة ، جمع سارية . (٤) تكلمة من ا والتفسير ، والبارع : الذي

يفرق أصحابه في العلم وغيره . (٥) أراح الغنم : ردها إلى مراحيها .

يرحم البهائم ، فهو بالناس أرحم ! قال : فوضع القرن على رأسه ففاض (١) .

حدثني المثني ، قال : حدثنا إسحاق ، قال ، حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه قال : ٥٦١/١
لما سلمت بنو إسرائيل الملكَ لطالوت ، أوحى الله إلى نبي بني إسرائيل : أن قل لطالوت : فليغزُ أهلَ مديَن ، فلا (٢) يترك فيها حياً إلا قتله ، فإن سَأظهرُهُ عليهم ، فخرج بالناس حتى أتى مدينَ ، فقتل مَنْ كان فيها ، إلا ملكهم فإنه أسره ، وساق مواشيهم ، فأوحى الله إلى أشمويل : ألا تعجبُ من طالوت إذ أمرته بأمرى فاختل (٣) فيه ، فجاء بملكهم أسيراً ، وساق مواشيهم ! فאלقه فقل له : لأنزعنَّ الملك من بيته ، ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فإنني إنما أكرمُ مَنْ أطاعني ، وأهينُ مَنْ هان عليه أمرى . فلقية فقال له : ما صنعت ! لم جئت بملكهم أسيراً ، ولم سقت مواشيهم ؟ قال : إنما سقت المواشي لأقربها (٤) ، قال له أشمويل : إن الله قد نزع من بيتك الملك ثم لا يعود فيه إلى يوم القيامة ، فأوحى الله إلى أشمويل : انطلق إلى إيشي فيعرض عليك بنيه ، فادهنُ الذي أمرك بدهنُ القدس ، يكنُ ملكاً على بني إسرائيل . فانطلق حتى أتى إيشي ، فقال : اعرضْ عليّ بنيك ، فدعا إيشي أكبرَ ولده ، فأقبل رجل جسم حسنُ المنظر ، فلما نظر إليه أشمويل أعجبه ، فقال : الحمد لله ، إن الله بصير بالعباد ! فأوحى الله إليه : إن عينيك تبصران ما ظهر ، وإني أطلع على ما في القلوب ، ليس بهذا ! فقال : ليس بهذا ، اعرض عليّ غيره . فعرض عليه ستة ، في كل ذلك يقول : ليس بهذا ، اعرض عليّ غيره ، فقال : هل لك من ولدٍ غيرهم ؟ فقال : ٥٦٢/١ بلى (٥) ، لي غلام أمغر (٦) وهو راع في الغنم . قال : أرسل إليه ، فلما أن جاء داود ، جاء غلام أمغر ؛ فدهنه بدهن القدس ، وقال لأبيه : اكرم هذا ،

(١) الخبر في التفسير ٥ : ٣٦٦ - ٣٦٧ على وجه أطول .

(٢) ح ، س : « ولا يترك » . (٣) اختل ، من الختل وهو الفساد ، وفي أ : « فاختر » .

(٤) لأقربها ، أي لأجملها قرباناً .

(٥) ح : « بولي » .

(٦) الأمغر : الأحمر الشعر والجلد .

فإن طالوت لو يطّلع عليه قتله . فسار جالوت في قومه إلى بني إسرائيل فعسكر ، وسار طالوت ببني إسرائيل وعسكر ، وتهبّثوا للقتال ، فأرسل جالوت إلى طالوت : لِمَ يَقتل قومي وقومك ؟ ابرز لي ، أو أبرز لي مَنْ شئت ، فإن قتلتك كان الملك لي ، وإن قتلتنّي كان الملك لك . فأرسل طالوت في عسكره صائحاً : مَنْ يبرز لجالوت ! ثم ذكر قصة طالوت وجالوت وقتل داود إياه ، وما كان من طالوت إلى داود^(١) .

* * *

قال أبو جعفر : وفي هذا الخبر بيان أن داود قد كان الله حوّل الملك له قبل قتله جالوت ، وقبل أن يكون من طالوت إليه ما كان من محاولته قتله ، وأما سائر مَنْ روينا عنه قولاً في ذلك ، فإنهم قالوا : إنما ملك داود بعد ما قتل طالوت وولده .

وقد حدثنا ابن حميد ، قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق - فيما ذكر لي بعض أهل العلم - عن وهب بن منبّه قال : لما قتل داود جالوت ، وانهمز جندّه قال الناس : قتل داود جالوت وخلع طالوت ، وأقبل الناس على داود مكانه حتى لم يسمع لطالوت بكسر .

قال : ولما اجتمعت بنو إسرائيل على داود أنزل الله عليه الزبور ، وعلمه صنعة الحديد ، وألأته له ، وأمر الجبال والطير أن يسبحن معه إذا سبح ، ولم يعط الله - فيما يذكر - أحداً من خلقه مثل صوته ، كان إذا قرأ الزبور - فيما يذكر - ترنوله الوحوش^(٢) حتى يؤخذ بأعناقها ، وإنها لمُصيخة تسمع لصوته ، وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج^(٣) إلا على أصناف صوته ، وكان شديد الاجتهاد ، دائب العبادة ، كثير البكاء ، وكان كما وصفه الله عزّ وجلّ لنبيه محمد عليه السلام فقال : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ﴾

٥٦٣/١

(١) الخبر وبقيته في التفسير ٥ : ٣٥٩ - ٣٦٣ .

(٢) كذا في أ ، ن ، وفي ط : « الوحش » .

(٣) المزامير : جمع مزمار ؛ وهو ما يزم به . والبرابط : جمع بربط ؛ وهو العود .

والصنوج : جمع صنح ؛ وهو آلة بأوتار يضرب بها .

ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ * إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١﴾ ،
يعنى بذلك ذا القوة .

وقد حدثنا بشر بن معاذ ، قال ، حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن
قتادة : ﴿ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾ ، قال : أعطيت قوة في
العبادة ، وفقها في الإسلام . وقد ذُكِرَ (٢) لنا أن داود عليه السلام كان يقوم الليل ويصوم
نصف الدهر (٣) . وكان يحرسه - فيما ذكر - في كل يوم وليلة أربعة آلاف .

حدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال :
حدثنا أسباط ، عن السدي ، في قوله : ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ ﴾ (٤) ، قال : كان
يحرسه كل يوم وليلة أربعة آلاف .

وذكر أنه تمنى يوماً من الأيام على ربه منزلة آبائه إبراهيم وإسحاق
ويعقوب ، وسأله أن يمتحنه بنحو الذي كان امتحنهم ، ويعطيه من الفضل
نحو الذي كان أعطاهم .

فحدثني محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل ، قال :
حدثنا أسباط ، قال : قال السدي : كان داود قد قسم الدهر ثلاثة أيام :
يوماً يقضي فيه بين الناس ، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه ، ويوماً يخلو فيه
لنسائه ، وكان له تسع وتسعون امرأة ، وكان فيما يقرأ من الكتب أنه كان
يجد فيه فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، فلما وجد ذلك فيما يقرأ (٥) من الكتب ،
قال : يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آباء الذين كانوا قبلي ، فأعطني
مثل ما أعطيتهم ، وافعل بي مثل ما فعلت بهم . قال : فأوحى الله إليه أن
آباءك ابتلوا ببلايا لم تبتل بها ، ابتلى إبراهيم بذبح ابنه ، وابتلى إسحاق
بذهاب بصره ، وابتلى يعقوب بحزنه على ابنه يوسف ، وإنك لم تبتل من ذلك
بشيء . قال : يا رب ابتلني بمثل ما ابتليتهم به ، وأعطني مثل ما أعطيتهم . قال :

(١) سورة ص ١٧ ، ١٨ (٢) كذا في التفسير ، وفي ط : « فذكر » .

(٣) إلى هنا الخبر في التفسير ٢٣ : ٨٦ (بولاق) . (٤) سورة ص ٢٠

(٥) ١ : « قرأ » .

فأوحى إليه إنك مبتلي فاحترس^(١). قال: فكث بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب، حتى وقع عند^(٢) رجلتيه وهو قائم يصلتي، قال: فدّ يده ليأخذه فتنحّي فتبعه، فتباعه حتى وقع في كوة، فذهب ليأخذه، فطار من الكوة، فنظر: أين يقع فيبعث^(٣) في أثره، قال: فأبصر امرأة تغتسل على سطح لها، فرأى امرأة من أجمل النساء^(٤) خلقاً، فحانت منها التفاتة فأبصرته، فألقت شعرها فاستترت به، قال: فزاده ذلك فيها رغبة، قال: فسأل عنها فأخبر أن لها زوجاً، وأن زوجها غائب بمسلة كذا وكذا، قال: فبعث إلى صاحب المسلة يأمره أن يبعث أهراباً إلى عدو كذا وكذا. قال: فبعثه ففتح له، قال: وكتب إليه بذلك، فكتب إليه أيضاً: أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا، أشد منهم بأساً. قال: فبعثه ففتح له أيضاً، قال: فكتب إلى داود^(٥) بذلك، قال: فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا. قال: فبعثه، قال: فقتل المرّة الثالثة، قال: وتزوج داود امرأته، فلما دخلت عليه لم تلبث عنده إلا يسيراً حتى بعث الله ملكين في صورة إنسيين فطلبوا أن يدخلوا عليه، فوجداه في يوم عبادته، فمنعهما الحرس أن يدخلوا عليه، فتسورا عليه المحراب، قال: فما شعرو وهو يصلتي إذا هوبهما بين يديه جالسين، قال: ففزع منهما، فقالا: لا تخف، إنما نحن خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط، يقول: لا تحيف، (وأهدنا إلى سواء الصراط) إلى عدل القضاء. قال: فصأ على قصتكما، قال: فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَمَجَةً وَلِي نَمَجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾^(٦). فهو يريد أن يأخذ نعجتي، فيكمل بها نعاجه مائة، قال: فقال للآخر:

(١) ن: «فاصبر».

(٢) ١: «بين رجلتيه».

(٣) ١: «وقع فتبعه»، وفي ن: «فيتبع أثره».

(٤) ن والتفسير: «الناس».

(٥) ن والتفسير: «إليه».

(٦) سورة ص ٢٢، ٢٣.

ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة، ولأخي هذا نعجة واحدة، فأنا أريد أن آخذها منه، فأكمل بها نعاजी مائة، قال: وهو كاره! قال: وهو كاره، قال: إذآ لا نَدَعُكَ وَذَاكَ، قال: ما أنت على ذلك بقادر! قال: فإن ذهبت تَرُومُ ذلك أو تريد ذلك، ضربنا منك هذا وهذا - وفسرَّ أسباط طَرَفِ الأنفِ والجبهة - فقال: يا داود، أنت أحقُّ أن يُضْرَبَ منك هذا وهذا، حيث لك تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأهريا^(١) إلا امرأة واحدة. فلم تزل به تعرّضه للقتل حتى قُتِلَ، وتزوَّجت امرأته. قال: فنظر فلم يرَ شيئاً، قال: فعرّف ما قد وقع فيه، وما ابتلي به، قال: فخرَّ ساجداً فبكى، قال: فكث يبكي ساجداً أربعين يوماً لا يرفع رأسه إلا لحاجة لا بدّ منها، ثم يقَع ساجداً يبكي، ثم يدعو حتى نبت العُشب من دموع عينيه، قال: فأوحى الله عزّ وجلّ إليه بعد أربعين يوماً: يا داود، ارفع رأسك فقد غفرتُ لك، فقال: يا ربّ، كيف أعلم أنّك قد غفرتَ لي وأنت حكيمٌ عدلٌ لا تحيفُ في القضاء؛ إذا جاء أهريا يومَ القيامة آخذاً رأسه بيمينه أو بشماله تشخّبُ أوداجه^(٢) دماً في قبَلِ عرشك: يقول: يا ربّ، سل هذا فيمَ قتلني! قال: فأوحى الله إليه: إذا كان ذلك دعوتُ أهريا فأستوهبك منه، فيهبك لي فأثيبه بذلك الجنة. قال: ربّ الآن علمت أنّك قد غفرتَ لي، قال: فما استطاع أن يملأ عينيه من السماء حياءً من ربه حتى قبض^(٣).

حدثني علي بن سهل، قال: حدثنا الوليد بن مسلم، عن عبد الرحمن ابن يزيد بن جابر، قال: حدثني عطاء الخراساني، قال: نقّس داود خطيئته في كفّه لكيلا ينساها؛ فكان إذا رآها خفقت يده واضطربت.

* * *

وقد قيل: إن سببَ الحنة بما امتحن به، أن نفسه حدثته أنه يطبق قطع يوم من الأيام بغير مُقارفة سوء، فكان اليوم الذي عرّض له فيه ما عرض، اليوم الذي ظن أنه يقطعه بغير اقرار سوء.

(١) ن: «لأوريا». (٢) تشخّب أوداجه: تسيل دماً.

(٣) الخبر في التفسير ٢٣، ٩٢، ٩٤ (بولاق).

* ذكر من قال ذلك :

حدثنا بشر ، قال : حدثنا يزيد ، قال : حدثنا سعيد ، عن مطر ، عن الحسن ، أن داود بجزأ الدهر أربعة أجزاء : يوماً لِنِسائِه ، ويوماً لعبادته ، ويوماً لقضاء بني إسرائيل ، ويوماً لبني إسرائيل ؛ يذاكرهم ويذاكرونه ، ويُبكيهم ويُبكونه . فلما كان يوم بني إسرائيل ، ذكروا فقالوا : هل يأتي على الإنسان يومٌ لا يصيب فيه ذنباً ! فأضمر داود في نفسه أنه سيُطيق ذلك ، فلما كان يوم عبادته غلّق (١) أبوابه ، وأمر ألاّ يُدخَلَ عليه أحد ، وأكبّ على التوراة ، فبينما هو يقرؤها إذا حمامة من ذهب ، فيها من كل لون حسن ، قد وقعت بين يديه ، فأهوى إليها ليأخذها ، قال : فطارت فوقعت غير بعيد ، من غير أن تؤثسّه من نفسها ، قال : فازال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل ، فأعجبه خلقها وحسنها ، فلما رأت ظلّه في الأرض جلّت نفسها بشعرها ، فزاده ذلك أيضاً إعجاباً بها ، وكان قد بعث زوجته على بعض جيوشه ، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا (مكان إذا سار إليه لم يرجع) قال : ففعل فأصيب ، فخطبها فترّوجها - قال : وقال قتادة بلغنا أنها أم سليمان - قال : فبينما هو في المحراب إذ تسوّر الملكان عليه ، وكان الحصان إذا أتوه يأتونه من باب المحراب ، ففزع منهم حين تسوّروا المحراب ، فقالوا : ﴿ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ وَلَا تُشِطُّ ﴾ أي ولا تمل ﴿ وَأَهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴾ أي أعدله وخيره ، ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْمَةً ﴾ - وكان لداود تسع وتسعون امرأة - ﴿ وَإِلَى نَعْمَةٍ وَاحِدَةٍ ﴾ قال : وإنما كان للرجل امرأة واحدة ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ ، أي ظلمني وقهرني . ﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ ﴾ - إلى ﴿ وَظَنَّ دَاوُدُ ﴾ ، فعلم أنما أضمر له ، أي عنتي بذلك ، ﴿ فَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴾ (٢) .

٥٦٨/١

(١) والتفسير : « أغلق » .

(٢) سورة ص ٢٢ - ٢٤ ، والخبر في التفسير ٢٣ : ٩٤ ، ٩٥ (بولاق) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا ابن إدريس ، قال : سمعت
 ليثاً يذكر عن مجاهد ، قال : لما أصاب داود الخطيئة ، خَرَّ لهُ ساجداً أربعين
 يوماً ، حتى نبت من دموع عينيه من البقل ما غطى رأسه ، ثم نادى : يا ربَّ
 قريحَ الجبين ، وجمدت العين ! وداود لم يُرْجَع إليه في خطيئته شيء . فنودي :
 أجاجع فتطعم ؟ أم مريض فتشفي ؟ أم مظلوم فينتصر لك ! قال : فنجب
 نَحْبَةً هاج كل شيء كان نبت ، فعند ذلك غُفِرَ له . وكانت خطيئته
 مكتوبة بكفه يقرؤها ، وكان يُؤْتَى بالإناء ليُشرب فلا يشرب إلا ثلثه أو نصفه ،
 وكان يذكر خطيئته فينتحب النَّحْبَةَ تكاد مفاصله يزول بعضها عن (١) بعض ،
 ثم ما يتم شربه حتى يملأ الإناء من دموعه . وكان يقال : إن دمعة داود تعدل دمعة
 الخلائق ، ودمعة آدم تعدل دمعة داود ودمعة الخلائق . قال : وهو يجيء يوم
 القيامة خطيئته مكتوبة بكفه فيقول : ربَّ ذنبي ذنبي قدَّمْتَنِي ! قال :
 فيقدِّم فلا يأمن ، فيقول : ربَّ أخرنِي ، قال : فيؤخَّر فلا يأمن (٢) .

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني
 ابن لهيعة ، عن أبي صخر ، عن يزيد الرقاشي ، عن أنس بن مالك يقول (٣) :
 سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن داودَ النبي عليه السلام حين
 نظر إلى المرأة (٤) فأهيم ، قَطَعَ (٥) على بني إسرائيل بعثاً ، فأوصى صاحب
 البعث ، فقال : إذا حضر العدو فقرب فلاناً بين يدي التابوت ، وكان التابوتُ
 في ذلك الزمان يستنصر به مَنْ قدم بين يدي التابوت لم يرجع حتى يقتل
 أو ينهزم عنه الجيش ، فقُتِلَ زوج المرأة ، ونزل الملكان على داود يقصان عليه
 قصته ، ففطن داوداً فسجد ، فكث أربعين (٦) ليلة ساجداً ، حتى نبت
 الزرع من دموعه على رأسه ، وأكلت الأرض من جبينه ، وهو يقول في سجوده -

(١) ح ، س : « من بعض » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق)

(٣) أ : « قال » ، وفي التفسير : « سمعه يقول » .

(٤) ط : « مرأة » ؛ وما أثبتته عن التفسير .

(٥) أي أفرد قوماً منهم ، وبمعهم في الغزو ؛ ومنه الحديث : « كان إذا أراد أن يقطع بعثاً ... »

وانظر النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٦٤ . (٦) ن : « أربعين يوماً وليلة » .

فلم أحص (١) من الرقاشي إلا هؤلاء الكلمات : رَبُّ زَلَّ داود زلةً أبعد مما بين المشرق والمغرب ! رَبُّ إِنْ لَمْ تَرْحَمْ ضَعْفَ داود ، وتغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخُلوْف من بعده . فجاءه جبرئيلُ من بعد أربعين ليلةً فقال : يا داود ، إنَّ الله قد غفر لك الهَمَّ الذي هممتَ به ، فقال داود : قد علمتُ أنَّ الله قادر على أن يغفر لي الهَمَّ الذي هممتُ به ، وقد عرفتُ أنَّ الله عدلٌ لا يميل ، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة ؛ فقال : يا رَبِّ دُمى الذي عند داود ! فقال جبرئيل : ما سألتُ ربَّكَ عن ذلك ، ولئن شئتَ لأفعلنَّ ، قال : نعم ، قال : فخرج جبرئيل وسجد داود ، فكث ما شاء الله ثم نزل ، فقال : قد سألتُ الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال : قل له : يا داود ، إنَّ الله يجمعكما يوم القيامة فيقول : هب لي دَمَك الذي عند داود ، فيقول : هو لك يا رَبِّ ، فيقول : فإن لك في الجنة ما شئتَ وما اشتهيتَ عِوَصاً (٢) .

٥٧٠/١

* * *

ويزعم (٣) أهلُ الكتاب أن داود لم يزل قائماً بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان ، فلما واقع ما واقع من الخطيئة اشتغل بالتوبة منها - فيما زعموا - واستخف به بنو إسرائيل ، ووثب عليه ابن له يقال له إيشي ، فدعا إلى نفسه فاجتمع إليه أهلُ الزَّيغ من بني إسرائيل ، قالوا : فلما تاب الله على داود ثابتٌ إليه ثابتة من الناس ، فحارب ابنه حتى هزمه ، ووجهه في طلبه قائداً من قواده ، وتقدّم إليه أن يتوق حتفَه ، ويتلطّف لأسره ، فطلبه القائد وهو منهزم ، فاضطره إلى شجرة فركض فيها - وكان ذا جُمَّة - فتعلّق بعض أغصان الشجرة بشعره فحبسه ، ولحقه القائد فقتله مخالفاً لأمر داود ، فحزن داود عليه حزناً شديداً ، وتنكّر للقائد ، وأصاب بني إسرائيل في زمانه طاعون جارف ، فخرج بهم إلى موضع بيت المقدس يدعون الله ويسألونه كشف ذلك البلاء عنهم ، فاستجيب لهم ، فاتخذوا ذلك الموضع مسجداً ، وكان ذلك - فيما قيل - لإحدى عشرة سنة مضت من ملكه . وتوفى قبل أن يستم بناءه ، فأوصى

٥٧١/١

(١) ن ؛ « أحفظ » .

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٩٦ (بولاق) .

(٣) ١ : « وزعم » .

إلى سليمان باستمّاه ، وقتل القائد الذي قتل أخاه ، فلما دفنه سليمانُ نفذ لأمره في القائد وقتله ، واستمّ بناء المسجد .

وقيل في بناء داود ذلك المسجد ما حدثنا محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثني إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل : أنه سمع وهب بن منبه يقول : إن داودَ أراد أن يعلم عدد بني إسرائيل كم هم ؟ فبعث لذلك عُرْفَاءَ ونقباء ، وأمرهم أن يرفعوا إليه ما بلغ عددُهم ، فعتب الله عليه ذلك ، وقال : قد علمت أني وعدتُ إبراهيم أن أبارك فيه وفي ذريته حتى أجعلهم كعدد نجوم السماء ، وأجعلهم لا يحصى عددُهم ، فأردت أن تعلم عدد ما قلت : إنه لا يحصى عددُهم ، فاخترتوا بين أن أبتليكم بالجوع ثلاث سنين ، أو أسلط عليكم العدو ثلاثة أشهر ، أو الموت ثلاثة أيام ! فاستشار داودُ في ذلك بني إسرائيل فقالوا : ما لنا بالجوع ثلاث سنين صبر ، ولا بالعدو ثلاثة أشهر ، فليس لهم بقيّة ، فإن كان لا بدّ فالموت بيده لا بيد غيره . فذكر وهب بن منبه أنه مات منهم في ساعة من نهار ألف كبير ، لا يدري ما عددهم ، فلما رأى ذلك داود ، شقّ عليه ما بلغه من كثرة الموت ، فبتّل إلى الله ودعاه فقال : يا ربّ ، أنا آكلُ الحمّاض^(١) وبنو إسرائيل يضرّسون ! أنا طلبتُ ذلك فأمرتُ به بني إسرائيل ، فما كان من شيء في^(٢) واعفُ عن بني إسرائيل . فاستجاب الله له ورفع عنهم الموت ، فرأى داود الملائكة سألين سيوفهم يغمسونها ، يرتقون في سلّم من ذهب من الصخرة إلى السماء ، فقال داود : هذا مكان ينبغي أن يُبنى فيه مسجد ، فأراد داود أن يأخذ في بنائه ، فأوحى الله إليه أن هذا بيت مقدّس ، وأنتك قد صبغت يديك في الدماء ، فلست ببانيه ، ولكن ابن لك أملاكه بعدك أسميه^(٣) سليمان ، أسلمه من الدماء .

فلما ملك سليمان بناءه وشرّفه ، وكان عمر داود - فيما وردت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - مائة سنة .

وأما بعض أهل الكتب ، فإنه زعم أن عمره كان سبعاً وسبعين سنة ، وأن مدّة ملكه كانت أربعين سنة .

(١) الحمّاض : ما في جوف الأترجة . (٢) ن : « فو » . (٣) ا : « اسمه » .

ذکر

خبر سليمان بن داود عليهما السلام

ثم ملك سليمان بن داود بعد أبيه داود أمر بني إسرائيل ، وسخر الله له الجن والإنس والطير والريح ، وآتاه مع ذلك النبوة ، وسأل ربه أن يؤتیه ملكا لا ينبغي لأحد من بعده ، فاستجاب [الله] (١) له فأعطاه ذلك .

كان فيما حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم، عن وهب بن منبه: إذا خرج من بيته إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الإنس والجن ، حتى يجلس على سريره (٢) ، وكان - فيما يزعمون - أبيض جسيماً وضيئاً ، كثير الشعر يلبس من الثياب البيضاء ، وكان أبوه في أيام ملكه بعد أن بلغ سليمان مبلغ الرجال يشاوره - فيما ذكر - في أموره . وكان من شأنه وشأن أبيه داود الحكم في الغنم التي نفشت في حرث القوم ، الذين قص الله في كتابه خبرهم وخبرهما فقال : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴾ ففهمناها سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا (٣) .

٥٧٣/١

فحدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم ، قالا : حدثنا المحاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود في قوله : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ﴾ ، قال : كرم قد أنبتت عناقيده فأفسدته ، قال : فقضى داود بالغنم لصاحب الكرم ، فقال سليمان : غير هذا يا نبي الله ؟ قال : وما ذلك ؟ قال : تدفع الكرم إلى صاحب الغنم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغنم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان ، دفعت الكرم إلى

(١) تكله من ا . (٢) ن : « جلس مجلسه » . (٣) سورة الأنبياء ٧٨ ، ٧٩

صاحبه ، ودفعت الغنم إلى صاحبها . فذلك قوله : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾ . ٥٧٤/١
 وكان رجلاً غزّاء لا يكاد يقعد عن الغزو ، وكان لا يسمع بملك في ناحية
 من الأرض إلا أناه حتى يدّ له . وكان فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ،
 عن ابن إسحاق - فيما يزعمون - إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بخشب ،
 ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى
 إذا حمل معه ما يريد ، أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الخشب ،
 فاحتلمته حتى إذا استقلت به أمر الرّخاء فرّ به شهراً في روحته ، وشهراً في
 غدوته إلى حيث أراد . يقول الله عز وجل : ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ
 رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ (٢) ، أى حيث أراد ، وقال الله : ﴿ وَاسْلَيْمَانَ الرِّيحَ
 غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَّاحُهَا شَهْرٌ ﴾ (٣) .

قال : وذكر لى أن منزلاً بناحية دجلة مكتوب فيه : كتاب كتبه بعض
 أصحاب (٤) سليمان ، إما من الجن ، وإما من الإنس : « نحن نزلناه وما بنيناه ،
 ومبنيًا وجدناه ، غدونا من إصطخر فقلناهُ (٥) ، ونحن راثعون منه إن شاء الله ،
 فباتون (٦) بالشام (٧) . »

قال : وكان - فيما بلغني - تمرّ بعسكره الريح ، والرّخاء (٨) تهوى به إلى ما أراد ،
 وإنها لتمرّ بالمرعة فما تحرّكها .

وقد حدثنا القاسم بن الحسن ، قال : حدثني الحسين ، قال : حدثني
 حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، قال : بلغنا أن سليمان
 كان عسكره مائة فرسخ ، خمسة وعشرون منها للإنس ، وخمسة وعشرون للجن ،
 وخمسة وعشرون للوحش ، وخمسة وعشرون للطير ، وكان له ألف بيت من
 قوارير على الخشب ، فيها ثلثمائة صريحة ، وسبعمائة سرّية ، فأمر الريح العاصف

(١) الخبر في التفسير ١٧ : ٣٨ (بولاق) (٢) سورة ص ٣٦

(٣) سورة سبأ ١٢ (٤) ا والتفسير : « صحابة » .

(٥) ا : « فقلناهُ » . (٦) ا ، ن : « فأتون » .

(٧) الخبر في التفسير ٢٢ : ٤٨ (بولاق) . (٨) الرخاء : الريح اللينة .

فرفعت^(١) وأمر الرخاء فسيرته ، فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض :
 أنى قد زدتُ في ملكك ، أنه لا يتكلم أحدٌ من الخلائق إلا جاءت به الريح
 وأخبرتكَ .

حدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن
 المنهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان
 ابن داود يوضع له ستائة كرسى ، ثم يجيء أشرافُ الإنس فيجلسون مما يليه ، ثم
 يجيء أشرافُ الجن فيجلسون مما يلي الإنس ، قال : ثم يدعو الطير فتظلمهم ،
 ثم يدعو الريح فتحملهم ، قال : فتسير في الغداة الواحدة مسيرة شهر .

٥٧٦/١

ذكر

ما انتهى إلينا من مغازي سليمان عليه السلام

فمن ذلك غزوته التي راسل فيها بلقيس - وهي فيما يقول أهل الأنساب -
 يلمقة^(١) ابنة الیشرح - ويقول بعضهم : ابنة أبي شرح ، ويقول بعضهم : ابنة
 ذي شرح - بن ذي جدان بن أبي شرح بن الحارث بن قيس بن صيفي بن سبأ
 ابن يشجب بن يعرب بن قحطان . ثم صارت إليه سلمياً بغير حرب ولا قتال .
 وكان سبب مراسلته إياها - فيما ذكر - أنه فقَد الهدهد يوماً في مسيرٍ كان يسيره ،
 واحتاج إلى الماء فلم يعلم مَنْ حضره بعُدّه ، وقيل له علم ذلك عند الهدهد ، فسأل
 عن الهدهد فلم يجده . وقال بعضهم : بل إنما سأل سليمان عن الهدهد لإخلاقه بالنبوة .
 فكان من حديثه وحديث مسيره ذلك وحديث بلقيس ، ما حدثني العباس
 ابن الوليد الآملي ، قال : حدثنا علي بن عاصم ، قال : حدثنا عطاء بن السائب ،
 قال : حدثني مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : كان سليمان بن داود إذا سافر
 أو أراد سفراً قعد على سريره ، ووضعت الكراسي يميناً وشمالاً ، فيأذن
 للإنس ، ثم يأذن للجن عليه بعد الإنس ، فيكونون خلف الإنس ، ثم يأذن
 للشياطين بعد الجن فيكونون خلف الجن ، ثم يرسل إلى الطير فتظلمهم من
 فوقهم ، ثم يرسل إلى الريح فتحملهم وهو على سريره ، والناس على الكراسي
 فتسير بهم ، غدوها شهر ورواحها شهر ، رخاء حيث أصاب ، ليس بالعاصف
 ولا اللين ، وسطا بين ذلك . فبينما سليمان يسير - وكان سليمان اختار من كل
 طير طيراً ، فجعله رأس تلك الطير ، فإذا أراد أن يسأل شيئاً من تلك الطير
 عن شيء سأل رأسها - فبينما سليمان يسير إذ نزل مفازة فسأل عن بُعد الماء ها هنا ،
 فقال الإنس : لا ندري ، فسأل الجن فقالوا : لا ندري ، فسأل الشياطين ،
 فقالوا : لا ندري ، فغضب سليمان فقال : لا أبرح حتى أعلم كم بُعد مسافة
 الماء ها هنا ! قال : فقالت له الشياطين : يا رسول الله لا تغضب ، فإن يك
 شيئاً يعلم فالهدهد يعلمه ، فقال^(٢) سليمان : على بالهدهد ، فلم يوجد ، فغضب

(١) ح : « بلعمه » ، ا ، س : « بلقمة » . (٢) ط : « قال »

سليمان فقال : ﴿ مَا لِي لَا أَرَى الْهَدَّهْدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ . لَأَعَذِّبَنَّهٗ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطَانَ مُبِينٍ ﴾ (١) ، يقول : بعدر مبيّن [ليم] غاب عن مسيرى هذا ؟ وكان عقابُه للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يستطيع أن يطير ، ويكون من هوامّ الأرض إن أراد ذلك ، أو يذبحه ، فكان ذلك عذابُه .

قال : ومرّ الهدهد على قصر بلقيس ، فرأى بستانًا لها خلف قصرها ، فال إلى الحضرة فوقع عليها ، فإذا هو بهدهد لها في البستان ، فقال هدهد سليمان : ٥٧٨/١ أين أنت عن سليمان ؟ وما تصنعها هنا ؟ قال له هدهد بلقيس : ومن سليمان ؟ فقال : بعث الله رجلا يقال له سليمان رسولا ، وسخر له الريح والجن والإنس والطير . قال : فقال له هدهد بلقيس : أى شيء تقول ! قال : أقول لك ما تسمع ، قال : إن هذا لعجب ، وأعجب من ذلك أن كثرة هؤلاء القوم تملكهم امرأة ، ﴿ أوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم ﴾ ، جعلوا الشكر لله أن يسجدوا للشمس من دون الله . قال : وذكر الهدهد سليمان فنهض عنه ، فلما انتهى إلى العسكر تلقته الطير وقالوا : توعدك رسول الله ، فأخبروه بما قال . قال : وكان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه ويشمسه فلا يطير أبدًا ، فيصير من هوامّ الأرض ، أو يذبحه فلا يكون له نسل أبدًا . قال : فقال الهدهد : أو ما استثنى رسول الله ؟ قالوا : بل قال : أو ليأتيني بعدر مبيّن ، قال : فلما أتى سليمان ، قال : ما غيبك عن مسيرى ؟ قال : ﴿ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴾ حتى بلغ ﴿ فَأَنْظِرْ مَاذَا يَرَجُونَ ﴾ (١) . قال : فاعتل له بشيء ، وأخبره عن بلقيس وقومها ما أخبره الهدهد ، فقال له سليمان : قد اعتلت ، ﴿ سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَاَلِقْهُ لِمِثْلِهِمْ ﴾ (٢) ، قال : فوافقها وهي في قصرها ، فألقى إليها ٥٧٩/١

(١) سورة النمل ٢٠ ، ٢١

(٢) سورة النمل ٢٣ - ٢٨

الكتاب فسقط في حجرها أنه كتاب كريم، وأشفقت منه، فأخذته وألقت عليه ثيابها، وأمرت بسريرها فأخرج، فخرجت فقعدت عليه، ونادت في قومها؛ فقالت لهم: ﴿يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ إِنِّي أُلْقِيَ إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ * إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَلَا تَعْلَمُونَ عَلَيَّ وَأَنْتَوْنِي مُسْلِمِينَ﴾^(١) ولم أكن لأقطع أمراً حتى تشهدون، ﴿قَالُوا نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالْأَمْرُ إِلَيْكِ فَانظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾ - إلى - ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ﴾^(٢)، فإن قبلها فهذا ملك من ملوك الدنيا وأنا أعز منه وأقوى، وإن لم يقبلها فهذا شيء من الله.

فلما جاء سليمان الهدية قال لهم سليمان: ﴿أَتَمِدُّونَنِي بِمَالٍ فَمَا آتَانِي اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ﴾ - إلى قوله: ﴿وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾^(٣)، يقول: وهم غير محمودين. قال: بعثت إليه بخرزة غير مثقوبة، فقالت: انقب هذه، قال: فسأل سليمان الإنس فلم يكن عندهم علم ذلك، ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك، قال: فسأل الشياطين، فقالوا: ترسل إلى الأرضة، فجاءت الأرضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها فنقبتها بعد حين، فلما رجع إليها رسولها^(٤) خرجت فزعة في أول النهار من قومها وتبعها قومها. قال ابن عباس: وكان معها ألف قبيل.

قال ابن عباس: أهل اليمن يسمون القائد قبيلة، مع كل قبيل عشرة آلاف. قال العباس: قال علي: عشرة آلاف ألف.

قال العباس: قال علي: فأخبرنا حصين بن عبد الرحمن، قال: حدثني عبد الله بن شداد بن الهاد، قال: فأقبلت بلكيس إلى سليمان ومعها ثلثمائة قبيل واثنان عشر قبيلة، مع كل قبيل عشرة آلاف.

قال عطاء، عن مجاهد، عن ابن عباس: وكان سليمان رجلاً مهيباً لا يُبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يُسأل عنه، فخرج يومئذ فجلس على سريره،

(١) سورة النمل ٢٩ - ٣١

(٢) سورة النمل ٣٣ - ٣٥

(٣) ط: «رسلها»، وما أثبتته عن أ.

(٤) سورة النمل ٣٦، ٣٧

فرأى رهجاً قريباً منه ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : بلقيس يارسول الله ، قال : وقد نزلت منّا بهذا المكان ! قال مجاهد : فوصف لنا ذلك ابن عباس فحزرتّه ما بين الكوفة والحيرة قد فرسخ ، قال : فأقبل على جنوده فقال : ﴿ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرَشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ * قَالَ عَفْرِيْتُ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ ﴿ الذي أنت فيه إلى الحين الذي تقوم إلى غدائك . قال : قال سليمان : مَنْ يَأْتِينِي بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ ؟ ﴾ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴿ ، فنظر إليه سليمان ، فلما قطع كلامه ردّ سليمان بصره على العرش ، فرأى سريره قد خرج وبيع من تحت كرسيه ، ﴿ فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ ﴾ إذ أتاني به قبل أن يرتدّ إلى طرفي ﴿ أَمْ أَكْفُرُ ﴾ إذ جعل مَنْ تَحْتَ يَدِي أَقْدَرَ عَلَى الْحِجْيِ بِهِ مِنِّي . قال : فوضعوا لها عرشها ، قال : فلما جاءت قعدت إلى سليمان ، قيل لها : ﴿ أَهَكَذَا عَرَشُكَ ﴾ ؟ فنظرت إليه فقالت : ﴿ كَأَنَّهُ هُوَ ﴾ ^(١) ! ثم قالت : لقد تركته في حصوني ، وتركت الجنود محيطة به ، فكيف جىء بهذا يا سليمان ! إنى أريد أن أسألك عن شيء فأخبرني ، قال : سألني ، قالت : أخبرني عن ماء رواء ، لا من سماء ولا من أرض - قال : وكان إذا جاء سليمان شيء لا يعلمه بدأ فسأل الإنس عنه ، فإن كان عند الإنس فيه علم وإلاّ سأل الجن ، فإن لم يكن عند الجن علم به سأل الشياطين - قال : فقالت له الشياطين : ما أهون هذا يارسول الله ! مرّ الخليل فلتجبر ثم تملأ الآنية من عرقها ، فقال لها سليمان : عرّق الخليل ، قالت : صدقت . قالت : أخبرني عن لون الرب . قال : قال ابن عباس : فوثب سليمان عن سريره فخرّ ساجداً . قال العباس : قال عليّ : فأخبرني عمرو بن عبّيد ، عن الحسن ، قال : صعق فغشي عليه ، فخرّ عن سريره .

٥٨١/١

٥٨٢/١

ثم رجع ، إلى حديثه قال : فقامت عنه ، وتفرقت عنه جنوده ، وجاءه

الرسول فقال : يا سليمان ، يقول لك ربك : ما شأنك ؟ قال : سألتني عن أمر يكابرني— أو يكابدني— أن أعيدَه ، قال : فإن الله يأمرك أن تعودَ إلى سريرك فتقعد عليه ، وترسل إليها وإلى مَنْ حضرها من جنودها ، وترسل إلى جميع جنودك الذين حضروا فيدخلوا عليك فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه . قال : ففعل ، فلما دخلوا عليه جميعاً ، قال لها : عمّ سألتني ؟ قالت : سألتك عن ماء رَوَاء ، لا من سماء ولا من أرض ، قال : قلت لك : عرق الخليل ، قالت : صدقت ، قال : وعن أيّ شيء سألتني ؟ قالت : ما سألتك عن شيء غير هذا . قال : قال لها سليمان ، فلائى شيء خررتُ عن سريري ؟ قالت : قد كان ذلك لشيء لا أدرى ما هو— قال العباس : قال على : نسيتُه — قال : فسأل جنودها فقالوا مثل ما قالت ، قال : فسأل جنودَه من الإنس والجنّ والطير وكلّ شيء كان حضره من جنوده ، فقالوا : ما سألتك يا رسول الله إلا عن ماء رَوَاء ، قال — وقد كان قال له الرسول : يقول الله لك : عُدْ إلى مكانك فإنى قد كفيبتُكمهم — قال : وقال سليمان : للشياطين : ابنوا لى صرْحاً تدخل على فيه بلقيس ، قال : فرجع الشياطين بعضهم إلى بعض ، فقالوا : سليمان رسول الله قد سخرَ الله له ما سخرَ ، وبلقيس مائة سبأ ينكحها ٥٨٣/١ فتلد له (١) غلاماً ، فلا تنفك من العبوديّة أبداً .

قال : وكانت امرأة شعراء (٢) الساقين ، فقالت الشياطين : ابنوا له بنياناً ليرى ذلك منها ، فلا يتر وجهها ، فبنوا له صرحاً من قوارير أخضر ، وجعلوا له طوابيق من قوارير كأنه الماء ، وجعلوا في باطن الطوابيق كلّ شيء يكون من الدوابّ في البحر من السمك وغيره ، ثم أطبقوه ، ثم قالوا لسليمان : ادخل الصرح ، قال : فألتمى لسليمان كرسيّ في أقصى الصرح ، فلما دخله ورأى ما رأى أتى الكرسيّ ، فقعده عليه ، ثم قال : أدخلوا على بلقيس ، فقيل لها : ادخلي الصرح ، فلما ذهبت تدخله رأت صورة السمك وما يكون في الماء من الدوابّ ، فحسبته لُجّة (حسبته ماء) وكشفت عن ساقبيها لتدخل ، وكان شعراً ساقبيها ملتويّاً على ساقبيها ، فلما رآها سليمان ، ناداها— وصرف بصره عنها : إنه صرْح ممرّد من

(١) ح ، س : « فتلد منه » . (٢) ح : « كثيرة شعر الساقين » .

قوارير ، فألقت ثوبها فقالت : ﴿ رَبُّ إِيَّيْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (١) قال : فدعا سليمان الإنس فقال : ما أقبح هذا ! ما يُذْهِبُ هَذَا ؟ قالوا : يا رسول الله موسى . قال : المواسي تقطع ساقبي المرأة . قال : ثم دعا الجن فسألهم فقالوا : لا نَدْرِي ، ثم دعا الشياطين فقال : ما يُذْهِبُ هَذَا ؟ قالوا مثل ذلك : الموسى ، فقال : المواسي تقطع ساقبي المرأة . قال : فتلكثوا عليه ، ثم جعلوا له النُورَةَ - قال ابن عباس : فإنه لأول يوم رُئيت فيه النُورَةُ - فاستنكحها سليمان .

٥٨٤/١

حدثنا ابن حميد : قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب ابن منبه ، قال : لما رجعت الرسل إلى بلقيس بما قال سليمان ، قالت : قد والله عرفت ما هذا بملك ، وما لنا به من طاقة ، وما نصنع بمكائرته شيئاً ، وبعثت إليه أنتى قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك ، وما تدعوا إليه من دينك . ثم أمرت بسرير مملوكها الذي كانت تجلس عليه - وكان من ذهب مفضّص بالياقوت والزبرجد واللؤلؤ - فجعل في سبعة أبيات بعضها في بعض ، ثم أقفلت (٢) على الأبواب ، وكانت (٣) إنما تحخذُ منها النساء ، معهن سائمة امرأة تحخذُ منها . ثم قالت لمن خلفت على سلطانها : احتفظ بما قبلك ، وسرير ملكي فلا يخلص إليه أحد ولا يرينه حتى آتيك . ثم شخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبيل معها من ملوك اليمن ، تحت يد كل قبيل منهم ألوف كثيرة ، فجعل سليمان يبعث الجن فيأتونه بمسيرها ومنتهاها كل يوم وليلة ، حتى إذا دنت جمّع من عنده من الجن والإنس ممن تحت يديه ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الْعَمَلُ أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ (٤) .

٥٨٥/١

قال : وأسلمت فحسُن إسلامها . قال : فزعم أن سليمان قال لها حين أسلمت وفرغ من أمرها : اختاري رجلاً من قومك أزوجه ، قالت : ومثلي يا نبي الله ينكح الرجال ، وقد كان لي في قومي من الملك والسلطان ما كان لي ! قال : نعم ، إنّه

(١) سورة النمل ٤٤ .

(٢) ن : « أغلقت » .

(٣) ط : « فكانت » ، وما أثبتته عن ا .

(٤) سورة النمل ٣٨ .

لا يكون في الإسلام إلا ذلك ، ولا ينبغي لك أن تُحَرِّمَ ما أحلَّ الله لك ،
 فقالت : زوجي إن كان لا بد ذا تُبَّع^(١) مَلَك هَمْدَان ، فزوجه إياها ، ثم
 رَدَّهَا إلى اليمن ، وسلَّطَ زوجها ذَاتُبَّعَ على اليمن ، ودعا زوبعة أمير جنِّ
 اليمن فقال : اعمل لذي تبَّع ما استعملك لقومه . قال : فصنع لذي تبَّع
 الصنائع باليمن ، ثم لم يزل بها ملكاً يُعْمَلُ له فيها ما أراد ؛ حتى مات سليمان
 ابن داود عليه السلام .

فلما حال الحول وتبينت الجنِّ موتَ سليمان أقبل رجل منهم ، فسلك
 تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ بأعلى صوته : يا معشرَ الجنِّ ،
 إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم . قال : فعمدت الشياطين إلى حجرين
 عظيمين ، فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند : نحن بنينا سَلْحِين^(٢) ، سبعة
 وسبعين خريفاً دائبين ، وبنينا صِرَواحَ ومِراحَ وبيسُنُونَ برحاضة أيدينا^(٣) ، وهندة
 وهنيدة ، وسبعة أمجلة بقاعة ، وتلثوم بريئدة ، ولولا صارخ بتهامة ، لتركنا
 بالبون إمارة

قال : وسَلْحِين [صِرَواح] ومِراحَ وبيسُنُونَ وهندة وهنيدة وتلثوم حصون
 كانت باليمن ، عملتها الشياطين لذي تبَّع ، ثم رفعوا أيديهم ، ثم انطلقوا ،
 واتفقوا على ملك ذي تبَّع وملك بلقيس مع ملك سليمان بن داود عليهما السلام .

(١) ط : « بتع » ، وما أثبتته عن ا ومعجم البلدان .

(٢) قال ياقوت : سلحين : حصن عظيم بأرض اليمن كان للثبامة ملوك اليمن . . . قال :
 « وزعموا أن الشياطين بنت لذي تبَّع ملك همدان حين زوج سليمان بلقيس قصوراً وأبنية وكتب في
 حجر ، وجملته في بعض القصور التي بنتها » .

(٣) اللسان ٦ : ٢١٥ : « بفسالة أيديهم » .

ذكر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمه

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض العلماء ، قال : قال وهب بن منبه : سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر ، يقال لها صيدون ، بها ملك عظيم السلطان لم يكن للناس إليه سبيل ، لمكانه في البحر ، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع منه شيء في برّ ولا بحر ، إنما يركب إليه إذا ركب على الريح ، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء ، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس ، فقتل ملكها واستفأ^(١) ما فيها ، وأصاب فيما أصاب ابنةً لذلك الملك لم ير مثلها حسناً وجمالاً ، فاصطفاها لنفسه ، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة ثقة ، وأحبها حباً لم يحبّه شيئاً من نساءه ، ووقعت نفسه عليها ، فكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ، ولا يرقأ دمعها ، فقال لها ، لما رأى ما بها وهو يشقّ عليه [من ذلك]^(٢) ما يرى : ويحك ، ما هذا الحزن الذي لا يذهب ، والدمع الذي لا يرقأ ! قالت : إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه ، فيحزني ذلك ، قال : فقد أبدلك الله [به]^(٣) ملكاً هو أعظم من ملكه ، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه ، وهداك للإسلام وهو خير من ذلك كله ، قالت : إن ذلك لكذلك^(٤) ؛ ولكنني إذا ذكرته أصابني ما [قد]^(٥) ترى من الحزن ، فلو أنك أمرت الشياطين ، فصوروا صورة أبي في داري التي أنا فيها ، أراها بكرة وعشيّاً لرجوت أن يذهب ذلك حزني ، وأن يسلى عني بعض ما أجهد في نفسي ، فأمر سليمان الشياطين ، فقال : مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى ما تنكر^(٤) منه شيئاً ، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها في نفسه^(٥) ،

٥٨٧/١

٥٨٨/١

(١) كذا في ط ، وفي ا ، س : « استفي » .

(٢) من ا .

(٣) ط : « كذلك » ، وما أثبتته من ا .

(٤) ط : « لا تنكر » وما أثبتته من ا .

(٥) ن : « في هيئته » .

إلا أنه لاروح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه لها فأزرتَه وقمصته وعمته وردته
بمثل ثيابه التي كان يلبس، مثل ما كان يكون فيه من هيئة، ثم كانت إذا
خرج سليمان من دارها تغدو عليه في ولائها حتى تسجد له ويسجدن
له، كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك، لا يعلم
سليمان بشيء من ذلك أربعين صباحًا، وبلغ ذلك آصف بن برخيا - وكان
صديقًا، وكان لا يرد عن أبواب سليمان أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته
دخل، حاضرًا كان سليمان أو غائبًا - فأتاه فقال: يا نبي الله، كبرت سني،
ودق عظمي، ونفد عمري، وقد حان مني ذهاب (١) ! وقد أحببت أن أقوم
مقامًا قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله، وأتنبى عليهم بعلمي
فيهم، وأعلم الناس بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال:
افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيبًا، فذكر من مضى من
أنبياء الله، فأنتى على كل نبي بما فيه، وذكر ما فضله الله به، حتى انتهى
إلى سليمان وذكره، فقال: ما كان أحلمك في صغرك، وأورعك في صغرك،
وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما يكسره في
صغرك! ثم انصرف فوجد سليمان في نفسه حتى ملأه غضبًا، فلما دخل سليمان
داره أرسل إليه، فقال: يا آصف، ذكرت من مضى من أنبياء الله فأنتيت
عليهم خيرًا في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلما ذكرتني جعلت
تشي علي بخير في صغري، وسكت عما سوي ذلك من أمري في كبري،
فما الذي (٢) أحدثت في آخر أمري؟ قال: إن غير الله لي عبد في دارك منذ
أربعين صباحًا في هوى امرأة، فقال: في داري! فقال: في دارك، قال:
إنا لله وإنا إليه راجعون! لقد عرفت أنك ما قلت إلا عن شيء بلغك. ثم
رجع سليمان إلى داره فكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائها، ثم
أمر بثياب الطهرة فأتي بها، وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبقار، ولا ينسجها إلا

(١) كذا في ا، س، ن، وفي ط: «الذهاب».

(٢) ح: «فاذا ترى أحدثت»، ا: «فاذا الذي أحدثت».

الأبكار ، ولا يغسلها إلا الأبكار ، ولا تمسها امرأة قد رأت الدم ، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده ، فأمر برماد ففرش له ، ثم أقبل تائباً إلى الله حتى جلس على ذلك الرماد ، فتمعتك فيه بثيابه تذلاً لله جل وعز وتضرعاً إليه ، يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره، ويقول فيما يقول - فيما ذكر لي والله أعلم : رَبِّ ما ذا ببلاتك عند آل داود أن يعبدوا غيرك ، وأن يُقِرّوا في دورهم وأهاليهم عبادة غيرك ! فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، يبكي إلى الله ويتضرع إليه ويستغفره ، ثم رجع إلى داره - وكانت أم ولد له يقال لها : الأمانة ، كان إذا دخل مذهبها ، أو أراد لصابة امرأة من نساته وضع خاتمها عندها حتى يتطهر^(١) ، وكان لا يمَسّ خاتمها إلا وهو طاهر ، وكان ملكه في خاتمها ، فوضعه يوماً من تلك الأيام عندها كما كان يضعه . ثم دخل مذهبها ، وأتاها الشيطانُ صاحب البحر - وكان اسمه صخرأ - في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً ، فقال : خاتمي يا أمانة ! فناولته إياه ، فجعلها في يده ، ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان ، وعكفت عليه الطير والجن والإنس ، وخرج سليمان فأتى الأمانة ، وقد غيّرت حالته وهيبته عند كل من رآه ، فقال : يا أمانة ، خاتمي ! فقالت : ومن أنت ؟ قال : أنا سليمان بن داود ، فقالت : كذبت ، لست بسليمان بن داود ، وقد جاء سليمان فأخذ خاتمها ، وهو ذاك جالس على سريرها في ملكه . فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته ، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل ، فيقول : أنا سليمان بن داود ، فيحثون عليه التراب ويسبونه ، ويقولون : انظروا إلى هذا المجنون ، أي شيء يقول ! يزعم أنه سليمان بن داود . فلما رأى سليمان ذلك عمِد إلى البحر ، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق^(٢) ، فيعطونه كل يوم سمكتين ، فإذا أمسى باع إحدى سمكته بأرغفة وشوى الأخرى ، فأكلها ، فمكث بذلك أربعين صباحاً ، عِدّة ما عبِد ذلك الوثن في داره ،

(١) س : « يطهر » .

(٢) ١ : « في السوق » .

فأنكر آصف [بن برخيا]^(١) وعظماء بني إسرائيل حكمهم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين صباحاً ، فقال آصف : يا معشر بني إسرائيل ، هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود ما رأيتم ! قالوا : نعم ، قال : أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألن : هل أنكرن منه في خاصة أمره ما أنكرنا في عامة أمر الناس وعلانيته ؟ فدخل على نسائه فقال : ويحك ! هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا ؟ فقلن : أشده ما يدع امرأة منا في دمها ، ولا يغتسل من جنابة ، فقال : إنا لله وإنا إليه راجعون ! إن هذا لهو البلاء المبين ، ثم خرج إلى بني إسرائيل ، فقال ما في الخاصة أعظم مما في العامة ، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه ، ثم مرّ بالبحر ، فقذف الخاتم فيه ، فبلعته^(٢) سمكة ، وبصر بعض الصيادين فأخذها وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك ، حتى إذا كان العشي أعطاه سمكته ، فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم ، ثم خرج سليمان بسمكته فيبيع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة ، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه^(٣) في جوفها ، فأخذه فجعله في يده ووقع ساجداً لله ، وعكف عليه الطير والجن^(٤) ، وأقبل عليه الناس وعرف أن الذي دخل عليه لما كان أحدث في داره ، فرجع إلى ملكه ، وأظهر التوبة من ذنبه ، وأمر الشياطين فقال : اثنوني به ، فطلبته له الشياطين حتى أخذوه ، فأقى به ، فجاب^(٥) له صخرة ، فأدخله فيها ، ثم سدّ عليه بأخرى ، ثم أوثقها بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر .

حدثنا محمد بن الحسين ، قال : حدثنا أحمد بن الفضل ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في قوله : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ﴾^(٦) ، قال : الشيطان حين جلس على كرسيه أربعين يوماً^(٧) ، قال :

(٢) ١ : « فتلقتة » .

(٤) ١ : « إليه » .

(١) تكملة من ا ح .

(٣) ١ : « الخاتم » .

(٥) جاب صخرة ، أي خرقتها .

(٦) سورة ص ٣٤ .

(٧) ن : « صباحاً » .

كان لسليمان مائة امرأة ، وكانت امرأة منهنّ يقال لها جرادة ، وهي آثر نساته عنده ، وآمنهنّ عنده ، وكان إذا أجنب أو أتى حاجة نزع خاتمه ، ولا يأتمن عليه أحداً من الناس غيرَها ، فجاءته يوماً من الأيام فقالت [له] (١) : إن أخي بينه وبين فلان خصومة ، وأنا أحبّ أن تقضى له إذا جاءك ، فقال : نعم ، ولم يفعل ، فابتلى فأعطاها خاتمه ، ودخل المخرج فخرج الشيطان في صورته ، فقال : هاتي الخاتم ، فأعطته ، فجاء حتى جلس على مجلس سليمان ، وخرج سليمان بعد فسألها أن تعطيه خاتمه ، فقالت : ألم تأخذه قبل ؟ قال : لا ، وخرج من مكانه تائهاً ، قال : ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً . قال : فأنكر الناس أحكامه ، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلمائهم ، وجاءوا حتى دخلوا على نساته فقالوا : إنا قد أنكرنا هذا ، فإن كان سليمان ، فقد ذهب عقله ، وأنكرنا أحكامه ! قال : فبكى النساء عند ذلك ، قال : فأقبلوا يمشون حتى أتوه ، فأحذقوا به ثم نشروا فقرعوا التوراة ، قال : فطار من بين أيديهم حتى وقع على شرفة والخاتم معه ، ثم طار حتى ذهب إلى البحر ، فوقع الخاتم منه في البحر ، فابتلعه حوت من حيتان البحر ، قال : وأقبل سليمان في حاله التي كان فيها حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع ، وقد اشتدّ جوعه ، فاستطعمه من صيدهم ، وقال : إني أنا سليمان ، فقام إليه بعضهم فضربه بعضاً فشجّه ، قال : فجعل يغسل دمه وهو على شاطئ البحر ، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه وقالوا : بشس ما صنعت حيث ضربته ! قال : إنه زعم أنه سليمان ، قال : فأعطوه سمكتين مما قد ضرب عندهم ، فلم يشغله ما كان به من الضرب ، حتى قام على شطّ البحر ، فشقّ بطونهما (٢) ، وجعل (٣) يغسلهما ، فوجد خاتمه في بطن إحداهما ، فأخذه فليسه ، فردّ الله عليه بهاءه ومُلْكَه ، وجاءت الطير حتى حامت عليه ، فعرف القوم أنه سليمان ، فقام القوم يعتذرون مما صنعوا ، فقال : ما أحمدكم على

٥٩٣/١

(١) من ا .

(٢) ح ، س : « بطونها » . ابن الأثير : « بطنيهما » .

(٣) ط : « فجعل » ، وما أثبتته من ا .

عُدْرِكُمْ ، ولا ألومكم على ما كان منكم ، كان هذا الأمر لا بدّ منه .
قال : فجاء حتى أتى مُلْكَه ، فأرسل إلى الشيطان فحجى به ، وسُخِّرَتْ
له الريح والشياطين يومئذ ، ولم تكن سُخِّرَتْ له قبل ذلك ، وهو قوله :
﴿ وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾ (١) .

وبعث إلى الشيطان فأتى به ، فأمر به فجعل في صندوق من حديد ،
ثم أطبق عليه ، وأقفل عليه بقفْل ، ونختم عليه بخاتمِه ، ثم أمر به فألقِيَ
في البحر ، فهو فيه حتى تقوم الساعة ، وكان اسمه حقيق .

* * *

قال أبو جعفر : ثم لبث سليمان بن داود في ملكه بعد أن رده الله إليه ،
تعمل له الجنّ ما يشاء من محارِب وتماميل وجفان كالجواب وقدور راسيات ،
وغير ذلك من أعماله ، ويعذب من الشياطين من شاء ، ويطلق من أحبّ
منهم إطلاقه ، حتى إذا دنا أجله ، وأراد الله قبضه إليه ، كان من أمره - فيما بلغني -
ما حدثني به أحمد بن منصور ، قال حدثنا موسى بن مسعود أبو حذيفة ، قال :
حدثنا إبراهيم بن طهمان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبّير ، عن ابن
عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان نبيّ الله إذا صلّى رأى
شجرة نابتة بين يديه ، فيقول لها : ما اسمك ؟ فتقول : كذا وكذا ، فيقول :
لأى شيء أنت ؟ فإن كانت لغرس غُرست ، إن كانت لدواء كتبت ، فبينما
هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه ، فقال لها : ما اسمك ؟ قالت :
الخرّوب ، قال : لأى شيء أنت ؟ قالت : لخراب هذا البيت ، فقال
سليمان : اللهم عمّم على الجنّ موتى حتى يعلم الإنس أن الجنّ لا يعلمون الغيب ،
ففتحها عصاً ، فتوكأ عليها حولاً ميتاً ، والجنّ تعمل ، فأكلتها الأرضة فسقط ،
فتبينت الإنس أن الجنّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين .
قال : وكان ابن عباس يقرؤها « حولاً في العذاب المهين » قال : فشكرت ٥٩٥/١
الجنّ الأرضة ، فكانت تأتئها بالماء (٢) .

(١) سورة ص ٣٥

(٢) الخبر في التفسير ٢٢ : ٥١ (بولاقي)

حدثني موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، عن أسباط ، عن السديّ في حديث ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمدانيّ ، عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال : كان سليمان يتجرّد في بيت المقدس السنة والسنتين ، والشهر والشهرين ، وأقلّ من ذلك وأكثر ، يدخل طعامه وشرابه ، فأدخله في المرّة التي مات فيها ، فكان بدء ذلك أنه لم يكن يومٌ يصبح فيه إلا نبت في بيت المقدس شجرة ، فيأتيها ، فيسألها : ما اسمك ؟ فتقول الشجرة : اسمي كذا وكذا ، فيقول لها : لأيّ شيء نبت ؟ فتقول : نبت لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فإن كانت نبتت لغرس غرسها ، وإن كانت نبتت دواء قالت : نبت دواء لكذا وكذا ، فيجعلها لذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها : ما اسمك ؟ قالت : أنا الخروبة ، قال : ولأيّ شيء نبت ؟ قالت : نبتت لخراب هذا المسجد . قال سليمان : ما كان الله ليخربه وأنا حيّ ، أنت التي على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس ، فزرعها وغرسها في حائط له ، ثم دخل المحراب فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ، ولا تعلم به الشياطين ، وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب ، وكان المحراب له كؤوي بين يديه وخلفه ، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول : ألسنت جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب ؟ فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر ، فدخل شيطان من أولئك ، فرمى - ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان في المحراب إلا احترق - ولم يسمع صوت سليمان ، ثم رجع فلم يسمع ، [ثم رجع فلم يسمع]^(١) ثم رجع فوقف في البيت فلم يحترق ، ونظر إلى سليمان قد سقط ميتاً ، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ، ففتحوا عنه فأخرجوه ، ووجدوا منسأته - وهي العصا بلسان الحبشة - قد أكلتها الأرضة ، ولم يعلموا منذ كم مات ، فوضعوا الأرضة على العصا ، فأكلت منها يوماً وليلة ، ثم حسبوا على ذلك النحر فوجدوه قد مات منذ^(٢) سنة ، وهي في قراءة ابن مسعود : « فكثوا يدينون له من بعد موته حولاً كاملاً » ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ، ولو أنهم علموا الغيب لعلموا موت

٥٩٦/١

(١) تكلّة من ا

(٢) الخبر في التفسير ٢٣ : ٥١ ، ٥٢ (بولاق) .

سليمان ، ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ، وذلك قول الله عز وجل :
﴿ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ ﴾ - إلى قوله - ﴿ فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾ ٥٩٧/١
يقول : بين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم . ثم إن الشياطين قالوا للأرض :
لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ، ولو كنت تشرين الشراب
سقيناك أطيب الشراب ، ولكننا سننقل [إليك] (١) الماء والطين . قال : فهم
ينقلون إليها ذلك حيث كانت . قال : ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف
الحشب فهو ما يأتيها به الشياطين شكراً لها !
وكان جميع عمر سليمان بن داود فيما ذكر نيفاً وخمسين سنة ، وفي سنة
أربع من ملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس فيما ذكر .

(١) تكلمة من ابن الأثير .

ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد

قال أبو جعفر : ونرجع الآن إلى الخبر عمن ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد .

* * *

وملك بعد كيقباد بن زاغ بن يوجياه^(١) كيقاوس بن كيبه بن كيقباد الملك . فذكر أنه قال يوم ملك : إن الله تعالى إنما حوّلنا الأرض وما فيها لنسعى فيها بطاعته ، وأنه قتل جماعة من عظماء البلاد التي حوله ، وحمى بلاده ورعيته ممن حوّلهم من الأعداء أن يتناولوا منها شيئاً ، وأنه كان يسكن بلخ ، وأنه ولد له ابن لم ير مثله في عصره في جماله وكمالته وتماخذه خلقه ، فسماه سياوخش ، وضمه إلى رستم الشديد بن دستان بن بريمان^(٢) بن جودنك^(٣) ابن كرشاسب بن أثرت^(٤) بن سهم بن نريمان .

٥٩٨/١

وكان إصبهند^(٥) سجستان وما يليه من قبله يربيه ويكفله ، وأوصاه به فأخذه منه رستم ، فضى به معه إلى موضع عمله سجستان ، فرباه رستم ولم يزل في حجره يجمع له وهو طفل الحواضن والمرضعات ، ويتخيرهن له ،

(١) كذا في أ .

(٢) كذا في أ وفي ح س : « برامان » ، وفي ن : « مرمان » .

(٣) كذا في أ ، وفي ح : « حوزنك » ، ن : « حوزنك » .

(٤) أ : « أثوط » .

(٥) ذكرها في الجواليقي بلفظ الصبيد ؛ وقال : فارسي معرب ؛ وهو في الديلم كالأمير في

العرب ، وأورد قول جرير :

إذا افتخرُوا عَدُوَّ الصَّبِيهِدِ فِيهِمْ
وكسرى وآل الهرمزانِ وقيصراً

وفي اللسان ٥ : ٨ : « إصهيد » ، وضبط الألف بالقلم بالكسر . وقال إدى شير : « إن إصهيد » بالفارسية معناه قائد العسكر ؛ وهو أيضاً اسم وعلم للملك طبرستان . وانظر المعرب وحواشيه ٢١٨ .

حتى إذا ترعرع جمع له المعلمين ، فتخير له منهم من اختاره لتعليمه^(١) ، حتى إذا قدر على الركوب علمه الفروسية حتى إذا تكاملت^(٢) فيه فنون الآداب ، وفاق في الفروسية قدم به على والده رجلاً كاملاً ، فامتحنه والده كيقاوس ، فوجده نافذاً في كل ما أراد بارعاً ، فسُرَّ به ، وكان كيقاوس تزوج - فيما ذكر - ابنة فراسياب ملك الترك ، وقيل : بل إنها بنت ملك اليمن ، وكان يقال لها سودابة ، وكانت ساحرةً ، فهويت سياوخش ، ودعته إلى نفسها ، وأنه امتنع عليها ، وذكرت لها ولسياوخش قصة يطول بذكرها الكتاب ، غير أن آخر أمرهما صار في ذلك - فيما ذكر لي - أن سودابة لم تزل لما رأت من امتناع سياوخش عليها فيما أرادت منه من الفاحشة بأبيه كيقاوس حتى أفسدته عليه ، وتغير لابنه سياوخش ، فسأل سياوخش رستم أن يسأل أباه كيقاوس توجيهه لحرب فراسياب لسبب منعه بعض ما كان ضمن له عند إنكاحه ابنته إياه ، وصلح جرى بينه وبينه ، مريداً بذلك سياوخش البعد عن والده كيقاوس ، والتنحى عما تكيد به عنده زوجته سودابة ، ففعل ذلك رستم ، واستأذن له أباه فيما سأله ، وضم إليه جنداً كثيفاً ، فشخص إلى بلاد الترك للقاء^(٣) فراسياب ، فلما صار إليه سياوخش ، جرى بينهما صلح ، وكتب بذلك سياوخش إلى أبيه يعلمه ما جرى بينه وبين فراسياب من الصلح ، فكتب إليه والده يأمره بمناهضة فراسياب ومناجزته الحرب ، إن هو لم يدع عن له بالوفاء بما كان فارقه عليه ، فرأى سياوخش أن في فعله ما كتب به إليه أبوه من محاربة فراسياب بعد الذي جرى بينه وبينه من الصلح والهدنة من غير نقض فراسياب شيئاً من أسباب ذلك عليه عاراً ومنقصةً ومأثمًا ، فامتنع من إنفاذ أمر أبيه في ذلك ، ورأى في نفسه أنه يؤتى في كل ذلك من زوجة أبيه التي دعته^(٤) إلى نفسها فامتنع عليها ، ومال إلى الحرب

(١) ط : « ليعلمه » ، وما أثبتته عن أ .

(٢) ط : « تكامل » ، وما أثبتته عن أ .

(٣) ن : « ليلقى » .

(٤) ن : « تدعوه » .

من أبيه ، فراسل فراسياب في أخذ الأمان لنفسه منه ، واللحاق به ، وترك^(١) والده ، فأجابه فراسياب إلى ذلك - وكان السفير بينهما^(٢) في ذلك - فيما قيل - رجلاً من الترك من عظمائهم يقال له : فيران بن ويسغان^(٣) - فلما فعل ذلك سیاوخش انصرف عنه مَنْ كان معه من جند أبيه كيقاوس .

٦٠٠/١

فلما صار سیاوخش إلى فراسياب بوآه وأكرمه وزوجه ابنة له يقال لها : وسفا فرید ، وهي أم كيخسرونه^(٤) ، ثم لم يزل له مُكْرِمًا حتى ظهر له أدب سیاوخش وعقله وكمال وفروسيته ونجدته ما أشفق على ملكه منه ، فأفسده ذلك عنده ، وزاده فساداً عليه سَعَى ابْنَيْسِن له وأخ يقال له : كندر بن فشنجان عليه بإفساد أمر سیاوخش عنده ، حسداً منهم له ، وحذراً على ملكهم منه ، حتى مكنتهم من قتله ، فذكر في سبب وصولهم إلى قتله أمرٌ يطول بشرحه الخطب ، إلا أنهم قتلوه ومثلوا به وامراته ابنة فراسياب حاملٌ منه بابنة كيخسرونه ، فطلبوا الحيلة لإسقاطها ما في بطنها فلم يسقط ، وأن فيران الذي سعى في عقد الصلح بين فراسياب وسياوخش لما صحَّ عنده ما فعل فراسياب من قتله سیاوخش ، أنكر ذلك من فعله ، وخوّفه عاقبة الغدر ، وحذّره الطلب بالثأر من والده كيقاوس ومن رُسْتَم ، وسأله دفع ابنته وسفا فرید إليه لتكون عنده إلى أن تَضَع ما في بطنها ثم يقتله .

٦٠١/١

ففعل ذلك فراسياب ، فلما وضعت رقّ فيران لها وللملود ، فترك قتله وسرّ أمره ، حتى بلغ الملود ، فوجّه - فيما ذكر - كيقاوس إلى بلاد الترك بنى بن جوذرز ، وأمره بالبحث عن الملوود الذي ولدته زوجة ابنه سیاوخش ، والتأتّى لإخراجه إليه ، إذا وقف على خبره مع أمه ، وأن بيئاً شَخَصَ لذلك ؛ فلم يزل يفحصُ عن أمر ذلك الملود ، متنكراً حيناً من الزمان فلا يُعرَفُ له خبرٌ ، ولا يدلُّه عليه أحد .

ثم وقف بعد ذلك على خبره ، فاحتال فيه وفي أمه حتى أخرجهما من أرض الترك إلى كيقاوس ، وقد كان كيقاوس - فيما ذكر - حين اتصل به

(١) س : « وفراق » . (٢) س : « فيما بينهما » .

(٣) ا ، ن : « ويسغان » . (٤) ا « كيخسرونه » .

قتلُ ابنه أشخص جماعةً من رؤساء قواده ؛ منهم رستم بن دستان الشديد ،
 و طوس بن نوزران^(١) ، وكانا ذوى بأس و نجدة ، فأثخنا الترك قتلاً وأسراً ،
 و حارباً فراسياب حرباً شديدة^(٢) ، وأن رستم قتل بيده شهر وشهرة ابنى فراسياب
 وأن طوساً قتل بيده كندر أخا فراسياب .

وذكر أن الشياطين كانت مسخرة لكيقائوس ، فزعم بعض أهل العلم
 بأخبار المتقدمين أن الشياطين الذين كانوا سُخروا له إنما كانوا يُطيعونه عن
 أمر سليمان بن داود إياهم بطاعته ، وأن كيقائوس أمر الشياطين فبنوا له مدينةً
 سماها كندر^(٣) ، ويقال : قيقدون ؛ وكان طولها - فيما زعموا - ثمانمائة فرسخ ،
 وأمرهم فضربوا عليها سوراً من صُفْر ، وسوراً من شَبَه ، وسوراً من نحاس ،
 وسوراً من فخر ، وسوراً من فضة ، وسوراً من ذهب . وكانت الشياطين تنقلها
 ما بين السماء والأرض وما فيها من الدواب والخزائن والأموال والناس . وذكروا
 أن كيقائوس كان لا يُحدث وهو يأكل ويشرب .

ثم إن الله تعالى بعث إلى المدينة التي بناها كذلك من يُخربها ، فأمر
 كيقائوس شياطينه بمنع من قصد لتخريبها ، فلم يقدروا على ذلك ، فلما رأى
 كيقائوس الشياطين لا تطيق الدفع عنها ، عطف عليها ، فقتل رؤساءها . وكان
 كيقائوس - فيما ذكر - مظفراً لا يناوئه أحد من الملوك إلا ظفر عليه وقهره ،
 ولم يزل ذلك أمره حتى حدثته نفسه - لما كان أتى من العز والملك ، وأنه لا يتناول
 شيئاً إلا وصل إليه - بالصعود إلى السماء .

فحدثت عن هشام بن محمد أنه شخّص من خراسان حتى نزل بابل ،
 وقال : ما بقي شيء من الأرض إلا وقد ملكته ، ولا بد من أن أعرف أمر
 السماء والكواكب وما فوقها ، وأن الله أعطاه قوة ارتفع بها ومن معه في الهواء
 حتى انتهوا إلى السحاب ، ثم إن الله سلبهم تلك القوة فسقطوا فهلكوا ، وأفلت
 بنفسه وأحدث يومئذ ، وفد عليه ملكه ، وتمزقت الأرض ، وكثرت الملوك
 في النواحي ، فصار يغزوهم ويغزونه ، فيظفر مرةً ويُسكب أخرى .

(١) ح : « قوزران » ، س : « قوزران » ن : « بوذران » ،

(٢) كذا في ١ ، وفي ط : « شديداً » . (٣) كذا في ١

قال : فغزا بلاد اليمن - والمملك بها يومئذ ذو الأذعار بن أبرهة ذى المنار ابن الرائش - فلما ورد بلاد اليمن خرج عليه ذو الأذعار بن أبرهة وكان قد أصابه الفالج ؛ فلم يكن يغزو قبل ذلك بنفسه . قال : فلما أظله كيقاوس ووطئ بلاده في جموعه خرج بنفسه في جموع حمير وولد قحطان ، فظفر بكيقاوس ، فأسره ، واستباح عسكره ، وجسه في بئر ، وأطبق عليه (١) طبقاً . قال : وخرج من سجستان رجل يقال له رستم ، كان (٢) جباراً قوياً فيمن أطاعه من الناس . قال : فرعمت الفرس أنه دخل (٣) بلاد اليمن ، واستخرج قبوس (٤) من محبسه وهو كيقاوس . قال : وزعم أهل اليمن أنه لما بلغ ذا الأذعار إقبال رستم خرج إليه في جنوده وعدده ، وخذق كل واحد منهما على عسكره ، وأنها أشفقا على جنديهما من البوار ، وتخوفا إن تراحفا ألا تكون لهما بقية ، فاصطلحا على دفع كيقاوس إلى رستم ، ووضع الحرب ، فانصرف رستم بكيقوس إلى بابل ، وكتب كيقاوس لرستم عتقاً من عبودة الملك ، وأقطعه سجستان وزابلستان ، وأعطاه قلنسوة منسوجة بالذهب وتوجه ، وأمره أن يجلس على سرير من فضة ، قوائمه من ذهب ، فلم تزل تلك البلاد بيد رستم حتى هلك كيقاوس وبعده دهرأ طويلا .

٦٠٤/١

قال : وكان ملكه مائة وخمسين سنة .

وزعم علماء الفرس أن أول من سود لباسه على وجه الحداد شادوس بن جودرز على سياوخش ، وأنه فعل ذلك يوم ورد على كيقاوس نعى ابنه سياوخش وقتل فراسياب إياه ، وغدره به ، وأنه دخل على كيقاوس ، وقد لبس السواد ، فأعلمه أنه فعل ذلك لأن يومه يوم إظلام وسواد . وقد حقق ما ذكر ابن الكلبي من أسر صاحب اليمن قابوس الحسن بن هانئ في شعره فقال (٥) :

(١) : « عليها » .

(٢) ح : « وكان » .

(٣) ط : « وغل » ، وما أثبتته من ا (٤) س ، ن : « كيقاوس »

(٥) في قصيدته التي هجا فيها قبائل نزار بأسرها وافتخر بقحطان وقبائلها ؛ وهي التي أطال

الرشيد حبسه بسببها وأولها :

وَقَاظَ قَابُوسُ فِي سَلَا سِلْنَا سِنِينَ سَبْعًا وَقَتَ لِحَاسِبِهَا

* * *

ثم ملك من بعد كيقاوس ابنُ ابنة كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس ابن كيبیه بن كيقباز .

وكان كيقاوس حين صار به وبأمه وسفافرید ابنة فراسياب - وربما قيل وسففره - بی بن جوذرز إليه من بلاد الترك، ملكه، فلما قام بالملك بعد جدّه كيقاوس، وعقد التاج على رأسه خطب رعيته خطبة بليغة، أعلمهم فيها أنه على الطلب بدم أبيه سیاوخش قبل فراسياب التركي، ثم كتب إلى جوذرز الأصبهذ - كان - بأصبهان ونواحي خراسان (١) - يأمره بالمصير إليه، فلما صار إليه أعلمه ما عزم عليه من الطلب بثأره من قتل والده، وأمره بعرض جثته، وانتخاب ثلاثين ألف جل منهم، وضمهم إلى طوس بن نوزران (٢)، ليتوجه بهم إلى بلاد الترك، ففعل ذلك جوذرز، وضمهم إلى طوس، وكان فيمن أشخص معه برزافره بن كيقاوس، عم كيخسرو وبي بن جوذرز،

لَيْسَتْ بَدَارُ عَقَتْ وَغَيْرَهَا ضَرَبَانَ مِنْ قَطْرِهَا وَحَاصِبِهَا

ولا لأي الطلول أُنْدَبُهَا للريح والرقيش من قرابنِهَا

وفيها يفتخر باليمن ويذكر الضحاك :

فَحَنُّ أَرْبَابُ نَاعِطٍ وَكُنَّا صَنْعَاءَ وَالْمِسْكُ فِي مَحَارِبِهَا

وكان منا الضحاك يعبده الـ سَخَابِلُ وَالطَّيْرُ فِي مَسَارِبِهَا

وفيها يهجو نزاراً :

وَاهْجُ نِزَاراً وَأَفْرِجِ جِلْدَتَهَا وَاكْشِفِ السُّتْرَ عَنْ مَثَالِبِهَا

وقد رد على قصيدته هذه جماعة من النزارية؛ منهم رجل من بني ربيعة من نزار فقال في قصيدة أولها :

دَعُ مَدْحَ دَارِ خَبَا وَأَنْتَهَى عَهْدُ مَعْدٍ بِزَعْمِ عَاتِبِهَا

فقال :

فَامدَحُ مَعْدًا وَأَفخرُ بِمَنْصِبِهَا الـ هَالِي عَلَى النَّاسِ فِي مَنْاصِبِهَا

وَهَتَّكَ السُّتْرَ عَنْ ذَوِي يَمِينِ أَوْلَادِ قَحْطِ أَنْ غَيْرَ هَاتِبِهَا

وانظر الديوان ١٥٥ والتنبيه والإشراف ٧٦ - ٧٧ .

(١) كذا في ط، وفي أ: «الأصبهذ بأصبهان ونواحي خراسان». (٢) ١: «بوزران».

وجماعة كثيرة من إخوته ، وتقدم كيخسرو إلى طوس ؛ أن يكون قصده لفراسياب وطراخته^(١) ، وألاً يمرّ بناحية من بلاد الترك ، وكان فيها أخ له يقال له فروذ بن سیاوخش ، من امرأة يقال لها برزا فرید ، كان سیاوخش تزوجها في بعض مدائن الترك أيام سار إلى فراسياب ، ثم شخص عنها وهي حبلى ، فولدت فروذ فأقام بموضعه ، إلى أن شبَّ فغلط طوس في أمر فروذ - فيما قيل - وذلك أنه لَمَّا صار بحذاء المدينة التي كان فيها فروذ هاج بينه وبينه حربٌ ببعض الأسباب ، فهلك فروذ فيها ، فلما اتصل خبره بكيخسرو كتب إلى برزافره عمه كتاباً غليظاً ، يعلمه فيه ما وردَ عليه من خبر طوس ابن نوزدان ومحاربه فروذ أخاه ، وأمره بتوجيه طوس إليه مقيداً مغلولاً ، وتقدّم إليه في القيام بأمر العسكر والنفوذ به لوجهه ، فلما وصل الكتابُ إلى برزافره جمع رؤساء الأجناد والمقاتلة ، فقرأه عليهم ، وأمر بغلّ طوس وتقييده ، وجهه مع ثقات من رسله إلى كيخسرو ، وتولى أمر العسكر ، وعبّر النهر المعروف بكاسبروذ ، وانتهى الخبر إلى فراسياب ، فوجه إلى برزافره جماعة من إخوته وطراخته لمحاربه ، فالتقوا بموضع من بلاد الترك يقال له واشن ، وفيهم فيران بن ويسغان وإخوته طراسيف بن جوذرز صهر فراسياب ، وهما سف ابن فشنجان ، وقتلوا قتالاً شديداً ، وظهر من برزافره في ذلك اليوم فشل لما رأى من شدة الأمر وكثرة القتلى ، حتى انحاز بالعلم إلى رعوس الجبال واضطرب على ولد جوذرز أمرهم ، فقتل منهم في تلك الملحمة في وقعة واحدة سبعون رجلاً ، وقتل من الفريقين بشرٌ كثير ، وانصرف برزافره ومن كان معه إلى كيخسرو ، وبهم من الغم والمصيبة ما تمنوا معه الموت ، فكان خوفهم من سطوة كيخسرو أشدّ ، فلما دخلوا على كيخسرو أقبل على برزافره بلائمة شديدة ، وقال : أتيتم في وجهكم لترككم وصيتي ومخالفة وصية الملوك ، تورد السوء ، وتورث الندامة ، وبلغ ما أصيبوا به من كيخسرو حتى رثيت الكآبة في وجهه ، ولم يلتذّ طعاماً ولا نوماً . فلما مضت لموافاتهم أيام أرسل إلى جوذرز فلما دخل عليه أظهر التوجع له ، فشكا إليه جوذرز برزافره ، وأعلمه أنه كان

٦٠٦/١

٦٠٧/١

(١) قال في القاموس : « وطرخان ، بالفتح ولا تضم ولا تكسر وإن فعله المحدثون : اسم

الرئيس الشريف ، حراسانية ، بالجمع طراخنة » .

السبب للهزيمة بالعلم وخذلانه ولده ، فقال له كيخسرو : إن حقلك بخدمتك لآبائنا لازم لنا ، وهذه جنودنا وخزائننا مبدولة لك في مطالبة تترك ، وأمره بالتهيؤ والاستعداد والتوجه إلى فراسياب ، والعمل في قتله وتخريب بلاده ، فلما سمع جوذرز مقالة كيخسرو نهض مبادراً فقبل يده ، وقال : أيها الملك المظفر ، نحن رعيته وعبيدك ، فإن كانت آفة أو نازلة ، فلتكن^١ بالعبيد دون ملوكها ، وأولادى المقتولون فداؤك ، ونحن من^(١) وراء الانتقام من فراسياب والاشتفاء من مملكة الترك ، فلا يغمن^٢ الملك ما كان ، ولا يدعن^٣ لهوه ؛ فإن الحرب دؤل ، وأعلمه أنه على النفوذ لأمره . وخرج من عنده مسروراً .

فلما كان^(١) من الغد أمر كيخسرو أن يدخل عليه رؤساء أجناده والوجوه من أهل مملكته ، فلما دخلوا عليه أعلمهم ما عزم عليه من محاربة الأتراك ، وكتب إلى عماله في الآفاق يُعلمهم ذلك ، ويأمر بموافاتهم في صحراء تعرف بشاه أسطون ، من كورة بلخ ، في وقت وقته لهم . فتوافت رؤساء الأجناد في ذلك الموضع ، وشخص إليه كيخسرو بإصهبذته وأصحابهم ، وفيهم برزافره عمه وأهل بيته ، وجوذرز وبقيه ولده . فلما تكاملت الملحمة ، واجتمعت المرازبة^(٣) ، تولّى كيخسرو بنفسه عرض الجند حتى عرف مبلغهم ، وفهم أحوالهم ، ثم دعا بجوذرز بن جشوادغان ، وميلاذ بن جرجين وأغص بن بهدان - وأغص ابن وصيفة كانت لسياوخش ، يقال لها : شوماهان - فأعلمهم أنه قد أراد إدخال العساكر على الترك من أربعة أوجه ، حتى يحيطوا بهم براً وبحراً ، وأنه قد قوّد على تلك العساكر ، وجعل أعظمها إلى جوذرز ، وصير مدخله من ناحية خراسان ، وجعل فيمن ضمّ إليه برزافره عمه وبني بن جوذرز وجماعة من الأصبهذيين كثيرة ، ودفع إليه يومئذ العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه درفش كايان ، وزعموا أن ذلك العلم لم يكن دفعه أحد من الملوك إلى أحد من القواد قبل ذلك ، وإنما كانوا يسيرونه مع أولاد الملوك إذا وجهوهم في

(١) ح : « ونحن نردم » .

(٢) إلى هنا ينتهي الموجود من المجلد الأول من نسخة أحمد الثالث .

(٣) المرازبان : الرئيس من الفرس ، بضم الزاي ، والجمع المرازبية .

الأمر العظام . وأمر ميلاد بالدخول مما يلي الصين ، وضمَّ إليه جماعة كثيرة دون مَنْ ضمَّ إلى جوذرز ، وأمر أغص بالدخول من ناحية الخزر في مثل مَنْ ضمَّ إلى ميلاد ، وضمَّ إلى شومهان إخوتها وبنى عمَّها وتماث ثلاثين ألف رجل من الجند ، وأمرها بالدخول من طريق بين طريق جوذرز وميلاد .

ويقال : إن كيخسرو إنما غزا شومهان لخاصَّتها بسياوخش ، وكانت نَدَرَت أن تطالب بدمه . فضى جميع هؤلاء لوجههم ، ودخل جوذرز بلادَ الترك من ناحية خراسان ، وبدأ بفيران بن ويسغان ، فالتحمت بينهما حربٌ شديدة مذكورة ، وهى الحرب التى قتل فيها بيزن بن نى خُمان بن ويسغان مبارزة ، وقتل جوذرز فيرانَ أيضاً ، ثم قصد جوذرز فراسياب ، وألحَّت عليه العساكر الثلاثة ، كلَّ عسكر من الوجه الذى دخل منه ، واتبع القوم بعد ذلك كيخسرو بنفسه ، وجعل قَصْدَه للوجه الذى كان فيه جوذرز ، وصير مدخله منه ، فوافى عسكر جوذرز ، وقد أثنخ في الترك ، وقتل فيران رئيس إصبهذى فراسياب ، والمرشَّح للملك من بعده ، وجماعة كثيرة من إخوته ؛ مثل خُمان ، وأوستهن ، وجلباد ، وسيامق ، وبهرام ، وفرشخاد ، وفرخلاد .

٦١٠/١

ومن ولده ، مثل روين بن فيران ، وكان مقدِّماً عند فراسياب ، وجماعة من إخوة فراسياب ، مثل : رتدراى^(١) ، وأندرمان ، وأسفخرم ، وأخست . وأسربروا بن فشنجان قاتل سياوخش ، ووجد جوذرز قد أحصى القتلى والأسرى ، وما غنيم من الكُراع والأموال ، فوجد مبلغ ما فى يده من الأسرى ثلاثين ألفاً ، ومن القتلى خمسمائة ألف ونيفاً وستين ألف رجل ، ومن الكُراع والورق والأموال ما لا يحصى كثرة ، وأمر كلَّ واحد من الوجوه الذين كانوا معه أن يجعل أسيره أو قتيله من الأتراك عند علمه لينظر كيخسرو إلى ذلك عند موافاته .

٦١١/١

٦١٢/١

فلما وافى كيخسرو العسكر وموضع الملحمة اصطفَّت له الرجال ، وتلقاه جوذرز وسائر الإصبهذيين ، فلما دخل العسكر جعل يمرَّ بعلم علم ، فكان أول قتيل رآه جثة فيران عند علم جوذرز ، فلما نظر إليها^(٢) وقف ثم قال :

(١) كذا فى ن ، وفى س : « زيد راى » .

(٢) ح ، س : « إليه » .

أيها الجبل الصعب الذراً المنيع الأركان ! ألم أنهك عن هذه المحاربة ، وعن
نصّب نفسك لنا دون فراسياب في هذه المطالبة ! ألم أهدلّ لك نفسى ،
وأعرض عليك ملكى فلم تحسّن الاختيار ! ألسنت الصدوق اللسان ، الحافظ
للإخوان ، الكاتم للأسرار ! ألم أعلمك مكرّ فراسياب وقلّة وفائه فلم تفعل
ما أمرتك بل مضيت في نومك حتى احتوشتك^(١) الليوث من مقاتلتنا وأبناء
مملكنا ! ما أغنى عنك فراسياب ، وقد فارقت الدنيا وأفנית آل ويسغان !
فويل لملكك^(٢) وفهمك ! وويل لسخائك وصدقك ! إنّا بك اليوم لموجعون!

ولم يزل كيخسرو يرثى فيران حتى صار إلى علم بي بن جوذرز ، فلما وقف
عليه وجد بروا بن فشنجان حياً أسيراً في يدي بي ، فسأل عنه فأخبر أنه بروا
قاتل سياوخش المائل به عند قتله إياه . فقرّب منه كيخسرو ، ثم طأطأ رأسه
بالسجود شكراً لربه ، ثم قال : الحمد لله الذى أمكننى منك يا بروا ! أنت
الذى قتلت سياوخش ، ومثلت به ! وأنت الذى سلبته زينته^(٣) وتكلّفت
من بين الأتراك إبارته ، ففرست لنا بفعلك هذه الشجرة من العداوة ، وهيسجت
بيننا هذه المحاربة ، وأشعلت في كلا الفريقين ناراً موقدة ! أنت الذى جترى
على يديك تبديل صورته ، وتوهين قوته ! أما تهيبت أيها التركى جماله !
ألا أبقيت عليه للنور الساطع على وجهه ! أين نجدتلك وقوتك اليوم ! وأين
أخوك الساحر عن نصرتك ! لست أقتلك لقتلك إياه ؛ بل لكلفتك وتولييك
ما كان صلاحاً لك ألا تتولاه ، وسأقتل من قتله بغيه وجرمه .

ثم أمر أن تقطع أعضاؤه حياً ثم يذبح ففعل ذلك به بي ، ولم يزل كيخسرو
يمر بعلم علم ، وأصبهيد أصبهيد ؛ فإذا صار إلى الواحد منهم قال له نحو
ما ذكرنا ، ثم صار إلى مضاربه ، فلما استقرّ فيها دعا بيرزافره عمه ، فلما
دخل عليه أجلسه عن يمينه ، وأظهر له السرور بقتله بجلباز بن ويسغان مبارزة ،
ثم أجزل بجائزته وملاكه على كيرمان ومكران ونواحيها ، ثم دعا بجوذرز ، فلما

(١) احتوشوه : أحاطوا به .

(٢) ن : « لملكك » .

(٣) ح : « رتبته » .

دخل عليه قال له : أيها الأصبهني الرشيد ، والكهل الشفيق ؛ إنه مهما كان من هذا الفتح العظيم فمن ربنا عز وجل ، وعن غير حيلة منا ولا قوة ، ثم برعايتك حقنا ، وبذلِكَ نفسك وأولادك لنا ، وذلك مذخور لك عندنا ، وقد حبوْنَاك بالمرتبة التي يقال لها «بُزْرُ جُفر مذار» ؛ وهي الوزارة ، وجعلنا لك أصبهان وجرّجان وجبالهما ، فأحسن رعاية أهلها .

٦١٤/١

فشكر جودرز ذلك ، وخرّج من عنده بهجاً مسروراً ، ثم أمر بالوجه من أصبهنذته الذين كانوا مع جودرز ممن حسن بلاؤه ، وتولى قتل طراخنة الأتراك ، ولد فشنجان وويسغان ؛ مثل جرجين بن ميلاذان ، وبي ، وشادوس وُلحام ، وجد مير بن جودرز ، وبيزن بن بي ، وبرازة بن بيغان ، وفروذه بن فامدان وزنده بن شابريغان ، وبسطام بن كزدهمان ، وفرته بن تفارغان . فدخلوا عليه رجلاً رجلاً ؛ فمنهم من ملكه على البلدان الشريفة ، ومنهم من خصّه بأعمال من أعمال حضرته ، ثم لم يلبث أن وردت عليه الكتب من ميلاد وأغص وشومهان بإثخانهم في بلاد الترك ، وأنهم قد هزموا فراسياب عسكرياً بعد عسكر ، فكتب إليهم أن يجذوا في محاربة القوم ، وأن يوافقوه بموضع سماه لهم من بلاد الترك . فزعوا أن العساكر الأربعة لما أحاطت بفراسياب ، وأتاه من قتل من قتل ، وأسر من أسر ، وخراب ما خرب ما أتاه ، ضاقت عليه المذاهب ، ولم يبق معه من ولده إلا شيدته - وكان ساحراً - فوجهه نحو كيخسرو بالعدة والعتاد ، فلما وافى كيخسرو أعلم أن أباه إنما وجهه للاحتيال عليه ، فجمع أصبهنذته وتقدّم إليهم في الاحتراس من غيلته .

٦١٥/١

وقيل : إن كيخسرو أشفق يومئذ من شيدته وهابته ، وظن ألا طاقة له به ، وأن القتال اتصل بينهما أربعة أيام ، وإن رجلاً من خاصة كيخسرو يقال له جرد بن جرهمان عبى يومئذ أصحاب كيخسرو ، فأحسن تعبيتهم ، فكثرت القتلى بينهم واسمات رجال خنيارث وجدت ، وأيقن شيدته ألا طاقة له بهم فانهزم ، واتبعه كيخسرو بمن معه ، ولحقه جرد فضربه على هامته بالعمود ضربة خسر منها ميتاً ، ووقف كيخسرو على جيفته ، فعابن منها سماجة شنة ، وغنم كيخسرو ما كان من عسكرهم ، وبلغ الخبر فراسياب ، فأقبل بجميع

٦١٦/١

طراختته، فلما التقى وكيخسر، ونشبت بينهما حرب شديدة لا يقال إن مثلها كان على وجه الأرض قبلها، فاختلفت رجال خنيارث برجال الترك، وامتد الأمر بينهم حتى لم تقع العين يومئذ إلا على الدماء، والأسر من جوذرز ولده وجرجين وجرذ وبسطام، ونظر فراسياب وهم يحمون كيخسرو كأنهم أسود ضاربة، فانهزم مولياً على وجهه هارباً، فأحصيت القتلى فيما ذكر يومئذ؛ فبلغت عدتهم مائة ألف، وجد كيخسرو وأصحابه في طلب فراسياب، وقد تجرد للهرب. فلم يزل يهرب من بلد إلى بلد حتى أتى أذربيجان، فاستتر في غدير هناك يعرف بيتر نخاسف، ثم ظفربه، فلما أتى كيخسرو استوثق منه بالحديد، ثم أقام للاستراحة بموضعه ثلاثة أيام، ثم دعاه، فسأله عن عذره في أمر سياوخش، فلم يكن له عذر ولا حجة، فأمر بقتله، فقام إليه بن جوذرز، فذبحه كما ذبح سياوخش، ثم أتى كيخسرو بدمه، فغمس فيه يده، وقال هذا بيتر سياوخش، وظلمكم إياه واعتدائكم عليه. ثم انصرف ٦١٧/١ من أذربيجان ظافراً غانماً بهجاً.

وذكر أن عدة من أولاد كيبه جد كيخسرو الأكبر وأولادهم كانوا مع كيخسرو في حرب الترك، وأن من كان معه كى أرش بن كيبه، وكان مملوكاً على خوزستان وما يليها من بابل وكى به أرش، وكان مملوكاً على كرمان ونواحيها، وكى أوجى بن كيمنوش بن كيفاشين بن كيبه، وكان مملوكاً على فارس، وكى أوجى هذا هو أبوكى لهراسف الملك؛ ويقال إن أخاً لفراسياب كان يقال له: كى شراسف، صار إلى بلاد الترك بعد قتل كيخسرو أخاه، فاستولى على ملكها، وكان له ابن يقال له خرزاسف، فلك البلاد بعد أبيه، وكان جباراً عاتياً، وهو ابن أخى فراسياب ملك الترك الذى كان حارب منوشهر، وجوذرز هو ابن جشواغان بن يسحره^(١) بن قرحين^(١) بن حبر بن رسود بن أورب بن تاج^(١) بن رشيك^(١) بن أرس بن وندح^(٢) بن رعر بن نودراحاه بن مسواغ بن نوذر بن منوشهر.

فلما فرغ كيخسرو من المطالبة بوتره، واستقر في مملكته زهد في الملك، وتنسك، وأعلم الوجوه من أهله وأهل مملكته أنه على التخلّي من الأمر، فاشتد

لذلك جزعهم ، وعظمت له وحشتهم ، واستغاثوا إليه ، وطلبوا وتضرعوا ، وراودوه على المقام بتدبير ملكهم ، فلم يجدوا عنده في ذلك شيئاً ، فلما يئسوا قالوا بأجمعهم : فإذا قمت على ما أنت عليه فسم للملك رجلاً نقلده إياه ، وكان لهراسف حاضراً ، فأشار بيده إليه ، وأعلمهم أنه خاصته ووصيه ، فأقبل الناس إلى لهراسف ، وذلك بعد قبوله الوصية . وفقد كيخسرو ، فبعض يقول : إنه غاب للنسك فلا يدرى أين مات ، ولا كيف كانت ميته ، وبعض يقول غير ذلك .

وتقلد لهراسف الملك بعده على الرسم الذي رسم له ، وولد كيخسرو : ٦١٩/١

جاماس ، وأسبهر^(١) ، وري ، ورمين .

وكان ملك كيخسرو ستين سنة .

أمر إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام

رجع الحديث إلى الخبر عن أمر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .

ثم ملك بعد سليمان بن داود على جميع بني إسرائيل ابنه رُحْبَعُمُ^(١) بن سليمان ، وكان ملكه فيمَا قِيلَ سَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً . ثم افترقت ممالكُ بني إسرائيل فيما ذكر بعد رُحْبَعُمُ ، فكان أَيْبَاءُ^(٢) بن رُحْبَعُمُ ملك سبط يهوذا وبنيامين ، دون سائر الأَسْبَاطِ ؛ وذلك أن سائر الأَسْبَاطِ ملَكُوا عليهم يوربعم^(٣) بن نابط ، عبد سليمان ، لسبب القربان الذي كانت زوجة سليمان قربته في داره ، وكانت قربت فيها جرادةٌ لصنم ، فتوعده الله بإزالة بعض الملك عن ولده ، فكان ملك رُحْبَعُمُ إلى أن تُوُفِّيَ - فيما ذكر - ثلاث سنين .

ثم ملك أَسَا^(٤) بن أَيْبَاءُ أمر السُّبُطَيْنِ اللذَيْنِ كان أبوه يملك أمرهما - وهما سبط يهوذا وسبط بنيامين - إلى أن تُوُفِّيَ ، لإحدى وأربعين سنة .

* * *

ذكر خبر أَسَا بن أَيْبَاءُ وزرح الهندي

حدثني محمد بن سهل بن عسكر ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ؛ قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهب بن منبّه يقول : إن ملكاً من ملوك بني إسرائيل يقال له أَسَا بن أَيْبَاءُ ، كان رجلاً صالحاً ، وكان أعرج ، ٦٢٠/١ وكان ملك من ملوك الهند يقال له زرح ، وكان ملكاً جباراً فاسقاً يدعو الناس

(١) ضبطه ابن خلدون في (١: ١٤٨) : «براء مهمله وحاء مهمله مضمومتين ، وباء موحدة ساكنة وعين مهمله مضمومة وميم» .

(٢) في ابن خلدون : «أفيا ، وضبطه همزة مفتوحة وفاء متوسطة بين الفاء والذال من لغتهم ، وباء مشناة من تحت مشددة بألف» .

(٣) في ابن خلدون : يربعم ، مضبوطاً بالقلم ؛ يفتح وضم الراء وسكون الباء .

(٤) ضبطه ابن خلدون «بضم الهمزة وفتح السين المهمله وألف بعدها» .

إلى عبادته ، وكان أبيّاً عابداً أصنام ؛ له صنمان يعبدهما من دون الله ، ويدعو الناس إلى عبادتهما ؛ حتى أضلّ عامة بني إسرائيل ، وكان يعبد الأصنام حتى توفى . ثم ملك ابنه أسا من بعده ، فلما ملكهم^(١) بعث فيهم منادياً ينادى : ألا إنّ الكفر قد مات وأهلُه ، وعاش الإيمان وأهلُه ، وانتكست الأصنام وعبادتها ، وظهرت طاعة الله وأعمالها ، فليس كافر من بني إسرائيل يُطلع رأسه بعد اليوم بكُفْرٍ في ولايتي ودهري ، إلا أنتي^(٢) قاتله . فإن الطوفان لم يُغْرِق الدنيا وأهلها ، ولم يخسف بالقرى ، ولم تمطر الحجارة والنار من السماء إلا بترك طاعة الله ، وإظهار معصيته ؛ فمن أجل ذلك ينبغي لنا ألا نقرّ لله معصية يُعَمَلُ بها ، ولا نترك طاعة لله إلا أظهرناها جهداً ، حتى نطهر الأرض من نجسها ، ونُنْقِئها من دنسها ، ونجاهد مَنْ خالفنا في ذلك بالحرب والنفي من بلادنا .

فلما سمع ذلك قومُه ضجّوا وكرهوا ، فأتوا أمّ أسا الملك فشكوا إليها فعل ابنها بهم وبآلهتهم ، ودعاهم إياهم إلى مفارقة دينهم ، والدخول في عبادة ربّهم ، فتحملت لهم أمه أن تكلمته وتصرفته إلى عبادة أصنام والده ؛ فبينما الملك قاعد عنده أشرف قومُه ورعوسهم^(٣) وذوو طاعتهم ؛ إذ أقبلت أمّ الملك فقام لها الملك من مجلسه ، وأمرها أن تجلس فيه ، معرفةً بحقها ، وتوقيراً لها . فأبت عليه وقالت : لست ابني إن لم تجبني إلى ما أدعوك إليه ، وتضع طاعتك في يدي حتى تفعل ما أمرك به ، وتجيبتني إلى أمر ؛ إن أعطتني فيه رشدت وأخذت بحظك ، وإن عصيتني فعظك بخست ، ونفسك ظلمت . إنه بلغني يا بني أنك بدأت قومك بالعظيم ؛ دعوتهم^(٤) إلى مخالفة دينهم ، والكفر بآلهتهم ، والتحوّل عمّا كان عليه آباؤهم ، وأحدثت فيهم سنة ، وأظهرت فيهم بدعة ؛ أردت بذلك - فيما زعمت - تعظيماً لوقارك ، ومعرفةً بمكانك ، وتشديداً لسلطانك ؛ وفي التقصير يا بني دخلت ، وبالشين أخذت . ودعوت جميع الناس إلى حربك ، وانتدبت لقتالهم وحدك ؛ أردت بذلك أن تُعيد الأحرار لك عبيداً ، والضعيف

٦٢١/١

(١) ن : « فلما ملكهم من بعده » . (٢) ح : « أنا » .
 (٣) ن : « ورؤسائهم » . (٤) س : « ودعوتهم » .

لك شديداً ؛ سفّهت بذلك رأى العلماء ، وخالفت الحكماء ، واتّبع رأى السفهاء . ولعمري ما حملك على ذلك يا بنىّ إلا كثرة طيشك ، وحدائث سنّك ، وقلة علمك ؛ فإن أنت رددت على كلامي ، ولم تعرف حتى ، فلست من نسل والدك ، ولا ينبغي الملك لملك . يا بنىّ بأى شيء تدلّ على قومك ؟ لعلك أوتيت من الحروف مثل ما أتى^(١) موسى إلى فرعون ؛ أن غرقه وأنجى قومه من الظلمة . أو لعلك أوتيت من القوة ما أوتى داود ؛ أن قتل الأسد لقومه ، وخلق الذئب فشق شدقه ، وقتل جالوت الجبار وحده . أو لعلك أوتيت من الملك والحكمة أفضل ممّا أوتى سليمان بن داود رأس الحكماء ؛ إذ صارت حكمته مثلاً للباقيين بعده ! يا بنىّ إنه ما يأتك من حسنة فأنا أحظى الناس بها ، وإن تكن الأخرى فأنا أشقاهم بشقوتك .

فلما سمعها الملك اشتد غضبه ، وضاق صدره ، فقال لها : يا أمّه ! إنه لا ينبغي أن آكل على مائدة واحدة مع حبيبي وعدوي ، كذلك لا ينبغي أن أعبد غير ربّي . هلمّي إلى أمر إن أطعنتني فيه رشدت ، وإن تركته غويت ؛ أن تعبدى الله وتكفري بكل آلهة دونه ، فإنه ليس أحد يردّ هذا على إلا هو الله عدو ، وأنا ناصره لأنى عبده .

قالت له : ما كنت لأفارق أصنامي ، ولا دين آبائي وقومي . ولا أترك^(٢) ذلك لقولك ، ولا أعبد الربّ الذي تدعوني إليه .

فقال لها الملك : حينئذ^(٣) يا أمّه ، إن قولك هذا قد قطع فيما^(٤) بيني وبينك رحيمي .

وأمر بها الملك عند ذلك فأخرجوها وغربوها^(٥) ، ثم أوصى إلى صاحب شرطته وبابه أن يقتلها إن هي ألمت بمكانه^(٦) . فلما سمع ذلك منه الأسباط الذين كانوا حوله وقعت في قلوبهم المهابة ،

(١) كذا في ن ، وفي ط : « أوتى » . (٢) ح : « وأترك » .

(٣) س : « عند ذلك » . (٤) ن : « فرق بيني » .

(٥) ر ، ن : « وغربوها » . غربوها ، أى أهدرها

(٦) ح : « بمكانها » .

٦٢٣/١ فأذعنوا له بالطاعة ، وانقطعت فيما بينهم وبينه كل حيلة ، وقالوا : قد فعل هذا بأمره ، فأين نقع نحن منه إذا خالفنا في أمره ، ولم نجبه إلى دينه ! فاحتالوا له كل حيلة ، فحفظه الله وأباد مكرهم . فلما لم يكن لهم عن (١) ذلك صبر ، ولا على فراق دينهم قوام ؛ ائتمروا بأن يهربوا من بلاده ، ويسكنوا بلاداً غيرها ؛ فخرجوا متوجهين إلى زَرْح ملك الهند يطلبون أن يستحملوه على أسا ومن اتبعه ؛ فلما دخلوا على زَرْح سجدوا له ، فقال لهم : مَنْ أَنْتُمْ ؟ قالوا : نحن عبيدك ، قال : وأى عبيدى (٢) أَنْتُمْ ؟ قالوا : نحن من أرضك أرض الشام ، وإننا كنا نعترّ بملكك ، حتى ظهر فينا ملك صبي حديث السن سفیه ، فغير ديننا ، وسفّه رأينا ، وكفّر آباءنا ، وهان عليه سخطنا ، فأتيناك لنعلمك ذلك ، فتكون أنت أولى بملكنا ؛ ونحن رءوسهم ، وهى أرض كثير مالها ، ضعيف أهلها ، طيبة معيشتها ، كثيرة أنصارها (٣) ، وفيهم الكنوز وملك ثلاثين ملكاً ، وهم الذين كان يوشع بن نون خليفة موسى سار بهم في البحر هو وقومه ؛ فنحن وأرضنا لك ، وبلادنا بلادك ، وليس أحدٌ فيها يناصرك ، هم دافعون أيديهم إليك بغير قتال ، بأموالهم (٤) وأنفسهم مسالمة .

قال : لهم زرح : لعَمْرِي ، ما كنت لأجيبكم إلى ما دعوتوني إليه ، ولا أستجيب إلى مقاتلة قوم لعلهم أطوعُ لى منكم ، حتى أبعث إليهم من قوى أمناء ، فإن وقع الأمر على ما تكلمتم به قد أرى نفعكم ذلك عندي ، وجعلتكم عليها ملوكاً ، وإن كان كلامكم كذباً فإنى منزل بكم العقوبة التى تنبغى لمن كذبى .

٦٢٤/١

قال القوم : تكلمت بالعدل ، وحكمت بالقسط ، ونحن به راضون . فأمر عند ذلك بالأرزاق فأجريت عليهم ، واختار من قومه أمناء لبيعهم جواسيس ، فأوصاهم بوصيته (٥) ، وخوفهم وحدّهم بطشه إن هم كذبوه ،

(١) ن : « على » . (٢) ن : « عبيد » .

(٣) كذا فى ط ، وفى ح « أنصارها » ، وفى س « ثمارها » .

(٤) زاد ح : « ومواشيهم » . (٥) ن : « بوصية » .

ووعدهم المعروف إن هم صدقوه . وقال زرح : إننى مرسلكم لأمانتكم ، وشحتكم على دينكم ، وحسن رأيكم فى قومكم ، لتطالعوا لى أرضاً من أرضى ، وتبحثوا لى عن شأنها ، وتعلمونى علم أهلها ومليكها وجنودها وعددها وعدد مياهها ، وفجاجها وطرقها ، ومدخلها ومخارجها ، وسهولتها وصعوبتها ؛ حتى كأتى شاهد ذلك وعالمه ، وحاضر ذلك وخابره . وخذوا معكم من الخزائن من الياقوت والمرجان والكسوة ما يفرغون إليه إذا رأوه ، ويشرون منكم إذا نظروا إليه .

فأمكنهم من خزائنه حتى أخذوا منها ، فجهزهم لبرّهم وبحرهم ، ووصف لهم القوم الذين أتوهم ^(١) الطرق ، ودلّوهم على مقاصدها ، فساروا كالتجار ؛ حتى نزلوا ساحل البحر ، ثم ركبوا منه حتى أرسوا على ساحل إيليباء ، ثم ساروا حتى دخلوها ، فخلّفوا ^(٢) أنفالم فيها ، وأظهروا أمتعتهم وبضاعتهم ، ودعوا الناس إلى أن يشتروا منهم ؛ فلم يفرغوا لبضاعتهم ، وكسدت تجارتهم ، فجعلوا يعطون بالشىء القليل الشىء الكثير ؛ لكيلا يخرجوهم من قريتهم ، حتى يعلموا أخبارهم ، ويحقّقوا شأنهم ويستخرجوا ما أمرهم به ملكهم من أخبارهم . ٦٢٥/١

وكان أسا الملك قد تقدّم إلى نساء بنى إسرائيل ألاّ يقدر على امرأة لا زوج لها بهيئة امرأة لها زوج إلاّ قتلها أو نفاها من بلاده إلى جزائر البحار ؛ فإنّ إبليس لم يدخل على أهل الدّين فى دينهم بمكيدة هى أشدّ من النساء ؛ فكانت المرأة التى لا زوج لها لا تخرج إلاّ منتقبة فى رثة الثياب لثلاث تعرف ؛ فلما بذل هؤلاء الأماناء بضاعتهم ما ثمنه مائة درهم بدرهم ، جعل نساء بنى إسرائيل يشترين خفصية بالليل سرا ، لا يعلم بهنّ أحد من أهل دينهنّ ^(٣) ؛ حتى أنفقوا بضاعتهم واشتروا بها حاجتهم ، واستوعبوا حبر مدينتهم وحصونهم ، وعدد مياههم ، وكانوا قد كتموا رءوس بضاعتهم ومحاسنها من اللؤلؤ والمرجان والياقوت هديّة للملك ، وجعل الأماناء يسألون من رأوا من أهل القرية عن خبر الملك

(١) ن : « أتوا » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « فخلوا » .

(٣) ح : « مدينتهم » .

وشأنه إذ لم يشتر منهم شيئاً ، وقالوا : ما شأن الملك لا يشتري منا شيئاً ! إن كان غنياً فإنّ عندنا^(١) من طرائف^(٢) البضاعات فنعطيه ما شاء مما لم يدخل مثله في خزائنه ، وإن كان محتاجاً فما يمنعه أن يشهدنا فنعطيه ما شاء بغير ثمن ! قال لهم مَنْ حضرهم من أهل القرية : إنّ له من الغنى^(٣) والخزائن وفنون المتاع ما لم يُقدّر على مثله ؛ إنه استفرغ الخزائن التي كان موسى سار بها من مصر ، والحليّ الذي كان بنو إسرائيل أخذوا ، وما جمع يوشع بن نون خليفة موسى ، وما جمع سليمانُ رأس الحكماء والملوك ، من الغنى الكثير والآنية التي لا يقدر على مثلها .

٦٢٦/١

قال الأعماء : فما قتاله ؟ وبأى شيء عظمته ؟ وما جنوده ؟ أرايتم لو أن^(٤) ملكاً انحرف^(٥) عليه ففتق ملكه ما كان إذا قتاله إياه ؟ وما عدته وعدد جنوده ؟ أم بأى الخليل والفرسان غلبته ؟ أم^(٦) من أجل كثرة جمعه وخزائنه وقعت في قلوب الرجال هيئته !

فأجابهم القوم وقالوا : إن أسا الملك قليلة عدته ، ضعيفة قوته ، غير أنّ له صديقاً لو دعاه واستعان به على أن يزيل الجبال أزلها ؛ فإذا كان معه صديقه فليس شيء من الخلق يطيقه .

قال لهم الأعماء : ومنّ صديق أسا ؟ وكم عدد جنوده ؟ وكيف مواجته وقتاله ؟ وكم عدد عساكره ومراكبه ؟ وأين قراره ومسكنه ؟

فأجابهم القوم : أمّا مسكنه ففوق السموات العلا ، مستوٍ على عرشه ، لا يحصى عدد جنوده ، وكلّ شيء من الخلق له عبد ، لو أمر البحر لطم على البرّ ، ولو أمر الأنهار لغارت في عنصرها ، لا يرى ولا يعرف قراره ، وهو صديق أسا وناصره^(٧) .

(١) ن : « عندنا » .

(٢) ط : « طرائف » .

(٣) كذا في ن ، ر ، وفي ط : « الغناء » .

(٤) ح : « كان » .

(٥) ن : « انحرف » .

(٦) كذا في س ، وفي ط : « أومن » . (٧) ح : « وحافظه » .

فجعل الأمانء يكتبون كل شيء أخبروا به من أمر أسا وقضية أمره ،
فدخل بعض هؤلاء الأمانء عليه فقالوا : يا أيها الملك ، إن معنا هدية نريد أن
٦٢٧/١ نهدية لك من طرائف بلادنا ، أو تشتري منا فنرخصه عليك (١) .

قال لهم : ائتوني بذلك حتى أنظر إليه ، فلما أتوه به قال لهم : هل يبقى هذا
لأهله ويبقون (٢) له ؟ قالوا : بل يفنى هذا ويفنى (٣) أهله . قال لهم أسا (٤) :
لا حاجة لي فيه (٥) ، إنما طلبت ما تبقى بهجته لأهله ، لا تزول ولا يزولون عنه .

فخرجوا من عنده ، ورد عليهم هديتهم ، فساروا من بيت المقدس
متوجهين إلى زرح الهندي ملكهم . فلما أتوه نشرأله كتاب خبرهم وأنبأه (٦)
بما انتهى إليهم من أمر ملكهم ، وأخبروه بصديق أسا . فلما سمع زرح كلامهم
استحلفهم بعزته ، وبالشمس والقمر اللذين يعبدونهما ولما يصلون ألا يكتبوه
من خبر ما رأوا في بني إسرائيل شيئاً . فصدقه .

فلما فرغوا من خبرهم وخبر أسا ملكهم وصديقه ، قال لهم زرح : إن بني
إسرائيل لما علموا أنكم جواسيس ، وأنكم قد اطلعت على عوراتهم ذكروا لكم
صديق أسا وهم كاذبون ؛ أرادوا بذلك ترهيبكم . إن صديق أسا لا يطبق أن
يأتي بأكثر من مجندي ، ولا يأكل من عدتي ، ولا بأقسي قلوباً ولا أجراً
على القتال من قومي ؛ إن لقيتني بألف لقيته بأكثر من ذلك .

ثم عمد زرح عند ذلك فكتب إلى كل من في طاعته أن يجهزوا (٧) من
كل مخلاف (٨) بجنداً بعدتهم حتى استمد يأجوج ومأجوج والترك وفارس مع
٦٢٨/١

(١) ن ، س : « فرخص » .

(٢) ح : « أو يبقون »

(٣) ط « ويفنون » .

(٤) ن : « قال أسا » .

(٥) س ، ن : « به » .

(٦) ن ، س : « وأتوه » . (٧) ح ، س : « أن جهزوا » .

(٨) المخلاف ، قال باقوت في مقدمة كتابه عند ذكره الألفاظ التي يتكرر ذكرها في هذا
الكتاب : « فالمخلاف أكثر ما يقع في كلام أهل اليمن ؛ وقد يقع في كلام غيرهم على جهة التبعية لهم
والانتقال لهم ؛ وهو واحد مخاليف اليمن ؛ وهي كورها . . . وقال خالد بن جبنة : « في كل بلد
مخلاف » .

مَنْ سَواهم من الأُمم ممن جرت عليه لزرح طاعة ؛ كتب :
 من زرح الجبار الهندي ملك الأرضين ، إلى مَنْ بلغته كُتبي : أما بعد
 فإن لي أرضاً قد دنا حصادُها وأبنع ثمرُها ؛ وأردت أن تبعثوا إليّ بعمال
 أغنمهم ما حصدوا منها ، وهم قوم قصّوا عني ، وغلبوا على أطراف من أرضي
 وقهروا مَنْ تحت أيديهم من رقيتي ، وقد منحتهم مَنْ نهض إليهم معي ، فإن
 قصرتُ بكم قوّة فعندي قوتكم ، فإنه لا تتعطل خزائني .

فاجتمعوا إليه من كل ناحية ، وأمدّوه بالخيل والفرسان والرّجال^(١) والعدّة ؛
 فلما اجتمعوا عنده أمكنهم من السلاح والجهاز من خزائنه ، ثم أمر بإحصاء
 عددهم وتعبيتهم ، فبلغ عددهم ألف ألف ومائة ألف سوى أهل بلادهم .
 وأمر بمائة مركب ، فقيرن^(٢) له البغال ، كل أربعة أبغّل جميعاً عليها سرير
 وقبّة ، وفي كل قبّة منها جارية ، ومع كل مركب عشرة من الخدم ، وخمسة
 أقيال من فيلته ، فبلغ في كل عسكر من عساكره مائة ألف ، وجعل خاصّته
 الذين يركبون معه مائة^(٣) من رعوسهم ، وجعل في كل عسكر عرّفاء^(٤) ،
 وخطبهم وحرّضهم على القتال ، فلما نظر إليهم وسار فيهم تعزّز وتعظّم شأنه
 في قلوب مَنْ حضره ، ثم قال زرح : أين صديق أسا ؟ هل يستطيع أن
 يعصمه منّي ؟ أو مَنْ يطيق غلبتي ؟ فلو أن أسا وصديقه ينظران إلى وإلى
 جندي ما اجترأ على قتالي ؛ لأنّ عندي بكل واحد من جنده ألفاً من جنودي ،
 ليُدخلن أسا أرضي أسيراً ، ولأقدمن بقومه سبيّاً في جنودي .

فجعل زرح ينتقص^(٥) أسا ويقول فيه مالا ينبغي ، فبلغ أسا صنيع زرح
 وجمعه عليه ، فدعا ربّه فقال : اللهم أنت الذي بقوتك خلقت^(٦) السموات
 والأرض ومنّ فيهنّ حتى صار جميع ذلك في قبضتك ، أنت ذو الأناة

(١) كذا في ن ، وفي ط : « الرجال » .

(٢) ح : « ففرق » .

(٣) ن : « مائة ألف » .

(٤) العريف : رئيس التوم ؛ سمي لأنه عرف بذلك ؛ وهو دون الرئيس .

(٥) ن : « يتنقص » .

(٦) ن : « جعلت » .

الرفيعة^(١) والغضب الشديد ، أسألك ألاّ تذكرنا بخطايانا^(٢) فيما بيننا وبينك ، ولا تعمدنا ولا تجزينا على معصيتك ؛ ولكن تذكرنا برحمتك التي جعلتها للخلائق ، فانظر إلى ضَعْفنا وقوة عدونا ، وانظر إلى قَلَّتْنا وكثرة عدونا ، وانظر إلى ما نحن فيه من الضيق والغمّ ، وانظر إلى ما فيه عدونا من الفرح والراحة ، ففرّق زرحاً وجنوده في اليمّ بالقدرة التي غرقت بها فرعون وجنوده ، وأنجيت موسى وقومه . وأسألك أن تُحِلّ على زرح وقومه عذابك بغتة !

فأرى أسأ في المنام - والله أعلم - أني قد سمعت كلامك ، ووصل إلى جُؤارِك ، وأنى على عرشي ، وأنى إن غرقت زرحا الهندي وقومه ، لم يعلم بنو إسرائيل ولا مَنْ كان بحضرتهم كيف صنعت بهم ، ولكن سأظهر في زرح وقوميه لك ولمن اتبعك قدرة من قدرتي ، حتى أكفيك مؤنتهم ، وأهب لك غنيمتهم ، وأضع في أيديكم عساكرهم ؛ حتى يعلم أعداؤك أن صديق أسأ لا يطاق وليئه ، ولا يهزم جنده^(٣) ، ولا يخيب مُطيعه ، فأنا أتمهل له حتى يفرغ من حاجته ، ثم أسوقه إليك عبداً ، وعساكره لك ولقومك خولاً .

فسار زرح ومن معه حتى حلّوا على ساحل ترشيش ، فلم يكن إلاّ محلّة يوم حتى دفنوا أنهارها ، ومحوها مروجها ؛ حتى كان الطير ينقصف عليهم ، والوحش لا تستطيع الحرب منهم ، فساروا حتى كانوا على مرحلتين من إيلياء ، ففرّق زرح عساكره منها إلى إيلياء ، وامتألت منهم تلك الأرض : جبالها وسهولها ، وامتألت قلوب أهل الشام منهم رعباً ، وعانوا هلكتهم .

فسمع بهم أسأ الملك ؛ فبعث إليهم طليعة من قومه ، وأمرهم أن يخبروه بعددهم وهيتهم . فسار القوم الذين بعثهم أسأ حتى نظروا إليهم من رأس تلّ ، ثم رجعوا إلى أسأ فأخبروه أنه لم تر عيون بني آدم ، ولا سمعت آذانهم مثلهم ومثل أفيالهم وخيولهم وفرسانهم ؛ وما ظنننا أن في الناس مثلهم كثرة وغدة ، فُلّت من إحصائهم عقولنا ، وفُلّت من قتالهم حيلتنا ، وانقطع فيما بيننا وبينهم رجاؤنا .

(١) ن : « الرفيعة » . (٢) ح : « تذكر خطايانا » .

(٣) ح : « ووليه لا يهزم جنده » .

فسمع بذلك أهل القرية فشقوا ثيابهم ، وذرّوا التراب على رؤوسهم ،
وعجّوا بالعويل في أزقتهم وأسواقهم ، وجعل بعضهم يودّع بعضاً . ثم ساروا
حتى أتوا الملك فقالوا : نحن خارجون بأجمعنا إلى هؤلاء القوم فدافعون إليهم
أيدينا ، لعلهم أن يرحمونا فيقرونا في بلادنا . قال لهم أسا الملك : معاذ الله
أن نُلقي بأيدينا^(١) في أيدي الكفرة ، وأن نُخلّي بيت الله وكتابه للفجرة !
قالوا : فاحتلّ لنا حيلة ، واطلب إلى صديقك وربك الذي كنت تعدّنا^(٢)
بنصره^(٣) ، وتدعونا إلى الإيمان به ، فإن هو كشف عنا هذا البلاء ؛ وإلا
وضعنا أيدينا في أيدي عدونا لعلنا نتخذّص بذلك من القتل .

قال لهم أسا : إن ربي لا يطاق إلا بالتضرّع والتبتل والاستكانة . قالوا : فابرز له لعلّه
أن يجيبك فيرحم ضعفنا ، فإن الصديق لا يسلم صديقه على مثل هذا . فدخل أسا المصلّي ،
ووضع تاجه من رأسه ، وخلّى ثيابه ، ولبس المسوح واقرش الرماد ، ثم مدّ يده
يدعو ربه بقلب حزين ، وتضرّع كثير ، ودموع سجال ، وهو يقول : اللهم
ربّ السموات السبع وربّ العرش العظيم ، إله إبراهيم وإسماعيل وإسحاق
ويعقوب والأسباط ؛ أنت المستخفي من خلقك حيث شئت ، لا يدرك قرارك ،
ولا يطاق كنه عظمتك ، أنت اليقظان الذي لا تنام ، والحديد الذي لا تبليكه
الليالي والأيام ؛ أسألك بالمسألة التي سألك بها إبراهيم خليك فأطفت بها عنه
النار ، وألحقته بها بالأبرار ، وبالدهاء الذي دعاك به نجيبك موسى فأنجيت
بنى إسرائيل من الظلمة ، وأعتقتهم به من العبودية ، وسيّرتهم في البر^(٤) والبحر ،
وغرقت فرعون ومن اتبعه . وبالتضرّع الذي تضرّع لك^(٥) عبدك داود
فرفعتّه ، ووهبت له من بعد الضعف القوة ، ونصرتّه على جالوت الجبار ،
وهزمتّه . وبالمسألة التي سألك بها سليمان نبيك ففتحته الحكمة ، ووهبت له
الرفعة ، وملّكته على كلّ دابة . أنت محيي الموتى ، ومُفني الدنيا ، وتبقي

(١) س : « أيدينا » .

(٢) ح : « وعدتنا » .

(٣) س : « نصره » .

(٤) كذا في ح ، وفي ط : « في البحر إلى البر » .

(٥) ح : « إليك » .

وحدك خالداً لا تفتنى ، ووجديداً لا تبلى . أسألك يا إلهي أن ترحمنى بإجابة دعوتى ؛ فإنى أعرجُ مسكين من أضعف عبادك ، وأقلتهم حيلة ، وقد حلّ بنا كرب عظيم ؛ وحزبٌ^(١) شديد ، لا يطيق كشفه غيرُك ، ولا حول ولا قوة لنا إلاّ بك ، فارحم ضعفنا بما شئت ؛ فإنك ترحم من تشاء بما تشاء .

وجعل علماء بنى إسرائيل يدعون الله خارجاً وهم يقولون : اللهمّ أجب اليوم عبدك ؛ فإنه قد اعتصم بك وحدك ، ولا تخلّ بينه وبين عدوك ، واذكر حبه إياك ، وفراقه أمّه وجميع الخلائق إلا من أطاعك .

فأتى الله على أسا النوم وهو فى مصلاه ساجداً ، ثم أتاه من الله آت — والله أعلم — فقال : يا أسا ، إن الحبيب لا يُسلم حبيبه ، وإن الله عزّ وجلّ يقول : إنى قد ألقيت عليك محبتى ، ووجّب لك نصرى ، فأنا الذى أكفيك عدوك ، فإنه لا يهون منّ توكلّ علىّ ، ولا يضعف منّ تقوى نى . كنت تذكرنى فى الرخاء ، وأسلمك عند الشدائد ، وكنت تدعونى آمناً ، وأنا أسلمك خائفاً ؛ إن الله القوىّ يقول : أنا أقسم أن لو كابدتلك^(٢) السموات والأرض بمنّ فيهنّ لجعلت لك منّ جميع ذلك مخرجاً ، فأنا الذى أبعث طرفاً^(٣) من زبانيّتى يقتلون أعدائى ، فإنى معك ، ولن يخلص إليك ولا إلى من معك أحد .

فخرج أسا من مصلاه وهو بحمد الله ، مسفراً وجهه ، فأخبرهم بما قيل له ، فأما المؤمنون فصدّقه ، وأما المنافقون فكذبوه ، وقال بعضهم لبعض : إنّ أسا دخل أعرج وخرج أعرج ، ولو كان صادقاً أن الله قد أجابه إذآ لأصلح^(٤) رجله ، ولكن يغرّنا ويمتينا ، حتى تقع الحرب فينا فيهلكنا !

* * *

فبينما الملك يخبرهم عن صنع الله^(٥) بهم^(٦) إذ قدم رسل من زرح فدخلوا إيلياء ومعهم كتب من زرح إلى أسا ، فيها شتمٌ له ولقومه ، وتكذيب بالله ،

(١) الحزب، بالفتح : اشتداد الأمر . وفى ح : « حزن » .

(٢) كذا فى ن ، وفى ط ن : « كابدتك » . (٣) ح : « طوقاً » .

(٤) ن : « أصلح » .

(٥) س : « عن صنيع » .

(٦) ن : « لهم » .

وكتبَ فيها : أن ادعُ صديقك الذى أضللت به قومك فليبارزنى بجنوده ، وليظهر لى مع ما أنتى أعلم أنه لن يطيقنى (١) هو ولا غيره ؛ لأنى أنا زرح الهندى الملك .

فلما قرأ أسا الكتب التى قدم بها عليه همّلت عيناه بالبكاء ، ثم دخل مصلاً ، ونشر تلك الكتب بين يدي (٢) الله ، ثم قال : اللهم ليس لى شىء من الأشياء أحبّ إلىّ من لقاائك ؛ غير أنى أتخوف أن يطفأ هذا النور الذى أظهرته فى آياى هذه ، وقد حضرت هذه الصحائف وعلمت ما فيها ، ولو كنت المراد بها كان ذلك يسيراً ؛ غير أن عبدك زرحاً يكايدك ويتناولك ؛ فخر (٣) بغير فخر ، وتكلّم بغير صدق ، وأنت حاضر ذلك وشاهده .

٦٣٤/١

فأوحى الله إلى أسا - والله أعلم - أنه لا تبديل لكلماتى ، ولا خلف لوعدى ، ولا تحويل لأمرى ، فاخرج من مصلاك ، ثم مرّ خيلك أن تجتمع ، ثم اخرج بهم وبمن اتبعك حتى تقفوا على نَشْر من الأرض .

فخرج أسا فأخبرهم بما قيل له ، فخرج اثنا عشر رجلاً من رؤسائهم ، مع كل رجل منهم رهط من قومه ؛ فلما أن خرجوا ، ودعوا أهاليهم بالألا يرجعوا (٤) إلى الدنيا . فوقفوا لزرح على رابية من الأرض ، فأبصروا منها زرحاً وقومه ، فلما أبصرهم زرح نفض رأسه ليسخر منهم ، وقال : إنما نهضت من بلادى ، وأنفقت أموالى لثل هؤلاء ! ودعا عند ذلك بالنفر الذين كانوا نعتوا عنده أسا وقومه ، فقال : كذبتمونى وزعمتم أن قومكم كثير عددهم ! فأمر بهم وبالأمناء (٥) الذين كان بعثهم (٦) ليخبروه خبرهم ، فقفلوا جميعاً ، وأسأ فى ذلك كثير تضرّعه (٧) ، معتصم بربه ، فقال زرح : ما أدرى ما أفعل

(١) س : « لم يطيقنى » .

(٢) كذا فى ح ، وفى ط : « قدام الله » .

(٣) كذا فى الأصول ؛ وفى ط : « وفخر » ؛ من تصرف مصححه .

(٤) كذا فى ن ؛ وفى ط : « ألا يرجعون » .

(٥) كذا فى ن ، وفى ط : « والأمناء » .

(٦) كذا فى س ، وفى ط : « بعث » .

(٧) كذا فى ح ، وفى ط : « التضرع » .

بهؤلاء القوم؟ وما (١) أدرى ما قدرُ قِلَّتِهِمْ في كَثْرَتِنَا؟ إني لأستقيِلُهُمْ عن المحاربة؛ وأرى ألاّ أقاتلَهُمْ (٢).

فأرسل زرح إلى أسا فقال له : أين صديقك الذي كنت تعدُّنا به ، وترغم أنه يخاطبك مما يحلُّ بكم من سَطَوَاتِي! أفتضعون أيديكم في يدي فأمضي فيكم حكيمى ، أو تاتمسون قتالى !

فأجابه أسا فقال : يا شقى ، إنك لست تعلم ما تقول ، ولست تدري !
٦٣٥/١ أتريد أن تغالب ربك بضعفك ، أم تريد أن تكاثره بقلتك ؟ هو أعزُّ شىء وأعظمه ، وأغلبُ شىء وأقهره ، وعبادُه أذلُّ وأضعف عنده من أن ينظروا إليه معاينة . هو (٣) معى في موقفى هذا ، ولن يغلب أحدٌ كان الله معه . فاجتهد يا شقى بجهدك حتى تعلم ماذا يحلُّ بك .

فلما اصطف قوم زرح وأخذوا مراتبهم ، أمر زرح الرماة من قومه أن يرموهم بنشأهم . فبعث الله ملائكة من كلِّ سماء - والله أعلم - عوناً (٤) لأسا وقومه ، ومادة له ، فوقفهم أسا في مواقفهم ، فلما رموا نشأهم ، حال المشركون بين ضوء الشمس وبين الأرض ؛ كأنها سحابة طلعت ففتحها الملائكة عن أسا وقومه ، ثم رمت بها الملائكة قومَ زرح ، فأصابت كلَّ رجلٍ منهم نشأته التي رمى بها ، فقتل رماةهم بها كلها وأسا وقومه في كلِّ ذلك يحمّدون الله كثيراً ، ويعجبون إليه بالتسبيح ، وتراءت الملائكة لهم - والله أعلم - فلما رأهم الشقى زرح وقع الرعب في قلبه ، وسقط في يده ، وقال : إن أسا لعظيم كيده ، ما ضى سحره ، وكذلك بنو إسرائيل ، حيث كانوا لا يغلب سحرهم ساحر ، ولا يطبق مكرهم عالم ؛ وإنما تعلموه من مصر ، وبه ساروا في البحر ، ثم نادى الهندي في قومه : أن سلّوا سيوفكم ، ثم احمّلوا عليهم حملة واحدة . فدقّ قوهم .

فسلّوا سيوفهم ثم حملوا على الملائكة فقتلنهم الملائكة ، فلم يبق منهم غير زرح ونسائه ورقيقه .

(١) س : « ولا » . (٢) س : « أنى لا أقاتلهم » ، ح : « ولا أرى أن أقاتلهم » .
(٣) كذا في ح ، س ، وفي ط : « وهو » . (٤) ن : « أعواناً » .
(٣٤)

٦٣٦/١ فلما رأى ذلك زرح ولّى مدبراً فارّاً هو ومن معه ، وهو يقول : إن أسا
 ظهر علانية ، وأهلكنى صديقهُ سرّاً ، وإنى كنتُ أنظر إلى أسا ومنّ معه واقفين
 لا يقاتلون والحرب واقعة فى قومى .

فلما رأى أسا أن زرحاً قد ولّى مدبراً قال : اللهمّ إن زرحاً قد ولّى مدبراً ،
 وإنك إن لم تحلّ بينى وبينه استنفر علينا قومه ثانية . فأوحى الله إلى
 أسا : إنك لم تقتل منّ قتل منهم ولكنى قتلتهم ، فقِفْ مكانك ، فإنى لو
 خلّيت بينك وبينهم أهاكوكم جميعاً ؛ إنما يتقلب زرح فى قبضتى ، ولن
 ينصره أحد منى ، وأنا لزرح بالمكان الذى لا يستطيع صدوداً عنه ولا تحويلاً ؛
 وإنى قد وهبت لك ولقومك عساكره وما فيها من فضة ومتاع ودابة ، فهذا أجرك
 إذ اعتصمت بى ، ولا ألتمس منك أجراً على نصرتك !

فسار زرح حتى أتى البحر يريد بذلك الهرب ، ومعه مائة ألف ، فهيتوا
 سفنهم ثم ركبوا فيها ، فلما ساروا فى البحر بعث الله الرياح من أطراف
 الأرضين والبحار إلى ذلك البحر واضطربت من كل ناحية أمواجه ، وضربت
 السفن بعضها بعضاً حتى تكسرت ؛ ففرق زرح ومن كان معه ، واضطربت
 بهم الأمواج حتى فرغ لذلك أهل القرى حولهم ، ورجفت الأرض ، فبعث أسا
 من يعلمه علم ذلك ، فأوحى الله إليه - والله أعلم - أن اهبط أنت وقومك أهل
 قراكم ، فخذوا ما غنمكم الله بقوة ، وكونوا فيه من الشاكرين ؛ فإنى قد سوغت
 كل من أخذ من هذه العساكر شيئاً ما أخذه . فهبطوا يحمدون الله
 ويقدمونه ، فنقلوا تلك العساكر إلى قراهم ثلاثة أشهر . والله أعلم .

٦٣٧/١

* * *

ثم ملك بعده يهوشافاظ^(١) بن أسا إلى أن هلك خمساً وعشرين سنة .

(١) يهوشافاظ : « بياض مفتوحة مشاة تحتانية وهاء مضمومة وواو ساكنة وشين معجمة بعدها
 ألف . ثم طاء بين الذال والظاء المعجمتين » ، كذا ضبطه ابن خلدون فى ١ : ١٤٩ . وفى ابن الأثير
 ١ : ١٤٣ : « سافاظ » .

ثم ملكت عتليا وتسمى غزليا (١) ابنة عمرم أم أخزيا (٢) ، وكانت قتلت
أولاد ملوك بني إسرائيل ، فلم يبق منهم إلا يواش (٣) بن أخزيا ، فإنه سُتِرَ
عنها ، ثم قتلها يواش وأصحابه ، وكان ملكها سبع سنين .

ثم ملك يواش بن أخزيا إلى أن قتله أصحابه ، وهو الذي قتل جدته ،
فكان ملكه أربعين سنة .

ثم ملك أموصيا (٤) بن يواش إلى أن قتله أصحابه تسعاً وعشرين سنة ،

ثم ملك عوزيا (٥) بن أموصيا — وقد يقال لعوزيا : غوزيا — إلى أن توفي ،

اثنتين وخمسين سنة .

ثم ملك يوتام (٦) بن عوزيا إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك أحاز بن يوتام إلى أن توفي ، ست عشرة سنة .

ثم ملك حزقيا بن أحاز (٧) إلى أن توفي . وقيل إنه صاحب شعيا الذي

أعلمه شعيا انقضاء عمره ، فتضرع إلى ربه فزاده وأمهلته ، وأمر شعيا بإعلامه
ذلك .

وأما محمد بن إسحاق فإنه قال : صاحب شعيا الذي هذه القصة قصته

اسمه صديقة .

(١) ح : « غزلتا » . ن : « غزليا » ، وفي ابن الأثير : « عزليا » .

(٢) وفي ابن خلدون : « أخزيا هو ، بهمزة مفتوحة وحاء مهملة مضمومة وزاى معجمة ساكنة ؛ ثم ياء مشناة تحتية ؛ بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٣) ابن خلدون : « يواش » .

(٤) في ابن خلدون : « أمصيا ، بفتح الهمزة والميم وسكون الصاد المشمة بالزاي ، بعدها ياء

مشناة تحتانية بفتحة تجلب ألفاً ، ثم هاء مضمومة تجلب واواً » .

(٥) في ابن خلدون : عز يا هو ، « بعين مهملة مضمومة وزاى معجمة مكسورة مشددة ويا

مشناة تحتانية تجلب ألفاً وحاء تجلب واواً » .

(٦) في ابن خلدون : « يواب » .

(٧) أحاز ، « بهمزة مفتوحة مائة وحاء مهملة تجلب ألفاً وزاى معجمة » كذا ضبطه ابن خلدون .

ذكر صاحب

قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل ، وسنحاريب

حدثنا ابن حميد، قال : حدثنا سلمة بن الفضل، قال : حدثني ابن إسحاق ، قال : كان فيما أنزل الله على موسى في خبره عن بني إسرائيل واحداهم وما هم^(١) فاعلون بعده ، قال : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَتَتَعَلَّنَّ عَلْوًا كَبِيرًا ﴾ - إلى - ﴿ وَجَمَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٢) ، فكانت بنو إسرائيل وفيهم الأحداث والذنوب ، وكان الله في ذلك متجاوزاً عنهم ، متعطفاً عليهم ، محسناً إليهم ، وكان مما أنزل الله بهم في ذنوبهم ما كان قدّم إليهم في الخبر عنهم على لسان موسى . فكان أول ما أنزل بهم من تلك الوقائع ؛ أن ملكاً منهم كان يدعى صديقة^(٣) ، وكان الله إذا ملك الملك عليهم ، بعث نبياً يسدّده ويرشده ، فيكون فيما بينه وبين الله ، يحدث إليه في أمرهم . لا يُنزل عليهم الكتب ، إنما يؤمرون باتّباع التوراة والأحكام التي فيها ، وينهونهم عن المعصية ، ويدعونهم إلى ما تركوا من الطاعة .

فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أمصيا ، وذلك قبل مبعث عيسى وزكرياء ويحيى وشعيا الذي بشر بعيسى ومحمد ، فلك ذلك الملك بني إسرائيل وبيت المقدس زماناً ، فلما انقضى ملكه ، وعظمت فيهم الأحداث ، وشعيا معه ، بعث الله عليهم سنحاريب ملك بابل معه ستمائة ألف راية ، فأقبل سائراً حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض ، في ساقه قرحة ، فجاءه النبي شعيا ، فقال له : يا ملك بني إسرائيل ، إن سنحاريب ملك بابل ، قد نزل بك هو وجنوده في ستمائة ألف راية ، وقد هاهم الناس وفرقوا منهم . فكبر ذلك على الملك ، فقال : يا نبي الله ، هل أتاك وحى من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وسنحاريب وجنوده ؟ فقال له النبي عليه السلام :

٦٣٩/١

(١) التفسير : « ما هم » . (٢) سورة الإسراء ٤ - ٨

(٣) ابن الأثير : « صدقيا » .

لم يأتي وحى حدّث إلى نبيّ شأنك .

فبينما هم على ذلك أوحى الله إلى شعيا النبيّ : أن ائت ملك بني إسرائيل فأمره أن يوصي بوصيته ، ويستخلف على ماكده منّ يشاء من أهل بيته . فأتى النبيّ شعيا ملك بني إسرائيل صديقة ، فقال له : إن ربّك قد أوحى إلىّ أن أمرك توصي وصيتك ، وتستخلف منّ شئت على (١) الملك من أهل بيتك ؛ فإنك ميت . فلما قال ذلك شعيا لصديقة : أقبل (٢) على القبلة ، فصلّني وسبّح ، ودعا وبكى ، وقال وهو يبكي ويتضرّع إلى الله بقلب مخلص ، وتوكل وصبر ، وظنّ صادق : اللهم ربّ الأرباب ، وإله الآلهة ، القدّوس (٣) المتقدّس ، يا رحمن يا رحيم ، المترحم ، الرؤوف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . اذكّرني بعملى وفعلى وحسن قضائى على نبيّ إسرائيل ، وذلك كلّهُ كان منك ، فأنت أعلم به من نفسى وسرى وعلائسى لك . وإن الرحمن استجاب له وكان عبداً صالحاً . فأوحى الله إلى شعيا ، فأمره (٤) أن يخبر صديقة الملك أن ربّه قد استجاب له وقبّل منه ورحمه ، وقد رأى بكاءه ، وقد أحرّ أجله خمس عشرة سنة ، وأنجاه من عدوّه سنحاريب ملك بابل وجنوده . فلما قال له ذلك ، ذهب عنه الوجع ، وانقطع عنه الشرّ والحزن ، وخرّ ساجداً ، وقال : يا إلهى وإله آبائى ؛ لك سجّدت وسبّحت ، وكرّمت وعظمت . أنت الذى تُعطى الملك منّ تشاء ، وتنزعه ممن تشاء ، وتعزّ منّ تشاء ، وتذلّ منّ تشاء ، عالم الغيب والشهادة ؛ أنت الأوّل والآخِر ، والظاهر والباطن ، وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين ، أنت الذى أجبت دعوتى ، ورحمت تضرّعى . فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيا : أن قل للملك صديقة ، فيأمر عبداً من عبيده ، فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفي ويصبح وقد برئ . ففعل ذلك فشئى . وقال الملك لشعيا النبيّ : سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا . فقال الله لشعيا النبيّ : قل له إني قد كفيّتك عدوك ، وأنجيتك منهم ، وإنهم سيصبحون موتى كلّهم إلا سنحاريب وخمسة من كتابه .

(٢) ن : « استقبال القبلة » .

(١) التفسير : « على ملكك » .

(٤) ساقطة من التفسير .

(٣) التفسير : « قدوس المتقدسين » .

فلما أصبحوا جاءه صارخ فصرخ على باب المدينة : يا ملك بني إسرائيل ، إن الله قد كفاك عدوك فاخرج ، فإن سنحاريب ومن معه قد هلكوا . فلما خرج الملك التمس سنحاريب فلم يوجد في الموتى ، فبعث الملك في طلبه ، فأدركه الطلب في مغارة وخمسة من كتّابه أحدهم بختنصر ، فجعلوهم في الجوامع ، ثم أتوا بهم ملك بني إسرائيل ، فلما رآهم خرّ ساجداً من حين طلعت الشمس حتى كانت العصر ، ثم قال لسنحاريب : كيف ترى فعل ربنا بكم ؟ ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون ! فقال سنحاريب له : قد أتاني خبرُ ربكم (١) ونصره إياكم ، ورحمته التي رحمكم بها قبل أن أخرج من بلادي ، فلم أطع مرشداً ولم يلقني في الشقوة إلا قلّة عقلي ؛ ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم ، ولكن الشقوة غلبت عليّ وعلى من معي . فقال ملك بني إسرائيل : الحمد لله ربّ العزة الذي كفاناكم بما شاء ، إن ربنا لم يبقك ومن معك لكرامة لك عليه ؛ ولكنه إنما أبقاك ومن معك إلى ما هو شرّ (٢) لك ولمن معك . لتزدادوا (٣) شقوة في الدنيا ، وعذاباً في الآخرة ، ولتُخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا ، ولتنبذوا من بعدكم ، ولولا ذلك ما أبقاكم . ولتدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتله (٤) ! .

* * *

ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرسه فقذف في رقابهم الجوامع ، وطاف بهم سبعين يوماً حول بيت المقدس ، وكان يرزقهم كل يوم خبزتين من شعير ، لكل رجل منهم ، فقال سنحاريب للملك بني إسرائيل : القتل خير مما تفعل بنا ، فافعل ما أمرت . فأمر بهم الملك إلى سجن القتل ، فأوحى الله إلى شعيا النبي : أن قل للملك بني إسرائيل يرسل سنحاريب ومن معه لينذروا من وراءهم ، وليكرّمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم . فبلغ النبي شعيا الملك ذلك ، ففعل ، فخرج سنحاريب ومن معه حتى قدموا بابل ؛ فلما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده . فقال له كهّانه وسحرته : يا ملك

(١) ح : « خبره » .

(٢) ح : « والتفسير » لما هو شر .

(٣) ت : « ولتزدادوا » .

(٤) ح : « قتله » .

بابل، قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم، فلم تطعنا؛ وهى أمة لا يستطيعها أحد من^(١) ربهم، فكان أمر سنحاريب مما خوفوا به، ثم كفاهم الله إياه تذكرة وعبرة، ثم لبث سنحاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات^(٢).

* * *

وقد زعم بعض أهل الكتاب أن هذا الملك من بنى إسرائيل الذى سار إليه سنحاريب كان أعرج، وكان عرجه من عرق النساء، وأن سنحاريب إنما طمع فى مملكته لزمانته وضعفه، وأنه قد كان سار إليه قبل سنحاريب ملك من ملوك بابل؛ يقال له ليفر^(٣)، وكان يختصّر ابن عمه كاتبه، وأن الله أرسل عليه ريحاً أهلكت جيشه، وأفلت هو وكاتبه، وأن هذا البابى قتله ابن له، وأن يختصّر غضب لصاحبه، فقتل ابنه الذى قتل أباه، وأن سنحاريب سار بعد ذلك إليه، وكان مسكنه بينينوى مع ملك أذربيجان يومئذ؛ وكان يدعى سلمان الأعسر، وأن سنحاريب وسلمان اختلفا، فتحاربا حتى تفانى جندهما، وصارما كان معهما غنيمة لبنى إسرائيل.

وقال بعضهم: بل الذى نغزا حزقيا صاحب شعيا سنحاريب ملك الموصل؛ ٦٤٣/١
وزعم أنه لما أحاط ببيت المقدس بجنوده بعث الله ملكاً، فقتل من أصحابه فى ليلة واحدة مائة ألف وخمسة وثمانين ألف رجل. وكان ملكه إلى أن توفى تسعاً وعشرين سنة.

* * *

ثم ملك بعده - فيما قيل - أمرهم منسأ^(٤) بن حزقيا إلى أن توفى، خمسا وخمسين سنة.

ثم ملك بعده أمون^(٥) بن منسأ إلى أن قتله أصحابه، اثنتى عشرة سنة.

(١) التفسير: مع ربهم.

(٢) الخبر فى التفسير ١٥ : ١٨ ، ١٩ (بولاق).

(٣) ن : « ليفر ».

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بميم مكسورة وذن مفتوحة وشين معجمة مشددة وألف ».

(٥) ضبطه ابن خلدون : « بهمزة قريبة من العين والميم مضمومة تجلب واو ثم ذن ».

ثم ملك بعده يوشيا بن أمون إلى أن قتله فرعون الأجدع المقعد ملك مصر ،
إحدى وثلاثين سنة .

ثم ياهواحاز بن يوشيا^(١) ، وكان فرعون الأجدع قد غزاه وأسره وأشخصه
إلى مصر ، وملك فرعون الأجدع يوياقيم^(٢) بن ياهواحاز على ما كان عليه
أبوه ، ووظف عليه خراجاً يؤديه إليه ، فكان يوياقيم يجبي ذلك فيما زعموا -
من بني إسرائيل ، ويحمله - فيما زعموا - اثنتي عشرة سنة .

ثم ملك أمرهم من بعده يوباحين^(٣) بن يوياقيم ، فغزاه بختنصر ، فأسره
وأشخصه إلى بابل بعد ثلاثة أشهر من ملكه . وملك مكانه متانيا^(٤) عمه
وسماه صديقياً^(٥) فخالفه ، فغزاه فظفر به ، فأوثقه وحمله إلى بابل بعد أن ذبح
ولده بين يديه ، وسَمَلَ عينيه وخرَّب المدينة والهيكَل ، وسبى بني إسرائيل ،
وَحَمَلَهُمْ إِلَى بَابِل ، فكَتَبُوا بِهَا إِلَى أَنْ رَدَّاهُمْ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ كِيرِشُ بْنُ جَامَاسِبِ
ابن أسب ، من أجل القرابة التي كانت بينه وبينهم ؛ وذلك أن أمه أشر ابنة
جاويل - وقيل : جاويل - الإسرائيلي ، فكان جميع ما ملك صديقياً مع الثلاثة
الأشهر التي ملك فيها يوباحين - فيما قيل - إحدى عشرة سنة وثلاثة أشهر .

ثم صار ملك بيت المقدس والشام لأشتاسب بن هراسب ، وعامله على ذلك
كله بختنصر .

* * *

وذكر محمد بن إسحاق ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة
عنه : أن صديقه ملك بني إسرائيل الذي قد ذكرنا خبره ، لما قبضه الله مَرِج

(١) ضبطه ابن خلدون : « بياء مشاة تحتية مضمومة تجلب وأوا بعدها شين مكسورة
ثم ياء مشاة تحتية بفتحة تجلب ألفاً » .

(٢) ت : « يوياقيم » ، وفي س : « يوثاقيم » . وفي ابن خلدون : ألياقيم ، وضبطه « همزة
مفتوحة ولام ساكنة وياء مشاة تحتانية يجلب فتحها ألفاً وقاف مكسورة تجلب ياء ثم ميم » .

(٣) ت ، س ، ن : « يوثاحين » .

(٤) ضبطه ابن خلدون : « بيم مفتوحة وتاء مشاة فوقانية مفتوحة مشددة ، وذن ساكنة ،
وياء مشاة تحتانية تجلب ألفاً » .

(٥) ابن خلدون : « صديقا » .

أمرُ بني إسرائيل ، وتنافسوا الملك ، حتى قتل بعضهم بعضاً عليه ، ونبئهم شعياً معهم ، لا يرجعون إليه ولا يقبلون منه . فلما فعلوا ذلك قال الله فيما بلغنا لشعياً : قم في قومك أوح على لسانك ؛ فلما قام أنطق الله لسانه بالوحي ، فوعظهم وذكرهم وخوفهم الغيّر ، بعد أن عدد عليهم نعم الله عليهم ، وتعرضهم للغير .

قال : فلما فرغ شعياً إليهم من مقالته عدواً عليه فيما بلغني ليقتلوه ، فهرب منهم ، فلقيته شجرة ، فانفلقت له ، فدخل فيها وأدركه الشيطان ، فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المنشار في وسطها ، فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها .

* * *

وقد حدثني بقصة شعياً وقومه من بني إسرائيل وقتلهم إياه ، محمد بن سهل البخاري ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، عن وهب بن منبه .

ذكر خبر هراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بنى إسرائيل وتخريبه بيت المقدس

ثم ملك بعد كيخسرو من الفرس هراسب بن كيوجى بن كيمنوش بن
كيفاشين ، باختيار كيخسرو إياه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : نحن
مؤثرون البير على غيره . واتخذ سريراً من ذهب مكللاً بأنواع الجواهر للجولس
عليه ، وأمر فبنيت له بأرض خراسان مدينة بلخ^(١) ، سماها الحسناء ، ودون
الدواوين ، وقوى ملكه بانتخابه لنفسه الجنود ، وعمرا الأرض واجتبي الخراج
لأرزاق الجنود ، ووجه بختنصر ، وكان اسمه بالفارسية - فيما قيل - بخرشه .

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك هراسب - وهو ابن أخى قبوس -
فبنى مدينة بلخ ، فاشتدت شوكة الترك في زمانه ، وكان منزله ببلخ
يقاتل الترك . قال : وكان بختنصر في زمانه ، وكان أصبهد ما بين الأهواز
إلى أرض الروم من غربى دجلة ، فشخص حتى أتى دمشق ، فصالحه أهلها
ووجه قائداً له ، فأتى بيت المقدس فصالح^(٢) ملك بنى إسرائيل ، وهو رجل
من ولد داود ، وأخذ منه رهائن وانصرف . فلما بلغ طبرية وثبت بنو إسرائيل
على ملكهم فقتلوه ، وقالوا : راهنت أهل بابل ونحذلتنا ! واستعدوا للقتال ، فكتب قائد
بختنصر إليه بما كان ، فكتب إليه يأمره أن يقيم بموضعه حتى يوافيه ، وأن يضرب
أعناق الرهائن الذين معه ، فسار بختنصر حتى أتى بيت المقدس ، فأخذ
المدينة عنوة ، فقتل مقاتلة ، وسبي الذرية .

قال : وبلغنا أنه وجد في سجن بنى إسرائيل لإرميا النبي ، وكان الله تعالى
بعثه نبياً - فيما بلغنا - إلى بنى إسرائيل . يحدّهم ما حلّ بهم من بختنصر ،

(١) بلخ ، قال ياقوت : « من أجل مدن خراسان وأذكرها وأكثرها خيراً وأوسعها غلة ؛
قيل أول من بناها هراسب الملك لما خرب صاحبه بختنصر بيت المقدس ، وقيل بل الإسكندر بناها » .
(٢) س : « فصالحه » .

وَيُعَلِّمُهُم أَنَّ اللَّهَ مَسْلُطٌ عَلَيْهِمْ مَنْ يَقْتُلْ مَقَاتِلَتَهُمْ ، وَيَسْبِي ذُرَارِيَهُمْ ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا وَيَتَزَعُوا عَنْ سَبِيِّ أَعْمَالِهِمْ . فَقَالَ لَهُ بَخْتَنْصَرُ : مَا خَطْبُكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَهُ إِلَى قَوْمِهِ لِيَحْذَرَهُمُ الَّذِي حَلَّ بِهِمْ ، فَكَذَّبُوهُ وَجَسَّوهُ . فَقَالَ بَخْتَنْصَرُ : بَشِ الْقَوْمِ قَوْمٌ عَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ ! وَخَلَّتْ سَبِيلَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مَنْ بَقِيَ مِنْ ضَعْفَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، فَقَالُوا : إِنَّا قَدْ أَسَأْنَا وَظَلَمْنَا ، وَنَحْنُ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا صَنَعْنَا ، فَادْعِ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَنَا . فَدَعَا رَبَّهُ فَأَوْحَى إِلَيْهِ أَنَّهُمْ غَيْرُ فَاعِلِينَ ، فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ فَلْيَقِيمُوا مَعَكَ بِهَذِهِ الْبَلَدَةِ ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَمَرَهُمُ اللَّهُ بِهِ ، فَقَالُوا : كَيْفَ نَقِيمُ بِبَلَدَةٍ قَدْ خَرَّبَتْ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِهَا ! فَأَبَوْا أَنْ يَقِيمُوا ، فَكَتَبَ بَخْتَنْصَرُ إِلَى مَلِكِ مِصْرَ : إِنْ عَبِيدَ أَلَى هَرَبُوا مِنِّي إِلَيْكَ ، فَسَرِّحْهُمْ (١) إِلَيَّ ، وَإِلَّا غَزَوْتُكَ وَأَوَطَأْتُ بِلَادَكَ الْخَلِيلَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ مَلِكُ مِصْرَ : مَا هُمْ بِعَبِيدِكَ ؛ وَلَكِنَّهُمْ الْأَحْرَارَ أَبْنَاءَ الْأَحْرَارِ ؛ فَغَزَاهُ بَخْتَنْصَرُ فَقَتَلَهُ ، وَسَبَى أَهْلَ مِصْرَ ، ثُمَّ سَارَ (٢) فِي أَرْضِ الْمَغْرِبِ ، حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ ، ثُمَّ انْطَلَقَ بِسَبْيِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ فِلَسْطِينَ وَالْأُرْدُنِّ ، فِيهِمْ دَانِيَالُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ .

٦٤٧/١

قال : وفي ذلك الزمان تفرقت بنو إسرائيل ، ونزل بعضهم أرض الحجاز بيثرب ووادى القرى ، وغيرها .

* * *

قال : ثم أوحى الله إلى إرميا—فيما بلغنا : إنني عامر بيت المقدس فاخرج إليها ، فانزلها . فخرج إليها حتى قدمها وهي خراب ، فقال في نفسه : سبحان الله ! أمرني الله أن أنزل هذه البلدة ، وأخبرني أنه عامرها ، فمتى يعمر (٣) هذه ، ومتى يحييها الله بعد موتها ! ثم وضع رأسه فنام ومعه حمامه وسلية فيها طعام ، فمكث في نومه سبعين سنة ، حتى هلك بختنصر والمالك الذي فوقه ،

(١) ح : « فوجههم » .

(٢) ط : « صار » ، وما أثبتته من ن .

(٣) ح : « يعمرها » ، ت : « يعمر هذا » .

وهو لهراسب الملك الأعظم وكان ملكاً لهراسب مائة وعشرين سنة . ومَلَكَ بعده بشتاسب ابنه ، فبلغه عن بلاد الشام أنها خراب ، وأن السباع قد كثرت في أرض فلسطين ، فلم يبق بها من الإنس أحد ، فنَادَى في أرض بابل في بني إسرائيل : إنَّ من شاء أن يرجع إلى الشام فليرجع . ومَلَكَ عليهم رجلاً من آل داود ، وأمره أن يعمر بيت المقدس ويبنى مسجدها ، فرجعوا فعمروها ، وفتح الله لإرميا عينيه ، فنظر إلى المدينة كيف تعمر وتبنى ، ومكث في نومه ذلك ، حتى تمت له مائة سنة ، ثم بعثه الله وهو لا يظن أنه نام أكثر من ساعة ، وقد عهد المدينة خراباً يباباً ، فلما نظر إليها قال : أعلمُ أن الله على كل شيء قدير .

٦٤٨/١

قال : وأقام بنو إسرائيل بيت المقدس ورُدَّ إليهم أمرهم ، وكثروا بها حتى غلبت عليهم الروم في زمان ملوك الطوائف ، فلم يكن لهم بعد ذلك جماعة .

* * *

قال هشام : وفي زمان بشتاسب ظهر زرادشت ، الذي تزعم الجوس أنه نبئهم ، وكان زرادشت فيما زعم قوم من علماء أهل الكتاب - من أهل فلسطين ، خادماً لبعض تلامذة إرميا النبيّ خاصّاً به (١) ، أثيراً عنده ، فخانه فكذب عليه ، فدعا الله عليه ، فبرص فلحق ببلاد أذربيجان ، فشرع بها دين الجوسية ، ثم خرج منها متوجهاً نحو بشتاسب ، وهو ببلخ ، فلما قدم عليه وشرح له دينه أعجبه فمسر الناس على الدخول فيه ، وقتل في ذلك من رعيته مقتلة عظيمة ، ودانوا به ، فكان ملك بشتاسب مائة سنة واثنتي عشرة سنة (٢) .

وأما غيره من أهل الأخبار والعلم بأمور الأوائل فإنه ذكر أن كى لهراسب

(١) ابن خلدون فيما نقل عن الطبري ١ : ٢٣٩ : « خالصة عنده » .

(٢) قال ابن خلدون : « وعند علماء الفرس أن زرادشت من نسل منوشهر الملك ، وأن نبياً من بني إسرائيل بعث إلى كشتاسف ؛ وهو ببلخ ، فكان زرادشت وجاماسب العالم - وهو من نسل منوشهر أيضاً - يكتبان بالفارسية ما يقول ذلك النبي بالعبرائية ؛ وكانه جاماسب يعرف اللسان العربي ويترجمه لزرادشت . وإن ذلك كان لثلاثين سنة من دولة كيهراسف . وقال علماء الفرس إن زرادشت جاء بكتاب ادعاه وحياً ، كتب في اثني عشر ألف مجلد نقشاً بالذهب ؛ وأن كشتاسف وضع ذلك في هيكل بإصطخر ؛ ووكّل به الهرابذة ؛ ومنع من تعليمه العامة » . ونقل عن المسعودي أن ذلك الكتاب يسمى نسياء » .

كان محموداً في أهل مملكته ، شديد القمع للملوك المحيطة بإيران شهراً^(١) ، شديد التفقد لأصحابه ، بعيد الهمة كثير الفكر في تشييد البنيان ، وشق الأنهار ، وعمارة البلاد ، فكانت ملوك الروم والمغرب والهند وغيرهم يحملون إليه في كل سنة وظيفة معروفة وإتاوة مغلومة ، ويكاتبونه بالتعظيم ويقرون له أنه ملك الملوك هيبة له وحذراً .

٦٤٩/١

قال : ويقال : إن بختنصر حمل إليه من أوريشليم^(٢) خزائن وأموالاً ، فلما أحس بالضعف من قوته ملك ابنه بشتاسب ، واعتزل الملك وفوضه إليه ، وكان ملك هراسب - فيما ذكر - مائة سنة وعشرين سنة .

وزعم أن بختنصر هذا الذي غزا بني إسرائيل اسمه «بخرشه» ، وأنه رجل من العجم ، من ولد جودرز ، وأنه عاش دهرًا طويلاً تجاوزت مدته ثلاثمائة سنة ، وأنه كان في خدمة لهراسب الملك ، أبي بشتاسب ، وأن لهراسب وجهه إلى الشام وبيت المقدس ليحجلى عنها اليهود . فسار إليها ثم انصرف ، وأنه لم يزل من بعد لهراسب في خدمة ابنه بشتاسب ، ثم في خدمة بهمن من بعده ، وأن بهمن كان مقيماً بمدينة بلسخ - وهي التي كانت تسمى الحسناء - وأنه أمر بخرشه بالتوجه إلى بيت المقدس ليحجلى عنها ، وأن السبب في ذلك وثوب صاحب بيت المقدس على رسول كان بهمن وجههم إليه ، وقتله بعضهم . فلما ورد الخبر على بهمن دعا بخرشه فلنكه على بابل ، وأمره بالمسير إليها ، والنفوذ منها إلى الشام وبيت المقدس ، والقصد إلى اليهود حتى يقتل مقاتلتهم ، ويسبي ذراريهم ، وبسط يده فيمن يختار من الأشراف والقواد ، فاختار من أهل بيت المملكة^(٣) داريوش^(٤) بن مهري ، من ولد ماذى بن يافث بن نوح ، وكان ابن أخت بخرشه . واختار كيرش كيكوان من ولد غيلم بن سام ،

(١) إيران شهر ، بالكسر وراء وألف وفون ساكتين وفتح الشين المعجمة وهاء ساكنة وألف : هي بلاد العراق وفارس والجزبال وخراسان ، يحملها كلها هذا الاسم . (معجم البلدان) .

(٢) أوريشليم ، بالضم ثم السكون وكسر الراء وياء ساكنة وشين معجمة مفتوحة ولام مكسورة - ويرى بالفتح - وسيم : هذا هو اسم البيت المقدس بالعبرانية ؛ إلا أنهم يسكنون اللام . (معجم البلدان)

(٣) س : « الملك » .

(٤) ت ، س : « داريوش » .

وكان خازنًا على بيت مال بهمن، وأخشوئرش^(١) بن كيرش بن جاماسب الملقب بالعالم، وبهرام بن كيرش بن بشتاسب. فضم بهمن إليه من أهله وخاصته هؤلاء الأربعة، وضم إليه من وجوه الأساورة ورؤسائهم ثلاثمائة رجل، ومن الجند خمسين ألف رجل، وأذن له في أن يفرض^(٢) ما احتاج إليه، وفي إثباتهم. ثم أقبل بهم حتى صار إلى بابل، فأقام بها للتجهز^(٣) والاستعداد سنة، والتفت إليه جماعة عظيمة، وكان فيمن سار إليه رجل من ولد سنحاريب، الملك الذي كان غزا حزقيا بن أحاز الملك، الذي كان بالشام وبيت المقدس من ولد سليمان بن داود صاحب شعيا، يقال له بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب، صاحب الموصل وفاحتها، بن داريوش بن عبيري^(٤) بن تيري^(٥) بن روبا^(٦) ابن رابيا^(٧) بن سلامون بن داود بن طامى بن هامل بن هرمان بن قودي^(٨) بن همول^(٩) بن درمي بن قماثل^(١٠) بن صاما بن رغما^(١١) بن عمروذ بن كوش بن حام بن نوح عليه السلام.

وكان مسيره إليه بسبب ما كان آتى حزقيا^(١٢) وبنو إسرائيل إلى جده سنحاريب عند غزوه إياهم، وتوسل إليه بذلك، فقدمه في جماعة كثيرة، ثم أتبعه، فلما توافقت العساكر ببيت المقدس، نُصِرَ بخترشه على بني إسرائيل لما أراد الله بهم من العقوبة، فسباهم، وهدم البيت وانصرف إلى بابل، ومعه يوياحن^(١٣) بن يوياقيم ملك بني إسرائيل في ذلك الوقت، من ولد سليمان بعد أن ملك متنيا عم يوحينا، وسماه صدقيا.

(١) ت : « أخشونش » : س : « أحنوش » ، ن : « أخشوفوش » .

(٢) ن : « يمرض » .

(٣) ح : « للتجهيز » ، ن : « للتجهيم » .

(٤) كذا في س : ، ت « عنبري » ، وفي ط مهمل .

(٥) كذا في ح ، وفي ت : « ثيري » ، وفي ط مهمل .

(٦) كذا في س ، وفي ت : « روبا » وفي ح : « ورقا » . (٧) كذا في ت .

(٨) كذا في س ، وفي ت « قودي » . (٩) ح : « هفول » .

(١٠) ح : « تماثل » . (١١) س : « زعما » .

(١٢) ح : « حزقيا » ، ت « حزقيل » ، ن : « حريفنا » .

(١٣) ت : « يوحينا » ، ن : « يوحنا » .

فلما صار بختنصر ببابل خالفه صدقيا ، فغزاه بختنصر ثانية فظفر به ، وأخرب (١) المدينة والهيكل ، وأوثق صدقيا ، وحمله إلى بابل بعد أن ذبح ولده ، وسَمَل عينيه . فكث بنو إسرائيل ببابل إلى أن رجعوا إلى بيت المقدس ، فكان غلبة بختنصر - المسمى بخرشه - على بيت المقدس إلى أن مات - في قول هذا الذي حكينا قوله - أربعين سنة .

* * *

ثم قام من بعده ابن يقال له أولرودخ ، فملك الناحية ثلاثاً وعشرين سنة ، ثم هلك وملك مكانه ابن يقال له بلتنصر بن أولرودخ سنة ، فلما ملك ٦٥٢/١ بلتنصر خلط في أمره ، فعزله بهمن وملك مكانه على بابل وما يتصل بها من الشام وغيرها داريوش الماذوي ، المنسوب إلى ماذى بن يافث بن نوح عليه السلام حين صار إلى المشرق ، فقتل بلتنصر ، وملك بابل وناحية الشام ثلاث سنين . ثم عزله بهمن وولّى مكانه كيرش الغيلمي ، من ولد غيلم بن سام ابن نوح ، الذي كان نزع إلى جامر مع ماذى عند ما مضى جامر إلى المشرق ؛ فلما صار الأمر إلى كيرش كتب بهمن أن يرفق (٢) ببني إسرائيل ، ويطلق لهم التزول حيث أحبوا ، والرجوع إلى أرضهم ، وأن يولّى عليهم من يختارونه ، فاختاروا دانيال النبي عليه السلام ، فولى أمرهم ، وكان ملك كيرش على بابل وما يتصل بها (٣) ثلاث سنين ، فصارت هذه السنون - من وقت غلبة بختنصر إلى انقضاء أمره وأمر ولده وملك كيرش الغيلمي - معدودة من خراب بيت المقدس ، منسوبة إلى بختنصر ، ومبلغها سبعون سنة .

ثم ملك بابل وناحيتها من قبيل بهمن رجل من قرابته ، يقال له أخشوارش ابن كيرش بن جاماسب ، الملقب بالعالم ، من الأربعة الوجوه الذين اختارهم بخرشه عند توجهه إلى الشام من قبيل بهمن ؛ وذلك أن أخشوارش انصرف إلى بهمن من عند بختنصر محموداً ، فولاه ذلك الوقت بابل وناحيتها ؛ وكان السبب في ولايته - فيما زعم - أن رجلاً كان يتولى لبهمن ناحية السند والهند ٦٥٢/١

(١) أخرب المدينة : تركها خراباً .

(٢) ح : « أن ترفق » .

(٣) ح : « وما يليها » .

يقال له كرادشير^(١) بن دشكالك خالفه ، ومعهم من الأتباع ستمائة ألف ، فولّى بهمّن
أخشويرش^(٢) الناحية ، وأمره بالمسير إلى كرادشير ، ففعل ذلك وحاربه ،
فقتله وقتل أكثر أصحابه ، فتابع له بهمّن الزيادة في العمل ، وجمّع له بطوائف
من البلاد ، فلزم السوس^(٣) ، وجمع الأشراف ، وأطعم الناس اللحم ، وسقاهم
الخمير ، وملك بابل إلى ناحية الهند والحبشة وما يلي البحر ، وعقد لمائة وعشرين
قائدآ في يوم واحد الألوية ، وصيّر تحت يد كل قائد ألف رجل من أبطال
الهند الذين يعدل الواحد منهم في الحرب بمائة رجل ، وأوطن^(٤) بابل ،
وأكثر المقام بالسوس ، وتزوج من سبئي بنى إسرائيل امرأة يقال لها أشتر ابنة
أبي جاويل ، كان ربّاه ابن عمّ لها يقال له مردخي ، وكان أباها من الرضاة ؛
لأن أمّ مردخي أرضعت أشتر ، وكان السبب في تزوّجه إياها قتله امرأة كانت
له جليلة جميلة خطيرة ، يقال لها وشتا^(٥) ، فأمرها بالبروز ليراها الناس ،
ليعرفوا جلالتها وجمالها ، فامتنعت من ذلك فقتلها ، فلما قتلها جزع لقتلها
جزعآ شديدآ ، فأشير عليه باعتراض نساء العالم ، ففعل ذلك ، وحبّبت إليه أشتر
صنعآ لبني إسرائيل ؛ فترعمّ النصرى أنها ولدت له عند مسيره إلى بابل ابنآ
فسماه كيرش ، وأن ملّك أخشويرش كان أربع عشرة سنة ، وقد علّمه مردخي
التوراة ، ودخل في دين بنى إسرائيل ، وفهم عن^(٦) دانيال النبي عليه
السلام ومن كان معه حينئذ ، مثل حننيا وميشايل وعازريا ؛ فسألوه بأن
يأذن لهم في الخروج إلى بيت المقدس فأبى وقال : لو كان معي منكم ألف نبيّ
ما فارقى منكم واحد ما دمت حيآ . وولّى دانيال القضاء ، وجعل إليه
جميع أمره ، وأمره أن يُخْرِج كلّ شيء في الخزانة مما كان يختنصر أخذه
من بيت المقدس ويردّه ، وتقدم في بناء بيت المقدس ، فبني وعمّر في أيام

٦٥٤/١

(١) س : « كراذشير » .

(٢) س : « إخشويرش » .

(٣) ضبطه ياقوت : « بضم أوله وسكون ثانيه ، وسين مهملة أخرى ، بلفظ السوس الذي

يقع في الصوف » . وقال : « بلدة بخوزستان ، فيها قبر دانيال النبي عليه السلام » .

(٤) أوطن بابل : اتخذها محلا وسكناً .

(٥) ت ، س : « وسنا » .

(٦) ح : « أمر » ، ت : « من » .

كيرش بن أخشويرش . وكان ملك كيرش ، مما دخل في ملك بهمن وخماني
اثنين وعشرين سنة .

ومات بهمن لثلاث عشرة سنة مضت من ملك كيرش ، وكان موت كيرش
لأربع سنين مضيئ من ملك خماني ، فكان جميع ملك كيرش بن أخشويرش
اثنين وعشرين سنة .

* * *

فهذا ما ذكر أهل السير والأخبار في أمر بختنصر وما كان من أمره وأمر
بنى إسرائيل .

وأما السلف من أهل العلم فإنهم قالوا في أمرهم أقوالاً مختلفة ؛ فمن ذلك
ما حدثني القاسم بن الحسن ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني حجاج
عن ابن جريج ، قال : حدثني يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، أنه سمعه يقول :
كان رجل من بنى إسرائيل يقرأ ، حتى إذا بلغ : ﴿ بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا
لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) بكى ، وفاضت عيناه ، ثم أطبق المصحف ، فقال :
ذلك ما شاء الله من الزمان ! ثم قال : أي رب ، أرني هذا الرجل الذي جعلت
هلاك بنى إسرائيل على يديه . فأرني في المنام مسكينا ببابل يقال له بختنصر ،
فانطلق بمال وأعبده له - وكان رجلاً موسراً - فقيل له : أين تريد ؟ فقال :
أريد التجارة ؛ حتى نزل داراً ببابل فاستكراها ، ليس فيها أحد غيره ، فجعل
يدعو المساكين (٢) ويلطف بهم حتى لا يأتيه أحد إلا أعطاه ، فقال :
هل بقي مسكين غيركم (٢) ؟ فقالوا : نعم مسكين بفتح آل فلان مريض ، يقال
له بختنصر ، فقال لغلمته : انطلقوا بنا ، فانطلق (٣) حتى أتاه فقال : ما اسمك ؟
قال : بختنصر ، فقال لغلمته : احتملوه . فنقله إليه فرفضه حتى برئ ، وكساه
وأعطاه نفقة ، ثم أذن الإسرائيلي بالرحيل ، فبكى بختنصر ، فقال الإسرائيلي :
ما يبكيك ؟ قال : أبكى أنك فعلت بي ما فعلت ، ولا أجد شيئاً أجزيك !

(١) سورة الإسراء ٥ .

(٢ - ٢) التفسير : « ويلطف بهم حتى لم يبق أحد ؛ فقال هل بقي . . . »

(٣) ح : « فانطلقوا » .

قال : بلى شيئاً يسيراً ، إن ملكتَ أظعتنى (١) . فجعل الآخر يتبعه ويقول : تستهزئ بي ! ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله إلا أنه يرى أنه يستهزئ به . فبكى الإسرائيلي وقال : لقد علمتُ ما يمنحك أن تعطيتني ما سألتك ؛ إلا أن الله عز وجل يريد أن يُنفذ ما قضى وكتب في كتابه .

و ضرب الدهر من ضربه (٢) ، فقال صيحون (٣) ، وهو ملك فارس ببابل : لو أننا بعثنا طليعة إلى الشام ! قالوا : وما ضرك لو فعلت ! قال : فن ترون ؟ قالوا : فلان ، فبعث رجلاً ، وأعطاه مائة ألف ، وخرج بختنصر في مطبخه لا يخرج إلا ليأكل في مطبخه ، فلما قدم الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أرض الله فرساً ورجلاً جلدأ ، فكسره (٤) ، ذلك في ذرعه ، فلم يسأل ؛ فجعل بختنصر يجلس مجالس أهل الشام فيقول : ما يمنعم أن تغزوا بابل ؟ فلو غزوتموها ، فما دون بيت مالها شيء . قالوا : لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى تنفذ مجالس أهل الشام ، ثم رجعوا . فأخبر متقدم الطليعة ملكهم بما رأى ، وجعل بختنصر يقول لفوارس الملك : لو دعاني الملك لأخبرته غير ما أخبره فلان . فرفع ذلك إليه ، فدعاه فأخبره الخبر ، وقال : إن فلاناً لمأ رأى أكثر أرض الله كراعاً ورجلاً جلدأ ، كسر ذلك في ذرعه (٥) ، ولم يسألهم عن شيء ، وإني لم أدع مجلساً بالشام إلا جالست أهله ، فقلت لهم كذا وكذا ، فقالوا لي كذا وكذا — الذي ذكره سعيد بن جبير أنه قال لهم — فقال (٦) متقدم الطليعة لبختنصر : فضحتني ! لك مائة ألف وتترع عما قلت . قال : لو أعطيتني بيت مال بابل ما نزعْتُ . و ضرب الدهر من ضربه ، فقال الملك : لو بعثنا جريدة خيل إلى الشام ، فإن وجلوا مساعاً ساغوا ، وإلا امتشوا (٧) ما قدروا عليه . قالوا : ما ضرك

٦٥٦/١

٦٥٧/١

(١) م : التفسير : « أعطيتني »

(٢) ح : « ما ضرب » .

(٣) ح ، والتفسير : « صحور » .

(٤) التفسير : « كبر ذلك في روعه » .

(٥) التفسير : « كبر ذلك في روعه » .

(٦) التفسير : « قال لهم » .

(٧) امتشوا : انزعوا .

لو فعلت ! قال : فن° ترون ؟ قالوا : فلان ، قال : بل الرجل الذى أخبرنى بما أخبرنى ، فدعا بختنصر ، فأرسله وانتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم ، فانطلقوا فجاسوا خلال الديار ، فسبوا ما شاء اللولم يخرّبوا ولم يقتلوا ، ورُمى فى جنازة صيحون ، قالوا : استخلفوا رجلاً ، قالوا : على رسلِكُم حتى يأتى أصحابِكُم ، فإنهم فرسانكُم ؛ أن ينغصوا عليكم شيئاً ! فأمهلوا حتى جاء بختنصر بالسببى وما معه ، فقسمه فى الناس فقالوا : ما رأينا أحداً أحق بالملك من هذا ! فلتكوه^(١) .

* * *

وقال آخرون منهم : إنما كان خروج بختنصر إلى بنى إسرائيل لحربهم حين قتلت بنو إسرائيل يحيى بن زكرياء .

* ذكر بعض من قال ذلك منهم :

حدثنى موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدى ، فى الحديث الذى ذكرنا إسناده قبل : أن بختنصر بعثه صيحاتين لحرب بنى إسرائيل حين قتل ملكهم يحيى بن زكرياء عليه السلام ، وبلغ صيحاتين قتله .

حدثنا ابن حُمَيْد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال - فيما بلغنى : استخلف الله عزّ وجلّ على بنى إسرائيل بعد شعيا رجلاً منهم يقال له ياشية بن أموص ، فبعث الله لهم الخضر نبياً ، واسم الخضر - فيما كان ٦٥٨/١ وهب بن منبه يزعم عن بنى إسرائيل - إرميا بن حلقيا ، وكان من سبب هارون .

* * *

وأما وهب بن منبه فإنه قال فيه ما حدثنى محمد بن سهل بن عسكر البخارى ، قال : حدثنا إسماعيل بن عبد الكريم ، قال : حدثنى عبد الصمد بن معقل ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول :

وحدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق عن لا يتهم
 عن وهب بن منبه اليماني أنه كان يقول : قال الله عز وجل لإرميا حين بعثه
 نبيا إلى بني إسرائيل : « يا إرميا ، من قبل أن أخلقك اخترتك ، ومن قبل أن
 أصورك في بطن أمك قد ستك ، ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ،
 ومن قبل أن تبلغ السعنى نبيتك (١) ، ومن قبل أن تبلغ الأشد اخترتك (٢) ،
 ولأمر عظيم اجتبيتك (٣) . فبعث الله عز وجل إرميا إلى ذلك الملك من بني إسرائيل
 يسدده ويرشده ، ويأتيه بالخبر من قبيل الله فيما بينه وبين الله عز وجل .

قال : ثم عظمتم الأحداث في بني إسرائيل ، وركبوا المعاصي ، واستحلوا
 المحارم ، ونسوا ما كان الله صنع بهم ، وما نجاهم من عدوهم سنحاريب وجنوده ،
 فأوحى الله عز وجل إلى إرميا : أن ائت قومك من بني إسرائيل ، فاقصص عليهم
 ما أمرك به ، وذكّرهم نعمي عليهم ، وعرفهم إحدائهم . فقال إرميا : إني
 ضعيف إن لم تقوتي ، عاجز إن لم تبلغني ، مخطئ إن لم تسدّ دني ، مخذول
 إن لم تنصرنى ، ذليل إن لم تعزني . قال الله عز وجل : ألم تعلم أن الأمور كلّها
 تصدر عن مشيئتي ، وأن القلوب كلّها والألسن بيدي ، أقلبها كيف شئت
 فتطيعني ! وأني أنا الله الذي لا شيء مثلي ، قامت السموات والأرض وما فيهن
 بكلمتي ، وأنا كلّمت البحار ففهمت قولي ، وأمرتها ففعلت (٤) أمرى ،
 وحددت عليها بالطحاء فلا تعدّى حدّي ، تأتي بأموج كالجبال ؛ حتى
 إذا بلغت حدّي ألبستها مذلة طاعتي خوفاً واعترافاً لأمرى ، إني معك ولن
 يصل إليك شيء معي ؛ وإني بعثتك إلى خلق عظيم من خلقتي لتبلغهم
 رسالاتي ، ونستحق (٥) بذلك مثل أجر من اتبعك منهم ، لا ينقص ذلك من
 أجورهم شيئاً ، وإن تقصّر به عنها تستحق بذلك مثل وزر من تركت في
 عماء ؛ لا ينقص ذلك من أوزارهم شيئاً . انطلق إلى قومك فقل : إن الله ذكر

٦٥٩/١

(١) التفسير : « نبأتك » .

(٢) التفسير : « اخترتك » .

(٣) التفسير : « اجتبتك » .

(٤) كذا في ن والتفسير ؛ وفي ط : « ففعلت » .

(٥) التفسير : « ولتستحق » .

بكم صلاح آبائكم ، فحمله ذلك على أن يستتبيحكم (١) يا معشر الأبناء .
 وسلّمهم كيف وجد آباءهم مغبّة طاعتي ، وكيف وجدوا هم مغبّة معصيتي !
 وهل علموا أن أحداً قبلهم أطاعني فشقّ بطاعتي ، أو عصاني فسعد بمعصيتي !
 وأن الدوابّ مما تذكّر أوطانها الصالحة تنتابها ، وأن هؤلاء القوم رتّعوا في مروج
 الهلكة . أما أحبارهم ورهبانهم فاتخذوا عبادي خولاً (٢) يتعبّدونهم دوني ، ويحكمون
 فيهم بغير كتابي (٣) ، حتى أجهلهم أمري ، وأنسّوهم ذكري ، وغرّوهم مني .
 وأما أمراؤهم وقادّتهم فبطروا نعمتي ، وأمنوا مكري ، ونسّبوا كتابي ، ونسّوا عهدي ،
 وغيروا سنّتي ، وادّان (٤) لهم عبادي بالطاعة التي لا تنبغي إلا لي ؛ فهم
 يطيعونهم في معصيتي ، ويتبعونهم على البِدَع التي يتدعون في ديني ، جرّاةً
 على وغيرّة ، وفيرية على وعلى رُسُلِي ، فسبحان جلالى وعلوّ مكاني وعظمة شأنى !
 وهل ينبغي لبشر أن يطاع في معصيتي ! وهل ينبغي أن أخلق عباداً أجعلهم
 أرباباً من دوني ! وأما قرّاءهم وفقهاؤهم فيتعبّدون في المساجد ، ويتزيّنون (٥)
 بعمارها لغيري لطلب الدنيا بالدين ، ويتفقهون فيها لغير العلم ، ويتعلّمون فيها
 لغير العمل . وأما أولاد الأنبياء فكثيرون مقهورون مغرّون ، يخوضون مع
 الخائضين ، فيتمنّون على مثل نصرّة آبائهم ، والكرامة التي أكرمتهم بها ،
 ويزعمون أن لا أحدَ أوّلَى بذلك منهم مني بغير صدق ولا تفكروا تدبّر (٥)
 ولا يذكرون كيف نصر آبائهم لي ، وكيف كان جدّهم في أمري ، حين
 غير المغيّر ، وكيف بذلوا أنفسهم ودماءهم ، فصبروا وصدقوا حتى عزّ
 أمرى ، وظهر ديني ، فتأنّيت هؤلاء القوم لعلّهم يستجيبون ، فأطولت لهم ،
 وصفححت عنهم لعلّهم يرجعون ، وأكثرت ومددت لهم في العمر لعلّهم يتفكرون (٦) ،
 فأعذرت . وفي كلّ ذلك أمطر عليهم السماء ، وأنبت لهم الأرض ، وألبسهم

٦٦٠/١

(١) ت : « يستتبيحكم » . ح : « يتتليكم » .

(٢-٢) التفسير : « ليعبدوهم دوني ، وتحكّموا فيهم بغير كتابي » .

(٣) التفسير : « فادان » .

(٤) كذا في ت ، ن ، والتفسير ، وفي ط : « يتدينون » .

(٥) كذا في التفسير ، وفي ط : « تعبر » .

(٦) التفسير : « يتذكرون » .

العافية ، وأظهرهم على العدو ؛ فلا يزدادون إلا طغياناً وبعداً مني . فحى مني هذا ! أبي يتمرسون ! أم إياي يخادعون ! فإني أحلف بعزتي لأقيضن لهم فتنه يتحير فيها الحليم ، ويضيل فيها رأى ذى الرأى وحكمة الحكيم . ثم لأسلطن عليهم جباراً قاسياً عاتياً ، ألبسه الهيبة ، وأنزع من صدره الرأفة والرحمة والليان ، يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ، له عساكر مثل قطع السحاب ، ومراكب أمثال العجاج ؛ كأن خفيق راياته طيرانُ النور ، وكأن حملة فرسانه كزير (١) العقبان .

٦٦١/١

ثم أوحى الله عز وجل لى إرميا أنتى مهلك بنى إسرائيل بياث - ويافث أهل بابل ، فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام - فلما سمع إرميا وحى ربه صاح وبكى وشق ثيابه ، ونبذ الرماد على رأسه ، فقال : ملعون يوم ولدت فيه ، ويوم لقنت (٢) فيه التوراة ، ومن شر آياى يوم ولدت فيه ، فما أبقيت آخر الأنبياء إلا لما هو شر على ، لو أراد بي خيراً ما جعلنى آخر الأنبياء من بنى إسرائيل ؛ فن أجلى تصيبهم الشقوة والهلاك !

فلما سمع الله عز وجل تضرع الخضر وبكائه ، وكيف يقول ، ناداه : يا إرميا ، أشق عليك ما أوحيت لك ! قال : نعم يا رب ؛ أهلكنى قبل أن أرى فى بنى إسرائيل ما لا أسر به ، فقال الله تعالى : وعزتى (٣) وجلالى لا أهلك بيت المقدس وبنى إسرائيل حتى يكون الأمر من قبلك فى ذلك . ففرح عند ذلك إرميا لما قال له ربه ، وطابت نفسه وقال : لا ، والذي بعث موسى وأنبياءه بالحق ، لا آمر ربي بهلاك بنى إسرائيل أبداً .

ثم أتى ملك بنى إسرائيل فأخبره بما أوحى الله إليه فاستبشر وفرح ؛ وقال : إن يعد بنا ربنا فبذنوب كثيرة قد مناهنا لأنفسنا ، وإن عفا عنا فبقدرته .

٦٦٢/١

ثم لأنهم لبثوا بعد هذا الوحي ثلاث سنين لم يزدادوا إلا معصية وتمادياً فى الشر ، وذلك حين اقرب هلاكهم ، فقل الوحي حين لم يكونوا يتذكرون الآخرة ، وأمسك عنهم حين (٤) أहतهم الدنيا وشأنها ، فقال لهم ملكهم :

(١) الكزير : صوت فى الصدر كصوت الختنق . (٢) ن والتفسير : « لقيت » .

(٣) التفسير : « وعزتى العزيزة » . (٤) ن : « حيث » .

يا بني إسرائيل ، انتهوا عما أنتم عليه قبل أن يمسّكم بأسُ الله ، وقبل أن يبعث الله عليكم قوماً لا رحمةَ لهم بكم ، فإنّ ربّكم قريب التوبة مبسوط اليدين بالخير ، رحيم بمن تاب إليه . فأبوا عليه أن يتزعوا عن شيء مما هم عليه . وإنّ الله ألقى في قلب بختنصر بن نبوزرادان بن سنحاريب بن دارياس بن نمرود بن فالغ ابن عابر - ونمرود صاحب إبراهيم عليه السلام ، الذي حاجه في ربه - أن يسير إلى بيت المقدس ، ثم يفعل فيه ما كان جدّه سنحاريب أراد أن يفعل . فخرج في ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس ، فلما فصل سائراً أتى ملك بني إسرائيل الخبر أن بختنصر قد أقبل هو وجنوده يريدكم ، فأرسل الملك إلى إرميا ، فجاءه فقال : يا إرميا ، أين ما زعمت لنا أنّ ربك أوحى إليك ألاّ يهلك أهل بيت المقدس حتى يكون منك الأمر في ذلك ! فقال إرميا للملك : إن ربّي لا يخلف الميعاد ، وأنا به واثق .

فلما اقترب الأجل ودنا انقطاع ملكهم ، وعزم الله تعالى على هلاكهم ، بعث الله عزّ وجلّ ملكاً من عنده ، فقال له : اذهب إلى إرميا واستفته . ٦٦٣/١ وأمره بالذي يستفتيه فيه . فأقبل الملك إلى إرميا ، وقد (١) تمثّل له رجلاً من بني إسرائيل ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا رجل من بني إسرائيل أستفتيك في بعض أمري ، فأذن له ، فقال له الملك : يا نبيّ الله ، أتيتك أستفتيك في أهل رحمي ؛ وصلت أرحامهم بما أمرني الله به ، لم آت إليهم إلاّ حسناً ، ولم آلهم كرامة ، فلا تزيدهم كرامتي إياهم إلاّ إسقاطاً لي ، فأفتني فيهم يا نبيّ الله ! فقال له : أحسن فيما بينك وبين الله ، وصل ما أمرك الله أن تصل ، وأبشر بخير . قال : فانصرف عنه الملك ، فكث أياماً ثم أقبل إليه في صورة ذلك الرجل الذي كان جاءه ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال . أنا الرجل الذي أتيتك أستفتيك في شأن أهلي ، فقال له نبيّ الله : أو ما طهرت (٢) لك أخلاقهم بعد ، ولم ترمهمم الذي تحب ! قال : يا نبيّ الله ، والذي بعثك بالحقّ ما أعلم كرامةً يأتيها أحد من الناس إلى أهل رحمة

(١) كذا في ح ، وفي ط : « قد » بدون الواو ، وفي التفسير : « وكان قد تمثّل » .

(٢) طهارة الأخلاق : بعدها عن الدنس والإثم .

إلا وقد أتيتها إليهم وأفضل من ذلك . فقال النبي : ارجع إلى أمهلك فأحسن إليهم ، واسأل الله الذي يصلح عباده الصالحين أن يصلح ذات بينكم ، وأن يجمعكم على مرضاته ، ويجنبكم سخطه^(١) . فقام الملك من عنده فلبث أياماً وقد نزل بختنصر وجنوده حول بيت المقدس بأكثر^(٢) من الجراد ، ففرغ منهم بنو إسرائيل فرعاً شديداً ، وشق ذلك على ملك بني إسرائيل فدعا إرميا فقال : يا نبي الله ، أين ما وعدك الله ؟ فقال : إني بربّي واثق . ثم إن الملك أقبل إلى إرميا وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك ويستبشر بنصر ربه الذي وعده ، فقعده بين يديه ، فقال له إرميا : من أنت ؟ قال : أنا الذي كنت أتيتك في شأن أهلي مرتين ، فقال له النبي : أو لم يأن لهم أن يفيقوا من الذي هم فيه ! فقال الملك : يا نبي الله ، كل شيء كان يصيبني منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه ، وأعلم أن ما لهم^(٣) في ذلك سخطي ، فلما أتيتهم اليوم رأيتهم في عمل لا يرضاه الله ولا يحبه ، قال له النبي : على أي عمل رأيتهم ؟ قال : يا نبي الله ، رأيتهم على عمل عظيم من سخط الله ، فلو كانوا على مثل ما كانوا عليه قبل اليوم ، لم يشتد غضبي عليهم ، وصبرت لهم ورجوتهم ، ولكنني غضبت اليوم لله ولك ، فأتيتك لأخبرك خبرهم ، وإني أسألك بالله الذي هو بعثك بالحق إلا ما دعوت عليهم أن يهلكهم الله . قال إرميا : يا ملك السموات والأرض ؛ إن كانوا على حق وصواب فأبقهم ، وإن كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فأهلكهم .

فلما خرجت الكلمة من إرميا أرسل^(٤) الله عز وجل صاعقة من السماء في بيت المقدس فالتهب مكان القربان ، وحُسيِف بسبعة أبواب من أبوابها . فلما رأى ذلك إرميا صاح وشق ثيابه ، ونبذ التراب على رأسه ، وقال : يا ملك السماء ويا أرحم الراحمين ، أين ميعادك الذي وعدتني ! فنودي : يا إرميا ؛ إنه لم يصبهم الذي أصابهم إلا بفُتياك التي أفتيت بها رسولنا . فاستيقن النبي أنها

(١) ح : « وينجيكم من سخطه » .

(٢) ح : « في أكثر » . التفسير : « كأمثال الجراد » .

(٣) ت : « ما بهم » ، ن : « ما لهم » ، التفسير : « ما بهم » .

(٤) التفسير : « فاخرجت الكلمة من في إرميا حتى أرسل » .

فُتِيَاهِ التِي أَقْتَى بِهَا ثَلَاثَ مَرَاتٍ ، وَأَنَّهُ رَسُولُ رَبِّهِ .

وطار (١) إرميا حتى خالطَ الوحوش ، ودخل بختنصر وجنوده بيت المقدس ، فوطئ الشام ، وقتل بنى إسرائيل حتى أفناهم ، وخرَّب بيت المقدس ؛ ثم أمر جنوده أن يملأ كلُّ رجلٍ منهم تُرسه تراباً ثم يقذفه في بيت المقدس ، فقدفوا فيه التراب حتى ملئوه . ثم انصرف راجعاً إلى أرض بابل ، واحتمل معه سبأيا بنى إسرائيل ، وأمرهم أن يجمعوا مَنْ كان في بيت المقدس كلَّهم ، فاجتمع عنده كلُّ صغيرٍ وكبيرٍ من بنى إسرائيل ، فاختر منهم مائة ألف صبي ، فلما خرجت غنائم جنده ، وأراد أن يقسمها (٢) فيهم ، قالت له الملوك الذين كانوا معه : أيها الملك ، لك غنائمنا كلُّها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بنى إسرائيل . ففعل فأصاب كلَّ رجلٍ منهم أربعة غلطة— وكان من أولئك الغلمان : دانيال ، وحنانيا ، وعزاريا ، وميشايل — وسبعة آلاف من أهل بيت داود ، وأحد عشر ألفاً من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين ، وثمانية آلاف من سبط أشر بن يعقوب ، وأربعة عشر ألفاً من سبط زبالون ابن يعقوب ، ونفثالى بن يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوى ابنى يعقوب ، وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب ومن بقى من بنى إسرائيل . وجعلهم بختنصر ثلاث فرق ؛ فثلثا أقر بالشام ، وثلثا سبى ، وثلثا قتل . وذهب بآنية بيت المقدس حتى أقدمها بابل ، وذهب بالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل ؛ وكانت هذه الوقعة الأولى التي أنزلها الله بنى إسرائيل بإحداثهم وظلمهم .

٦٦٦/١

فلما ولى بختنصر عنهم راجعاً إلى بابل بمن معه من سبأيا بنى إسرائيل أقبل إرميا على حمار له معه عصير من عنب في ركوة (٣) وسلّة تين ، حتى غشى إيلياء فلما وقف عليها ورأى ما بها من الخراب دخله شك ، فقال : أتى يحيى هذه الله بعد موتها ! فأماته الله مائة عام ، وحماره وعصيره وسلّة تينه عنده حيث أماته

(١) التفسير : « ثم إن إرميا » . . .

(٢) كذا في التفسير وفي ط : « يقسمهم » .

(٣) ت والتفسير : « زكرة » ، وهي زق صغير من آدم يجعل فيه الشراب .

الله وأمات حماره معه ، وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد . ثم بعثه الله فقال له :
﴿ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ
فَإَنْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ﴾ - يقول لم يتغير - ﴿ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ
وَلِنَجْعَمَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ﴾ (١)
فنظر إلى حماره يتصل ببعض إلى بعض - وقد كان مات معه - بالعروق والعصب ،
ثم كيف كسى ذلك منه اللحم حتى استوى ، ثم جرى فيه الروح ، فقام ينهق . ثم
نظر إلى عصبه وتينه ، فإذا هو على هيئته حين وضعه لم يتغير . فلما عين من
قدرة الله ما عين ، قال : ﴿ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (١) . ثم عمر الله
إرميا بعد ذلك ، فهو الذي يرى بقلوات الأرض والبلدان (٢) .

ثم إنَّ بختنصر أقام في سلطانه ما شاء الله أن يقيم ، ثم رأى رؤيا ، فبينما
هو قد أعجبه ما رأى إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي كان رأى ، فدعا
دانيال ، وحنانيا وعزارياء ، وميشايل من ذراري الأنبياء ، فقال : أخبروني عن رؤيا
رأيتها ، ثم أصابني شيء فأنسانيتها ، وقد كانت أعجبتني (٣) ما هي ؟ قالوا
له : أخبرنا بها نخبرك بتأويلها ، قال : ما أذكرها ، وإن لم تخبروني بتأويلها
لأنزعت أكتافكم . فخرجوا من عنده ، فدعوا الله واستغاثوا وتضرعوا إليه ،
وسألوه أن يعلمهم إياها ، فأعلمهم الذي سألم عنه ، فجاءوه فقالوا له : رأيت
تمثالا ؟ قال : صدقتم ، قالوا : قدماء وساقاه من فخار ، وركبتاه وفخذه
من نحاس ، وبطنه من فضة ، وصدرة من ذهب ، ورأسه وعنقه من حديد .
قال : صدقتم . قالوا : فبينما أنت تنظر إليه قد أعجبك ، فأرسل الله عليه صخرة
من السماء فدقته ، فهي التي أنستكها . قال : صدقتم ، فما تأويلها ؟ قالوا :
تأويلها أنك أريت ملك الملوك ، فكان بعضهم أئین ملكا من بعض ،
وبعضهم كان أحسن ملكا من بعض ، وبعضهم كان أشد ملكا من بعض ،

(١) سورة البقرة ٢٥٩ .

(٢) الخبر في التفسير ١٥ : ٢٩ - ٣١ (بولاق) ، وانظره أيضا في ٥ :

(٣) ٤٤٧ - ٤٤٤ (المعارف) .

(٣) ح : « كان أعجبتني » .

فكان أول الملك الفخار وهو أضعفه وألينه . ثم كان فوقه النحاس وهو أفضل منه وأشدّ ، ثم كان فوق النحاس الفضة وهي أفضل من ذلك وأحسن ، ثم كان الحديد كان فوق الفضة الذهب ، فهو أحسن من الفضة وأفضل ، ثم كان الحديد مُسكك ؛ فهو كان أشدّ الملوك وأعزّ مما كان قبله ، وكانت الصخرة التي رأيت أرسل الله عليه من السماء فدقته ، نبياً يبعثه الله من السماء فيدقّ ذلك أجمع ، ويصير الأمر إليه .

ثم إن أهل بابل قالوا لبختنصر : أرأيت هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم ففعلت ! فإننا والله لقد أنكرنا نساءنا منذ كانوا معنا ، لقد رأينا نساءنا على قنّ بهم ، وصرفن وجوههنّ إليهم ، فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم ، قال : شأنكم بهم ، فن أحبّ منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل ، فأخرجهم . فلما قربوهم للقتل تضرّعوا إلى الله فقالوا : يا ربنا ، أصابنا البلاء بذنوب غيرنا ، فتحسن الله عليهم برحمته ، فوعدهم أن يحييهم بعد قتلهم ، فقتلوا إلا من استبقى بختنصر منهم ، وكان ممن استبقى منهم : دانيال ، وحنانيا ، وعزارياء ، وميشايل .

* * *

ثم إن الله تبارك وتعالى حين أراد هلاك بختنصر، انبعث فقال لمن كان في يديه من بني إسرائيل : أرأيت هذا البيت الذي أخرجت ، وهؤلاء الناس الذين قتلت ، من هم ؟ وما هذا البيت ؟ قالوا : هذا بيت الله ومسجد من مساجده ، وهؤلاء أهلهم كانوا من ذراري الأنبياء ، فظلموا وتعدّوا وعصواً فسلطت عليهم بذنوبهم ، وكان ربهم ربّ السموات والأرض ، وربّ الخلق كلهم يكرمهم ويمنّهم^(١) ويعزّهم ، فلما فعلوا ما فعلوا أهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم .

قال : فأخبروني ما الذي يطلع بي إلى السماء العليا ، لعلّي أطلع إليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكاً ، فإنّي قد فرغت من الأرض ومنّ فيها ، قالوا له : ما تقدر على ذلك وما يقدر على ذلك أحد من الخلائق ، قال : لتفعلنّ أو لأقتلنكم عن آخركم ، فبكوا إلى الله وتضرّعوا إليه ، فبعث الله بقدرته ليريه

ضعفه وهو انه عليه—بعوضةٌ فدخلت في منخره ثم ساخت في دماغه حتى عضت بأمّ دماغه ؛ فما كان يتقرّ ولا يسكن حتى يوجأ له رأسه على أمّ دماغه ؛ فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله : إذامت فشقوا رأسي ، فانظروا ما هذا الذي قتلتني ؟ فلما مات شقوا رأسه ، فوجدوا البعوضة عاضة بأمّ دماغه ليُرى الله العباد قدرته وسلطانه ؛ ونجى الله من كان بقي في يديه من بني إسرائيل وترحم عليهم وردهم إلى الشام وإلى إيلياء المسجد المقدّس ، فبنوا فيه وربّلوا^(١) وكثروا ؛ حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه .

فيزعمون — والله أعلم — أن الله أحيا أولئك الموتى الذين قتلوا فلهقوا بهم .

* * *

ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله ؛ كانت التوراة قد استتببت منهم فحرقت وهلكت ، وكان عزير من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع إلى الشام يبكي عليها ليله ونهاره ، قد خرج من الناس فتوحده^(٢) منهم ؛ وإنما هو ببطون الأودية وبالفلوات يبكي ؛ فبينما هو كذلك في حزنه على التوراة وبكائه عليها ، إذ أقبل إليه رجل وهو جالس ، فقال : يا عزير ما يبكيك ؟ قال : أبكى على كتاب الله وعهده ، كان بين أظهرنا فبلغت بنا خطايانا ، وغضب ربنا علينا أن سلط علينا عدونا ، فقتل^(٣) رجالنا ، وأحرب بلادنا ، وأحرق كتاب الله الذي بين أظهرنا ، الذي لا يصلح دنيانا وآخرتنا غيره — أو كما قال — فعلام أبكى إذا لم أبك على هذا ! قال : أفتحب أن يردّ ذلك عليك ؟ قال : وهل إلى ذلك من سبيل ؟ قال : نعم ارجع فصمّ وتطهّر وطهّر ثيابك ، ثم موعدك هذا المكان غداً . فرجع عزير فصام وتطهّر وطهّر ثيابه ، ثم عمّد إلى المكان الذي وعده ، فجلس فيه ، فأناه ذلك الرجل بإناء فيه ماء — وكان ملكا بعثه الله إليه — فسماه من ذلك الإناء ، فثلث التوراة في صدره ، فرجع إلى بني إسرائيل ، فوضع لهم التوراة يعرفونها بحلالها وحرامها وسننها وفرائضها

(١) ربّلوا : كثر عددهم .

(٢) ح : « وانقطع » .

(٣) ت : « حتى قتل » . ن : « قتل » .

وحدودها ، فأحبّوه حبّاً لم يحبّوه شيئاً قطّ ، وقامت التوراة (١) بين أظهرهم ،
 وصلح بها أمرهم ، وأقام بين أظهرهم عزّير مؤدياً لحقّ الله ، ثم قبضه الله على
 ذلك ، ثم حدثت فيهم الأحداث حتى قالوا لعزير : هو ابن الله ، وعاد الله
 عليهم فبعث فيهم نبياً كما كان يصنع بهم ، يسدّد أمرهم ، ويعلمهم ويأمرهم
 بإقامة التوراة وما فيها .

* * *

وقال جماعة أخر عن وهب بن منبه في أمر بختنصر وبنى إسرائيل وغزوه
 لإياهم أقوالاً غير ذلك ، تركنا ذكرها كراهة إطالة الكتاب بذكرها .

ذكر خبر غزو بختنصر للعرب

حدّثت عن هشام بن محمد، قال : كان بدء نزول العرب أرضَ العراق وثبوتهم فيها ، واتخاذهم الحيرة والأنبار منزلاً — فيما ذكر لنا والله أعلم — أن الله عزَّ وجلَّ أوحى إلى برخيا بن أحنيا^(١) بن زربابل بن شلتيل من ولد يهوذا — قال هشام : قال الشرقي : وشلتيل أول من اتخذ الطفشيل — أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ، ويطأ بلادهم بالجنود ، فيقتل مقاتلتهم ويستبيح أموالهم ، وأعلمه كفرهم بي ، واتخاذهم الآلهة دوني ، وتكذيبهم أنبيائي ورسلي .

قال : فأقبل برخيا من نَجْران حتى قدم على بختنصر ببابل — وهو « نبوخذ نصر » فعربته العرب — وأخبره بما أوحى الله إليه وقصَّ عليه ما أمره به ؛ وذلك في زمان معدِّ بن عدنان . قال : فوثب بختنصر على مَنْ كان في بلاده من تجار العرب ، وكانوا يقدمون عليهم بالتجارات والبياعات ، ويمتارون من عندهم الحبَّ والتمر والثياب وغيرها .

فجمع مَنْ ظفر به منهم ، فبنى لهم حَيْرًا^(٢) على النَّجَف وحصَّنه ، ثم ضمَّهم فيه ووكل بهم حرساً وحفظةً ، ثم نادى في الناس بالغزو ، فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب ، فخرجت إليه طوائف منهم مسالين مستأمنين ، فاستشار بختنصر فيهم برخيا ، فقال : إن خروجهم إليك من بلادهم قبل نهوضك إليهم رجوع منهم عما كانوا عليه ، فأقبل منهم ، فأحسن إليهم .

قال : فأنزلهم بختنصر السواد^(٣) على شاطئ الفرات ، فابتنوا موضع عسكرهم بعد ، فسموه الأنبار^(٤) . قال : وخلصني عن أهل الحَيْر^(٥) ، فاتخذوها منزلاً حياة

(١) كذا في ت ، وفي س : « أحنيا » ، وفي ابن الأثير ١ : ١٥٣ : « أحنيا » .

(٢) الحير : شبه الحظيرة . (٣) السواد هنا : رستاق العراق .

(٤) مدينة على الفرات ؛ ذكرها ياقوت وقال : « وقيل إنما سمى الأنبار لأن بختنصر لما

حارب العرب الذين لا خلاق لهم حبس الأسراء فيه » .

(٥) في الأصول : « الحيرة » ، وصوابه من معجم البلدان ٣ : ٣٧٨ .

بختنصر ، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار ، وبقي ذلك الحير خراباً^(١) .

وأما غير هشام من أهل العلم بأخبار الماضين فإنه ذكر أن معد بن عدنان لما ولد، ابتدأت بنو إسرائيل بأنبيائهم فقتلوهم ، فكان آخر من قتلوا يحيى بن زكرياء ، وعدا أهل الرّس^(٢) على نبيهم فقتلوه ، وعدا أهل حضور^(٣) على نبيهم فقتلوه ، فلما اجتمعوا على أنبياء الله أذن الله في فناء ذلك القرن الذين معد بن عدنان من أنبيائهم ، فبعث الله بختنصر على بني إسرائيل ، فلما فرغ من إخراج المسجد الأقصى والمدائن وانتسف بني إسرائيل نفساً ، فأوردهم أرض بابل أرى فيما يرى النائم— أو أمير بعض الأنبياء أن يأمره— أن يدخل بلاد العرب فلا يستحي فيها إنسياً^(٤) ، ولا بهيمة ، وأن ينتسف ذلك نفساً ، حتى لا يبقى لهم أثراً . فنظّم بختنصر ما بين إيلة والأبلّة خيلاً ورجلاً ، ثم دخلوا على العرب فاستعرضوا كل^{٦٧٣/١} ذى روح أتوا عليه وقدروا عليه . وأن الله تعالى أوحى إلى إرميا وبرخيا أن الله قد أندر قومكما ، فلم ينتهوا ، فعادوا بعد الملّك عبيدا ، وبعد نعيم العيش عالة يسألون الناس ، وقد تقدّمت إلى أهل عربية بمثل ذلك فأبوا إلا الحاجة ، وقد سلّطت بختنصر عليهم لأنتم منهم ، فعليكما بمعد بن عدنان ، الذى من ولده محمد الذى أخرجه في آخر الزمان ، أختم به النبوة ، وأرفع به من الضعة .

فخرجاً تطوى لهما الأرض حتى سبقا بختنصر ، فلقيا عدنان قد تلقاهما ، فطوياه إلى معد ، ولمعد يومئذ اثنتا عشرة سنة ، فحمله برخيا على البراق ، وردف خلفه ، فانتها إلى حرّان من ساعتها ، وطويت الأرض لإرميا فأصبح بحرّان ، فالتقى عدنان وبختنصر بذات عرق ، فهزم بختنصر عدنان ، وسار في بلاد العرب ، حتى قدم إلى حضور واتبع عدنان ، فانتهى بختنصر إليها ،

(١) الخبر في معجم البلدان ٣ : ٣٧٧ - ٣٨٠ ، عن هشام ، وفيه : « فابتنوا في موضعه وسموها الحيرة لأنه كان حيراً مبنياً ؛ وما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر » .

(٢) الرس : بئر ، ويروى أن قوماً كذبوا نبيهم ورسوه في هذه البئر (ياقوت) .

(٣) حضور ، بالفتح ثم الضم : بلدة باليمن ، من أعمال زبيد . . . ونقل ياقوت عن

السهيلى : « لما قصد بختنصر بلاد العرب ودوخها وخرّب المعمور استأصل الله أهل حضوراء » وقال :

« هكذا رواها بالآلف الممدودة » . (٤) ت « إنساناً » .

وقد اجتمع أكثر العرب من أقطار من عربة إلى حضُور ، فخذق
 الفريقان ، وضرب بختنصر كميناً - وذلك أول كمين كان فيما زعم - ثم نادى
 مناد من جو السماء : يا لثارات الأنبياء ! فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن
 بين أيديهم ، فندموا على ذنوبهم ، فنادوا بالويل ، ونهَى عدنان عن بختنصر
 ونهَى بختنصر عن عدنان ، وافترق من لم يشهد حضُور ، ومن أفلت قبل
 الهزيمة فرقتين : فرقة أخذت إلى ريسوب وعليهم عك ، وفرقة قصدت لوبار
 وفرقة حضُر العرب ، قال : وإياهم عنى الله بقوله : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ
 كَانَتْ ظَالِمَةً ﴾ ، كافرة الأهل ؛ فإن العذاب لما نزل بالقرى وأحاط بهم
 في آخروقة ذهبوا ليهربوا فلم يطيقوا الحرب ، ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بِأَسَانَا ﴾ انتقامنا
 منهم ﴿ إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴾ يهربون ، قد أخذتهم السيوف من بين أيديهم
 ومن خلفهم . ﴿ لَا تَرَوْكُمْ كُفُؤًا ﴾ لا تهربوا ﴿ وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ ﴾
 إلى العيشة على النعم المكفورة ﴿ وَمَسَاكِينِكُمْ ﴾ مصيركم ﴿ لَعَلَّكُمْ تَسْأَلُونَ ﴾ .
 فلما عرفوا أنه واقع بهم أقرؤوا بالذنوب ، فقالوا : ﴿ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴾ . فَمَا
 زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿ ١ ﴾ ، موقى وقتلى بالسيف

٦٧٤/١

فرجع بختنصر إلى بابل بما جمع من سبايا عربة (٢) فألقاهم بالأنبار ،
 فقيل أنبار العرب ، وبذلك سميت الأنبار ، وخالطهم بعد ذلك النبط
 فلما رجع بختنصر مات عدنان وبقيت بلاد العرب خراباً حياة بختنصر ،
 فلما مات بختنصر خرج معد بن عدنان معه الأنبياء ، أنبياء بني إسرائيل صلوات
 الله عليهم حتى أتى مكة فأقام أعلامها ، فحجَّ وحجَّ الأنبياء معه ، ثم خرج معد حتى
 أتى ريسوب فاستخرج أهلها ، وسأل عمن بقي من ولد الحارث بن مُضاض
 الجرهمي ، وهو الذى قاتل دوس العتق ، فأفنى أكثرهم جرهم على يديه ، فقيل
 له : بقی جوشم بن جلهمة ، فتروج معد ابنته معانة ، فولدت له نزار بن معد .

٦٧٥/١

(١) سورة الأنبياء ١١ - ١٥ .

(٢) عربة ؛ بالتحريك ؛ هي في الأصل اسم لبلاد العرب ؛ انظر معجم البلدان .

رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ما كرهه والحوادث التي كانت
في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من عماله
في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر

ذكر العلماء بأخبار الأمم السالفة من العجم والعرب ، أن بشتاسب بن
كبي هراسب لما عقد له التاج ، قال يوم ملكك : نحن صارفون فكرنا وعملنا
وعلمنا إلى كل ما ينال به البر . وقيل : إنه ابنتي بفارس مدينة فسآ ، وبلاد
الهند وغيرها بيوتاً للنيران ، ووكل بها الهرايذة^(١) ، وإنه رتب سبعة نفر من عظماء
أهل مملكته مراتب ، وملك كل واحد منهم ناحية جعلها له ، وإن زرادشت
ابن أسفيمان ظهر بعد ثلاثين سنة من ملكه فادعى النبوة ، وأراد على قبول
دينه ، فامتنع من ذلك ثم صدقه ، وقيل ما دعاه إليه وأتاه به من كتاب
ادعاه وحياً ، فكُتِبَ في جلد اثني عشرة ألف بقرة حفرأ في الجلود ، ونقشا
بالذهب ، وصير بشتاسب ذلك في موضع من إصطخر ، يقال له دزنيشت ،
ووكل به الهرايذة ، ومنع تعليمه العامة . وكان بشتاسب في أيامه تلك
مهادناً لخرزاسف بن كبي سواسف ، أخى فراسياب ملك الترك على ضرب
من الصلح ، وكان من شرط ذلك الصلح أن يكون لبشتاسب بباب خرزاسف
دابة موقوفة بمنزلة الدواب التي تنوب^(٢) على أبواب الملوك ، فأشار زرادشت على
بشتاسب بمفاسدة ملك الترك ، فقبل ذلك منه ، وبعث إلى الدابة والموكل بها ،
فصرهما إليه ، وأظهر الخبر لخرزاسف ، فغضب من ذلك - وكان ساحراً عاتياً -
فأجمع على محاربة بشتاسب ، وكتب إليه كتاباً غليظاً عنيفاً ، أعلمه فيه أنه
أحدث حدثاً عظيماً ، وأنكر قبوله ما قبل من زرادشت ، وأمره بتوجيهه
إليه ، وأقسم إن امتنع أن يغزوه حتى يسفك دمه ، ودماء أهل بيته .

(١) الهرايذة : هم خدم النار ؛ أو حكام الخويس الذين يصلون بهم ؛ واحده الهريد
(المعرب ٣٥١) . (٢) ت ، س : « تكون » .

فلما ورد الرسول بالكتاب على بشتاسب، جمع إليه أهل بيته وعظماء أهل مملكته، وفيهم جاماسف عالمهم وحاسبهم، وزرين بن لهراسب. فكتب بشتاسب إلى ملك الترك كتاباً غليظاً جواب كتابه، آذنه فيه بالحرب، وأعلمه أنه غير مُمسك عنه إن أمسك. فسار بعضهما إلى بعض، مع كل واحد منهما من المقاتلة ما لا يُحصى كثرة، ومع بشتاسب يوهذ زرين أخوه ونسطور ابن زرين وإسفنديار وبشوتن ابنا بشتاسب، وآل لهراسب جميعاً، ومع خرزاسف وجوهرمز وأندرمان أخواه وأهل بيته، وببیدرفش الساحر، فقتل في تلك الحروب زرين، واشتد ذلك على بشتاسب، فأحسن الغناء عنه ابنه إسفنديار، وقتل ببیدرفش مبارزة، فصارت الدبرة على الترك، فقتلوا قتلاً ذريعاً، ومضى خرزاسف هارباً، ورجع بشتاسب إلى بلخ، فلما مضت لتلك الحروب سنون سعى على إسفنديار رجل يقال له قرزم^(١)، فأفسد قلب بشتاسب عليه، فندبه لحرب بعد حرب، ثم أمر بتقييده وصيِّره في الحصن الذي فيه حبس النساء، وشخص بشتاسب إلى ناحية كرممان وسجستان، وصار منها إلى جبل يقال له طميدر^(٢) لدراسة دينه والنسك هناك، وخالف لهراسب أباه مدينة بلخ شيخاً قد أبطله الكبير، وترك خزائنه وأمواله ونسائه مع خطوط امرأته، فحملت الجواسيس الخبر إلى خرزاسف، فلما عرف جمع جنوداً لا يُحصون كثرة، وشخص من بلاده نحو بلخ، وقد أمل أن يجد فرصة من بشتاسب وبملكته. فلما انتهى إلى تخوم^(٣) ملك فارس قدّم أمامه جوهرمز أخاه - وكان مرشحاً للملك بعده في جماعة من المقاتلة كثيرة - وأمره أن يَغذ السير حتى يتوسط المملكة ويوقع بأهلها، ويغير على القرى والمدن، ففعل ذلك جوهرمز، وسفك الدماء واستباح من الحرّم ما لا يحصى، واتبعه خرزاسف فأحرق الدواوين، وقتل لهراسف والهرايذة، وهدم بيوت النيران، واستولى على الأموال والكنوز، وسبي ابنتين لبشتاسب، يقال لإحداهما: خماني، وللأخرى باذافره، وأخذ - فيما أخذ - العلم الأكبر الذي كانوا يسمونه

(١) ت: «فرزم»، ح: «قوم»، س: «فرارم».

(٢) كذا في ت، س.

(٣) التخوم: جمع تخم؛ بفتح التاء وضمها: الفصل بين الأرضين من المعالم والحدود.

درفش كايان ، وشخص متبعباً لبشتاسب ، وهرب منه بشتاسب حتى تحصن في تلك الناحية مما يلي فارس في الجبل الذي يعرف بطميندر ، ونزل ببشتاسب ما ضاق به ذرعاً؛ فيقال إنه لما اشتد به الأمر وجهه إلى إسفنديار جاسب حتى استخرجه من محبسه ، ثم صار به إليه ، فلما أدخل عليه اعتذر إليه ، ووعده عقْد التاج على رأسه ، وأن يفعل به مثل الذي فعل لهراسب به ، وقلده القيام بأمر عسكره ، ومحاربة خزراسف .

٦٧٩ / ١ فلما سمع إسفنديار كلامه كَفَّرَ (١) له خاشعاً ، ثم نهض من عنده ، فتولى عرض الجند وتمييزهم ، وتقدم فيما احتاج إلى التقدم فيه ، وبات ليلته مشغولاً بتعبته ، فلما أصبح أمر بنفخ القرون ، وجمع الجنود ، ثم سار نحو عسكر الترك ، فلما رأته عسكره خرجوا في وجوههم يتسابقون ، وفي القوم جوهرمز وأندرمان ، فالتحمت الحرب بينهم ، وانقضَّ إسفنديار وفي يده الرمح كالبرق الخاطف ، حتى خالط القوم ، وأكبَّ عليهم بالطعن ، فلم يكن إلا هنيهة حتى ثلم في العسكر ثلثة عظيمة ، وفشا في الترك أن إسفنديار قد أطلق من الحبس ، فانهزموا لا يلؤون على شيء ، وانصرف إسفنديار ، وقد ارتجع العلم الأعظم ، وحمله معه منشوراً ، فلما دخل على بشتاسب استبشر بظفره ، وأمره باتباع القوم ، وكان مما أوصاه به أن يقتل خزراسف إن قدر عليه بلهراسف ، ويقتل جوهرمز وأندرمان بمن قتل من ولده ، ويهدم حصون الترك ويحرق مدنها ، ويقتل أهلها بمن قتلوا من حملة الدين ، ويستنقذ السبايا . ووجهه معه ما احتاج إليه من القواد والعظماء .

٦٨٠ / ١ فذكروا أن إسفنديار دخل بلاد الترك من طريق لم يَرُّه أحد قبله ، وأنه قام — من حراسة جنده ، وقتل ما قتل من السباع ، ورمى العنقاء المذكورة — بما لم يقم به أحد قبله ، ودخل مدينة الترك التي يسمونها دزروئين — وتفسيرها بالعربية الصفيرية — عنوة حتى قتل الملك وإخوته ومقاتلته ، واستباح أمواله وسبي نساءه ، واستنقذ أختيه ، وكتب بالفتح إلى أبيه ، وكان أعظم الغناء

(١) كفر له : خضع ؛ وهو من فعل العلوج للدهاقين ؛ يضع العلج يده على صدره ويطأ على رأسه ويتطامن تعظيماً .

في تلك المحاربة بعد إسفنديار لفشوتن أخيه وأدرونش ومهرين ابن ابنته . ويقال إنهم لم يصلوا إلى المدينة حتى قطعوا أنهاراً عظيمة مثل كاسروذ ، ومهرروذ ، ونهرا آخر لهم عظيماً ، وإن إسفنديار دخل أيضاً مدينة كانت لفراسياب ، يقال لها وهشكند^(١) ، ودوخ البلاد وصار إلى آخر حدودها ، وإلى التبت وباب صول ، ثم قطع البلاد وصير كل ناحية منها إلى رجل من وجوه الترك بعد أن آمنهم ، ووظف على كل واحد منهم خراجاً يحمله إلى بشتاسب في كل سنة ، ثم انصرف إلى بلخ .

ثم إن بشتاسب حسد ابنه إسفنديار لما ظهر منه ، فوجهه إلى رستم بسجستان ، فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أنه قال : قد كان بشتاسب جعل الملك من بعده لابنه إسفنديار ، وأغراه الترك ، فظفر بهم ، وانصرف إلى أبيه ، فقال له : هذا رستم متوسطاً بلادنا ، وليس يعطينا الطاعة لادعائه ما جعل له قابوس من العتق من رق الملك ، فسر إليه فأتى به ، فسار إسفنديار إلى رستم فقاتله ، فقتله رستم . ومات بشتاسب ، وكان ملكه مائة سنة واثنتي عشرة سنة .

٦٨١/١

وذكر بعضهم أن رجلاً من بني إسرائيل ؛ يقال له سمي كان نبياً ، وأنه بُعث إلى بشتاسب فصار إليه إلى بلخ ، ودخل مدينتها ، فاجتمع هو وزرادشت صاحب المجوس ، وجاماسب العالم بن فخذ^(٢) ، وكان سمي يتكلم بالعبرانية ويعرف زرادشت ذلك بتلقين ، ويكتب بالفارسية ما يقول سمي بالعبرانية ، ويدخل جاماسب معهما في ذلك ، وبهذا السبب سمي جاماسب العالم .

وزعم بعض العجم أن جاماسب هو ابن فخذ بن هو بن حكاو بن نذكاو بن فرس بن رج بن خوراسرو بن منوشهر الملك ، وأن زرادشت بن يوسيسف^(٣) ابن فردواسف بن اربحد بن منجدسف^(٤) بن جخشنش بن فيافيل بن الحدي ابن هردان بن سفمان بن ويدس بن أدرا بن رج بن خوراسرو بن منوشهر . وقيل إن بشتاسب وأباه لهراسب كانا على دين الصابئين ، حتى أتاه سمي

٦٨٢/١

(١) كذا في س ، وفي ت : « وحسكتك » .

(٢) كذا في ح . (٣) كذا في ت . (٤) كذا في ت .

وزرادشت بما أتياه به ، وأتياه بذلك لثلاثين سنة مضت من ملكه .

وقال هذا القائل : كان ملك بشتاسب مائة وخمسين سنة ، فكان ممن رتب
بشتاسب من النفرالسبعة المراتب الشريفة ، وساهم عظماء بهكا بهند^(١) ومسكنه
دهستان^(٢) من أرض جرجان ، وقارن الفلهوى ومسكنه ماهناوند^(٣) ، وسورين
الفلهوى ومسكنه سجستان ، وإسفنديار الفلهوى ومسكنه الرى .

* * *

وقال آخرون : كان ملك بشتاسب مائة وعشرين سنة .

(١) كذا فى ت ، وفى ط من غير نقط .

(٢) دهستان ، بكسر أوله وثانيه ؛ ذكرها ياقوت ، وقال : « إنها بلد مشهور فى طرف
مازندان ، قرب خوارزم وجرجان » .

(٣) قال ياقوت : « الماء بالهاء خالصة : قصبة البلد ؛ ومنه قيل : ماء البصرة وماء الكوفة
وماء فارس ؛ ويقال لهاوند وهمدان وم : ماء البصرة » . وانظر نهاوند فى معجم البلدان - ماء البصرة .

ذكر الخبر عن ملوك اليمن

في أيام قابوس وبعده إلى عهد بهمن بن إسفنديار

قال أبو جعفر : قد مضى ذكرنا الخبر عن زعم أن قابوس كان في عهد سليمان بن داود عليهما السلام ، ومضى ذكرنا من كان في عهد سليمان من ملوك اليمن والخبر عن بلقيس بنت إيليشح .

فحدثت عن هشام بن محمد الكلبي أن الملك باليمن صار بعد بلقيس إلى ياسر بن عمرو بن يعفر الذي كان يقال له ياسر أنعم . قال : وإنما سمّوه (١) ياسر أنعم لإنعامه عليهم بما (٢) قوّى من ملكهم ، وجمّع من أمرهم .

٦٨٤/١

قال : فزعم أهل اليمن أنه سار غازياً نحو المغرب حتى بلغ وادياً يقال له وادي الرمل ، ولم يبلغه أحد قبله ، فلما انتهى إليه لم يجد وراءه مجازاً لكثرة الرمل ، فبينما هو مقيم عليه إذ انكشف الرمل ، فأمر رجلاً من أهل بيته— يقال له عمرو— أن يعبر هو وأصحابه ؛ فعبروا فلم يرجعوا . فلما رأى ذلك أمر بصنم نحاس فصنع ، ثم نصب على صخرة على شفير الوادي ، وكتب في صدره بالمسند : « هذا الصنم لياسر أنعم الحميري ، وليس وراءه مذهب ، فلا يتكلمن ذلك أحد فيعطب » .

قال : ثم ملك من بعده تبع ، وهو تبيان أسعد ، وهو أبو كرب بن ملكي كرب تبع بن زيد بن عمرو بن تبع ؛ وهو ذو الأذعار بن أبرهة تبع ذي المنار ابن الرائش بن قيس بن صيفي بن سبأ . قال : وكان يقال له الرائد .

قال : فكان تبع هذا في أيام بشتاسب وأردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وأنه شخص متوجهاً من اليمن في الطريق الذي سلكه الرائش ، حتى خرج على جبلي طيب ، ثم سار يريد الأنبار ، فلما انتهى إلى الحيرة — وذلك ليلا تحير ، فأقام مكانه وسمّى ذلك الموضع الحيرة ، ثم سار وخلف به قوماً من الأزدي ولم يجدام وعاملة وقضاة ، فبنوا وأقاموا به ، ثم انتقل إليهم بعد

٦٨٥/١

(١) ح : « سمى » .

(٢) ت ، ن : « لما » .

ذلك ناس من طيِّءٍ و كلب و السِّكُون و بِلْسَحَارْث بن كعب و إِيَاد . ثمَّ توجَّهَ إلى الأَنْبَارِ ثمَّ إلى الموصِل ، ثمَّ إلى أَدْرَبِيْجَان ، فلقِيَ التُّرْكَ بها فهزَمَهُمْ ، فقتل المقاتلة ، و سبى الذريَّة ، ثمَّ انكفأ راجعاً إلى اليمن . فأقام بها دهرًا ، و هابته الملوك و عظمتها و أهدت إليه . فقدِم عليه رسول ملك الهند بالهدايا و التحف ، من الحرير و المسك و العود و سائر طُرْفِ بلاد الهند ، فرأى ما لم يَرَمْثله ، فقال : ويحك ! أكلَّ ما أرى في بلادكم ! فقال : أبيت اللعن ! أقلَّ ما ترى في بلادنا ، و أكثره في بلاد الصين ، و وصف له بلاد الصين و سعته و خصبها و كثرة طُرْفِها ، فألى بيمين لِيغزُوتها . فسار بحميرٍ مساحِلًا^(١) ، حتى أتى الركاكث و أصحاب القلائس السود ، و وجَّه رجلا من أصحابه ، يقال له ثابت نحو الصين ؛ في جمع عظيم فأصيب ، فسار تَبَّعَ حتى دخل الصين ، فقتل مقاتلها ، و اكتسح ما و جد فيها . قال : و يزعمون أن مسيره كان إليها و مقامه بها^(٢) و رجعت منها في سبع سنين ، و أنه خلَّف بالتَّبَّتِ^(٣) اثني عشر ألف فارس من حمير ، فهم أهلُ التَّبَّتِ ، وهم اليوم يزعمون أنهم عرب ، و خلقهم و ألوانهم خلق العرب و ألوانها .

٦٨٦/١

حدثني عبد الله بن أحمد المروزي ، قال : حدثني أبي ، قال : حدثني

سليمان ، قال : قرأت على عبد الله ، عن إسحاق بن يحيى ، عن موسى بن طلحة : أن تَبَّعًا خرج في العرب يسير ، حتى تحيَّروا بظاهر الكوفة ، و كان منزلا من منازلهم ، فبقيَ فيها من ضعفة الناس ، فسميت الحيرة لتحيرهم ، و خرج تَبَّعٌ سائرًا ، فرجع إليهم و قد بنوا و أقاموا ، و أقبل تَبَّعٌ إلى اليمن و أقاموا هم ، ففهمهم من قبائل العرب كلَّتها من بني لِحِيَّان ، و هذيل و تميم ، و جعْفَى و طيِّء ، و كلب .

(١) مساحلا ، أى سائرًا تجاه الساحل . وفي الأصول : « مساحلا » .

(٢) ن : « فيها » .

(٣) التبت ، بالضم : قال ياقوت : « بلد بأرض الترك في الإقليم الرابع المتاخم لبلاد الهند » .

ذكر خبر أردشير بهمن وابنته خماني

ثم ملك بعد بشتاسب ابن ابنة أردشير بهمن ؛ فذكر أنه قال يوم ملك وعقد التاج على رأسه : نحن محافظون على الوفاء ، ودائون رعيّتنا بالخير ؛ فكان يدعى أردشير الطويل الباع ؛ وإنما لقب بذلك—فيما قيل—لتناوله كل ما مدّ إليه يده من الممالك التي حوله ، حتى ملك الأقاليم كلها . وقيل إنه ابنتي بالسواد مدينة ، وسماها آباد أردشير هي القرية المعروفة بهميننا من الزاب الأعلى ، وابنتي بكوردجلة مدينة وسماها بهمن أردشير^(١) ، وهي الأبلّة ، وسار إلى سجستان طالباً بثأر أبيه ، فقتل رستم وأباه دستان وأخاه إزواره^(٢) وابنه فرمرز^(٣) ، واجتبي الناس لأرزاق الجند ونفقات المهربذة وبيوت النيران وغير ذلك أموالاً عظيمة ؛ وهو أبو دارا الأكبر ، وأبو ساسان أبي ملوك الفرس الآخر أردشير بن بابك وولده ، وأمّ دارا خماني بنت بهمن .

٦٨٧/١

فحدثت عن هشام بن محمد قال : ملك بعد بشتاسب أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ؛ وكان—فيما ذكروا—متواضعاً مرضياً فيهم ، وكانت كتبه تخرج من أردشير : « عبد الله وخادم الله ، السائس^(٤) لأمركم » . قال : ويقال إنه غزا الروميّة الداخلة في ألف ألف مقاتل .

وقال غير هشام : هلك بهمن ودارا في بطن أمّه ، فلتكوا خماني شكراً لأبيها بهمن ، ولم تزل ملوك الأرض تحمل إلى بهمن الإتاوة والصلح ، وكان من أعظم ملوك الفرس — فيما قالوا — شائناً ، وأفضلهم تدبيراً ، وله كتب ورسائل تفوق كتب أردشير وعهده ، وكانت أم بهمن أستوريا^(٥) ، وهي

٦٨٨/١

(١) ذكرها ياقوت ؛ وقال : « كورة واسعة بين واسط والبصرة » ، ونقل عن الأصهباني : « بهمنشير » تعريب « بهمن أردشير » . وكانت مدينة مبنية على عبر دجلة العوراء في شرقها تجاه الأبلّة .

(٢) ح : « إروان » . (٣) ت : « فرمرد » ، ح : « قرمداد » ، س : « قرمزد » .

(٤) ح : « والسائس » . (٥) س : « أستوريا » .

أستار بنت يائير^(١) بن شمعي بن قيس بن ميسا^(٢) بن طالوت الملك بن قيس ابن أبل بن صارور^(٣) بن بحرث بن أفيح بن إيشى بن بنيامين بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . وكانت أمّ ولده راحب بنت فتحس من ولد رُحْبُعُم بن سليمان بن داود عليه السلام . وكان بهمن ملكاً أخاها زربابل بن شلتايل^(٤) على بنى إسرائيل، وصير له رياسة الجالوت، وردّه إلى الشام بمسألة راحب أخته إياه ذلك، فتوفى بهمن يوم توفى وله من الولد : ابنه دارا الأكبر وساسان ، وبناته : خماني التي ملكت بعده، وفرنك^(٥) وبهمن دخت^(٦)، وتفسير « بهمن » بالعربية « الحسن النية »، وكان ملكه مائة واثنى عشرة سنة .

فأما ابن الكلبي هشام فإنه قال : كان ملكه ثمانين سنة .

* * *

ثم ملكت خماني بنت بهمن ، وكانوا ملكوها حباً لأبيها بهمن ، وشكراً لإحسانه ولكمال عقلها وبهاؤها وفرسيتها ونجدتها— فيما ذكره بعض أهل الأخبار— فكانت تلقب بشهرزاد^(٧) . وقال بعضهم : إنما ملكت خماني بعد أبيها بهمن أنها حين حملت منه دارا الأكبر سأله أن يعقد التاج له في بطنها ويؤثره بالملك ، ففعل ذلك بهمن بدارا ، وعقد عليه التاج حَمَلًا في بطنها ، وساسان ابن بهمن في ذلك الوقت رجل يتصنع للملك لا يشك فيه . فلما رأى ساسان ما فعل أبوه من ذلك لحق بإصطخر ، فترهد وخرج من الحلية الأولى وتعبّد فلحق برعوس الجبال يتعبّد فيها، واتخذ غنّسيمة، فكان يتولّى ماشيته بنفسه ، واستشنت^(٨) العامّة ذلك من فعله ، وفطعت به ، وقالوا : صار ساسان راعياً ، فكان ذلك سبب نسبة الناس إياه إلى الرعى ، وأم ساسان ابنة شالتيال ابن يوحنا بن أوشيا بن أمون بن منشى بن حازقيا بن أحاذ بن يوثام بن عوزيا ابن يورام بن يوشافط بن أبيا بن رُحْبُعُم بن سليمان بن داود .

وقيل : إن بهمن هلك وابنه دارا في بطن خماني ، وأنها ولدته بعد أشهر من

(١) ح ، ت : « ياس » . (٢) كذا في ت . (٣) ت ، س : « صاروده » .

(٤) ت : « سلبايل » . (٥) كذا في س ، وفي ت : « قريك » .

(٦) ح : « بهمن رحمت » ، س : « بهمن زحمت » .

(٧) س : « شهرزاد » . (٨) ح : « استصبت » .

ملكها وأنفت من إظهار ذلك، فجعلته في تابوت، وصيرت معه جوهراً نفيساً، وأجرته في نهر الكرّ من إصطخر. وقال بعضهم: بل نهر بلخ، وإن التابوت صار إلى رجل طحّان من أهل إصطخر، كان له ولد صغير فهلك، فلما وجده الرجل أتى به امرأته، فسرت به بحمالة ونفاسة ما وجد معه، فحضنوه، ثم أظهر أمره حين شبّ، وأقرت خماني بإساءتها إليه وتعريضها إياه للتلف؛ فلما تكامل امتحن فوجد على غاية ما يكون عليه أبناء الملوك، فحوّلت التاج عن رأسها إليه، وتقلد أمر المملكة، وتقلت^(١) خماني وصارت إلى فارس^(٢) وبنّت مدينة إصطخر، وأغزت الروم جيشاً بعد جيش، وكانت قد أوتيت ظفراً، فقمعت الأعداء، وشغلتهن عن تطرف شيء من بلادها، ونال رعيتهن في ملكها رفاة وخفضاً. وكانت خماني حين أغزت أرض الروم سبى لها منها بشر كثير، وحملوا إلى بلادها، فأمرت من فيهم من بنات الروم، فبنوا لها في كل موضع من حيز مدينة إصطخر بنياناً على بناء الروم منيفاً معجباً، أحد ذلك البنيان في مدينة إصطخر، والثاني على المدرجة التي تسلك فيها إلى دار الجرد، على فرسخ من هذه المدينة، والثالث على أربعة فراسخ منها في المدرجة التي تسلك فيها إلى خراسان. وإنما أجهدت نفسها في طلب مرضاة الله عز وجل؛ فأوتيت الظفر والنصر، وخففت عن رعيتهن في الحراج. وكان ملكها ثلاثين سنة.

* * *

ثم نرجع الآن إلى :

(١) ح : « وانتقلت » .

(٢) ت ، س : « أرض فارس » .

ذكر خبر بني إسرائيل

ومقابلة تاريخ مدة أيامهم إلى حين تصرفها بتاريخ
مدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس

قد ذكرنا فيما مضى قبلُ سبب انصراف من انصرف إلى بيت المقدس من سبايا بني إسرائيل الذين كان بختنصر سباهم وحملهم معه إلى أرض بابل ، وأن ذلك كان في أيام كيرش بن أخشويرش وملّكه ببابل من قبيل بهمن بن إسفنديار في حياته وأربع سنين بعد وفاته في ملك ابنته خماني ، وأن خماني عاشت بعد^(١) هلاك كيرش بن أخشويرش ستاً وعشرين سنة في ملكها ، تمام ثلاثين سنة . وكانت مدة خراب بيت المقدس من لدن خربه بختنصر إلى أن عمّر - فيما ذكره أهل الكتب القديمة والعلماء بالإخبار - سبعين سنة ، كل ذلك في أيام بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب بن لهراسب بعضه ، وبعضه في أيام خماني ، على ما قد بين في هذا الكتاب .

وقد زعم بعضهم أن كيرش هو بشتاسب ، وأنكر ذلك من قبله بعضهم ، وقال : كى أرش إنما هو عمّ لجد بشتاسب ، وقال : هو كى إرش أخو كيقاوس ابن كيبييه بن كيقباذ الأكبر ، وبشتاسب الملك هو ابن كيلهراسب بن كيوجي ابن كيمنوش بن كيقاوس بن كيبييه بن كيقباذ الأكبر . قال : ولم يملك كى أرش قط ، وإنما كان مملّكاً على خوزستان وما يتصل بها من أرض بابل من قبيل كيقاوس ، ومن قبيل كيخسرو بن سیاوخش بن كيقاوس ، ومن قبيل لهراسب من بعده . وكان طويل العمر ، عظيم الشأن ، ولما عمّر بيت المقدس ورجع إليه أهله من بني إسرائيل كان فيهم عزير - وقد وصفت ما كان من أمره وأمر بني إسرائيل - وكان الملك عليهم بعد ذلك من قبل الفرس ؛ إمّا رجل منهم وإمّا رجل من بني إسرائيل ، إلى أن صار الملك بناحيتهم لليونانية والروم بسبب غلبة الإسكندر على تلك الناحية حين قتل دارا بن دارا . وكانت جملة مدة ذلك - فيما قيل - ثمانياً وثمانين سنة .

* * *

ونذكر الآن :

(١) ح : « ثم إن خماني ملكت » .

خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر

ابن دارا الأكبر وكيف كان هلاكه مع خبر ذى القرنين

وملك دارا بن بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، وكان يَنْبَه بجهر ازاد — يعنى به كريم الطبع — فذكروا أنه نزل بابل ، وكان ضابطاً لمملكه ، قاهراً لمن حوله من الملوك ، يؤدُّون إليه الخراج ، وأنه ابنتى بفارس مدينة سماها دارا بيجرد ، وحذَف^(١) دوابَّ البُرْد ورتبها ، وكان معجباً بابنه دارا ، وأنه من حبه إياه سمَّاه باسم نفسه ، وصيَّر له الملك من بعده ، وأنه كان له وزير يسمى رستين^(٢) محموداً فى عقله ، وأنه شَجَرَ بينه وبين غلام تربى مع دارا الأصغر ، يقال له برى^(٣) شرٌّ وعداوة ، فسعى رستين عليه عند الملك ، فقيل : إن الملك سقى برى شربة مات منها ، واضطغن دارا على رستين الوزير وجماعة من القواد ، كانوا عاونوه على برى ما كان منهم ، وكان مملك دارا اثنتى عشرة سنة .

٦٩٣/١

ثم ملك من بعده ابنه دارا بن دارا بن بهمن ؛ وكانت أمه ماهيا هند بنت هزار مرد بن بهرادمه ، فلما عقد التاج على رأسه قال : لن ندفع أحداً فى مَهْوى الهلكة ، ومن تَرَدَّدى فيها لم نكففه عنها . وقيل إنه بنى بأرض الجزيرة مدينة دارا ، واستكتب أخوا برى واستوزره لأنسه^(٤) كان به وبأخيه ، فأفسد قلبه على أصحابه ، وحمله على قَتْل بعضهم ، فاستوحشت لذلك منه الخاصة والغامة ، ونفروا عنه ، وكان شاباً غراً حميماً حقوداً جباراً .

وحُدِّثت عن هشام بن محمد قال : ملك من بعد دارا بن أردشير دارا ابن دارا أربع عشرة سنة ، فأساء السيرة فى رعيته ، وقتل رؤساءهم ، وغزاه الإسكندر على تَنْفِة^(٥) ذلك ، وقد مله أهل مملكته وشموه ، وأحبوا الراحة منه ، فلحق كثير من وجوههم وأعلامهم بالإسكندر ، فأطلعوه على عورة دارا ، وقووه عليه ،

٦٩٤/١

(١) الخلف هنا : قطع ذنب الدابة . (٢) كذا فى ن .

(٣) كذا فى ن (٤) ح ، ن : « لأنسة كانت به » .

(٥) على تَنْفِة ذلك ، أى على حين ذلك .

فالتقيا ببلاد الجزيرة ، فاقتلتا سنة . ثم إن رجالا من أصحاب دارا وثبوا به فقتلوه ، وتقرّبوا برأسه إلى الإسكندر ، فأمرَ بقتلهم ، وقال : هذا جزء من اجترأ على ملكي . وتزوج ابنته روشنك بنت دارا، وغزا الهند ومشارك الأرض ، ثم انصرف وهو يريد الإسكندرية ، فهلك بناحية السّواد ، فحمل إلى الإسكندرية في تابوت من ذهب ، وكان ملكه أربع عشرة سنة ، واجتمع ملك الروم ، وكان قبل الإسكندر متفرقا ، وتفرّق ملك فارس وكان قبل الإسكندر مجتمعاً .

قال : وذكر غير هشام أنّ دارا بن دارا لما ملك أمر فبنيت له بأرض الجزيرة مدينة واسعة وسماها دارنوا ، وهي التي تسمى اليوم دارا ، وأنه عمرها وشحنها من كل ما يحتاج إليه فيها ، وأن فيلوس أبا الإسكندر اليوناني من أهل بلدة من بلاد اليونانيين تدعى مقدونية ، كان ملكاً عليها وعلى بلاد أخرى احتازها إليها ، كان صالح دارا على خراج يحمله إليه في كل سنة ، وأن فيلوس هلك ، فملك بعده ابنه الإسكندر ، فلم يحمل إلى دارا ما كان يحمله إليه أبوه من الخراج ، فأسخط ذلك عليه دارا، وكتب إليه يؤنبه بسوء^(١) صنيعه في تركه حمل ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج^(٢) وغيره، وأنه إنما دعاه إلى حبس ٦٩٥/١ ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا والجهل ، وبعث إليه بصولجان وكرة وقفيز من سسم ، وأعلمه فيما كتب إليه أنه صبي ، وأنه إنما ينبغي^(٣) له أن يلعب بالصولجان والكرة اللذين بعث بهما إليه ، ولا يتقلد الملك ، ولا يتلبس به ، وأنه إن لم يقتصر على ما أمره به من ذلك ، وتعاطى الملك واستعصى عليه ، بعث إليه من يأتيه به في وثاق ، وأن عدّة جنوده كعدة حبّ السسم الذي بعث به إليه .

فكتب إليه الإسكندر في جواب كتابه ذلك ، أن قد فهم^(٤) ما كتب ، وأن قد نظر إلى ما ذكر في كتابه إليه من إرساله الصولجان والكرة ، وتيمّن به لإلقاء

(١) ن ، س : « لسوء » .

(٢) ح : « وأن دارا كتب إليه يخوفه ويتوعده ويعرفه في جملة ما كتب إليه أنه إنما دعاه

إلى تأخير ما كان أبوه يحمل إليه من الخراج الصبا . . . »

(٣) س : « وينبغي له أن . . . » . (٤) س : « فهمت ما كتبت » .

الملقى الكرة إلى الصولجان ، واحترازه^(١) إياها ؛ وشبهه الأرض بالكرة ، وأنه محتاز مُلْكَ دارا إلى ملكه ، وبلادَه إلى حيزه من الأرض ، وأنّ نظره إلى السمسم الذى بعث به إليه كنظره إلى الصولجان والكرة لدَسَمِه وبعده من المرارة والحرافة . وبعث إلى دارا مع كتابه بِصُرَّةٍ من خردل ، وأعلمه فى ذلك الجواب أنّ ما بعث به إليه قليل ؛ غير أنّ ذلك مثل الذى بعث به فى الحرافة والمرارة والقوة ، وأن جنوده فى كل^(٢) ما وصف به منه .

٦٩٦/١

فلما وصل إلى دارا جواب كتاب الإسكندر ، جمع إليه جنده ، وتأهب لمحاربة الإسكندر ، وتأهب الإسكندر وسار نحو بلاد دارا .

وبلغ ذلك دارا ، فزحف إليه فالتقى الفئتان ، واقتتلا أشدّ القتال ، وصارت الدبّرة^(٣) على جند دارا ، فلما رأى ذلك رجلان من حرس دارا ، يقال لهما كانا من أهل هَمَدان ، طعنا دارا من خلفه فأردياه من مركبه ، وأرادا بطعنهما إياه الحظوة عند الإسكندر ، والوسيلة إليه ، ونادى الإسكندر أن يؤسّر دارا أسراً ولا يقتل ، فأخبر بشأن دارا ، فسار الإسكندر حتى وقف عنده ، فرآه يوجد بنفسه ، فنزل الإسكندر عن دابّته حتى جلس عند رأسه ، وأخبره أنه لم يهَمّ قطُّ بقتله ، وأن الذى أصابه لم يكن عن رأيه ، وقال له : سلّنى ما بدا لك فأسعفك فيه ، فقال له دارا : لى إليك حاجتان : إحداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتّكا بى - وسماهما وبلادهما - والأخرى أن تزوّج ابنتى روشنك . فأجابته إلى الحاجتين ، وأمر بصلب الرجلين اللذين انتهكا من دارا ما انتهكا ، وتزوّج روشنك وتوسّط بلاد دارا ، وكان ملكه له .

* * *

وزعم بعض أهل العلم بأخبار الأولين أنّ الإسكندر هذا الذى حارب دارا الأصغر ؛ هو أخو دارا الأصغر الذى حاربه ، وأن أباه دارا الأكبر كان تزوّج أمّ الإسكندر ، وأنها ابنة ملك الروم^(٤) واسمها هلاى^(٥) ، وأنها حمّلت

٦٩٧/١

(١) ط : « واجتراره » وما أثبتته من ن ، وابن الأثير . (٢) ن : « فيما » .

(٣) الدبّرة : الهزيمة .

(٤) ت ، ح ، « الزنج » .

(٥) ح : « هلايا » .

إلى زوجها دارا الأكبر، فلما وَجَدَ نِتْن رِيحَهَا وَعَرَفَهَا وَسَهَكَهَا^(١)، أمر أن يَحْتَالَ لذلك منها ، فاجتمع رأى أهل المعرفة في مداواتها على شجرة يقال لها بالفارسية « سندر »، فطبخت لها فغسلت بها وبمائها ، فأذهب ذلك كثيراً من ذلك النتن ، ولم يذهب كله ، وانتهت نفسه عنها لبقية ما بها ، وعافها وردّها إلى أهلها ، وقد علقته منه فولدت غلاماً في أهلها ، فسمّته باسمها واسم الشجرة التي غُسلت بها ، حتى أذهبت عنها ننتها : « هلاى سندروس » ، فهذا أصل الإسكندروس .

* * *

قال : وهلك دارا الأكبر ، وصار الملك إلى ابنه دارا الأصغر ، وكانت ملوك الروم تؤدّي الحراج إلى دارا الأكبر في كل سنة ، فهلك أبو هلاى ملك الروم جدّ الإسكندر لأمه ، فلما صار الملك لابن ابنته بعث دارا الأصغر إليه للعادة : إنك أبطأت علينا بالحراج الذى كنت تؤدّيه ويؤدّيه من كان قبلك ، فابعث إلينا بخراج بلادك وإلا نابذناك المحاربة . فرجع إليه جوابه : أنى قد ذبحت الدجاجة ، وأكلت لحمها ، ولم يبق لها بقية ، وقد بقيت الأطراف ، فإن أحببت وادعناك ، وإن أحببت ناجزناك . فعند ذلك نافر دارا وناجزه القتال ، وجعل الإسكندر لحاجي دارا حكمها على الفتك به ، فاحتكما شيئاً ، ولم يشترطاً أنفسهما ، فلما التقوا للحرب ، طعن حاجبا دارا دارا في الوقعة ، فلحقه الإسكندر صريعاً ، فنزل إليه وهو بأخبر رَمَق ، ففسح التراب عن وجهه ووضع رأسه في حجّره ، ثم قال له : إنما قتلتك حاجباك ، ولقد كنت أرغب بك يا شريف الأشراف وحرّ^(٢) الأحرار وملك الملوك ؛ عن هذا المصرع ؛ فأوصيني بما أحببت . فأوصاه دارا أن يتزوج ابنته روشك ، ويتخذها لنفسه ويستبقى أحرار فارس ، ولا يولّى عليهم غيرهم . فقبل وصيته وعمل بأمره ، وجاء اللذان قتلا دارا إلى الإسكندر فدفع إليهما حكمهما ، ووفى لهما ثم قال لهما : قد وقيت لكما كما اشتراطنا ولم تكونا اشتراطنا أنفسكما ، فأنا قاتلكما ، فإنه ليس ينبغى لقتلة الملوك أن يُستبقوا إلا بدمّة لا تخفر . فقتلتهما .

(١) السهك : رائحة العرق .

(٢) ح : « يا حر » .

وذكر بعضهم أن ملك الروم في أيام دارا الأكبر كان يؤدّي إلى دارا الإتاوة فهلك، وملك الروم الإسكندر، وكان رجلاً ذا حزم وقوة ومكر؛ فيقال إنه غزا بعض ملوك المغرب فظفر به، وأنس لذلك من نفسه القوة^(١) فنشز على دارا الأصغر، وامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله من الخراج، فحمي دارا لذلك، وكتب إليه كتباً عنيفة^(٢)، ففسد ما بينهما وسار كل واحد منهما إلى صاحبه وقد احتشدا والتقيا في الحد. واختلفت بينهما الكتب والرسائل، ووجيل الإسكندر من محاربة دارا؛ ودعاه إلى المودعة، فاستشار دارا أصحابه في أمره، فزيّنوا له الحرب لفساد قلوبهم عليه. وقد اختلفوا في الحد وموضع التقائهما؛ فذكر بعضهم أن التقاءهما كان بناحية خراسان مما يلي الخزر، فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى خلص إليهما السلاح، وكان تحت الإسكندر يومئذ فرس له عجيب يقال له بوكفراسب^(٣)، ويقال إن رجلاً من أهل فارس حمل ذلك اليوم حتى تخرق الصفوف، وضرب الإسكندر ضربة بالسيف خيف عليه منها، وإنه تعجب من فعله وقال: هذا من فرسان فارس الذين كانت توصف شدتهم، وتحركت على دارا ضغائن أصحابه، وكان في حرسه رجلان من أهل همدان، فراسلا الإسكندر والتمسا الحيلة لدارا حتى طعناه، فكانت منيته من طعنهما^(٤) إياه، ثم هربا.

فقيل إنه لما وقعت الصيحة، وانتهى الخبر إلى الإسكندر ركب في أصحابه، فلما انتهى إلى دارا وجدته يجود بنفسه، فكلمه ووضع رأسه في حجره، وبكى عليه، وقال له: أتيت من مأمناك، وغد ربك ثقاتك، وصرت بين أعدائك وحيداً، فسلني حوائجك فإني على المحافظة على القرابة بيننا - يعني القرابة بين سلم وهيرج ابني أفريزون - فيما زعم هذا القائل - وأظهر الجزع لما أصابه، وحمد ربه حين لم يبتله بأمره، فسأله دارا أن يتزوج ابنته روشناك، ويرعى لها حقها، ويعظم قدرها، وأن يطلب بثأره، فأجابته الإسكندر إلى ذلك.

(١) ح : « بالقوة » .

(٢) س : « أبو كفراس » .

(٣) ح : « طعنتهما » .

(٤) ح : « كتابا عنيفا » .

ثم أتاه الرجلان اللذان وثبا على دارا يطلبان الجزاء، فأمر بضرب رقابهما وصلبهما ،
 وأن ينادى عليهما : هذا جزاءُ من اجترأ على ملكه، وغشَّ أهل بلده .
 ويقال : إن الإسكندر حمل كتباً وعلومًا كانت لأهل فارس من علوم
 ونجوم وحِكْمَة ، بعد أن نقل ذلك إلى السريانية ثم إلى الرومية .

وزعم بعضهم أن دارا قُتِل وله من الولد الذكور : أشك بن دارا وبنودارا^(١)
 وأردشير . وله من البنات روشنك ، وكان مُلك دارا أربع عشرة سنة .
 وذكر بعضهم أن الإتاوة التي كان أبو الإسكندر يؤدِّيها إلى ملوك الفرس
 كانت بيضاً من ذهب ؛ فلما ملك الإسكندر بعث إليه دارا يطلب ذلك
 الخراج ، فبعث إليه : إنني قد ذبحت تلك الدجاجة التي كانت تبيض ذلك
 البيض ، وأكلت لحمها فأذن بالحرب . ثم ملك الإسكندر بعد دارا بن دارا .
 وقد ذكرت قول من يقول : هو أخو دارا بن دارا من أبيه دارا الأكبر .

* * *

وأما الروم وكثير من أهل الأنساب فإنهم يقولون : هو الإسكندر بن
 فيلقوس ، وبعضهم يقول : هو ابن بيلبوس بن مطريوس ، ويقال : ابن مصرم
 ابن هرمس بن هردس بن ميظون^(٢) بن رومي بن ليطي^(٢) بن يوان بن يافت بن
 ثوبة بن سرحون بن رومية بن زلف^(٣) بن توفيل^(٣) بن رومي^(٣) بن الأصفر بن اليغز
 ابن العيص بن إسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام . فجمع بعد مهلك
 دارا مُلك دارا إلى ملكه ، فلك العراق والروم والشام ومصر ، وعرض جندَه
 بعد هلاك دارا فوجدهم - فيما قيل - ألف ألف وأربعمائة رجل ؛ منهم من جنده
 ثمانمائة ألف ، ومن جند دارا ستمائة ألف .

وذكر أنه قال يوم جلس على سريره : قد أدالنا الله من دارا ، ورزقنا
 خلاف ما كان يتوعدنا به ، وأنه هدم ما كان في بلاد الفرس من المدن والحصون
 وبيوت النيران ، وقتل الهرا بذة ، وأحرق كتبهم ودواوين دارا ، واستعمل
 على مملكة دارا رجلاً من أصحابه ، وسار قُدماً إلى أرض الهند ، فقتل ملكها
 وفتح مدينتها ، ثم سار منها إلى الصين ، فصنع بها كصنيعه بأرض الهند ، ودانت

(١) كذا في ج .

(٢) كذا في ت وابن الأثير : ١ : ١٦٠ . (٣) كذا في ابن الأثير .

له عامة الأرضين ، وملك التبت والصين ، ودخل الظلمات مما يلي القطب الشمالي والشمس جنوبية في أربعمئة رجل يطلب عين الخلد ، فسار فيها ثمانية عشر يوماً ، ثم خرج ورجع إلى العراق ، وملك ملوك الطوائف ، ومات في طريقه بشهر زور .

وكان عمره ستاً وثلاثين سنة في قول بعضهم ، وحمل إلى أمه بالإسكندرية .

وأما الفرس فلإنما تزعم أن مُلك الإسكندر كان أربع عشرة سنة ، والنصاري تزعم أن ذلك كان ثلاث عشرة سنة وأشهرأ ، ويزعمون أن قتل دارا كان في أول السنة الثالثة من ملكه .

٧٠٢/١

وقيل إنه أمر ببناء مدن فبنيت اثنتا عشرة مدينة ، وسماها كلها إسكندرية ، منها مدينة بأصبهان يقال جى ، بنيت على مثال الحية ، وثلاث مدائن بخراسان ، منهن مدينة هراة ومدينة مرو ومدينة سمرقند ، وبأرض بابل مدينة اروشك بنت دارا ، وبأرض اليونانية في بلاد هيلاقوس مدينة للفرس ، ومدناً أخر غيرها .

ولما مات الإسكندر عرض الملك من بعده على ابنة الإسكندروس ، فأبى واختار النسك والعبادة ، فلدت اليونانية عليهم - فيما قيل - بطليموس بن لوغوس ، وكان ملكه ثمانياً وثلاثين سنة ، فكانت المملكة أيام اليونانية بعد الإسكندر وحياة الإسكندر إلى أن تحوّل الملك إلى الروم المصاص لليونانية ، ولبنى إسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك إلى أن خربت بلادهم الفرس والروم ، وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكرياء عليه السلام .

ثم كان الملك ببلاد الشام ومصر ونواحي المغرب بعد بطليموس بن لوغوس لبطليموس ديناوس (١) أربعين سنة .

٧٠٣/١

ثم من بعده لبطليموس أورغاطس أربعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطليموس فيلاطر إحدى وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطليموس أفيانس اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطليموس أورغاطس تسعاً وعشرين سنة .

ثم من بعده لبطليموس ساطر (٢) سبع عشرة سنة .

(١) كذا في ح ، وفي ت : « ميانوس » . (٢) ت « بباطر » .

ثم من بعده لبطلميوس الأحسندر^(١) إحدى عشرة سنة .
 ثم من بعده لبطلميوس الذي اختفى عن ملكه ثمانى سنين .
 ثم من بعده لبطلميوس دونسيوس ست عشرة سنة .
 ثم من بعده لبطلميوس قالوبطرى^(٢) سبع عشرة سنة .
 فكل هؤلاء كانوا يونانيين ؛ فكل ملك منهم بعد الإسكندر كان يدعى
 بطلميوس ، كما كانت ملوك الفرس يدعون أكاسرة ، وهم الذين يقال لهم
 المفقانيون^(٣) .

ثم ملك الشام بعد قالوبطرى - فيما ذكر الروم - المصاص ، فكان أول من
 ملك منهم جايوس يوليوس خمس سنين

ثم ملك الشام بعده أغوستوس ستاً وخمسين سنة . فلما مضى من ملكه
 اثنتان وأربعون سنة ولد عيسى بن مريم عليه السلام ، وبين مولده وقيام
 الإسكندر ثلثمائة سنة وثلاث سنين .

(١) ح : « الأحسندر » ، س : « الأحشدر » ، ابن الأثير : « الأحشدر » .

(٢) ابن الأثير : « كيلوبطره » .

(٣) كذا في ت ، س ، وفي ن : « القفانيون » .

ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف

ونرجع الآن إلى ذكر خبر الفرس بعد مهلك الإسكندر لسياق التاريخ على ملكهم .

فاختلف أهل العلم بأخبار الماضين في الملك الذي كان بسواد العراق بعد الإسكندر ، وفي عدد ملوك الطوائف الذين كانوا ملوكاً إقليم بابل بعده إلى أن قام بالملك أردشير بابكان .

فأما هشام بن محمد فإنه قال - فيما حدثت عنه : ملك بعد الإسكندر يلاقس^(١) سلقيس ، ثم أنطيوخس . قال : وهو الذي بنى مدينة أنطاكية . قال : وكان في أيدي هؤلاء الملوك سواد الكوفة ، قال : وكانوا يتطرقون الجبال وناحية الأهواز وفارس ؛ حتى خرج رجل يقال له أشك ، وهو ابن دارا الأكبر ، وكان مولده ومنشؤه بالرّي ، فجمع جمعاً كثيراً وسار يريد أنطيوخس ، فزحف إليه أنطيوخس ، فالتقى ببلاد الموصل فقتل أنطيوخس ، وغلب أشك على السواد ، فصار في يده من الموصل إلى الرّي وأصبهان ، وعظمه سائر ملوك الطوائف لنسبه ، وشرّفه فيهم ما كان من فعله ، وعرفوا له فضله ، وبدعوا به في كتبهم ، وكتب إليهم فبدأ بنفسه ، وسمّوه ملكا ، وأهدوا إليه من غير أن يعزل أحداً منهم أو يستعمله .

٧٠٥/١

ثم ملك بعده جوذر بن أشكان . قال : وهو الذي غزا بني إسرائيل المرّة الثانية ، وكان سبب تسليط الله إياه عليهم - فيما ذكر أهل العلم - قتلهم يحيى بن زكرياء ، فأكثر القتل فيهم ، فلم تعد لهم جماعة كجماعتهم الأولى ، ورفع الله عنهم النبوة وأنزل بهم الدّل . قال : وقد كانت الروم غزت بلاد فارس ، يقودها ملكها الأعظم يلتمس أن يدرك بثأرها في فارس لقتل أشك ملك بابل أنطيوخس ، وملك بابل يومئذ بلاش أبو^(٢) أردوان ، الذي قتله أردشير

(١) كذا في س ، وفي ت وابن الأثير : « يلاقس » . (٢) ح ، ن : « ابن » .

ابن بابل ، فكتب بلاش إلى ملوك الطوائف يُعلمهم ما اجتمعت عليه الروم من غزوة بلادهم ، وأنه قد بلغه من حشدهم وجمعهم ما لا كفاء له عنده ، وأنه إن ضعف عنهم ظفروا بهم جميعاً . فوجه كل ملك من ملوك الطوائف إلى بلاش من الرجال والسلاح والمال بقدر قوته ، حتى اجتمع عنده أربعمائة ألف رجل ، فولى عليهم صاحب الحضرة - وكان ملكاً من ملوك الطوائف يلي ما بين انقطاع السواد إلى الجزيرة - فسار بهم حتى لقي ملك الروم فقتله واستباح عسكره ، وذلك هيَّج الروم على بناء القسطنطينية ونقل الملك من رومية إليها . فكان الذي ولي إنشاءها الملك قسطنطين ، وهو أول ملوك الروم تنصّر ، وهو أجلى من بقي من بني إسرائيل عن فلسطين والأردن لقتلهم - بزعمه - عيسى بن مريم ، فأخذ الخشبة التي وجددهم يزعمون أنهم صلبوا المسيح عليها ، فعظّمها الروم ، فأدخلوها خزائنهم ، فهي عندهم إلى اليوم .

قال : ولم يزل ملك فارس متفرقاً حتى ملك أردشير . فذكر هشام ما ذكرت عنه ، ولم يبين مدة ملك القوم .

٧٠٦/١

* * *

وقال غيره من أهل العلم بأخبار فارس : ملك بعد الإسكندر ملك دارا أناس من غير ملوك الفرس ، غير أنهم كانوا يخضعون^(١) لكل من يملك بلاد الجبل ويمتدونه الطاعة .

قال : وهم الملوك الأشغانون^(٢) الذين يُدعون ملوك الطوائف . قال : فكان ملكهم مائتي سنة وستاً وستين سنة .

فلك من هذه السنين أشك بن أشجان عشرين سنين .

ثم ملك بعده سابور بن أشغان ستين سنة ؛ وفي سنة إحدى وأربعين من ملكه ظهر عيسى بن مريم بأرض فلسطين . وإن ططوس بن أسفسيانوس ملك رومية غزا بيت المقدس بعد ارتفاع عيسى بن مريم بنحو من أربعين سنة ، فقتل من في مدينة بيت المقدس ، وسبي ذراريهم ، وأمرهم فنُسفت مدينة بيت المقدس ، حتى لم يترك بها حجراً على حجر .

٧٠٧/١

(١) ح : « يجمعون » . (٢) ن : « الأشغانون » ، ت : « الأسغانون » .

- ثم ملك جودرز بن أشغانان الأكبر ، عشر سنين .
 ثم ملك بيزن الأشغاني ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك جودرز الأشغاني ، تسع عشرة سنة .
 ثم ملك نرسي الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك هرمز الأشغاني ، سبع عشرة سنة .
 ثم ملك أردوان الأشغاني ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم ملك كسرى الأشغاني ، أربعين سنة .
 ثم ملك بلاش الأشغاني ، أربعاً وعشرين سنة .
 ثم ملك أردوان الأصغر الأشغاني ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك أردشير بن بابك .

* * *

وقال بعضهم : ملك بلاد الفرس بعد الإسكندر ملوك الطوائف الذين
 فرّق الإسكندر المملكة بينهم ، وتفرّد بكلّ ناحية من مملكتك عليها من حين
 ملكه ، ما خلا السواد ، فإنها كانت أربعاً وخمسين سنة بعد هلاك الإسكندر
 في يد الروم . وكان في ملوك الطوائف رجل من نسل الملوك مملّكا على الجبال
 وأصبهان ، ثم غلب ولده بعد ذلك على السواد ، فكانوا ملوكاً عليها وعلى الماهات^(١)
 والجبال وأصبهان ، كالرئيس على سائر ملوك الطوائف ، لأن السنة جرت
 بتقدّمه وتقديم ولده ؛ ولذلك قُصِدَ لذكورهم في كتب سير الملوك ، فاقْتَصِرَ
 على تسميتهم دون غيرهم .

٧٠٨/١

قال : ويقال إن عيسى بن مريم عليه السلام وُلد بأوريشليم بعد
 إحدى وخمسين سنة من ملوك الطوائف ؛ فكانت سنو ماكهم من لدن
 الإسكندر إلى وثوب أردشير بن بابك وقتله أردوان واستواء الأمر له ،
 مائتين وستاً وستين سنة .

* * *

قال : فن الملوك الذين ملكوا الجبال ثم تهيأت لأولادهم بعد ذلك الغلبة

(١) ت : « المهات » . س « المهان » .

على السواد أشك بن حره بن رسيان^(١) بن أرتشاخ بن هرمز بن ساهم بن رزان^(٢) بن ٧٠٩/١
 إسفنديار بن بشتاسب . قال : والفرس تزعم أنه أشك بن دارا . وقال بعضهم :
 أشك بن أشكان الكبير ، وكان من ولد كيبه بن كيقباد ، وكان مائة عشر سنين .
 ثم ملك من بعده أشك بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم ملك سابور بن أشك بن أشكان ، ثلاثين سنة .
 ثم ملك جوذرز الأكبر بن سابور بن أشكان ، عشر سنين .
 ثم ملك بيرن بن جوذرز ، إحدى وعشرين سنة .
 ثم جوذرز الأصغر بن بيزن ، تسع عشرة سنة .
 ثم نرسه بن جوذرز الأصغر ، أربعين سنة .
 ثم هرمز بن بلاش بن أشكان ، سبع عشرة سنة .
 ثم أردوان الأكبر وهو أردوان بن أشكان ، اثنتي عشرة سنة .
 ثم كسرى بن أشكان ، أربعين سنة .
 ثم بهافريد الأشكاني ، تسع سنين .
 ثم بلاش الأشكاني ، أربعاً وعشرين سنة .
 ثم أردوان الأصغر وهو أردوان بن بلاش بن فيروز بن هرمز بن بلاش بن
 سابور بن أشك بن أشكان الأكبر ، وكان جدّه كيبه بن كيقباد . ويقال :
 إنه كان أعظم الأشكانية ملكاً ، وأظهرهم عزاً ، وأسناهم ذكراً ، وأشدّهم قهراً
 للملوك الطوائف ، وأنه كان قد غلب على كورة إصطخر لاتصالها بأصبهان ،
 ثم تخطى إلى جور وغيرها من فارس ، حتى غلب عليها ، ودانت له ٧١٠/١
 ملوكها هيبية ملوك الطوائف كانت له ، وكان ملكه ثلاث عشرة سنة .
 ثم ملك أردشير .

* * *

وقال بعضهم : ملك العراق وما بين الشام ومصر بعد الإسكندر تسعون
 ملكاً على تسعين طائفة كلهم يعظم من يملك المدائن ، وهم الأشكانيون . قال :

(١) كلذا في س . (٢) كلذا في ن ، وفي ت : « رزان » وفي س : « زرام » .

فلك من الأشكانيين أفقور شاه بن بلاش بن سابور بن أشكان بن أرش
الجبار بن سياوش بن كيقاوس الملك ، اثنتين وستين سنة .

ثم سابور بن أفقور - وعلى عهده كان المسيح ويحيى عليهما السلام -
ثلاثاً وخمسين سنة .

ثم جوذر بن سابور بن أفقور الذى غزا بنى إسرائيل طالباً بثأر يحيى
ابن زكرياء ، ملك تسعاً وخمسين سنة .

ثم ابن أخيه أبزان بن بلاش بن سابور ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم جوذر بن أبزان بن بلاش ، إحدى وثلاثين سنة .

ثم أخوه نرسى بن أبزان ، أربعاً وثلاثين سنة .

ثم عمته الهرمزان بن بلاش ، ثمانياً وأربعين سنة .

ثم ابنه الفيروزان بن الهرمزان بن بلاش ، تسعاً وثلاثين سنة .

ثم ابنه كسرى بن الفيروزان ، سبعاً وأربعين سنة .

ثم ابنه أردوان بن بلاش ، وهو آخرهم ، قتله أردشير بن بابك ، خمساً

وخمسين سنة .

قال : وكان ملك الإسكندر وملك سائر ملوك الطوائف فى النواحي خمسمائة

وثلاثاً وعشرين سنة .

ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف

فكان من (١) ذلك - فيما زعمته الفرس - لمضى خمس وستين سنة من غلبة الإسكندر على أرض بابل ، وإلحدى وخمسين سنة من ملك الأشكانيين - ولادةُ مريم بنت عمران عيسى بن مريم عليه السلام .

فأما النصراري فإنها تزعم أن ولادتها إياه كانت لمضى ثلثمائة سنة وثلاث سنين من وقت غلبة الإسكندر على أرض بابل . وزعموا أن مولد يحيى بن زكرياء كان قبل مولد عيسى عليه السلام بستة أشهر . وذكروا أن مريم حملت بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة ، وأن عيسى عاش إلى أن رُفِع اثنتين وثلاثين سنة وأياما ، وأن مريم بقيت بعد رفعه ست سنين ، وكان جميع عمرها نيفاً وخمسين سنة . قال : وزعموا أن يحيى اجتمع (٢) هو وعيسى بنهر الأردن وله ثلاثون سنة ،

وأن يحيى قتل قبل أن يرفع عيسى . وكان زكرياء بن برخيا (٣) أبو يحيى بن زكرياء وعمران بن ماثان أبو مريم متزوجين بأختين ؛ إحداهما عند زكرياء وهي أم يحيى ، والأخرى منهما عند عمران بن ماثان ، وهي أم مريم ، فأت عمران بن ماثان وأم مريم حامل بمريم ، فلما ولدت مريم كفلها زكرياء بعد موت أمها ، لأن خالتها أخت أمها كانت عنده . واسم أم مريم حنة بنت فاقود ابن قبيل ، واسم أختها أم يحيى الأشباع (٤) ابنة فاقود . وكفلها زكرياء ، وكانت مسماة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن اليعازر بن اليوذ بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم بن أبيوذ بن زربابل بن شليل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحاز بن يوثام بن عوزيا بن يورام بن يهوشافاظ بن أسا بن أبيا بن رجعم بن سليمان بن داود ، ابن عم مريم .

وأما ابن حميد ، فإنه حدثنا عن سلحمة ، عن ابن إسحاق ، أنه قال :

(١) ح : « في » . (٢) ن : « صيغ » .

(٣) ن : « يرخنا » . (٤) ن : « الأشباع » .

مریم - فيما بلغني عن نسبها - ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشا بن حزقيا ابن أحرزق بن يوثام بن عزريا بن أمصيا بن ياوش بن أجزيهو بن يارم بن يهشافاظ بن أسا بن أبيا بن رُحْبَعْمُ بن سايمان. فولد لزكرياء يحيى ابن خالة عيسى بن مریم ، فنبى صغيراً ، فساح ، ثم دخل الشام يدعو الناس ، ثم اجتمع يحيى وعيسى ، ثم افترقا بعد أن عمّد يحيى عيسى .

٧١٣/١

وقيل : إن عيسى بعث يحيى بن زكرياء في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس : قال : وكان فيما نهوهم عنه نكاح بنات الأخ ، فحدثني أبو السائب ، قال : حدثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعث عيسى بن مریم يحيى بن زكرياء ، في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس ، قال : فكان فيما نهوهم عنه نكاح ابنة الأخ . قال : وكان للملكهم ابنة أخٍ تُعجبه ، يريد أن يتزوجها ، وكانت لها كل يوم حاجة يقضيها ، فلما بلغ ذلك أمها قالت لها : إذا دخلت على الملك ، فسألك حاجتك فقولي : حاجتي أن تدبح لي يحيى بن زكرياء . فلما دخلت عليه سألتها حاجتها ، قالت : حاجتي أن تدبح لي يحيى بن زكرياء ، فقال : سلبني غير هذا ، قالت : ما أسألك إلا هذا ، قال : فلما أبت عليه دعا يحيى ، ودعا بطست فذبجه ، فندرت قطرة من دمه على الأرض ، فلم تنزل تغلي حتى بعث الله بختنصر عليهم ، فجاءته عجوز من بني إسرائيل ، فدلته على ذلك الدم ، قال : فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم منهم حتى يسكن ، فقتل سبعين ألفاً منهم من سن واحدة ، فسكن .

٧١٤/١

حدثنا موسى بن هارون الهمداني ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي ، في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني ، عن ابن مسعود - وعن ناسٍ من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، أن رجلاً من بني إسرائيل ، رأى في النوم أن خراب بيت المقدس وهلاك بني إسرائيل على يدي غلام يتيم ، ابن أرملة من أهل بابل ، يُدعى بختنصر ، وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم ، فأقبل يسأل عنه ، حتى نزل على أمه وهو محتطب ، فلما جاء وعلى رأسه حزمة

حطب ألقاها ، ثم قعد في جانب البيت ، فكلّمه ، ثم أعطاه ثلاثة دراهم ، فقال : اشترِ بهذه طعاماً وشراباً ، فاشترى بدرهم لحمًا ، وبدرهم خبزاً ، وبدرهم خمراً ، فأكلوا وشرَبوا ؛ حتى إذا كان اليوم الثاني فعل به ذلك ، حتى إذا كان اليوم الثالث فعل ذلك ، ثم قال : إني أحبّ أن تكتب لي أمانة ، إن أنتِ مُلِّكْتِ يوماً من الدهر ؛ قال : تسخر بي ! قال : إني لا أسخرُ بك ؛ ولكن ما عليك أن تتخذ بها عندى يداً ! فكلّمتُه أمه ، فقالت : وما عليك إن كان ؛ وإلا لم ينقصك شيئاً ! فكتب له أمانة ، فقال : أرايت إن جئت والناسُ حولك ، قد حالوا بيني وبينك ! فاجعل لي آيةً تعرفني بها ، قال : ترفع صحيفتك على قصبَةٍ فأعزفُكُ بها . فكساه وأعطاه .

٧١٥/١

ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكرياء ، ويُدني مجلسه ، ويستشيره في أمره ، ولا يقطع أمراً دونه ، وإنه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له ، فسأل يحيى عن ذلك ، فنهاه عن نكاحها ، وقال : لست أرضاها لك ، فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه أن يتزوج ابنتها ، فعمدت إلى الحارية حين جلس الملك على شرايه ، فألبستها ثياباً رقيقاً حمرًا ، وطيّبستها ، وألبستها من الحلبي ، وألبستها فوق ذلك كساء أسود ، فأرسلتها إلى الملك ، وأمرتها أن تسقيه ، وأن تعرض له ، فإن أرادها على نفسها أبت عليه ، حتى يعطيها ما سألته ، فإذا أعطاها ذلك سألته أن تؤتي برأس يحيى بن زكرياء في طست ، ففعلت ففعلت تسقيه وتعرض له ، فلما أخذ فيه الشراب أرادها على نفسها ، فقالت : لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك ، قال : ما تسأليني ؟ قالت : أسألك أن تبعث إلي يحيى بن زكرياء ، فأوتى برأسه في هذا الطست ، فقال : ويحك ! سليني غير هذا ! قالت : ما أريد أن أسألك إلا هذا . قال : فلما أبت عليه ، بعث إليه فأتى برأسه ، والرأس يتكلم ، حتى وضع بين يديه ، وهو يقول : لا تحلُّ لك ، فلما أصبح إذا دمه يغلي ، فأمر بتراب فألقى عليه ، فرقى الدم فوق التراب يغلي ، فألقى عليه التراب أيضًا ، فارتفع الدم فوقه ، فلم يزل يلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة ،

وهو في ذلك يغلي ، وبلغ صيحاتين^(١) فنادى في الناس ، وأراد أن يبعث إليهم جيشاً ، ويؤمّر عليهم رجلاً ، فأناه بختنصر ، فكلمه ، وقال : إن الذي كنت أرسلت تلك المرّة ضعيف ، فإني قد دخلت المدينة ، وسمعت كلام أهلها ، فابعثني ، فبعثه فسار بختنصر ؛ حتى إذا بلغوا ذلك المكان تحصنوا منه في مدائنهم ، فلم يطيقهم ، فلما اشتدّ عليه المقام ، وجاع أصحابه أراد الرجوع ، فخرجت إليه^(٢) عجوز من عجائز بني إسرائيل ، فقالت : أين أمير الجند ؟ فأتى به إليها ، فقالت : إنه بلغني أنك تريد أن ترجع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة . قال : نعم ، قد طال مقامي ، وجاع أصحابي ، فلست أستطيع المقام فوق الذي كان مني ، فقالت : أرايتك إن فتحت لك المدينة ، أتعطيني ما أسألك ؛ فتقتل من أمرتك بقتله ، وتكفّ إذا أمرتك أن تكفّ ؟ قال لها : نعم ، قالت : إذا أصبحت فأقسم جندك أربعة أرباع ، ثم أقيم على كل زاوية ربعاً ، ثم ارفعوا بأيديكم إلى السماء ، فنادوا : إنا نستفتحك يا الله بدم يحيى بن زكرياء ؛ فإنها سوف تتساقط . ففعلوا ، فتساقطت المدينة ، ودخلوا من جوانبها ، فقالت له : كفّ يدك ، اقتل على هذا الدم حتى يسكن ، فانطلقت به إلى دم يحيى وهو على تراب كثير ، فقتل عليه حتى سكن ، فقتل سبعين ألف رجل وامرأة ، فلما سكن الدم ، قالت له : كفّ يدك ، فإنّ الله عزّ وجلّ إذا قُتل نبيّ لم يرضَ حتى يقتل من قتله ومنّ رضى قتله . فأناه صاحب الصحيفة بصحيفته ، فكفّ عنه وعن أهل بيته ، وخرّب بيت المقدس ، وأمر به أن تطرح فيه الجيف ، وقال : منّ طرح فيه جيفة فله جزئته تلك السنة ، وأعانه على^(٣) خرابه الروم من أجل أنّ بني إسرائيل قتلوا يحيى بن زكرياء ، فلما خربّه بختنصر ذهب معه بوجوه بني إسرائيل وسرّاتهم ، وذهب بدانيال وعليا وعزريا^(٤) وميشائيل ؛ هؤلاء كلّهم من أولاد الأنبياء ، وذهب معه برأس الجالوت ، فلما قدّم أرض بابل

(١) ت : « صيحاتين » ، ن : « صبحاي » .

(٢) ح : « إليهم » .

(٣) ح : « عليه » .

(٤) ت : « وعزوبا » ، ن : « وعزوزيا » .

وجد صيحاتين قد مات ، فلك مكانه ، وكان أكرم الناس عليه دانيال وأصحابه ، فحسدوهم المحوس ، فوشوا بهم إليه ، فقالوا : إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ، ولا يأكلون من ذبيحتك ، فدعاهم فسألهم فقالوا : أجل إن لنا رباً نعبده ، ولسنا نأكل من ذبيحتكم ، وأمر بخد فخد ، فألقوا فيه وهم ستة ، وألقى معهم سبع ضار ليأكلهم ، فقالوا : انطلقوا فلنأكل ولنشرب ، فذهبوا ، فأكلوا وشربوا ، ثم راحوا فوجدوهم جلوساً ، والسبع مفترش ذراعَيْه بينهم لم يخذش منهم أحداً ، ولم ينكأ شيئاً ، فوجدوا معهم رجلاً ، فعدّوهم فوجدوهم سبعة ، فقال : ما بال هذا السابع ؟ إنما كانوا ستة ! فخرج إليه السابع - وكان ملكاً من الملائكة - فلطمه لطمه فصار في الوحش ، فكان فيهم سبع سنين (١) .

* * *

قال أبو جعفر : وهذا القول الذي روي عن ذكر في هذه الأخبار التي رويت وعمن لم يذكر في هذا الكتاب ، من أن بختنصر ، هو الذي غزا بني إسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكرياء - عند أهل السير والأخبار والعلم بأمر الماضين في الجاهلية ، وعند غيرهم من أهل الملل غلط ؛ وذلك أنهم بأجمعهم مجمعون على أن بختنصر إنما غزا بني إسرائيل عند قتلهم نبيهم شعيا في عهد إرميا بن حلقيا ، وبين عهد إرميا وتخریب بختنصر بيت المقدس إلى مولد يحيى بن زكرياء أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة في قول اليهود والنصارى . ويذكرون أن ذلك عندهم في كتبهم وأسفارهم مبين ، وذلك أنهم يعدون من لدن تخریب بختنصر بيت المقدس إلى حين عمرانها في عهد كيرش بن أخشويرش أصهبذ بابل من قبيل أردشير بهمن بن إسفنديار بن بشتاسب ، ثم من قبيل ابنته خماني سبعين سنة ، ثم من بعد عمرانها إلى ظهور الإسكندر عليها وحيازة مملكتها إلى مملكته ثمانيا وثمانين سنة ، ثم من بعد مملكة الإسكندر لها إلى مولد يحيى بن زكرياء ثلثمائة سنة وثلاث سنين ، فذلك على قولهم أربعمائة سنة وإحدى وستون سنة .

(١) الخبر إلى هنا في التفسير ١٥ : ٢٥ ، ٢٦ (بولاق) .

وأما المجوس فإنها توافق النصارى واليهود في مدة خراب بيت المقدس ، وأمر بختنصر ، وما كان من أمره وأمر بني إسرائيل إلى غلبة الإسكندر على بيت المقدس والشام وهلاك^(١) دارا ، وتخالقهم في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى ، فتزعم أن مدة ذلك إحدى وخمسون سنة . فبين المجوس والنصارى من الاختلاف في مدة ما بين ملك الإسكندر ومولد يحيى وعيسى ما ذكرت . والنصارى تزعم أن يحيى ولد قبل عيسى بستة أشهر ، وأن الذى قتله ملك لبني إسرائيل يقال له هيردوس ، بسبب امرأة يقال لها هيروديا ، كانت امرأة أخ له ، يقال له فيلفوس ، عَشَقَهَا فوافقته^(٢) على الفُجور ، وكان لها ابنة يقال لها دمنى^(٣) فأراد هيردوس أن يوطأ امرأة أخيه المسماة هيروديا ، فنهاه يحيى وأعلمه أنه لا تحل له ، فكان هيردوس معجباً بالابنة ، فألهمته يوماً ، ثم سألتها حاجة فأجابها إليها ، وأمر صاحباً له بالنفوذ لما تأمره به ، فأمرته أن يأتيتها برأس يحيى ، ففعل ، فلما عرف هيردوس الخبر أسقط في يده ، وجزع جزعاً شديداً .

* * *

وأما ما قال في ذلك أهل العلم بالأخبار وأمور أهل الجاهلية فقد حكيتُ منه ما قاله هشام بن محمد الكلبي .

وأما ما قال ابن إسحاق فيه ، فهو ما حدثنا به ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، قال : عمرت بنو إسرائيل بعد ذلك - يعنى بعد مرجعهم من أرض بابل إلى بيت المقدس - يُحدثون الأحداث ، ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ، ففريقاً يكذبون وفريقاً يقتلون ؛ حتى كان آخراً من بعث فيهم من أنبيائهم زكرياء ويحيى بن زكرياء وعيسى بن مريم ، وكانوا من بيت آل داود عليه السلام . وهو يحيى بن زكرياء بن أدي ابن مسلم بن صدوق بن نحشان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن برخية بن شفاطية بن فاحور بن شلوم بن يهافاشاط بن أسا بن أبيا بن رجبعم

(١) ح : « وإهلاك » . (٢) ح : « فراقته » .

(٣) ت : « دمنى » ، س : « دمنه » ، ن : « دمنى » .

ابن سليمان بن داود .

قال : فلما رفع الله عيسى عليه السلام من بين أظهرهم ، وقتلوا يحيى بن زكرياء عليه السلام - وبعض الناس يقول : وقتلوا زكرياء - ابتعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوس ، فسار إليهم بأهل بابل ؛ حتى دخل عليهم الشام ، فلما ظهر عليهم أمر رأساً من رعوس جنوده يدعى نبوزراذان ، صاحب القتل ، فقال له : إني كنت حلفت بإلهي :

لئن أنا ظهرت على أهل بيت المقدس لأقتلنهم حتى تسيل دماؤهم في وسط عسكري ؛ إلى ألاّ أجد أحداً أقتله ، فأمره أن يقتلهم ، حتى يبلغ ذلك منهم . وإنّ نبوزراذان دخل بيت المقدس ، فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم ، فوجد فيها دمًا يغلي ، وسألهم ، فقال : يا بني إسرائيل ؛ ما شأن هذا الدم يغلي ؟ أخبروني خبره ولا تكتُموني شيئاً من أمره ، فقالوا : هذا دم قربان كان لنا كنا قربناه فلم يقبل منا ، فلذلك هو يغلي كما تراه ، ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان ، فيقبل منا إلا هذا القربان . قال : ما صدقتموني الخبر ، قالوا له : لو كان كأول زماننا لقبيل منا ؛ ولكنه قد انقطع منا الملك والنبوّة والوحي ؛ فلذلك لم يقبل منا . فذبح منهم نبوزراذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحاً من رعوسهم فلم يهدأ ، فأمر فأتى بسبعمائة غلام من غلمانهم ، فذبحوا على الدم فلم يهدأ ، فأمر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يبرد ، فلما رأى نبوزراذان الدم لا يهدأ قال لهم : يا بني إسرائيل ، ويلكم ! أصدقوني واصبروا على أمر ربكم ؛ فقد طالما ملكتم في الأرض تفعلون فيها ما شئتم ، قبل ألاّ أترك منكم نافع نار ؛ أنثى ولا ذكراً إلا قتلتها ! فلما رأوا الجهد وشدة القتل صدقوه الخبر فقالوا : إن هذا دم نبيّ منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله ، فلو أطلعنا فيها لكان أرشد لنا ، وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقّه فقتلناه ، فهذا دمه . فقال لهم نبوزراذان : ما كان اسمه ؟ قالوا : يحيى بن زكرياء ، قال : الآن صدقتموني ، لمثل هذا ينتقم ربكم منكم . فلما رأى نبوزراذان أنهم قد صدقوه خرّ ساجداً ، وقال لمن حوله : أغلقوا أبواب المدينة ، وأخرجوا من كان ها هنا من جيش خردوس

وخلا في بني إسرائيل . ثم قال : يا يحيى بن زكرياء ، قد علم ربى وربك ما قد أصاب قومك من أجلك ، وما قتل منهم من أجلك ، فاهدأ بإذن الله قبل ألا أبقى من قومك أحداً ، فهدأ دم يحيى بإذن الله ، ورفع نبوزرادان عنهم القتل ، وقال : آمنتُ بما آمنت به بنو إسرائيل ، وصدقتُ به وأيقنتُ أنه لا ربّ غيره ، ولو كان معه آخر لم يصلح ، لو كان معه شريك لم تستمسك^(١) السموات والأرض ، ولو كان له ولد لم يصلح ، فتبارك وتقدّس وتسمّح وتكبر وتعتظّم ! ملك الملوك الذى يملك السموات السبع بعلم وحكم^(٢) وجبروت وعزة ، الذى بسط الأرض وألقى فيها رواسى لا تزول ؛ فكذلك ينبغى لربى أن يكون ويكون مُلكه . فأوحى إلى رأس من رعوس بقية الأنبياء أن نبوزرادان حبور صدوق - والحبور بالعبرانية حديث الإيمان - وأن نبوزرادان قال لبني إسرائيل : إن عدو الله خردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره . وإنى فاعل ، لست أستطيع أن أعصيه . قالوا له : افعل ما أمرت به ، فأمرهم فحضرُوا خندقاً ، وأمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم والإبل فذبجها ، حتى سال الدم فى العسكر ، وأمر بالقتلى الذين كانوا قتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم ؛ حتى كانوا فوقهم ؛ فلم يظنّ خردوس إلا أن ما كان فى الخندق من بني إسرائيل .

٧٢٣/١

فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى نبوزرادان : ارفع عنهم ، فقد بلغنى دماؤهم ، وقد انتقمت منهم بما فعلوا . ثم انصرف عنهم إلى أرض بابل ، وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد ؛ وهى الواقعة الأخيرة التى أنزل الله بنى إسرائيل ؛ يقول الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ﴾^(٣) . و « عسى »^(٤) من الله حق ، فكانت الواقعة الأولى باختصاصه وجنوده ، ثم ردّ

(١) ط : « يستمسك » ، وما أثبتته من ت .

(٢) ن : « وحكمة » .

(٣) سورة الإسراء ٤ - ٨ .

(٤) من قوله تعالى فى آية ٨ : « عسى ربكم أن يرحمكم » .

الله لهم الكفرة عليهم ، ثم كانت الوقعة الأخيرة خردوس وجنوده ، وهي كانت أعظم الوقعتين ، فيها كان خراب بلادهم وقتل رجالهم وسبى ذراريهم ونساءهم ؛ يقول الله عز وجل : ﴿ وَلِيَتَّبِعُوا مَا عَلَّمُوا تَتَّبِعُوا ﴾^(١) .

* * *

رجع الحديث إلى حديث عيسى بن مريم وأمه عليهما السلام . قال : وكانت مريم ويوسف بن يعقوب ابن عمها يلبان خدما الكنيسة ، فكانت مريم إذا نفذ ماؤها - فيما ذكر - وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته ، فانطلق إلى المغارة التي فيها الماء الذي يستعذبانه ، فيملا قلته ، ثم ٧٢٤/١ يرجعان إلى الكنيسة . فلما كان اليوم الذي لقيتها فيه جبرئيل - وكان أطول يوم في السنة وأشد حرًا - نفذ ماؤها ، فقالت : يا يوسف ، ألا تذهب بنا نستقي ! قال : إن عندي لفضلاً من ماء أكتفي به يومى هذا إلى غد ، قالت : لكنى والله ما عندى ماء ، فأخذت قلته ، ثم انطلقت وحدها ، حتى دخلت المغارة ، فتجد عندها جبرئيل ، قد مثله الله لها بشراً سوياً : فقال لها : يا مريم ، إن الله قد بعثنى إليك لأهب لك غلاماً زكياً ، قالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴾^(٢) ، وهي تحسبه رجلاً من بنى آدم فقال : إنما أنا رسول ربك ، قالت : ﴿ أَنَّى يَكُونُ لِي غَلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ . قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلَنَجْمَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا^(٣) ، أى أن الله قد قضى أن ذلك كائن . فلما قال ذلك استسلمت لقضاء الله ، فنفخ في جيبها ، ثم انصرف عنها ، وملاّت قلته .

قال : فحدثني محمد بن سهل بن عسكر البخاري ، قال حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، ابن أخي وهب ،

(١) سورة الإسراء ٧ .

(٢) سورة مريم ١٨ .

(٣) سورة مريم ٢٠ ، ٢١ .

قال : سمعت وهباً قال : لما أرسل الله عزَّ وجلَّ جبرئيل إلى مريم ، تمثّل لها بشراسويّاً . فقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً ﴾ ، ثم نفخ في جيب درعها حتى وصلت النفخة إلى الرّحيم ، واشتملت على عيسى .

قال : وكان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجّار ، وكانا منطلقين إلى المسجد الذي عند جبل صهيون ؛ وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم ، وكانت مريم ويوسف يخدمان في ذلك المسجد في ذلك الزمان ، وكان لخدمته فضل عظيم ، فرغبوا في ذلك ، فكانا يلبيان معالجته بأنفسهما وتجميره وكناسته وطهوره ، وكلّ عمل يعمل فيه ، فكان لا يُعلم من أهل زمانهما أحدٌ أشدَّ اجتهاداً وعبادة منهما ، وكان أول من أنكر حمل مريم صاحبها يوسف ، فلما رأى الذي بها استعظمه ، وعظم عليه ، وفضّح به ، ولم يدرك على ماذا يضع^(١) أمرها ! فإذا أراد يوسف أن يتهمها ذكر صلاحها وبراعتها ، وأنها لم تغيب عنه ساعة قطُّ ، وإذا أراد أن يبرئها رأى الذي ظهر بها . فلما اشتدَّ عليه ذلك كلّمها ، فكان أول كلامه إياها أن قال لها : إنه قد وقع في نفسي من أمرك أمر قد حرصت على أن أميته ، وأكتمته في نفسي ، فغلبتني ذلك ، فرأيتُ أن الكلام فيه أشق لصدري ، قالت : فقل قولاً جميلاً ، قال : ما كنت لأقول إلا ذلك ، فحدّثيني : هل ينبت زرع بغير بذر ؟ قالت : نعم ، قال : فهل تنبت شجرة من غير غيث يصيبها ؟ قالت : نعم ، قال : فهل يكون ولد من غير ذكر ؟ قالت : نعم ، ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ، والبذر إنّما كان من الزرع الذي أنبته الله من غير بذر ! أو لم تعلم أن الله أنبت الشجر من غير غيث ، وأنه جعل بتلك القدرة الغيث حياة للشجر بعد ما خلق كلّ واحد منهما وحده ! أو تقول لم يقدر الله على أن ينبت الشجر ، حتى استعان عليه بالماء ، ولولا ذلك لم يقدر على إنباته ! قال لها يوسف : لا أقول ذلك ، ولكنّي أعلم أن الله بقدرته على ما يشاء يقول لذلك : كمن فيكون . قالت له مريم : أو لم تعلم أن الله عزَّ وجلَّ

(١) ت ، ن : « بصنع » .

خلق آدم وامرأته من غير ذكرٍ ولا أنثى ؟ قال : بلى ، فلما قالت له ذلك وقع في نفسه أن الذي بها شيء من الله عز وجل ، وأنه لا يسهه أن يسألها عنه ؛ وذلك لما رأى من كثابها لذلك . ثم تولى يوسف خدمة المسجد ، وكفأها كل عمل كانت تعمل فيه ؛ وذلك لما رأى من رقة^(١) جسمها واصفرار لونها ، وكلف وجهها ، وتواء بطنها ، وضعف قوتها ، ودأب نظرها ؛ ولم تكن مريم قبل ذلك كذلك ؛ فلما دنا نفاسها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك ؛ فإنهم إن ظفروا بك عيروك وقتلوا^(٢) ولدك . فأفضت عند ذلك إلى أختها - وأختها حينئذ حبلى ، وقد بشرت بيحيى - فلما التقيا وجدت أم يحيى ما في بطنها خيراً لوجهه ساجداً معترفاً بعيسى ؛ فاحتملها يوسف إلى أرض مصر على حمار له ، ليس بينها حين ركبت الحمار وبين الإكاف^(٣) شيء ، فانطلق يوسف بها ؛ حتى إذا كان متاخماً لأرض مصر في منقطع ٧٢٧/١ بلاد قومها أدرك مريم النفاس ، وألجأها إلى آرى حمار - يعنى مزود الحمار - في أصل نخلة ؛ وذلك في زمان الشتاء ، فاشتد على مريم الخاض ؛ فلما وجدت منه شدة التجأت إلى النخلة ، فاحتضنتها واحتوشتها الملائكة ، قاموا صفوفاً محدقين بها^(٤) .

فلما وضعت وهي محزونة ، قيل لها : ﴿ أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ إلى ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾^(٥) ، فكان الرطب يتساقط عليها ، وذلك في الشتاء .

فأصبحت الأصنام التي كانت تُعبد من دون الله حين ولدت بكل أرض مقلوبة منكوسة على رءوسها ، ففزع الشياطين وراعها ، فلم يدروا ما سبب ذلك ، فساروا عند ذلك مسرعين ، حتى جاءوا إبليس ، وهو على عرش له ، في لجة خضراء ، يتمثل بالعرش يوم كان على الماء ويحتجب ، يتمثل بحجب النور التي من دون الرحمن ، فأتوه وقد خلاست ساعات من النهار ، فلما

(١) ت : « دقة » . (٢) ن : « وقتلوك وولدك » .

(٣) الإكاف ، ككتاب وغراب : برذعة الحمار .

(٤) الخبر في التفسير ١٥ : ٤٩ ، ٥٠ (بولاق) .

(٥) سورة مريم ٢٤ - ٢٦ .

رأى إبليسُ جماعتهم ، فزِعَ من ذلك ، ولم يرهَمَ جميعاً منذ فرقتهم قبل تلك الساعة ؛ إنما كان يراهم أشتاتاً ، فسألهم فأخبروه أنه قد حدث في الأرض حدث أصبَحَتْ الأصنام منكوسة على رؤوسها ، ولم يكن شيء أعونٌ على هلاك بني آدم منها ؛ كنا ندخلُ في أجوافها فنكَلَّسهم ، وندبّر أمرهم فيظنون أنها التي تكَلَّسهم ، فلما أصابها هذا الحدث صغرتَها في أعين بني آدم ، وأذلتَها وأدناها ، ذلك وقد خشينا ألاَّ يعبدوها بعد هذا أبداً . واعلم أننا لم نأتِكَ حتى أحصينا الأرض ، وقلبنا البحار وكلَّ شيء قوينا . عليه ؛ فلم نزد بما أردنا إلا جهلاً . قال لهم إبليس : إنَّ هذا لأمر عظيم ، لقد عامت بأني كَسَمْتَهُ ، وكونوا على مكانكم هذا . فطار إبليس عند ذلك ، قلبت عنهم ثلاث ساعات ، فرَّ فيهنَّ بالمكان الذي وُلد فيه عيسى ؛ فلما رأى الملائكة محديين بذلك المكان ، علم أن ذلك الحدث فيه ، فأراد إبليس أن يأتيه من فوقه ؛ فإذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء . ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض ؛ فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس . ثم أراد أن يدخل من بينهم فنحوه عن ذلك .

٧٢٨/١

ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال لهم : ما جئتمكم حتى أحصيت الأرض كلها مشرقها ومغربها ، وبرَّها وبحرها ، والخافقين ، والحوّ الأعلى ؛ وكلَّ هذا بلغت في ثلاث ساعات ؛ وأخبرهم بمولد المسيح ، وقال لهم : لقد كتبتُ شأنه ، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمي ، ولا وضعته قطّ ، إلا وأنا حاضرها ؛ وإني لأرجو أن أضلَّ به أكثر مما يهتدي به ، وما كان نبيّ قبله أشدَّ عليّ وعليكم منه .

وخرج في تلك الليلة قوم يؤمّونه من أبجل نجم طلع أنكره ، وكان قبل ذلك يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود في كتاب دانيال . فخرجوا يريدونه ، ومعهم الذهب والمرّ واللِّبان ، فرّوا بملك من ملوك الشام ، فسألهم : أين يريدون ؟ فأخبروه بذلك ، قال : فما بال الذهب والمرّ واللِّبان أهديتموه له من بين الأشياء كلها ؟ قالوا : تلك أمثاله : لأنَّ الذهب هو سيّد المتاع كلّهُ ، وكذلك هذا النبيّ هو سيّد أهل زمانه ، ولأنَّ المرّ يُجسِّرُ به

٧٢٩/١

الجرح والكسر ، وكذلك هذا النبي يشفي به الله كل سقيم ومريض ؛ ولأن اللبان يتألم دخانه السماء ولا ينالها دخان غيره ، كذلك هذا النبي يرفعه الله إلى السماء لا يرفع في زمانه أحد غيره .

فلما قالوا ذلك لذلك الملك حدث نفسه بقتله ، فقال : اذهبوا ، فإذا علمتم مكانه فأعلموني ذلك ، فإني أرغب في مثل ما رغبتم فيه من أمره . فانطلقوا حتى دفعوا ما كان معهم من تلك الهدية إلى مريم ، وأرادوا أن يرجعوا إلى هذا الملك ليعلموه مكان عيسى ، فليقيهم ملك فقال لهم : لا ترجعوا إليه ، ولا تعلموه مكانه ، فإنه إنما أراد بذلك ليقته ؛ فانصرفوا في طريق آخر ، واحتملته مريم على ذلك الحمار ومعها يوسف ، حتى وردا أرض مصر ، فهي الرَبْوَة التي قال الله : ﴿ وَأَوْيَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ^(١) ﴾ .

فكثرت مريم اثنتي عشرة سنة تكتمه من الناس ، لا يطلع عليه أحد ؛ وكانت مريم لا تأمن عليه ولا على معيشته أحداً ، كانت تلتقط السنبيل من حيث ما سمعت بالحصاد ، والمهد في منكبها والوعاء الذي تجعل فيه السنبيل في منكبها الآخر ، حتى تم لعيسى عليه السلام اثنتا عشرة سنة ؛ فكان أول آية رآها الناس منه أن أمه كانت نازلة في دار دهقان من أهل مصر ، فكان ذلك الدهقان قد سرقت له خزانة ، وكان لا يسكن في داره إلا المساكين ، فلم يتهمهم ، فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان ، فلما أن رأى عيسى حزن أمه بمصيبة صاحب ضيافتها ، قال لها : يا أمه ، أتحبين أن أدله على ماله ؟ قالت : نعم يا بُنَيَّ ، قال : قولي له يجمع لي مساكين داره ، فقالت مريم للدهقان ذلك ، فجمع له مساكين داره ، فلما اجتمعوا عمداً إلى رجلين منهم : أحدهما أعمى والآخر مقعد ، فحمل المقعد على عاتق الأعمى ، ثم قال له : قم به ، قال الأعمى : أنا أضعف من ذلك ، قال عيسى عليه السلام : فكيف قويت على ذلك البارحة ؟ فلما سمعوه يقول ذلك ، بعثوا الأعمى ، حتى قام به ، فلما استقل قائماً حاملاً هوى المقعد إلى كوة الخزانة . قال عيسى : هكذا احتالا للملك البارحة ، لأنه استعان الأعمى بقوته ، والمقعد بعينيه ، فقال

المقعد والأعمى : صدق ، فرداً على الدهقان ماله ذلك ، فوضعه الدهقان في خزانته ، وقال : يا مريم خذي نصفه ، قالت : إني لم أخلقُ لذلك ، قال الدهقان : فأعطيه ابنك ، قالت : هو أعظم مني شأنًا ، ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس ابنه له فصنع له عيداً فجمع عليه أهل مصر كلهم ، فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام لم يحذروهم الدهقان ، حتى نزلوا به ، وليس عنده يومئذ شراب ، فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتاً من بيوت الدهقان ، فيه صفان من جرار ، فأمر عيسى يده على أفواهما ، وهو يمشى ، فكلما أمر يده على جرة امتلأت شراباً ، حتى أتى عيسى على آخرها ، وهو يومئذ ابن اثنتي عشرة سنة ، فلما فعل ذلك عيسى فزع الناس لشأنه وما أعطاه الله من ذلك ؛ فأوحى الله عز وجل إلى أمه مريم ، أن اطلعي به إلى الشام ، ففعلت الذي أمرت به ، فلم تزل بالشام حتى كان ابن ثلاثين سنة ، فجاءه الوحي على ثلاثين سنة ، وكانت نبوته ثلاث سنين . ثم رفعه الله إليه ، فلما رآه إبليس يوم لقيه على العقبة لم يطق منه شيئاً ، فتمثل له برجل ذي سن وهيئة ، وخرج معه شيطانان ماردان متمثلين كما تمثل إبليس ، حتى خالطوا جماعة الناس .

٧٣١/١

* * *

وزعم وهب أنه ربما اجتمع على عيسى من المرضى في الجماعة الواحدة خمسون ألفاً ، فمن أطاق منهم أن يبلغه بلغه ، ومن لم يطق ذلك منهم أتاه عيسى عليه السلام يمشى إليه ؛ وإنما كان يُداويهم بالدعاء إلى الله عز وجل ، فجاءه إبليس في هيئة يبهر الناس حسنها وجمالها ، فلما رآه الناس فرغوا له ، وما لوا نحوه ، فجعل يخبرهم بالأعاجيب ؛ فكان في قوله : إن شأن هذا الرجل لعجيب (١) ؛ تكلم في المهدي ، وأحيا الموتى ، وأنبأ عن الغيب ، وشفي المريض ؛ فهذا الله . قال أحد صاحبيه : جهلت أيها الشيخ ، وبس ما قلت ! لا ينبغي لله أن يتجلى للعباد ، ولا يسكن الأرحام ، ولا تسعه أجواف النساء ؛ ولكنه ابن الله . وقال الثالث : بس ما قلتها ، كلا كما قد أخطأ وجهل ؛ ليس ينبغي لله أن يتخذ ولداً ؛ ولكنه إله معه ؛ ثم غابوا حين فرغوا

٧٣٢/١

من قولهم ، فكان ذلك آخر العهد منهم .

حدثنا موسى بن هارون ، قال : حدثنا عمرو بن حماد ، قال : حدثنا أسباط ، عن السدي في خبر ذكره ، عن أبي مالك ، وعن أبي صالح ، عن ابن عباس - وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود - وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : خرجت مريم إلى جانب الحراب لحيض أصابها فاتخذت من دونهم حجاباً من الجدران ، وهو قوله : ﴿ فَأَنْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا ﴾ في شرق الحراب ، فلما طهرت إذا هي برجل معها ، وهو قوله : ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا ﴾ فهو جبرئيل ﴿ فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ . فلما رأته فرغت منه وقالت : ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴾ - تقول زانية - ﴿ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾^(١) . فخرجت ، عليها جلبابها ، فأخذ بكُميتها ، فنفع في جيب درعها - وكان مشقوقاً من قدامها - فدخلت النفخة في صدرها ، فحملت ، فأنتها أختها امرأة زكرياء ليلة تزورها ، فلما فتحت لها الباب التزمتها ، فقالت امرأة زكرياء : يا مريمُ أشعرت أني حبلي . قالت مريم : أشعرت أني أيضاً حبلي . قالت امرأة زكرياء : فإني وجدت ما في بطني يسجد لما في بطنك ، فذلك قوله : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ ﴾^(٢) . فولدت امرأة زكرياء يحيى ، ولما بلغ أن تضع مريم ، خرجت إلى جانب الحراب الشرقي منه ، فأنت أقصاه : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ ﴾ يقول : ألبأها المخاض إلى جذع النخلة ، ﴿ قَالَتْ ﴾ : وهي تطلق من الحبل استحياء من الناس : ﴿ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا ، وَكُنْتُ نَسِيًّا ﴾ .

٧٣٣/١

(١) سورة مريم ١٦ - ٢١ .

(٢) سورة آل عمران ٣٩ .

تقول : نَسِيًّا : نَسِيَ ذَكَرِي ، وَمَنْسِيًّا ، تقول : نَسِيْتُ أَثْرِي ، فلا يرى لى
أثر ولا عين . ﴿ فَنَادَاهَا ﴾ ، جبرئيل : ﴿ مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ
تَحْتِكَ سَرِيًّا ﴾ ، والسرى هو النهر . ﴿ وَهَزَى إِلَيْكِ بِيَجْدَعِ الذَّنْخَلَةِ ﴾ ،
وكان جدعاً منها مقطوعاً فهزته ، فإذا هو نخلة ، وأجرى لها في المحراب نهراً
ففساقت النخلة رطباً جنيّاً ، فقال لها : كُئِلِي وَاشْرَبِي وَفَرِي عَيْنًا ، ﴿ فَأَمَّا
تَرَيْنَ مِنْ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقَوْلِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ
الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴾ ، فكان من صام في ذلك الزمان لم يتكلم حتى يمسي ، فقيل لها :
٧٣٤/١ لا تزيدى على هذا ، فلما ولدته ذهب الشيطان فأخبر بنى إسرائيل أن
مريم قد ولدت ، فأقبلوا يشهدون ، فدعوها ﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا
يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴾ - يقول عظيمًا - ﴿ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ
أَبُوكَ أَمْرًا سَوْءًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا ﴾ ، فما بالك أنت يا أخت هارون!
وكانت من بنى هارون أخى موسى ؛ وهو كما تقول : يا أجا بنى فلان ؛
إنما تعنى قرابته . فقالت لهم ما أمرها الله ، فلما أرادوها بعد ذلك على الكلام ،
أشارت إليه - إلى عيسى - فغضبوا وقالوا : لَسَخَرَيْتُهَا بِنَا حِينَ تَأْمَرْنَا
أَنْ نَكَلِّمَ هَذَا الصَّبِيَّ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ زَانَاهَا! ﴿ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ
فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴾ فتكلم عيسى فقال : ﴿ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ
وَجَعَلَنِي نَبِيًّا . وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَمَا كُنْتُ ﴾ ^(١) فقالت بنو إسرائيل : ما أحبلها
أحد غير زكرياء ، هو كان يدخل إليها ، فطلبوه ففرّ منهم فتشبه له
الشيطان في صورة راع ، فقال : يا زكرياء ، قد أدركوك ، فادعُ الله
حتى تفتح لك هذه الشجرة فتدخل فيها ، فدعا الله فانفتحت له الشجرة ،
فدخل فيها وبقي من رذائه هُدْبٌ ، ففرت بنو إسرائيل بالشيطان ، فقالوا :
ياراعى ، هل رأيت رجلاً من ها هنا قال : نعم سحر هذه الشجرة ،

فانفتحت له ، فدخل فيها ، وهذا هُدب رذائه ، فعمدوا فقطعوا الشجرة ، وهو فيها بالمناشير ، وليس تجد يهودياً إلا تلك الهدبة في رذائه ؛ فلما ولد عيسى لم يبق في الأرض صنم يعبد من دون الله إلا أصبح ساقطاً لوجهه .

٧٣٥/١

حدثني المثنى ، قال : حدثنا إسحاق بن الحجاج ، قال : حدثنا إسماعيل ابن عبد الكريم ، قال : حدثني عبد الصمد بن معقل ، أنه سمع وهباً يقول : إن عيسى بن مريم عليه السلام لما أعلمه الله أنه خارج من الدنيا جزع من الموت ، وشقّ عليه ، فدعا الحواريين ، فصنع لهم طعاماً ، فقال : احضروني الليلة ، فإن لي إليكم حاجة ، فلما اجتمعوا إليه من الليل ، عشّاهم وقام يخدمهم ، فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضئهم بيده^(١) ، ويمسح أيديهم بثيابه ، فتعاضموا ذلك وتكأروه ، فقال : ألا من ردّ عليّ شيئاً الليلة مما أصنع فليس منّي ولا أنا منه ! فأقرّوه حتى إذا فرغ من ذلك قال : أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام ، وغسلت أيديكم بيدي ، فليكن لكم بي أسوة ؛ فإنكم ترون أني خيركم ، ولا يتعظم بعضكم على بعض ، وليبدل بعضكم نفسه لبعض ؛ كما بذلت نفسي لكم . وأما حاجتي التي أستعينكم عليها ، فتدعون الله لي ، وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي ، فلما نصبوا أنفسهم للدعاء ، وأرادوا أن يجتهدوا ، أخذهم النوم ؛ حتى لم يستطيعوا دعاء ، فجعل يوقظهم ، ويقول : سبحان الله ! ما تصبرون لي ليلة واحدة تعينوني فيها ! قالوا : والله ما ندرى ما لنا ! لقد كنا نسمّر فنكثر السّمّر ، وما نطيق الليلة سَمراً ، وما نريد دعاءً إلا حيل بيننا وبينه ! فقال : يُذْهَب بالراعي وتترق الغنم . وجعل يأتي بكلام نحو هذا ، ينعى به نفسه ، ثم قال :

٧٣٦/١

الحقّ لي كفرنّ بي أحدكم ، قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات ؛ وليبغتنّي أحدكم بدراهم سيرة ، وليأكلنّ ثمنّي . فخرجوا فترقّوا ؛ وكانت اليهود تطلبه ، فأخذوا شمعون ، أحد الحواريين ، فقالوا : هذا من أصحابه ، فجحد وقال : ما أنا بصاحبه ، فركوه ، ثم أخذه آخر فجحد كذلك ، ثم سمع صوت ديك ،

فبكى ، فلما أصبح أتى أحدُ الحواريين إلى اليهود ، فقال : ما تجعلون لي إن دلتكم على المسيح ؟ فجعلوا له ثلاثين درهماً ، فأخذها ودلّهم عليه - وكان شُبّه عليهم قبل ذلك - فأخذوه ، فاستوثقوا منه ، وربطوه بالحبل ، فجعلوا يقودونه ، ويقولون : أنت كنت تحيي الموتى ، وتنتهر الشيطان ، وتبرئ الجنون ، أفلا تفتح نفسك من هذا الحبل ! ويصقون عليه ، ويلقون عليه الشوك ، حتى أتوا به الخشبة التي أرادوا أن يصلبوه عليها ، فرفعه الله إليه ، وصلبوا ماشبّه لهم ، فكث سبعا . ثم إن أمه والمرأة - التي كان عيسى يداويها فأبرأها الله من الجنون - جاءتا تبكيان عند المصلوب ، فجاءهما عيسى عليه السلام ، فقال : على من تبكيان ؟ فقالتا : عليك ، فقال : إني قد رفعني الله إليه ، ولم يُصنني إلاّ خير ، وإنّ هذا شيء شُبّه لهم ، فأمرًا الحواريين أن يلقوني إلى مكان كذا وكذا ، فلقوه إلى ذلك المكان أحدَ عشر ، وفقد الذي كان باعه ، ودلّ عليه اليهود ، فسأل عنه أصحابه ، فقالوا : إنه ندم على ما صنع ، فاخنته وقتل نفسه ، فقال : لو تاب تاب الله عليه ! ثم سألم عن غلام يتبعهم يقال له يحيى ، فقال : هو معكم ، فانطلقوا فإنه سيصبح كل إنسان منكم يحدث بلغة قوم^(١) فلينذرهم وليدعه .

٧٣٧/١

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن لا يتهم ، عن وهب بن منبه اليماني ، قال : توفى الله عيسى بن مريم ثلاث ساعات من النهار ، حتى رفعه الله إليه .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : والنصارى يزعمون أنه توفاه الله سبع ساعات من النهار ؛ ثم أحياه الله ، فقال له : اهبط ، فأنزل على مريم المجدلانية في جبلها ، فإنه لم يبك عليك أحد بكاءها ، ولم يحزن عليك أحد حزنها ؛ ثم لتجمع^(٢) لك الحواريين ، فسبّهم في الأرض دُعاةً إلى الله ، فإنك لم تكن فعلت ذلك . فأهبطه الله عليها ، فاشتعل الحبل حين

(١) ح : « قومه » .

(٢) ن : « ثم ليجمع لك الحواريون » .

هبط نوراً ، فجمعت له الخواريين ، فبشّهم وأمرهم ، أن يبلغوا الناس عنه ما أمره الله به ، ثم رفعه الله إليه ، فكساه الريش ، وألبسه النور ، وقطع عنه لذة الطعام والمشرب ، فطار في الملائكة وهو معهم حول العرش ، فكان إنسياً ملكياً سمائياً أرضياً ، وتفرق الخواريون حيث أمرهم ؛ فتلك الليلة التي أهبط فيها الليلة التي تدخن فيها النصارى .

وكان ممن وجهه من الخواريين والأتباع الذين كانوا في الأرض بعدهم ، فطرس الخوارى ومعه بولس — وكان من الأتباع ، ولم يكن من الخواريين — إلى رومية ، وأندرابيس ومشي^(١) إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس — وهي فيما نرى للأساود — وتوماس إلى أرض بابل من أرض المشرق ، وفيلبس إلى القيروان وقرطاجنة ؛ وهي إفريقية ، ويوحنا إلى دفسوس^(٢) ؛ قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أوريشليم ، وهي إيليا بيت المقدس ، وابن تلميذ إلى العرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمون إلى أرض البربر دون أفريقية ، ويهوذا — ولم يكن من الخواريين — إلى أريوبس^(٣) ، جعل مكان يوذس زكريا يوطا ، حين أحدث ما أحدث .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عمر ابن عبد الله بن عروة بن الزبير ، عن ابن سليم الأنصارى ، ثم الزرقى ، قال : كان على امرأة منّا نذرٌ ؛ لتظهرن على رأس الجماء — جبل بالعقيق من ناحية المدينة — قال : فظهرت معها ، حتى إذا استوينا على رأس الجبل ، إذا قبرٌ عظيم ، عليه حجران عظيمان ؛ حجر عند رأسه ، وحجر عند رجله ؛ فيهما كتاب بالمسند ، لا أدري ما هو ! فاحتملت الحجرين معي ؛ حتى إذا كنت ببعض الجبل منهبطاً ثقلاً على ، فألقيت أحدهما وهبطت

(١) ت : « ومشي » ، ن : « ومشي » .

(٢) كذا في ط ؛ وفي ياقوت : « أفسوس » ، بضم الهمزة وسكون الفاء والسينان مهملان والواو ساكنة ؛ بلد بثور طرسوس ؛ يقال إنه بلد أصحاب الكهف .

(٣) ت : « أرميقس » ، ن : « أريوبس » .

بالآخر ، فعرضته على أهل السريانية : هل يعرفون كتابه^(١) ؟ فلم يعرفوه ، وعرضته على مَنْ يكتب بالزبور من أهل اليمن ، ومن يكتب بالمسند فلم يعرفوه . قال : فلما لم أجد أحداً ممن يعرفه ألقيته تحت تابوت لنا ، فكث سنين ، ثم دخل علينا ناس من أهل ماه من الفرس يبتغون^(٢) الخرز ، فقلت لهم : هل لكم من كتاب ؟ فقالوا : نعم ، فأخرجتُ إليهم الحجر ، فإذا هم يقرءونه ، فإذا هو^(٣) بكتابتهم : هذا قبر رسول الله عيسى بن مريم عليه السلام إلى أهل هذه البلاد ؛ فإذا هم كانوا أهلها في ذلك الزمان ، مات عندهم فدفنوه على رأس الجبل .

حدثنا ابن حميد ، قال : حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم عدوا على بقية الحواريين يشتمسونهم ويعذبونهم ، وطافوا بهم ، فسمع بذلك ملك الروم — وكانوا تحت يديه ، وكان صاحب وثن — فقيل له : إن رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني إسرائيل عدواً عليه فقتلوه ، وكان يخبرهم أنه رسول الله « قد أراهم العجائب ، وأحياهم الموتى ، وأبرأ لهم الأسقام ، وحلّق لهم من الطين كهيئة الطير ، ونفخ فيه فكان طائراً^(٤) » بإذن الله ، وأخبرهم بالغيوب . قال : ويحكم ! فما منعكم أن تذكروا هذا لي من أمره وأمرهم ! فوالله لو علمت ما خلّيتُ بينهم وبينه . ثم بعث إلى الحواريين ، فانتزعهم من أيديهم ، وسألم عن دين عيسى وأمره ، فأخبروه خبره ، فتابعهم على دينهم ، واستنزل سرجس^(٥) فغيّبه ، وأخذ خشبته التي صلب عليها ، فأكرمها وصانها لما مسّها منه ، وعدا على بني إسرائيل ، فقتل منهم قتلى كثيرة ؛ فمن هنالك كان أصل النصرانية في الروم .

* * *

وذكر بعض أهل الأخبار أن مولد عيسى عليه السلام كان لمضي اثنتين وأربعين سنة من ملك أغوستوس ، وأن أغوستوس عاش بعد ذلك بقية ملكه ،

(١) ن : « كتابته » . (٢) ت : « يبتغون » .

(٣) ح : « فيه » . (٤) ح : « طيرا » .

(٥) ح : « سرجس » .

وكان جميع ملكه ستا وخمسين سنة - قال بعضهم : وأياما .

قال : ووثبت اليهود بالمسيح ، والرياسة ببيت المقدس في ذلك الوقت لقيصر ، والملك علي بيت المقدس من قبيل قيصر هيردوس الكبير الذي دخلت عليه رُسُل ملك فارس الذين وجههم الملك إلى المسيح ، فصار إلى هيردوس غاطا ، وأخبروه أن ملك فارس بعث بهم ليقرّبوا إلى المسيح أطفافًا معهم من ذهب ، ومرّ وليبان ، وأنهم نظروا إلى نجمه قد طلع ، فعرفوا ذلك بالحساب ، وقرّبوا الألفاف إليه ببيت لحم من فلسطين . فلما عرف هيردوس خبرهم كاد المسيح ، فطابه ليقتله ، فأمر الله الملك أن يقول ليوسف الذي كان مع مريم في الكنيسة ما أراد هيردوس من قتله ، وأمره أن يهرب بالغلام وأمه إلى مصر ، فلما مات هيردوس قال الملك ليوسف وهو بمصر : إن هيردوس قد مات ، وملكت مكانه أركلاوس ابنه ، وذهب من كان يطلب نفس الغلام ، فانصرف به إلى ناصرة من فلسطين ليتم قول شعيا النبي : من مصر دعوتك . ومات أركلاوس ، وملكت مكانه هيردوس الصغير ، الذي صُلب شبه المسيح في ولايته ، وكانت الرياسة في ذلك الوقت للملوك اليونانية والروم ، وكان هيردوس وولده من قبيلهم ؛ إلا أنهم كانوا يلقّبون باسم الملك ، وكان الملوك الكبار يلقّبون بقيصر ، وكان ملك بيت المقدس في وقت الصلب لهيردوس الصغير من قبل طيباريوس بن أغوستوس دون القضاء ، وكان القضاء لرجل رومي يقال له : فيلاطوس من قبيل قيصر ، وكانت رياسة الجالوت ليون بن بهوثن .

٧٤١/١

قال : وذكروا أن الذي شبّه بعيسى وصُلب مكانه رجل إسرائيل ، يقال له : أيشوع بن فنديرا . وكان ملك طيباريوس ثلاثا وعشرين سنة وأياما منها إلى وقت ارتفاع المسيح ثمانى عشرة سنة وأيام ؛ ومنها بعد ذلك خمس سنين .

ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع

المسيح عليه السلام

إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصارى

قال أبو جعفر : زعموا أن ملك الشام من فلسطين وغيرها صار بعد
طيباريوس إلى جايوس بن طيباريوس ، وأن ملكه كان أربع سنين .
ثم ملك بعده ابن له آخر ، يقال له : قلوديوس أربع عشرة سنة .
ثم ملك بعده نيرون ، الذى قتل فطرس وبولس ، وصلبه منكسا ، أربع
عشرة سنة .

ثم ملك بعده بوطلايوس ، أربعة أشهر .

ثم ملك بعده أسفسيانوس أبو ططوس الذى وجهه إلى بيت المقدس عشر
سنين . ولمضى ثلاث سنين من ملكه وتام أربعين سنة من وقت رفع عيسى
عليه السلام وجه أسفسيانوس ابنه ططوس إلى بيت المقدس ، حتى هدمه وقتل
من قتل من بنى إسرائيل غضبا للمسيح

٧٤٢/١

ثم ملك بعده ططوس بن أسفسيانوس ، سنتين .

ثم من بعده دو مطيانوس ، ست عشرة سنة .

ثم من بعده نارواس^(١) ، ست سنين .

ثم من بعده طرايانوس^(٢) ، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده هدريانوس ، إحدى وعشرين سنة .

ثم ملك من بعده ططورس^(٣) بن بطيانوس ؛ اثنتين وعشرين سنة .

ثم من بعده مرقوس وأولاده ، تسع عشرة سنة .

ثم من بعده قودوموس^(٤) ، ثلاث عشرة سنة .

(١) ت : « باذاوس » ، س : « ثادواس » . (٢) ن : « طرطانوس » .

(٣) س : « طرطوس » . (٤) ح : « قودوموس » ، س ؛ « قوروموس » .

- ثم من بعده فرطناجوس ، ستة أشهر .
 ثم من بعده سبروس (١) ، أربع عشرة سنة .
 ثم من بعده أنطنياوس (٢) ، سبع سنين .
 ثم بعده مرقيانوس ، ست سنين .
 ثم بعده أنطنياوس ، أربع سنين .
 ثم الحسندروس ، ثلاث عشرة سنة .
 ثم غسميانوس (٣) ، ثلاث سنين .
 ثم جورديانوس ، ست سنين .
 ثم بعده فليفسوس ، سبع سنين .
 ثم داقبوس ، ست سنين .
 ثم قالوس ، ست سنين .
 ثم بعده والريريانوس وقاليونس (٤) ، خمس عشرة سنة .
 ثم قلوديوس ، سنة .
 ثم من بعده قريطاليوس ، شهرين .
 ثم أورليانوس ، خمس سنين .
 ثم طيقطوس ، ستة أشهر .
 ثم فولوريوس ، خمسة وعشرين يوماً .
 ثم فرابوس ، ست سنين .
 ثم قوروس وابناه ، سنتين .
 ثم دوقلطيانوس ، ست سنين .
 ثم محسميانوس ، عشرين سنة .
 ثم قسطنطينوس ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين ، ثلاثين سنة .
 ثم قسطنطين عشرين سنة .

٧٤٣/١

(١) ت : « شيروس » ، ن : « سريوس » . (٢) ت ، ن : « أنطنياوس » .
 (٣) ح : « عمانوش » ، س : « عسانوس » ، ن : « عمانوس » .
 (٤) ت : « قاليوس » .

ثم اليانوس المناق ، سنتين .
 ثم يويانوس ، سنة .
 ثم والمطيانوس وخرطيانوس ، عشرين سنين .
 ثم خرطيانوس ووالنطيانوس الصغير ، سنة .
 ثم تباداسيس الأكبر ، سبع عشرة سنة .
 ثم أرقديوس وأنوريوس ، عشرين سنة .
 ثم تباداسيس الأصغر والنطيانوس ست عشرة سنة .
 ثم مرقيانوس ، سبع سنين .
 ثم لاون ، ست عشرة سنة .
 ثم زانون ، ثماني عشرة سنة . ثم أنسطاس ، سبعا وعشرين سنة .
 ثم يوسطنيانوس ، سبع سنين .
 ثم يوسطنيانوس الشيخ ، عشرين سنة .
 ثم يوسطينس^(١) اثنتي عشرة سنة .
 ثم طيباريوس ، ست سنين .
 ثم مريقيس وتاداسيس ابنه ، عشرين سنة .
 ثم فوقا الذي قُتل ، سبع سنين وستة أشهر .
 ثم هيرقل الذي كتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثلاثين سنة .
 فن لادن عمير بيت المقدس بعد تخريبه^(٢) بختنصر إلى الهجرة—على قولهم—
 ألف سنة ونيف ، ومن ملك الإسكندر إليها تسعمائة سنة ونيف وعشرون سنة ،
 من ذلك من وقت ظهوره إلى مولد عيسى ثلاثمائة سنة وثلاث سنين . ومن مولده
 إلى ارتفاعه اثنتان وثلاثون سنة ، ومن وقت ارتفاعه إلى الهجرة خمسمائة وخمس
 وثمانون سنة وأشهر .

* * *

وزعم بعض أصحاب الأخبار أن قتل بني إسرائيل يحيى بن زكرياء كان
 في عهد أردشير بن بابك لثماني سنين خلت من ملكه ، وأن بختنصر إنما صار
 إلى الشام لقتال اليهود من قبيل سابور الجنود ابن أردشير بن بابك

(١) ت ، ح ، ن : « بوسطين » ، س : « بوسطيس » .

(٢) ابن الأثير : « بعد أن أحره بختنصر » .

نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف

وكان من الأحداث أيام ملوك الطوائف إلى قيام أردشير بن بابك بالملك
— فيما ذكر هشام بن محمد — دنو من دنو من قبائل العرب من ريف
العراق ونزول من نزل منهم الحيرة والأنبار وما حوالى ذلك .

فحدثت عن هشام بن محمد، قال : لما مات بختنصر انضم الذين كان
أسكنهم الحيرة من العرب حين أمر بقتالهم إلى أهل الأنبار وبقية الحيرة
خرابا ، فغبروا بذلك زماناً طويلاً ، لا تطلع عليهم طالعة من بلاد العرب ،
ولا يقدم عليهم قادم ، وبالأنبار أهلها ومن انضم إليهم من أهل الحيرة من
قبائل العرب من بني إسماعيل وبني معد بن عدنان ؛ فلما كثر أولاد معد
ابن عدنان ومن كان معهم من قبائل العرب ، وملثوا بلادهم من تهامة وما يليهم ،
فرقتهم حروب وقعت بينهم ، وأحداث حدثت فيهم ، فخرجوا يطلبون المتسع
والريف فيما يليهم من بلاد اليمن وشارف الشام ، وأقبلت منهم قبائل حتى
نزلوا البحرين ، وبها جماعة من الأزدي كانوا نزلوها في دهر عمران بن عمرو ،
من بقايا بني عامر ، وهو ماء السماء بن حارثة^(٢) ، وهو الغطريف بن ثعلبة بن
امرئ القيس بن مازن بن الأزدي^(٣) .

وكان الذين أقبلوا من تهامة من العرب مالك وعمرو ابنا فهيم بن تيم الله
ابن أسد بن وبرة بن تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ،
ومالك بن زهير بن عمرو بن فهيم بن تيم الله بن أسد بن وبرة ، في جماعة من

(١) ح ، وابن الأثير : « وبقية لطيرة » (٢) ت « حارثة » .

(٣) في معجم البلدان ٣ : ٢٧٨ : « ومازن هو جماع غسان ، وغسان ماء شرب منه بنومازن
فسموا غسان ، ولم تشرب منه خزاعة ولا أسلم ولا بارق ولا أزد عمان ؛ فلا يقال لواحد من هذه القبائل
غسان ، وإن كان من أولاد مازن » .

قومهم ، والحيفار^(١) بن الحيق^(٢) بن عمير بن قنص بن معد بن عدنان ،
في قنص كلها . ولحق بهم غطفان بن عمرو بن الطمّثان بن عوذ مائة بن يقْدُم
ابن أفضى بن دُعْمَيّ بن إِيَاد بن نزار بن معد بن عدنان ، وزُهْر^(٣) بن
الحارث بن الشلل^(٤) بن زهر بن إِيَاد وصُبح ، بن صبيح^(٥) بن الحارث بن
أفضى بن دُعْمَيّ بن إِيَاد .

٧٤٦/١

فاجتمع بالبحرين جماعة من قبائل العرب ، فتحالفوا على التَّنُوخ — وهو
المقام — وتعاقدوا على التوازر والتناصر ، فصاروا يداً على الناس ، وضمتهم
اسم تَنُوخ ، فكانوا بذلك الاسم ، كأنهم عمارة من العماثر .

قال : وتَنُوخ عليهم بطون من نُمارة بن لحم . قال : ودعا مالك بن زهير
جدّه بيمّة الأبرش بن مالك بن فهم بن غانم بن دَوْس الأزدي إلى التَّنُوخ معه ،
وزوجه أخته لميس ابنة زهير ، فتنخّ جدّ بيمّة بن مالك وجماعة ممن كان بها
من قومهم من الأزدي ، فصار مالك وعمرو ابنا فهم والأزدي حلفاء دون سائر
تَنُوخ ، وكلمة تَنُوخ كلها واحدة .

٧٤٧/١

وكان اجتماع من اجتمع من قبائل العرب بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم أزمان
ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر ، وفرّق البلدان بينهم عند قتله دارا بن
دارا ملك فارس ، إلى أن ظهر أردشير بن بابك ملك فارس على ملوك الطوائف ،
وقهرهم ودان له الناس ، وضبط له الملك .

قال : وإنما سُمّوا ملوك الطوائف ؛ لأنّ كلّ ملك منهم كان ماكه قليلا من
الأرض ، إنما هي قصور وأبيات ، وحولها خندق وعدوّه قريب منه ، له من
الأرض مثل ذلك ونحوه ، يُغيّر أحدهما على صاحبه ثم يرجع كالخطفة .

قال : فتطلّعت أنفسُ من كان بالبحرين من العرب إلى ريف العراق ،

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ ومعجم البلدان : « الحيقاد » ، وابن خلدون ٢ : ٤ : « الحفتار » .

(٢) معجم البلدان : « الحيوّة » .

(٣) ابن خلدون : « زهير » .

(٤) ح : « السلل » وفي ابن خلدون : « الليل » .

(٥) في ط من غير فقط ؛ وما أثبتته عن ابن خلدون .

وظمعوا في غلبة الأعاجم على ما يلي بلاد العرب منه أو مشاركتهم فيه ، واهتبلوا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف ، فأجمع رؤسائهم بالمسير^(١) إلى العراق ، ووطن جماعة ممن كان معهم على ذلك ؛ فكان أول من طلع منهم الحيقار بن الحيق في جماعة قومه وأخلائه من الناس ، فوجدوا الأرمنيين — وهم الذين بأرض بابل وما يليها إلى ناحية الموصل — يقاتلون الأردوانيين ، وهم ملوك الطوائف ؛ وهم فيما بين نِفَر^(٢) — وهي قرية من سواد العراق إلى الأبلّة وأطراف البادية — فلم تَدِن لهم ، فدفعوهم عن بلادهم .

قال : وكان يقال لعاد إرم ، فلما هلكت قيل لشمود إرم ، ثم سموا

الأرمنيين ؛ وهم بقايا إرم ، وهم نَبَط السواد . ويقال لدمشق : إرم .

قال : فارتفعوا عن سواد العراق وصاروا أشلاء بعد في عرب الأنبار وعرب

الحيرة ، فهم أشلاء قَنَص بن معدّ ، وإليهم ينسب عمرو بن عدى بن نصر ابن ريبة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن عمّ بن نُمارة بن لحم .

وهذا قول مضر^(٣) وحمّاد الرواية ؛ وهو باطل ، ولم يأت في قَنَص

ابن معدّ شيء أثبت من قول جُبَيْر بن مُطْعِم : إنّ النعمان كان من ولده .

قال : وإنما سميت الأنبار أنبار لأنها كانت تكون فيها أنابيب الطعام ،

وكانت تسمى الأهراء^(٤) ، لأن كسرى يرزق أصحابه رزقهم منها .

قال : ثم طلع مالك وعمرو ، ابنا فَهْم بن تيم الله ، ومالك بن زهير بن

فَهْم بن تيم الله ، وغطّمان بن عمرو بن الطمّثان ، وزهر بن الحارث وصُبح

ابن صُبيح ؛ فيمن تنخ عليهم من عشائهم وحلفائهم على الأنبار ، على ملك

الأرمنيين ، فطلع نُمارة بن قيس بن نُمارة ، والنجدة — وهم قبيلة من العماليق

يدعون إلى كندة — وملكان بن كندة ، ومالك وعمرو ابنا فَهْم ومن حالفهم ،

وتنخ معهم على نِفَر على ملك الأردوانيين ، فأنزلهم الحير الذي كان بناه

(١) ابن الأثير ١ : ١٩٦ : « على المسير » .

(٢) كذا ضبطها ياقوت : « بكسر أوله وتشديد ثابته وراء » .

(٣) ابن خلدون : « عند نسابة مضر » .

(٤) قال ياقوت : « فلما دخلتها العرب عربتها فقالت الأنبار » .

٧٤٩/١ بختنصر لتجار العرب الذين وجدوا^(١) بحضرته حين أمر بغزو العرب في بلادهم ، وإدخال الجيوش عليهم ، فلم تزل طالعة الأنبار وطالعة نيفر على ذلك ، لا يدينون للأعاجم ، ولا تدين لهم الأعاجم ؛ حتى قدمها تبع - وهو أسعد أبو كرب بن ملكي كرب - في جيوشه ، فخلف بها من لم تكن به قوة من الناس ، ومن لم يتقوا على المضي معه ، ولا الرجوع إلى بلاده ، وانضموا إلى هذا الحير ، واختلطوا بهم ؛ وفي ذلك يقول كعب بن جعيل بن عجرة بن قميير بن ثعلبة بن عوف بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بن وائل :

وَعَزَا تُبِعٌ فِي حِمِيرٍ حَتَّى نَزَلَ الْحَيْرَةَ مِنْ أَهْلِ عَدَنُ

وخرج تبع سائراً ثم رجع إليهم ، وأقاموا فأقرهم على حالهم ، وانصرف راجعاً إلى اليمن ، وفيهم من كل القبائل من بني لحيان ؛ وهم بقايا جرهم ؛ وفيهم جعفي ، وطيء ، وكلب ، وتميم ؛ وليسوا إلا بالحيرة - يعني بقايا جرهم . قال ابن الكلبي : لحيان بقايا جرهم .

ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة وما بين الحيرة إلى طف الفرات وغربيته ، إلى ناحية الأنبار وما والاها في المظال والأخبية ، لا يسكنون بيوت المدر ، ولا يجامعون أهلها فيها ، واتصلت جماعتهم فيما بين الأنبار والحيرة ، وكانوا يسمون عرب الضاحية ؛ فكان أول من ملك منهم في زمان ملوك الطوائف مالك بن فهم ، وكان منزله مما^(٢) يلي الأنبار . ثم مات مالك ، فلك من بعده أخوه عمرو بن فهم . ثم هلك عمرو بن فهم ، فلك من بعده جديمة الأبرش بن مالك بن فهم بن غنم^(٣) بن دوس الأزدي .

٧٥٠/١ قال ابن الكلبي : دوس بن عدنان بن عبد الله بن نصر بن زهران ابن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن

(١) كذا في ح ، وفي ط : « وجد »

(٢) ت ، ح : « فيما » .

(٣) في ط « غانم » ، والصواب ما أثبتته من جمهرة الأنساب ٣٥٨ .

الغوثن بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ .

* * *

قال ابن الكلبي : ويقال إن جدّيمة الأبرش من العاربة الأولى ، من بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح . قال : وكان جدّيمة من أفضل ملوك العرب رأياً ، وأبعدهم مغاراً ، وأشدّهم نكابة ، وأظهرهم حزماً ، وأوّل من استجمع له الملك بأرض العراق ؛ وضمّ إليه العرب ، وغزا بالجيوش ، وكان به برّص ، فكنت العرب عنه ، وهابت العرب أن تسميه به وتنسبه إليه إعظاماً له ، فقيل : جدّيمة الوضّاح ، وجدّيمة الأبرش ؛ وكانت منازلها فيما بين الحيرة والأنبار وبقّة وهيت وناحتها ، وعين التّمّر ، وأطراف البرّ إلى الغويّير^(١) والقطّططانة وخفّية وما والاها ، وتُجسّى إليه الأموال ، وتقد إليه الوفود ، وكان غزا طسما وجديسا في منازلهم من جعر وما حولهم ؛ وكانت طسم وجديس يتكلمون بالعربية ، فأصاب حسان بن تبع أسعد أبي كرب ، قد أغار على طسم وجديس باليمامة ، فانكفاً جدّيمة راجعاً بمن معه ، وتأتى خيول تبع على سريّة لجدّيمة فاجتاحتها ، وبلغ جدّيمة خبرهم ، فقال جدّيمة^(٢) :

رُبَمَا أَوْفَيْتُ فِي عِلْمٍ تَرَفَعَنْ بُرْدِي شِمَالَاتٍ^(٣)
 فِي فُتُوِّ أَنَا كَالْتُهُمَّ فِي بَلَايَا غَزْوَةٍ بَاتُوا^(٤)
 مُمَّ أَبْنَا غَانِمِي نَعَمٍ وَأُنَاسٌ بَعْدَنَا مَاتُوا
 نَحْنُ كُنَّا فِي مَمَرِهِمْ إِذْ مَرَّ الْقَوْمُ خَوَاتُ
 لَيْتَ شِعْرِي مَا أَمَاتَهُمْ نَحْنُ أَدْلَجْنَا وَهُمْ بَاتُوا^(٥)

(١) ط : « الغمير » وانظر معجم البلدان .

(٢) وردت أبيات من هذه القصيدة في سيبويه ٢ : ١٥٤ ، وابن سلام ٣٢ ، ٣٣ ، والأغاني ١٤ ، ٧٣ ، والمؤتلف للآمدى ٣٤ . والخزانة ٤ : ٥٦٧ ؛ مع اختلاف في الرواية .

(٣) أوفيت : أشرفت ، والعلم : المرتفع من الأرض ، والشمالات : جمع الشمال ؛ من الرياح والنون في « يرفعن » ، تأكيد للفعل ضرورة .

(٤) فتو : جمع فتى ، وكالتهم : حافظهم . (٥) الإدلاج : سير الليل كله .

وَلَنَا كَانُوا وَنَحْنُ إِذَا قَالَ مِنَّا قَاتِلٌ صَاتُوا
 وَلَنَا أَلْبِيدُ أَلْبَعَادُ الَّتِي أَهْلَهَا السُّودَانُ أَشْتَاتُ
 مُبْمَةُ الْأَخْيَارِ شَاهِدَةٌ ذَاكُمْ قَوْمِي وَأَهْلَاتِي (١)
 قَدْ شَرِبْتُ الْخَمْرَ وَسَطَهُمْ نَاعِمًا فِي غَيْرِ أَصْوَاتِ
 فَعَلَى مَا كَانَ مِنْ كَرَمٍ فَسَتَّبِكْنِي بِنِيَاتِي
 أَنَا رَبُّ النَّاسِ كُلِّهِمْ غَيْرَ رَبِّي الْكَافِتِ الْفَاتِ

يعنى بالكافت الذى يكفت أرواحهم ، والقات الذى يفيتهم (٢) أنفسهم ؛
 يعنى الله عز وجل .

قال ابن الكلبي : ثلاثة أبيات منها حق ، والبقية باطل .
 قال : وفي مغازيه وغاراته على الأمم الحالية من العاربة الأولى يقول الشاعر
 في الجاهلية :

أَضْحَى جَدِيمَةٌ فِي يَبْرِينَ مَنَزَلِهِ قَدْ حَازَ مَا جَمَعَتْ فِي دَهْرِهَا عَادُ

٧٥٢/١

فكان جديمة قد تنبأ وتكهّن ، واتخذ صنمين ؛ يقال لهما : الضيزنان —
 قال : ومكان الضيزنين بالحيرة معروف — وكان يستقى بهما ويستنصر بهما
 على العدو ، وكانت إياد بعين أباغ ، وأباغ رجل من العماليق ، نزل بتلك
 العين ، فكان يغازيهم ؛ فذكّر لجديمة غلام من لحم في أخواله من إياد
 يقال له عدى بن نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سعود بن مالك بن
 عجم بن نُمارة بن لحم ، له جمال وظرف ، فغزاهم جديمة ، فبعث إياد قوماً
 فسقوا سدنة الصنمين الحمر ، وسرقوا الصنمين ، فأصبحا في إياد ، فبعث
 إلى جديمة : إن صنميك أصبحا فينا ، زهداً فيك ورغبة فينا ؛ فإن أوثقت لنا
 ألا تغزونا رددناهما إليك .

قال : وعدى بن نصر تدفعونه إلى . فدفعوه إليه مع الصنمين ، فانصرف

(١) ط : « ثبوة » . وفي البيت وما بعده إقراء ، وانظر حواشي ط .

(٢) ط : « يفيتهم » .

عنهم ، وضمّ عديّاً إلى نفسه ، وولاه شرابه ، فأبصرته رقاش ابنة مالك
أخت جدّيمة ، فعشّقته وراسلته ، وقالت : يا عدى ، اخطبني إلى الملك ،
فإنّ لك حسباً وموضعاً ، فقال : لا أجترئ على كلامه في ذلك ، ولا أطمع
أن يزوّجنيك ، قالت : إذا جلس على شرابه ، وحضره ندماؤه ، فاسقه
صرفاً ، واسق القوم مِزاجاً ، فإذا أخذت الحمرة فيه ، فاخطبني إليه ، فإنه
لن يردك ، ولن يمتنع منك ؛ فإذا زوّجك فأشهد القوم ؛ ففعل الفتى ما أمرته
به ، فلما أخذت الحمرة مأخذها خطبها إليه ، فأملكه إياها ، فانصرف
٧٥٣/١ إليها ، فأعرس بها من ليلته ، وأصبح مضرباً بالخلق ، فقال له جدّيمة
— وأنكر ما رأى به : ما هذه الآثار يا عدى ؟ قال : آثار العرس ، قال
أى عرس ! قال : عرس رقاش ! قال : من زوّجكها ويحك ! قال :
زوّجنيها الملك ، فضرب جدّيمة بيده على جبهته ، وأكبّ على الأرض ندامة
وتلهفّاً ، وخرج عدى على وجهه هارباً ، فلم ير له أثر ، ولم يُسمع له
بذكر ، وأرسل إليها جدّيمة ، فقال :

حدّثيني وأنت لا تكذّبيني أبحر زنيّت أم بهجين !
أم ببعد فانت أهل لبعد أم بدون فانت أهل لدون
فقلت : لا بل أنت زوجتني امرأ عربياً ، معروفاً حسيباً ، ولم تستأمرني
في نفسي ، ولم أكن مالكة لأمرى ؛ فكفّ عنها ، وعرف عذرها .
ورجع عدى بن نصر إلى إباد ، فكان فيهم ، فخرج ذات يوم مع فتية
متصيّدين ، فرى به فتى منهم من لُهب فيما بين جبليين ، فتنكّس فات ،
واشتملت رقاش على حبيل^(١) ، فولدت^(٢) غلاماً ، فسمّته عمراً ورشّحته^(٣) ؛
حتى إذا ترعرع عطّرتّه وألبسته وحلته ، وأزارته خاله جدّيمة ، فلما رآه أعجب
به ، وألقبت عليه منه مِقة ومحبة ، فكان يختلف مع ولده ، ويكون معهم .
فخرج جدّيمة متبدياً بأهله وولده في سنة خصبة مكلّنة ، فضربت له أبنية
في روضة ذات زهرة وغدُر^(٤) ، وخرج ولده وعمرو معهم يجتنون الكمأة ،

(١) ح : « حمل » . (٢) كذا في ابن الأثير ، وفي ط : « فتلد » .

(٣) رشّحته ، أي ربّته . (٤) غدر : جمع غدير .

٧٥٤/١ فكانوا إذا أصابوا كماءً بجديده أكلوها ، وإذا أصابها عمرو وخبأها في حَجْرَتِهِ (١) فانصرفوا إلى مجديمة يتعادون ، وعمرو يقول :

هَذَا جَنَائِي وَخِيَارُهُ فِيهِ إِذْ كُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

فضمته إليه جديمة والترمه ، وسرّ بقوله وفعله ، وأمر فجعل له حلياً من فضة وطوق ، فكان أولَ عربيّ ألبس طوقاً ، فكان يسمى عمراً ذا الطوق ، فبينما هو على أحسن حاله ، إذ استطارته الجنّ فاستهوته ، فضرب له جديمة في البلدان والآفاق زماناً لا يقدر عليه . قال : وأقبل رجلان أخوان من بَلَقِيْنِ - يقال لهما : مالك وعقيل ، ابنا فارح بن مالك بن كعب بن القيس بن جسر ابن شيع الله بن أسد بن وبيرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة - من الشام يريدان جديمة ، قد أهديا له طُرْفًا ومتاعاً ، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلاً ، ومعهما قيسنة لهما يقال لها : أم عمرو ، فقدمت إليهما طعاماً ، فبينما هما يأكلان إذ أقبل فتى عريان شاحب ، قد تلبّد شعره ، وطالت أظفاره ، وساءت حاله ، فجاء حتى جلس حَجْرَةً (٢) منهما ، فمدّ يده يريد الطعام ، فناولته القيسنة كُرَاعاً (٣) ، فأكلها ثم مدّ يده إليها ، فقالت : « تعطي العبد كُرَاعاً فيطعم في الذراع » ، فذهبت مثلاً ، ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها ، وأوكت زَقَمَهَا (٤) ، فقال عمرو بن عدى :

صَدَدَتْ الْكَأْسَ عَنَّا أُمَّ عَمْرٍو وَكَانَ الْكَأْسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينَا (٥)

٧٥٥/١

وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ أُمَّ عَمْرٍو بِصَاحِبِكِ الَّذِي لَا تَصْبِحِينَا (٦) !

فقال مالك وعقيل : من أنت يا فتى ؟ فقال : إن تنكراني أو تنكرا نسبي ، فإني أنا عمرو بن عدى ، ابن تنوخية ، اللخمي ، وغداً ما ترياني في نماره غير معصى .

(١) الحجزة : معقد الإزار ، وفيت : « حجرتة » . (٢) الحجرة : الناحية .

(٣) الكراع : مستند الساق من البقر . الغم .

(٤) الزق : السقاء ، وأوكتي الزق : ربطه وشد عليه .

(٥) البيتان ينسبان إلى عمرو بن كلثوم ؛ وهما في معلقته ص ٢١١ - بشرح التبريزي .

(٦) في المملقات : « لا تصبحينا » .

فنهضاً إليه فضماً وغسلاً رأسه، وقلماً أظفاره، وأخذاً من شعره وألبسناه
 بما كان معهما من الثياب وقالوا: ما كنا لنُهدِيَ بلحديمة هدية أنفسنا
 عنده، ولا أحب إليه من ابن أخته، قد رده الله عليه بنا. فخرجا به، حتى
 دفعا إلى باب جديمة بالحيرة، فبشراه، فسراً بذلك سروراً شديداً؛ وأنكره
 لحال (١) ما كان فيه، فقالوا: أبيت اللعن! إن من كان في مثل حاله يتغير.
 فأرسل به إلى أمه، فكث عندها أياماً ثم أعادته إليه، فقال: لقد رأيتُه يوم
 ذهب وعليه طوق، فما ذهب عن عيني ولا قلبي إلى الساعة، فأعادوا عليه
 الطوق، فلما نظر إليه قال: «شب عمرو عن الطوق»، فأرسلها مثلاً، وقال
 للملك وعقيل: حُكْمَكُمَا، قالوا: حُكْمُنَا منادمتك ما بقينا وبقيت!
 فهما ندمانا جديمة اللذان ضرباً مثلاً في أشعار العرب، وفي ذلك يقول
 أبو خراش الهذلي:

لَعْمَرُكَ مَا مَلَّتْ كَبِيْشَةُ طَلَعَتِي وَإِنَّ ثَوَانِي عِنْدَهَا لَقَلِيلٌ (٢)
 أَلَمْ تَعْلَمِي أَنْ قَدْ تَفَرَّقَ قَبْلَنَا نَدِيمَا صَفَاءَ مَالِكٍ وَعَقِيلُ
 وقال مُتَمِّمٌ بن نُوَيْرَةَ:

وَكَأَنَّكَ دَمَانِي جَدِيْمَةٌ حَقِيْبَةٌ مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قَبِيْلٍ لَنْ يَتَّصِدَعَا (٣)
 فَلَمَّا تَفَرَّقْنَا كَأَنِّي وَمَالِكَا لَطُوْلٍ أَجْتَمَاعٍ لَمْ نَبِتْ لَيْلَةٌ مَعَا

* * *

وكان ملك العرب بأرض الجزيرة ومشارف بلاد الشام عمرو بن ظرب
 ابن حسان بن أذينة بن السميدع بن هوبر العمليقي - ويقال العمليقي، من

(١) ن: «بحال».

(٢) ديوان الهذليين ٢: ١١٦. والثواء: المقام، وبعد البيت الأول وقبل الثاني:

تَقُولُ أَرَاهُ بَعْدَ عُرْوَةٍ لَاهِيَا وَذَلِكَ رُزْءٌ أَوْ عَلِمْتَ جَلِيلُ
 وَلَا تَحْسَبِي أُنَى تَنَاسَيْتُ عَهْدَهُ وَلَكِنَّ صَبْرِي يَا أُمَيْمَ جَمِيلُ

(٣) من قصيدة مفضلية ص ٢٦٧.

عاملة العماليق ، فجمع جديمة جموعاً من العرب ، فسار إليه يريد غزاته ، وأقبل عمرو بن ظرب بجموعه من الشام ، فالتقوا ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فقتل عمرو بن ظرب ، وانقضت جموعه ، وانصرف جديمة بن معه سالمين غانمين ، فقال في ذلك الأعور بن عمرو بن هناة بن مالك بن فهم الأزدي :

كَانَ عَمْرُو بْنُ ثَرْبِيٍّ لَمْ يَعِشْ مَلِكًا وَلَمْ تَكُنْ حَوْلَهُ الرَّايَاتُ مُخْتَفِقًا (١)
لَاقَى جَدِيمَةَ فِي جَاوَاءِ مُشْعَلَةٍ فِيهَا حَرَّاشِفٌ بِاللَّيْرَانِ تَرْتَشِقُ (٢)

٧٥٧/١

* * *

فلكت من بعد عمرو ابنته الزباء واسمها نائلة ، وقال في ذلك القعقاع بن الدرماء الكلبي :

أَتَعْرِفُ مَنْزِلًا بَيْنَ الْأُمْنَقِيِّ وَبَيْنَ مَجْرٍ نَائِلَةَ الْقَدِيمِ

وكان جنود الزباء بقايا من العماليق والعارية الأولى ، وتزيد وسليح ابني حلدوان ابن عمران بن الحاف بن قضاة ، ومن كان معهم من قبائل قضاة ، وكانت للزباء أخت يقال لها زبيبة ، فبنت لها قصرأ حصيناً على شاطئ الفرات الغربي ، وكانت تشتتو عند أختها ، وتربع ببطن النجار ، وتصير إلى تدمر . فلما أن استجمع لها أمرها ، واستحکم لها ملكها ، أجمعت لغزو جديمة الأبرش تطلب بثأر أبيها ، فقالت لها أختها زبيبة - وكانت ذات رأى ودهاء وإرب : يا زباء ؛ إنك إن غزوت جديمة فإنما هو يوم له ما يعده ؛ إن ظفرت أصبت ثأرك ، وإن قتلت ذهب ملكك ، والحرب سجال ، وعثراتها لا تستقال (٣) ، وإن كعبك لم يزل سامياً على من ناوك وسامك ، ولم ترى بؤساً ولا غيمراً ، ولا تدرين لمن تكون العاقبة ، وعلى من تكون الدائرة ! فقالت لها الزباء : قد أديت النصيحة ، وأحسن الروية ، وإن الرأي ما رأيت ، والقول ما قلت . فانصرفت عما كانت أجمعت عليه من غزو جديمة ، ورفضت ذلك ، وأتت

٧٥٨/١

(١) البيهقي في شرح المقامات للشريشي ٢ : ٥

(٢) الجاوء : الكتيبة . والحرف : الرجالة ؛ شهوا بجماعة الجراد .

(٣) ح : « تقال » .

أمرها من وجه الختل^(١) والخذع والمكر. فكتبت إلى جذيمة تدعوه إلى نفسها وملكها ، وأن يصلَ بلاده ببلادها . وكان فيما كتبت به : أنها لم تجد مُلْكَ النساء إلاّ إلى قبيح في السماع ، وضعف في السلطان ، وقلة ضبط المملكة ، وإنما لم تجدْ لملكها موضعاً ، ولا لنفسها كفتاً غيرك ، فأقبلَ إلىّ ، فأجمع مُلْكِي إلى مُلْكِكَ ، وصلِ بلادى ببلادك ، وتقلدْ أمرى مع أمرك .

فلما انتهى كتابُ الزّباء إلى جذيمة ، وقدم عليه رسلُها استخفّه ما دعته إليه ، ورغب فيما أطمعته فيه ، وجمع إليه أهلَ الحجى والنهى ، من ثقات أصحابه ، وهو بالبقّة من شاطئ الفرات ، فعرض عليهم ما دعته إليه الزّباء ، وعرضته عليه ، واستشارهم في أمره ، فأجمع رأيهم على أن يسير إليها ، ويستوليَ على ملكها . وكان فيهم رجل يقال له قصير بن سعد بن عمر^(٢) بن جذيمة بن قيس بن ربي^(٣) بن نمارة بن لخم . وكان سعدتزوج أمةً لجذيمة ، فولدت له قصيراً ، وكان أريباً حازماً ، أثيراً عند جذيمة ، ناصحاً ، فخالفهم فيما أشاروا به عليه ، وقال : « رأى فاتر ، وغدر حاضر » ، فذهبت مثلاً . فرادوه الكلامَ ونازعوه الرأى ، فقال : « إني لأرى أمراً ليس بالחסا ولا الزكا »^(٤) ، فذهبت مثلاً . وقال لجذيمة : اكتب إليها ، فإن كانت صادقةً فلتقبل إليك ، وإلا لم تمكّنها من نفسك ، ولم تقع في جبالها ، وقد وترتها ، وقتلت أباها . فلم يوافق جذيمة ما أشار به عليه قصير ، فقال قصير :

إني أمرؤ لا يُميلُ العجزُ ترؤيتي إذا أتت دونَ شيءٍ مرةً الوذم

فقال جذيمة : لا واكنك امرؤ رأيتك في الكين لا في الضحج ، فذهبت مثلاً . فدعا جذيمة ابنَ أخته عمرو بن عدى فاستشاره ، فشجّعه على المسير ،

(١) ح : « الخيل » .

(٢) في الأغاني وابن خلدون والشريشي : « عمرو » .

(٣) كذا في س وفي ابن خلدون : « إربي » .

(٤) من قول العرب للزوج زكا وللغرد حسا ؛ ومنه : « ما أدري كم حدثني أبي عن

رسول الله صل الله عليه وسلم : أخسا أم زكا » . وانظر اللسان - حسا .

وقال : إن (١) نُمارة قومي مع الزبباء ، ولو قد روا لصاروا معك ، فأطاعه وعصى
قصيراً ، فقال قصير : « لا يطاع لقصير أمر » ، وفي ذلك يقول نهشل بن حَرَيِّ
ابن ضَمْرَةَ بن جابر التميمي :

وَمَوْلَى عَصَانِي وَاسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ كَمَا لَمْ يُطِغْ بِالْبَقَّتَيْنِ قَصِيرٌ (٢)
فَلَمَّا رَأَى مَا غِيبَ أَمْرِي وَأَمْرِهِ وَوَلَّتْ بِأَعْجَازِ الْأُمُورِ صُدُورٌ (٣)
تَمَنَّى تَنْيِشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعِي وَقَدْ حَدَّثَتْ بَعْدَ الْأُمُورِ أُمُورٌ

وقالت العرب : « ببقّة أبرم الأمر » ، فذهبت مثلاً ، واستخلف
جذيمة عمرو بن عدى على مملكته وسلطانه ، وجعل عمرو بن عبد الجين الجرمي
معه على خيوله ، وسار في وجوه أصحابه ، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي .
فلما نزل الفُرْضَةَ دعا قصيراً ، فقال : ما الرأي ؟ قال : « ببقّة تركت الرأي » ،
فذهبت مثلاً ، واستقبلته رُسُلُ الزبباء بالهدايا والأطاف ، فقال : يا قصير ،
كيف ترى ؟ قال : « خَطَرٌ يسيرٌ في خَطْبِ كبير » (٤) ، فذهبت مثلاً ،
وستلقاك الخيول ؛ فإن سارت أمامك فإن المرأة صادقة ؛ وإن أخذت
جنبيك وأحاطت بك من خلفك ؛ فإن القوم غادرون ، فاركب العصا -
وكانت فرساً لجذيمة لا تجاري - فإنني راكبها ومسايرك عليها . فلقيته الخيول
والكتائب ، فحالت بينه وبين العصا ، فركبها قصير ، ونظر إليه جذيمة مولياً
على متنها ، فقال : « ويل أمّه حَزَمًا على ظهر العصا ! » ، فذهبت مثلاً ،
فقال : يا ضُلٌّ ما تجرى به العصا ! وجرت به إلى غروب الشمس ثم نَقَمْتُ ،
وقد قطعت أرضاً بعيدة ، فبني عليها بُرْجًا يقال له برج العصا . وقالت العرب :
« خيرٌ ما جاءت به العصا » ، مثل تضر به .

وسار جذيمة ، وقد أحاطت به الخيول ، حتى دخل على الزبباء ، فلما

(١) ح : « إنما » ، وكذا في ابن الأثير .

(٢) الأبيات في اللسان ٨ : ٢٤١ ، وياقوت ٢ : ٢٥٣ .

(٣) في ط : « فلما تبين » ، وأثبت ما في ياقوت واللسان .

(٤) في مجمع الأمثال ن ١ : ٢٣٣ : « خطب يسير » .

رأته تكشفت فإذا هي مضمفورة الإسب^(١)، فقالت: يا جذيمة « أدأب عروس ترى ! »^(٢)، فذهبت مثلاً، فقال: بلغ المدى، وجفّ الثرى، وأمرَ غَدْرَ أرى، فقالت: « أما وإلهي ما بنا من عدم مَوَاسٍ، ولا قَلَّةَ أُوَاسٍ؛ ولكنه شيمة ما أناس »^(٣). فذهبت مثلاً، وقالت: إني أنبت أن دماء الملوك شفاءٌ من الكلب، ثم أجلسه على نطع، وأمرت بَطَسْتُ من ذهب، فأعدته له وسقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه، وأمرت براهشيه قطعاً، وقدّمت ٧٦١/١ إليه الطسّ، وقد قيل لها: إن قَطَرَ من دمه شيءٌ في غير الطسّ طلب بدمه - وكانت الملوك لا تُقتل بضرب الأعناق إلا في قتال، تَكْرِمَةً للملِك - فلما ضعفت يدها سقطتا، فقطر من دمه في غير الطسّ، فقالت: لانضبيعوا دم الملك، فقال جذيمة: « دعوا دما ضيِّعه أهله »، فذهبت مثلاً، فهلك جذيمة واستبقت^(٤) الزباء دمه، فجعلته في بَرس^(٥) قطن في رُبْعَة لها، وخرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم؛ حتى قدم على عمرو ابن عدى وهو بالحيرة، فقال له قصير: أدائر أم نائير^(٦)، قال: لا، بل نائير سائير، فذهبت مثلاً، ووافق قصير الناس وقد اختلفوا، فصارت طائفة منهم مع عمرو بن عبد الجنّ الجرمي، وجماعة منهم مع عمرو بن عدى؛ فاختلف بينهما قصير حتى اصطالحا؛ وانقاد عمرو بن عبد الجنّ لعمرو بن عدى، ومال إليه الناس، فقال عمرو بن عدى في ذلك:

(١) ت، س: « الاست »، ح: « السوة »، والاسب: شعر الاست.

(٢) كذا في الطبري وابن الأثير وتجارب الأمم ٩، وفي المغتالين من الأشراف ١١٤:

« أدأب عروس »، وفي المسعودي ٢: ٩٤: « أمى متاع عروس »؛ وبعدها في الأغاني ١٤: ٧٤: « بل أرى متاع أمة لكما غير ذات خفر ».

(٣) في الأغاني: « شيمة من أناس ».

(٤) كذا في ح، وفي ط: « واستشفت »، وفي المسعودي: « استصفت ».

(٥) كذا في ط، وفي المسعودي: « وجعلته في برنية ».

(٦) في الميداني: « أنائر أنت ».

دَعَوْتُ ابْنَ عَبْدِ الْجِنِّ لِلْسَّلْمِ بَعْدَ مَا
فَلَمَّا ارْعَوَى عَنْ صَدْنَا بِاعْتِرَامِهِ
تَتَابَعِ فِي غَرْبِ السَّفَاهِ وَكَلَّمَا (١)

فقال عمرو بن عبد الجن مجيباً له :

أَمَا وَدِمَاءَ مَائِرَاتٍ تَخَالُهَا
وَمَا قَدَسَ الرَّهْبَانُ فِي كُلِّ هَيْكَلٍ
عَلَى قَلَّةِ الْعُزَى أَوْ النَّسْرِ عِنْدَمَا
أَبِيلَ الْأَبِيلِينَ الْمَسِيحَ بَنَ مَرِيماً

٧٦٢/٩

— قال : هكذا وجد الشعر ليس بتام ؛ وكان ينبغي أن يكون البيت الثالث :

« لقد كان كذا وكذا » —

— فقال قصير لعمرو بن عدى : تهبأ واستعد ، ولا تُطِيلْ دمَ خالك .

قال : وكيف لي بها وهي أمتع من عُقَابِ الجَوْ؟ فذهبت مثلاً ، وكانت الزبَاءُ سألت كاهنةً لها عن أمرها وملكها ، فقالت : أرى هلاكك بسبب غلام مهين ؛ غير أمين ، وهو عمرو بن عدى ؛ ولن تموت بيده ، ولكن حتفك بيدك ، ومن قبله ما يكون ذلك . فحدّرت عمراً ، واتخذت نفقاً من مجلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها ، وقالت : إن فجأتني أمر دخلت النفق إلى حصنى . ودعت رجلاً مُصَوِّراً أجنود أهل بلادها تصويراً ، وأحسنهم عملاً لذلك ، فجهّزته وأحسنته إليه ، وقالت له : سر حتى تقدم على عمرو بن عدى متنكراً ، فتخلو بحشمه ، وتنضم إليهم ، وتخالطهم وتعلمهم ما عندك من العلم بالصور . والثقافة له ؛ ثم أثبت عمرو بن عدى معرفة ، وصوره جالساً وقامئاً ، وراكباً ومتفضلاً ، ومتسلحاً بهيئته ولبسته وثيابه ولونه ؛ فإذا أحكمت ذلك ، فأقبل إلى .

فانطلق المصوّر حتى قدم على عمرو ، وصنع الذى أمرته به الزبَاءُ ، وبلغ ما أوصته به ، ثم رجع إليها بعلم ما وجهته له من الصور على ما وصفت له ، وأرادت أن تعرف عمرو بن عدى ، فلا تراه على حال إلا عرفته وحدّرتة ،

٧٦٢/٨

(١) التتابع : الإسراع فى الشر ، وللجاجة ، وفى ح : « تتابع » . وكلمت : ذهب فى سرعة .

وعلمت علمه . فقال قصير لعمر بن عدى : اجْدَعْ أُنْفِي وَاضْرِبْ ظَهْرِي ،
وَدَعْنِي وَإِيَّاهَا . فقال عمرو : ما أنا بفاعل وما أنت لذلك بمستحق مني !
فقال قصير : « خَلَّ عَنِّي إِذَا وَخَلَاكَ ذَمٌّ » ، فذهبت مثلاً .

قال ابن الكلبي : كان أبو الزبَاء اتَّخَذَ النَّفْقَ لَهَا وَلِأَخْتِهَا ، وكان الحصن
لأختها في داخل مدينتها ، قال : فقال له عمرو ، فأنت أبصر ، فجدع
قصير أنفه ، وأثر بظهره ، فقالت العرب : « لمكر ما جدع أنفه قصير » ،
وفي ذلك يقول المتلمس :

وَمِنْ حَذَرِ الْأَوْتَارِ مَا حَزَّ أَنْفَهُ قَصِيرٌ وَخَاصَّ الْمَوْتَ بِالسَّيْفِ يَهْسُ (١)

ويروى : « ورام الموت » . وقال عدى بن زيد :

كَقَصِيرٍ إِذْ لَمْ يَجِدْ غَيْرَ أَنْ جَدَّعَ أَشْرَافَهُ لِشُكْرِ قَصِيرٍ

فلما أن جدع قصير أنفه وأثر تلك الآثار بظهره ، خرج كأنه هارب ،
وأظهر أن عمراً فعل به ذلك ، وأنه يزعم أنه مكر بخاله جذيمة ، وغره من
الزبَاء ، فسار قصير حتى قدم على الزبَاء ، فقبل لها : إن قصيراً بالباب ،
فأمرت به فأدخل عليها ، فإذا أنفه قد جدع ، وظهره قد ضرب ، فقالت :
ما الذي أرى بك يا قصير ؟ فقال : زعم عمرو بن عدى أنني غررت خاله ،
وزينت له السير إليك ، وغششته وما أتتك عليه ؛ ففعل بي ما ترى ! فأقبلت
إليك ، وعرفت أنني لا أكون مع أحد هو أثقل عليه منك . فألطفته وأكرمته ،
وأصابته عنده بعض ما أرادت من الخزم والرأى والتجربة والمعرفة بأمر الملوك ؛

(١) من أبيات في الحماسة ٢ : ٦٥٨ - بشرح المرزوق . وبهس : رجل من فزارة كان
يحمق ؛ فقتل له سبعة إخوة ، فجعل يلبس القميص مكان السراويل ، والسراويل مكان القميص ،
فإذا سئل عن ذلك قال :

الْبَسْتُ لِكُلِّ عَيْشَةٍ لَبُوسَهَا إِمَّا نَعِيمَهَا وَإِمَّا بُوسَهَا

فتوصل بما صوره من حاله عند الناس إلى أن طلب بدماء إخوته .

فلما عرفت أنها قد استرسلت إليه ، ووثقت به ، قال لها : إن لي بالعراق أموالاً كثيرة ، وبها طرائف وثياب وعطر ؛ فابعثيني إلى العراق لأحمل مالي وأحمل إليك من بُزُوَوزها وطرائف ثيابها ، وصنوف ما يكون بها من الأمتعة والطيب والتجارا ، فتصيين في ذلك أرباحاً عظماً ، وبعض ما لا غنى بالملوك عنه ؛ فإنه لا طرائف كطرائف العراق ! فلم يزل يزين لها ذلك حتى سرحته ، ودفعت معه عيراً ، فقالت : انطلق إلى العراق ، فبع بها ما جهزناك به ، وابتع لنا من طرائف ما يكون بها من الثياب وغيرها . فسار قصير بما دفعت إليه حتى قدم العراق ؛ وأتى الخيرة متنكراً ، فدخل على عمرو بن عدى ، فأخبره بالخبر ، وقال : جهزني بالبز والطرف (٢) والأمتعة ؛ لعل الله يمكن من الزبء فتصيب (١) ثأرك ، تقتل عدوك . فأعطاها حاجته ، وجهزه بصنوف الثياب وغيرها ، فرجع بذلك كله إلى الزبء ؛ فعرضه عليها ، فأعجبها ما رأت ، وسرها ما أتاها به ، وازدادت به ثقة ، وإليه طمأنينة ؛ ثم جهزته بعد ذلك بأكثر مما جهزته في المرة الأولى ، فسار حتى قدم العراق ، ولقي عمرو بن عدى ، وحمل من عنده ما ظن أنه موافق للزبء ؛ ولم يترك جهداً ، ولم يدع طرفة ولا متاعاً قدر عليه إلا حمّله إليها . ثم عاد الثالثة إلى العراق فأخبر عمرًا الخبر ، وقال : اجمع لي ثقات أصحابك وجندك ، وهيئ لهم الغرائر والمسوح — قال ابن الكلبي : وقصير أول من عمل الغرائر — واحمّل كل رجلين على بعير في غرارتين ، واجعل معقد رموس الغرائر من باطنها ، فإذا دخلوا مدينة الزبء أقمته على باب نفقها ، وخرجت الرجال من الغرائر ، فصاحوا بأهل المدينة (٣) فن قاتلهم قتلوه ، وإن أقبلت الزبء تريد النفق جلتتها بالسيف .

٧٦٥/١

ف فعل عمرو بن عدى ، وحمل الرجال في الغرائر على ما وصف له قصير ، ثم وجه الإبل إلى الزبء عليها الرجال وأسلحتهم ، فلما كانوا قريباً من مدينتها ، تقدم قصير إليها ، فبشرها وأعلمها كثرة ما حمل إليها من الثياب والطرائف ، وسألها أن تخرج فتتظر إلى قطرات تلك الإبل ، وما عليها من الأحمال ؛ فإني

(١) ح : « فتدرك » . (٢) ح : « والطرائف » .

(٣) ح : « يا أهل المدينة » .

جئت بما صاء وصمت فذهبت مثلاً . وقال ابن الكلبي : وكان قصير يكمنُ النهار^(١) ويسير الليل وهو أول من كمن النهار وسار الليل . فخرجت الزباء فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها ، فقالت : يا قصير :

مَا لِلْجَمَالِ مَشِيهَا وَوَيْدَا ! أَجْنَدًا يَحْمِلُنَ أُمَّ حَدِيدًا !
أُمَّ صَرَفَانًا بَارِدًا شَدِيدًا !

فدخلت الإبل المدينة ، حتى كان آخرها بعيداً مرّاً على بواب المدينة وهو نَبِطَى بيده منخسة ، فنخس بها الغرائر التي تليه ، فنصيب خاصرة الرجل الذي فيها ، ففصرط . فقال البواب بالنبضية « بشتابسقا »^(٢) يعنى بقوله : « بشتابسقا » : في الجوائق شرّاً وأرعب^(٣) قلباً ؛ فذهبت مثلاً ، فلما توسطت الإبل المدينة أنيخت ، ودلّ قصير عمراً على باب النفق قبل ذلك ، وأراه إياه ، وخرجت الرجال من الغرائر ، وصاحوا : بأهل المدينة ! ووضعوا فيهم السلاح ، وقام عمرو بن عدى على باب النفق ، وأقبلت الزباء مولية مبادرة تريد النفق لتدخله ، وأبصرت عمراً قائماً ، فعرفته بالصورة التي كان صورها لها المصور فصت خاتمها ، وكان فيها سم — وقالت : « بيدى لا بيدك يا عمرو » ، فذهبت مثلاً ، وتلقاها عمرو بن عدى ، فجللها بالسيف فقتلها ، وأصاب ما أصاب من أهل المدينة ، وانكفاً راجعاً إلى العراق ، فقال عدى بن زيد في أمر جذيمة وقصير والزباء وقتل عمرو بن عدى إياها قصيدته :

أَبْدَلْتِ الْمَنَازِلُ أُمَّ عُفِينَا تَقَادَمَ عَهْدَهَا أُمَّ قَدْ بَلَيْنَا
إلى آخرها .

وقال الخبيل ، وهو ربيعة بن عوف السعدي :

يَا عَمْرُو إِنِّي قَدْ هَوَيْتُ جِمَاعَكُمْ وَلِكُلِّ مَنْ يَهْوَى الْجِمَاعَ فِرَاقُ

(١) ح : « بالنهار » .

(٢) ت ، ح : « بستا » .

(٣) ت ، س : « ورابع » .

بَلْ كَمْ رَأَيْتُ الدَّهْرَ زَايِلَ بَيْنَهُ
 طَابَتْ بِهِ الزَّبَاءُ وَقَدْ جَمَّتْ لَهَا
 حَمَلَتْ لَهَا عَمْرًا وَلَا يَخْشُونَ
 حَتَّى تَفْرَعَهَا بِأَبْيَضِ صَارِمٍ
 وَأَبُو حُدَيْفَةَ يَوْمَ ضَاقَ بِجَمَمِهِ
 وَلَهُ مَعْدٌ وَالْعَبَادُ وَطَيْبٌ
 يَهْبُ النَّجَابِ وَالزَّرَائِعُ حَوْلَهُ
 فَاتَتْ عَلَيْهِ سَاعَةٌ مَا إِنْ لَهُ
 فَكَانَ ذَلِكَ يَوْمَ حُمِّ قِضَاؤُهُ
 مَنْ لَا يَزَايِلُ بَيْنَهُ الْأَخْلَاقُ
 دُورًا وَمَشْرَبَةٌ لَهَا أَنْفَاقُ^(١)
 مِنْ آلِ دُومَةَ رَسَلَةَ مِعْنَاقُ
 عَضْبٍ يَلُوحُ كَأَنَّهُ مَخْرَاقُ^(٢)
 شِعْبُ النَّبِيطِ فَحُومَةٌ فَأَفَاقُ
 وَمِنْ الْجُنُودِ كِتَابٌ وَرِفَاقُ
 جُرْدًا كَانَ مُتُونَهَا الْأَطْلَاقُ^(٣)
 يَمَّا أَفَاءَ وَلَا أَفَادَ عَتَاقُ
 رَفْدٌ أَمِيلٌ إِنْ أَوْهُ مُهْرَاقُ

وقال بعض شعراء العرب :

نَحْنُ قَتَلْنَا فَفَحَلًّا وَابْنَ رَاعِي
 فَلَمَّا أَتَتْهَا الْعِيرُ قَالَتْ أِبَارِدُ
 وَنَحْنُ خَتْنَا نَبْتَ زَبَا بِمِنْجَلِ^(٤)
 مِنَ التَّمْرِ هَذَا أُمُّ حَدِيدٍ وَجَنْدَلِ

وقال عبد باجر^(٥) - واسمه بهرا من العرب العاربة؛ وهم عشرة أحياء : عاد ،
 وحمود ، والعماليق ، وطسم ، وجديس ، وأميم^(٦) ، والمود^(٧) ، وجرهم ، ويقطن ،
 والسلف قال : والسلف دخل في حمير -

٧١٨/١

(١) ح : « طلبت » .

(٢) س : « تفرعها » .

(٣) الزرائع : جمع زريعة ؛ وهي الناقة تنزع إلى وطنها ، والأطلاق : جمع طلق ، وهو

الحبل ؛ وفي ط : « البرائع » ، وما أثبتته من س .

(٤) ط : « خنينا » ، وما أثبتته من ت .

(٥) ت : « ناجر » .

(٦) قال السهيلي : « يقال : بفتح الهمزة وكسر الميم وبضم الهمزة وفتح الميم ؛ وهو أكثر ؛

ووجدت بخط بعض المشاهير : « أميم » بتشديد الميم » .

(٧) س : « والنود » .

لَا رَكِبْتَ رَجُلًا مِنْ بَيْنِ الدُّلَى لَقَدْ رَكِبْتَ مَرْكَبًا غَيْرَ الْوَطِيِّ
 عَلَى الْعِرَاقِيِّ بَصَفًا مِنَ الطَّوِيِّ (١) إِنْ كُنْتَ غَضِبِي فَأَغْضِبِي عَلَى الرَّكِيِّ
 * وَعَاتِبِي الْقِيمَ عَمْرُو بْنُ عَدِي *

فصار الملك بعد جديمة لابن أخته عمرو بن عدى بن نصر بن ربيعة بن الحارث بن مالك بن عمرو بن ثمامرة بن نلح، وهو أول من اتخذ الحيرة منزلاً من ملوك العرب، وأول من مجده أهل الحيرة في كتبهم من ملوك العرب بالعراق، وإليه ينسبون؛ وهم ملوك آل نصر، فلم يزل عمرو بن عدى ملكاً حتى مات وهو ابن مائة وعشرين سنة، منفرداً بملكه، مستبداً بأمره، وغزو المغازي ويصيب الغنائم، وتفد عليه الوفود دهره الأطول؛ لا يدين للملوك الطوائف بالعراق، ولا يدينون له؛ حتى قدم أردشير بن بابك في أهل فارس.

* * *

وإنما ذكرنا في هذا الموضع ما ذكرنا من أمر جديمة وابن أخته عمرو بن عدى لما كنا قدمنا من ذكر ملوك اليمن؛ أنه لم يكن لملكهم نظام، وأن الرئيس منهم إنما كان ملكاً على مخالفه ومحجره، لا يجاوز ذلك؛ فإن نزع منهم نازع، أو نبغ منهم تابع (٢) فتجاوز ذلك — وإن بعدت مسافة سيره من مخالفه — فإنما ذلك منه عن غير ملك له موطن، ولا آباءه، ولا لأبنائه، ولكن كالذي يكون من بعض من يشرّد من المتلصّصة، فيُغير على الناحية باستغفال أهلها، فإذا قصده الطلب لم يكن له ثبات؛ فكذلك كان أمر ملوك اليمن؛ كان الواحد منهم بعد الواحد يخرج عن مخالفه ومحجره أحياناً فيصيب مما يمرّ به ثم يتشمّر (٣) عند خوف الطلب، راجعاً إلى موضعه ومخلافه، من غير أن يدين له أحد من غير أهل مخالفه بالطاعة، أو يؤدّي إليه خربجاً؛ حتى كان عمرو

(١) ت : « الوطى » .

(٢) ح : « تابع » .

(٣) ح : « يشمر » .

ابن عدى الذى ذكرنا أمره، وهو ابن أخت جدِّيمة الذى اقتصصنا خبره ، فإنه اتَّصل له ولعقبه ولأسبابه الملك على ما كان بنواحى العراق وبادية الحجاز من العرب باستعمال ملوك فارس إياهم على ذلك ، واستكفأهم أمرَ مَنْ وليَّهم من العرب ؛ إلى أن قَتَلَ أبرويز بن هرمز النعمانَ بن المنذر ، ونقل ما كانت ملوك فارس يجعلونه إليهم إلى غيرهم ، فذكرنا ما ذكرنا من أمر جدِّيمة وعمرو ابن عدى من أجل ذلك ؛ إذ كُنَّا نريد أن نسوق تمام التاريخ على مُلك ملوك فارس ، ونستشهد على صحة ما رُوِيَ من أمرهم بما وجدنا إلى الاستشهاد به عليها سبيلاً . وكان أمرُ آل نصر بن ربيعة ومَنْ كان من ولاة ملوك الفرس وعمَّالهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق عند أهل الحيرة متعلماً مثبتاً عندهم فى كنائسهم وأسفارهم .

٧٧٠/١

وقد حَدَّثت عن هشام بن محمد الكلبيّ أنه قال : إني كنت أستخرج أخبارَ العرب وأنساب آل نصر بن ربيعة ، ومبالغَ أعمار مَنْ عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم من بيِّع الحيرة ، وفيها ملكهم وأمورهم كلها .

فأما ابن حميد ، فإنه حدثنا فى أمر ولد نصر بن ربيعة ومصيرهم إلى أرض العراق غير الذى ذكره هشام ؛ والذى حدثنا به من ذلك عن سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن بعض أهل العلم : أن ربيعة بن نصر اللخميّ رأى رؤيا نذكرها بعدُ — عند ذكر أمر الحبشة ، وغلبتْهم على اليمن وتعبير سَطِيح وشقّ وجوابهما عن رؤياه — ثم ذكر فى خبره ذلك أن ربيعة بن نصر لما فرغ من مسألة سَطِيح وشقّ وجوابهما إياه ، وقع فى نفسه أن الذى قال له كائن من أمر الحبشة ؛ فجهز بنيه وأهل بيته إلى العراق بما يُصلحهم ، وكتب لهم إلى ملك من ملوك فارس يقال له سابور بن خرزاذ ، فأسكنهم الحيرة . قال : فن بقية ربيعة ابن نصر كان النعمان ملك حيرة ، وهو النعمان بن المنذر بن النعمان بن المنذر ابن عمرو بن عدى بن ربيعة بن نصر . ذلك الملك فى نسب أهل اليمن وعلمهم .

٧٧١/١

[ذكر طسم وجديس]

قال أبو جعفر : ونذكر الآن أمر طسم وجديس إذ كان أمرهم أيضًا كان في أيام ملوك الطوائف ، وأن فناء جديس كان على يد جسان بن تَبَع ، إذ كنّا قدّمنا فيما مضى ذكر تبابعة حمير ، الذين كانوا على عهد ملوك فارس .

وحدّثت عن هشام بن محمد . وحدّثنا ابن حميد ، قال : حدّثنا سلمة ، عن ابن إسحاق وغيرهما من علماء العرب ، أن طَسَمًا وجديسًا كانوا من ساكني اليمامة ؛ وهي إذ ذاك من أخصب البلاد وأعمرها وأكثرها خيرًا ، لم فيها صنوف الثمار ومعجبات الحدائق والقصور الشائخة ، وكان عليهم ملك من طَسَمَ ظلوم غشوم ، لا ينهائهم شيء عن هواه ، يقال له عمّلق ، مُضْرًا بجديس ، مستدلًا لهم .

وكان مما لقوا من ظلمه واستدلاله ؛ أنه أمر بالآ تَهْدِي بَكْر من جديس إلى زوجها حتى تدخل عليه فيفترعها ، فقال رجل من جديس ، يقال له الأسود بن غِفَار لرؤساء قومه : قد ترون ما نحن فيه من العار والذل الذي ينبغي للكلاب أن تعافه وتمتعض منه ؛ فأطيعوني فإني أدعوكم إلى عزّ الدهر ، ونفي الذل . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إني صانع للملك ولقومه طعامًا ، فإذا جاءوا نهضنا اليهم بأسيافنا وانفردت به فقتلته ، وأجهز كلّ رجل منكم على جليسه ، فأجابوه^(١) إلى ذلك ، وأجمع رأيهم عليه فأعدّ طعامًا ، وأمر قومه فانتصروا سيوفهم ودفنوها في الرمل ، وقال : إذا أتاكم القوم يرفلون في حلّهم ، فخذوا سيوفهم ، ثم شدوا عليهم قبل أن يأخذوا مجالسهم ، ثم اقتلوا الرؤساء ؛ فإنكم إذا قتلتموهم لم تكن السفلة شيئًا ؛ وحضر الملك فقتل وقتل الرؤساء ، فشدوا على العامة منهم ، فأفنوهم ، فهرب رجل من طَسَمَ يقال له رباح^(٢) بن مرة ، حتى أتى حسان بن تَبَع ، فاستغاث به ، فخرج حسان في حمير ،

(١) ح : « فأجابوا » .

(٢) ابن خلدون وياقوت : « رباح » .

فلما كان من اليمامة على ثلاث ، قال له رياح : أبيت اللعن ! إن لي أختاً متزوجة في جدّيس ، يقال لها : اليمامة ، ليس على وجه الأرض أبصرُ منها ، إنها لتبصرُ الراكب من مسيرة ثلاث ، وإنّي أخاف أن تنذر القوم بك ، فرُ أصحابك ، فليقطع كلُّ رجل منهم شجرة فليجعلها أمامه ويسير وهي في يده ، فأمرهم حسان بذلك ، ففعلوا ، ثم سار فنظرت اليمامة ، فأبصرتهم ، فقالت لجدّيس : لقد سارت حمير . فقالوا : وما الذي ترين ؟ قالت : أرى رجلاً في شجرة ، معه كتيف يتعرقها (١) ، أو نعل يخصفها . فكذبوها ؛ وكان ذلك كما قالت ، وصبّحهم حسان فأبادهم وأخرب بلادهم وهدم قصورهم وحصونهم .

٧٧٣/١

وكانت اليمامة تسمّى إذ ذاك جَوْاً والقرية ؛ وأتى حسان باليمامة ابنة مرّة ، فأمر بها ففقت عيناها ؛ فإذا فيها عروق سود ، فقال لها : ما هذا السواد في عروق عينيك ؟ قالت : حجّير أسود يقال له الإثمّد ، كنت أكتحل به . وكانت فيما ذكروا أول من اكتحل بالإثمّد ، فأمر حسان بأن تسمّى جو اليمامة (٢) .

وقد قالت الشعراء من العرب في حسان ومسيره هذا ، فمن ذلك قول الأعمش (٣) :

كُونِي كَمِثْلِ الَّذِي إِذْ غَابَ وَافِدُهَا أَهَدَتْ لَهُ مِنْ بَعِيدِ نَظْرَةٍ جَزَعَا
مَا نَظَرَتْ ذَاتُ أَشْفَارٍ كَنَظَرِهَا حَقًّا كَمَا صَدَقَ الذَّنْبِيُّ إِذْ سَجَعَا (٤)
إِذْ قَلَبَتْ مُقَلَّةً لَيْسَتْ بِمُقَرَّفَةٍ إِذْ يَرَفَعُ أَلَالَ رَأْسِ الْكَلْبِ فَارْتَفَعَا (٥)

(١) يتعرقها : يأخذ ما عليها من اللحم بأسنانه نهشاً .

(٢) انظر القصة في شرح ديوان الأعمش ٧٤ .

(٣) ديوانه ٧٢ - ٧٤ ؛ من قصيدة مطلعها :

بَأَنْتِ سَعَادُ وَأُمْسَى حَبْلُهَا انْقَطَعَا وَاحْتَلَّتِ الْعَمَزُ فَاُلْجَدَيْنِ فَالْفَرَعَا

(٤) الذنبي : أحد الكهنة .

(٥) الديوان :

* إِذْ نَظَرَتْ نَظْرَةً لَيْسَتْ بِكَادِبَةٍ *

ورأس الكلب : جبل باليمامة .

قَالَتْ أَرَى رَجُلًا فِي كَفِّهِ كَتِفٌ ۖ
فَكَذَّبُوهَا بِمَا قَالَتْ فَصَبَّحَهُمْ
وَهَدَمُوا شَاخِصَ الْبُنْيَانِ فَأَتَضَعَا ۗ
وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ النَّمْرِ بْنِ تَوْلَبِ الْعُكْلِيِّ :

هَلَّا سَأَلْتَ بِعَادِيَاءَ وَبَيْتِهِ
وَفَتَاتِهِمْ عَزْ عَشِيَّةَ آنَسَتْ
قَالَتْ أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ كَفَّهُ
وَرَأَتْ مُقَدِّمَةَ النَّمِيسِ وَقَبْلَهُ
فَكَأَنَّ صَالِحَ أَهْلِ جَوْ غُدْوَةً
كَانُوا كَأَنَّمِ مَنْ رَأَيْتَ فَأَصْبَحُوا
قَالَتْ يَمَامَةٌ اخْمَلُونِي قَائِمًا (٤)

وَالْخَلِّ وَالْخَمْرِ الَّتِي لَمْ تُنْمَعِ (١)
مِنْ بَعْدِ مَرَأَى فِي الْفَضَاءِ وَمَسْمَعِ
أَصْلًا وَجَوْ آمِنٌ لَمْ يُفْزَعِ (٢)
رَقَصَ الرَّكَّابِ (٣) إِلَى الصِّيَاحِ يُتَّبِعُ
صُبْحُوا بِذَيْفَانِ السَّمَامِ السُّنْفَعِ
يَلْتَوُونَ زَادَ الرَّايِبِ الْمُتَمَعِ
إِنْ تَبَعْتُهُ بَارِكًا بِي أُصْرِعِ

٧٧٥/١ وحسان بن تبع ، الذي أوقع بجديس ، هو ذو معاهر ، وهو تبع بن تبع
تُبَّانِ أَسْعَدِ أَبِي كَرْبِ بْنِ مَلِكِيكَرْبِ بْنِ تَبَعِ بْنِ أَقْرَنَ ؛ وَهُوَ أَبُو تَبَعِ بْنِ حَسَانَ
الَّذِي يُزَعَمُ أَهْلُ الْيَمَنِ أَنَّهُ قَدِيمُ مَكَّةَ ، وَكَسَا الْكَعْبَةَ ، وَأَنَّ الشَّعْبَ مِنَ الْمَطَابِخِ
إِنَّمَا سُمِّيَ هَذَا (٥) الْأَسْمَ لِنَصْبِهِ الْمَطَابِخِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَإِطْعَامِهِ النَّاسَ ؛ وَأَنَّ
أَجْيَادًا إِنَّمَا سُمِّيَ أَجْيَادًا ، لِأَنَّ خَيْلَهُ كَانَتْ هُنَالِكَ ؛ وَأَنَّهُ قَدِمَ يَثْرِبَ فَتَزَلَّ مِنْزَلًا
يُقَالُ لَهُ مِنْزَلُ الْمَلِكِ الْيَوْمَ ، وَقَتَّلَ مِنَ الْيَهُودِ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً بِسَبَبِ شِكَايَةِ مَنْ
شَكَاهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ بِسُوءِ الْجَوْلَارِ ، وَأَنَّهُ وَجَّهَ ابْنَهُ حَسَانَ إِلَى السَّنَدِ

(١) ذكر ابن بدرون في شرح الرائية ٦٨ من هذه الأبيات البيتان : الثاني والثالث .

(٢) ابن بدرون :

أَرَى رَجُلًا يُقَلِّبُ نَعْلَهُ
تَقْلِيْبَ ذِي وَصْلٍ لَهُ وَمُسْمَعُ

(٣) ابن بدرون : « ركض الجياد » .

(٤) ح : « إمام » .

(٥) ت : « بهذا » .

وسميرا ذا الجناح إلى خراسان، وأمرهما أن يستبقا إلى الصين، فرّ سمير بسمرقند فأقام عليها حتى افتتحها، وقتل مقاتلتها، وسبي وحوى ما فيها ونفذ إلى الصين، فوافى حسّان بها، فن أهل اليمن من يزعم أنهما ماتا هنالك، ومنهم من يزعم أنهما انصرفا إلى تبع بالأموال والغنائم.

* * *

وما كان في أيام ملوك الطوائف ما ذكره الله عزّ وجلّ في كتابه من أمر الفتية الذين أووا إلى الكهف فضرب على آذانهم.

تمّ الجزء الأول من تاريخ الطبرى، ويليه الجزء الثانى
وأوله: ذكر الخبر عن أصحاب الكهف

فهرس الموضوعات

صفحة	
٩	القول فى الزمان ما هو
	القول فى كم قدر جميع الزمان من ابتدائه إلى انتهائه وأوله
١٩ - ١٠	إلى آخره
٢١ - ٢٠	القول فى الدلالة على حدوث الأوقات والأزمان والليل والنهار.
	القول فى هل كان الله عز وجل خلق قبل خلقه الزمان والليل
٢٦ - ٢٢	والنهار شيئاً غير ذلك الخلق
	القول فى الإبانة عن فناء الزمان والليل والنهار وألا شىء يبق
٢٧	غير الله تعالى ذكره
	القول فى الدلالة على أن الله عز وجل القديم الأول قبل كل
٣١ - ٢٨	شىء وأنه هو المحدث كل شىء بقدرته تعالى ذكره
٣٦ - ٣٢	القول فى ابتداء الخلق ما كان أوله
٤٦ - ٣٧	القول فى الذى ثنى خلق القلم
	القول فيما خلق الله فى كلى يوم من الأيام السنة التى ذكر
٦٠ - ٤٧	الله فى كتابه أنه خلق فىهن السموات والأرض وما بينهما .
	القول فى الليل والنهار أيهما خلق قبل صاحبه وفى بدء خلق
٨٠ - ٦١	الشمس والقمر وصفتهما، إذ كانت الأزمنة بهما تعرف .
	ذكر الأخبار الواردة بأن إبليس كان له ملك السماء الدنيا
٨٢ - ٨١	والأرض ما بين ذلك
	ذكر الخبر عن غمط عدو الله نعمه ربه واستكباره عليه
٨٣	وادعائه الربوبية

٨٤	القول في الأحداث التي كانت في أيام ملك إبليس وسلطانه والسبب الذي به هلك وادعى الربوبية
٨٥ - ٨٨	ذكر السبب الذي به هلك عدو الله وسوّلت له نفسه من أجله الاستكبار على ربه عزّ وجلّ
٨٩ - ١٠٥	القول في خلق آدم عليه السلام
١٠٦ - ١١٢	القول في ذكر امتحان الله تعالى أبانا آدم عليه السلام القول في قدرة مدة مكث آدم في الجنة ووقت خلق الله عزّ وجلّ إياه ووقت إهباطه إياه من السماء إلى الأرض
١١٣ - ١١٦	ذكر الوقت الذي خلق فيه آدم عليه السلام من يوم الجمعة والوقت الذي أهبط فيه إلى الأرض
١١٧ - ١٢٠	القول في الموضع الذي أهبط آدم وحواء إليه من الأرض حين أهبطا إليها
١٢١ - ١٣٦	ذكر الأحداث التي كانت في عهد آدم عليه السلام بعد أن أهبط إلى الأرض
١٣٧ - ١٥١	ذكر ولادة حواء شيئاً
١٥٢ - ١٥٤	ذكر وفاة آدم عليه السلام
١٥٥ - ١٦٤	ذكر الأحداث التي كانت في أيام بنى آدم من لدن ملك شيث بن آدم إلى أيام يرد
١٦٥ - ١٧٨	ذكر الأحداث التي كانت في عهد نوح عليه السلام
١٧٩ - ١٩٣	ذكر بيوراسب، وهو الأزدهاق
١٩٤ - ٢١٥	ذكر الأحداث التي كانت بين نوح وإبراهيم عليهما السلام
٢١٦ - ٢٣٢	

٢٣٣ - ٢٥٠	عصره من ملوك العجم
٢٥١ - ٢٧١	ذكر أمر بناء البيت
٢٧٢ - ٢٧٨	ذكر الخبر عن صفة فعل إبراهيم وابنه الذي أمر بذبحه فيما كان أمر به من ذلك ، والسبب الذي من أجله أمر إبراهيم بذبحه
٢٧٨ - ٢٨٧	ذكر ابتلاء الله إبراهيم بكلمات
٢٨٧ - ٢٩٢	أمر نمرود بن كوش بن كنعان
٢٩٢ - ٣٠٧	ذكر لوط بن هاران وقومه
٣٠٨ - ٣١١	ذكر وفاة سارة بنت هاران وهاجر أم إسماعيل وذكر ، أزواج إبراهيم عليه السلام وولده
٣١٢ - ٣١٣	ذكر وفاة إبراهيم عليه السلام
٣١٤ - ٣١٥	ذكر خبر ولد إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام
٣١٦ - ٣٢١	ذكر إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام وذكر نسائه وأولاده
٣٢٢ - ٣٢٩	ذكر أيوب عليه السلام
٣٣٠ - ٣٦٤	ذكر يعقوب وأولاده
٣٦٥ - ٣٧٦	قصة الخضر وخبره وخبر موسى وفتاه يوشع عليهم السلام
٣٧٧ - ٣٨٤	منوشهر وأسبابه والحوادث الكائنة في زمانه
٣٨٥ - ٤٣١	يذكر نسب موسى بن عمران وأخباره وما كان في عهده وعهد منوشهر بن منشخورنر الملك من الأحداث

صفحة

- ٤٣٢ - ٤٣٤ ذكر وفاة موسى وهارون ابني عمران عليهما السلام .
- ٤٤٢ - ٤٣٥ ذكر يوشع بن نون عليه السلام .
- ٤٤٣ - ٤٥٢ ذكر أمر قارون بن يصهر بن قاهث .
- ٤٥٣ - ٤٥٦ ذكر القائم بالملك ببابل من الفهرس بعد منشهر .
- ٤٥٧ - ٤٦٠ ذكر أمر بني إسرائيل والقوام الذين كانوا بأمرهم بعد يوشع بن نون والأحداث التي كانت في عهد زو وكيقباد .
- ٤٦١ - ٤٦٦ إلياس واليسع عليهما السلام .
- ٤٦٧ - ٤٧٥ ذكر خبر شمويل بن بالى بن علقمة بن يرخام بن اليهو ابن تهو بن صوف ، وطالوت وجالوت .
- ٤٧٦ - ٤٨٥ ذكر خبر داود بن إيشى بن عويد بن باعز بن سلمون بن نحشون بن عمى نادب بن رام بن حصرون بن فارص بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .
- ٤٨٦ - ٤٨٨ ذكر خبر سليمان بن داود عليهما السلام .
- ٤٨٩ - ٤٩٥ ذكر ما انتهى إلينا من مغارى سليمان عليه السلام .
- ٤٩٦ - ٥٠٣ ذكر خبر غزوته أبا زوجته جرادة وخبر الشيطان الذي أخذ خاتمته .
- ٥٠٤ - ٥١٦ ذكر من ملك إقليم بابل والمشرق من ملوك الفرس بعد كيقباد .
- ٥١٦ - ٥٣١ أمر بني إسرائيل بعد سليمان بن داود عليهما السلام .
- ٥٣٢ - ٥٣٦ ذكر صاحب قصة شعيا من ملوك بني إسرائيل ، وسنحاريب .
- ٥٣٧ - ٥٥٧ ذكر خبر لهراسب وابنه بشتاسب وغزو بختنصر بني إسرائيل وتخريبه بيت المقدس .
- ٥٥٨ - ٥٦٠ ذكر خبر غزو بختنصر للعرب .

- رجع الخبر إلى قصة بشتاسب وذكر ملكه والحوادث التي
كانت في أيام ملكه التي جرت على يديه ويد غيره من
عماله في البلاد خلا ما جرى من ذلك على يد بختنصر
٥٦١ - ٥٦٥
- بهم بن إسفنديار ٥٦٦ - ٥٦٧
- ذكر خبر أردشير بهم بن ابنته خماني ٥٦٨ - ٥٧٠
- ذكر خبر بني إسرائيل ومقابلة تأريخ مدة أيامهم إلى حين
تصرتها بتأريخ مدة من كان في أيامهم من ملوك الفرس . ٥٧١
- خبر دارا الأكبر وابنه دارا الأصغر بن دارا الأكبر ،
وكيف كان هلاكه ، مع خبر ذي القرنين ٥٧٢ - ٥٧٩
- ذكر أخبار ملوك الفرس بعد الإسكندر وهم ملوك الطوائف .
ذكر الأحداث التي كانت في أيام ملوك الطوائف (وفيها
قصة عيسى ومريم عليهما السلام) ٥٨٠ - ٥٨٤
- ٥٨٥ - ٦٠٥
- ذكر من ملك من الروم أرض الشام بعد رفع المسيح عليه
السلام إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم في قول النصارى . ٦٠٦ - ٦٠٨
- نزول قبائل العرب الحيرة والأنبار أيام ملوك الطوائف . ٦٠٩ - ٦٢٨
- ذكر طسم وجديس ٦٢٩ - ٦٣٢